

بقرى مكة من ثمانين مؤلفا الحكيم القادر
عزرا كبيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المجلد

١٣١٥

في حادي الدين يستعمل قول فيقول
او تلك الذين هم اشدوا وقلهم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوي و«منارا» كمنار الطريق

(مصر المحرم سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ١٤ مارث (آذار) سنة ١٩٠٧)

فاتحة السنة العاشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ،
وعلى آل وصحبه ، وأهل وداده قربه ، وعلى كل عبد مصطفى ، من جميع
الورى ، أما بعد فإن المنار قد دخل بهذا الجز في سنته العاشرة ، فقطع مرحلة
الاعداد المفردة ، ووقف بباب الاعداد المركبة ، فكان نموه وثباته ،
وتنزيهه بما يحفظ عليه حياته ، وقوته على دفع عوارض المل التي توابه ،
ومقاواته لما يناهضه ويناصبه ، آيات بينات على أنه كائن حي ، يرجى أن يبلغ منتهى
العمر الطبيعي ، الذي يكون مثله بالاستمداد الموهوب والمكسوب ، ونوفيق

الله المطلوب، وبإسماد محي الإصلاح الذي يدعو اليه والحق الذي يناضل دونه، وما اسمادهم الا الدعوة به واليه. والنصيحة له والدفاع عنه، فالدعوة حياة المذاهب في الفلسفة والسياسات والاديان، وكل ما يرتقي به شأن هذا الانسان، « ٣٣: ٣٨ سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ».

المنار يدعو جميع المسلمين بكتاب الله. الى سعادة الدارين بتقويم فطرة الله، ومعرفة سنن الله، ونبهاهم به عن التفرق في الدين، ويامرهم بالاعتصام بحبله المتين، فالدين والفطرة صنوان، والشريعة والطبيعة شقيقتان، فنزل القرآن، هو منزل الفرقان والميزان، ووضع الشريعة، هو خالق الطبيعة، فالقرآن هداية وعرفان، وعروج بالارواح الى الروح والريحان، بالعبودية المؤدية الى رضا الرحمن، والاتهاء باضطراب أمواج النزعات البشرية الى مستقر السكينة والاطمئنان، « ١٧: ٨ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ».

والفرقان عقل يفرق بين الحق والباطيل، ويدرك اسرار الخليقة وفقه التنزيل، فهو المخاطب بأقامة الشريعة، وهو المطالب بالتصرف في الطبيعة، فيأخذ منها بقدر اجتهاده، على حسب استعداده، والميزان عدل عام، في الاخلاق والافكار والاحكام، به يتفدحكم القرآن والفرقان، حتى يلتئم شمل الانسان، فيمطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وان لربه عليه حقا، ولنفسه عليه حقا، ولزوجه عليه حقا،

ولا هله عليه حقاً ، ولقومه عليه حقاً . ولا مته عليه حقاً ، ولجميع الناس عليه حقاً . - فالقرآن يهدي الى الحقوق ويبين ، والفرقان يفرق بين المتسابات ويميز ، وانما القسمة بالميزان ، وبالثلاثة تكمل فطرة الديان ، فالقرآن كتاب مسطور ، وضياء ونور ، والفرقان نقرأ وندرس ، ونجتلي ونقبس ، وبالميزان نعمل بالعلم ، ونقوم بالقسط ، ومن شذ عن هذه الثلاثة فلم يهتد بالنقل والعقل ، ولم يخضع لسلطان العدل ، فقد أنزل الله لملاجه الحديد ، الجامع بين المنافع والبأس الشديد ، فيؤدب بقوة السلاح ، حتى يستقيم أمر الاصلاح ، « ١٧ : ٢٣ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِائِهِ سُلْطَانًا فَلَا يُعْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنتَهُ كَانَ مَنصُورًا * »

{ ٣ : ٣ } آلم الله لا آله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق - الى قوله - وأنزل الفرقان { ٥٧ : ٢٥ } لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فهذا بيان للناس بأن بناء معاشهم ومعادهم يقوم على أربعة أركان الكتاب والمثل والعدل والقوة وهي هي القرآن والفرقان والميزان والحديد . وقد هدم التقليد الاربعة الاركان ، واستبدل بها قول فلان وفلان ، أسماء سماها المقلدون وآباؤهم ما أنزل الله بهامن سلطان ، فأما ركن الكتاب فبرز عنهم أن فهمه والاهتداء به خاص بنفريسمون المجتهدين ، وأنهم اقرضوا وقد عمق الزمان عن ملامهم الى يوم الدين ، وأما ركن الفرقان فبما أهملوا من الحكمة العقلية والدينية والعلوم النظرية والعملية . وأما ركن الميزان

فيا راحة الاستبداد لدوي السلطان، وتحتيم طاعتهم ولو في الأثم والعدوان،
وأما ركن الحديد فبالاعراض عن الاعمال الصناعية، وما يتوقف عليه
من القنن الرياضية والطبيعية، فمضى ثبت لشعوبهم ودولهم بنيان، وقد
هدموا جميع هذه الأركان، وفسقوا فيها عن هداية القرآن، « ١٧ : ١٢ »
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا »

فالمنار يدعو المسلمين الى اقامة الأركان الاربعة باسم الاسلام، من
حيث يحتجون على هدمها بالاسلام، ونما اقامتها أن يكون أمر الامة
بأيدي أهل القرآن العرفاء، وأصحاب الترفان الحكماء، ومقيمي الميزان
في السياسة والقضاء، وحملة الحديد للدافعة الأعداء ومنع الاعتداء، وهؤلاء
الاصناف هم أولو الأمر، الذين لم يجب أن يرد اليهم كل أمر، وهم أهل
الاجماع، الجديرون بالاتباع. وهم أهل المال والمقد الذين ينصبون
ويرمون، ويحلون ويمقدون، وهم أهل الشورى الذين ينصبون الخلفاء
والامراء، ويضعون الاحكام في السياسة والادارة والقضاء، وعلى هذا
أراد النبي تربية المؤمنين، واتباعه بقدر الاستعداد الخلفاء الراشدون، وبترك
هذا محل ما حل من البلاء بالمسلمين، « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »

بهذه الأركان الاربعة كان الاسلام دين الفطرة، والهادي بسنن الشريعة
الى كمال سنن الطبيعة، (٣٠ : ٣٠) فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس

لا علمون) قال - لم من يقيم دين الله ، باقامة سنن فطرة الله ، ومن يجمع بين العلم بما أنزل الله ، والطم بما خلق الله ، ويفقه الاتفاق بين قوله (١٠ : ٩٤) لا تبديل لكلمات الله) ، وقوله (لا تبديل لخلق الله) ، ومن ذهب الى التفريق بين دين الله وفطرته ، وزعم ان العلم بكتاب الله لا يتفق مع العلم بخليقته ، فقد جهل الخالق والخليقة ، والشرعية والحقيقة ، وكان حجابا دون الايمان ، يصد عنه اولي العلم والعرفان ، فما بال من يزعم ان العلم والدين ضدان ، اولئك اعداء القرآن ، وأولياء الشيطان ، « ١ : ٩ : ٤ » وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ١٢٠٥ يَدْعُهُمْ وَيُنتِهِمُ وَمَا يَنْدَعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا »

أحسب هؤلاء المأثمون في أودية الأوهام ، ان هذا الشيء الذي يسمونه فقها هو الاسلام ، أليس اصل هذا الاسلام هو القرآن ، أليست السنة من قبيل العمل به والبيان ، فما بالهم قد حصروا الدين فيما لم يحفلوا بأكثره الكتاب ، ولم يفصل فيه شيء مما وضوا له من الفصول أو فقهوا من الابواب ، أرأيتكم كم سورة أو آية نزلت في احكام البيع والايجار ، والكفالة والحوالة والجمالة والاقرار ، والمساقاة والمزارعة والشفعة والودية والرهان ، والحجر والصلح والنصب والضمان ، بل اينما اكثرتم من احكام الحيض والاستحاضة والنفاس ، وما اطلتم به من الكلام على الطهارة والاداهرات والانجاس ، وما جثتم به في جميع العبادات من الرأي والقياس ؟ هل انزل الله في ذلك كله عشر معشار ما أنزل من الامر بالنظر في المخلوقات ، واجتلاء آياته في الارض والسموات ، من

تصريف الرياح والبحار ، وتشجير الناييع والانهار ، وإنبات الحدايق
والجنان، متشابهات وغير متشابهات، وتسخير الدواب والانعام، والجواري
المنشآت في البحر كالأعلام ، ونصب الجبال كالأوتاد، وبناء السبع الشداد،
ورفع السماء ووضع الميزان ، وجعل الشمس والقمر بحسبان ، (٢٥ : ٤٥)
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ
عَلَيْهِ دَلِيلًا ٤١ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ٤٢ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الَّيْلَ نِيَامًا وَالنَّوْمَ سَبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ٤٣ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٤٨ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً
مَيِّتًا وَنُسْفِيَهُ مِنْ خَلْقِنَا أَنْعَامًا وَأَنْبَاءً كَثِيرًا)

فكيف محصرون جميع أمور الدين، فيما سكت عنه الكتاب أو أجله
أوفوضه الى المستنبطين ، وتجملون مافصل الارشاد اليه ، وجعل الموعول في
معرفة تعالى عليه ، هو الذي يأتي بنيانه من القواعد ، ويقطع أصول أحكامه
والمقائده ، أليس هذا منتهى التفريط في الكتاب الذي مافرط الله فيه من شيء
(١٦ : ٨٩) وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ ، (٢٥ : ٥٠) وَلَقَدْ
صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)

إذا شغلك الفقه عن آيات الله التي بين يديك ، فهل يصح ان يشغلك
عن آياته في نفسك التي بين جنبيك ، ألم يرشدك القرآن الى السير في الأرض
لاستطلاع العبر ، ألم ينبئك بسنته في نظام البشر ، ألم يهدك الى انه تعالى
لا يهلك المصلحين ، وان كانوا في العقيدة مشركين ، وانه لا يقي على الظالمين ،
وان العاقبة للمتقين ، فإلك لانعم من هذا الدين معرفة تواريخ الامم

الغابرة، واختبار أحوال الأمم الحاضرة، ومعرفة الاقطار والباق، والعلم بشؤون الاجتماع، أليس هذا من إقامة القرآن، واستعمال الفرقان والميزان، أليس قد أنزل الثلاثة لترقية شأن الانسان، فكيف تشنك أحكام حركات الابدان، ومعاملات الاقوان، عن حكم الديان، في الاناسي والاكوان، (٥٣: ٢٥) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ٥٤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا *

ألايت الذين يجمعون هذا «الفقه» معظم الدين، غنوا به بعض غاية أهل التواضع، فطابقوا بينه وبين مصالح الناس، من جميع الشعوب والاجناس، وقربوه من الافهام، وأبعدوه عن الاوهام، إذا لبقى لهم ذكرنا وشرفنا، ولم تجد حكاهم عنه منصرفا، وهانحن أولاء نراهم قد نسخوا أحكامه السياسية والمدنية والجناينة، ولم يتركوا للمسلمين الا ما يفتقدون من الاحوال الشخصية، وهل كانت احكام فقهاءهم فيها مرضية، ام تنال الحكومة منها وتآلم الرعية، ألا أنهم قد هروا الناس من الفقه والدين، ولولا الجرايات والمسكرية لا عرض عن ممارسة كتبهم أكثر هؤلاء الشراذم المقلبين، ولو رجعو الى هداية القرآن، وأقاموا الفرقان والميزان، وتركوا التقليد، وأحسنوا الحديد، لولوا عن هذه الكتب هورا، وأوتوا الحكمة (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (٢٠: ٢١) وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَكًَا كَثِيرًا

ان بعد رجال الدين عن علوم القرآن والفرقان والميزان والحديد،

وجهدهم على ما اوجبه على انفسهم من التقليد ، جعلهم بمنزل من الزعامة ، وحرّمهم مقام الاسوة والامامة ، فلم يبق لهم شيء من الاثر ، والنهي وباتوا لا يقصد اليهم في الاستشارة والرأي ، ولا يستقون في ادارة المصالح ودرء المفاسد ، ولا يعتمد عليهم في نظام التربية والتعليم في المدارس والمكاتب . فقلت بعدم الثقة بهم ثقة الناس بالدين ، وكثرة الفسق في الجاهلين والكفر في المتعلمين ، انحلت رابطة جامعته الجنسية ، وكادت تنقسم عمروة اخوته الروحية . وأنشأت الشعوب تمصب جنسيتها الجاهلية ، في الانساب واللغات ، والاطنان والجهات ، يتسلطون منه لو اذا ، وبفارقون الجماعة فذاذا ، فسهل على الاجانب تخطفهم شعبا وشعبا وانتقاص بلادهم قطراً قطراً (١٧: ٤١) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا

الهم قد فلت علينا الاوزار ، فأحاطت بنا النوايب والايثار ، ولانكاد نرى فينا علماء يدعون الى القرآن ، ولا حكماء يرفعون شأننا في علوم القرفان ، ولا حكم يقيمون القسط بالميزان ، ولم نشكر نعمتك بانزال الحديد ، فقاتنا معظّم ما فيه من المنافع والبأس الشديد ، بل لم نشكر لك شيئا مما أنزلت علينا ، فأزلت بستانك المادلة ما أنزلت بنا ،

الهم انك تعلم أن مشار بلاثنا ، ومنشأ ضمتنا وشقاتنا ، لا يرجع الى الاجراء والزراع ، والى السوق والصناع ، ولا الى الصماليك والرعا ، اللهم إنك تعلم ان مثاره سادتنا المستبدون ، وكبرائونا المترفون ، « ٣٣ : ٦٧ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ٦٨ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِئْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا »)

الهم اننا اطلعنا مضطربين أو جاهلين ، لا مختارين ولا متعمدين ، وقد
أيقظنا بلاؤك من رقدتنا ، ونهتئنا ستك من سبتنا ، فألشأنا ته كرفي إظمة
ما ازلت من البنات والهدى ، والشكر لك على ما آتيت من المواهب
والقوى ، بإرشاد المقلدين ، وإرجاع المستبدين . ٦٠ : ٤ ربنا طيك توكلنا
واليك ابننا واليك المصير . ربنا لا تهملنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا
ربنا انك أنت العزيز الحكيم » (١٧ : ٨٠) وقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقِيْ
وَاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا)

منشئ النار ومحروده

السيد محمد رشيد رضا الحسيني

الدعوة الى قد النار

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في الدين حافظتان لجميع
الفرائض ، ومرغبتان في جميع الفضائل ، وتركهما معصيتان كبيرتان ، مهلكتان
للفسوق والعصيان ، فالنار يدعو كل من ينظر فيه ، الى انتقاد ما يرون أنه يفتقد
عليه ، ويمد المنتقدين بأنه ينشر ما يرسلونه اليه ، اذا كان مقروناً بالدليل
والبرهان ، ولا يبرهان في الدين الا السنة المتبعة والقرآن ، ومن يقبّل الفية
بالنصيحة ، وينصرف عن الهداية الى الفواية ، فيخوض فيها نكتبه مع الخائضين ،
ويرغم انه مخالف لمهدي الدين ، فهو الذي خالف كتاب الله فترك ما أمره به
وفعل ما نهاه عنه ، فانه فرض النصيحة ، وحرم الفية والوقية ،

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك على أهل القطرين مصر والسودان ستمين قرشاً
صحيحاً وعلى عمال البر يد منهم ثلاثين قرشاً وأبقيناها في سائر الأقطار كما كانت

مبحث في اللائحة الثالثة (*)

﴿ من لوائح اصلاح التعليم والترية الدينية للاستاذ الامام ﴾
 يظهر انه كتبها لاجل ايقاع أولي الامر في مصر بالقاية بالترية الدينية بعد
 عودته من سوريا وغزو الامير عنه وقد وجدت مسودتها بخطه بالعنوان الذي تراها
 مفتحة به . وجامع الكتاب وضع سائر المنونات قال رحمه الله تعالى

﴿ هذا بمجل أفكار فيما يجب الالتفات اليه من نظام الترية بمصر ﴾
 « ويمكن تفصيله عند ارادة العمل به »

اذا كان الناس في حاجة الى صلاح الحاكم فما حاجة الحاكم الى صلاحهم
 بأخف من حاجتهم الى صلاحه فان السلطة سلطان جيدة وردية فالجيدة ما كانت على
 المحكومين للمحكومين والردية ما أخذ بها المحكومون لغاية الحاكم وقضاء غرضه الثابت
 اما الأولي فان منزلتها من المحكومين منزلة الروح من الجسد لها التدبير وعلى
 أعضاء الجسد وظائف العمل وغاية التدبير والعمل حفظ حياة الكائن الحي وهو
 مجموع الروح والبدن فكل يستفيد من الآخر ما به بقاءه ونماؤه . وكما تحتاج
 الآلات البدنية الى سلامة الروح من العلل النفسية كالجنون والجنون والجهل ونحو
 ذلك تحتاج الروح الى سلامة الآلات البدنية من الآفات التي تعطلها عن الحركة
 كالشلل والحذر والتشنج وما شابه ذلك وما ذا يمكن للروح السليمة أن تأتيه في
 بدن تعطلت آلاته وفسدت اعضاؤه

وأما السلطة الثانية فنزلتها منهم منزلة الصانع من آله فصاحب السلطة
 صانع والمحكوم آله في الصنع فهو كاتب مثلاً والمحكومون قلمه أو هو حارث والمحكوم
 محراثه وكما أن الآلة لا تصل الا بالعامل ولا يظهر أثرها الا في يده كذلك العامل
 لا يمكن له العمل الا بآله . وكما يجب أن تكون اليد العاملة قادرة على ادارة
 الآلة يجب أن تكون الآلة وأجزاؤها صالحة للعمل فان فقد أحد الامرين امتنع
 العمل أو قصت ثمرته — فكل من السلطين في حاجة الى صلاح المحكوم فكما

(٥) منقولة من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

يطلب المحكوم في كل حال أن يكون حاكمه صالحاً لأن يحكمه كذلك يطلب صاحب السلطة في أي منزلة كان أن يكون المحكوم بحيث ينقاد الى كل ما يحكم به وعلى الصفات التي تنساق به الى الغاية التي يذهب اليها حاكمه

أما ما توسع في خيال بعض الشرقيين ومن اغتر بمحالمهم ممن خالطهم من الأوروبيين من أن صاحب السلطة قوته علوية والمحكوم طبيعته سفلية ولا نسبة بينهما إلا أن الأول قهر والثاني مقهور وأن الثاني في حاجة الى صلاح الأول ليكون به رؤفاً رحياً وأن الأول لا حاجة به الى صلاح الثاني لأنه مقهور له على كل حال فذلك منشؤه الغرور والجهل بطبيعة الجماعات الإنسانية ونظامها الفطري . ولذلك نرى أرباب هذا الاعتقاد من ذوي السلطة لا تدوم لهم دولة ولا يثبت لهم سلطان لتخبطهم في سيرهم بجهلهم منزلتهم من محكوميتهم ونصرتهم فيهم على خلاف ما يجب أن يصرفهم فيه وتغافلهم عن استطلاع طباعهم بما يؤهلهم للعمل على ما يريدون منهم يقال إن الرعية في كثير من البلاد آلة للحاكم في بلوغ مقاصده في دولته .

فقد يكون ذلك حقاً لكنها آلة ذات شعور وإرادة وماله شعور وإرادة فجميع أعماله إنما تكون عن شعوره وإرادته فتصلح الأعمال بصلاح الشعور والارادة وتفسد بفسادها فلا يمكن أن تكون تلك الآلة الصالحة للعمل الا اذا كان الشعور والارادة صالحين له ، وصالحهما بأن يكون الشعور وجدانياً للفرق بين النافع والضار وبين النظام والاحتلال ليكون ما يقرره الحاكم من القوانين وأصول الادارة معروفاً عند اغلب الرعية وأن تكون الارادة صادرة عن هذا الوجدان حتى يكون النظام منها في مكانة الاحترام . فاذا كان الشعور مخنلاً والارادة فاسدة كانت الاحلام طائشة والاهواء منمكة ومداخل السوء كثيرة فويل لذي السلطة من تلك الرعية وبهد عليه أن يستقر اسطانه فيها قرار وكل ما يتخيله اصلاً حاكم لهم أوله فيودعه في أصول حكومته فهو كالنقش على الماء أو الرسم في الهواء

طبيعة مصر والمصريين

أرض مصر ضيقة عن حاجة أهلها فساحة الصالح منها للسكنى لا تزيد عن حاجة السالكين وزيادة يسهة وهي محاطة من اطرافها بالصحاري الجردية والمياه

المالحة وليس فيها من الثغابات ما يؤذى به الوحشي من الحيوان فضلا عن الانسان ولذلك نرى كثيرا من انواع الوحوش التي كنا نراها كثيرة في البلاد من نحو أربعين سنة كالضباع والثعالب والخنزير قد كادت تنقرض باصلاح الاراضي الزراعية وانتشار الانسان في اطرافها وتهددها بالزرع والعمارة وأهل مصر لا يعرفون معنى المهاجرة من دار الى دار ولا يمكن أن يتصوروا ذلك ما دام في ارضهم نبات ينبت فاذا أعلت ارضهم فضلوا الموت فيها على المهاجرة منها وتاريخ الماضي وشاهد الحال يطقان بذلك . ولذلك كان أهل مصر سكان ارضهم من آلاف من السنين وكل قادم اليهم امتزج بهم وغلبت عليه عوائدهم وأطوارهم واتسبب نسبهم فصار مصرياً وأحرز جميع خواص المصريين ونسي أصله وغاب عن أعقابه منشأه . ثم ان طباعهم صرنت على الاحتمال وألفت مقاومة القهر بالصبر فلو أن سيف المتقلب كان اعدى من سيف المالك وجوره أشد من جور اسماعيل باشا لما أمكنه أن ينقص من عددهم مقدارا يذكر ، ولا ان يزيهم عن مواقعهم مساقاة تعتبر ، وهذا كان المتقلبون يقنون فيهم وهم باقون

أهل مصر قوم سريمو التقليد اذ كياء الازدهان أقوى الاستعداد للمدينة بأصل الفطرة فما يسر أن تفعل الحوادث فيهم فتنبههم الى الاخذ بما يحفظ عليهم حياتهم في ديارهم من أي الوجوه فلا يسيرون من حاجة فأهل مصر على ذلك هم رعية حاكمهم ولا يمكن لحاكمهم ان يستبدل بهم رعية اخرى في بلادهم لحاكمهم اذا كان رأسا فهم بدنه واذا كان عاملا فهم آتة فلا بد من استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمنا مديدا ترمي اليه أنظار الدول السامية المقام في المدينة

أهل مصر في موقع عرف كل الناس منزلته من الارض وهو عمر أهل المشرق الى المغرب وأهل المغرب الى المشرق وهو في حلق أوربا تتلاقى فيه سيارة الامم قلما توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد

الامم العظيمة الأوربية يحدد بعضها بعضا على التمكن في أرض مصر والفوز بإحراز النافع السياسية أو المالية فيها فالروماوس والدسائس لا تنقطع فتناتها من

أولئك الأحزاب يشوبها بين المصريين لبوغروا صدورهم على من علت كلمته فيهم .
وأعظم فاعل في نفوسهم (وأغلبهم مسلمون) أن يقال إن صاحب هذه المنفعة ليس من
دينكم وانكم مأمورون بيفضه وانتهاز القرض لكشف سلطانه متى أمكنت

أهل مصر شديدو الانفعال بما يلقي اليهم كثيرو التذكار لما ينطبق على أهوائهم
فلكل كلمة من هذا القبيل مكان من نفوسهم ولكن ربما لا يظهر أثر ذلك لاحتجاب
بهباب العجز أحيانا ، غير أن طباع المصريين كالكرة المرنّة تتأثر بالضغط فينخفض
بعض سطوحها قليلا من الزمن ثم لا يلبث أن يعود الى حاله فأنه يعلم متى يظهر أثر تلك
الانفعالات التي يمكن أن تتأثر بها نفوسهم بما يلقي اليهم

يقال أن أهل مصر ضغائن ولكن قد أظهر التاريخ أنه متى وجد القائد كانوا
أشد على الخصم من أشجع الأُمم وأثبتهم قدما في المواطن ولا يعلم متى يوجد
القائد ومن أي جنس يكون إذا تركت أهواؤهم بغير تهذيب تجري حيث تجد
سيلا للاندفاع ثم لا يقدرّون النظام قدره مها كان بالغاً من الصلاح ولا يبالون
به بل يعتقدون أن كل نظام حبر على ورق فلا يستطيع حاكمهم أن يثبت سلطته
عليهم على أمر مكين بل هم دائما في التواء عليه بالتحالفة متى أمكنت الفرصة الا اذا
أخذوا بترية صحيحة فهناك تنضبط أحوالهم وينشأ النظام احترامه في قلوبهم ويتهدي
صاحب السلطة الى طرق نصر فيهم

احترام أمر النظام والتأثر بالوساوس اذا لم يكن مبشها الحق ينشأ عند المصريين
من أمرين الأول بعد جمهورهم عن المعركة بوجوه المصالح والثاني حرمانهم من
الفرية التي تطلع في نفوس أغلبهم الاستقامة والتوادة والتبصر في العواقب ومراجع
الأميرين الى سوء العقيدة وظن ما ليس بواجب واجبا وظن الواجب غير واجب
فدامت هذه حالهم فهم رعية غير صالحة فلا يصلحون بدنا لأمر ولا آلة لما مل لاختلال
المدارك وفساد الارادات

أهل مصر لم يأتهم التاريخ القديم بذي سلطة يفهم هذا السر وتنفذ بصيرته
الى هذه الحقيقة فلذا لم تثبت فيهم دولة لتقيل زمنا يعد به بكل اصلاح نظامي
نشأ فيهم كان كالبناء على الهواء فالسلطة التي نسي في أن تعظم رعية صالحة

تكون قد فتحت في نفوسهم فتحة جديدة وظهرت بينيتها منهم ظفرا مينا وأمنت كل غائلة تخشى من دسائس الأعداء ووساوسهم
 أهل مصر قوم أذكاء كما قلنا يطلب عليهم ابن الطباع واشتداد القابلية لتأثر ولكنهم حفظوا القاعدة الطيمنية وهي أن البذرة لا تنبت في أرض الا اذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ويتغذى بها واما والا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ولا على البذرة وضعفها وانما العيب على الباذر
 أنفوس المصريين أشربت الاتقياد الى الدين حتى صار طبعا فيها فكل من طلب اصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للثمرة التي أودعها فيها فلا ينبت ويضع تبعه ويفتح سعيه وأكبر شاهد على ذلك ما شهد من أثر التولية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي الى اليوم فان المسخوفين بها لم يزدادوا الا فسادا - وان قيل ان لهم شيئا من المعلومات - فإلم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم
 لا تكلم عن اصلاح لدين غير الاسلام في مصر فان غير المسلمين فيها العدد القليل والجمهور الاغلب من المسلمين

الدين الاسلامي الحقيقي ليس عدو الالفة ، ولا حرب المحبة ، ولا يجرم المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم في المصلحة ، وان اختلف عنهم في الدين ، وفي آدابه كفاية لتعريف الآخذ به بوجود المصالح ، وارشاده الى مظان الفوائد والبصر بالعواقب ، وتقويمه فضائل الاخلاق ، وبالجملة فهو أفضل كافل للجمال الرعية صالحة لان تكون بدنا لرأس أو آلة لعاقل . وقد أرشدتنا التجربة الى أن كل عارف بحقيقة الدين الاسلامي كان أوسع نظرا في الأمور وأظهر قلبا من التعصب الجاهلي وأقرب الى الالفة مع أبناء الملل المختلفة وأسبق الناس الى ترقية المعاملة بين البشر وانما يبعد المسلم عن غيره جهله بحقيقة دينه وهذه آيات القرآن شاهدة على ما نقوله اللهم لمن يفهمها كما جاءت ويعرف معناها كما وردت .

ان القرآن وهو منبع الدين يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظن التأمل فيه أنهم منهم لا يختلفون عنهم الا في بعض أحكام قليلة ولكن عرض على

الدين زوائد أدخلها عليه أعداؤه اللابسون ثياب أحيائه فأفسدوا قلوب أهاليه ولا قلوب أقرب إلى الإصلاح من قلوب أهل مصر

أهل مصر مضى عليهم الزمن الطويل والقرون العديدة ولم يروا مسيما يأخذهم بدينهم فحرموا خيره ولم يبق عندهم إلا ما فيه المضرة لهم ولم يهرم تحت اسم الدين وليس بدين - على أنه ليس فيهم من ينكر أن القرآن كلام الله وأنه ينبوع الدين ولكن ليس لهم من معاهد التربية الا جهتان المدارس الأميرية ومدرسة الأزهر الدينية وليس في الجهتين ما يهديهم لما يحملهم رغبة سالحة وهم الآن على غاية الاستعداد لقبول ما يصلحهم

من يتوجه من ذوي السلطان إلى ذلك لا يجد أقل مقاومة من العامة ولا أغلب الخاصة وفي مصر فرصة لا توجد في غيرها لمن أراد ذلك فإن بلادا غير مصر يوقف فيها مثل هذا الأمر على همة أهل الدين وسلامة أفكارهم ونشاطهم فتفتح المدارس الدينية على الطرق المناسبة لحالة البلاد . أما مصر فلها مدارس أميرية يمكن أن يسلك فيها أي مسلك يختار للتربية وليس عليها رقيب سوى أهل السلطة السياسية لا غير فلهم أن يأخذوا من الدين أصوله ويفرضوها في المدارس ويحملوا نفوس طلاب العلم عليها ولا يتعرضون لما زاد عنها بالنفي ولا بالاثبات ويندبون لتدريس ذلك ذوي قدرة على صرف الأذهان عما وقر فيها وتطهيرها مما علق بها من الزوائد الضارة ولا يجدون معارضا لهم من أهل الدين لأنهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشرة وما دامت الأصول محفوظة فأنظارهم عن غيرها منصرفه وأكبر دليل على ما نقول سكوت أهل الدين عن نوع التربية المعروفة في المدارس على ما فيه من مباينة الدين والانتهاء إلى خطئه بالمرّة

﴿ المدارس الأميرية ﴾

المدارس الأميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة . هذه المدارس أنشأها محمد علي باشا بإشارة بعض الفرنسيين لتعليم بعض أولاد الأرئوط والأتراك والمردية ليكون منهم رجال عندهم إلمام ببعض الفنون المحتاج إليها في نظام الحكومة التي أسسها وأهم تلك الفنون الهندسة والطب والترجمة اما

غيرها من العلوم فما كان الا وسيلة اليها ثم لم يشترط في العلم بها أن يكون تاما .
 أما التربية على أخلاق سليمة فلم تخطر له ولا لمن تولى ادارة هذه المدارس على
 بال ثم لما لم يكن في أبناء تلك الأجناس وفاء لمطلبه في الوظائف ادخل في تلك
 المدارس بعض المصريين جبورا وما كان يدخل مجبورا الا الذين لا قوة لهم من
 الفقراء وكان دخول المدارس أشبه بدخول العسكرية في ثقله على المصريين
 ثم جاء خلف محمد علي من عباس وسعيد فأهلوا النظر في المدارس بالمرّة
 حتى جاء اسماعيل فوسم فطاقها وزاد فيها من المعارف ماله دخل في الادارة
 والقضاء وله تعلق بثنتيف العقول في ظاهر الامر . غير ان جميع ما أتاه من
 ذلك كان صوريا ليقال ان له في حكومته مثل مالا ورعا في حكوماتها ولم يكن
 القصد منه تربية العقول ولا تهذيب النفوس ولا تحصيل رجال يصلحون لتولي
 أعمال الحكومة

وفي زمن اسماعيل باشا كثرت رغبة الناس في المدارس ولكن من الاعيان
 الذين يطلبون لا ولا دم مساند في الحكومة محتاج في الوصول اليها الى بعض الفنون
 ومن الفقراء الذين لا يجدون ما يقتات به أبناءهم فيرسلونهم الى المدارس ليستريحوا
 من نفقتهم ولم يكن القصد من جميع تلك الاحوال الا أن يتعلم التلميذ ما يؤهله
 للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة ، أو بمباراة أخرى ليكون في يده شهادة تبيح له
 أن يشغل كرسيًا من كراسي أقاليم الدواوين . اما تكوينه بالتعليم والتربية
 رجلا صالحا في نفسه يحسن القيام بالعمل الذي يفوض اليه في الحكومة أو في غيره
 فذلك لم يخالط عقول المعلمين ولا من ولاهم أمر التعليم فسرى ذلك من السابقين
 الى اللاحقين حتى اليوم

ولو كشفنا عن أذهان التلامذة لم نجد فيها غاية لتعلمهم سوى أن يعيشوا كما
 عاش غيرهم على أي صفات كانوا ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من
 المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه في الكتب المقررة للتلامذة ويطالبونهم
 بحفظه وفهم عبارته ان كان ليعيدوا يوم الامتحان تلاوة ما ألقى اليهم حتى نتم
 مدتهم في المدرسة ولا يسألونهم مرة واحدة عن مجال أفكارهم هل هو في صالح

أوفاد ، ولا مطامح أنظارهم هل الى نافع أو ضار ، وذلك رسم يؤديه المطون
ليأخذوا من نباتهم الشهيرة لا غير ولهذا لا يكون تلامذتها في آخر الأمر الا صناعا
أوناطقين بعض الألسنة ولا ثقة في الأغلب بشئ من عقولهم ولا أخلاقهم الا
من كانت له فطرة سليمة وله موهبة طليعية فأولئك تؤدبهم الأيام ومنهذههم
التجارب وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف ولا تزال . فان استمر السير
على الطريقة المعروفة الآن كانت النتيجة دائما كما بيناه فلا يؤول ذلك بالمصريين
الى أن يكونوا رعية صالحة لان تكون بدنا لرأس أو آلة لصانع

المدارس الأجنبية

وأما المدارس الأجنبية على تنوعها فاختلاف المذاهب بين المعلمين والمتعلمين
في الاغلب يضيف أثر تلك المدارس من التربية الممومة قليل من المصريين
من يرغب في تعليم أولاده فيها ومن أرسل ولده اليها داوم نصيحته بعدم الالتفات
الى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لاعتقاده ثم ذلك يحدث من الاضطراب في طبيعة
الفكر والترزلق في الاخلاق ما يكون ضرره أكثر من نفعه . وقد غلط من زعم
ان تلك المدارس الأجنبية أراً سياسياً أو أدبياً في مصر بل قد أحدثت بعض
النفرة في قلوب المسلمين من رؤساء تلك المدارس وأعمهم ولذلك تاربع في البلاد
معروف فهي ضارة بالأمة ، مبعدة للمحبة ، رغماً عما يرمعه أربابها ما يخالف ذلك
فلا يصح الاكتفاء بها في التربية عن المدارس الأهلية على اختلافها .

الجامع الأزهر

الجامع الأزهر مدرسة دينية عامة يأتي اليها الناس إما رغبة في تعليم علوم
الدين رجاء ثواب الآخرة وأما طمعاً في بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه ولا
يزال بعضها الى اليوم ولكن ما يؤسف عليه أنه لا نظام لها في دروسها ولا يستل
فيها التلميذ أيام الطلب عن شيء من أعماله ولا يبالي أستاذة حضر عنده في
الدرس أم غاب ، فهم أم لم يفهم ، صلحت أخلاقه أم فسدت ، ويمر عليه الزمان
الطويل لا يسمع فيه نصيحة من أستاذة تعود عليه بالإصلاح في دنياه أو دينه وأما

يسمع منه ما يملأ القلب بنصاً لكل من لم يكن على شاكلته في الاعتقاد حتى من
 بني ملته ويطلق على الذين غفلت ويسفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع إذا كان
 موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلي فأغلب الاوقات تمر على أهل الجند منهم في قسم
 مباحثات لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ولا يتعلمون من الدين الا بعض المسائل
 الفقهية وطرفاً من العقائد على نهج يمدد عن حقيقة أكثر مما يقرب منها . وجل
 معلوماتهم تلك الزوائد التي عرضت على الدين ويخشى ضررها ولا يسعى فيها
 ثم ان المعروفين بالعلماء وهم الذين يتمون دروسهم في هذه المدرسة ويؤذن
 لهم بالتدريس فيها هم قذوة الناس وأئمتهم مع أنهم أقرب للتأثر بالأوهام والاعتقادات
 الى الوباس من العامة وأسرع الى مشابعتها منهم وذلك بما ينشأون عليه من التعليم
 الردي والتربية المختلفة التي لا ترجع الى أصل صحيح فبقاؤهم فيهم عليه اليوم مما
 يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها .

إصلاح مدرسة الأزهر لا بد ان يكون بالتدريج في تغيير نظام الدروس وجعلها
 في الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها بحيث يقر فيها ان
 كل من أدرج اسمه في جدول الطلبة يلزم بالحضور في الدروس والأحرص الامتناع
 وكل استاذ يستل عن طلبته ثم يجعل ما ينالونه من المنافع العلمية منوطاً بأنهم
 لا بالكتب وتغيير بروغرام الدروس ويؤاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل
 فيه تدريس الآداب الدينية المقنونة الآن بالكلية ويكلف الاستاذ تشييد
 أخلاق تلميذه لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الامكان ويجعل شيخ الجامع
 وقياً على الاساندة والتلامذة في ذلك ثم يعدل نظام الامتحان النهائي وشروطه
 وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا تستلقت الأذهان الى شيء خلاف المصلحة
 وتفصيلها يكون في لائحة مخصوصة .

ولا بأس ان يجعل نظام هذه المدرسة مرتبطاً بالمعارف العمومية أو بإدارة
 الأوقاف على قواعد تفصل في اللائحة المختصة به وقد يظن بعض من لم يفكر في
 حالة البلاد ومزاجها الأدبية والدينية ان إصلاح الأزهر لا يمكن لأنه يرتب على
 هذه الشروع فيه تشويش أذهان العلماء والعامة على أمورهم فها نحن نأخذ لا يؤيده

دليل ولم تقص به تجربة الا ما كان من بعض الرؤساء عن مدة نحو عشرين سنة عند ما أراد ادخال بعض العلوم الصناعية فيه فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء فيفس من الاصلاح وترك الأمر الى اليوم فقد كان ذلك قبل ان تنقلب الحوادث على مصر ولم يكن بالتدريج اللائق اما الآن فقد تغيرت الأحوال وأصبح الاصلاح فيه أهون منه في جميع المصالح وكل رئيس للنظر يمكنه أن يأتي هذا الاصلاح بمجرد التوجه اليه وما يجر عنه من ذلك فصاحب هذا الفكر هو الكفيل بتنفيذه اذا فوض ذلك اليه على أن العناية في ذلك لا يطول اذا صلحت المدارس الأميرية فإن الناس لا يختارون الأزهر الا لسوء نظرتهم بالمدارس وأولئك هم أن الأزهر أحفظ للدين منها فإذا حصل الاصلاح فيها وجدوا أدنى الى المنفعة منه فعند ذلك تنفرد بكونها معاهد التعليم ويصبح الناس كلهم في طريق واحدة

الكتائب الالهية

المدارس الأميرية تتعلق النظر فيها بنظارة المعارف ولا يتم لها احسان النظر من وجه التربية الا بتوجيه العناية أولاً الى الكتائب الصغيرة المنشورة في القرى والمدن فإنها هي الكتائب المنتظمة التابعة للمعارف والمدارس الأميرية وللأزهر فإن كان الغذاء فاسداً كان المزاج المتفدي أشد فساداً . وقد خطر ببال أحد نظار المعارف أن ينظر فيها ولكن من الوجه التعليمي واصلاح الامكنة بحيث تكون أوفق للصحة لا من الوجه التهذيبي وإذاني هو أهم مطلوب دون الأول فأنما ينظر اليه من حيث هو وسيلة للتأني . فالمعلمون في تلك الكتائب يسمون الفقهاء وهم لا يعرفون شيئاً سوى حفظ القرآن لفظاً بغير معنى . وإذا كان في أذهانهم شيء باسم الدين فما هو الا الزائد الضار دون الاصل النافع وقد عرفوا بأنهم أفسد حالاً من العامة . على ان الكتائب يرد عليها أبناء الاهالي جميعاً الا القليل ثم يرجع الغالب الى ما كان عليه آباؤهم فهي منابت للعامة ولكنها لا تنبت الآن الا جهلاً

ولا يمكن اصلاح تلك الكتائب الا باصلاحهم (أي الفقهاء) واصلاحهم سرّة واحدة أو إبدالهم بغير منهم مقصر ولكن اذا وجهت العناية اليهم أمكن

اصلاحهم واصلاح طرق تعليمهم بالتدرج في بضع سنين ثم ان ذلك الاصلاح يستدعي عملاً يتعلق بمعضه بالمعارف وبمعضه بالأوقاف من حيث ان أولئك المعلمين خطباء المساجد في الأغلب فلا بد أن ينظر في انتخابهم من المستعدين لفهم وقبول الاصلاح بقدر الامكان وهو يقتضي سعيًا حثيثًا وتدقيقًا شديدًا وسيرًا في أرض مصر أجمعها ونظرًا في كل قرية من قرأها وهو ليس بمسير على الشخص الواحد فضلًا عن أشخاص كثيرين متى وجهت العناية بذلك

ثم يلزم لذلك تقرير بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مصري مما يزداد على تعليمه القرآن في تلك المكاتب حتى اذا خرج التلميذ من الكتاب كان شاعرًا بأنه في أي جمعية يحكومة بأي طريقة فاذا دخل المدرسة أو الأزهر كان نما معلوماته على ذلك الأساس وذلك يستدعي تقرير بعض الكتب الصغيرة وتعيين ما يدرج فيها على نمط سهل يفهمه الصغير والكبير بأن تبين لهم فيه نسبتهم الى الأمور والمدير والناظر والمهندس والطبيب والعالم والى المقام الحديوي وغير ذلك وتحدد الطريقة التي يتعلم بها الفقهاء هذه الأمور القرية من الازهان والمكان الذي يتعلمون فيه والوقت الذي يخصص لذلك والمعلم الذي يعلمه ثم تقرير العلاقة بين أولئك الفقهاء وبين ادارة الاوقاف ونظارة المعارف

المكاتب الرسمية الابتدائية

تلاميذ هذه المكاتب لا يزالون الى الآن من الأطفال الذين يقصد كفلاؤهم بتعليمهم التوصل بهم الى خدمة الحكومة سواء نالوا ما قصدوا أم لا الا أنهم في الغالب لا يستطيعون أن يذهبوا بهم الى نهاية التعليم الممدد لذلك فيرجع الولد الى أبيه أو من يقوم مقامه بعد نهاية المكتب عارفاً ببعض مبادئ العلوم التي لا يجيد لها موضعاً تستعمل فيه فلا يلبث أن ينساها فيضيع الزمن الذي شغله بالتحصيل بلا فائدة ثم انه يعود بأخلاق أشد فساداً من أخلاق الذين بقوا على الفطرة لم يمسهم التعليم ويحسد في نفسه نفرة وعجزاً عن العمل فيما كان يعمل والده وأهله من قبله فيقضي عمره في البطالة أو ما يقرب منها فتزداد أخلاقه فساداً وأفكاره اخلالاً ويقف نفسه على عبادة الأوهام وخدمة الدسائس التي تنبئ الى طلب

ما يضر الحالة التي عليها الناس طمعا في تغيير حالة نفسه بلا تعقل فيكون زيادة في أمراض البلاد بدل أن يكون عضوا نافعا لها

فأول ما يجب لاصلاح هذه المكاتب ووضعها على أساس يفيد العامة ان يراعى في البروجرام إدخال مبادئ العلوم من وجهها العملي الذي ينطبق على المعاملات التجارية في البلاد فقواعد الحساب مثلا تؤخذ من وجهها العملي مطبقة على المعروف في المعاملات التجارية وحساب الصيارفة الاميريين وغيرهم فيقتطعون طريقة وضع المدفوع من الاموال في الاوراق والدفاتر وطرق التحصيل لاموال الحكومة ونحو ذلك ويدخل فيها فن الاوزان والمكاييل وان كانت مبادئ هندسية فليدخل فيها شيء من المساحة على الطريقة المعروفة في البلاد أو على أفضل منها وما يؤخذ من قواعد العربية يكون مصحوبا بالعمل في المكاتب العادية والشارطات المتداولة بين الاهالي حتى اذا انفصل التلميذ من المكتب يكون عنده ما يحتاج اليه شخصه أو عائلته وأقاربه وأهل بلده فلا ينقطع عن العمل به لكثرة ما يرد عليه منه ثم يضم الى ذلك تعويده على بعض الاعمال الزراعية أو الصناعية في اوقات الرياضة أو يخصص لذلك يوم في الاسبوع ليعلم كفلاء التلامذة ان التعليم غاية سوى خدمة الحكومة وأنهم اذا لم ينالوا الخدمة فإن لهم شأنًا سوى البطالة والتفرغ للاوهام الرديئة ثم يضاف الى البروجرام مبادئ العقائد الدينية على الاصل الصالح وأصول الآداب الدينية على ما يجمع الالفه ويعرف وجه المصلحة في المعاملة والمخالطة وشيء من تاريخ البلاد وما كانت تعانيه في سابق زمنها وما صارت اليه من الراحة في هذه الاوقات وشيء من القواعد العامة للنظام الذي هم فيه ليعلم التلميذ انه من أي جنس وفي أي شكل من أشكال الحكومة فيتعلم الخضوع والالتزام لكل مستند فيها يصدر منه ثم يكون أم العناية بحمل التلامذة على العمل بما يعلمونه من الآداب وتثديده المراقبة عليهم في ذلك وتوضيح لهذا لافهة مخصوصة يحدد فيها البروجرام اللازم للمكاتب الابتدائية وطريق التعليم ويبين فيها السلك الذي يتخذه المربي المفوض اليه مراقبة أخلاق التلامذة وملاحظة أعمالهم فاذا أتم التلميذ مدة المكتب الابتدائي ولم يتيسر له أن ينتهي الى غاية التعليم رجع اليه بشيء نافع ونبت فيه

الأخلاق الصالحة والأفكار الحسنة وانطبع قلبه على الخير والسلامة وكانت له بصيرة في وجوه المعاملة مع من يشترك معهم في المصلحة ونبت في قلبه احترام النظام الذي يضبط مصلحته ومصلحة بني وطنه ونشأ على محبة العمل والرغبة فيه فلا يكون إلى فؤاده سبيل للوماس ولا منفذ للدسائس

المدارس التجهيزية والمدارس العالية

لأنكم في بروجرامات دروس النون التي تقرأ فيها لأن النظر في ذلك يتعلق بالفرض الذي جعلته الحكومة غاية لإقامة تلك المدارس وأنما كلامي فيها منحصراً فيما يتعلق بالثريّة وتهذيب الفكر وغرس مبدأ الإصلاح في نفوس التلامذة ليحسنوا في استعمال ما تعلموا

قلنا فيما سبق أن الثريّة مفقودة في تلك المدارس لا ينظر ببال أحد أن يضي بها عناية حقيقية وأنما الموجود فيها صور ورسوم تفر التناظر فيها وهي بمنزل عن الحقيقة فالذي يجب للأساس الثريّة فيها تعليم العقائد الدينية على الأصل الصحيح - تعليم الآداب الدينية على الطريق الصالحة - إلزام التلامذة في تصرفهم بموافقة ما تعلموا كل ذلك على نمط أرق مما كان في المكاتب الابتدائية - تعليمهم الإجادة في الكتابة كل في فنه الذي يريد الوصول إلى غاية التعليم فيه - تعليمهم أصول النظام العام ثم زيادة التوسع لكل فيما يتعلق به من النظام فالقانونيون يتوسع لهم في أصول النظام المتعلق بالقضاء والإدارة وهو شيء غير نفس القانون والمهندسون في أصول النظام المتعلق بالري وتدير النيل وهو شيء غير الهندسة - وعلى هذا القياس

والرربي في كل ذلك يودع في أفكارهم أن القيام بهذه الأعمال مما يطلب به الدين وأن فوائدها ليست قاصرة على خدمة الحكومة بل هي من لوازم الحياة الطبيعية ويورد الأدلة على ذلك وهي كثيرة لا تمدحني إذا بلغ التلميذ نهاية التعليم أمكنت الثقة به وأئتمن على عمل يفوض إليه وكانت الأ نفس مطمئنة من جهة عمله أن النظام علاقة بحياته الروحية كما له علاقة بحياته الجسدية فإن لم يكن له نصيب في خدمة الحكومة وجد سبيلاً آخر للعمل وهو في رضى عن النظام المحيط بأعمال وطنه فيكون بذلك عضواً صالحاً ويقوم بينه وبين الدسائس حجاب منيع

من الاستقامة الفكرية والخلفية حتى لو أن التلميذ بعد ذلك حمل الشطط في الفكر على خلع العقيدة الدينية بقيت فيه ملكات الأخلاق الفاضلة طيبة ثابتة لا تبدل بتبدل العقيدة.

﴿ العلوم والمربون ، ومدرسة دارالعلوم ﴾

وجود مثل هؤلاء المعلمين عسير كما يقوله كثير ممن له تعب في البلاد ولم يتفكر في حالتها ، ولم يدقق البحث في مصلحتها ، أما أنا فلا أرى في ذلك صعوبة بقدر ما يتصورونها كما أن كثيراً مثلي لا يرون ذلك

أما أولاً فلا ن بلاداً واسعة مثل مصر لانعدم افراداً منفردين في أبحاثها يعرفون من الدين حقيقته ، ولزمن ما يلزم له ، وإنما يجمعهم البحث والتنقيب . وكما ساحت ناظر المدرسة الزراعية ليختبر الأرض ويعرف الطرق المسلوكة في البلاد لخدمتها واستبانتها كذلك يجب أن يسبح مدير التربية في الاطراف ليعرف الصالحين لتوليا على أن المعروف منهم ليس دون الكفاية للابتداء في العمل فان لم يكن الموجود بالغاً الغاية في المقصود فلا أقل من أن يكون قريباً منها — وأما ثانياً فلا أنه يمكن تكوين جماعة كثيرة ممن يحتاج اليهم في القرض بطريقة هي مرسومة الآن ولكن لم يطبق العمل منها على الرسم الحقيقي على ان في الرسم قصصاً يجب تسميته وتلك الطريقة قد رسمت في المدرسة المسماة بدارالعلوم

دارالعلوم مدرسة ابتدئها سعادة علي باشا مبارك من نحو خمس عشرة سنة وشرط أن يكون تلامذتها من طلبة الأزهر وان يكونوا حصلوا من العلوم المقررة فيه مبلغاً يكاد يوفّر لهم للتدريس ثم جعل في دروس تلك المدرسة دروساً لجميع ما كانوا يقرأونه في الأزهر من العلوم الدينية ليتسموه على وجه أجلي وأنتفع وأضاف الى ذلك أطرافاً من الفنون الصناعية كالطبيعة والكيمياء والحساب والهندسة وشيئاً من الجغرافيا والتاريخ وقدر غاية الدراسة أن يكون التلميذ المتم لدروسه فيها صالحاً لأن يكون أستاذاً في العلوم العربية والدينية في المسكن والمدارس الرسمية ولكن جاءت على تلك المدرسة أدوار كثيرة أسقطتها عن مرتبتها التي كانت تبغى لها ثم لموضع فيها أساساً لتربية التي كان يجب أن تكون أهم شيء . يقصد من النظام

فيها ولهذا كان يخرج تلامذتها على ما يخرج عليه تلامذة غيرها من الأخلاق والافكار لا يمتازون عنهم الا قليلا وان كانت مع ذلك أنشأت أفرادا من أهل العلم والأدب هم الآن معروفون تشهد لهم حالهم بأنهم أفضل من جميع الناشئين في غير تلك المدرسة ولكنهم أقل عددا مما كان يتنظر

ثم من غريب التصرف أن هذه المدرسة مع أنه لم يكن الفرض منها الا تكوين أساندة قادرين على التربية عارفين بالعلوم الدينية والعربية حق المعرفة لا يقيمون عليها من النظار الا جاهلا بالدين واللغة العربية بل غير مقتد بالدين بالكلية كما فعلوا سابقا ويريدون أن يفعلوا في هذه الأيام ولا يعينون فيها من المعلمين للدروس الدينية الا من يقصد تعيشهم بمرتباتهم وفيهم من لا تجوز مصادرة التلامذة له فضلا عن أخذهم العلم عنه وفيهم من لا يحسن أداء ما كلف به وليس فيهم أهل لوظيفته الاشخصان فقط والكل لا عناية له بأسر التربية ولا يهجم فساد أخلاق التلامذة أو صلاحها ، ولا استقامة عقولهم وأفهامهم أو أوعوا حاجها ، وتعليمهم الدين على ما هو المعروف في الأزهر لا يفترون منه فاسدا ، ولا يزيدون عليه صالحا ، وسائر المعلمين للفنون يؤدونها نقلا من الكتب لا يبدون للتلامذة الغاية من تعلمها . وليس المصيب في ذلك راجعا اليهم ولكن الى من لم يضع أصلا لسيرهم في تعليمهم ولم يؤسس قاعدة ترجع اليها جميع الأعمال صادرة من المعلمين أو المتعلمين ولم يتم على تلك القاعدة خيرا بالبناء عليها ، عارفا بالغاية التي توجه المدرسة اليها ، حكما في تصرفه بأذهان التلامذة والأساندة حتى يقيم للتربية بناء معنويا حقيقيا يأوي اليه كل مسلم وتعلم يأتي من بعده

هذه المدرسة تصلح أن تكون ينبوعا للتهديب النفسي والفكري ، والديني والخلقي ، ويمكن أن ينتهي أمرها الى أن تحمل محل الأزهر وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر ولكن يلزم لذلك أمور

(الأول) إصلاح البروجرام وحذف بعض العلوم التي اشتمل بها التلامذة في الأزهر والاكتفاء بتعريضهم على العمل بها وتقدير ما يلزم من الفنون الباقية وزيادة بعض علوم ليست فيها الا الآن منها علوم الآداب الدينية وفن أصول

النظام مع تعلقه بالدين

(الثاني) تغيير طريقة تدريس تفسير القرآن وتعلم الاحاديث النبوية
(الثالث) اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل الى الغاية المطلوبة للمدرسة
(الرابع) تعيين ناظر للمدرسة قديماً قلبه وغفر فكره الميل الى المقصد الذي
وضعت له المدرسة عالماً بالدين ولفته موثقاً به عند العامة
(الخامس) إعطاء تلامذتها بعد نهاية التعلم حق التدريس في الأزهر
(السادس) توسيعها الى مايسع مئة تلميذ
(السابع) أن يزداد في منتهى مهارة بعد الدراسة للتمرين على التعليم في نفس المدرسة
(الثامن) وهو أهم مايجب - أن يكونوا تحت نظام شديد في التهذيب
وملازمة العمل بما يعلمون

(التاسع) أن تكون وظائف التدريس في المدارس والمكاتب منحصرة فيهم
(العاشر) أن تكون درجاتهم في الوظائف على حسب أدبهم واقتدارهم على التأديب
(الحادي عشر) أن يكون للموظف منها في مدرسة ماسطة تامة على تهذيب
التلامذة وترية نفوسهم وتقوم أخلاقهم وطباعهم وأرقام وظيفة في تلك المدرسة
يكون رئيساً لمن دونه
(الثاني عشر) أن يبقوا بلباسهم الذي هو لباس أهل الدين. مهما ترقوا
في الوظائف

ثم انه يلزم لهذا المشروع كتب ولف جديد اولوائح تنظم العمل على مقتضاها
وذلك كله يمكن بعد المزم على الاجراء

﴿ نققات الاصلاح ﴾

يمكن أن يظن أنه يلزم للاصلاح زيادة نققات ولكن اذا دبرت مصاريف
المعارف على الوجه اللائق فلا أظن أنه يحتاج الى زيادة على أنه لو احتج اليها لا يتل
احتمالها بعد اليقين بأن هذا الاصلاح يؤول الى تمكن السلطة وجعل الرعاية سالحة لأن
تكون هدناً لرأس أو آلة لعاقل وأظن أن بدل النققات في هذا السبيل - وهو سبيل
حياة السلطة وحياة الرعاية - أفضل منه في جميع السبل فان كانوا بصرفون آلا

من الجنيات على بعض المباني الخربة بدعوى أنه أحفظ للآثار القديمة فأولى أن يصرف بعض تلك المبالغ على حفظ الذين تبقى لأجلهم تلك الآثار فإن التربية هي الحصن الحقيقي للبلاد، الذي يصونها من جيش الفساد وهي آلة صاحب السلطة في الانتفاع بالمحكومين له ولا وسيلة للمحكومين سواها في ثمرتهم حدودهم التي يجب أن يقفوا عندها بالنسبة إلى مقام صاحب السلطة عليهم . وإنني أجد هذا الإصلاح في مدارس الحكومة يأتي فائدة أعم من الفوائد التي جاء بها مشروع السيد أحمد خان في الهند وهو أبعد من ذلك المشروع عن سوء الظن

شبهة من يعارض المشروع ومكائنه في نفسه

ربما يوجد أشخاص خصوصاً من الرؤساء يقولون أن هذه الطريق بييدة النهاية لا توصل إلى الفاية - كما قالوا ذلك من قبل - فنقول لهم أن الطريق التي سلكوها وسلكها أسلافهم من محمد علي إلى الآن قد جربت فلم تسد بخير على البلاد فليسلكوا الآن هذه الطريق على سبيل التجربة بعض سنوات فليس هناك ضرر ينتظر فإن لم تكن فائدة فلا خوف من المضرة

أن من يزعم السجراً يلجأ إليه لأنه لم يتصور ما يرد من الأمر عليه فإن كانت له أدلة فليوردها ولا نعدم لها من الحقيقة دافعاً فإن أبي الالمجز فر بما يوجد من لو وكل إليه الأمر قام به ولم يصجز عنه والتجربة مشرق الحقيقة أن شاء الله تعالى . على أنه يمكن أن أضمن كل ضرر يتصور في هذا المشروع وأكفل أن يكون له من النفع ما هو أوفر من الفائدة المطلوبة في السبر الحاضر

وإنني لأزال أكرر أن غاوس هذا الفرس يجني ثمرته الطيبة وأن فوائده ربما تقلت إلى اقطار أخر فادت بحجز بل الخير على من نماه وفي الزمن القريب يبدو صلاحه لصاحب السلطة والمحكومين له ويسهل له تقرير أمره فيمن صلحوا باصلاحه على قاعدة المحبة والالفة ، لا على طائشة الاخافة والرعبة ، ويكون بذلك قد كَوّن لنفسه شعباً جديداً يمينه في الشدة ، وينصره في الفتنة ، وبعضه في ساعة المحنة ، ويحمو من نفسه خيال الملقى بغيره ، وتزول من طريقه عقبات تعصب الجاهلية ، وحمية الخاكة الالاسية ثوب الحمية الدينية ، وفي ظني أن من عارض هذا المشروع فقد عادى

سلطته وعرض نفسه لغير الزمان وسياسته لنفوذ شياطين الفتن من مقاوميه وأهله ولي
الأمر ويده كل شيء يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اهـ

﴿ يقول جامع الكتاب ﴾

قللت هذه اللائحة عن مسودة للامام غير منقحة ولا معروضة للنشر كما سبق
الاشارة بل كتبت لأجل أن نترجم وهي مع ذلك آية في البلاغة وحسن العبارة .
ومن كان حديد الفهم بعيد الفوص في أسرار الكلام يعلم أنها لا مست سماء الأعجاز
أو كادت على عدم العناية فيها بزينة اللفظ وزخرف القول ، ذلك أنه لا يرى
لمقله مذهبا آخر أرجى من مذهب الامام فيها لا قناع السلطة في مثل هذه البلاد
بالترية الاسلامية التي كانت قصده في أمته مع الصدق في القول والاخلاص في
النية . واذا قارن هذه اللائحة باللائحتين قبلها نجلى له معنى « لكل مقام مقال »
فقرض إمامنا في الاصلاح الديني واحد ولكنه كان ينوئل اليه في كل بلاد
بأقرب الوسائل التي يرجى أن ترضى بها السلطة وهو ما يجعله موافقا لمصحتها وتلك
هي الحكمة البالغة والبلاغة السابقة

ناهيك بما تومئ اليه مقدمة هذه اللائحة من الرسوخ في علوم الممران
كطبايع الامم وأخلاقها ونظام التربية والتعليم والسياسة . فإليت الاستاذ
الامام فرغ للتأليف لم يشغله عنه الاصلاح المبلي ومحاولة تربية الأزهري واصلاح
الشورى والحاكم ، اذاً لكان لنا منه مصنفات تفعل سيفه النفوس بعد وفاته ،
أكثر مما كان يريد أن يملكه في حياته ، رحمه الله تعالى على نيته وحسناته

(المنار) هذا ما نبهنا به على مكانة اللائحة في جزء المنشآت من تاريخه
الذي نطبعه وقد طال هذا الجزء أكثر مما كنا نظن لانتنا وجدنا من آثاره ما لم
نكن نعتنا عليه عند الشروع في الطبع . أما جزء التأيين والمرائي فقد تم أو كاد ،
وسيشرع في جمعه قبل صدور هذا الجزء ان شاء الله

فَتَاوَا الْمُبْتَائِن

هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر موطنه وطريقته (وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء) واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالأول وما قدمناه من آخر السبب كعامة الناس الى بيان موضوعه وروايتنا غير مشتركة لكل هذا . ولينعني في سؤاله بغير ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صريح لاختلافه

﴿ تمثيل القصص - أو التياترو ﴾

(من ١) من الشيخ محمد نجيب التوتاري الاستاذ المدرس بالمدرسة الشمسية بروسيا

بسم الله تعالى

حضرة الاستاذ الملامة السيد الرشيد مولانا محمد رشيد رضا عليه الله وأدام فيضه أرجوكم حل هذه المسئلة الآتية ببيان حكمها الشرعي بيانا فلسفيا بسبكها في القالب المصري لكي يؤثر في الجمع ولا يرتاب أحد في حكمها لازم مرشد بين ومأجور بين - وهو أن النابذة المصرية يتنا انشوا في هذه الأيام تياترو ملياً ببلدة قران مثلاً فيه القصص الغرامية فحضرت المثلثات المسلمات فيما بينهم وقد أنكر ذلك العلماء وعدوه من الملاهي المحرمة ، ونحن وان لم ننكر فائدة التشيل من حيث كونه عبثة وعظلة ودرسا تاريخيا ملياً ولكن لا يمكننا أن تكابر في مضرائه المحسوسة من ابتذال النساء ورقصهن مع الرجال مما ينافي الآداب الاسلامية ، ويهيج الشهوات البهيمية ، وقد قرر العلماء ان المجموع الذي يتضمن المحذور يكون محذورا لا محالة وان درء المفاصد يقدم على جلب المصالح فتنا على ذلك أظن أنه يجب النهي والاقتهاء عن ذلك نعم ان سائر مجالسنا ربما لا تخلو من ضرراً أيضاً فان مجالس العلماء يتنا قلما تخلو من فضول الكلام بل من الشتم والنقبة والبهتان - تلك الامور المحرمة قطعاً ولكن اذا اعتادوها أصبحوا لا يرون فيها بأساً ويجري الامر من غير تكبر وعسى انها تصلح بصلاح العلماء ولو بعد أمد بعيد ان شاء الله تعالى وقد أورد الاستاذ الوجدي هذه المسئلة في دائرة المعارف وبسط القول في حكمها ولكني أحب أن أراها في صفحات المنار باظهر مجالسها والله الموفق

(ج) « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يلهي كثير من الناس » كما ورد في الحديث وهذه المشبهات هي التي يستل عنها ويستغنى فيها . وما جعل هذه المسئلة من قبيل المشبهات الا ما يهرون عنه بروح العصر وهو انفعال نفوس المتعلمين على الطريقة الجديدة ومن يقلدونهم بحمال مدنية أروبا وتوجهها الى تقليد الأروبيين في كل ما يسهل التقليد فيه وأي شيء أسهل من التقليد في الزينة والزخرف والهوى واللب ؟

نهى القرآن نهيًا صريحًا عن إبداء النساء زينتهن لغير بولتهن أو آبائهن وغيرهم من المحارم فهل يشبه بعد هذا في إبداء الزينة مع ما هو شر منها وهو الرقص مع الأجانب ومطارحتهم الغرام وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخذان تارة أخرى ؟ لا يحل للتردد في تحريم هذا العمل وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله بل وفي إقرارهم عليه والسكوت عن انكاره عليهم . ولا حاجة الى البحث في مفاسده فأنها بديهية . ولكن المتونين بالتقليد يستحبون ترك هذه الآداب الاسلامية والحكم بأن المحافظة عليها ضارة بالمسلمين لأنها تحرمهم من منافع تمثيل القصص التي هي أنفع منها . وينقسم هؤلاء الى قسمين (الاول) المارقون من الدين ، الذين يودون لو يمرق منه سائر المسلمين ، فحولاً بهزون بمن يخالفهم في كل ما يسمونه عدنا وإن كان مما يشكو منه عقلاء وفلاسفة أئمتهم الأوربيين ، فهم كما قال الشاعر

عبي القلوب عموا عن كل فائدة لا بهم ~~كفروا~~ بالله تقليدا

وقد كثرت عددهم في الترك وهم يكتفون في مصر ولا يمكن اقتناع هؤلاء بشيء من طريق الدين فالحلال والحرام عندهم سيات وانما يمكن اقتناع أذكياهم الذين يقدرون جنسية الدين قدرها بأن كذا ضار بالأمة أو نافع لها في سياستها ومصالحها الاجتماعية

(الثاني) المؤمنون بأصل الدين الراغبون في التوفيق بينه وبين المدنية الحديثة بالتساهل في بعض أحكامه والتأويل لبعض نصوصه كما فعل أهل الكتب الدينية من كل أمه في كل زمان يطلب عليه روح خاص يسري في الكبراء

والخواص ، وهؤلاء هم الذين يحاولون الموازنة بين منافع « التيارات » ومضارها التي يتعرفون بأن أهمها هناك النساء المسلمات لصيانة الحجاب ، وبخلافهن للنصوص الصريحة في الكتاب ، وهؤلاء يسهل اقتناعهم بالدلائل الدينية والعقلية جميعاً هؤلاء هم الذين يقولون أننا لا نرتاب في عصيان المرأة بأبداء خفي زيفها في التشيل (ملهي التشيل) ورقصها مع الرجال ولا في عصيان من يضربها بذلك ولكن التشيل الذي يوجد فيه العاصيات والعاصون لله عمل نافع في نفسه فالمصيبة فيه قاصرة على أهل ولا حرج على المؤمنين في شهوده بنية الاستفادة من الفرض والمقصد منه دون نية الاسعاد على الوسيلة المحرمة كما أنه لا حرج على من يشاهد الصور والتماثيل وإن كان صافوها آثمين في علمهم :

ولعل هذا أقوى ، اثنين به شبهتهم في شهود التشيل وما هو بالذي يقع الفقيه فيبقى بنتي الحرج لأن دور المقاسد مقدم على جلب المصالح عند التعارض فكيف تباح المفسدة التقنية لأجل مصلحة وهمية إن أمكن اثبات حصرها في التشيل فلا سبيل إلى اثبات معارضتها لمنع المسلمات من هناك حرمة الشرع والخروج عن أدب الدين إذ يمكن أن يكون هذا التشيل المفيد من الرجال خاصة وإن كان لا بد من وجود النساء فيمكن استخدام غير المسلمات فيه كما يفعلون في مصر وهؤلاء النساء غير مكلفات بفروع الشريعة عند الحنفية ومن وافقهم ولا يجرم النظر اليهن بغير سوء أو يمكن للنساء المسلمات فيه أن لا يبدن زينة إلا ما ظهر منها وهو الوجه والكفان وإن لا يرقصن مع الرجال ولا يأتين بمنسك آخر مهم ، فالحرص على اتينهن في التشيل بكل ما يأتي به غير المسلمات لا يمكن أن يكون لأجل المصلحة المزعومة التي نبينا هذا الإلزام على التسليم بها جديلاً فثبت أن الفرض من ذلك تنفيذ الشهوة واتباع الهوى تقليداً للأوروبيين في شيء فيه أم لكم ولهم ومنافع لهم لآلكم لأنهم جروا في هذا التشيل على جنس لهوم ولعبيهم الذي لا خروج فيه عن عاداتهم وآدابهم المقومة لشعوبهم مشتملاً على بعض الفوائد والمبرر بهذا الارتقاء في العلوم والآداب وسائر مقومات الاجتماع ، فإن كنتم مقلديهم ولا بد فأعفونا من التعريف والتأويل في الدين ، فما أنتم إلا عون عليه لأولئك المارقين ،

وأما المارقون من الدين من حيث هو دين، الرضوان به من حيث هو رابطة اجتماعية كالجنس والفلسفة ، فيقال لهم ان تحويل النساء عن الآداب والمعادات الاسلامية اتباعا وتقليدا لتغير المسلمين مبدأ لقطع الرابطة الاسلامية وعدم هذه الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجرأتهن على انتهاك محارمه اذ يستعمل ان لا تصي امرأة من الأمة ربها قط ولا شك ان مصيبة بعضهم بما ذكر لا تستلزم عصيان سائرهن به اذ جعل كل امرأة مثله محال فلا خوف على الأمة من عصيان قليل من افرادها وإنما الخوف عليها محصور في الانتقال من طور الى طور بتأثير روح أجنبي غايته تحويل المسلمين عن دينهم وجنسهم وجذبهم الى غيرها بالاتقاع والاستعسان حتى يكونوا غدا له ومادة تمدد في نأته وبقائه

مثل القلد مع القلد كمثل الطفل مع الرجل، يحسب الطفل أن كل ما يفضله الرجل مفيد له اذا هو حاكاه فيه ساواه في فائدته منه فاذا رآه يدخن حاول التدخين مثله ما لم يمنعه مانع وربما كان في التدخين هلاكه اذ لا يحتل بدنه من سم الدخان ما يحتمله بدن الكبير المتأد عليه . وما كل ما يفضله الرجل نافعا له وما كل نافع له ينفع الطفل والدارج، ولا اليافع والشارخ ، وقد تكون وسيلة المنفعة الواحدة للرجل غير وسيلةها هي للطفل فالبنفذية منفعة ووسيلةها للطفل الابن والدارج الطعام اللطيف وأما الرجل الأبدقانه يستفيد من الطعام الكثيف من الغذاء ما ربما يكون محرضا لمن دونه

هكذا شأن الأم المباحلة الضميعة مع الأم المالة بالقوية تظن الا ولي أن كل ما يفضله الثانية مفيد لها فتحاول تقليدها فيه غير شاعرة بأنها تقلد على غير بصيرة تامة ، ولا اكتفاء للمقاصد البعيدة وإنما الامور بمقاصدها - فتقع في الحسران المبين ، من حيث ترجو التلاح العظيم ، كما تقدم الآن في الأزياء والمعادات التي تزيد سيف ثروتهم وتذهب بثروتنا ، والآداب التي ترفع بها جنسيتهم من حيث تضمضع جنسيتها ، واهم هذه المعاديات ما أدى الى تركنا للدين وارضاء عنان التفرج للنساء في التهلك والحلاعة

تدخل المرأة النصرانية الحشمل ولا شعور عندها بأنها قد أحدثت في جنسيتها

حدثنا، أوجاهت في دينها أسرفياً، وأما المسلمة فإما تشر إذا فعلت لك بأنها قد أسلخت من قديم مرغوب عنه، ودخلت في جديد مرغوب فيه، ويسري هذا الشعور منها ومن تربي مثل ترينها إلى سائر نساء قومها ورجالهم الذين بأقنون عملها وقرونه أقنودهم بهذا ولا تقدم في تربية النساء الدينية التي نرى أقوى شعورهم وأعزها وأعلمها كالجermanيين والسكوتيين هم أشد عناية بها ممن دونهم، بلغ من رصوخ الشعور الديني عند نساءهم أن المرأة التي يقذفها الفقر في مهواة البغاء تطلق صورة المسيح أمامها في بيتها لأحياء ذكرى الدين في قلبها فإذا همت بالانكسار فيه حوت وجه الصورة إلى جهة الجدار استحياء وأدبا

إذا صح أن هذا «التأثر» يفيد مسلمي روسيا في آدابهم وأخلاقهم مثل ما يزعم الأفرنج أنهم يستفيدون منه فما هذه الفائدة المدعاة إلا من الأمور التي تسمى بحسينية أو كالية أي مما يطلب وراء الضروريات والحاجيات التي لم يستكملوا شيئاً منها. وقد دعاني إلى رؤية هذا التمثيل العربي بمصر بعض الفضلاء أول مقدمي إليها وبعد رؤيته سئلت عن فائدته فقلت: إنني لم أره فائدة وراء التسلية إلا تمرين أصابع من يحضره من الموم على كلام عربي هو وسط بين كلامهم وبين العربية الفصحى ثم رأيت أن بعض القصص لا تخلو من فائدة وعبرة

أقول هذا وأنا أعلم أن المقلدين يضيع عندم البرهان أن خوطبوا به فكيف ولا سبيل إلى مخاطبتهم بما يفهمون. وقد كان يكون هذا مفيداً لو كان للمسلمين زعماء عقلاء يدبرون أمهم ويدبرون بالرأي والروية مصالحهم ولكنهم أضحوا فوضى لاسرأة لهم إلا أننا نرجو الخير من بعض العلماء وأصحاب الصحف فنسأل الله أن يوفقهم لخير الإرشاد وينفع بهم الصباد

مسألة من جاوه

إسلام من دون البلوغ

(٢) السيد عقيل بن عثمان بن يحيى في (تيمور كوفج - جاوه)

ما قولكم في إسلام من دون البلوغ من القضاة وأولاد الكفار وأهل الكتاب

هل يجزئ عليه أحكام الشرع كالمكلف في حياته وموته أم ينفرد بأحكام تخصه ؟
 (ج) قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة » - وفي لفظ :
 مامن مولود الا ويولد على الفطرة - وفي رواية على فطرة الاسلام - وفي رواية
 زيادة : حتى يمرب عنه لسانه : - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .
 الحديث رواه أحمد والشيخان واستدل به على أن الصغير لا يحكم عليه قبل التمييز
 الا بالاسلام الذي هو دين الفطرة حتى يميز ويمبر عن فكره فإنه يحكم له بالملّة
 التي يختارها وهو المراد برواية جابر عند أحمد « حتى يمرب عنه لسانه فإذا أعرب
 عنه لسانه فاما شركا وإما كفورا » وينقل أهل الآثار صحة اسلام المميز عن
 أبي حنيفة وأحمد واسحق وابن أبي شيبة وعدمها عن الشافعي وزفر واستدل على هذا
 بحديث « رفع القلم عن ثلاثة » وذكر منهم الصبي حتى يبلغ والحديث حسنه الترمذي
 وفيه بحث وأجيب عنه بأن الاسلام يكتب له لا عليه وأما يدل الحديث على أنه
 لا يؤخذ لا على أنه لا يقبل اسلامه كيف وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل
 اسلام الصغار لا يرد أحدا ومن المشهور الذي لا يرد أحد من المختلفين في المسألة
 اسلام علي كرم الله وجهه وهو دون البلوغ . قال عروة : أسلم علي والزبير وهما
 ابنا ثمان سنين وبايع النبي صلى الله عليه وسلم ابن الزبير لسبع أو ثمان سنين . وقد
 يصح الاستدلال بالحديث على أن من دون البلوغ لا تصح رده عن الاسلام
 وهي رواية عن أحمد والمذهب الاول أي أن المميز يصبح اسلامه وردته . وفي
 رواية ثالثة لا يصح شيء منها

على أن المميز الذي في حجر والديه يكون تابا لها في الاحكام الدينية
 وإن قلنا بصحة اسلامه على الخثار حتى يبلغ سن الرشد أو يخبر كما أمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بتخيير أولاد أصحابه الذين كانوا منهودين مع بني النضير
 وكانوا أرادوا إكراههم على الاسلام وفيهم نزل ٢٥ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين -
 راجع تفسير الآية في المجلد التاسع ص ١٦١

حمل الميت على عربة

(س ٣) ومنه : هل يجوز حمل الميت على عربة تجهز الحبل أو الرجال إذا

قيل أن هناك مصلحة كبد القبر أو خفة المونة وهل فيه إزاء بالميت أو تشبه غير محمود؟ المسألة ذات بآل فمن اتهم من يشدد التكبير، ومنهم من يقول بالتيسير، (ج) أما جعل المسألة ذات بآل التقاليد والمادات ولا يهتم الناس من جميع الأمم بشيء من المادات كالمادات في تجهيز الموتى ودفنهم وزيارتهم حتى أن الذين يفسلون من الأديان ويتركون المادات وسائر التقاليد يظنون محافطين على ما درج عليه أهل ملتهم من التقاليد والمادات المتبعة في هذا الأمر

لأدليل في الكتاب ولا في السنة على تحريم حل الميت على عربة من غير تشبه بنور المسلمين في دينهم لاسيما إذا كان هناك مصلحة لأن المراد بمصلحة قلبه وإيصاله إلى القبر ليدفن وقد كانوا يحصلون النفس في صدر الإسلام بالكيفية المعروفة في زمنهم ولم يقل الشارع أن هذه الكيفية تعبدية لأنها المشقة التي تجلب التيسير ولو كانت الوسائل العادية التي كانوا يفعلونها واجبة على سبيل التعبد بمجرد جرمهم عليها لوجب علينا أن لا نقاتل إلا بمثل سلاحهم وأن سحقتنا المدافع سحقا، وأن لا نلبس إلا مثل ملابسهم وأن سبقتنا الأمم في النشاط سبقتنا، أما التشبه المحذور في مثل هذا العمل فهو ما يشبه فيه التشبه بالتشبه به في أمر من أمور دينه ويكون ذلك عن قصد وما أغنى المسلمون عن هذا إذا يحتاجون إلى نقل ميتهم على عربة فالعربات التي ينقل عليها أهل الكتاب أمواتهم لها شكل مخصوص مزين بالتأثيل لا يحتاج المسلم إلى مثله قط ولا يفتيه بالتخاذله وإن لم يقصد التشبه بهم على أن هذا الشكل من عاداتهم لا من عباداتهم والمسلمون لم يسلموا في أكثر البلاد من التشبه بهم فإما هو عندهم من قبيل العبادة المحضة والتقاليد الدينية الخاصة كعمل المباخر والقائم أمام الجنائز والبريم بالاناشيد الدينية. يفضل المسلمون هذه البدع التي سرت إليهم من جاورهم من أهل الكتاب في مصر وغيرها فغير حاجة إليها ويؤمنون أن اعترض عليهم بالتشبه - أنها لا تشبه فيها لأن أناشيد أهل الكتاب هي غير أناشيدنا وهم يسمعون في مباحرهم البخور، ونحن نضع فيها الزهور، وأنت ترى أنه يمكن أن تكون مسافة البعد عن التشبه في العربة أوسع بأن تكون العربة التي يحمل عليها أموات المسلمين من قبيل عربات النقل ولكنها أنظف وأكثر ارتفاعا ويوضع

الاثبت عليها بالهيئة التي يحمل بها على الاكتاف عادة وبهذا يقتضي التشابه بالمرة لكنه لا يقتضي في البدع المتأددة بما ذكرنا لان الفرق بين أناشيدنا وأناشيدهم المتعددة في الظاهر ليس بذى شأن لاسيما اذا كانوا يمدحون المسيح والحواريين ويستعينون بهم ويطلبون الرحمة من الله للميت فأكثر أناشيدنا المتبعة من هذا القبيل لا هم ينشدون قصيدة البردة وفهرها ومدح النبي وأصحابه من قبيل مدح المسيح وحواريه عليهم السلام أجمعين . وبهذا تعلم أن المسألة مسألة عادات وتقاليد لاسمألة حرص على السنة فإن ما خالفوا فيه السنة واخذوا فيه بالبدعة لاجابة اليه وما حرصوا فيه على المادة قد يحتاج الى تركه لمصلحة ونحن نتبع المصلحة في العادات ونمتنع المصلحة لا يسمى منشئها بمن سبقها اليها ولا مقلدا له على ان تشبها بنبرنا في عادة له لم يجرم علينا ما لم يكن فيه مفسدة وضرر فله حينئذ حكمة

﴿ وعن العقار والديار ، على مديري الكنائس والأديار ﴾

(س ٤) ومنه : ما قولكم فيمن يرهق عقاره أو دياره على مديري أموال الكنائس والأديار ويوفهم ما اصطلاح مهمم عليه من ربح المال شهريا ويدعي أن ذلك ليس من المعاملات الربوية ، ما هو حكمه هل يفسق بهذا الفصل أو هذا الاعتقاد أم لا فيه فسخة أو مسامحة ؟ وما يقال في مسامحة أو معاملة من هذا دينه ؟ ان أشبعت الفصل والنقل في هذا الباب فهو من المهم في الدين لتساعل أهل هذه الجبتي الاحتياط والورع بل تقادعهم في الحرام السحت والظلم ، وتعاقد على الإثم والمدون ، وتعاقد عن المبرات والاحسان ، فصارت معاملتهم كلها فاسدة بما يدعونه صحيحا وقد علم الربا هذا القطر (جاوي) من غير مبالاة ففسى أن يحصل لهم بما تضمنونه ارتداع ولكم ثواب الدلالة على الهدى وإيضاح الحق (ج) مديرو الكنائس والأديار كثيرهم من الناس في المعاملات المالية ما خصهم الدين بأحكام في العقود والمواضعات فالرهن عندهم كالرهن عند غيرهم ان جائز في نفسه فحائز مهم وان ممنوعا فممنوع . والدين قد حرم الربا لما فيه من قسوة القلب وترك الباطل والمواساة للمحتاج كما بينا ذلك بالتفصيل في

تفسير آيات الربا وبيننا ما هو الربا المحرم بالنص فيراجع في المجلد التاسع
واعلم أنك اذا عدت كل ما يقوله المصنفون في كتب الاحكام التي
يسمونها فقها من أمور الدين وحكمت بنق التارك لبعض شروطهم في هذه
المعاملات الدينية فأنك تذف بالمسلمين في مأزق من الحرج لا قبل لهم به ولا
طاقة لهم باحتماله . ان الدين حرم الربا والفش والحياة وأكل أموال الناس
بالباطل والضرر والضرار وكل ما فيه افساد للاخلاق وتدنيس للأرواح وأوجب
عليهم الوفاء بالعقود وأقرهم على عقودهم ما لم ينحل حراماً أو فحشاً وأباح لهم
بعد ذلك أن يتعاملوا كيف أرادوا بالتراضي بينهم كما بينا ذلك صراحة وهم غير
مكلفين بالعمل بآراء الفقهاء واجتهادهم التي لا دليل عليها في النص الا اذا أمر الحكم
بالفضاء فيها حينئذ تتبع لاجل أن تكون المعاملات نافذة لاندنا وتعبدنا . مثال
ذلك اشتراط الايجاب والقبول في البيع مثلاً لم يتعبدنا الله به وقد قال به من
قال اجتهدوا لما رآه من المصلحة فيه فاذا عارف الناس على نوع من المعاطاة
وتراضوا به جاز لهم ذلك ديناً ولكنهم يضطرون الى التزام الايجاب والقبول اذا
أرادوا أن يكون البيع نافذا عند حاكم يشترطه

﴿ حكم شرب البيرا وعصير الزبيب ﴾

(س ٥ و ٦) ومنه : ما هذا الشراب المسمى (بيرا) وما حكمه وما مادة أخذه
وهل يقال انه من الأجزاء الدوائية أو غير المسكرات أو يحل تناوله وهل هو أنواع ؟
وهل في عصير الزبيب ما يجوز شربه ؟

(ج) البيرا هي (الجملة) أي الشراب المأخوذ من ماء الشعير ويقال انها
تخمر بمشيشة الديتار وهي أنواع ولا شك في كونها من المسكرات ولكن يقال أن
القليل منها لا يسكر لاسيما بعد الاعتدال والصحيح المختار عند جماهير المسلمين ومنهم
الشافعية الذين يقلدوهم أهل بلادكم ان ما أمكر كثيره فقليله حرام وهي ليست
من الأدوية ولكنها تنفد في تحليل البول وفي الحلال ما ينفي عنها في ذلك كالبقدونس
ومن مرض بمحصر البول ولم يجد علاجاً غيرها حل له التداعي بها بقدر الحاجة .

وعلمت أنه يوجد نوع منها يستعمل للتخليل لا يسكر قليله ولا كثيره ولكنه قليل
المكث يشرب عقب صنعه فإذا طال عليه الامد أياما فسدت وذهبت فائدته .
وأما عصير الزبيب فلا يحرم الا اذا اختبر وصار مسكرا وقد عجيبت من
هذا السؤال في غير شبهة وما زال المسلمون منذ كانوا يشربون ماء الزبيب وغيره
منبذوا ومنصورا ما لم يمكث زمنا ينخم فيه ويصير مسكرا . وله في مصر وغيرها
مواضع يباع فيها هو وماء الخروب وعرق السوس وغير ذلك

﴿بأنصيب﴾

(س ٧) ومنه : « بأنصيب » لم تعرف ماهيته ولم تراستثناسا لتعاطيه أو دليلا
على حله فاهو وما حكمه هو واشباهه ؟
(ج) هو نوع من أنواع القمار كقيته أن يضع امرؤ أو شركة قرطاس صغيرة
فيها أرقام تسمى نمرا أي أعدادا يذكرك في كل قرطاس منها ما يدل على أن كذا
من هذه النمر يسحب في يوم كذا من شهر كذا وأن طائفة منها (أي النمر) يربح
كذا قرشا أو جنيا أو فرنكا وكذا منها يربح كذا أي أقل من ذلك ويبيعون
هذه القرطاس بمن قليل بالنسبة إلى ما يربح من بعضها ويشتريها من يشتريها
آملا أن تكون النمرة فيما يشتريه من النمر الراجعة وإذا يكون أعلى قليلا وأخذ
كثيرا . وكيفية السحب أن توضع بطائق عليها أرقام تلك النمر في وعاء مستدير
فيه ثقب يفتح بعد أن تخفض البطائق في الوعاء فينزل منه بطاقة بعد أخرى
إمام شهود يصبح صاحبهم ببيان نمرة كل بطاقة تنزل إذ تكون راجعة حتى إذا
تم عدد ما كتب على القرطاس أنه يربح يكون السحب قد تم وعرف الراجع من
غيره مثال ذلك أن تكون النمر التي قدر لها الربح عشرة من مئة فالمنى أن البطائق
المسح التي تسقط أولا هي التي تكون راجعة ومن المادة أن تكون الأولى أو فرسها .
وهذا الصل من التمار أي الميسر المحرم في الدين كما هو معلوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَضْرَمِنْ اللّٰهِ وَفُجَّ قَرَبْ

﴿الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي﴾

قال الأستاذ الامام عليه رضوان الله تعالى « يستعمل بقاء الأزهر على حاله
فأما أن يصلح وإما أن يسقط » وكان أكرم الله مشاء باذلاً جليل عنايته في
إصلاحه حذراً من سقوطه وحرمان المسلمين مما يرجى بإصلاحه وكان أقدر من
عرفنا من الناس على هذا الإصلاح وسائله ومقاصده وأحكمهم في تنفيذه إلا أنه
أخطأ في أمر واحد لولاه لم تم له ما أراد من الإصلاح وهو فوق ما يطلب منه ذلك
الأمر هو محاولة إصلاحه برضي كبراء شيوخه واستعمالهم فيه بالاقناع دون
السلطة إلا ما بدأ به من وضع قانون لإدارته والسعي في إصدار إرادة من الأمير
به بناء على قرار من مجلس النظار لمعه أن العمل بدون ذلك متعذر ولا محل
لتشرح ذلك هنا بل موضعه الجزء الأول من تاريخه الذي نعتي بطبعه الآن وإنما
تردد أن نبين أنه كان يحاول تنفيذ هذا القانون بدون استعانة بسلطة التنفيذ في
البلد بل بمحمد دويش شيخ الأزهر وأعضاء الإدارة

كان الشيخ حسونه النواوي أول من ولي المشيخة واختير للعمل بهذا القانون مع المرحوم وسائر من اختيروا للإدارة وكان المرحوم هو الذي اختاره وسمى قسماً الأمير بتمينه وكيلاً للشيخ الانبائي المرحوم ثم أصيلاً وقد استعان على هذا ببعض أصدقائه كالمرحوم أمين باشا فكري . ذلك انه كان يعتقد أن الشيخ حسونه أمثل الشيوخ وأرجاهم لقبول الإصلاح . علمت ذلك منه أول مقامي بمصر سنة ١٣١٥ اذ قلت له سمعت من بعض مجاوري الأزهر الطرابلسيين ان شيوخ الأزهر قد امتنعوا من جعل الشيخ حسونه شيخاً للأزهر لأنهم لا يصدونه من كبار العلماء فقال ان كانوا يمتنعون بذلك انه لا يقدر على ايراد الاحتمالات الكثيرة في مثل عبارة جمع الجوامع فهذا صحيح ولكن هذه الاحتمالات التي

يوردونها ليست من المسلم في شيء والشيخ حسونه أمثالهم : وقد دلت التجارب على صدق هذا القول - ولا ننسى فضل المرحوم السيد علي البيلاوي الذي ظهر من فضله فوق ما كان يظن فيه - فان ماجرى على يد الشيخ حسونه أولاً وآخرها لم يجر على يد غيره مثله

نعم كان الشيخ حسونه يرجئ بعض ما يقترح المرحوم عماداً بالتدريج عن رأي واعتقاد ولكنه لم يكن يقرر الشيء ولا ينفذه كما فعل من جاؤا بعده ماعدا البيلاوي وقد قلب على الأزهر في هذه المدة عدة شيوخ كان أشهرهم في علوم الأزهر أبدم عن الإصلاح . فالشيخ سليم البشري من أشهر لم يجر على يده شيء بل كان معارضا لكل شيء فأرضى أمثاله من المحافظين على القديم وأغضب طلاب الجليل والشيخ عبدالرحمن الشربيني أشهرهم على الإطلاق وهو لم يفعل شيئاً ولم يرض طائفة من الطائفتين

قلت للأستاذ الامام مرة : ان قرار مجلس إدارة الأزهر هو كقرار كل مجلس رسمي وكل محكمة يطالب القانون بتنفيذه ويماقب على تركه فلماذا لا تطالب بتنفيذ هذه القرارات الكثيرة التي يتمتع شيخ الأزهر من تنفيذها بصفة رسمية فلو فعلت هذا مرة واحدة لتغد كل قرار ، فقال : ان هذا لا يكون الا بسلطة الحكومة والتي أرجو أن لا ادع الحكومة لتدخل في الأزهر مادامت فيه فكيف أكون أنا الذي يدعوا الى ذلك فنحن ندعو الشيوخ بالانقاع معتنسين بالصبر وكان يكره ان يكون « المعية » اصبح في الأزهر كما يكره ان يكون للحكومة يد فيه لاعتقاده ان خير الإصلاح في العلم والدين ما كان بعيداً عن السياسة فائضاً عن اقتناع العلماء به واستقلالهم فيه ، ولكن « المعية » ولدت بالأزهر ولو ما كان يكون عشقا وغراما ولما رأيت ان تنتميا لهذا المشوق لايم مع وجود هذا العذول الرقيب طفتت تناهضه حتى كان ما كان من أمر استقالته من إدارة الأزهر وكان ما كان بعده من الخلل في هذا المكان حتى أدى ذلك الى اقامة نائب عن شيخه الشربيني يدير الأمر من دونه عدة أشهر ثم الى استقالته واعادة الشيخ حسونه الى المشيخة وعلى يد الشيخ حسونه تم مشروع مدرسة القضاء الشرعي وصدر به

الأمر العالي فوصلت قول المرحوم فيه أنه أمثلهم في حياته وبعد مماته مما كان ينويه من إصلاح الأزهر إنشاء قسم قضائي فيه برشح فيه الطلاب لمنصب القضاء زاده حرصاً عليه اقتراح المستر سكوت المستشار القضائي الأول إصلاح المحاكم الشرعية وجواز جعل المتخرجين في مدرسة الحقوق المدبوبة قضاء شرعيين . لم أر الأستاذ معاً في مقاومة شيء كاهتمامه في حمل الحكومة على الإغضاء عن جعل متخرجي الحقوق قضاء للشرع ، سعى في ذلك وحاول إقناع كبار الشيوخ بأن يسلموا معه فلم يبر منهم مبالاة فكان يتلبلل ويقول إذا نفذ هذا المشروع قضى على الأزهر وقد نجح سعيه فلم ينفذ

وعندما حاولت الحكومة تعيين قاضيين من محكمة الاستئناف الأهلية للمحكمة الشرعية العليا بمصر ولم تتم ذلك قوي عزمه وظن أن الفرصة سئحت لإنشاء القسم القضائي وقد فتحنا كوة للبحث في ذلك إذ أنشأنا مقالة في النصار الذي صدر في ذي الحجة سنة ١٣١٦ تقترح فيه إنشاء هذا القسم القضائي ولكن حال دون إنشائه عزل الشيخ حسونه من المشيخة وولية الشيخ عبد الرحمن القطب في ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ ولم يلبث هذا أن توفي بعد شهر من توليته وولي الشيخ سليم البشري الذي وقف في عهده سير الإصلاح وكان من أمر «المصية» من أول عهده إلى الآن ما نشرنا آنفاً إلى أنه أنهى باستقالة المصلح العظيم من إدارة الأزهر وبهذا انقطع رجاء الحكومة من إصلاح حال القضاء الشرعيين الذين ضجت منهم الأمة طالبة لسان الجمعية العمومية ولسان مجلس الشورى إصلاح المحاكم الشرعية فهدت إليه بوضع مشروع إنشاء مدرسة قضائية يتولى هو بنفسه أمرها وكان هذا المشروع آخر عمل إصلاحه عمل له إذ تم في أوائل مرض الموت وما كان يؤله من هذا المشروع الانفصاله عن الأزهر وقصارى ما أمكنه من وصله به جعله تحت نظر مفتي الديار المصرية دائماً وكان للحكومة معه وقفة في هذه المسألة تبارك ناصر المخلصين ، أحياء وميتين ، فقد قضت حكمته عز وجل أن يقوم بتنفيذ المشروع ويجعله أشد صلة بالأزهر سعد باشا زغلول ناظر المعارف لهذا العهد ولا يجهل أحد من المصريين من هو سعد باشا من الأستاذ الامام ، وإن يكون

ذلك في عهد مشيخة الشيخ حسونه وبعد موافقته عليه وجعله تحت نظره وقد علم القراء اعتقاد المرحوم في الشيخ حسونه وما كان من نيته في أيام مشيخته الأولى هناك نص القانون في ذلك

* مشروع أمر عال *

﴿ بإنشاء مدرسة القضاء الشرعي ﴾

نحن خديوي مصر

بعد الاطلاع على قانون الجامع الأزهر الصادر به الأمر العالي بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (أول يولييه سنة ١٨٩٦) مرة ٣

وبناء على ما عرضه علينا ناظر المعارف العمومية وموافقة رأي مجلس النظار أصحنا بما هوأت

المادة الأولى - يخصص قسم من الأزهر لتخريج قضاة ومفتين وأعضاء ووكلاء دعاوي وكتبة للمحاكم الشرعية ويسمى (مدرسة القضاء الشرعي)

المادة الثانية - تكون هذه المدرسة باختيار كونها قسما من الأزهر تحت إشراف شيخه ويكون لطلبتها من الامتيازات ما يفرهم من الأزهر بين ويتولى إدارتها ناظر يمينه ناظر المعارف ويكون لها محل مخصوص

المادة الثالثة - تنقسم هذه المدرسة الى قسمين القسم الأول لتخريج كتبة للمحاكم الشرعية والقسم الثاني لتخريج قضاة ومفتين وأعضاء ووكلاء دعاوي للمحاكم الشرعية أيضا

﴿ القسم الأول ﴾

المادة الرابعة - يشترط فيمن يدخل القسم الأول من مدرسة القضاء الشرعي ما يأتي :

أولا - ان يكون طالب علم في الأزهر أو احد ملحقاته مدة ثلاث سنين وان يكون حميد السيرة

ثانيا - ان يكون صحيح الجسم سليما من العاهات

ثالثا ان ينجح في امتحان الدخول في المواد الآتية :

- (أ) حفظ نصف القرآن الكريم على الأقل
- (ب) المطالعة في الكتب السهلة مع الصحة وفهم المعنى
- (ج) الاملاء
- (د) النحو
- (هـ) الفقه
- (و) مبادئ علم الحساب

المادة الخامسة — يكون امتحان الدخول في هذا القسم تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينييه عنه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الأحوال مؤلفة من عضوين ينتخبهما ناظر المعارف العمومية بعد أخذ رأي لجنة الإدارة المينة في المادة ١٨ المادة السادسة — تكون مدة الدراسة في هذا القسم خمس سنوات

المادة السابعة — تدرس في هذا القسم العلوم الآتية :
التفسير — الحديث — الفقه على مذهب أبي حنيفة — التوثيقات الشرعية — التوحيد — المنطق — آداب و اخلاق دينية — نظام المحاكم الشرعية والاقواف والمجالس الحسبية ونظام القضاء والإدارة — الفقه العربية — الحساب والهندسة — التاريخ والجغرافيا — الخط

المادة الثامنة — الامتحان النهائي للقسم الاول يكون تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينييه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الأحوال مؤلفة من عضوين ينتخبهما ناظر المعارف بعد أخذ رأي لجنة الإدارة المينة في المادة ١٨ المادة التاسعة — يكون الامتحان في مواد الدراسة بالقسم الأول تحريريا وشفويا على حسب التفصيل الذي تشتمل عليه اللائحة الداخلية

المادة العاشرة — تعطى لمن نجح في الامتحان النهائي لهذا القسم شهادة الاحلية الأزهرية ويكون أهلا بموجبها لان يمين كاتبها بالمحاكم الشرعية فضلا عن المزايا المقررة لها بحسب قانون الأزهر

﴿ القسم الثاني ﴾

المادة الحادية عشرة - يشترط فيمن يدخل القسم الثاني من مدرسة القضاء الشرعي ما يأتي :

- أولاً - أن يكون حاملاً لشهادة القسم الأول
- ثانياً - أن يكون صحيح الجسم سليماً من العاهات
- ثالثاً - أن يكون حميد السيرة لم يسبق الحكم عليه بسبب أمر مغل بالشرف وأن يكون عاملاً بأمور دينه

المادة الثانية عشرة - تكون مدة الدراسة في هذا القسم أربع سنين

المادة الثالثة عشرة - تدرس في هذا القسم العلوم الآتية :

تفسير وحديث - الفقه على مذهب أبي حنيفة - حكمة التشريع - الأصول على مذهب أبي حنيفة - آداب البحث - توحيد - منطق - آداب وأخلاق دينية - أصول القوانين - نظام المحاكم الشرعية والالواقف والمجالس الحسينية ونظام القضاء والادارة - محاضرات عامة ودراسة بعض القضايا ذات المبادئ الشرعية - اللغة العربية - العلوم الرياضية - التاريخ - تقوم البلدان - الخواص التي أودعها الله تعالى في الأجسام

المادة الرابعة عشرة - الامتحان النهائي للقسم الثاني يكون تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينيبه عنه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الاحوال وتتألف كل لجنة من خمسة أعضاء ينتخبون من علماء الأزهر وأرباب المعارف الفنية بمعرفة ناظر المعارف بعد أخذ رأي لجنة الادارة الميينة في المادة ١٨

المادة الخامسة عشرة - يكون الامتحان في مواد الدراسة بالقسم الثاني تحريراً وشفهياً على حسب التفصيل الذي تشتمل عليه اللائحة الداخلية

المادة السادسة عشرة - يصدر لمن نجح في الامتحان النهائي للقسم الثاني البيورلدي العالي المنوه عنه في المادة ٥٣ من قانون الأزهر وزيادة مما لحمله من الزايا يصبر أهلاً بموجبه لأن يكون وكيل دعاوى أوقاضياً أو مفتياً أو عضواً أو نائباً بالمحاكم الشرعية

﴿ أحكام عمومية ﴾

المادة السابعة عشرة - يكون للمدرسة لجنة إدارية تسمى لجنة الإدارة وتتألف من شيخ الجامع الأزهر أو من ينوب عنه رئيساً ومن مفتي الديار المصرية ومن ناظر المدرسة ومن عضوين آخرين ينتخبهما ناظر المعارف بالاتفاق مع ناظر الحفانية المادة الثامنة عشرت تختص لجنة الإدارة بما يأتي :

أولاً - تقرير اللائحة الداخلية

ثانياً - وضع برامج الدراسة وتوزيعها على السنين والاقوات المختلفة وبيان درجات كل علم

ثالثاً - انتخاب المدرسين بالمدرسة

رابعاً - انتخاب أعضاء لجان الامتحانات المختلفة

خامساً - تقرير ما ينبغي صرفه من الاعانات الشهرية لمعلمة القسم الأول والثاني

سادساً - تقرير الاجازات التي تعطى فيها الدراسة

سابعاً - ما يطلب منها ناظر المعارف النظر فيه

قرارات هذه اللجنة تكون نافذة بعد تصديق ناظر المعارف عليها

المادة التاسعة عشرة - مرتبات الموظفين والمدرسين بهذه المدرسة تقدر

على حسب أهمية وظائفهم وأهمية الدروس التي يكلفون بالقيام بها ويعطى لطلبتها اعانة شهرية

المادة العشرون - لا يصح أن ينتخب مدرس في هذه المدرسة من غير

علمه الأزهر الا اذا كان مسلماً حيداً السيرة ومشهوراً له بالبراعة في الفن المعين لتدريسه

المادة الحادية والعشرون - ناظر المدرسة هو المكلف بضبطها ونظامها

وتنفيذ قرارات لجنة الإدارة فيها

﴿ أحكام وقتية ﴾

المادة اثنانية والعشرون - اذا ظهر من نتيجة امتحان الدخول في القسم الأول

في اثناء السنوات الاربع الأولى التالية لافتتاح المدرسة وجود طلبة مستعدين

لتلقي دروس أي سنة أعلى من السنة الأولى وعدد من كاف تشكيل هذه السنة
جاز تشكيلها وذلك بطريق الاستثناء من أحكام المادة ٦
المادة الثالثة والعشرون - يجوز في أثناء السنوات الخمس الأولى التالية
لافتتاح المدرسة أن يقبل بالقسم الثاني طلبة الأزهر ممن قضوا ثمان سنوات بدون
شهادة الأهلية أو العالمية إذا توفرت فيهم الشروط الأخرى المنصوصة في تلك المادة
وذلك استثناء من أحكام المادة (١١)
المادة الرابعة والعشرون - على ناظر المعارف تنفيذ هذا القانون

(المنار) عرض هذا المشروع على كبيرى العلماء ورئيسهم الشيخ حسونه شيخ الأزهر
والشيخ بكر الصديقي مفتي الديار المصرية قبل عرضه على الحكومة رسمياً وبعد
مذاكرة بينهما وبين ناظر المعارف وبعد تحوير اقتراحه فأجابهما الناظر إليه أقراً
المشروع ثم أرسل ناظر المعارف نسخته إلى «المعية» والتظار ووصل بعضها إلى جريدة
القواء فنشرته وبعد أيام من نشره لم يسمع له فيها صوت فبصر بعض المدرسين
في الأزهر إلى اقتراح بعض مواده في الجرائد وكتبوا إلى ناظر المعارف عريضة
ذهب وفد منهم قدمها إليه في النظارة فطلب منهم أن يختاروا أربعة منهم للكلام
معه فوعده الأربعة بإجابتهم إلى ما طلبوا وأمه عدم امتحان من يطلب
الدخول في المدرسة من حاملي شهادة العالمية وكان ذلك حماً مقضياً في المشروع .
ثم ذهبت طائفة أخرى من المجاورين التيهاء فشكوا إلى الناظر من اشتراط كون
طالب الدخول حنفي المذهب وكونه حاملاً لشهادة العالمية فوعدهم بإجابة طلبهم
فأقبلوا كما بقيهم مسرورين شاكرين وقد وفى الناظر بوعده لفريقين

ثم اننا سمعنا بعد ذلك من جانب الأزهر دندنة وجمجة وقيل ان بعض
الشايع جاء من خارج القاهرة فطاف على كبار الشيوخ واجتهد في اقناعهم
بمعارضة المشروع حتى انه ظاهر بين المتنازعين لاجل الاتفاق وتحدث الناس
بأن صدور الامر العالي بالمشروع سيراً وذكرت الجرائد ما يدل على ذلك قبل
اجتماع مجلس النظار برئاسة الامير يوم اربعين ولكن المشروع عرض على
المجلس وصدر الامر العالي به « وقضى الله أمراً كان مفعولاً » واقترح لطلاب

العلوم الدينية باب النظام في التعليم و باب علوم الكون وذلك فتح ميّين ، ومبدأ تاريخ في المسلمين جديد

ولانزال نسع عن الشيخ أنباء الانتماء والدعوة الى الانفاق على طلب نسخ بعض مواد هذا القانون بناء على المقرر في الاصول من جواز نسخ الحكم المشروع قبل العمل به واذا جاز في الدين فلا يجوز في القوانين أولى . والمشتغل منهم بالسياسة والمحرك فيهم بالسياسة يقول ان الامر العالي الذي صدر بشيئين قاضيين من محكمة الاستئناف الاهلية في المحكمة الشرعية العليا قد اوقف تنفيذه لما كان من معارضتهم . واني اخشى ان استرسلوا في هذا الفرور ، وغرهم بما يفرهم به الفرور ، أن يلجوا الحكومة الى السيطرة عليهم ، وتعيين مدير للازمه يدير امر التعليم وينفذ القانون ، والله يعلم وانتم لاهلون ، ولكن الرجاء في الشيخ حسونه وقد حنك الزمان ، وهو أعلم منهم بما كان ، ان يثاني ذلك بالحكمة ، ويرضي بحسن ادارة الحكومة والأمة ،

أشار علي بن الحسين

﴿ وقائع الحرب ﴾

نظم فارس أفندي الحوردي أحد كتاب الشام وشعرائها المشهورين أربع قصائد في تاريخ الحرب بين الروس واليابان التي كان مبدأها أوائل فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤م ونهايتها في أوائل سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥ وأهداها الى صديقه الدكتور حسين أفندي حيدر قطبها « هذا طبعا متقنا بمطبعة الأخبار بمصر . وهي تباع بمكتبة المنار بشارع درب الجمايز بقرشين صحيحين . وانا نورد بعض الفصول من هذه القصائد لما فيها من الفائدة والعبرة في ثوب الفكاهة والتسلية ومنها يعلم القارئ درجة التأظم في القدرة على نظم الوقائع وضبطها مع الانصاف والامانة في النقل ، وصحري تنبيه القدرن وإثارة العقل ، قال في القصيدة الأولى وهو

الفصل ٧٦ و ٧٧ وما في الهوامش من تفسير بعض الكلام منقول من الاصل اذ وضع في آخره جدول لذلك

٥

﴿ نكبة الروس بنرق الاميرال مكروف على الدارعة بتروبالسك ﴾

في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٤

سعى طوغو على مكروف يوم الـ
أظم له الفخاخ بكل وجه
وناصبه بمرض البحر حرباً
أثارته الشهامة عن عرين
فقاتله وناضله بقلب
ولكن فلما عدد قليل
تدهت الكرات عليه حتى
فقد الى الخليج يريد أمناً
مضى يجتاز فوق فخاخ طوغو
الى ان شقت الغمرات فاهماً
فشاهد تحت اخمصه جميعاً
كان جهماً وجدت سبيلاً
كان هناك بركاناً تغطي
كان البحر فضبان طينهم
طوى بضميره حقاً فلما

لقا وأعد تديراً صرياً
يوجه بها ناراً حروداً
فكر عليه لايمتنى نكيرا
ويأبى الليث الا أن يثورا
يريه كل متاص يسيرا
يفوز ويقلب العدد الكثيرا
رأى في الكر موقفه مبيرا (١٠)
وكان بواره في أن يدورا
كلاح يحاذر ان يهجورا
وأصعدت البلايا والسميرا
وقد فتحت قذائفه خفيرا (١١)
ومطوياتها لقيت نشورا
وأطلق في الفضاء ناراً ونورا
لما جروا على الدنيا شورا
دنا مكروف كاشفه الضميرا

(١) الميرالميك (١١) الخبير القبر

(المجلد العاشر)

(٨)

(الشارح)

هوت فيه السفينة في خليج
على مكرووف قد بكت البواكي
ففاض له بأرض الروس دمع
بمصرعه عزوم الروس خارت
رجاء القوم محقود عليه
أميرهم وعند أشد ضيق
فكان يهديه قرآ مضيئاً
وان الروس لا يسلون عنه

وكانت قبل تشرق البحورا
وأطلقت المدافع والشعورا
يؤلف لو يضم معاً غديرا
وحق لها بذلك ان تحورا
ليدفع عنهم الخطب الميرا
يراد لكشفه فقدوا الاميرا
وكان بكره أسدا مزيرا (١٢)
ولو وجدوا له فيهم نظيرا

٦

﴿ الوقعة البرية الاولى على نهريالو ﴾

في ١١ ايار سنة ١٩٠٤

أقام الروس في يالو قلاعاً
مسيل النهر دونهم فظنوا
ومن خاض البحور الى الاعادي
مشى اليابان لا يخشون بؤساً
بحيش كل من فيه جريه
وصبوا من مدافعهم كرات
لئن صبرت جيوش الروس شيئاً
وأبقت من ذخايرها نهياً
ولليابان في الآثار شد

على تحصينها صرفوا شعورا
مدى لا يستطيعون العبورا
أيا بى ان يخوض لهم نهورا
وماء النهر يكتف الصدورا
تمنى للاعادي ان يطيرا
يفلق عزم صدمتها الصخورا
فبعد هنية ولت ظهورا
ومن أعتادها شيئاً كثيراً (١٣)
فكم قتلوا وكم أخذوا أسيرا

أتوا أنظنح بالرايات حتى على أسوارها خطرت خطيرا
 لمعرك ليس يحمي السور مدنا إذا عذمت من التدبير سورا
 فهل حدثت في أخبار دلي وما شادوا بساحتها قصورا
 وما قد أتفقوا عملا ومالا على المرسى وكيف جرى أخيرا
 أباحوها الى اليابان غنما وما نالوا على نصب أجورا
 ولا عجب لمحال مدل إذا أخلى الحواضر والثغورا
 إذا غفل الرعاة عن الموائج فن ذا يدراً الاسد المصورا
 وان الخاشع اليقظان يكوى بحد حسامه البطل الثغورا
 كذلك من توخى البني متنا تراه بدون معثرة عثورا

(٧)

﴿ وقمة كنشو ﴾

وكنشو بالدافع منوها وولوا حفظها جيشاً كبيراً
 وظنوا أنها تبقى طويلاً وثبتت في خفارتهم دهوراً
 أغار الخصم منقضا عليها ونار الروس تكتسح المنيرا
 الى ان كوروا القتلى تلالاً وأوشكت المعازل ان تمورا (١٤)
 رأوا ان المدوي يموت طوعاً ولا يأبى التقمم والكرورا
 ومن رغب المنية واتحاهما بيت عدوه عنها شورا
 بدا للروس ان القبح دان ينفذ فلا معين ولا معجيرا (١٥)
 فولوا تاركين على الروابي ذخائرهم لا أعدام نصيرا

لقد شخروا على اليابانيين لما
وقالوا سوف نطحنهم فتعدو
ولكننا على يالو وكنشوا
فعرض الجسم لا يفتي قتيلا
أنت ترى الوليد وفيه حزم
رهام الطير تنخلع ارتياحاً
وقال في أول القصيد الثانية

(الوقعة الكبرى في جوار مكدن في ١٥ شباط سنة ١٩٠٥)

(١)

بمكدن كوربتكن لم جيشاً
رأى الاعتاد وافرة لديه
ولكن رأي أوياما أراه
أظلم له المراسد في الصياصي
تخبره بما اصطنوا دفاعاً
أعد الخطة المثلى ليوم
ورب للهجوم عليه رأياً
وهن جناحي الجيش التناقفاً
رى اليسرى بكوركي فندزو

وشاد له المساقل والحصونا
فظن مقامه حرزاً حصينا
أموراً خيت تلك الظنونا
وين جفونه بث الميونا (٣٩)
لحوزتهم وكيف يدبرونا
يروع حر أزمته السنيينا
يكون لجد رايته ضينا
على أعدائه المتحصينا
فأكو ثم في نوجي المينا

(٢)

ودارت للمنون رحى طحون لها الاجساد قدصارت طحيناً

«١٦» القزم الزمير القميء الصغير الجثة الذي لا غناء عنده

«٣٩» الصياصي جمع صيحية وهي مرتضات الارض والمشارك التي يجمع بها

وطبق كل ناحية دخان
وصوت القذف أو قر كل أذن
فليس بمبصر أحد أخاه
فصار الحزن من ذلك سهولا
لو انشعق الدخان بدت أمور
جيوش كيفها العين استدارت
كان الأرض بالابطال حبل
فلا حجر تراه العين الا
كان حجارها الصم استطالت
فلا واد بتلك الأرض الا
كان عقولهم ذهبت شعاعاً
فكل فتى غدا أسداً حضوراً

كثيف أسود يصمي السيونا
فان سمعته تحسبه طيننا
وما هو سامع منه الا نينا
وصار السهل من جثث حزوننا
رد المرد شياً منحنينا
تراهم يظهر ون ويختفوننا
تدفهم حيارى صارخيننا
يجب خلقه منهم جنينا
رجالاً بالحديد مسرليننا
ويخرج من ماطقه كيننا
فليس لهم بها ما يرهبوننا
وموطيء رجله أضفى عربنا

﴿ حديث عيسى بن هشام ﴾

(أوفية من الزمن)

لحمد بك الموليحي مقالات أدبية كان ينشرها في جريدة مصباح الشرق بأسلوب
مقامات البديع والحريري ورواها عيسى بن هشام . وكان يشي كثير ممن
قرأها من محبي الأدب لو تجميع في كتاب فكان لهم ما تمنوا . جمع الكتاب نفسه
هذه المقالات وقسمها وزاد فيها ونقص منها وطبعا فكانت كتاباً عصفه ٤٣٦
وقد قال في (إهداء الكتاب) ما يأتي

« الف المؤلفون والكتاب أن يبدؤا كتبهم عند نشرها بإهداءها الى بعض
ذوي الشأن والفضل والضعيف الحاجز يهدي هذا الكتاب الى كل من يقرأه من
أديب يجد فيه طرفاً من الأدب ، وحكيم يرى فيه لجة من الحكمة ، وعالم يعبر فيه

شجرة من العلم ، ولقوي يصادف فيه ثرا من الفصاحة ، وشاعر يشرفه بمثل طيف
الخيال من لطف الخيال . واهديه الى ارواح المرحومين - الأديب الوالد ، والحكيم
جمال الدين ، والعالم محمد عبده ، والقوي الشنقطي ، والشاعر البارودي ، وأولئك
الذين أنعم الله عليهم وأولئك الذين تأدبت بأدبهم وأخذت عنهم « اه وتقول ان
هذا المbarec بلغ ما في الكتاب من خيال الشعر الفصيح ، ولغات الحكمة في التلويح ،
ثم ذكر صورة كتاب كانت عنده من السيد جمال الدين بخطه وهي

حبيبي الفاضل

تقريبك في شؤون الكمال يشرح الصدور المخرجة من حسراتها، وخوضك في
فتون الآداب يريح قلوباً علفت بك آمالها، وليس بمد هذا الارهاص الا الاعجاز
ولك يودئ التحدي، ولقد تمثلت اللطيفة الموسوية في مصر ككرة أخرى، وهذا توفيق
من الله تعالى ، فاشدد أزرها، وأجرم بما أوتيت من الكياسة والحدق أمرها، حتى
تكون كلمة الحق هي العليا، ولا تكن كالذين غرهم أنفسهم بباطل أهوائها، وساقهم
الظنون إلى مهواة شقاءها، وحسبوا أنهم يحسنون صنفاً ، ويصلحون أمراً، ولكن عوناً
للحق ولوعلى نفسك، ولا تقف في سيرك الى الفضائل عند عجبك، لا نهاية للفضيلة
ولا حد للكمال ، ولا موقف للعرفان ، وأنت بفرزتك السامية أولى بها من غيرك
جمال الدين الحسيني الافغاني والسلام

﴿ الدقائق في الحقائق ﴾

ألف يعقوب أفندي جبرائيل مراد مترجم وسكرتير ادارة دائرة بالينودرأنت
باشا بكفر الدوار كتاباً سماه بهذا الاسم أودع فيه أفكاره في النفس والروح
والقدرة الآلهية والأديان وقد أهدى اليها نسخة مطبوعة منه فظننا في بعض صفحاتها
من أوائلها وأواخرها فرأينا فيها فكرة حسنة سبق المؤلف فيها أناس ولكن لم يأت
بها تقليدا بل هداه اليها النظر والفكر فتقبلها بقبول حسن بل أدهشه حسنه وجمالها،
وراعته عظمتها وجلالها ، فملك قلبه ، وفتنت له ، حتى ظن أنها الهيم، فأضه عليه
فوانجلال والاكرام ، لان مثلها لا يأتي من الفطنة ولا يستفاد بالتعليم ، كما قال عاشقنا
يوسف « ما هذا بشراً ، ان هذا الاملك كريم » ثم صرت منها عدوى لا فتان بها،

الى الهيام بالمبارة المؤدية لها، فتجبل ان الاعجاز ينطوي في كلامه، الماشر لاهلها
أو المعبر لاهلها،

اما الفكرة المحسنة فهي الجمع بين الكتب المنزلة - التوراة والزبور والانجيل
والقرآن - وازالة التفرق بين متبعيها . هذا مادعا اليه الاسلام ونادى به القرآن، وهو
وحي الرحمن، فكل من دعا اليه فقد دعا الى المقصد الحق وان أخطأ في الوسيلة
ولا بد لكل قول من تأثير في نفوس مستعدة له فاذا كان في الناس من يمد هذا
الكتاب كما قال الاستاذ الامام في بعض الجرائد « نوبات عصية » فلا بد ان
يوجد فيهم من هذه حكمة مرضية

﴿ القول المتين . في الرد على المخالفين ﴾

رسالة للشيخ قاسم بن سعيد الشاخي صاحب مجلة نبراس المشارقة والمعارفة
طبعت في العام الماضي واهدانا نسخة منها في هذه الايام فرأينا في فاتحتها أنه
يود فيها على مجلة اسمها الاسلام يصدرها في بعض الاحيان رجل اسمه الشيخ
احمد علي الشاذلي وكأن الشيخ قاسم ظن أن هذه المجلة شأنًا، وأولما تكتبه وقها،
فعني بالرد عليها وما هي مما يرد عليه، ولوعرف حقيقتها، لما بذل شيئًا من الزمن في
قراءتها بله الرد عليها، وقد التفت الينامرة نسخة منها قيل لسان فيها ردا علينا فلم
يحركنا ذلك الى تناولها حرصا على الوقت ان يضيع في قراءة شيء منها . وقد
وقع نظري في هذه الفاتحة على اسم المنار فقرأت اسطرًا من الكلام الذي ذكر
فيه فاذا هو حكاية عن رجل هندي انكر على المنار انكار التقليد والدعوة
الى معرفة الدين بالادلة . عرفت ذلك الهندي وما هو هندي ان هو الارجل
مصري كان يبيع الكتب في اسواق مصر وشوارعها وملاهيها - كما قيل لي - ثم
طوحت به الطوائف الى كلكتة وهناك عين اماما في مسجد وما هو ممن يحصل
بقوله ولا باعراضه فمسي أن يسامحي الشاخي اذا لم اجبه الى قراءة ما كتبه في
هذه الرسالة وقد علمت أنه دافع عني فانا اشكر له ذلك وأسأل الله لي وله التوفيق

﴿ فتاة مصر ﴾

قصة وضما الدكتور يعقوب أفندي صروف وجعلها ذيلًا للمتنسلف في مجلد

سنة ١٩٠٥ وهي قصة لا كالقصص فإن أكثر القصص لقوموا عساه يوجد فيها من الفائدة فهو كما قيل في الحروب « درهم عمل في قطار خشب » وأما هذه القصة فكثيرة الفوائد وترجع فوائدها الى شيئين عظيمين أحدهما مالي والاخر أدبي اجتماعي . أما الأول ففيه بيان مكانة المال في هذا العصر وقوة رجاله وما لهم من السلطان في عالم السياسة حتى صور الكاتب ان الحرب اليابانية الروسية ما أشعل نارها الا رجال المال في أوروبا . وفيه بيان تلاعب رجال بيوت المال المعروفة (بالبورص) بالأغنياء وابتزاز أموالهم بالأكايد وفي ذلك عبرة لأغنياء مصر المتفوقين بالبورصة والقمار ان كانوا يعتبرون . وأما الثاني ففيه تصوير لماشرة الرجاء من المسلمين والنصارى واليهود بعضهم لبعض ورغبة بعضهم في مصاهرة بعض . وجمل من رجال القصة شيخا عبر عنه بالشيخ أحمد والامام أحمد كلن يرجع اليه في المسائل التي لها علاقة بالاسلام فيذكلم بالحكمة وما يليق بالاسلام من حب الألفة والسلام - وقد انتقد الناس من القصة بعض مجامع في موضوع ألفة الطوائف ورغبة بعضها في مصاهرة بعض زاعمأن فيه تمثيلا لا ينطبق علي الحقيقة فإن صح هذا صح ان يجب عنه بأن القصص النافعة قسمان قسم بصور الواقع لمعرفة التاريخ وقسم بصور مع الواقع ما ينبغي أن يكون كأنه كائن واقع ترغيا فيه أو إيلافا له وتقريبا منه

وجملة القول ان القصة مفيدة وقد طبعها على حدتها اسحاق أفندي صروف
أحد محرري المقطم وهي تطلب منه ونعنا عشرة قروش
﴿ مرآت علوم ﴾

مجلة تركية تبحث في العلوم والفنون وشؤون الاجتماع أنشأها فئة من الكتاب الفضلاء وعهدوا بإدارتها الى أحدهم رفيق بك العظيم الشير والقرض الأول منها إسماعيل مسلمي روسيا في نهضتهم العلمية الجديدة فنحس قراء الألفة التركية العذبة في كل مكان على الاشتراك في هذه المجلة وقبيلته أربعون قرشا في السنة وهي قليلة جدا لانني بنفقات المجلة الا اذا كثر المشتركون كثرة عظيمة وأحسنوا الأداء

سلام الاسلام

رسالة للشيخ محمد نسيم العازار كتبها لبيان ما تنويه دول أوروبا وتحاوله من ابتلاع بلاد المسلمين وطريق تلافيه . اما الكاتب فهو من بيت العازار من (اميون) بلدة أو قرية في الكورة من أعمال جبل لبنان وهو بيت معروف بالوجهة يدين بمذهب الارثوذكس من مذاهب النصرانية وقد دخل الكاتب في الاسلام من عهد قريب دخولا رسمياً في محاكم مصر انشريعة وهو شاعر ناثق فرأى أن يكون أول ما يخطه بعد الدخول في الاسلام انهاء هذه المسلمين بالنشر والنظم وبيان رأيه السياسي في أمرهم . وأما هذا الرأي فهو ما قاله في رسالة (سلام الاسلام) بعد التهيد له وهو (كما في ص ٩ و ١٠ و ١١ منها)

د ان ما يجب عمله بسيط جداً ولكنه في بساطته يضمن للاسلام عموم القاطنين في انحاء الارض جميعها والمستظلين تحت ظلال اعلام دولهم وألوية الدول الاجنبية راحتهم وسادتهم وذلك العمل هو :

د أن يشكل الاسلام مجلساً نيابياً يواف من كافة المقاطعات الاسلامية وغير الاسلامية فينتخب له رجال سياسيون قد خبروا الدهر فحنكهم وعلماء عاملون لا توجهم شدة ولا تمتدحهم معضلة ولا تبيهم غاية وتجمل اقامة هذا المجلس في مدينة تطلق يديه لاعماله الجلية وتقرّب المواصلات بينه وبين أهل تلك المقاطعات النائب عنها والمشكل من رجالها لثبوتهم عن مصالحهم وحقوقهم ابان الضرورة وفي كل حين ومكان .

أما فضائل هذا المجلس وأعماله فكثيرة وعظيمة الفائدة وبما أن المقام لا يسمح باستيعابها كلها فاقصر على ذكر الاخص منها الذي يبين الغاية المقصودة من تشكيله والنتيجة المطلوبة التي يوتيها وبذلك كفاية لأولي البصائر الذين لا اخالهم يتقاعدون عن الاهتمام بتأليفه في أقرب وقت ممكن لكيلا تفوت الغاية منه والفرصة السانحة له .

أولاً : ان تشكيل هذا المجلس من تلك الاجناس المختلفة يجعل جامعة حقيقية للأمم الاسلامية المرتبطة بالدين ارتباط الاجسام بالاعصاب والشرابين

ثانياً : يجب لتلك الأمم المتباعدة بالوطنية رابطة سياسية تجمع أوطانهم الى وطن واحد ومصالحهم المتباينة الى مصلحة واحدة هي : الدفاع بالاشتراك والتعاون عن راحة الاسلام وسلامة كيانهم بين الأمم الحية الراقية .

ثالثاً : يحسن أخلاق الافراد ومشاربهم فيقوي الصالح فيهم وينقي الفاسد منهم ويجلب النافع لهم وبالجملة فانه يحلهم أمة عصر النشاط والقوة والكمال رابعاً : يسبل سبل الرقي الأدبي والمادي بأنواعهما ويمهد طرق الإصلاح في الممالك الاسلامية المتفترقة للإصلاح الذي يرفع شأنها بين العالم ويؤيد كيانهما أبداً .
خامساً : يدافع عن حقوق الأمم الخاضعة للدول الأجنبية أمام مجالسها الدولية في عواصم ممالكها اذا ما اهنضت تلك الحقوق في مستعمرة من المستعمرات أو لحق بتلك الأمم شيء من الاستبداد فيها الذي لا تخلو منه مملكة من الممالك المختلفة الاجناس والمذاهب

سادساً : يمد سبيل انضمام الممالك الاسلامية المستقلة الى بعضها واستقلالها في ظل أكبر مملكة بينها « ولا شك في أن أكبرها الدولة العثمانية المشيدة الاركان » كما انضمت الى بعضها الممالك الجرمانية والولايات الاميركية وكثير غيرها واذا كان ثم مانع لانضمامها فلا أقل من أن يؤلف بينها ويجمع كلئها المتفرقة فتتضامن وتتكاتف على العمل معاً وواحدة من هاتين الحاليتين كافية لجعل هذه الدول الضعيفة بازاء الدول الاوربية دولة واحدة عظيمة السلطان منيعة الجانب تقسم السراء وتشترك مع بعضها في الضراء »

(المنار) هذا الرأي ليس بدعاً من الآراء كما يحسب الكاتب بل هو مسبوق بتصوير أقرب الى الحصول ، ودعوة أجذب للقلوب وأخبل للعقول ، واحتراس بحول دون مناهضة الاعداء ، وتوهم معه مفاضية الأعداء ، ومصادف شيء من ذلك استمداداً ، وما كان الا هداية لبعض العقلاء ورشاداً ، وان أبعد المسلمين عن قبول دعوة الاتحاد ، ملوكهم وأمراءهم المفتونون بالاستبداد ، فما قال انه « بسيط جدا » هو مركب تركيياً لا سبيل الى تحليله ، ولا استمداد فيمن دعوا اليه قبوله ، وان الأمن في إصلاح أكبر هؤلاء المستبددين لدولته ، ورفقته

لشعبه ورعيته ، قد أصبح من الاخلاص والاماني ، أو من قبيل الصفاء والحل
الرفي ، فكيف نرجو من هؤلاء المحررين ، عناية باقامة بناء المسلمين ،
الا انه لاسلامه للمسلمين من البلاء المؤسد ، والمدور الواقف لهم في كل
مرصد ، الا في تربية الأمة المليية ، وجهها بين العلوم الكونية والروحية ، وامانة التقليد
واحياء اللغة العربية ، ثم اتفاق شعوبهم في كل قطر مع سائر الشعوب ، على حفظ
الموجود واسترجاع المألوف ، والزام حكوماتهم بقوة الاتحاد ، على استبدال العدل
بالاستبداد ، مع القاء الطاعة اليها ، وتأمينها من تفضيل غيرها عليها ، فان هذا
شرط لامكان العمل الواجب ، لا سيما في الشعوب التي تحت سلطة الاجانب ،

﴿ كتاب السجل المصري ﴾

يؤلفه علي أفندي يوسف الكريدي كتابا بهذا الاسم قال في وصفه « كتاب
دوري يصدر في منتصف كل شهر أفرنجي مشتملا على كل ماحدث في الشهر السابق
من الحوادث والوقائع وأعمال الحكومة من أواخر عاليه ومنشورات ولوائح وتنقلا
ورتب ونياشين ووفيات ومواليد وأفراح الخ » وقد صدر الجزء الأول من السنة الأولى
وهو لشهر يناير فكان هذا الكتاب ملخص لأخبار الجرائد اليومية رسمية وغير
رسمية يعني عن حفظها لأجل ما فيها من أخبار التاريخ وقد بلغت صفحات هذا
الجزء ١٨٤ صفحة صغيرة فإذا ضربناها في ١٢ كان الحاصل ٢٤٠٨ وذلك تاريخ
لأخبار السنة « جامع للذرة ، وأذن الجرة » وقيمة الاشتراك فيه الى سنة كاملة ٦٠
قرشا وثمن كل جزء منه خمسة قروش على نسبة الاشتراك

﴿ الاحياء ﴾

مجلة ذات ثمان صفحات انشئت بالجزائر في غرة هذا العام (١٣٢٥) وهي
تصدر في الشهر العربي مرتين ، قيمة الاشتراك فيها أربعة فرنكات في قطري الجزائر
وتونس وفي جميع بلاد فرنسا وخمسة فرنكات في سائر الممالك وقد كتب عليها « مجلة
اسلامية أدبية اخبارية » ولكن لم يكتب عليها اسم منشئها ولا مديرها ولا محررها
والعبرة عند المحققين بالقول لا بالقائل واتاقد سرورنا بهذه المجلة ونسأل الله تعالى
ان يجعلها نافعة للمسلمين ، وحجة على الذين يتفقدون في هذه البلاد وغيرها ان الحكومة

الجزائر تضرب بين مسلمي الجزائر وبين العلم والدين جميعا لا تخفى اذ لاحجة أقوى من العمل المشهود ، والامر الموجود ، كائنا على ذلك فيا مضى . وانا نعتقد انه لا سبيل الى التآلف بين فرنسا وبين المسلمين الا هذه السبيل فمضى الله ان يوفق بين الحكام والحكومين لهم بما فيه الخير والمصلحة للانسانية

﴿ شوراي عثماني ﴾

جريدة سياسية أصدرتها في القاهرة جمعية الشورى العثمانية التي تكلمنا عنها في آخر المجلد التاسع لتكون اسمها الناطق بدعوتها ولذلك جعلتها بأشهر اللغات التي يعرفها قراء العثمانيين وهي التركية والعربية في الاكثر والفرنسية والارمنية والرومية أحيانا أي أن كل عدد منها يكتب بعدة لغات وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات أو أربعون قرشا مصر يا وقد رأيناها أقرب الى الاعتدال من سائر ما رأينا من جرائد أحرار الترك وطلاب الإصلاح ورجو أن تلتزم الاعتدال دائما لأنه أقوى تأثيرا ، وأكثر نصيرا ، هذا وإن الاشتراك في هذه الجريدة والسعي في نشرها يعد خدمة للدولة العلية وللأمة العثمانية للشخص معين لأن ما يأتي من الجريدة ينفع على الجمعية وجميع أعضاء الجمعية ومحرري الجريدة يبذلون المال مع الوقت في هذه السبيل

﴿ جريدة الاخبار ﴾

كان الشيخ يوسف الخازن انشأ منذ بضع سنين جريدة سياسية سماها (الاخبار) نشرت زمانا وطولت زمانا وقد عاد صاحبها الى نشرها في هذه الأيام فسر بذلك المعارفون بمسألة الخازن في هذا العمل واستمداده القوي الذي ارتقت به التجارب وحرية قلمه في التعبير عن رأيه . وقد أختار ان ينشرها في الصباح ، فتمنى له أحسن الفوز والنجاح ،

﴿ الجريدة ﴾

كنا ذكرنا في الجزء السادس من المجلد التاسع (ص ٤٧٧) خبر تأسيس شركة من وجهاء القطر لإنشاء جريدة يومية وأهم اختاروا ان يسموها (الجريدة)

وان بعض أصحاب الصحف ارجفوا بهذه الجريدة وأماوا الظن بها من حيث
نمسته ويسرنا أن ننوه بصدورها في أول جزء من هذه السنة مصدقة لظننا
مكذبة لظنون المرجفين ، يسرنا ان نذكر في جزء واحد خبر ظهور مشرعين
عظيمين كان شيخنا الامتاذ الامام روح الله روحه متوجهاً الى القيام بهما في آخر
حياته ، وقد علم القارئ انهما مدرسة القضاة الشرعيين وهذه (الجريدة)

صدر العدد الأول منها في ٢٤ المحرم (١٩ مارث) والشمس مقبلة على
مخرج الحمل والارض تستقبل الربيع الذي هو خير الفصول وأبهجها فكان ذلك
قالاً بأن (الجريدة) ستكون عنوان حياة أدبية بهيجة كما تستجد نشأة الحياة لكل
حي في هذا الفصل البهيج . وقد اتفق اجتماع شهر المحرم بشهر مارث لأول مرة
من تاريخ الهجرة الشريفة في عام ١٣ وفيه أمر أبو بكر بعد استشارة الصعابة
(عليهم الرضوان) بجمع القرآن في مصحف واحد . وفي ذلك ما فيه من الحياة
الدينية والدنيوية فهذا قال آخر روحاني أحسن من ذلك قال الطبيعي . وإن
ثبت ان أزيدك فكاهة تاريخية أخرى أذكرك بأن عمرو بن العاص بنى
مسجده - وهو أول مسجد أسس في مصر - في ٢٣ المحرم وهو اليوم الذي
وضعت فيه الجريدة في المطبعة وان صدرت في اليوم الثاني

اقتنح العدد الأول من الجريدة بفاتحة بلغة لمديرها أحمد لطفي بك السيد
قال فيها :

« ولقد اختلف القوم في أمر الجريدة منذ وضع مشروعها وقدر بعضهم لها
مذهباً ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، ولو أنهم صبروا حتى يخرج اليهم لكان خيراً
لهم وأجدر بحفظ الكرامة لكبراء رجال وطنهم وأدنى الى عدم الفت في أعضاء
الجامعة الوطنية ولكنهم لا يصبرون

« ولو وقف الأمر عند غير العالمين لكان ولكن بعض الكتاب أبي الا أن
ينقص الجريدة قبل ظهورها فخلق لها نسباً لا تعرفه اذ يقول أنها أنشئت بوحى من
جناب اللورد كرومر وأنها مشحونة الى طرف دون آخر على أنها من كل ذلك براء
وبها يك من الأسراف انما نمر بذلك المعامز مرا اذ لا قصد در شبهة ولا أن

قف بأحد موقفنا أظهرنا فيه على صاحبه أخسرها لوقته . وكل في حل عما قال —
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر »

ثم ذكر اختلاف الناس في الرأي بطبعهم ومكان الصحف من التدبير بما
يكون الرأي العام في البلاد الحديثة المهد بالرقى ثم حاجة الصحف الى الرقابة
عليها من الجماعة وكوت أولى الجماعة بذلك الشرفاء بالفضل أو علو النسب
كوسسي الجريدة ثم قال في هؤلاء المؤمنين :

« ولما انهم كثيرون العلاقات بالحكومة بسبب مراكرهم واشتراكم فيها في
كثير من الأعمال العامة ، وأن أمثالهم لا يجسمون لسهل ذي أثر سياسي الا
احاطت به الشكوك رأوا ان يكشفوا الحكومة في أمر المشروع دفناً لتلك
الشكوك المحتملة وأخذوا بأقوم الطرق الى نيل ما عساهم يطلبونه من قهرهم معوج
أو اصلاح خطأ لان الحكومة قد تعجب الطلب مما يهون عليها اذا أقمت بأنه
لمصلحة الأمة .

« وإن أسهل سبل الاقتناع وأكدها في الوصول الى الغرض هو سبيل المحاسبة
التي لا تنجر الى ترك حق أو تزوين باطل وهي أجلى مظاهر الاعتدال الذي يجب
ان يكون دعامة العلاقات بين أمة وحكومة كلتاها في طور التكون . لتلايق
بينهما من الجفاء ما يجب الحكومة عن الوقوف على مواطن المصلحة وآمال الأمة
ويجب الأمة عن الاطلاع على مقاصد الحكومة فتعطل بذلك أسباب الرقي
التي يتوقف عليها على اشتراك الطرفين »

والجريدة أحسن الجرائد اليومية ورقاً وطبعاً والطفها شكلاً لأنها وسط بين
كبراها وصغرها وإن عثر بعضهم عنها بلفظ الصفر أو الأصفر وليست الكبرى باكثر
منها مادة لان الجريدة ليس فيها الآن إعلانات ثم ان اشتركا كما أقل من اشتراك
صغرها وهو ١٢٠ قرشاً في السنة لاهل القطر المصري و ١٥٠ قرشاً لسائر الأقطار

(جريدة المجانب) أتمت هذه الجريدة سنتها الخامسة ودخلت في السادسة
وبدلت انظمامها على أنها من الجرائد الحية الثابتة فتستفي لها طول البقاء ، مع التوثيق
لما يفيد القراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ علماء تونس ومصر ، وجامع الزيتونة والازهر ﴾

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان مسلمي تونس سبقونا (يعني أهل الازهر) الى اصلاح التعليم حتى كان ما يجرى عليه في جامع الزيتونة خيرا مما عليه أهل الازهر . ولا عاد من سفره الاخير الى تونس كتب مذكرات عن حال التعليم فيها وجاء يعض الاوراق الرسمية في ذلك وقال لي غير مرة اني سأعطيك ما عتدي في ذلك لأجل أن تضم اليه رأيي ومآواه وتنشره بالمنار في مقال يكتب في المقابلة بين جامع الزيتونة والجامع الازهر . وكنا نرى أن هذا مما يجب في شرعة الاصلاح على التراخي ولكن أجل المصلح لم يكن على التراخي بل عاجله الاجل قبل أن يفرغ من الأهم الى هذا المهم

وزراء تونس من العلماء

ذكرنا بهذا ما رأيته في الجرائد التونسية الاخيرة من خبر وفاة الوزير الاكبر وجعل وزير القلم والاستشارة خلفه وجعل رئيس محكمتي الاستئناف من قبل خلفا لهذا . فالوزير المتوفى كان ناضيا في العلوم العربية والدينية اذ تلقاها في جامع الزيتونة حتى قيل انه يعد من طبقة أهل الترجيح في الفقه وكذلك وزير القلم الجديد وهو الشيخ يوسف جعيط فهو من أشهر المتخرجين في ذلك الجامع وقد درس فيه ثم اشتغل بالسياسة وتقلب في المناصب حتى صار اليوم وزير القلم والاستشارة فهذان الوزيران قد دخلا باب السياسة وهما شهبان زيتونيان بكل معنى الكلمة - كما يقول الفرنسيون - حتى ارتقيا الى منصة الوزارة فهل يحظر في بال أحد من مدرسي الازهر أن يستمد مثل ذلك حتى يكون أهلا للوزارة أو لا دونها من أعمال الحكومة ؟ كلا ان احدا منهم لا يفكر في مثل هذا الاستعداد ولو فقه أحد منهم لكن خيرا لهم وأشد كسبا في العلم والدين فان لم يولوا من

تلك الاحوال شيئا لان نظام الحكومة المصرية لا يسمح بذلك فربما كانوا انفع
لأمتهم مع البعد عن الحكومة منهم وهم لها عاملون

هنا ينظر في البال ان سعد باشا زغلول ناظر المعارف العثمانية بمصر كان
ازهريا وقد ارتقى في الحكومة الى أعلى مرتبة في القضاء ومنها الى الوزارة وبنى
الازهرين فآخرون به لاسيا بعد أن رأوا الامة متهتجة والجرائد متفكة على البناء
عليه عند ما ولي الوزارة والحكومة نفسها تكاد تمن على الامة باختياره ولكن سعد باشا وزير
المعارف بمصر ليس عريقا في الازهرية كعراقة الشيخ يوسف جعيط وزير القلم
والاستشارة بتونس بالزيتونية فان الشيخ يوسف تعلم في الزيتونة على الطريقة المألوفة
راضيا بها حتى صار مدرسا وقرأ المطول فيه درسا وهو أعلى كتب البلاغة والازهريون
يقرون مختصره لأهل النهاية ويمتحنونهم به . وسعد زغلول صاحب الاستاذ
الامام في أول المجاورة وأدرك السيد جمال الدين فأخذ عنها واعتقد في أول
نشأته العلمية ان طريقة الازهر في التعليم رديئة ففتح الحكيم المصلحين قبل أن
تطبع الطريقة الازهرية ملكتها في نفسه ولم يرض ان يجرى عليها الى متنى
شومها ويأخذ شهادة العالمية ويصير من المدرسين بل أخرجه الاستاذ الامام من
الازهر عند ما ولي هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية وجعله محررا معه ثم كان من
أمره ما هو معروف . ومنه أنه تعلم اللغة الفرنسية وهو قاض ودرس علم الحقوق بها
حتى أدى الامتحان في فرنسا وأخذ منها شهادة (الليسانس) وهو يعد مثل المطول
والمختصر من الكتب التي تبعد عن البلاغة ونحول دون ملكتها . على اننا لا نقصد
الآن الى بيان طريقة التعليم في الجامعين والمفاضلة بينهما وإنما غرضنا من المقابلة
والتنظير امران (احدهما) بيان ان العالم الديني اذا اختبر الاحوال العامة ونظر
في طرق نظام الحكومة التي تتولى أمره وتناول شيئا من العلوم الدنيوية يكون
أقدر على خدمة بلاده وأمته سواء تقلد الاحكام الدنيوية أم لم يتقلدها وقد كان
كثير من الناس يعتقدون أن الاستاذ لو ترك خدمة الحكومة ومنصب الافاقه
لأمكنه ان يعمل للأمة الاسلامية عامة وللشعب المصري خاصة اضعاف ما كان
يعمل وهو في الحكومة (وثانيها) التنبيه الى شيء من الفرق بين تونس ومصر

في حال علماء الدين ونسبتهم الى الحكومة . وإليك ما هو أبلغ من ذلك
جمعية طلاب جامع الزيتونة

ألف بعض النباه من جامع الزيتونة جمعية يعلم غرضهم منها من الخطبة الآتية
وقد ساعدتم على ذلك بعض شيوخهم الفضلاء . وقد اجتمعوا في اليوم الرابع من
هذا الشهر (المحرم) في المدرسة الخلدونية للذاكرة في قانون الجمعية وحضر اجتماعهم
هذا كثير من كبار المدرسين وكانوا قد اختاروا أحد العلماء رئيساً لعمليهم في التأسيس
وضع القانون وهو الشيخ الطاهر النيفر فافتتح الجلسة بخطاب بليغ في الموضوع .
فقام الشيخ الحضري بن الحسين من العلماء الحاضرين فشكره وللتلاميذ الذين
نهضوا بهذا العمل النافع . ثم وزعت الرقاع لانتخاب رئيس وأعضاء للجمعية
فأجمعت الآراء على اختيار الشيخ محمد رضوان للرياسة وهو من العلماء الفضلاء
أصحاب الرأي والروية كما يؤخذ من بعض الجرائد التونسية وفيها أنه متقن
لغة الفرنسية . ولا يترقب طلاب الأزهري مثل هذا العمل

ورأينا في جريدة «لسان الأمة» التي صدرت حديثاً في تونس صورة خطبة
للشيخ محمد النخيلي من كبار العلماء المشهورين كان ألقاها ليقبها في هذا الاجتماع فقال
دون ذلك ما من من الحضور فأحببنا أن ننشر هذه الخطبة برمتها لئلا نمان الحرص على
معرفة آراء علماء الدين في الأمور الاجتماعية ولنا فيها من بيان حقيقة الجمعية وهي:
« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا »

أيها السادة العلماء والافاضل الأعيان

يحسن في هذا المقام ان أصدر هذا الخطاب الوجيز بكلمات حكيمة سارت
سير الامثال : ليس احد باقل من أن يمين ولا باكبر من أن يمان . لا تكال
الرجال بالقرآن ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، لا بقميصه وطيلسانه .

ليس الحداثة في سن بماناة . قد يوجد الحلم في الثبان والشيب
وهي أمثال اذا تاملنا معانيها ، وتدبرنا مغازيها ، اكتسبنا حسن الظن وكامل الثقة

بالمشروع الذي هياه لنا أذاؤكم بجامع الزيتونة وقضت علينا أن نعد لهم يد المشاركة والمساعدة لإحداث مشروع افنكره هؤلاء التلامذة ولزنا بمقتضى قاعدة الانصاف التي هي أخص حلاكم التي نعلم بها أن تظهر ضمايرنا من احتقار الافكار وان نلاحظ المصالح بقطع النظر عن مصدرها بعين ملوها التوقير والاغيار هذا وان نحب من ناشئة تلامذة الجامع الاعظم دار العلوم الشرعية ادم الله عمرانه وشيد محسن عنايتكم أركانه انبهت فيهم شعور شريف فوض بجزائهم الى المشروع في تأسيس جمعية تحت اسم (جمعية تلامذة جامع الزيتونة) واقترحوا على العبد المجاز ان ألقى خطابا في الموضوع ونتائجه واخووا وقالوا ان المؤمن أخو المؤمن وحقا ما قالوا .

أيها السادة: لا أقصد بهذا الخطاب أن أعلمكم ما تجهلون، أو أفيدكم ما أنتم عنه غافلون، وإنما هو ذكرى لكم ببعض ما تعلمون، والذكرى تنفع المؤمنين، وتوكد يقين المستيقنين

ليست السنة التقليد للغير هي التي تأمرنا بل شعنا ومديد الاعانة لبعضنا واقامة التعارف مقام التناكر، والتواصل مكان التفاضل، حتى نحبي رابطة العلم أو نهني هذا الشعور بل لسان الدين الحنيف الذي نزاول علومه آناه الليل وأطراف النهار في هذه المدرسة الزاهرة هو الذي بأمرنا بذلك في عمومته وخصوصه، وتصريحه وتوجيهه، لمن سبر أغواره، واستقرأ آثاره، كيف ولا يعزب عنكم ذلك وأتم علماء الدين وحلة الشريعة المطهرة .

الم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مجالس يحضرها أصحابه الكرام وكانت تلك المجالس مجالس هدي وإرشاد، وتعميم فقع للعباد، وكانت أحيانا مهبط الوحي فيها يتلقون تعاليم الدين، ومنها يصعدون فائزين، وكذلك خلفاؤه الرشدين من بعده واذا كركم بنادي عمر بن الخطاب فانه كان غاصا بالشيوخ والكهول والشبان وكان يقول لا يمنع أحدكم حادثة السن ان يدي رأيه في هذه النوادي يتعارفون ويتواصلون بالحق، ويتواصلون بالصبر، ويتعاونون على البر والتقوى .

أما اذا أردنا ان ثبت ما للجمعيات من الفوائد العامة والخاصة بلسان التاريخ

فان البحث في هذا الموضوع يستدعي حشد مجلدات مما تأسس في العالم المتدين من الجمعيات وما كانت لها من النتائج على اختلاف الاحزاب والمقاصد حتى بالحاضرة التونسية . نحن وان كنا يجمعنا الجامع متفرقون، وان وجدينا رحم علم فمع الحق يقال متقاطعون، ولا أكلمكم إلا للمشاهدة وربما كانت المشاهدة تفصح لكم عن الحالة الحاضرة أكثر مما أفصح لكم عنه هذا البراع الكليل . هل علمنا بالآية التي نرجنا بها هذا الخطاب ؟ هل علمنا بقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » ؟ هل علمنا بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تبغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » ؟ هل علمنا بقوله صلى الله عليه وسلم « الا أخبركم باحبكم الي وافر بكم مني مجالس يوم القيامة ؟ أحاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يأتون ويؤفون » ؟ ونحن أبناء العلم الديني أحق بالعمل، هل نحن أبناء العلم تألف ونؤلف ؟ وهو من صفات الاحيين الاقربين ؟ أظن ان المجاعة بلغت بيتنا النهاية والمنافرة من غير سبب شرعي رمنا الى أبعد غاية

فهل بنا الى العمل بديننا القويم . وأن يصافح أحدا لا آخر مصافحة الودود المخلص الكريم كما جاء ذلك في حديث صاحب الخلق العظيم عزه اخواننا في الدين وأبناءؤكم في تلقي علومه على احداث هذه الجمعية المباركة ودعوكم للانتخاب والمشاركة في العمل . الفرض من هذه الجمعية :

أولا - ايجاد روابط الافة والوداد بين كل من أنبت هذه المدرسة الاسلامية
ثانيا - تمكينهم من وسائل التعاون بينهم على ما فيه مصلحتهم العامة والخاصة
ثالثا - اساعاف فقراء التلامذة وصونهم من مضيئة الاجتال التي يعيشونها

اليوم بفضل الاهمال والقفلة

وأتم تلون أن قسما عظيميا من تلامذة جامعا الزينة كادوا يتكفون وأنهم لا يجدون القوت الضروري الا بطرق ممتنة لأرضاهما سرة العلم بل والكرامة الانسانية وان قسما ههما منهم يسكن حيث مرابط الحيوانات المدة لذلك لان عدد المدارس التونسية تتكاثر التلامذة صار غير كاف لايوائهم أجمعين وسيكون هذا الموضوع أم المواضيع التي تتناول الجمعية البحث فيها ونطرق أبواب المساعدة

من هم الرجال لنوالها
هذا أنموذج من مقاصد هذه الجمعية وهي وأيم الله مقاصد سامية محتاجة
الى همم الرجال وبذل المال لانه قوام الاعمال فمن ساعد فقد ساعد مثلاً لا واسرائيل
المال في سبيل الله واستحق رضا الله وثناء الناس

الناس خصوصاً الجمعيات الاخر يزنون همماً ويقدرّون عزائماً بما يكون من
نتيجة هذا المشروع وما يحبطه من الفضل والخيرة - لا قدر الله - وهم ينتظرون
ما يكون في مشروع هياه أمثالكم فهل يقارنه النشاط فالعمل فالنجاح أو يقذفه
اليأس في مهواة السقوط فان كانت الاخرى - لا قدر الله - حققت ماخاص بعض
الاكتكار من ان حملة العلم الديني جوال بالحياة الاجتماعية بعداء بمراحل عن تأسيس
المشروعات الخيرية - لا قدر الله واستغفر الله -

أنتم أكثر من كل جمعية بتونس وأوفر عدداً فهل أنتم أقوى عدداً وأعلى همة
وأقوى استعداداً واسمي مدارك ونظراً للمصالح

منكم أهل المجلس العلمي الشرعي ايده الله ومنكم مدرسو جامع الزيتونة
الاعلام ومنكم قضاة الايالة ومفاتيها ومنكم مدرسوها وكثير من عدولها ومنكم
كثير من متوظفي الوزارة وجمعية الاوقاف وادارة المال فان فشلوا من قلة مني
كان هؤلاء الجماهير مساعدين على تحسين حال اخوانهم التلامذة متظافرين والامل
وطيد في بقية اخوانكم التونسيين ولا ينقصنا الا الاجتماع والتماضد والسعي والعمل
وهي نتائج المهم السامية والغيرة المتوقدة والانسانية الكاملة وأنتم أحق بها وأهلها
ونموذ بالله أن يصدق عليا قول الشاعر :

ما أكرم الناس لابل ما أقلمهم والله يعلم اني لم أقلم فندا

اني لأفتح عيني حين افتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

ونوجو الله الذي لا يخب الآمال ولا يشع من قرع بيد السمي أبواب الاستكمال

ان تكون جمعيتكم مصداقاً لقول الشاعر

ولله قوم كلما جئت زائراً وجدت قلوباً كلها ملئت حلماً

اذا اجتمعوا جاؤا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علماً

(المنار) نحيي الجمعية الزيتونية المباركة ونحمد الله أن وجد في علمائنا مثل هذا الخطيب وعسى أن يكون لطلاب الأزهر جمة مثلها

﴿ مشيخة الأزهر ﴾

قد علم مما كتبناه في باب التربية والتعليم عن الأزهر وهذه المدرسة أن الشيخ حسونه النواوي الشهير عين شيخاً للأزهر بسد اقالة الشيخ عبد الرحمن الشربيني من المشيخة وأنا نعتقد أنه أمثل كبراء الشيوخ الذين يرشحون لإدارة الأزهر ولعله لم يتول هذه المشيخة أحد في هذا العصر وكان مرشحاً عند الأزهرين وغيرهم إلا الشيخ حسونه في هذه الكرة فنسأل الله تعالى أن يجمل التوفيق رائده وقائده في إدارة هذا المكان ، الذي صار أمره شغلا شاعلا للمسلمين في هذا الزمان ، وهنا نسرّح بأنا لا نريد بمدح الشيخ حسونه نعرضاً بغيره ولا نفي بما سبق من الامتازين الكبارين البشري والشريني الاتهام شديداً بالمحافظة على القديم وهذا يوجد في كل أمة وزمن فكلنا مانيان للواقع مع احترام الشيعتين

﴿ مدرسة القضاة بين الأزهر والمعارف ﴾

قد علم القراء مما كتبناه عن الأزهر وهذه المدرسة أن أهل الأزهر في أمر مريح من هذه المدرسة وقد رأينا بعد ذلك في جريدة الحكومة الرسمية صورة كتاب أرسله ناظر المعارف الى شيخ الأزهر وصورة كتاب من شيخ الأزهر الى الناظر جواباً عنه فرأينا أن نقلها في المنار حاذفين كلمات الخطاب الرسمية وها :

﴿ الكتاب الأول من ناظر المعارف ﴾

تبين لي من المكالمة الاخيرة مع فضيلتكم ان هناك أوهاماً بشأن لأئمة مدرسة القضاة الشرعي ولذلك أردت أن أكتب لفضيلتكم هذا الخطاب ازالة لتلك الأوهام ان الفرض من هذه المدرسة هو تخرج قضاة متصفين بالاوصاف الحيدة جامعين بين المعارف الدينية الصحيحة والمعارف الدنيوية والقصد من ربطها بالأزهر ليس هو التداخل في شؤونه بأي وجه من الوجوه وإنما الفرض منه ان تستغل هذه المدرسة بطلاب الأزهر الشرع وان يكون للمتخرجين منها بواسطة اتسابهم اليه منزلة في قلوب العامة والخاصة حتي لا يجد المتقاضون امامهم حرجاً في صدورهم من قضائهم

ان القصد من الامتيازات التي نصت المادة الثانية على انها تكون لطلبة هذه المدرسة انما هي الامتيازات المعنوية لا الحقوق في المراتب والمرتبات فان طلبة هذه المدرسة لا يكون لهم شيء منها يقتضي هذه الامتحة بعد اتحاقهم بالمدرسة وعلى فرض أن يكون لواحد منهم أو أكثر حق في شيء منها بسبب شرط واقف أو غيره فان نظارة المعارف لا تدخل لها فيه وانما الشأن يرجع فيه الى مشيخة الأزهر دون سواها

انه لاصحة مطلقاً لما قيل من ان المراد بأصول القوانين الواردة في المادة الثالثة عشرة هو القانون الروماني وانما المراد بها مقدمة القوانين التي تشمل على تعريف القوانين وكيفية صدورهما ووقت وجوب العمل بها والحوادث التي تنطبق هي عليها وما أشبه ذلك من المبادئ الأولية للقوانين الوضعية التي لا يستغني واحد من القضاة الشرعيين وغيرهم عن معرفتها

ان لسيادتكم السلطة التامة في ابطال تدريس كل علم لم يكن وارداً في اللائحة المذكورة وكل درس يكون موضوعه القانون الروماني وسيادتكم الرأي الأعلى في نشر خطابي هذا على الأزهر حين اذا وجدتم في نشره فائدة للتحقيق ناظر المعارف

﴿ الكتاب الثاني من شيخ الأزهر ﴾

وصلني مكتوب سعادتك بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ مسفراً عن حسن نوابكم فيما جاء بمشروع مدرسة القضاء ما أنف منه بعض الناظرين وأزلتم بما أبتنوه والله الحمد الشبه التي كان يظن أنها تحتك بالأزهر احتكاك العادين فشكر الله منيكم وأحسن بياضكم وجزاكم عن الامة خيراً . وعهدي وآمال الناس - ولا سيما الأزهريين - بنظر المعارف ان يكون أول قائم بما يجب عليه أمام أمته وأمام أئمة الدين وأن يسود في وقته كل معهد من معاهد العلم ولا سيما معهد الأزهر الذي له اليد البيضاء على الافاضل من اكابر المسلمين . وفي الختام أسأل الله سبحانه ان يوفقنا وبإياكم لصالح العمل ٢٤ محرم سنة ١٣٢٥ خدام العلم والفقراء بالأزهر

حسونه التواوي

﴿ الجريدة والراء ﴾

زعمت جريدة الراء ان (الجريدة) ترى المحاسنة المطلقة في مطالبة الحكومة بمصلحة الأمة وقامت نعمتها على هذا الإطلاق ونكره عليها محتجة بأن حكومة مصر الآن حكومة أجنبية تظلم الأمة وتخقرها . . . والجريدة ما قالت بمحاسنة مطلقة كازعم صاحب جريدة الراء وإنما قالت بمحاسنة مقيدة بكونها « لا تنجر الى ترك حق أو تزين باطل » فهل نقول أن صاحب جريدة الراء لا يفرق بين المطلق والمقيد أم نقول انه لا يتحاشى أن يسمي المقيد مطلقاً عامداً متعمداً ؟ وإذا كان الثاني هو الصواب فهل يظن ان قراء جريدته لا يفهمون هذا الخطأ الصريح لأنهم من العوام الجاهلين ، أم يعتقد انه يرضيهم كل ما يقول لأنهم من المبطلين ، أم هو لا يبالي باعتقادهم بخطأه وان كانوا مصيبين ، ؟

﴿ تقریظ واقتراح ، من عالم شاب يحب الإصلاح ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
هنيئاً لك أيها المنار الأغر فقد قضيت تسع سنين أخرجت فيها الأمة من الظلمات وهديتها الى سبيل الرشاد الذي لا عوج فيه ولا أمتاء وخدمت الملة الحنيفة بما يخلده لك التاريخ ويسطره قلم اثناء « وسوف يمطيك ربك فرضى »
والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، لقد وضع بك السبيل ، واهتدت بك أفكار بعد ان هامت في أودية الاضاليل ،

جملت أكبر همك البحث عما يحيي عظام أمك وهي رميم ، واعتمدت على مبدع الكائنات حتى أنتج منك « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ولقد جاهدت في سبيل الله حتى هزمت أعداءه ، ونصرت أوليائه ، « هل يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله »

أفلم تدفع من الشبه عن الاسلام ما قد يدع الريب في حيرة ماله منها من محيص فشكراً لك بعد شكر ، وثناء بعد ثناء على مدبرك الرجل الوحيد الذي نصيك بهدي الساري في الليل البهيم ، ويرشده الى الصراط المستقيم ، ورضي عن والده

الذي استنار به فكره، وانشرح لتلقي المبادي الشريفة صدره،
ولك الهناء بالعام الجديد الذي سقرنا فيه ان شاء الله ما يذهلنا عن الماضي،
وفودلو يحملك حضرة مديرك بشيء من التاريخ مما فيه عظة وعبرة، وبضمنك
بنيد مما وعد به من تحصيل فصل لمقاومة تيار البدع والخرافات والتقاليد والمادات،
فان آخرما رأيناه في هذا الموضوع ما نشر في الجزء الثاني من المجلد (التاسع)
ولسنا نرجو لك من الله الا أن يطيل عمرك ويتم نعمته عليك (وهذا دعاء
للبرية شامل)

(المنار) نشرنا هذا الاعتقاد بأن كاتبه عبر عن مشوره وفكره في حب الاصلاح
وان نشره مما يزيد في هذا الشعور قوة والفكر رسوخا، ولما فيه من الاقتراح. فأما
اقتراح التاريخ فقد اقترحه آخرون بالقول ولعلنا بعد اعلم تاريخ الاستاذ الامام
نكتب في تاريخ الاسلام. وأما باب البدع والخرافات فسنعود اليه مرة بعد أخرى
﴿ تاريخ الاستاذ الامام ﴾

قد تم طبع جزء التأبين والثناء من تاريخ الاستاذ الامام وهو الذي كتبنا
في المجلد الثامن من المنار (ص ٦٤٠) انا شرعنا في طبعه قبل جزئي الترجمة
والمنشآت وقلنا فيه انه متى تم طبعه « نجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ
نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة » ومعنى قولنا « له الحق »
انه اذا طلبه يطعاه لا أنه يرسل اليه ومعنى تأدية القيمة تامة أن لا يكون أداها ناقصة
كحال البريد . اذاً كل من أدى قيمة الاشتراك في المنار في هذه السنة تامة
أي (٦٠ قرشاً) فله الحق بأن يحضر أو يرسل من شاء ليأخذ نسخة من الجزء الذي تم
وهذا الجزء كتاب مؤلف من ١٢٤ صفحة من كلام أشهر الكتاب والشعراء
في مصر والشام وتونس وغيرها من الاقطار العربية والشرقية مع تراجم أقوال
الجراند الفارسية والتركية والافرنجية - وكل ذلك في موضوع واحد وسنعين
ثمّة في جزء آخر وتضمن ذلك في الجرائد

أما جزء منشآت الامام فقد طبع منه نحو الجزء الذي تم وعظم لنا آثار غير التي
كنانها وما بقي دون ما طبع ونحن الآن شارعون في إتمامه وفي طبع جزء الترجمة

فيها الحكمة من يتعاون في ثلث الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يسكر إلا أولو الألباب

المجلد العاشر

١٣١٥

فمن ينادي الذين يستمعون القول فيتصرون أسوأ
أو تلك الذين هم أقدم وأقربهم أو أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوي و « منارا » قنار الطريق ﴾

﴿ مصر صفر سنة ١٣٢٥ - آخره السبت ١٣ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧ ﴾

﴿ باب المقالات ﴾

الهوى والهدى أو اللذة والمنفعة *)

يولد الحيوان ذا وجدانين متضادين — وجدان الله بما يلائمه ووجدان الألم بما يلائمه، وإحساس الطبيعة الحيوانية بالحاجة إلى الغذاء يسمى شهوة وهو يطلبه قبل وجوده ويلتذ به بعد أن يصيبه . فالشهوة هي الشعور الأول للحيوان واللهة هي الشعور الثاني والمطلب الأول . لا فصل في هذين الحيوان الأعجم والناطق . على : ان الانسان لا يولد ناطقاً بل يولد أشد عجيبة وأضعف شعوراً من سائر الحيوانات يتعلم وليد الانسان النطق بعد ولادته بأشهر فيمير عن شعوره وأدراكه ويتعلم من غيره بعض ما يجر به مما في نفسه ثم يتولد فيه الميل إلى البحث ومعرفة المجهولات

(* كتبنا هذه المقالة وما بعدها « قمر بدة » ونشرت فيها

ثم الفكر فيها تدركه مشاعره والتذكر والتخيل والقياس والاستنتاج وهي الفضة المعنوية تسوقه إليها شهوة عقلية ينفرد بالترقي فيها دون الحيوان الاعجمي وبذلك يميز بين النافع والضار ويحكم بوجوب طلب الاول وان كان مؤلماً كالدواء ، وانقاء الثاني وان كان مشتهى ومستلذا كالسكر والخمير ، وكالاسراف في اللذات النافعة . كما يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد ويرجع الحق على الباطل

يرتقي الانسان في التمييز بين النافع والضار والحق والباطل بالتدريج وربما بلغ أشده واستوى وهو يرى بعض النافع ضاراً وبعض الباطل حقاً ولا يحيط أحد من الناس خبراً بالنافع والحقائق ولو اشغفه فما قولكم دام فضلكم في الباحث عن النافع والضار لامة عظيمة أو دولة كبيرة

ترتقي معرفة الناس بالنافع والضار بارتقاء التربية الصالحة والتعليم النافع وانك لنجد أكثر المرتقين في تربيتهم وتعليمهم يؤثرون الفضة على المنفعة في كثير من شؤونهم وأحوالهم فما بالكُم بين دولتهم في ارتقاءهم

إيثار الفضة على المنفعة والباطل على الحق هو اتباع المهوى وعكسه هو اتباع المهدي ولو كان كل لذهب ضاراً أو كل نافع مؤلماً لهلك الناس باستحباب المهوى على المهدي ولكن أكثر الفئاد نافعة وأكثر المولكات ضارة والحق والخير محبين إلى النفوس البشرية طبعاً وانما يكرههما الجاهل بهما أو من تربى على خدعها حتى ملك الباطل أو الشر وجد أنه ، واستهوذ على نفسه استهوذاً . فليس في فطرة الانسان غريزة تصده عن الكمال في اتباع المهدي باختيار الحق على الباطل . ويرجع النافع على الضار ، فتبارك الفاطر الحكيم .

يحب الطفل اللب وهو نافع له وقد يؤثّر في من التعلّم فيظن الجاهل ان هذا إيثار لفضة على المنفعة لفساد في الفطرة وما هو بفساد في الفطرة وانما هو مظهر الحكمة فيها

لا يفر الولد من النظم الا اذا كان فيه ارغام لفطرة بتكليفه فهم ما هو غير مستعد لفهمه وذلك ضار به . أو بمنعهم من اللب النافع له ، أو بما ملته بالشدة العاتقة له عن كاله ، وهذا التحكم في عقله ونفسه كالتحكم في جسمه بسومه حمل الأثقال ،

ومصارعة الرجال ، وأكثر الناس يعرفون درجات قوى الأجسام ، دون درجات قوى النفوس والاحلام ،

جرب بعض الناس طريقة الحكمة في التعليم والتربية وهي الطريقة التي لا تخرج الناشئ عن طوره فتجعل الدارج يافعاً أو الطفل كهلاً - الطريقة التي لا تجعل الطبيعة مالا تحمل ، فنجذبوا الناشئين بسلاسل الفذة التي عرفوها ، الى جنة المنفعة التي جهلوها ، فانجذبوا طائعين مسرورين

هكذا يمكن للمربي الحكيم ان يجمع بين الهوى والهدى ولولا هذا الامكان لما قال النبي عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تباً لما جئت به » ولكن المربي الجاهل يدب الناشئ في الهوى ويقذبه بالفذة ويصور له الآلم أو الحرمان في المنفعة حتى يكون من الخاسرين

سنة الله في الأم تشبه سنته في الافراد فلأمة طفولة وتمييز وشباب واستواء . وهي نور قبل بلوغها سن الكمال الاجتماعي الفذة على الفائدة ، وتستحب المص على الهدى للجهل بوجود المصالح العامة ، وما يرفع الاقوام وما يضمنها ، وحينئذ تكون أحوج الى المربي الحكيم ، من الطفل اليتيم

مارتقاء الامة الأكثرية الحكماء والفضلاء فيها ومهما كثر هؤلاء فلا يكونون في سواد الامة الا عددا قليلا فأكثر افراد الأمم الراقية الآن يؤثرون الفذة ويسمون لها مصيها في عامة أحوالهم . ألم يأتك نأخساره من طبع كتب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع وفلسفة التربية والتعليم وهي أضع ما كتب حكاء الغرب في أرق أمه ؟ قارن بين هذا وبين الربح العظيم الذي يناله من يطعمون القصص الغرامية وغير الغرامية تعلم ان الدماء من كل أمة يقعون مواقع الفذة وينفرون من النافع اذا لم يكن مستلزما ولكن الامة المرتقية لا يروج عندها الضار بها وان كان لذيذا تربية الامم وارشادها أشرف الاعمال وأفضلها وأشقها وأعسرها ويموزع من العلم والحكمة والاخلاص والنزاهة مالا يموز غيره فان فتنه الهوى فيه لا يقاس بها فتنه حتى ان الملك العاقل من حلية هذه الصفات يتبع هواه في سياسة رعيته ، حتى يودي بشعبه ورعيته ، ولو كان خساره في ذلك موازيا لخسار الامة في مجموعها

آية من يتبع الهدى في ارشاد الامة أن لا يتبع فيه هواها ولا يتعمى ما يرضيها،
وان كان يرضيها، وان يكون كالطبيب يجرعها المر، ليقبها الضر، اذا تذكر أن تجذب
بالذات الى المنافع، كما يجذب بالذات الى الياض،

لا يؤمن الفرد من اتباع الهوى في سياسة الامة وارشادها عن علم أو جهل
لذلك جاء الوحي بوجوب جعل أمر المسلمين شورى بينهم وبذلك ارتقت الامم
المزينة. وينبغي لارشادها ان يسلكوا سبيل الشورى كما كتبها، فلا يستبد أحد
الافراد، برأيه في الارشاد، لهذا نرجو من هذه (الجريدة) من تحرير الفوائد،
فوق ما نرجو من غيرها من الجرائد، والسلام على من اتبع الهدى، ورجع
العمل على الهدى،

سنن الاجتماع

﴿ في الحاكمين والمحكومين لهم وجزأهم ﴾

طبيعة الاجتماع تقضي بوجود الحكام، ماقتضت بوجود النزاع والمصالح،
فاذا لم يتقلب على الناس من يحكم فيهم كما يشاء اختاروا هم لانفسهم من يحكم
بينهم كما يشاؤون، لأن ماقتضت به سنن الوجود واقع ماله من دافع

الحكم حاجة من حاجات الناس يقوم به بعضهم بالنياحة عن الباقيين فهو كسائر
الحاجات من العلوم والمهن والحرف كالزراعة والصناعة والتجارة التي يقوم بكل فرع
من فروعها من يكتفي المجتمع بها كما يقوم هو بسائر حاجاتهم ويكتفيهم ما أهمهم .
فالما يكون كثير هم من العاملين كل حرفة يقدم بحجج الانصاف التي يبرعها
بالشعب أو الامة من حيث يخدمونه « كل ميسر لما خلق له » ومسير الى حيث يسوقه
استعداده، فن سابق ومتخلف، ومن محسن ومسيء، ولكل جزاء، والجزاء اما
مال يكتفي أو بقي، وأما مال وجاء يعطي

جزاء الاعمال التي تطلبها طبيعة الاجتماع طبيعي مثلها ولولا ذلك لما اندفع
كل فريق الى السبل الذي يزين له استعداد جزاءه والقبطة به فن يطلب من

الجزاء الطبيعي على العمل أكثر مما تفرضه سنة الاجتماع من الجزاء عليه فهو باغ منتكب صراط الحق غير مقيم لميزان العدل اذ يطفف لنفسه ويغسر للأمة
البنفي في اقتضاء الجزاء يكون من الافراد ومن الجمعيات والأصناف فالاول لا تأثير له في افساد الأمة وثلافيه سهل وأما الثاني فهو البلاء الممين لأن قوة الاجتماع هي أعظم القوى . وأما يمتحق البنفي بتحديد قيم الاعمال والاشياء بتحديد اطيبيها (ان امكن) أو قانونياً ليكون متجاوز الحد هو الباغي الذي يجب ارجاعه عن بغيه
ينجع زيد في بغيه على عمرو اذا كان أقوى منه علماً أو جسمًا والحاكم يفضل بينها اذا رفع الامر اليه والا كان الراضى بالهضيمة مستحقاً لها جزاء على جهله ومن ذلك ما يقع كثيراً من الخوذية يطلبون فوق ما حدد لهم في (التعريفة) فالعارف يهدم ، والجاهل قد يتقدم ، والخطب في الامر ين سهل . وإنما الخطب الجلل أن يتفق صنف من الثائمين بأعمال المجتمع فيغيثون في طلب الجزاء . ومنه ما يعرف في هذا العصر باعتصاب المال ولكن هذا الاعتصاب يجري في أعمال لم تحدد أجورها بتحديداً طبيعياً ولا شرعياً ومسلك العدل في تحديد القانون له دقيق ولا أرى له وجهاً ترضى به طبيعة الاجتماع الا أن يكون النسبة بين كسب المالكين واجور العاملين ، ويأبى علينا هذا المقال ان نخوض فيه وبرضى لنا ان نرده الى الحاكمين ، لا نقول ان اعتصاب المال من البنفي ، ولا نقول ان فيه خطراً على الشعب ، وإنما الخطر العظيم في بغي الحاكمين ، الذين يوكل اليهم ثلاثي بني الافراد والجمعيات من المحكومين لهم ،

ما هو نوع عمل الحكام في الامة وما هو نوع جزائهم عليه ؟ جاء في قائمة الكلام أن الحاكم اما متقلب بالقوة يحكم كما يشاء واما مختار من المحكومين له فيحكم بينهم بما يشاؤون من الشرائع والقوانين ، فالحاكم الأول يرى أن عمله من قبيل ادارة صاحب المزرعة والماشية والصيد لما يملك وان ما يأخذه هو من قبيل الفلة والريع وانه يجب على المحكومين له أن يقوموا له في مزرعته الكبيرة (المملكة) بما يطلب وان يرضوا بما يفرضه لهم وعليهم والمحكومون له يرونه سلطاناً باغياً يتر بصون به الدوائر على حسب حالهم في العلم والقوة أو الجهل والضعف . والحاكم الثاني يعلم كما يعلم

المحكومون له أن عمله من قبيل عمل القمعة والاجراء وان ما يأخذه من الجزاء المالي عليه أجرة مفروضة وأن الجزاء المنوي وهو الجاه أثر طبيعي لاحتوائه في عمله كما يكون لغيره من المستعين الى الامة في ترقية العلوم والفنون والاعمال على حسب حال الامة يكون حكامها في نفس الامر الذي تقضي به طبيعة الاجتماع « كما تكونون يولى عليكم » واما حكم الشرع والعقل فهو يقضي بوجوب جعل الحكام اجراء للامة ، قال أبو العلاء ، فيلسوف الشعراء

ملئ المقام فكم أعاشر أمة حكمت بغير كتابها أصراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وم أجراؤها

كذلك شأن أكثر الاجراء والوكلاء مع المالكيين الجاهلين بما يجب أن يكون عليه ملكهم ، المأجزين عن تحديد الاعمال وتحديد اجور العمال والزام كل عامل أن يلزم حده ، لذلك أسمى الفيلسوف في شعره باللامعة على الامة التي مكنت اجراءها من الاستبداد في السيادة عليها حتى تجاوزوا مصالحها ، ينهبها بذلك الى اقامة الشريعة فيهم وارجاعهم الى الكتاب العزيز الذي جعل أمر المؤمنين شورى بينهم ذلك حكم الشريعة والعقل ولن تقدر الامة على القيام به الا بتغيير الافكار والاخلاق التي كان من اثرها الطبيعي ان صار الاجراء سادة مالكيين وتحصيل الافكار والعلوم والاخلاق التي تمكنها بالاتحاد من جعل المتطلب بقوته ، مختاراً لمدله وفضيلته ،

اذا احسن الحاكم المتطلب في عمله واقتصاد فيها يتناول من مال الامة جزاء عليه كان جديراً بالجاه الصحيح وهو ملك القلوب وقيادتها بالهبة والتعليم وبما يتبعه من الحمد واثناء واذا اساء عملاً واسرف فيما يأخذ يفوته الجاه الصحيح ويستبدل به الجاه الباطل وهو قهر الرعية على ان تعامله معاملة الحاكم العادل من اثناء والتعليم الصوري مكابرة للنفس وعصياناً للقلب في سبيل طاعته الازامية . اما الحاكم المختار للامة فهي التي تفرض له برضاها اجرة ، وما يملكه قلوبها طاعة مختارة روى ابن سمن في الطبقات عن حميد بن هلال قال لما ولي أبو بكر قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعينه .

قالوا نعم : برداه (ثوباء) ان اخلقها ووضعتها واخذت منها، وظهره (أي ما ركبته) اذا سافر، ونفقتة على أهله كما كان ينفق على أهله قبل ان يستخلف : قال أبو بكر وضيت . وفي رواية أرويات انه أراد أن يعمل في التجارة طرفاً من النهار لاجل عياله وينظر في أمور الناس في سائر الاوقات فنصوه وقال عمر فنرض لك فاراد ان يمنع فاقعوه وفرضوا له كواحده من المهاجرين لا ارقام ولا ادانهم . وكذلك كان ينفق قبل الخلافة

هكذا كانت حكومة المسلمين في أول عهدها كانت من القسم الثاني من التقسيم المتقدم ففرض عليها من عوارض الاجتماع ما سؤلها عن وضعها وجعلها من القسم الآخر . وكمن من حكومة كانت غالبة بالغلب فحررت طبيعة الاجتماع عن مكانها ووضعتها تحت سيطرة الامة كحكومات الفرنجية في بلادها

لم تكن حكومة الشورى في المسلمين اثراً لارتقاء اجتماعي فيهم ولذلك لم يطل عليها العهد وانما كانت اثماراً باهر الدين وعملاً بهدايته وقد تغلبت العصبية في الامة قبل ان يستقر هذا النوع من الحكومة « يلقي بوانيه (أي يثبت ويقيم) بهدي الدين ويصير طبيعياً في الامة

للعقومات آجال مقدرة بقدر أحوال المحكومين لها الاجتماعية ولدبر الكون فيها سنن لا تبدل ولا تتحول ، فاقصر اجل حكومة الشورى في المسلمين الا لان ذلك المجموع المؤلف من جميع الشعوب والأجناس لم يكن مستعداً لان يكون مسيطراً على حاكميه ثقلة معارفه الاجتماعية ولا تنفاه الوحدة التي تجعل الامة كرجل واحد . وانما يستفيد الناس من الدين والدنيا في كل زمان بقدر استعدادهم . ولو كانوا شعباً واحداً في قطر واحد لرجي لهم طول هذا الاجل كما طال اجل حكومة الرومان ثم قضى عليها بالتوسم في العمران ودخول الشعوب الكثيرة تحت سلطانها

اذا اراد الله بامة ان تنهض الى جعل حكومتها تحت سيطرتها كما يجب ان تكون سهل لها من اسباب العلم الصحيح والتربية القويمة ما ينير أذهانها ويجمع كلمتها حتى تكون امة عاقلة حكيمة « والماعل لا يظلم لاسيما اذا كان امة » كما قال الحكيم السيد جمال الدين الافغانى

يسرنا ان نرى بواذر العلم والتربية في افراد من امتنا الاسلامية في كل شعب وكل قطر وأن نرى بعض مرشديها يحثونها على الاستزادة منها ويبدءوا ان بعض الجاهلين المرائين يفتنون على المرشدين الخطيبين فيمطون آمال الامة بفكر هذا الطريق المعبود، والصراط السوي في تقويم الحكومة وما يجب ان تعاملها به الامة . ولكن فضت سنة الله بأن يطلب الحق الباطل ويرجع النافع على الضار ولو بعد حين يسهل على من أوتي الحلافة في القول، والعرفان بأهواء الجماهير، أن يقش امة عني في طور العفولة في الحياة الاجتماعية وليس لها زعماء وحكام ترجع في الامور العامة اليهم . ويسهل على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ان ينصح لها ويهديها سبل الرشاد ، فاذا هي رزئت بالختلين وحدهم شقيت ، واذا هي رزقت الناصحين سعدت ، واذا تنازعها الصنفان وجد صاحب الحق من نصر المقلد ، وإن قلوا ، ما يفلّ جموع أنصار الباطل وإن كثروا ، وبذلك ترتقي الامة ارتقاء يجعلها أهلا لان تختار حكماؤها وتحدد لهم الجزاء المالي على اعمالهم وتنضمهم الجاه والشرف باختيارها لانهم يحكمونها بشيئتها المبني على الحكمة والعرفان ، وهي تهزيمهم بشيئتها الناشئة عن الرضى والاذعان

الى اي شيء انت يا مصر احوج

لقطر المصري في هذا الصرح حال لا يشاركه فيها قطر آخر من اقطار الارض وهذه الحال مفيدة له من وجه وخطر على أهله من وجه آخر فيجب ان يعرفوا كيف يجتنبون الفوائد من الوجه الاول ويجتنبون القوائيل من الوجه الثاني الحال التي افرد بها هي ان جميع الامم الراقية تنازع أهله الحياة في المعاش أو الاقتصاد كما يقال وفي الاجتماع والآداب وما من أمة منها الا وهي ارقى من أهله في العلوم والاعمال ولها من الحقوق فيه أكثر مما لهم غافقوا من المصريين تبين للاجانب ان يملكوا من البلاد كل ما يملكه الوطني وان ينشروا فيها لغاتهم واديانهم ومذاهبهم ويأتوا بها ديارهم وتقاليدهم كما يفعل الوطني ولكن الحكومة المصرية ليس لها من المراقبة والسلطان على الاجنبي مثل ما لها على الوطني فلا جنبي أوسع

حرية واكثر استقلالاً في اعماله كلها

اما وجهه النائدة من هذه الحال فهو ان الارزبيين في جمهورهم مدرسة جامعة في البلاد تعلم أهلها من الاعمال المالية بأنواعها والاجتماعية والادبية ما لم يكونوا يطوبون وتعليم العمل اقرب الى النفع من تعليم العلم اذ العمل مقصد والعلم وسيلة اليه في الغالب فكل عامل ينفع البلاد ويرقيها وما كل عالم ينفع وما علينا — والمدرسة العملية مفتحة الابواب ودروسها مبدولة في كل مدينة وقرية لكل من له عين تبصر واذن تسمع وعقل يدرك وقلب يتأثر — الا أن تعلم كيف نتكسب وكيف نتعبد وكيف نؤسس الشركات ، وكيف نؤلف الجمعيات ، وكيف نحافظ على الآداب والعادات ، وكيف نقيم بناء وحدتنا الجنسية ، وكيف ندعو الى عقائدها وآدابنا الدينية ، وكيف نوزع هذه الاعمال على اصناف الباطلين ، وكيف نكون مع هذا التوزيع متعاونين متكافئين

وأما وجهه الخطر ، فهو اجل واظهر ، فان ضعيفا ينازع الاقوياء الحياة يوشك ان ينزعه ، وواهنا يصارع الاشداء يقرب ان يصرعه ، واذا كان في الامثال المسلسلة « ضعيفان يغلبان قويا » فما بالنا بعدة اقوياء يغالبون ضعيفا واحدا ألا يكون الخطر عليه شديدا ؟ بلى انه يخشى ان تنزع هذه الشركات الأجنبية والمصارف (البنوك) اكثر ما في ايدي المصريين من أرض مصر حتى يكون اكثرهم فيها اجراء لازرق لهم الاما يفيضه المالك الجديد عليهم من اجور اعمالهم من الحرث والخدمة ويكون الكثيرون منهم عالة لا يجدون من جود الاغنياء ما يسد رمقهم ويقي الباقون في الغالين بالتقليد والمحاكاة . يومئذ (لا كان يومئذ) لا يستطيع ان يقول المصري هذه بلادي فأنا اولي واحق بأن اتولى أحكامها بنفسى وأدير نظامها بيدي .

انما يخشى ان يسرع هذا الخطر المادي اذا شابهه الخطر المعنوي وامده في صيره وهو التهاون في امر مقومات الامة ومشتخصاتها من الدين واللغة والآداب والعادات الحسنة بل اقول لا يمكن لأمة ان تحفظ كونها الا بالمحافظة على عاداتها وان كانت غير حسنة ولا قيحة وان تروى في التقيح منها فتدعو الى تركه ان تحقق قبضه بالتدريج واستبدال النافع بالضرار ولاحسن في عادات الامم الانافع

ولا قبيح الا الضار . ألم نروا ان أعز الامم واسمها ساطناً هي اشد الامم محافظة على العادات والتقاليد المشخصة لها وان كان غيرها خيراً منها ؟ ألم تعلموا أن اكثر الامم الاوربية قد استغندت حيلتها بعد ما استغفرت بلاغتها وفصاحتها في محاولة اقناع الانكليز باحتبدال المقياس المصري (المتر) بمقياسهم (اليورد) بل بتوحيد المقاييس — وناهيكم بهوائه — فلم يزد ذلك الانكليز الا محافظة وثباتاً على مادرجوا عليه . ألم يأتكم نبأ ما كان لاحتبدال اسماعيل باشا الخديو التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري من الفرح والسرور في أوروبا ؟ قيل ان ذلك اليوم كان عند الاوربيين عيداً من الاعياد بل فتحاً مبهيناً من أجل الفتوحات في تحويل الشعوب من حال الى حال . وهم ينظرون عيداً ثانياً أوفتحاً آخر باقناع المسلمين عامة في مصر بتورك العمل يوم الاحد كالفعل بعض تجارهم

تتزع اراضي مصر من أهلها قطعة بعد قطعة فلا تشعر الامة بانزعاعها لان البلاد تبقى على حالها لا يتغير من معالها ولا من شؤون عولها شيء ، وتترك مقومات الامة ومشخصاتها عقيدة بعد عقيدة وعادة بعد عادة ولا تشعر الامة بهزكها وماله من الأثر في حياتها لان تحول الامم كتحويل الظل لا يشعر احد بحركته ويشعر كل احد باقبحته ، وانفقال الثروة من الشعب الكبير كانتقالها من الرجل الواحد الذي يفتقر بكثرة ماله فيفسرف ويذرر لا يلاحظ عند كل نفقة ما يبق من ماله ولا نسبتها الى دخله وانما تنحصر ملاحظته في شيء واحد وهو انه يملك مليوناً فهو اليوم ينفق عشرة آلاف على انها عشرة من مليون وفي غد ينفق عشرة أخرى على انها عشرة من مليون ولا يزال يرى المليون مليوناً وان لم يضم اليه شيئاً والعشرة عشرة وان صارت بانضمامها الى ما قبلها عشرات فئات حتى تستغرق المليون فلا يبقى منه شيء أو يبقى منه ما يكون مثله في يد الفقير والمسكين

لا يهولك ما قرأت فتكون من اليائسين ، ولا تستهين به فتكون من المفرورين ه فان الخطر الذي ذكرناه — وان كان صحيحاً — مما يمكن اتقاؤه وان لمصر على ضفتها قوة المالك المدافع عن ملكه أو المحافظ عليه في زمن لاغصب فيه ولا مضاحرة في المال ولا استبداد يحول دون الحرية والتعليم والمحافظة على مقومات الامة من

اللغة والشمار والاخلاق والمادات فالخطر المغشي ليس خطرا اضطراريا لاقبل
 ثابته ولا حول لنا ولا قوة على دفعه وانما هو خطر تنقسم فيه بمشيتنا واختيارنا واذا
 نحن اتقيناه كان مصدره وهو التنازع بيننا وبين الاجانب مصدر علم وعرفان ، ويزق
 في الاجتياح والعمران ، نعم انه لا يخلو من اثم ولكن منافعه تكون اكبر من اثمه
 كيف ينشئ هذا الخطر ؟ قد علم عامر ان الخطر محصور في امرين اضاعة الثروة
 واهمال مقومات الامة . فاما الثروة فلها ثلاث آفات أو ثلاث بلائع - القمار ومنه
 مضاربات البورصة وقد فشا وباءه في القطر المصري حتى لم يدع قرية ولا مزرعة (عزبة)
 سالمة من فتنه ، واعطاء الربا للاجانب ، وبيع الاطيان والاملاك منهم ، ولا سبيل
 الى اقناع جميع الناس باقفاء هذه الآفات الثلاث ولكن الجرائد اذا فصلت مضارها
 وكررت التندر فيها وثبتت الوقائع والحوادث في تخريبها للبيوت واقمارها للاغنياء
 واذلالها للاعزاء رجونا ان يقل فتنها حتى لا يوصل الى درجة الخطر على الامة

وأما مقومات الامة فأمرها أعظم ومجال القول فيها أوسع وانما نختلط في
 شأنها الزعماء المصلحون والعلماء الماملون والاغنياء الماقلون وأصحاب الصحف
 والضيورون والخطباء المؤثرون إذ المدار فيها على ايجاد معاهد لتربية والتعليم ينشأ فيها
 الرجال المستقلون ، والنساء القادرات على تربية الولدان واقامة النظام في البيوت ،
 وهذا ما يطلب من الزعماء والاغنياء ولا ينكر ما للجرائد الناصحة من التأثير في الحث
 عليه ، ثم على النصح المتابع للأمة في المحافظة على تلك المقومات واعلاء شأنها
 والتفريع الشديد للذين يميلون شيئا منها وهذا ما يطلب من الخطباء والكتاب .
 واني لا أعجب كيف تقصر الجرائد الوطنية في هذين الركنين العظيمين - حفظ
 ثروة الامة وحفظ مقوماتها الجنسية وترقيتهما - وتطيل الكلام في المسائل الخارجية
 والحوادث الجزئية فيكون اكثر ما تقول له نقوا لا فائدة فيه للجمهور . أليست مصر
 احوج الى حفظ ثروتها ومقوماتها منها الى سائر الاشياء ؟ أليست هذه الثروة
 والمقومات على خطر من التنازع مع سائر الامم يجب تداركه ؟ أليست الجرائد هي
 المطالبة ببيان ذلك والحث على تلافيه ؟ بلى وعسى ان يكون عناية الجريدة به اكثر
 من عنايتها بسواه والله الموفق

فَتَكُنْ مِنَ الْمُبْتَلَيْنِ

ضعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ، وظيفته (وله بسند ذلك ان ير من الى اسمه بالحروف ان شاء) وان يذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وروعا ، فسنأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وما أجبتا غير مشترك مثل هذا . ولكن عني على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفله

الكرامة والمعجزة

(س ٨) السيد محمد بن هاشم علوي (بجواره) أسألك عن كلمة : كل معجزة اني فهي كرامة لولي : هذه الكلمة تلهج بها الناس عندنا لا سيما عبدة الخوارق ولا أدري هل هي حديث أو أثر وما معناها

(ج) العبارة ليست حديثاً ولا أثراً عن الصحابة وهذه الاصطلاحات من المعجزة والكرامة والولاية قد حدثت بعدهم وانما هي كلمة لبعض المشايخ وافقت هوى الناس فتلقوها بالقبول وصارت عندهم من قبيل القواعد الدينية وصارت بها الامثال فيما بينهم ونحمد الله أننا لم نقدم في شيوخ التصوف والعلم من أنكرها

ينقل عن الاستاذ أبي اسحق الاسفرائيني والحلي من أئمة الأشعرية انهم وافقوا المعترلة على انكار الكرامات . وذو كالتاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أنه يزداد تعجبه من نية إنكارها الى الاستاذ « وهو من اساطين أهل السنة والجماعة » وكذب ذلك ثم قال ما نصه

« والذي ذكره الرجل في مصنفاته ان الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة . قال وكل ما جاز تقديره بمعجزة انبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي . قال وانما مبلغ الكرامات اجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه أو مضاهي ذلك مما ينحط عن خرق العادة . ثم مع هذا قال امام اخرين من أئمتنا هذا المذهب متروك . قلت وليس بالقافي تبشاعة مبلغ مذهب المكيين للكرامات مطلقا بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة وأرى ان ذلك التفصيل هو المميز

لها من المعجزات . وقد قال الأستاذ الكبير أبو القاسم القشيري في الرسالة : ان كثيراً من القدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز ان تظهر كرامة للأولياء لضرورة أو شبهة ضرورية بعلم ذلك (فإنها حصول انسان لا من أبوين وقلب جهاد بجمعة أو حيواناً وامثال هذا كثير : انتهى وهو حق لا ريب فيه وبه يتضح ان قول من قال : ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي : ليس على عمومته وأن قول من قال لا فارق بين المعجزة والكرامة الا التمدي : ليس على وجهه» اه كلام السبكي هنا

وقال بنو العموم أيضاً في جوابه عن شبهة القائلين بأنه لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة . وقال في الكلام على إحياء الموتى نحوه ومنه قوله « ولا أعتقد الآن ان ولياً يصح لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يتيهان معها زماناً طويلاً كما حصرنا قبل الوفاة بل ولا زماناً قصيراً يخالفان فيه الأحياء كما خالفناهم قبل الوفاة »

﴿ محو الناس للإسماء من اللوح المحفوظ ﴾

(س ٩) ومنه معطوفاً على السؤال السابق : وأسألك سيدي عن قول من سمعته يقول « فلان محيى اسمه من اللوح المحفوظ » وهذا القائل من يدعون الكرامات والتصوف وهو غيبي عن أول ما يجب عليه وإذا فرضنا حسن اعتقاده ومعرفة فعل يسوغ له هذا القول وما معناه وهل هو مدح للمحو اسمه أم ذم ؟ وقد ذكرت عليه قوله فلا مني الناس المتهاقنون على الخزعبلات لصغر سفي وعدم كبر عمامتي ، وعدم قولي لمن يطلب من الدعاء أنت في رقبتي ، تفضل يا سيدي بن لي ما أشكل علي فقد اختلج بخاطري أنهم مصيبون في تصديقهم قوله وأنه ما قال منكراً من القول واني خطي في انكاري وما يدري ان الحق منهم أجبني يا والسي

(ج) الملك مصيب في انكارك وهم المخطئون وليس الحق بكبر السن أو العراة فقد ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب بن أسيد على مكة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ثابت على فطرك السليمة ولا تقبل من أحد قد قولاً يخبر دليلاً بين . أما كله السجاليين فلا تفهم الا بالقريظة فانهم قد يريدون محو

الاسم المحكم بالموت وقد بر يدون به إخراج المسي من أهل المرتبة التي هو فيها حقيقة كالولايات الدينية أي عزله منها أو ادعاء كاذبين يتصرفون لهم بالولاية ومهما كان المراد فهذا القول من الجرأة على الله لا يصدر إلا من جهول غره اختبار العامة بدعاويه وتقبلهم ليديه فصدقهم واقتن بنفسه أو نسي بهذا الجاه ربه فأفساد نفسه . وينبغي لك أن تلطف في الانكار على هؤلاء لئلا نأخذهم العزة بالإثم فيؤذوك فأنهم لخصوع العامة لهم يطفون ويستحلون الإيذاء لاسيما اذا أمكنهم إخفاء سببه ليدعوا ان المترض قد عاقبه الله كرامة لهم فان أكثر كراماتهم المزعومة هي الإيذاء للناس ولم نسع ان أحدا منهم قد نال من الكرامة أن أفتقد بعض بلاد المسلمين من الظلم أو أخرجهم من ظلمات البدع والخرافات

(قتل مسلمي الروس في الحرب اليابانية)

(م ١٠) يوسف افندي هندي بالبريد المصري (تأخر) : ما حكم الشرع الشريف فيمن قتل من مسلمي الجند الروسي في حرب اليابان هل ماتوا طائعين أم عاصين ولا أنظهم بعدون شهداء أرجوا تكريم بالا فادة لازلم ملجأ لكل مستفيد (ج) اني أعتقد ان محاربة مسلمي روسيا ليابان ليست مصيبة لله تعالى ولا ممنوعة شرعا وانها قد تكون مما يثابون عليها عند الله اذا كانت لهم فيها نية صالحة « إنما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » ولقنة الصالحة في حرب السلم مع دولته غير المسلحة وجوه (منها) ان طاعته اياها تدفع عن إخوانه من رعيها شيئا من ظلمها وشرها اذا كانت استبدادية ظالمة وتساويهم بسائر أهلها في الحقوق والمزايا اذا كانت نياية عادلة أو تفهدهم مادون ذلك اذا كانت بين بين (ومنها) أن العلوم والاعمال الحربية لا تزال من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في البشر فاذا حرم منها شعب من الشعوب ضعفت حياته والضعيف لا يكون الا ذليلا مهينا . والخير للمسلمين من دعايا تلك الدول ان يكونوا مشاركين لسائر أهل الملل فيها في جميع مقومات الحياة الاجتماعية أقوى ببقونهم أعزاء بهزيمهم لا ان يكونوا فيهم ضمقاء أذلاء بدنيهم فان دين الاسلام لا يبيع لأهله ان يختاروا الضعف والذل على القوة والعزة واذا هم اختاروا ذلك عجزوا عن حفظ دينهم فكان ذلك إضاعة لدين نفسه فلا

قلت الى متصّب جهول يقول لك ان المنار يبيح للمسلمين ان يمتزوا بالكافرين
لا اذا رأيت يعقل الكلام قل له انه ينصح للمسلمين بأن يمتزوا المرء على الأقل
هما كان مصدر المرء والقوة على الضعف وبري ان حفظ الاسلام في غير داره
لا يكون الا بذلك . ويتمنى نصارى الممانيين لو تدخلهم الدولة في الجندية لذلك

﴿ الدخان هل هو نجس وضار ﴾

(من ١١) محمد أفندي زيدان بسنوريس الفيوم (تأخر)

ما قولكم جعلكم الله منار الاسلام ونبوع السلم ومنهل الورد في مسألة
الدخان التي أخذ اختلاف الناس فيها كل مأخذ ضاربا الطائفة على أفكارهم وعقولهم
فأصبح معظمنا والحمد لله ان لم أقل الكل مضورا في غياهب الجهل بكنهها مضطرب
الضمير تلعب به أيدي الخلاف على موائد الجهالات محتليج الصدر بالسؤال عما
يكشف ثامها . . ويرفع قبابها وعن بيان أحكامها وهل الدخان نجس أو منع منه
الامام وهل يضر وهل يكون حجبا بين الصبد وربه من الأنوار واني لأرى هذه
المسئلة أم مسئلة توجه اليها انظار النظر بالبحث في خبايا اسرارها ليستخرجوا
معادنها الجوهرية ولا أرى مقداما على خوض بحارها وسلوك سياسيتها الا منار
الاسلام فوليت وجهي شطره بلسان حال الأمة مريدا بيان حقيقتها بما يسر
الضمير ويرتاح اليه الخاطر مشدودا نطاقه بساطع براهين مناركم كما عهدنا من
قبل ولازلنا نعهد نشرلواء المنار على عويص المسائل فأدحض سحب الجبل بقوى
الحجة وبياض المعجبة فلهذا يتفضل علي بل على الشعب بأسره بنقطة من بحار
علومه الفياضة أو بشماع من شمس معارفه فننتدي بها سواء السبيل والسلام

(ج) قد نشرنا هذا السؤال بنصه لما فيه من الصكاهة وبيان استبعاد الناس
للاعتناء والاستقصاء في كل شيء وان ما يراه بعضهم من الامور التي لا يؤبه لها
يراه آخرون ذا بال بل من أهم المهمات

اما كون الدخان نجسا أو غير نجس فالجواب عنه أن هذا النبات الذي يسمى
دخانا لأنه يستعمل إحراقا ليتبع بدخاه هو كسائر النبات طاهر ولا يوجد في
الدنيا نبات نجس واما كونه ضارا أم لا فهذا مما يرجع فيه الى الاطباء لا الى الفقهاء

والمعروف في الفقه ان كل صار محرم على من يضره وما كان من شأنه ان يضر قطعا الا في احوال نادرة يمكن اطلاق القول بحرمته أو ظاهرا يحكم بكراهته . والمشهور عن الاطباء أن في هذا النبات المعروف بالدخان والتبغ والتبن وبالتنباك مادة سامة تسمى (نيكوتين) فهو لذلك يضر المصنوبين قطعا وان صحیح الجسم اذا تعرضه بالتدريج فانه لا يضره ضررا يئنا ولا شك ان تركه خير للصحة من استعماله فينبغي لمن يتدل به ان لا يشك الناس فيه فانه اذا لم يخل من ضرره ما يكون مكروها شرعا وعلى من ابطل به ان يراجع الطبيب الحاذق فاذا جزم بضره وجب عليه تركه واذا قال بمحتمل ان يضره استحسب له تركه واذا قال انه لا يضره مطلقا أيسح له استعماله واذا اتفق ان كان نافعا لمقاومة مرض ما كما ينفع كثير من السموم في مقاومة بعض الامراض صار مطالبا باستعماله شرعا وقد يكون حينئذ واجبا اذا جزم الطبيب بتوقف منع الضرر على استعماله والا كان مخيرا بينه وبين ما يقوم مقامه . فلم من ذلك كله أنه قد تعزیه الاحكام الحجة كما يقولون

« الهي عن الجمع بين الاختين والتزوج بامرأة الاب الاما قد سلف » (س ١٢) عكاشه افندي خليل بالأبيض من السودان : ارشدني أرشدك الله الى الصراط المستقيم الى تفسير قوله تعالى « وان تجمعوا بين الاختين الاما قد سلف » وقوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الاما قد سلف » ورجائي نشره في مناركم ولكم الثواب

(ج) معنى قوله عز وجل « الاما قد سلف » لكن ما سلف أي سبق لكم من ذلك في زمن الجاهلية لا مؤاخذه عليه وكانوا في الجاهلية يجتمعون بين الاختين في الزواج ويتزوجون بنساء آباؤهم اذا ما تواضعن فنبى الله عن ذلك وبين ان ما سبق في الجاهلية لا يؤخذ عليه . وهذا الاستثناء يسمى النعاة الاستثناء المتقطع . ويقول بعض المفسرين ان الاستثناء متصل ولا حاجة الى بيان قوله لمن يريد فهم المعنى ولا حاجة له في الاصطلاحات النحوية

﴿ الحب وهل هو اختياري أم اضطراري ﴾

(من ١٣) ... التلميذ بمدرسة الناصرة بمصر: ما هو الحب؟ وهل هو اختياري أم اضطراري؟ أفيدونا بأجلى بيان وأعظم برهان، وإن شئتم فأرسلوا لنا الرد على غير صفحات النار ويكون لكم الفضل والله لا يحرمانا من أمثالك

(ج) ورد لنا هذا السؤال منذ سنة وشهر ولم يأمر السائل بكتان اسمه ولا بالرمز اليه وكنا ترددنا في الجواب عنه ثم نسيناه ولما راجعنا في هذه الايام ما تأخر من الاسئلة التي جاءتنا في السنة الماضية ولم نجيب عنها رأينا فيها واستحسننا ان نجيب عن جوابها مفيدا لامثال السائل من الناشئين الذين أنشأت بوادر الحب نصبث بنفوسهم وثقلوا له في مخيلاتهم جنات باسقة الاشجار، بهيجة الازهار، تجري من تحتها الانهار، وتتردى من فوقها الاطيار، تتهادى في أفياتها كواعب الأبطال، فيتراى لهم من سعادة الحياة في مناغة أولئك العادات، في حديثك هاتيك الجنات، ما قد يشغلهم عن تحصيل العلم، ويعوقهم عن تربية النفس، ويحذبهم الى مطالعة قصص الغرام، التي تغذي تلك التخيلات والأوهام، حتى يزين لهم التعرض للحب اختيارا، أو يهتوا في حباته اضطرارا، فيجني عليهم ما يجني مالا محل لذكره منا معنى الحب بدبجي لا يمكن تعريفه بما هو أجلى عند النفس منه فاذا قلت لك: ان حبك لشيء عبارة عن مملك اليه او هو افعال ارتياح وأنس بالشيء المحبوب أو شعور ملائم للطبع مثاره أو منشؤه ذلك الشيء: أو غير ذلك لا يزدك ذلك معرفة بالحب وإنما يزدك معرفة بالالفاظ المترادفة أو المتقاربة في المعنى فمن أحب شيئا ما عرف معنى الحب المطلق في الجملة وحسب ذلك الشيء بالتحديد وإذا فرضنا انه يوجد في البشر من لا يحب شيئا قط فإنا ننجزم بان إقامه معنى الحب محال ومن أحب شيئا دون شيء فإنا نعرفه معنى الحب المجهول عنده بتشبيهه بالمعروف له ولكن هذا التعريف يكون بالتقريب لا بالتحديد لأن حب الاحترام غير حب الشفقة وحسب القرابة والصداقة غير حب الزوجية . وصفوة القول ان الحب من الوجدانات التي لا يعرفها إلا من ذاقها كالسرور والفرح والخوف والحزن وأما كونه اختياريا أو اضطراريا فهو مما يختلف فيه الباحثون فقال بعضهم

بالأول وبعضهم بالثاني وذهب آخرون الى ان أوله اختياري وآخره اضطراري وقد نظموا هذه الآراء واشتهرت فيها أشعارهم واذا رجع الانسان الى نفسه وإلى ما يعرف عن أباء جنسه ودق النظر في ذلك يتجلى له ان لكل قول وجها ولكنه قاصر عن تحصيل الحقيقة وذلك أن الانسان قد يحدث له الحب فجأة وقد يختار معاشرته بعض من يستحسن والنود إليه لأجل ان يحبه فيحبه وقد يهجم امرأ او امرأة فجأة أو بعد تعجب ثم يظن الى ان هذا الحب لاخير فيه وأن تركه خير من البقاء عليه فيتكلف السلوك بالبعد وترك المعاشرة حتى يسلب، وقد يكون ضعيف الارادة فاقد المزيمة لا يقوى على مقابلة الحب وان هو اعتقد عبثه بشرفه ودينه وذهابه بماله وفساده لمصالحه فيظل مفلوبا له خاضعا لسلطانة

كل أولئك كان واقعا معروفا للمختبرين وما قال من قال ان الحب اختياري دائما، أو اضطراري مطلقا، أو أوله اختياري وآخره اضطراري الاحكامية عما يجد في نفسه مع المفلة عما عليه غيره من الناس والا فهو جاهل بنفسه وبغيره

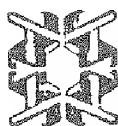
وان شئت تفصيلا ما لهذا الاجمال فلا تنس ان موضع الخلاف هو حب الشهوة الذي يسمى عشقا كحب الرجل للمرأة التي يشتهي ان يقترن بها حبا يملك شموره ووجدانه لا مطلق حب الانسان الجميل أو القريب أو المحسن أو الفاضل فان الحب المطلق للجميل المستحسن من الانسان وغير الانسان مما غرز في طبائع البشر واصطبغت به فطرتهم لا يملكون دفعه، ولا اختيار لهم فيه . وقلبا يكون العشق اضطرارا بل الغالب فيه ان يستحسن المستعد للعشق من تحسن صورته أو صورتها في عينه وتحمل محلا من قلبه فيطيل في ذلك الفكر والتخيل، ويهود الى النظر والتأمل، ويندرج من ذلك الى المكللة والمعاشرة حتى يصير عاشقا، واسترساله في هذه الامور يكون باختيائه في الاكثر، وما كان من الخواطر والتخيلات لاولى بشير اختيار تسهل مدافعتة يتكلف التفكير في غيره قبل ان يتمكن، ولذلك عبرنا بلفظ الاسترسال ومن سبى هذا وقعه حق الفقه يحزم بأن أكثر الذين عشقوا ما بلغوا في ميلهم واستحسناتهم الى درجة العشق الا بأعمال نفسية وبدنية استرسلوا فيها باختيارهم ولو شاؤوا لما استرسلوا ولم يسترسلوا لما عشقوا ولكنهم اختاروا ان يشعروا لانهم توهموا

ان في العشق غبطة وهناء ، ونعمة وسعادة

ومن المندر الذي يبعد تصوره ، هو عسر تمثله ، أن ينظر الانسان إلى صورة جميلة فيجأه عشقا مستغرقا شغوره ووجدانه ، ما لكأ عليه أمره ، سألها منه إرادته واختياره ، ولو قال قائل ان هذا غير ممكن أو غير واقع لما صلت حكايات « ألف ليلة وليلة » وأشباهها من القصص « الروايات » ناقضا لقوله ، ذلك بان الانفعالات التي تعرض للفرد لا تكون بالغة منتهى القوة والشدة الا اذا اصطدمت بوجدان يقابلها كالحزن الشديد لفقد المحبوب العزيز والفرح الشديد بلقائه بعد اليأس منه والخوف على الحياة من خطر معاجي

وقد يقال أيضا ان داعية الذلل قد تقوى في بعض الناس الذين ليس لهم شواغل عقلية فتحدث استعدادا يستغرق الوجدان ويم تأثيره المجموع العصبي فينتفى ان يرى صاحب هذا الوجدان في هذه الحال من الصور ذوات الجمال ما يشا كله فينفع لرويته انفعلا شديدا وبتمكن تأثيره في نفسه لأول وهلة فلا يكون له اختيار فيه ، ولا مطمئن في تلافيه ، ولكن هذا نادر كما قلنا آفا والتادر لاحكم له كما يقولون

والفرض من هذا البيان أن الحب الذي تثمره داعية النسل كسائر أنواع الحب يخضع للتمرية والتهذيب وليس من شأنه سلب الاختيار بطبيعته وانما يندمج كغيره بالاعمال الاختيارية حتى يخرج عن طوق الاختيار أحيانا لاسيما مع ضعف الارادة وأهل البطالة ، فقد يولم المرء بالحب الشطرنج أو اللهو باطارة الحمام حتى يرى تركها فوق ارادته واختياره ، فعلى السائل وأمثلة من الناشئين ان لا يستسلموا مع اهوائهم في الحب لتلايحكم عليهم سلطانه الجائر حكما يتجرعون غصصه طول حياتهم .



باب التربية والتعليم

التعليم الديني

لا نعرف بلداً إسلاميةً أثر فيها التفرنج كما أثر في مصر وأغرب مظاهر هذا التأثير ملجى منذ أشهر من الخلاف بين المسلمين في تعليم الدين بالمدارس بل وفي فائدة تعليم الدين وعدم فائدته وإمكان الاستغناء عن الدين في تهذيب الأخلاق وتربية النفوس

فتحت باب البحث في ذلك الجرائد وتبعها الناس كعادتهم فمن قائل إن موضع تعليم الدين البيوت لا المدارس وأنه ينبغي للحكومة أن تبطل تعليم الدين من مدارسها ومن قائل أن ما يصلح في هذه المدارس كاف لا حاجة إلى الزيادة عليه، ويقابل هذا القول طلب أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية زيادة التوسع في تعليم الدين بهذه المدارس. ووراء هذه الأقوال والآراء ما كتبه بعض الناظرين في آراء فلاسفة أوروبا ونشر في جريدة المؤيد من بيان وجه الحاجة إلى تعليم الدين وبيان الاستغناء عنه ومن قال بذلك من علماء القرب

ومما يفتش به المتكلمون لأصحاب الآراء الفلسفية الناقصة قولهم إنه يمكن الاستغناء عن الدين بالتربية الأدبية العقلية المبنية على الاقتناع بضرر الرذائل ونفع الفضائل كأن يقول الملم للتلميذ إن الكذب قبيح ومقترفه محقر بين الناس لا يوثق بقوله ولا يعتد بشهادته ولا يحضره وأن الحرصاة تذهب بالصحة والمال. ومن هؤلاء من يرى أن هذه الطريقة أفضل من طريقة الدين المبنية على التخويف من عذاب الآخرة لأن في هذا التخويف من أضعاف النفس وإيقاعها في الأوهام ما فيه على زعمهم

ومن أهل الدين الراسخ من سرى له شيء من أوهام المتفلسفة فصار يرى أن تعليم الدين والتربية عليه في الصف ضرار ولكنه يجب بعد بلوغ العقل أشده لأن الدين عبارة عن فلسفة روحية والمبتدعي ليس أهلاً لتلقي الفلسفة ...

قد استعمل متفرجهو المسلمين جداً في جعل مسألة التعليم الديني محل بحث ونظر واستعمل المتفلسفة منهم في الحكم بأن الاقناع العقلي كاف في تهذيب الناشئين ومقن عن الأخذ بالدين أو غير منه فان أئمتهم من غلاة الملاحدة في أوروبا لم يظفروا بإقناع شعب من شعوبهم برأيهم هذا ولا يزال جميع الأوروبيين يقيمون بناء التربية والتعليم على أساس الدين على أن حاجتهم اليه دون حاجتنا لوجوه منها انتشار التعليم الأدبي والاقناعي في جميع طبقاتهم حتى ان بعض بلادهم لا يوجد فيها أي ولا أمة ونحن عاجزون عن تعميم التعليم بدين أو بغير دين فهل من الصواب ان نجعل المتعلمين منا على قلتهم غير متدينين وهم القدوة لسائر الأمة ؟ أم الصواب ان يسمى هؤلاء النفر من المتفلسفة الى محو الدين من الأمة برمتها متعلميها وأمياً ؟ وهل يظنون ان جميع أفراد الأمة يكونون حينئذ فلاسفة أو متفلسفين مثلهم يتركون الشروع لقيام الدليل العقلي على ضررها أو مناقها للشرف ؟

قلنا نجد أحداً من أصحاب هذا الرأي العقيم تاركاً للمعاصي والشروا لأنها ضارة بالمجتمع أو مخلة بالشرف ومن ترك ذلك ظاهراً لا يتركها باطناً الامن ترى منهم تربية دينية حقيقية طبعت في نفسه ملكات الفضائل طبعاً عجزت عن محو نزغات الفلسفة الناقصة

يمكن ان يجمع لناشيء بين الاقناع والدين بأن يبين له ضرر الدائل والمعاصي في سياق حكمة تحريماً وبيان محاسن الفضائل ومن فيها في سياق حكمة إيجابها أو استنباطها والا تصير الاقناع أو تنذر لاختلاف الافهام في حقيقة الشرف والخير والشرف والضم والضرر . فاذا قلت لناشيء ان الزنا قبيح أو مخجل بالشرف لا يمنعه ذلك ان اقنعه بأن يأتيه سرا لأن أمر الشرف منوط بنظر الناظرين وعرفهم وإذا قلت له انه خطر على الصحة لأنه مدعاة للإسراف أو مجلبة لبعض الأدواء لم يكن لقولك من التأثير ان أخذ بالتسليم الا العزم على الاقتصاد فيه والحذر من غشيان المصائب بالأدواء ويظن ان ذلك مما يسهل عليه وربما وجد من الناصحين من يقول له ان ترك ذلك العمل ضار بالصحة فكانت نصيحته أقرب الى القبول من نصيحتك . وإذا قلت له ان لهذه الفاحشة غوائل اجتماعية كاختلاط الانساب

وقلة النسل وإثارة الشرور بين المتنازعين فيها عند المشاركة : فلا تطمع منه ان عقل قولك بأن يترك لذه الشائنة حباً بالمصلحة العامة . ولكن أكثر الذين يتركون تربية دينية صحيحة لا يستحلون الفاحشة ويستهيون بها كما يفعل من فقدوا ذلك ، وانك لتجد في كل بلد يدين أهله بجمرة هذه الفاحشة كثيرين يتقونها خوفاً من الله عز وجل على ضعف العلم بالدين وعدم التربية عليه ، ولولا الخرافات التي زلزلت العقائد وشوهت وجه الاحكام كالاتحاد على الكفارات والشفاعات والفقران لكان وقوع هذه الفاحشة من المندنيين من النوادر

وقل مثل ذلك في الخرافات المتعلمين على الطريقة التي يطلبها المنفرنجيون والمتفلسون اعرف من غيرهم بما فيها من الضرر وهم مع ذلك أكثر شرباً لها من سواهم . وأضف الى ذلك جرعة القمار ، وما فيها من المضار ، على ان المنفرنجين والمتفلسين منا لا يحرمون بقولهم هذه الموبقات الثلاث التي يجاهدونها فلاسفة أوروبا بقولهم وعلومهم أشد الجهاد ويدعونها شر غوائل المدنية الأوروبية وهي لا تزداد بالرغم منهم الا انتشاراً

ان الجميع متفقون على قبح الكذب وضرره وإنهم لا يحجزون عن اقناع الناشئين بتركه مهما قويت حاجتهم من اضعف مرشد ديني وان لم يأت بحجة أو حكمة وراء النص وقصارى ما يلبسه قولهم من نفس من يقبله ان يحترس من الفضيحة بالكذب الحلي لأن يتركه مطلقاً

أما زعم المتفلسين أن تربية الدين قد تضر بالعقل أو النفس بما فيها من من الارهاب والتخويف فهو زعم باطل لا يقوله الا من يجهل الدين والناس ، وسنبين ذلك في فرصة أخرى

وأما القول بان الدين فلسفة لا ينبغي أن يتلقاه الا المتعلم المستعد لتلقي العلوم المالية فله وجه وفيه قصور فان الدين له طرفان طرف أدنى وهو الهداية العامة لكل مكلف وان أمياً جاهلاً ، وطرف أعلى وهو كما قيل حكمة وفلسفة . والصواب أن يعلم التلميذ في المدرسة الابتدائية ما يليق به من الطرف الاول ويترقى به تدريجاً - يعلم في السنين الأولى مع القراءة بالحكايات عن الاشياء ان الله تعالى هو الذي اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى فاذا كان موضوع درسه في التحل مثلا يذكرك له بعد شرح ما يلقى بفهمه من حالها وأعمالها ان الله تعالى هو الذي خلقها وألهمها أن تعمل لحفظ حياتها هذه الأعمال ويترقى به في ذلك ، ويعلم مع الآهيات على هذا النحو شيئا وجيزا من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه ويذكر له أن الله تعالى ميمزه هو وأمثاله من الانبياء بعلم خاص بهم دون سائر الناس يهدون به الناس الى الحق والخير كما ميز التحل بعلم خاص بها لا يشاركها فيه غيرها واما العبادات فيجب أن يتعلمها الناشئون بالعمل لا بالقول وكذلك العامة اتباعا لسنة السنة « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري وأما تعليم المبتدئين فلسفة السنومى وأمثاله في الآهيات كالصفات العشرى ، فهو من العبث الذي يصد جنسية على الدين ، من ينتقده فاني معه أول المنتقدين ، والله على ذلك من الشاهدين ،

سألت أحد الفضلاء المستسكين بالدين عن ولده لعله في الثانية عشرة أصلي فقال لأدعه يصلي الآن لانه لا يعقل معنى الصلاة فاذا بلغ السن التي يفهم فيها معنى الصلاة فإنه يصلي .

هذا الوالد الذي يرى هذا الرأي من أبناء كبار الباشوات وقد تعلم في أوروبا وتقلد بعض الاعمال العالية في الحكومة وهو يفهم من معنى الصلاة مالا يفهم اكثر أهل الازهر لأنه قرأ الاحياء قراءة استهزاء ويقل فيهم من قرأه ، وكثير من مدرسيهم لا يعرف عدد اجزائه ولا رأى منها شيئا وهو على ما ينتقد غير مصيب . ولعمري انه ينبغي لمن يرى رأيا يخالف ما درجت عليه أمته أن لا يجعل العمل به بل يبحث ويستشير ويتأخر من يعلم أو يظن أنهم أهل فبحث في ذلك لعله يرجع عن رأيه أو يعضي فيه على بنية تامة ولا يهتد في هذا المقام بتجربة الواحد والآحاد

فقول في الصلاة ما قلنا في الدين بجملة ان لها طرفا أدنى وطرفا أعلى ومن فوائد حمل الناشئ المميز على الصلاة تعويده الطهارة والوضوء ومنها توليد الشهور الاجمالي بالعبادة في قلبه وهذا شيء عرفناه بنفسنا ورأينا أثره في غيرنا ممن تربوا

تربية دينية فلا يصح لمن لم يدقه أن يسكره، ومنها تعويده المحافظة على المكتوبات في أوقاتها فإن كل عمل يؤدي بنظام في أوقات معينة يحتاج فيه إلى التعويد في الصغر فقلما يحافظ الإنسان على عمل منتظم لم يتعوده وإن هو اعتقد نفعه في الكبر فأنا اعتقد أن الرياضة البدنية من الضروريات لأي الأعمال العقلية مثلي واستعت عزيمتي للرياضة كل يوم فلا توافيني إلا في بعض الأيام وانتي اعاتب نفسي منذ سنين على هذا الإهمال والتقصير ولو لم أكن مواظبا على الصلاة من الصغر لما بعدت أن أنرك بعض أوقاتها تكاسلا أو تأولا

ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ أن المواظب عليها لا يقع بعد البلوغ في مهلكة الشبان التي يمر عنها كتاب العصر بالصادرة المضرة وقاهيك بشرونها ومضارها وإذا هو اجترحها لا يفرط فيها فإن لم يتركها لم يتركها لأنها محرمات امتنع من الأسراف فيها استئثالا لتكرار الفصل وهذا ضرب من ضروب تهبي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون

﴿ تعليم الدين في المدارس المصرية ﴾

بمبحث قوم في تعليم الدين بمدارس الحكومة، فمنهم من قال بوجوب الزيادة فيه، ومنهم من قال إن ما فيها كاف، ومنهم من قال أنه لا ينبغي أن يعلم الدين في المدارس وإنما موضع تعليمه البيوت وهم يعلمون أن تعليم البيوت منوط بالنساء وأن النساء المصريات لسن على شيء من علم الدين ولا من علم الدنيا الذي يؤخذ بالتلقين. وقد رددت الجرائد هذه الأقوال ولم أرفها قرأته فيها يانا صحيحا لما يجب أن يكون عليه هذا التعليم في هذه المدارس ولا في غيرها. وقد طلبت الجمعية الصومية من الحكومة التوسع في تعليم الدين بمدارسها فقررت نظارة المعارف زيادة دروسه في المدارس الابتدائية فابتعدت ذلك الجرائد التي لا يرضيها من الحكومة شيء. ولم تبين ما هو الصواب. وعندنا أنه يجب أن يكون معظم هذه الدروس في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم في سيرة الخلفاء الراشدين إن اتسع لها الوقت والا كانت عبثا وقد وجد القبط فرصة في هذه الأيام لطلب كان قد سبق لهم فلم يجب فطلبوه فأجيب الآن، وهوان تعلم الديانة النصرانية في هذه المدارس أيضا. وقد عدت

إجابتهم الى هذا الطلب غريبة اذ لا يهد تعليم ديني في مدارس حكومية من حكومات الأرض بل لا نسمح حكومة أروية ان يعلم في مدارسها مذهب من مذاهب الديانة المشتركة بين أهل المملكة غير مذهب الحكومة أعني ان حكومتها انكلترا التي تدب بمذهب البروتستانت لا تسمح لرعيةها من الكاثوليك ان يعلموا مذهبهم في مدارسها وجهم المسلمون لهذا العمل وكثر كلامهم فيه ولو خاضت الحرائد فيه لكان هو الشغل الشاغل لقطر كله ولكنها سكنت لما نعلم ويعلم سائر العقلاء العارفين بالمأزق التي وضعت فيه نفسها . وقد سألتني كثير من المتفكرين عن رأيي في ذلك وكان منهم بعض المدرسين في المدارس والازهر فقلت ما حاصله : ان المسألة وجها دينيا وجها سياسيا فهي من الوجه الديني نافعة للمسلمين لأن التعليم الديني في المدارس كان ناعما فهي توقظه أو كان ميتا فهي تنفخ فيه شيئا من روح الحياة . وأما من الحجة السياسية فهي ضارة بهم لأنها من أمارات كون الحكومة ليست إسلامية والذنب في هذا على أهل الشعب من المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مناصبة القوة المحتلة وإظهار العدوان لها ومحاربة اقناع الجمهور بذلك وبأن كل من يعمل معهم أو يعرفهم فهو عدو لوطن خائن للأمة . ومن العجائب ان هؤلاء المشاغبين قد ظلوا اسم الاسلام والمسلمين اذ مزجوه بكلامهم وأدخلوه في سياستهم الأنيقة حتى ظلوا المسمى لا يعلم دين آخر في مدارس الحكومة فان هذا نافع له غير ضار به كما قلنا آنفا ولكن بما أخذوا في نفوس الأروبيين من ان المسلمين يريدون الاجتماع باسم الاسلام لمقاومة سلطتهم في الشرق وهذا غير صحيح وإن نجح بما يدل عليه طلاب المال والجاه باسم الاسلام ومصر وقد رأينا وادر ضرور سياستهم ونمود بالله من أواخرها

ويظن بعض الناس ان تعليم النصرانية في المدارس ربما يكون مثارا لقمصب الديني الجاهلي ونظن انه لا خوف من ذلك . ويطن بعضهم أن هذا يكون سببا لتترك التلاميذ من القبط لحضور دروس القرآن وحفظ ما يحفظ عادة منه وان ذلك يكون نقصا في اكتسابهم ملكة اللغة العربية وهذا مقول ولكن أكثرهم لا يتركون القرآن فيما اظن

مختصر باب المناظرة والمراسلة

﴿ تاريخ المصاحف ﴾

بقلم الدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطيب بسجن طره
لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بجميع مباحثي في الاسلام التي سبق
نشرها في النمار الاعرأيت أن افيض القول فيه بما يزيل ماران على قلوب كثير
من الناس من الشبهات والاشكالات التي يقذف بها المسلمين دعاة من المسيحيين
لا يميزون بين الفتن والسمين . ولا يوضح المسألة إيضاحاً تاماً رأيت أن أضف مقدمة
هامة ، تمهيداً للبحث ، ودعامة للفحص ، فتقول : — غبرخاف على أحد أن
الأمة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية يقل فيها وجود من يعرف القراءة
والكتابة : معرفة جيدة ، وكان جل اعتمادهم في جميع ما يروونه من أنسابهم وأشعارهم
وغبرها على حفظهم لها في صدورهم . ولم يعرف أنه كان عندهم كتاب ما من الكتب
في أي موضوع كان ، وغاية ما كانوا يفهمونه من لفظ (كتاب) أنه أي صحيفة
مكتوب عليها من نحو الجلود أو الصظام أو الحجارة أو الجريد ، بل إن الصالح
للكتابة من كل من هذه الاشياء كان لديهم قليلاً ولذلك لم يستغنوا بنوع واحد
منها عن باقيها ، ولم يكن عندهم الورق الذي نعرفه الآن ، وهذا اللفظ ما كان
يطلق عندهم إلا على ورق الشجر وعلى رقاع من الجلود رقيقة ، والاطلاق الاخير
مستعار من الاول .

ولا نجد في اللغة العربية اسماً خاصاً بما يشبه ورقنا المعروف سوى لفظ واحد
وهو (الكتاغد) وهو فارسي مرعب وقد ادخلته العرب في اقتها بعد النبي صلى
الله عليه وسلم فلذا لم يرد في كلامهم قبله عليه السلام ولا في عصره ولم يرد في
أحاديثه ولم نسمع أنه كان مما يكتب عليه القرآن في حياته عليه السلام . والقلب
أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربية بعد فتح المسلمين لبلاد فارس . وأما لفظ
القرطاس فهو أقدم في اللغة وورد في القرآن الشريف وكان معناه عندهم الصحيفة
من الاشياء التي كانوا يستعملونها للكتابة ثم اطلقوه فيها بعد على الكتاغد أيضا

حينما عرفوه وصاروا يسمون به كل ما يكتبون عليه من المصحف. هذا وإن ما ورد في كلامهم من لفظ (كتاب) كانوا يريدون به ما يطلق عليه في عرفنا اليوم لفظ (خطاب) أو جواب ومنه قوله تعالى في قصة سليمان (٣٧ : ٢٨) إذهب بكاني هذا فألقه إليهم (ومنه كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ومثل الكتاب السفر والزبور والسجل والدفتر فإن معانيها كلها متقاربة وما كانوا يسمونها كما نفهمها الآن. ولذلك لما جمع القرآن بعلم النبي اختلفت الصحابة في ماذا يسمونه به وتوقفوا لأنهم لم يسموا مثله من قبل ثم استقر رأيهم أخيراً على تسميته بالمصحف تبعاً لأهل الحبشة في تسمية مجموعاتهم بذلك والمصحف الكتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن عند الإطلاق لأنه مأخوذ من أصحف أي جمع المصحف. وكل صحيفة كتاب عند العرب كاذ كذا وكانت أيضاً كتب بعض الأمم غير العربية عبارة عن قطع من الجلود أو القماش يختلف عرض الواحدة منها من ١٢ إلى ١٤ قيراطاً وكانوا يلقونها على قضيب من الخشب ملصقاً بأحد أطرافها كما تلف الخرائط الجغرافية الآن. وهذا هو الصلي المذكور في قوله تعالى (٢١ : ١٠٤) يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب). ولا تزال التوراة مطوية كذلك عند السامريين إلى اليوم هذا الذي تقدم ليس خاصاً بشركي العرب بل يشمل أيضاً أهل الكتاب منهم). ولذلك لا نسمع بوجود نسخة كاملة من التوراة أو الإنجيل بينهم كالتنسخ الموجودة الآن. ولم يكن عندهم سوى أجزاء قليلة منهما مكتوبة على قطع متفرقة من الجلود أو العظام أو الخشب أو نحوه. فلذا وصفهم القرآن الشريف بقوله (٣ : ٢٣) ألم تر إلى الذين أووا نصيباً من الكتاب (وخطابهم بقوله (٥ : ١٥) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيراً مما كنتم تنفون من الكتاب) وقال فيهم (٥ : ١٣) ونسوا حظاً مما ذكروا به (وقال لهم ١ : ٩١ قل من أنزل الكتاب (١) الذي

(١) حاشية الكتاب — المراد بالكتاب في جميع هذه الآيات الوحي لما يختبئ بقطع النظر عن كيفية كتابته ووضعه كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقوله (كتاب أنزل إليك) والقرآن حينئذ لم يكن تاماً ولا مجموعاً وإنما المراد ما كان يوحى في ذلك الوقت فيكتب

جاء به موسى نوراً وهدى للناس نجمونه قراطس) أي صحفا منفردة (تبدونها) ونحنون كثيراً وعلمت ما لم تعلموا أتم ولا آباؤكم) وقال أيضا (٧٩:٣) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم) . وهذا كله يدل على أن كتبهم المقدسة ما كانت تامة ولا مجهزة بين دفتين بحيث لا تقبل الزيادة ولا نقصان وإنما كانت مجهزة في رفاف مشورة وأن بعض صفحاتهم كان حقا والبعض الآخر كان باطلا . أماء اورد في القرآن من نحو قوله تعالى (٢٣:٥) وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فستاء أن عندهم أجروا من التوراة فيها حكم الله في المسألة التي نحاكموا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكجا يطلق لفظ القرآن ويراد به اجزاء منه كذلك يطلق لفظ التوراة أو الانجيل ويراد به بعضها أو اجزاه منها . وهذه مسألة شائعة في القرآن الشريف وفي الآية . ومن ذلك قوله تعالى (٩٨:٢) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (أي بعضه أوجز منه

قدما لك هذه المقدمة لتعلم أن العرب ما كانت تعرف الكتاب ولا الورق بمعنيهما عندها . وأوضحنا لك فيها درجة معرفتهم القراءة والكتابة . وذكرنا لك ما كانوا عليه يكتبون

بث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وحالتهم كما علمت وأوحى إليه هذا القرآن ليبلغهم إياه فانظر ماذا فعله هذا الرسول الأمين ، حتى نشر بينهم الكتاب المبين ، علم قوة ذاكرتهم واعتمادهم عليها في نقل أخبارهم وأشعارهم حتى أن كثيرا منهم كان يسم الايات من الشعر أو القصيدة الطويلة ثملى عليه فيحفظها من أول مرة فتداوم صلى الله عليه وسلم على حضمهم على تلاوة القرآن وبالغ في حضمهم على حفظه وضبطه . وفرض عليهم قراءته في الصلوات وفي على هذه الحالة ضما وعشرين سنة حتى كثر فيهم القراء وكانت السورة الواحدة يحفظها الألوف من الناس والقرآن كله يحفظه الكثيرون منهم . لم يكتب صلى الله عليه وسلم بذلك بل أمر بكتابتها واختار طائفة منهم لتكتبه له على ما يسر لهم اذ ذاك من الجلود والمظام والجريد والحجارة وغيرها مما كانوا يعرفونه . وأكثر من ترغيبهم في

النظم ومدح القراءة والكتابة نحو قوله « يؤزف يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ومثل ذلك في الأحاديث كثير . ورد في القرآن الشريف أيضا قوله تعالى (١٠٦٨ : ن) والقلم وما يسطرون) وقوله (٨٦ : ٣) اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) وضم الله تعالى أهل الكتاب بقوله (٢ : ٧٨) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يفتنون) وألزم تعالى المؤمنين بكتابة الدين في الآيات المشهورة في آخر سورة البقرة . وبذلك وجدت فيهم الرغبة في تعلم القراءة والكتابة وأخذ عدد الكنايين بينهم بزاد شيئا فشيئا . وكتب كل ما نزل من القرآن كثير من المسلمين في عهد علي عليه الصلاة والسلام . ولم يمض إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات مكتوبة في السطور عند الكثير منهم محفوظات في صدور الجاهل وبعد أن سمعوا منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعا هو أيضا منهم . والخلاصة أن النبي عليه السلام تبع أقرب الطرق لتعميم نشر القرآن المجد بين جميع أفراد الأمة العربية وعمل أحسن ما يمكن عمله بالنسبة لمعلوماتهم وحالتهم .

سعت نفوسهم بهذا ذلك للعمل بما فيه فيهم واستمدت لرقى . فلما كثرت اختلافاتهم بين جاورهم من الأمم أخذوا ينقبون وينتقشون في أحوالهم بعيون مبصرة وعقول مفكرة كي يهتروا على جديد ينسبون أو إصلاح إلى بلادهم يسوقونه فبصروا بعالم يصوروا به من قبل . ووجدوا أن تلك الأمم طريقة أخرى في تدوين معلوماتهم لم تكن تخطر على بالهم . وهي أن يكتبوها على صفحات صحف من نوع واحد . يضمنون بعضها إلى بعض مرتبة على حسب ترتيب عباراتها وربما رأوا أنواعا أخرى من القتراس أحسن من التي كانوا يعرفونها كأوراق البردي بمصر مثلا .

دهام داهي الفرع عند قتل سبعمين من القراء يوم الجامة إلى المبادرة والاسراع في جمع القرآن على طريقة تلك الأمم خوفا عليه من الصباغ من تلك الرقاع المختلفة الأنواع ففقدوا في الحال اجتماعا واستقر رأيهم اجتماعا على العمل على تلك الطريقة وهكذا جمع القرآن . ووجد بين العرب أول كتاب بالمعنى الحالي فهو من الآن وتحقق وعد الرحمن (٩ : ١٥) إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له

لحافظون) اختلف المسلمون في ترتيب سور القرآن وطرق قراءته . وتم ذلك
اختلاف مصاحفهم لأن الرسول لم يلزمهم بالاتباع ترتيب مخصوص في السور .
ولم يجمعهم على قراءة واحدة . سور القرآن كل منها ككتاب قائم بذاته كما قال
تعالى (٩٨: ٢) رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فليس ثم فائدة
كبيرة في التزام ترتيب مخصوص ولفظ (سورة) مأخوذ من سور المدينة سميت
به القطعة المخصوصة من القرآن لأنها طائفة مستقلة بذاتها . فكانه صلى الله عليه
وسلم ترك بين المسلمين ١١٤ كتابا كل منها محفوظ مكتوب مرتبة آياته . وجهها
بالطريقة الحاضرة لم يكن معروفا في عهده وإنما حدث بعده بقليل وإن كانت في
زمنه مجموعة عند بعضهم في الصحف المتنوعة التي ذكرناها

أما اختلاف القراءات فهو نوعان : اختلاف بسبب اللهجات كالأمثلة وعددها
واختلاف آخر في الكلمات كتفسير شكلها أو أعرابها أو بعض حروفها أو نحو ذلك .
ولكل من النوعين فوائد . ففوائد الاختلاف بسبب اللهجات هي (١) تسهيل
لفظه وفهمه وحفظه لبقائهم العرب المختلفة (٢) إظهار أنهم يعجزون جميعا عن الاتيان
بمثل سورة منه كما نهداهم بذلك ولو بلغاتهم المختلفة وأن عجزهم عن المناوذة ليس
ناشئا عن نزوله بلهجة واحدة لا يعرفها كثير منهم . وفوائد اختلاف الكلمات هي
(١) تسهيل حفظه على كل أحد . وبأن ذلك أن من أراد حفظ القرآن كثيرا ما يسبق
لسانه بنطق مخصوص . فإذا علم أن هذا خطأ جاهد نفسه لتدبر لسانه ولكن إذا
علم أن قراءته جائزة لم يحتاج إلى هذا الماء مثلا إذا أراد أن يحفظ قوله تعالى
(٨٩: ١٧) كلا بل لا تكرمون اليتم ١٨ ولا تحاضون على طعام المسكين) قد يسبق
لسانه ويقول (كلا بل لا يكرمون اليتم ولا يحضون على طعام المسكين) فيجهد
نفسه في المدول عن ذلك ولكنه إذا علم أن هذه قراءة جائزة لا يحتاج إلى اتعاب .
وهذا الأمر يدرجه جيدا من عانى حفظ القرآن الشريف . ومن أزم بإصابة
غرض واحد لا غير ليس كمن أتيح له إصابة أي غرض من بين بضعة أغراض .
ولانس ما لتسهيل حفظ القرآن على الأمة من الفوائد فإنه أعظم طريق القرآن
في نقله وروايته وخصوصا في الأزمنة القديمة وبين الأمم الباذخة (٢) تكثير

المأني . فتعدد القراءات تكثر المعلومات وتزداد الفوائد . وقد يكون بعض المأني مبينا للبعض الآخر (٣) تخفيف بعض الأحكام فمثلا قوله تعالى في آية الوضوء (٦:٥) واسمعوها بوزنكم وأرحلهم) بالكسر يفهمنا أن النسل المفهم من قراءة الفتح غير واجب على التميمين وأن المسح يكفي

فهذه الاسباب وغيرها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ المسلمين القرآن بأوجه مختلفة ولذلك قال كاتبا عنه (أنزل القرآن على سبعة أحرف) الحديث ولفظ السبعة تستعمله العرب أحيانا للبالغة في الكثرة فيجمل أن يكون هذا هو المراد هنا أو أن المراد سبع لهجات العرب الشهيرة وهو لا ينبغي أن هناك قراءات أخرى غير اللهجات إذ لفظ الحديث لا يفيد القصر

وقع الخلاف بين المسلمين في هذه القراءات إلى أن اشتد في زمن عثمان رضي الله عنه إذ كان بعضهم إذا نطق بقراءة وسمع من غيره ما يخالفها نازعه في ذلك واتهمه بالتحريف فخشي أن يحصل بينهم من الاختلاف في القرآن ما حصل بين أهل الكتاب . ورأى أن يجمع المسلمين على مصحف واحد ينسخون عنه ويرجعون إليه في ضبط مصاحفهم حتى لا يكون فيها اختلاف ولا تكثر فيها هذه القراءات وأخبر جمهورا عظيما من أصحاب رسول الله بذلك فوافقوه على رأيه فأمر بكتابة المصحف على طريقة قرش في الرسم وكان الكتاب فريقا من الصحابة أيضا . فكتب عدة مصاحف بهذه الطريقة بعد التحري والتدقيق ومراجعة ما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وإن كان الكتّابون هم أيضا من الحفظ ثم أرسلت هذه المصاحف إلى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام وفيها الجماهير من الصحابة ومن أخذ القرآن عنهم حفظا وكتابة . فوافقوا جميعا على اسمها والتمسك بها عليها وأعدموا غيرها عما عندهم . وكان ذلك بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة (أي سنة ٢٥ هجرية)

هذا ومن علم طابع العرب بغناها وشدة إيمانهم وتسكهم بدينهم . وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق وأنهم ما كانوا يستبدوا بالامر في شيء حتى لو أرادوه لما قعدوا عليه — وعرف حال عثمان ومهيب قلبه ، من عرف ذلك

كله أيقن أنهم لو كانوا وجدوا في مصاحف عثمان عيبا لرفضوها ولا يثبت حروب وأربقت دماء وكان دم عثمان في أولها ولا رتد كثير من الناس عن الاسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتعريف القرآن من خالطهم أو دخل فيهم من أهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعا على قبول هذه المصاحف ولو وجدت مصاحف مختلفة فيهم إلى اليوم ، فلم حصول شيء من ذلك يدل على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصا لأن القرب تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفا واحدا من القرآن بل كانوا حافظين له حفظا جيدا في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله أو بعضه مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

هذه المصاحف الثمانية لم تكن منقولة ولا مشكوة ورسمها في كثير من المواضع يختلف ما اصطلاح عليه الناس فما بعد من قواعد رسم الكلمات العربية . واكن جرى المسلمون على تقليد هذا الرسم في جميع بقاع الأرض على مخالفة بعضها وضهرة من القواعد بعد مخالفة منهم على عمل الصحابة رضوان الله عليهم . ونحاشيا لعمل أي تصحيح أو تهذيب في الكتاب ولم يخرجوا عنه إلا في الازمة الأخيرة في كلمات قليلة كتبها على مقتضى طريقهم . على أن أذكر مصاحفهم لا يرال إلى اليوم كالكتبة الأولى لكنها في القالب منقولة مشكوة

أما القراءات فاستمرت مختلفة بين المسلمين إلى زماننا هذا فهم وإن كانوا أجمعوا على المصاحف الثمانية إلا أن القراءات التي كانوا يقرؤون بها من قبل هي وكانت غير مخالفة للرسم الثماني مخالفة بمتد بها . استمروا على القراءة بها فيما بعد . أما التي تخالفة فأخذت ثلاث من بينهم شيئا فشيئا . وعليه فوجود المصاحف الثمانية أفاد المسلمين ثلاث فرائد (الأولى) إجماعهم على مصحف واحد في الكتابة (الثانية) قليل الاختلاف بينهم في القراءة (الثالثة) اتفاقهم على ترتيب مخصوص للسور وأمل هذا الترتيب كان يستحسنه الرسول وإن لم يوجهه كما سبق وتكرر من هذه القراءات المختلفة سبع روى كلامها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل الفخيم من أصحابه وأخذ عنهم في البقاع المختلفة الجماهير من التابعين

فأخذ عنهم من بعدهم وهكذا الى اليوم . وهذه القراءات المتواترة بمختلفها رسم المصاحف ولا تختلف كما قلنا بخلافه يستند بها أوصريحة اذا جردت من النقط والشكل كما كانت

اشتهر بين التابعين ومن تبعهم أناس باتقان هذه القراءات وتعليقها لغيرهم تسببت اليهم وسما أئمتها وان كانت متواترة بين المسلمين في جميع البلاد وهؤلاء هم عبد الله بن كثير عكة وعبد الله بن عامر بالشام وعاصم بالكوفة وكذلك حمزة والكسائي ونافع بالمدينة وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة وفيهم الثلاثة الاول تابعيون بقي المصنف غير منقوط ولا مشكول الى أن كثرت الأعاجم واختلطت بالعرب ففسا فهم الاحن حتى اضطروا الى ضبطه فكان أول من وضع عليه الضبط أبو الاسود الدؤلي في أوائل حكم بني أمية وكان ضبطه أن يضم نقطة فوق الحرف ان كان مفتوحا ونحطة ان كان مكسورا وبجانبه ان كان مضموما واستمرت الحال على ذلك الى زمن الخليل بن أحمد النحوي المشهور فوضع للمصنف شكلا آخر كان أصابا للشكل الحالي الذي جرى عليه المتأخرون . وكانت وفاة الخليل هذا سنة ١٧٠ للهجرة أخذت طرق كتابة المصاحف تتحسن شيئا فشيئا الى أن اخترعت المطابع فطبع أول مصحف في مدينة هيبورغ بألمانيا سنة ١٦٩٤ للبلاد أي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك انتشرت المصاحف المطبوعة في العالم وحلت محل المنسوخة باليد وقد أخذوا الآن يرسمونها بواسطة المصورات الشمسية (الآلات الفوتوغرافية) وهكذا حفظ الله تعالى كتابه حتى وصل الينا بدون تحريف ولا تبدل . وكان المصنف في جميع هذه الأطوار المختلفة التي وصفناها كما هي معنا عليه بألف الآلاف من الحفظة في جميع البقاع الاسلامية ولا تزال الحال كذلك الى عصرنا هذا مع ضعف المسلمين وتأخرهم . ومن عجب عناية الله بهذا الكتاب لمزيد أن يقض لنا اليوم في مصر من يحننا من غير أهل ديننا ومن غير جنسنا على تنعيم الكتابيب في جميع الاقاليم من بعد أن ظننا أن زمن الحفظة اقتضى أو كاد ينقضي من بيننا فأجيب دعاء الداعي الى ذلك وانتشرت الكتابيب في البلاد وكثرت الحفاظ مرة أخرى ونحمدد عندنا الوف من الاطفال يحفظونها

كله في صدورهم فضلا عن الرجال والشيوخ
نظرنا في هذا الكتاب المتواتر عن صاحبه نظرة فأيقنا سببه بدون نظر الى
أي شيء سواء من صدقه عليه السلام في دعواه وأنه مبلغ عن الله (راجع مقالنا
الدين في نظر العقل الصحيح). ثم وجدنا فيه ان الله يقول (انا نحن نزلنا الذکر
وانا له لحافظون) فلمنا أن كل رواية يفهم منها أن القرآن ضاع منه شيء لا بد
أن تكون موضوعة مدسوسة وان لم يتضح هذا الامر من سندها لانها تنافي ذلك
القول المتواتر عن النبي الصادق. على أن جمع هذه الروايات منقولة عن الآحاد
وقد اتضح كذب كثير من روايتها وهي أيضا معارضة بأمثالها كالذي روي عن
ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال « ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » وناهيك بابن عباس ثقة في هذا الموضوع. وقد
أجمع المحققون من المسلمين أن القرآن لا يثبت إلا بالمتواتر فزعم الآحاد أنه كان
قرأنا وضاع أو نسخ لا يقبل منهم (راجع مقالنا في النسخ والنسوخ) فقد وجد
بين الرواة من هو ضعيف الفهم أو سخي الرأي أو كذوب يريد تشكيك
المسلمين في دينهم أو يريد أن يويد دعوى أو مذهبا له بأمثال هذه الروايات
ولكن العقلاء لا يقبلونها لئلا يؤديهم ذلك الى رفض المتواتر فيكونوا ممن يرجح
الدلالة الظنية على الدلالة المقطوع بها ومن كان كذلك كان من الاخسرين أعمالا
الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

بقي علي نقطة واحدة في هذا الموضوع لا بد لي من الكلام عليها قبل الانتهاء
منه وهي دعوى بعض الجهلة الفاضلين أن في القرآن لحنا ويذكرون من ذلك قوله
نصالي (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والصارى الآية) وقوله (لكن
الراستخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
والمقيم الصلاة والموتون الزكاة) لأن مقتضى الظاهر نصب الصابئين ورفع
المقيم الصلاة طبقا لتواعد النحر المعروفة. وما مثلهم في هذه الدعوى الا كمثل
تلميذ في مكتب سمع من استاذة بعض نظريات يفسر بها ظواهر وجودية طبيعية
فظن أنه عرف كل شيء وأن استاذة لا تخفي عليه خافية وبسد ذلك وأى في

الوجود شيئاً يخالف ما وضعه له المعلم من القواعد فصاح قتيلاً : الطليعة أخطأت ،
النظام اختل ، الكون فسد لانه خالف قواعد استاذي : وما درى أن عقله في
الحقيقة هو الذي اختل وفسد فكذلك شأن هؤلاء القوم . القرآن ينوع الفصاحة
والبلاغة وحجة اللغة الباهضة وهو أساس ما وضع من القواعد النحوية بهذه فلا
يليق أن نلزمه بالجمي عليها وأن نجعلها أصلاً له ونحكم بمطالعه إذا هو خالفها بل
الواجب إذا لم ينطبق شيء منه على بعضها ان نعلم أنها معيبة أو أنها غير وافية
بالفرض في بعض المسائل لعدم احكام وضعها هذا إذا لم يمكن التطبيق . وما من
لغة الا وفي أشهر كتبها القديمة وألفها ما يخالف ما وضع من القواعد فيها بعد حتى
يضطرب الواضون الى استثناءه أو تطبيقه عليها بوجه ما وكذلك فعل علماء اللغة
العربية في أشمل هذه الآيات حتى أجروها على قواعدهم كما هو مبين في التفسير
ولا حاجة بنا لنقل ذلك هنا لعدم أهميته .

فان قيل نحن لا نقول ان هذا الخطأ كان في أصل القرآن وانما هو من نسخ
المصاحف في زمن عثمان قلنا ان هؤلاء النساخ كانوا من الفصحاء الذين فكيف
يقعون في هذا الخطأ ويتفقون عليه في جميع المصاحف التي كتبوها وأرسلوها الى
الأقطار لاسلامية بحيث لا يوجد مصحف واحد خالياً من الخط في هذه الآيات
بينها ؟ وكيف تنفق الحفظة في جميع الأزمنة على قراءة هذه الألفاظ المتنازع
فيها كما كتبت في المصاحف مع العلم بأن القراء اعلموا بتقوون قراءتهم عن قبلهم
بقطع النظر عن مرسوم الخط وعما وضع من القواعد النحوية وقد توارثوا هذه
القراءات بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود مصاحف عثمان كما بينا
ذلك فيما سبق ؟ ومن علم عناية المسلمين بالتجويد وضبط القراءات واحكام نطق
اللهجات المختلفة وأهم لا يأخذون ذلك من الكتب بل بسماع من أئقنها ممن
تقدمهم ، علم فساد أمثل تلك الانقادات الباردة وسقوطها

وصفة المقال أن القرآن وصل بينا بدون تحريف حرف واحد منه أو
تبدله فهو مكتوب اليوم كما كتبه الصحابة أنفسهم مقروء كما قرأه النبي صلى الله
عليه وسلم . ولا نعرف كتاباً آخر في الدنيا بلغت العناية به من أهله مبلغها

بالقرآن فإن الكتب الأخرى التي نعرفها لا تخلو كتاب منها من الوصيات الآتية كلها أو بعضها (١) أنها لم نكتب في زمن الآتي بها أول من يعرف باليقين من هو (٢) لم نحفظ في الصدور ولا من العامة ولا من الخاصة (٣) لم تكن نسخها كثيرة . وفي أغلب الأزمنة القديمة لم تكن في أبدي العامة (٤) رواها الآحاد واختلفت روايتهم (٥) فقدت واقطع سندها إما بسبب الارتداد العام من أصحابها أو بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الاعداء إبادتها وإحراقها (٦) وجد أمثالها معارضا لها وكثير منها لا يرجع عليها بزيادة في قوة اسناده (٧) وجود بعض فقرات فيها تدل على بطلان النسبة الى من نسب اليه الكتاب (٨) مملوءة بمخول السامع (٩) مملوءة بالتناقض والزيادة والنقصان والتعديل (١٠) وجود اختلافات بين نسخها قديما وحديثا (١١) اختلاف الطوائف في قبول بعضها أو رفضه بل اختلاف الطائفة الواحدة في قبول بعض الكتب أو ترجمتها في بعض الأزمنة ورفضها في الأخرى (١٢) وجود ما يقطع بعدم صحتها والفظات التاريخية والعلمية وغيرها واشتغالها على ما ينافي الآداب ويفسد الأخلاق (١٣) وجود كثير من القو فيها وما لا فائدة فيه وما يناقض البراهين العقلية القطعية (١٤) وجودها منذ أزمنة بعيدة وخلوها أكلها اذ ذلك من العلم والتحقيق والتعويض (١٥) مناداته مخالفتهم في العصر الأول بأنهم يحرفون كتبهم ويبدلون بها ويضربونها كما يجاهرون بذلك سكسوس الفيلسوف الشهير فوزه خفية عشر وحكما مما تنتقده تلك الكتب وجميعها يتبرهن عنها القرآن الشريف . وقد ذكرت عدة من شواهدنا بالأيجاز في رسالي التي نشرت سابقا في المنار . ومن أراد الايضاح فليدرك الكتب المؤلفة في هذا الشأن اسلامية كانت أو غيرها عبرية أو أفرنجية . والسلام على من اتبع الهدى (المنار) ذكرنا هذه المقالة بكتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذي يؤلفه صاحبنا موسى افندي جوار الله الرومي وأنا . وعندما عند ذكره في آخر جزء من السنة الثامنة بالعودة الى تقريره وكنا نسبنا الكتاب والورد وقد أوضح مسألة جمع القرآن وأطال في بيان حفظه وعدم تضاع شيء منه ومستقل منه ذلك في الجزء الآتي

﴿ أصول الاسلام ﴾

(كلمة انصاف واعتراف)

يرى الناقد البصير أن ما كتبت في هذه المسألة ينحصر في بحثين - بحث في السنة القولية وبحث في السنة العملية ثم يرى أن الرادين علي لم يأتوا بشيء في البحث الأول يثني عليلاً أو يروي غيبلاً . وأن أسانيدنا الكبير ومصاحح الاسلام العظيم السيد محمد رشيد يوافقني في هذا البحث بل هو مرشدي الأول . وأما البحث الثاني (السنة العملية) فالشطط الوحيد الذي ارتكبته فيه على ما أرى هو إنكاري وجوب ما فهم الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه دين واجب ولم يكن مذكورا في القرآن ولكن أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم عملاً واعتقاداً بدون أدنى اختلاف بينهم . وأم ذلك في الحقيقة مسألة ركعات الصلاة وأرى أن ما كتبه صاحب المار الفاضل في هذه المسألة كاف في الرد عليّ . فأنا أعترف بخطأي هذا على رؤوس الاشهاد واستغفر الله تعالى عما قلته أو كتبت في ذلك وأسأله العافية عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكير والتدبر هو : أن الاسلام هو القرآن وما أجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملاً واعتقاداً ، أنه دين واجب وبشارة أخرى أن أصلي الاسلام الذين عليهما نبي هما الكتاب والسنة النبوية بمناها عند السلف أي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين : ولا يدخل في ذلك عندي السنن اقولية غير المجمع على اتباعها ولا ما كان ذا علاقة شديدة بالأحوال الدنيوية كمقتضى الحدود ومقادير زكاة المال وانفطار الأصناف التي تؤخذ منها وغير ذلك مما لم يذكر في الكتاب العزيز . فأبج بعض التصرف في أمثال هذه المسائل إذا وجد عندنا مقتضى . وبهذا التقرير نزول جميع الاشكالات التي أوردتها في مقالتي السابقتين . نسأل الله تعالى الهداية في القول والعمل ، والصيان من الشطط والزلل ،

اللهكتور محمد توفيق صدقي

الطبيب باستباليات صحن طره

(الخار) محمد الله أن ظهر صدق قولنا في الرجل وأنه معتقد ويدعن لا يظهر له انه ملحق

أَنَا رَسُولُ اللَّهِ

﴿ القصص والقاضي ﴾

عن محمد بن مقاتل الماسقوري قاضي الري قال كان محمد بن الحسين يكثر
الادلاج الى بساتينه فيصلي الصبح ثم يعود الى منزله اذا ارتفعت الشمس وعلا
النهار قال محمد بن مقاتل فسأته عن ذلك قال بلغني في حديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال « حُبَّ الِي الصلاة في الجيطان » وذلك ان أهل اليمن يسمون
البستان الحائط قال محمد بن الحسين فخرجت الى حائط لأصلي فيه الفجر رغبة
في الثواب ولا اجر فمارضني لص جري القلب خفيف الرئب في يده خنجر كلسان
الكلب ماء المنيا يهول على فرنده والآجال تهول في حده فضرب بيده الى
صدري ومكن الحجر من محري وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان انزع ثيابك
واحفظ اهابك ولا تكثر كلامك تلاق حمامك ودع عنك الدم وكثرة الخطاب
فلا بد من نزع الثياب . قلت له يا سبحان الله انا شيخ من شيوخ البلد وقاض
من قضاة المسلمين يسمع كلامي ولا رد احكامي ومع ذلك فاني من قلة حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة اما تستحي من الله ان يراك حيث
نهارك . فقال يا سبحان الله انت ايضا اما تراني شابا ملء بدني اروق الناظر واملأ
الحاظر وآوي الكهوف والغيمران واشرب القيمان والقدوران واسلك مخوف المسالك
والتي بيدي في الممالك ومع ذلك فاني وجل من السلطان مشرد عن الاهل
والاوطان واخشى أن أعثر بواحد مثلك وأتركه يمشي الى منزل رحب وعيش
رطب وابقى انا هنا اكابد التعب واقصب النصب وانشأ القص يقول
تري عينيك ما لم تر آياه **ككلا** عالم بالتهرات

قال القاضي اراك شابا قاضا ولصا عاقلا ذا وجه صريح ولسان فصيح ومنظر
وشارة وبراعة وعجالة . قال القص هو كان ذكر وفوق ما تشر . قال القاضي فهل لك
الى خصلة تعقبك اجرا وتكسبك شكرا حولا نهك مني سقرا ، ومع ذلك فاني مسلم

التياب اليك ومشرف بعد هاء عليك قال الاصم وما هذه الخصلة قل القاضي تمضي
معي الى البستان فأتوا ري بالجدران واسلم اليك التياب وتمضي على المسار والمهاب
قال الاصم سبحان الله شهدي بالمقل ومخاطبي بالحيل : وبحك من يومني منك
ان يكون لك في البستان غلامان جلدان عليهما ذوا سواعد شديده وقلوب غير
رعيده بشدائي وثاقا ويسلخائي الي السلطان فيحكم في آراءه وبقضي علي بما
شاه قال له القاضي لعمرى انه من لم يفكر في المواقب فليس له الدهر بصاحب
وخلق بالرجل من كان السلطان له مراصدا وحقيق باعمال الحيل من كان لهذا
الشأن قاصدا وسبيل العاقل ان لا يمتد بعده بل يكون منه على حذر ولكن لا حذر
من قدر ولكن احاف لك أليه مسلم وجهد مقسم اني لا أوقع بك مكرا ولا اضر
لك غمرا قال له الاصم لعمرى لقد حسنت عبارتك ونعمتها وخشنت اشارتك
وطبقتها ونثرت خيرك على فسخ ضيرك وقد قيل في المثل السائر على السنة العرب
انجز حرما وعد ادرك الاسد قبل ان يلتقي على الفريسة لحياء ولا يعجبك من
عدو حسن محياه وانشد

لا تخدش وجه الحبيب فانا قد كشفناه قبل كشفك عنه
واطلقنا عليه والمثولي قطع اذن الميار اعير منه

ألم يزعم القاضي انه كتب الحديث زمانا ولقي فيه كهولا وشبانا حتى فاز
ببكره وعونه وحاز منه معنى متونه وعيونه قال القاضي أجل قال الاصم فاي شيء
كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل واعملت الحيل قال القاضي ما
بمضرنني في هذا المقام المرح حديث أسنده ولا خبر اوردته فقد قطعت هيئتك
كلامي وصدعت قبضتك عظامي فلاني كابل وجناني عليل وخاطري نافر ولبي
طائر قال الاصم فليكن لك وليطمئن قلبك اسمع ما اقول وتكون بشبابك حتى
لا نذهب ثيابك الا بالقوائد قال القاضي هات قال الاصم حدثني ابي عن جدي
عن ثابت البناني عن انس بن مالك قل قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين
المكره لا لزمه من حلف وحنث فلا شيء عليه » وانت ان حلفت حافظت مكرها
وان حنثت فلا شيء عليك انزع ثيابك قال القاضي يا هذا قد اجعتني مضايقة

جنانك وذراية لسلك وأخذك علي الحميم من كل وجه وحانب وابتت بالفاظ
 كأنها لسم المقارب اقم هنا حتى امضي الى البستان وأوارى بالجدران وانزع ثيابي
 هذه وادفنها الى صبي غير بالغ تنفع بها انت ولا أمهيك انا، ولا تجري على الصبي
 حكمة لصغر منه، وضف منه، قال القاص: يا اسان قد اطلت المناظرة، واكثر
 المحاور، ونحن على طريق ذي غرر، وممكن صعب وعمر، وهذه المزاغة لا تنتج لك
 فضا، وأنت لا تستطيع لما ارومه منك دفعا، ومع هذا فترغم اباك من أهل العلم
 والرواية، والفهم والدراية، ثم تبتدع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 « الشريعة شريفة والسنة سنية فمن ابتدع في شريعتي وسنة فعلي له لعنة الله » قال
 القاضي يا رجل وهذا من البدع! قال القاص: القصص بنية بدعة، انزع ثيابك فقد
 أوسعت من ساعة بمجالسة، ولم اشد عقابا لك، حياء من حسن عبارتك، ووقع بلاغك،
 وتقبلت في المناظرة، وصبرك تحت المحاطرة، فنزع القاضي ثيابه ودفعا اليه وابق
 السراويل: فقال القاص: انزع السراويل كي تتم الخلعة، قال القاضي: يا هذا دع
 عنك هذا الاغنام، وامض بسلام، ففيها اخذت كفاية، وخل السراويل فانها لي
 سترواقية، لاسيما وهذه صلاة الفجر قد أرف حضورها واخاف نفوتي فاهلياني
 غير وقتها وقد قصدت ان افوز بها في مكان يحيط ويزي وبضاعت اجري ومضي
 منعتي من ذلك كنت كما قال الشاعر

ان الثراب وكان يمشي مشية فيها مضي من سالف الاحوال
 فأفضل مشيته وأخطأ مشيا فذلك كنوه ابا الموقال

قال القاص: القاضي ايده الله تعالى يرجع الى الخلعة غير هذه احسن منها خظرا
 واجود خطرا، وانا لاملكت سواها ومتي لم تكن السراويل في جلتها ذهب حسنبا
 وقل منها لاسيما التكة مليحة وسينة، ولها مقدار وقيمة، فدع ضرب الامثال
 واقنع عن ترداد المقال، فليست بمن يرد بالحوال، مادامت الحاجة ماسة الى السراويل
 ثم انشد

دع عنك ضربك سائر الامثال واسمع اذا ناشئت فصل مقالي
 لا تطلبن مني الخلاص قانني أقي مني ما جيتي بسؤاله

ولأنت إن ابصرني ابصرت ذا قول وعلم ككامل ونصال
جارت عليه يد الليالي فانتفى يعني المماشى بصارم ونصال
فالموت في ضلك المواقف دون أن ألقى الرجال بذلة التساكن
والمسلم ليس يرافع أربابه أولا فقد مه على البقال
ثم قال ألم يقل القاضي أنه يتفقه في الدين، ويتصرف في فتاوي المسلمين؟ قال
القاضي أجل، قال القص: فمن صاحبك من أئمة الفقهاء؟ قال القاضي: صاحبي محمد
بن ادریس الشافعي، قال القص: اسمع هذا وتكون بالسراويل حتى لا نذهب
عنك السراويل إلا بالفوائد قال القاضي أجل يالها من نادرة ما غر بها وحكاية
ما أعجبها قال حدثني أبي عن حدي عن محمد بن ادریس برهه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « صلاة العر بان جائرة ولا إعادة عليه » فأول في ذلك غرق
البحر إذا سلموا إلى الساحل فنزع القاضي السراويل وقال خذها وانت أشبه
بالقضاء مني، وأنا أشبه بالخصوصية منك، يامن درس على اخذ ثيابي موطأ مالك
وكتب المزني ومديده ليدفعه إليه فرأى الخاتم في أصبعه اليمنى فقال انزع الخاتم
فقال القاضي إن هذا اليوم مارأيت انحص منه صباحا، ولا أقل نجاحا، ويملك ما
أشرك وأرغبك، وأشد طلبك وكلبك، دع هذا الخاتم فإنه عارية مني وأنا
خرجت ونسيت في أصبعي فلا تلزمني غرامته . قال القص: العارية غير مضبوقة
مالم يتم فيها شرط عندي ومع ذلك أفلم يزعم القاضي أنه شافعي قال نعم قال
القص فلم تختمت في اليمن قال القاضي هذا مذهبا قال القص صدقت إلا أنه
صار من شمار المضادين قال القاضي فانا أعتقد ولا أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه وتفضيله على كل المسلمين من غير ملعن على السلف الراشدين
وهذا في الأصول اعتقادي وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتقادي فأخذ القص
في رد مذهب الرافض وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة دوتها بهذا الاسناد
انقطع فيها القاضي وقال بعد أن نزع الخاتم ليسلمه إليه خذ يا قهيه يا متكلم
يا أصولي يا شاعر يا قص اه (من طبقات الشافعية الكبرى)

﴿ شرح عقيدة السفاريني ﴾

لشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي (رحمه الله تعالى) عقيدة منظومة اسمها « السرة المضية في عقد الفرقة المرضية » بقني أن الشيخ حسنا الطويل (عليه الرحمة) قال لما اطالع عليها مامناه ان هذه أول عقيدة اسلامية اطلعت عليها . ولناظمها شرح مطول عليها سماه « لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية » جمع فيه المؤلف أقوال السلف والخلف ومذاهب الفرق في مسائل الاعتقاد وبين رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل الثقلية وكذا العقلية فيما يستدل على مثله بالعقل واقتبس جل تحقیقاته فيه من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم عليهما الرحمة والرضوان . فجاء كتابا حافل الرعي ، جامعا لما لم يجمعه غيره من المأثور والمروي ، كثير الفوائد ، جم الأوابد والشوارد ، لا يكاد يستغني عنه طالب السمة والتحقيق في العقائد الاسلامية ، أو يحيط بما في كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية . نعم انه ينكر عليه كثرة الروايات والأقوال المأثورة في أشراف الساعة ونحوها من المسائل التي ليست من العقائد الدينية ومنها مالا يصح له سند ولكن من يعلم انه لا يجب عليه ان يستقد مالا يقوم عليه البرهان لا يضره ايراد ذلك وقد ينفعه الاطلاع على تلك الاقوال فيستخرج من مجموعها ما ينطبق الحق و يبطل الباطل .

وجلة القول ان هذا الكتاب لا يستغني عنه بشيء من كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكأها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان ، ليس فيها بيان لمذهب السلف بحلي حقيقته ووضع طريقته ، بل فيها ما يشعر بأن مذهب السلف هو التمسك بالظواهر من غير فهم ثاقب ، ولا علم راسخ ، وان الخلف أعلم منهم وهيئات هيئات لذلك بل السلف اظهر وأعلم وأحكم وما خالف المتكلمون فيه السلف فهو جهل مبین أو نزغات شياطين وبمثل هذا الكتاب تصرف ذلك

رغب في نشر هذا الكتاب بعض محبي العلم والدين من العرب الكرام المحققين فأرسل إلينا نسخة خطية منه فطبنا له عنها عددا مميئا جمعه وقها لله تعالى بوزع

على طلاب العلم السلفين في بلاد مخططة وطبعنا منه على نفقتنا طائفة من النسخ زيادة عن النسخ الموقوفة باذن الطابع الواقف وهي ناع بمكتبة المنار بشارع درب الجاميز بمن قليل بالنسبة لحجم الكتاب وحسن ورقه وطبعه جعل الكتاب جزءاً من صفحات الأول ٣٨٨ والثاني ٤٤٨ ووضعنا له فهرساً مرتباً على حروف المعجم لتسهيل مراجعة فوائده الكثيرة المطوية في مباحثه المختلفة وجدولاً للخطأ والصواب فدخل ذلك مع ترجمة المؤلف في ٢٨ صفحة فمجموع صفحات الكتاب ٨٦٤ وورقه كورق المنار ومن النسخة منه غير مجلدة عسرون قرشاً صحيحاً ماعداً أجرة البريد

﴿ الوجيز في القانون الجنائي ﴾

عمر بك لطفي من أشهر علماء القوانين في هذه الديار أتمها علماً وتعليماً وعملها فقد كان مدرساً بمدرسة الحقوق ووكيلاً لها زمناً طويلاً والآن تحسبه مدرس شرف فيها وهو الآن يشغل بالمحاماة ويتدرس القانون الجنائي بمدرسة البوليس . وقد ألف في هذه الأيام كتاباً في القانون الجنائي سماه الوجيز فحسبنا في تقريره أن نقول أنه من تأليفه وفي الدلالة على وجه الحاجة إليه الحاح طلاب المدرستين - الحقوق والبوليس - عليه بطلبه وإيداعه ما لقيه من الدروس عليهم طبع الجزء الأول من الكتاب على ورق جيد فكان ٣٧٨ صفحة ومن النسخة منه ثلاثون قرشاً وهو يباع في إدارة مجلة المجلات العربية وفي المكتاب الشهيرة

﴿ لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر ﴾

ألف ميخائيل افندي بن أنطون الطاقال الحلبي كتاباً سماه «لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر» والفاية في البداية والنهاية وهو كتاب خيالي الوضع ادبي المنزى من احسن ما كتب أهل هذا العصر عبارة وموضوعاً، تقرأ الصفحات منه ولا تكاد تشعر بشيء من الأغلاط التي اعتادها كتابنا عامة وأهل الصحف منهم خاصة، ولا تقف عند معنى ينكره الادب الصحيح، أو يمججه الذوق السليم وفي بعض فصوله كثير من مفردات اللغة التي يحتاج إليها الكتاب وهم في غفلة عنها قلقة بمشهم واطلاهم في الغالب . وقد طبعه وجعل ثمنه ريالاً وانما نورد لك فصلاً منه في تربية الطفل قال

﴿ الفصل الاول من الباب الرابع ﴾

هـ في الطلي والولادة وترية الطفولة

قال والدي : كل امرأة عندنا (أي في الزمرة) خصوف (١) لا تهر (٢) ولها ، وهي تأكل وتشرب وتضحك لا تشكو ولا تنن ولا تتوجع شكوى وإنين وتوجع بني آدم بل تضع كأنها تنصص مفصا ليس بشديد ، لا تحتاج الى قالة لانها لا يهددها خطر ، اننا لا نأثر (٣) لاننا نقول من وضع غير أمه فقد تخلف باخلافا ، ان المرأة بعد ان تنجم للمولود أي بعد أن ترضعه أول رضعة ترضعه في كل ساعة حترين (والحرة الرضعة الواحدة) حتى اذا بلغ الشهر السادس من عمره ارضعته في كل ثلاث ساعات مرة فاذا زادت منعت وعدت جاهلة بين نساءنا وهذا يحدث قليلا أو لا يحدث ، لا تنجموه (٤) ولا تنجده (٥) ان الموضع عندنا لا تأفل (٦) والرضع لا يمسح (٧)

لا تضع الام ولها في سرير يهر ، فقد عرفنا انه تنجم عن اخطار عظيمة وربما كان سبب هلاك الطفل منها ان الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه ويحدث له القيء وغير ذلك من الامراض ، هذا اذا كان معافا فاذا كان عيلا متألما من حالة عصبية دماغية أو معدية أو غيرها ازداد تألما بالهر وتمكنت منه اللبل وقد علم ان كثيرين اصيبوا منه بالشوص والحول هذا اذا لم يسقط الطفل من سريره لان في سقوطه الوبال عليه ، ومن المعلوم أن الطفل اذا هز سريره لا ينال في أول الامر الابدان يأخذ دوار وربما كان التهيؤ يعدد منه الرقة ويلوي الرأس وفي كلا الامرين خطر عظيم عليه

(١) الخصوف من النساء التي تلد ولا تدخل في العاشر (٢) جرت المرأة ولها وجرت به وهو ان يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجازوها باربعة أيام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم (٣) ظارت مظارة اذا اتخذت ظئرا . الظئر المرضعة غير ولها (٤) الام تنجم ولها أي تؤخر رضاعه عن مواعите ويورث ذلك ولها وهذا (٥) جدع التلام يجمع جدعا ساء غذاؤه والمخل أيضا سوء الرضاع وقد احلته أمه أي اساءت غذاؤه (٦) اقلت الموضع ذهب لبنها (٧) حصا الصبي من اللبن

ثلاثة والدته بلعائف من اللبن، لا تقطعه قطعا شديدا لئلا يولّى الساقين والقدمين والساعدين واليدين ولئلا يضطرب، نضجه في سرير ثابت وتضع عليه لحافا من اللبن يمنه من التحرك القوي

لا تتركه وحده ولا تقدم اليه ما يجتصه ليثقي به عن الرضاع، يخرج من غرفته في كل يوم ثلاث مرات الى محل طبيب المراء فيه، وبعد خروجه فتفتح النوافذ ليندله هواها غير انه يجتزى عليه من البرد والحر، لا تلبسه أمه الى أحد ولا تتخذ له مربية فان الوالدة أحسن على الولد من غيرها وأشد اقباحا اليه واحرص عليه لا تقبله ولا يقبله أحد لئلا تتقل اليه حيوانات في المستقبل الضارة . لا يضحك تضحكا شديدا لئلا تنفي نفسه (١) أو يقى عليه بل يترك ليضحك حينما يشتهي ويريد ضحكا طبيعيا

لا تلعبه أمه بخفضه ورفعها ولا تقبض يدها وترفعه أو تنجسه . لا تضغطه بضه الى صدرها ولا تجعل ملاعبه الا بقدر جسده لا بقدر جسمها . اذا لعبت وانزعج أو كاد تركه حالاً ليسرّج ويرتاح (٢)

لا تلبسه الا بعد ان يسن (٣) وتقوى أضراسه وأنيابه مما قال الاسنان وحدها لا تستطيع طعن الطعام وتنعيه فان أطمت أصيب بهالة الاسنان المروقة عند كم ثمريا . وبعد الاسنان ونبت الأضراس وخروج الأنياب تركه والدته أو كلاً خفيفاً لطيفاً لا يقاسي في مضغه ثوبا لئلا يلبسه . لا تلبسه الا قليلا حينما ترى منه اشتهاً واقبالاً على الطعام فاذا آتت منه قلة في الاشتهاً رفعت الطعام وأخفته اذا أبحر شيئا ضاراً ولو قليلا ورغب فيه منعه وأبشدهت في نحو بل فكره عنه وقتله الى غيره فينقل . لا يسمع أصواتا عالية مرتفعة على غرة مزعجة كانت أو غير مزعجة ولا تعرض عليه المشركات المزعجة الانتقال والتمتع لئلا تزيد في

وحشي، بخصاً وضع حتى امتلاً بطه (١) غشت نفسه غشا وغشاها وخشيت غشا غشت وخشيت قال بعضهم هو تحلب الفم فرجا كان من القتي وهو التشيان (٢) ارتاح سرو وشط (٣) أي ثبت اسنانه

تحريرك عينيه ولا يحد أحد نظره اليه ولا ينظره وهو مغلوب عبوس ليسكنه ويسكنه بالارهاب بل يسكن بالكلام الرقيق ويلهى بالمناغاة (١) اذا كان الصوت رخيا لانه في فاهه يأنس بهما وبطيب خاطرهم . فاذا ربي هذه الترية فلا خوف عليه ان يقصم (٢) بل ينشوقها صحيح الجسم والمقل . اذا أخذ في الكلام قومت أمه لسانه . اتنا لانعرف الرنة (٣) واللغة (٤) واللكنة (٥) والقافاة (٦) والتممة (٧) والرأاة (٨) والجلجة (٩) والخنخنة (١٠) والمقمة (١١) والمهنة والمهنة (١٢) والتممة والتممة (١٣) والف (١٤) والبيع (١٥) ولا نعرف التبع (١٦)

(١) المناغاة تكلمك الصبي بما يهوى وناغت الأم صبيها لاطفنه وشاغته بالهذأة والملاعبة (٢) قصم الغلام بطلاً شبابه وغلام قصم أي بطي الشاب (يعني حان وقت شبابه ولم يشب) وقصم وقصم مثل قصم وقصم الغلام ضربه ببسط كفه على رأسه وقصم هامته كذلك قالوا والذي يفعل به ذلك لا يشب ولا يزداد وغلام مقصوع وقصم كادي الشاب اذا كان قميلاً لا يشب ولا يزداد وقد قصم قصاعة (٣) الرنة حبسة في اللسان . والرنة حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه (٤) اللغة عقدة وعجز في الكلام . واللغة ان يصير الرأء لأمًا في كلامه (٥) والكنة والحكمة عقدة في اللسان وعجز في الكلام والحكمة أيضاً العجمة في الكلام (٦) القافاة ان يتردد في الفاء (٧) التتمة ان يتردد في التاء (٨) الرأاة ان يتردد في الرأء تكلم أو قرأ (٩) الجلجة ان يكون فيه عي وادخال بعض الكلام في بعض (١٠) الخنخنة ان يتكلم من لذن افه . ويقال هي ان لا يبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه (١١) المقمة ان يتكلم من أقصى حلقه (١٢) المهنة والمهنة حكاية النواء اللسان عند الكلام (١٣) التتمة والتتمة أيضاً حكاية صوت العبي والالكن (١٤) الفف ان يكون في اللسان ثقل وانقاد (١٥) البيع ان لا يبين الكلام . أو يرجع الكلام الى الياء . تأتأ ترد في التاء اذا تكلم والاسم التأتأة . العلة اعتقال اللسان عن الكلام (١٦) التبع من يتبع بعض كلامه بعضاً والسريع الكلام رجل طعظم في لسانه عجمة

ان الوالدة مؤاخذه بعي ولدها وحصره وفهائه فنبهه على كل كلمة غير
فصيحة . كلامنا فصيح ببلغ فكلنا لسن (١) في بيان وبيان (٢) اهـ

﴿ القواعد المنطقية ﴾

كتاب مطول في علم المنطق ألفه بالفرنسية (الأب تومبوريجي اليسوعي)
وقبله الى العربية (الحوري جرجس فرج صفر الماروني) متصرفا بعض التصرف
في الترجمة كما قال في مقدمته . وقد تمضل باهداء الكتاب اليها مع رقم يرغب
اليها فيه بمطالعة وانتقاده فرت علينا شهرة نوقب فيها فرص الفراغ لذلك فلم
يستع منها شيء . يكتفي بمطالعة كله أو بعضها مطالعة قد قرأنا والشواغل عن
مطالعة مثله تزداد ان يجمل النظر فيه جولة عجي وتقرأ من بعض فصوله جملا تسمح
لنا بأن نفهم عليه حكما اجماليا فأرأينا ان الكتاب من أحسن ما ألف وأفيده وفيه
من المباحث والفوائد مالا يوجد في الكتب العربية المتداولة بين المشتغلين بهذا
العلم وهو يخالفها في كثير من الاصطلاحات والنهات والتقسيم والترتيب وفي هذه
المخالفة من الفائدة زلال الجلود على الكتب المألوقة وتحريك الذهن في مسائل
العلم وتعميقه الجولان في المعاني وإطاعه في الاتيان بنبر ما تلقاه من الكتب
أو الاستاذين . ورأيت في الترجمة ضعفا يحول دون الفهم في بعض المواضع وغلطا
واضحا في العبارة كقوله في ص ١٤٤ « لا يصح قولك اها ، انت جالس أو ماشي
لعدم المساواة في التقسيم اذ قد يكون لاجالس ولا ماشي » وقوله في ص ٣١ « في
الشيء الأول قاماته مع الماهية » ومع هذا نقول ان الكتاب يفيد كل من يطالعه من
أبناء العربية في هذا العلم ولعل المترجم الفاضل يعنى عند طبعه ثانية بتصحيح عبارته
لتكون الفائدة منه تامة . هذا وان ثمن النسخة من الكتاب ٣ فرنكات وهـ
يطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية

لا يفصح (١) الا ان جمع لسن ورجل لسن اي فصيح ببلغ (٢) قبل ان يفرق
بين البيان والتبيين هو ان البيان عمل اللسان والتبيين عمل القلب وقبل ان البيان
البلغ من البيان لأن الزيادة في الحروف اعظم زيادة في المعنى

﴿ التقرير السنوي لمشيخة علماء الاسكندرية ﴾

أرسلت اليها هذه المشيخة تقريرها عن سنة ١٣٢٣ الدراسية ولما تمكن من مطالعته ولكننا أجلنا الطرف في بعض صفحاته فاذا به قد وقف عند قوله « واني لأرجو أن أقدم للعالم الاسلامي بعد أعوام قليلة من خيرة الشبان رجالا تقتصر بهم الأمة المصرية وتقوم بهم الحجة على الذين يزعمون أن التعليم الديني لا ينهض بالأم ولا يصلح أن يشاد على دعاؤه عرش المدنية ولا أن يضم تحت رايته مفاهير التمدن والارتقاء » اهـ فذكرني هذا القول بأمر كنت عنه ذاهلا . ذكرني بان من علماء مكة وأشرفها علما يقيم الآن في بعض جزائر جواهر أرسل ولها له بطلب العلم في الاسكندرية لما قرأه في الصحف المصرية . ومنها المنار . من فضيل الطلب فيها على الطلب في الأزهر بالمراقبة والنظام والتدريج فلم يقبله الشيخ محمد شاكر واعتذر عن ذلك بعدم حفظه للقرآن وهو عذر لا ينطبق على قانون الأزهر الذي تتبعه مشيخة الاسكندرية كسائر معاهد التعليم الديني في القطر وكل ما تفضل به مشيخة الاسكندرية الأزهر هو أنها تنفذ من هذا القانون مالا ينفذ فيه فهذا الشرط الذي زاده الشيخ محمد شاكر على القانون يقتل باب مشيخته في وجوه « العالم الاسلامي » لأن الذين يحفظون جميع القرآن في أكثر أقطار هذا العالم هم من الصبيان أو من العلماء الذين يحفظونه في الكبر ولا يرجي أن يرسل أحد منهم الى الاسكندرية لطلب العلم . ولما كان الأزهر معهدا للعالم الاسلامي وعلم واضح قانونه أن أكثر أقطار هذا العالم لا يحفظون القرآن في الصغر لم يشترط في قبولهم بالأزهر ان يكونوا من الحافظين بل لم يشترط في المبصر من أهل القطر المصري ان يكون حافظا للقرآن كله

فان كان الشيخ شاكر يجب ان يمتاز طلاب العلم عنده بحفظ القرآن كله فله ان يكلفهم ذلك في مدة الطلب وليس له ان يمنهم من طلب علم الدين المفروض عليهم لاتهم قصره من قبل في حفظ جميع القرآن الذي لم يفرض على الاعيان . فهذا المنع من العلم لا يهجزه الشرع ولا القانون فيما نعلم ولا ينطبق على ارادة خدمة العالم الاسلامي بهذا التعليم الديني الا اذا أريد بالعالم الاسلامي مصر وكانت

هذا الاصطلاح الخاص للذين أخذوا في الاسلام نفسه ووطنه لم ينزل الله بها من سلطان مستحسناً عند مثل الشيخ شاكر وقد يرجع هذا قوله في الرجال الذين يريد ان يفرجهم (العالم الاسلامي) ينهضون به ويشيدون عرش المدنية على دعائهم «فتخربهم الامة المصرية» : ولكن هذه الوطنية المدوغة بكلمات الدين والاسلام نبأ منها دين الاسلام، وتشكرها قوانين المدنية عند جميع الانام، فاما الوطنية المعروفة عند الامم التي قامت بالوطنية فهي عبارة عن اتحاد المقيمين في وطن واحد، المختلفين في الملل والنحل على ما يري شأنه ويزيد في عرانه، وهذه الوطنية لا تمارض الاسلام الذي جعل المؤمنين اخوة يتعاونون على البر والتقوى ويتماثلون ويتراحون كأنهم أعضاء جسد واحد وإن اختلفت أوطانهم وتناوبت بلدانهم لا أطيل الكلام الآن في هذه المسألة ولكنني أتمنى لو يقل الشيخ شاكر هذا الطالب المكي وغيره ممن عساه يقصد الى الطلب في الاسكندرية، وأن لا يمزج دعوته الدينية، بتلك الغزوة المتكررة في الوطنية، والا فليجعل الدعوى على قدر الدعوة ان كانت مما لا بد منه. وانني لاشد تمنيا لواعرف عنراً مقولاً لهم قبول غير المصريين أو الحافظين طلاباً للعلم الديني في مشيخة الاسكندرية. وسنعود الى قراءة التثريب وكتابة ما يبدوننا في أمره انه نافع ان شاء الله تعالى

(البناء - أو - خطر العبارة في القطر المصري)

أف الدكتور بورتقاليس بك كتاباً باللغة الفرنسية إلى سعاد هذا الاسم وقته لها
اللغة العربية داود أفندي بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام . المؤلف طبيب أخصي
في معالجة الأمراض الجلدية والزهري وما يتعلق بذلك والكتاب صحي أدبي يفضيه
كل قارئ . وأنا أرى خير تقرير له أن نشر نبذة منه لعل القارئ تركوا الدين فوقوا
في الأدواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الأخطار التي تساورهم في آحادهم وفي ذريتهم
فيقل تباهتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين ، على أنني أعتقد بأنه لا علاج
لهذه المصائب العمرانية والاجتماعية إلا التربية الدينية وأن من يزعم أن الاقتناع
بضرر المعاصي وحده يعمل ما يعمل الدين في الردع عنها فهو من الجاهلين كذا
بيننا ذلك بعض البيان في مقالة (التعليم الديني) من هذا الجزء . قال المؤلف

سبب المواصلات مع النير المراقبات

ان البدوي تنقل الى ارجال الذين يخاطون النساء غير المراقبات تنقلاً رافحاً لا يمانه انتقالها اليهم من النساء للموضوعات تحت المراقبة فالرجال على وجه عام والزوجون منهم على نوع خاص يخاطون الماهرات غير الموضوعات تحت المراقبة أكثر من مخالطهم الماهرات اللاتي يفحصهن الاطباء وسبب ذلك ان الفريق الاول من الماهرات يظهر بغير مظهره أي يظهر النساء الزنيات اذ يقنن ان هن أزواجاً وأولاداً وانهن انسا بسلن أنفسهن بامل الحب والفرام والوجد والحيام وانهن لم يرتكبن هذا الخطاء الا في هذه المرة ثم يضمن خدع الرجال بانهن يتوسلن اليهم بان لا يبوخوا بسرهن الى آخر ما هنا لك من ضرور الحداق والتناق

فيصدق الرجال الخدوعون هذا الكلام ويستفدون صحة ما قوله تلك الماهرات بل هم يقتخرون بالاختلاط بهن كأنف الواحد منهم قد اكتشف كنزاً ومك أسراً عزيزاً

وبما ان تلك النساء الخادعات لا يستين بأقسن كسواهن من يحرفن حرفة البناء علناً فهن بحكم الطبيعة أقرب الى البدوي وأقدر على قلبها الى كل من يقترب منهن وهم يظنون انهم عشاق وانهن محبوبون مشوقون . وانا أصيب الخدوع وجاء يوم المرأة التي نقلت اليه البدوي جاءته بألف حيلة وخدعة وقلبت دماغه وكذبت حصة وانظرت طهارتها ونقاوتها فيصدق فاضف الرجل امل المرأة وما اضمر قسه وأقل ادراكه وأخف عقله ١١

مراقبة الماهرات

لا توجد في القاهرة سراقبة البوليس ولا سراقبة الصحة فالماهر حرة تلعلم بالامراض من أصابته وتقتض على الناس اقتضاض الوحش المقرن ومن لم يصدق فليمر عند منتصف الليل بشوارع كامل ولا سيما تحت القناطر مع ان هذه الماهرات لو انهن ارتكبن في بلادهن ربح ما يرتكبنه هنا من مخالفة (المجلد ٢) (٢٠) (المجلد ٢)

البوليس ومحاكمة قانون الصحة لبعض عليين ربما فلا تسمع من شفاعته ولا يقبل رجاؤه ولا تقمع رجوه وبفضل ذلك كله لا تجسر واحدة على مخالفة القانون ومن هربت من الكشف الطبي وضعت تحت المراقبة الشديدة على نوع أخص فع كل عاهر ورقة حمراء تقضي عليها بأن تأتي الى عمل الكشف في كل أسبوع مرة وهي فوق ذلك موضوعة تحت المراقبة الشديدة فهذه التحولات التي أسفرت عن نتائج حسنة جداً في أوروبا لا وجود لها في القاهرة

أما عاصية القانون فهي الماهر التي ترتكب الفجور خلسة واستراخاً وبعد من هذا النوع النساء المتزوجات اللاتي هن أزواج وأولاد والفتيات اللاتي يبعن في أحضان مائاتهن والحياطات الماسحات والمفاعلات والمفتيات والراقصات والمطاعم وكل من كان على شاكلتهن وارضى الفجور والاستسلام للزنا والفسق ويسع العرس بالمال فالحكومة لا تعرف هؤلاء ولا تراقهن ولا تحمل منهن ورقة الكشف الطبي معهن لا يفرقهن عن الماهرات والفتيات فارق غير ان الماهرات لا يسكن منزل العائلة ولا يكنن أسرهن عن الجمهور وعن الحكومة ومصالح الصحة ويحملن الورقة الطبية التي تدل على احترافهن حرفة البغاء . أما تلك العاصيات فان هن منازل خائفة يتنقنها ولا يجزمان ورقة الصحة . أما من حيث احترام البغاء والسعي وراء الرجال واستنارة أميائهم والتعاطف بهم فيهن والماهرات سواء وإذا قبض البوليس على واحدة منهن وهي متلبسة بالجناية أرسلها الى الطبيب ليكشف عليها

وأفقد قلت وأردد وأعيد الآن تكراراً ان النسوة غير الحاضرات لاحكام القانون هن أشد خطراً على الانسانية من سواهن ولا أخفي اذا قلت ان جيمهن مصابات بالادواء الزهرية على اختلاف أنواعها وثلاثة أرباعهن في حالة من الإصابة شديدة الخطر على الرجال وشديدة العدوى لمن يخالطهن

وهذه المرتبة من النساء هي أيضاً على نوعين نوع طال ونوع واطيء

وقد قبضت مدام هنري وورو المرتبة الواطئة بمرتبعة القفلة في حياة الحب وهي محتقرة مهانة مردفلة كثيرة الخطر لأنها تسلم نفسها لمن عثر عليها دون تردد ولا إنعام نظر أما المرتبة العالية فهي مع أنها محتقرة مردفلة كالمرتبة الأولى إلا أنها أقل خطراً لأنها لا تسلم نفسها الى من عثر عليها أو حاول التوصل اليها ولا تطوف الشوارع للبحث عن صيد يقع في شراكها ولكنها تترجى العرائس ويمدش عيشة الاغنياء وتضيق عليهم

في التيارات ولا في عشاقتها على اثنين أو ثلاثة فهذا لا يستلزم الواحدة منهم ان يذوق
العدوى من الجمهور اذا كانت مصابة بالامراض بل ان عدواها تقتصر أو تنحصر في
معيها ومحبو مثل هذا الماهرات هم الاقرباء وأصحاب الثروة ولقد درج في القاهرة ان
يكون لكل شاب في حفلة أو حبة حتى يكون ذلك الشاب محدوداً في معارف
للمتعدين ودراسة العقلاء والظرفاء من الرافدين والساميين

والواحدة منهم تقول صحبة نفسها لها لا تسمح لاحد بأن يدنو منها وبما فيها
انما لم يدفع لها ٤٠ أو ٥٠ جنهاً فمن يحسن لا تقسم نصيبه غلو السعر وأرتفع الاجرة
لا حفظ المرض واللثة فقل هذا الطلب لا يحبه الا العدد القليل من الجمهور خلافاً لك
البيانات بنات السوق والشوارع فان الواحدة منهم تسلم لأي كان عرضها بما يكفي لدفع
عن الحزن في يومها أو عن الشرب في ليلها

فلذا من تمكن من التخلص من يد البوليس دهنأ طويلاً فان أكثرهن يقع في
قبضته لان الشر يفضي عليهن بأن يطفن القوارع وتعرضن لهذا وفالك ومعرضن على
التسك والتجور كل ما وكل سائر فانا نخبون من يد البوليس مرة فانهن لا ينجون
من يده كل مرة

٢٩

عدد المصابين في سنة واحدة

من أتم النظر قليلاً في حال تلك الماهرات وكثرة عددهن وكثرة المصابات
منهن بالامراض وعرف ان الواحدة منهم تسلم نفسها في كل ليلة لعدة رجال قد
يكونون ساجدين من الامراض والادواء عرف ان عدد الرجال الذين يصابون بامراض
اعضاء التناسل عظيم هائل فانا لم يصابوا يكون الفضل في ذلك للمراقبة الطبية
وللتحولات الصحية التي تشغل الانسانية من هوة بيدة القرار وشر مستطير لا يعرف
أحد لولا وقاية الطب ماذا يكون من ورائه على الانسانية كلها

فلذا أرى انه لا بد من مراقبة الماهرات في القاهرة ولا أعلم قطبان هذه المراقبة
غير ضرورية بل لا يمكن أن اقتنع وأسلم بأن الخطر مع الحالة الحاضرة ليس شديداً
على الانسانية وليس مهدداً البلاد كلها

واذا ما خطر لي التأمل بأعمال المراقبة فتاجرت لعلمي ما وراء ذلك من الخطر
والصواب الجليل والخبرة العجيبة

يؤخذ من إحصاء مدينة باريز على أن متوسط عدد النساء اللاتي قبض عليهن وهن مصابات بالادواء هو ١١ امرأة في اليوم من غير الملاحظات للمراقبة الطبية فإذا حسبنا على دورة العام كن عدد المصابات ٣٦٠٠ مصابة أو ٤٠٠٠ مصابة قد أخرجن من حكومة باريز من وسط الجمهور وحجرت عليهن وعزلتهن إلى أن يتم شفائهن فإذا مكثن على مطاوعة حرقتهن وقتلن المدوى إلى شخص واحد في كل يوم كان عدد الذين يصابون منهم في كل عام مليوناً و ٦٤٠ ألف رجل

فلماذا لا تنكس شوارع مصر كما تنكس شوارع باريس من هذه الناحيات ولماذا لا تهزل النساء الوطنيات ولا تنظر من البلاد النساء الاجنبيات المريضات بل لماذا لا تطهر شوارع المدن والحواضر من هذه المستودعات المخزونة فيها الامراض والاوصاب وفساد النائلات والاجساد والسلاطة
سؤال أردده في نفسي ولا أجده عليه جواباً ولكني أعرف أن آلافاً من النفوس تضع الآن نعيه الامال وليس من يزع النثر أو يرد المسبية

﴿ جناية أوربا على نفسها وعلى العالم ﴾

أهدي اليها هذا الكتاب أو القصة منذ أشهر فاستكبرنا الاسم وماجدته من الوصف وهو « كتاب صحي عصري أدبي اجتماعي عمومي نسائي روائي » وفهمنا من كلمة « روائي » أنه يبين فيه مآل هذه القصص التي تسمى روايات من الجناية على الآداب كما فهمنا من كل كلمة قبلها نحو ذلك وعزمنا على مطالعة الكتاب قبل الكتابة عنه فإذا هو قصة وضعية في بيان ضرر استعمال « المشد » الحديدية الذي يضغط به النساء أحشاء هن . وقد أحسن واضع القصة أحداً أفندي فهمي فيما كتب فجاء بالترجمة والادب في التفراميات وأحسن في التنفير عن المشد وكان كلامه مؤثراً يستهزئ القاريء ولكن الاسم أكبر من المسى . والقصة مطبوعة طبعاً حسناً وهي تطلب من مكتبة المعارف بالفتحة فنحن القارئ قبل القارئين على مطالعتها

﴿ قاطع الحبل ﴾

قصة من قصص « مسامرات الشعب » صدر منها جزء ان وهي مما اختاره المترجمة قولاً أفندي رزق الله المروف بأدبه وحسن ذوقه في الاختيار

في الريحانة

« مجلة تاريخية أدبية قصصية تصدر في منتصف كل شهر عربي لصاحبها
 جميلة حافظ » صدر الجزء الأول منها في ١٥ المحرم وقد جاء في فاتحته ما يأتي
 « أفتتح مجلتي الريحانة باسم الله الذي خلق الرجل والمرأة من أصل واحد
 ووجهها عقلا جوهرة واحد وسرى بينهما في الحقوق فقال (ولئن مثل الذي عليهن
 بالمعروف) وأسأله تعالى أن يوفقني الى القيام بما عهده الي نفسي خير قيام
 « أمتني الوحدة أن تكون لحياتي ثمرة وغاية شريقتان في الوجود لأن
 تكون حياة خمول وكل نقضي بلا ثمرة ، وجودها عدم وعدمها خير » الخ
 هذه الكلمة من الكلام الطيب لا يتدبرها عاقل ويأخذ على نفسه الميثاق
 ليعمل بها الا كانت حياته مباركة طيبة وكان هو بها أسعد منه بكل ما ملك من
 عرض الدنيا . هذه الكلمة ترفع من تربي تربية حسنة الى مراتب الكمال وتكون
 خير مرآة لمن قصر في تربية الرائدون والمطلوبون ، وما كثرة الذين يقدرونها قدرها
 في أمة من الأمم الا وارتقي شأنها وصلحت حالها وكانت من أسعد الأمم لا يفضلها
 الا الأمة التي تسبقها في العمل بالكلمة . واني لأرجو أن تكون هذه المجلة من
 أرفع المجالات برعاية منشئها لعلها وعنايتها بالعمل بها . ولنا أن نعد من آيات
 هذه الناية قولها في الجزء الثاني « رأيت أن أساعد مشروع الجامعة بكل ما في
 وسعي فأنا من الآن أتبرع لها سنويا بكل ما يزيد عن مصروف المجلة من جنيته
 الى مئة وما زاد عن المئة فيصرف في ترقية المجلة بزيادة عدد صفحاتها وإصدارها
 مرتين في الشهر بدون زيادة في قيمة الاشتراك . وهذا التبرع يبقى ان شاء الله
 ما بقيت المجلة وبقي لها مشتركون »

إننا نشم من هذا القول غير الاخلاص والصدق ولكن رجاءنا في تحقق
 امنية الكتابة المخلصه ضيف لانها جعلت قيمة الاشتراك ثلاثين قرشا وهي تكاد
 لا تكفي لتفقات المجلة على ما تسد من قلة التارنات والقارئين ، وكثرة مطال المشتركين ،
 الا أن تصادف المجلة من بقدرية منشئها حتى قدورها ، ويتبدون لمساعدتها على
 أمورها ، واننا نصحبها بأن تحب في قيمة الاشتراك الآن فان أهل الرقاء لا يهمل

على الواحد منهم دفع عشرة قروش أو عشر بن قرشا في السنة، وأهل المظالم يتقل عليهم أداء القرش الواحد فإن لم تقبل نصيحتنا الآن فستقبلها في يوم من الأيام

﴿ الجامعة الاسبوعية ﴾

ارتحل فرح أفندي أنطون صاحب مجلة الجامعة الشهيرة الى نيويورك وجلسا مقراله ومصدرا للجامعة ثم اشترك مع رشيد أفندي سمعان وهو من اهل الميادين الى السياسة في اصدار جريدة يومية باسم الجامعة واختارا ان يجعلا من الجامعة اليومية أفضل مقالاتها وأخبارها كل اسبوع في نسخة اسبوعية ذات ثمان صفحات وقد وافقنا عدة نسخ من الجامعة الاسبوعية فاذا هي من أحسن الجرائد العربية نهريرا وغزرها فائدة وقية الاشتراك فيها عشرون فرنكا

﴿ باب الاخبار والآراء ﴾

﴿ استقالة اللورد كرومر وتقريره ﴾

ما كاد اللورد كرومر يتم تقريره السنوي عن مصر والسودان حتى عرض له في معدته مرض شديد ، حتى صار يقضي بالحلقن وحتى لم يسطع الحفاوة بأخي ملك الانكليز الذي زار مصر في هذه الايام كما يجب وختم عليه الاطباء الاستقالة من منصبه وترك الاعمال العقلية بنة فكتب الى حكومته بذلك فراجته عسى أن يثني عزمه فلم يند ذلك فقبلت استقالته مع إظهار الاسف العظيم على اضطرابه الى ترك الخدمة والثناء العاطر عليه الذي شارك الحكومة فيه جميع أحزاب الامة . وقد صرحت الحكومة لمصر بحما رسميا بأن تستمر في مصر على طريقته وتعمل بما أرشد اليه في تقريره الاخير . وهذا التقرير هو أشد التقارير وطأة على الوطنيين لاسيا الذين يعرفون بالحزب الوطني من حيث ما يراود فيه من تغيير نظام الجفنية المصرية ومحاولة انتاع دول أوروبا بترك الامتيازات والاستفتاء عنها بمجلس تشريع وطني معظم اعضائه من رعايا هذه الدول وباقيهم من الوطنيين

وبما نقل عن التقرير فكان شديد الوقع على نفوس المسلمين كلام في الشريعة الاجلامية فيجزم أنها لا تصلح لهذا الزمان وكلام فيها يسمونه الجامعة الاسلامية

وكلام عن المستعز هانوب في اللغة العربية وأما فنظر صدور نسخة التقرير العربية
 لتقرأها وتبين ما هو الحق في الشريعة ومعنى كونها خاتمة الشرائع الآتية
 أما اللورد نفسه فهو يعمل في مصر ، يمدن أعظم السياسيين في هذا العصر ،
 وقد اعترف له الوطنيون مع الأجانب بالنزاهة التامة ورتبة عالية البلاد وتكثير
 مواردها واحترام استقلال القضاء والحريّة الشخصية فيها وأجلك بحرية المطبوعات ،
 ويشكونه الوطنيون أنه لم يرق المعارف ولم يزد مصر إلا بعدا عن الاستقلال .
 ويقولون إن نجاحه الذي ظهرت به عظمته يقوم على ثلاثة أركان - مزاياه الشخصية
 وثقة حكومته به ومساعدتها إياه في كل ما يطلب - وطول الزمن الذي صرفه في
 مصر . ونسوا ركنا رابعا وهو طبيعة مصر وأهلها فصر تآني كل حاكم قوي وتخضع
 لأرادته في كل ما يريد منها ولولا استعداد القابل لما ظهر استعداد الفاعل والحكيم من
 براعي في عمله الاستعداد الطبيعي فيما يصل فيه . ولو جعلني امرأته أرجل كاللورد كرومر
 لصل فيها أخيرا مما عمل اللورد لأن أميرها كان براعي مصلحتها من كل وجه خالصة لها
 واللورد كان ينظر إلى مصلحة دولته أولا ، وإلى مصلحة مصر ومصالح دول أوروبا
 ثانيا . وقد اهتمت مصر وأوروبا لاستقلاليته وخاف المليون على أموالهم والأحرار
 على حريتهم من بعده واستحسن بعض النزلاء والوطنيين أن يصل له نذكار في مصر .
 وكانت جريدة المؤيد « الجريدة » أكثر الجرائد المصرية اعتدالا في الكناينة
 وأفضل ما استفادت مصر في هذه المدة - مدة اللورد كرومر أو الاحتلال
 احتفاظ الشعور بوجود الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس في الرقي . استيقظ
 هذا الشعور في بعض النفوس ولولا أن أكثر الجرائد شطت الأمة عنه بالأمان والادغام
 لا تنشر انتشارا عظيما ، وجاء بالأصلاح المبين
 شملت الأمة عن نفسها بمقاومة الاحتلال ولكن بالأمان والفرور ، وبالطمع في
 الحكومة لأنها تآني الاحتلال ، وبمطالبة الحكومة مع ذلك بكل ما يرقها ويرفع
 شأنها ، بذلك نسيت نفسها فلم تتعاون على الأعمال الاستقلالية ولم يوجد فيها
 معاهد قومية الملية والتعليم الذي يقصد به الرضة والسكان من غير طريق الحكومة .
 بل لم يوجد فيها عون ولا نصير لذلك الأب البر الرحيم (لا تنفذ الامام وجهه الله)

الذي أراد أن يفتقر هذه الفرصة لاصلاح الازهر على عمله هذا ولكنه وجد
بعض الاعوان على التهور بمحمية خيرية اسلامية فنقض بها .
هذا وقد ابتدأت الامة تشغل نفسها عن نفسها بما يرهها الموهمون من
سياسة خلف الورد كرومر وهو انها ستكون مرقبة للشؤون المدنية كادق الورد
كرومر الشؤون المادية . وانا تنصح لها بأن لا يشغلها عن استردادها الذاتي
شاغل وان تعلم ان من لا يرقى نفسه لا يرقى غيره وأن أفضل ما يمكن ان تستفيدة
من الانكليز هو تمكينها من ترقية نفسها بالتربية والتعليم الذي تقوم به وهي
ببروتها قادرة عليه وما بينها وبينه الا أن تنوجه بتوفيق الله تعالى اليه
ويظن أن الامير سيكون أشد موافقة لسير الورد غورست خلف الورد كرومر
على عمله بمصر منه لسلطه وان السير يكون أكثر ساهلا من الورد مع المالكين فيها يشؤون
من الشركات ويمرون من أرض الحكومة ولا يظن أنه يكون أوسع منه صبرا
لشغبات الصحف وأقرب مودة للحرية . وجملة ما يقال إن السياسة الانكليزية
لا تتغير في مصر بذهاب انكليزي ومجيء انكليزي

(باب الانتقاد على النار)

كتب الينا أحد أئدي الاني يتقدم علينا امورا اجابة لدعوة النار الى الانتقاد
عليه ولكن ما اتدعه آراء في تحرير المجلة وادارتها وكتابة التفسير وهو على ما فيه
من الفائدة لنا ليس مما ندعو اليه انما ندعو الى انتقاد ما يراه أهل العلم في النار باطلا
وبيان ذلك بالدليل ولعل منه قوله : مفا لانت في الجريدة حتى أخذت « بالقال »
ووضعت المجلة موضع التشيع فجريدة : وظنه انني اشتغلت عن النار بالتحرير فيه
وهكذا رأيت كثيرا من الناس ينسبون الي أكثر ما يكتب في (الجريدة)
ويظنون انني من محرريها والحق أنني ساعدتها بمدة مقالات في أوائل ظهورها وانهم
أحسن الظن بها واذا كتبت فيها قالوا كتب في موضوع ادبي أو اجتماعي لاني سياء
مصر ولا اكتب عن لسانها . واما العناية بتقريبها فسيه هضم الناس لها بفهرسة
وكونها تنفيذ لراي الاستاذ الامام وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه
« والقال » ذكر فكامة على أن النبي (ص) كان يصحبه القائل الحسن

فيترجى في الله يستحق التوفيق
أولئك الذين هم أول الألباب

المعجم
١٣١٥

فيترجى في الله يستحق التوفيق
أولئك الذين هم أول الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صويوه ستارا » كنز الطرق ﴿

﴿ مصر ربيع الأول سنة ١٣٢٥ - آخره الاحد ١٢ مايو (أيار) سنة ١٩٠٧ ﴾

تاريخ المصاحف

هذا ما وعدنا بنشره مما كتبه صاحبنا موسى افندي جار الله الروسي قال
قال العلماء أول ما نزل من القرآن « اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من
علقه اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ولم ينزل بعده شيء
إلى ثلاث سنوات (وتسمى هذه السنوات زمن فترة الوحي) ثم أخذ القرآن ينزل
في تسعين وخمسين سنة (وقرأنا فرقاه لقرأه على الناس على مكث ، نزله منزلاً
- الأسراء - كذلك تثبت به فؤادك وقلنا مرتبلاً - الفرقان) فنه ما نزل مرقاه هو
طالب القرآن ومنه ما نزل جماعاً كالنسخة والأخلاق والكوثر وأغلب الأنام . وكما
نزل عليه صلى الله عليه وسلم آية أو سورة وسري عنه كان يقرئ الصحابة ما نزل
، يستحفظهم فيه حفظونه على الفور عن ظهر قلب ويستنون بذلك تمام الاعتناء لأن
الحفظ الحر في عصر الرسالة وزمن النزول كان من أعظم العبادات وأقرب القرب
وكانوا إذا حفظوا آية من التي عليه السلام يرددون عليه غير مرة ويتلوها امامه
حتى يزداد تثبتهم من حفظها وأدائها ويسألونه هل حفظت كما أنزلت حتى يقرهم عليها
وبعد إتمام الحفظ والتثبت في تمام الضبط أخذ كل واحد منهم ينشر ما حفظ : كانوا
يملكون الأولاد والفتيان ولذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من أهل مكة
والمدينة ومن حولهم من الناس فلا يمضي يوم أو يومان إلا وما نزل محفوظ في صدور
جماعة غير محصورين وقد عين جماعة عظيمة من الصحابة على حفظ القرآن وإقراءه
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل الهجرة جماعة من حفظة الصحابة
يملكون القرآن لأهل المدينة وأولادها وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه
التي عليه السلام إلى رجل من أولئك الحفظة يملكون القرآن ، ولا تنح مكة ترك فيها
مما ذنب جيل لذلك وكان من أكابر الصحابة - وهم ألف - من يقضي بعرف قبه
القرآن وما ينيه وإتقانه حفظاً وكتابة . كانوا ألباً كانوا يهاجرونهم ولا ينامون ليلاً باحياهم
واستسلم بضبط الآيات وحروفها ووجوهها وكان يسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم صيحة وزجل بتلاوة القرآن وكان التي يسمح إلى الأئمة منهم ومحمد الله على أن
جعل في أمته أمثالهم

ورجل حفظ الأسماء العلم لا يحفظ القرآن في عهد الإسلام حفظه ألوف من

المصاحبة في تصانيف عشرين سنة

وحيث ان القرآن كان ينزل مفزعا منجما ويحفظه الذين يفتون به على مهل ومكث في تصانيف سنوات كثيرة وذلك أعون في الحفظ واسر للذكر وأكثر من حفظه كان شريخ في حفظه من صباه وزد عليه ما كان لقي عليه السلام المصوم من لسان القرآن من كمال الاختصاص والاهتمام بالترغيب في حفظه والامر بتعاهده فكل من تأمل أدنى تأملا، وبين ويقطع ان القرآن قد حفظ في الصدور أيام الامان وارسخ الحفظ واتم التبسط وكامل البيان، وقد نطقت الاحاديث ودلت الآثار على ان النبي عليه السلام كان يوقف أصحابه على ترتيب آيات السور ويملهم مواضعها من السورة نصا، وكان يقرأ السورة في الصلوات وغيرها ويسمونه فيعرفون من ذلك ترتيب الآيات فالمصاحبة ضبطت عنه عليه السلام ترتيب أي كل سورة ومواضعها كما ضبطت عنه نفس الآيات وتلاوتها. وكان السور مرتبة لحديث أحمد وأبي داود في ترتيب القرآن وحديث واثقة في اعطاء السبع الطوال والمئين والمئين بدل الكتب الثلاثة السبوية التفصيل بالحواشي والمفصل والاحاديث تدل على ان النبي عليه السلام كان يحتم القرآن وان المصاحبة كانوا يجتمعون عنده عدة خبات وكل ذلك يدل دلالة واضحة على ان القرآن كان محفوظا في صدور ألوف من المصاحبة مجموعا مرتبا على ترتيب معلوم عند كل واحد منهم. قال معاذ عرضنا القرآن على النبي عليه السلام فلم يبق منا أحدا

وكانت لقي عليه السلام كنية يكتبون فوراً كل ما نزل اليه على الصحائف والقراطيس من الرقوز والاوراق غالباً وعلى الألواح وعصب النخل أحياناً. كان النبي عليه السلام يعلي عليهم مباشرة بقول ان هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا. وكان كتابة ما نزل من القرآن ملزمة منهم حتى زمن الاختفاء في أوائل الاسلام اذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف في البيوت وكان المشركون يدعون الدراسة اذ ذاك الهينة (١) من شواهد حديث عمر قبل اسلامه مع أخيه وختمه وكانت العرب تكتب كل شيء قيس أو مهم عندهم كالأشعار النصيحة والخطب البليغة. من شواهد ذلك القوائد المعلقة والصحيفة التي أكلتها الارضة. وكان كثير من المصاحبة لهم علم بالقلم وكان أنس بن مالك يقول هذه أحاديث صفتها من

(١) انسانان: ما كانوا يسمون كل قراءة هينة بل القراءة الجلية والهينة الصوت الخفي

رسول الله وكتبها وقرضها ، وكثير من هؤلاء كانوا يكتبون في المصاحف كل آية حفظوها ويرضونها على النبي عليه السلام ، وعين من هؤلاء جماعة على كتابة الوحي كانوا متكنين من الكتابة بالسان العربي كل التمكن كعلي وعثمان وعمر وزيد بن ثابت وابن مسعود وأنس بن مالك وعبد الله بن سلام وغيرهم .

فكان النبي علي عليهم مباشرة فيكتبون منازل بمحضرة ويرضونه عليه مرة بعد أخرى حتى يقرهم . بهذه الكيفية كتب القرآن من أوله الى آخره في حجة الرسول على صحائف وقراطيس متفرقة ، وكانت هذه الصحائف والقراطيس أغلى عندهم من أنفسهم وأنفس من كل نفس وأحب اليهم من كل حبيب جليس . يدل عليه احاديث رويناها في كتابهم في حفظ هذه الصحائف والقراطيس وفي حبهم التبرك بها احيانا في المجالس .

وكل ما ذكره عن شأن حفظ القرآن في الصدور وما أجملته بعد ذلك في كيفية جمعه في الصحائف واثبت في السطور يدل دلالة قطعية باهرة على أن القرآن زمن النبي عليه السلام كان مجموعا مرتبا على ترتيب معلوم ، محفوظا في الصدور ، مكتوبا على ترتيب الحفظ في السطور ، والاحاديث متضافرة متساعدة في ذلك .

ولأن أعمال الحفظ والكتابة والترتيب من النبي ومن ألوف جؤالة من الصحابة الذين يثقون أن السبب في عزهم وسماحتهم هو القرآن ، وأنه هو أساس دينهم وشرعهم ، وأنه هو الذي يقرهم الى الله عز وجل والذين كانوا يذلون جميع ما يستطيعون وما يتصوره العقل في سبيل حفظه كما أنزل مصونا عن ادنى شائبة الاهمال من مثل هؤلاء — نبي محال لاوب فيه .

ثم توفي رسول الله يوم أكمل لنا ديننا ورضي لنا الاسلام ديننا والاسلام قد ظهر في جميع جزيرة العرب وفيها مدن وقرى كثيرة كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضر وريمة وقضاة والطائف ومكة كلهم قد أسلم ونابوا المساجد ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حة اعرابا ولا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والنساء وكتب . ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كذلك ليس بينهم اختلاف في شيء أصلا كلهم أمة واحدة ودين واحد ومقالة واحدة ثم تولى الامر أبو بكر ستين وستة أشهر فقرأه فارقس والروم وفتح البصرة وزادت قراءة الناس القرآن وجمع الناس للمصاحف جمعا مبتدأ كأبي وعمر وعثمان وعلي وزيد وأبي

زيد وابن مسعود وسلم . ولم يكن بين المسلمين اختلاف في شيء من خلافته ، وما كان من ظهور الأسود الغساني في ضناه ومسيلته بالهامة وانقسام العرب أربعة أقسام : طائفة ثابتة على الطاعة ، وطائفة مائة الزكاة ، وطائفة مسلمة بالردة ، وطائفة منوة مفرقة من تكون القلب . فقد أخرج إليهم أبو بكر البعوث ، وجهر إليهم عصاية من المسلمين قتل الأسود ومسيلته ولم يرض عام واحد حتى راجع الجميع الاسلام . فلم تكن هذه الفتن الا كآثار اشتعلت فانطفأت للساعة . فيمد أن سكنت هذه الفتن احب عمر الفاروق بضرورة جمع القرآن في كتاب واحد على مشهد من جميع الصحابة وملا من الحفظة والكتبة . ولما استقر رأي أبي بكر وعمر على ذلك احضرا زيد بن ثابت وابديا له ما عزماء . واستمظم زيد ذلك أولا واستهل قل الحليل شأن كل مقتدر على عظام الامور . يقدر الامر حق قدره . غناط مائل لا يغفل عما يلزم عليه في القيام باعظم المصالح عن كمال الاقتدار وواجب الاحياط وعظيم الثبوت وبالغ الجهد والاجتهاد ووفور السعي ، غير مقتربا له من الخصال وان كان فردا مفردا فاقفا على اقرباه وأهل عصره . ووافق أخيرا فزم على ما عزماء عليه . والانسان مهيا بلغ في الاقتدار وعلو الهمة قد يكون اذا وقع عليه أمر عظيم وعزمه وتصوره من جميع وجوهه غير غافل عن وسائل تحصيله وأسباب الوصول اليه . يمتري طبيا نوع من التردد وشيء يشبه التوقف . لكنه لا يلبث فيزول ويمضي العازم على عزمه وجمع أبو بكر الحفظة للشهود لم بالضببط والاتقان . وكان أهمهم زيد وأبي بن كعب وعثمان وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن السائب وخالد بن الوليد وطليحة وسعد وحذيفة وسلم وأبو هريرة والصامت وأبو زيد وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري وعمر بن الخطاب واجتمعوا بزيارة زيد بن ثابت في منزل عمر ليتشاوروا في كيفية جمعهم وتخصيص أعمال كل واحد منهم . ثم أخذوا يوالون اجتماعهم في مسجد المدينة لكتابة القرآن . وكلهم كانوا يحفظونه عن ظهر قلب وكانوا قد استنوا قبل بكتابه جملة مرار من ذاكرتهم ليتحققوا من ضبطهم له وحفظهم اياه وجاء من كان كتب مصحفا بمصحفه واحضروا كل المصاحف والقراخيص التي كتبوا فيها القرآن بحضرة النبي عليه السلام واملائه وعهدوا الى بلال ان ينادي بأعزاء المدينة ان من كانت عنده قطعة عليها شيء من القرآن فليأت بها الى الجامع وليحملها الى الكتبة المجتمعين لجمع القرآن على مشهد الصحابة . وحجوه ببعضهم كمن من الضلع ، وما كانوا يقولون قطعة حتى يتحققوا انها

كتب بن مدي التي وحضره اذ كان غرضهم ان لا يكتب الامن عين ما كتب بن
 فيه وما كانوا يعملون ذلك الا بمالسة في الاخطاء ومثالا في التخطى وإثالا في
 الضبط . وكانوا يبالغون القطع بعضها بعضا لكلا يقى مجال شك في تمام الضبط .
 وكتب القرآن زيد بن ثابت جميعه . قال زيد حتى وصلنا الى آية « قد جاءكم » من
 سورة التوبة فقدناها وقتناها لاجلها مكتوبة ثم وجدناها مكتوبة عند أبي خزيمة
 ابن أوس بن زيد الانصاري . وقال زيد حتى وصلنا الى سورة الاحزاب قدسدت
 آية من سورة الاحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها
 فالتسما لاجلها مكتوبة فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري « من الذين
 رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فالحقها في سورتها في المصحف وتم جميعه . وجمع
 امر جميع الحفظه والصحابة وقرأوا عليهم . ولم يبق من أحد منهم اعتراض حين العرض .
 ولم يسمع ولم يظهر بعد أيضاً . وبعد اجماع أكابر الصحابة على هذا الترتيب في
 هذا المصحف لا يمكن ان يقال أنهم رتبوا ترتيباً سموا النبي عليه السلام يقرأه على
 خلافه . واجماعهم على هذا الترتيب واقراءهم عليه بلا خلاف من أحد منهم أقوى
 برهان على أنهم وجدوا ما أقدمهم علماً لا يدع عندهم ريباً . فقرر أمر القرآن قديراً
 قطياً في هذا المصحف . وكان ذلك أعظم فرض قام به سلفنا الصحابة وأهم شيء
 حدث في الاسلام وأفضل من لهم علينا الى يوم القيام . وتوفى أبو بكر وهو أعظم
 الناس أجراً في المصاحف وتوفى الأمر بعده عمر فتحت بلاد القرس طولا وعرضا
 وفتح الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد الا وقيمت فيه المساجد ونسخت
 فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في الكتاب شرقا وغربا . وفي
 كذلك عشرة أعوام وأشهرها والمسلمون لا اختلاف بينهم في شيء مائة واحدة ومثالا
 واحدة . والمسلمون اذ مات عمر وان لم يكن عندهم زيادة على مائة ألف مصحف
 من مصر الى العراق الى الشام الى اليمن فما بين ذلك فلم يكن أقل من ذلك . لان
 الحنفية عمر الذي كان كاد يموت مما بأسر المسلمين والذي حضر الطلح بعد عام
 الرمادة فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن تحمل فيه ما
 اراد من الطعام لا مل المدينة ومكة وما بينهما خبطة هذا شأنه لم يكن ليترك بها نفسها
 ومدينة وقرة وتولى أمرها بلا مصحف يقرأ فيه أهلها

منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق (*)

١

سأل سائل بركة السويس هل كانت نافعة للمسلمين أو الشرقيين أم ضارة بهم فاجاب غير واحد بأنها كانت مثار المضار، وبركان الاخطار، لولاها لما جاس الاوربيون خلال هذه الديار، ولما تمكنت سلطتهم في كثير من الاقطار، وأجاب واحد من حضر بأنها كانت نافعة اكثر مما كانت ضارة اذ لولاها لكان أهل الهند والاقان كأهل مراكش في جهلهم وغفلتهم وجفوتهم للمدينة وفنونها التي وصلت اليها في هذا العصر بل ولكانت مصر التي ترهبو بمراتها الآن خراباً يؤدي ذكر ان اليوم المشرات من فراها مهوراً لانائها على الطريقة التي كانت متبعة عند اليوم في الزواج على عهد اسماعيل باشا. ناهيك باليابان وما صارت اليه، وبالصين وما شرف عليه.

يسهل على غير الخبير المحقق في طبيعة الاجماع، المعارف حقيقة حال الهند والاقان يوم راكش ومصر، ان يماري في القول مرء ظاهراً أو غير ظاهر، وان يستغني امثاله: أليس الفرق عظيم بين الهند التي كانت زاهية على عهد السلطنة التيوسورية، بالمعارف والصنائع الوطنية، مستغنية بنفسها عن أوروبا وسائر العالم وبين مراكش التي كانت ولا تزال تطلب عليها البداوة بجهالتها وغاوتها وعصبيتها لكل نظام؟ أليس كل ما ينسب الى الاقنانيين من الفضل هو نجافهم عن المدينة الاوربية ومنع الاوربيين ان يساكنهم

في بلادهم أو تجروا فيها آمنين ولولا ذلك لضاع استقلالها وكانت ولاية من ولايات الهند؟ ألم تأخذ مصر بأسباب المدينة الاوربية من عهد محمد علي باشا وهي على استقلالها؟ ألم تدخل في أول ولاية محمد توفيق باشا في طور جديد من اصلاح خابت به آمال طلاب الرواج من اليوم بالقرى والمزارع التي آلت الى الخراب؟ كل هذا يقال في الاستثناء ويقال اكثر منه ويكون نص الفتوى عن كل سؤال: بلى! وهي كلمة يكتفي بملها مشايخ الاسلام في الاستانة اذ يحميون بكلمة « اولور » في مقام الايجاب وبكلمة « اولماز » في مقام السلب، وبعد ذلك يأتي الحكم على الاوربيين كافة بانهم ما جاؤا الشرق بخير ما ولا منفعة بل جاؤوا بشرور ومضار اعظمها ازالة استقلاله وأي خير أو قبح يوزن بسلب الاستقلال حتى تصح المقابلة بين منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق؟

هذا هو الحكم الذي يري قاضيه عن قوس عقيدة الجماهير والجماهير في الشرق جاهلون بالسياسة واعيون عنها ويقل في المشتغلين منهم بها والباحثين فيها من يحيط بأطراف مسائلها، ويعرف المطالب يراها فيها ودلائلها، ولولا ان هؤلاء العارفين قليلون فينا لما كنا نشكو مرض الامة الذي يعبرون عنه بلفظ التأخر والأخطاط. وهؤلاء السارفون القليلون لا يرضون بهذا الحكم وانهم لأعلم من غيرهم بقيمة الاستقلال الذي عجت به الاوربيون وبانه لا يوزن به شيء ولكنهم يسطون كل شيء حقه ثم يوازنون بين الاشياء لا يمتنعهم من ذلك ان يكون في احدى كفتي الميزان ما يرجح بكل ما يوضع في الاخرى. على هذه الطريقة القويعة فسير في بيان منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق بعد تمهيد مقدمات

تعين على فهم مرادنا من المقابلة وهي
 اننا نريد بالمنافع كل ما يزيل شيئاً من شقاء الامة أو يزيد في سعادتها
 فيدخل فيها أمور الصحة ولا سيما مطاردة الاوبئة ، وأمور اللباس
 والكسب ولا سيما ترقية الزراعة وتأسيس الشركات المالية ، ويدخل فيها
 العلم والتربية والآداب وأمور الاجتماع وتدير المنزل والعلم بالادارة
 والسياسة وأصول النظم وغير ذلك مما ينقل الامة من طور أدنى الى
 طور أدنى

(٢) اننا نريد بالمضار ما يقابل المنافع بجميع وجوهها التي أوماً نا
 اليها آتقا وهو كل ما يصير به الامة الى حال شر مما كانت عليه في أفرادها
 وبيوتها وهبتها العامة سواء كان ذلك من جهة البدن كالمرض والصحة أو
 من جهة النفس كالعلوم والخلق والآداب وان شئت فقل كما يقول
 كتاب المصير من الجملة المادية والجملة الادبية ويدخل في الجملة الادبية الدين
 (٣) اننا نريد بالاوربيين كل ما يتناوله اللفظ لا الحما كون منهم خاصة
 (٤) ان المقابلة التي نوازن بها بين المنافع والمضار إضافة أي اننا
 ننسب حال الامة بعد اختلاطها بالقوم الى حالها قبله لا الى ما ينبغي ان
 تكون عليه من الكمال ولا الى ما عليه الامم الاوربية في أنفسها ولا الى
 ملهوى مامتاً أو خاستناً أن تكون عليه

(٥) ان الكلام في المقابلة لا يتناول نيات القوم ومقاصدهم فينا
 وانما هو خاص بالاراء الطبيعية لسفرهم في البلاد سواء جاء على وفق ما
 يقصدون أو على ضده

(٦) ان الغرض من بيان المنافع التنويه بها والتنبية الى الاستزادة

منها ، ومن بيان المضار تجميعها والتفكير عنها ، ووراء ذلك تلبية نداء التاريخ بتخليد هذه الحقيقة في ألواح الصحف سالمة من نزعات تعصب الجاهلية ، مخوفة من نزعات الأهواء السياسية ، لأن مدونتها يحجب لذاتها ولا يخاف في تقريرها لومة لائم ويجب أن يكون المسلمون وسائر أهل الشرق على هدى وبصيرة فيما يأخذون ولما يتركون

(٧) أنه لا يفقه هذا الموضوع حتى افقه الأمن كان طارقاً تاريخ الشرق حتى المعرفة خيراً بأخلاق الناس فيه وعاداتهم وطبائع الأمم واحوال الاجتماع وشؤون السياسة ونحن لا نكتب هذه المقارنة والموازنة لكل هذا العالم الاجتماعي التحرير وإنما نكتبها للجمهور الذي لا يعرف من حال قسمة وحال من يعيش معهم الاظواهر فحارة لا تفقه بصيرة الى شيء مما وراءها وإن كان يوجد في افراده من يظن أنه أحاط بما هناك علماً ، وقتله فقهاً وطعماً .

من مسائل علم الاجتماع أن الافراد والأمم المؤلفة منها تقتبس من مخالطها ويحاورها ما يناسب استعدادها فالافغانيون لما كانوا أهل حرب وأولي قوة ورأس اقتبسوا من الأوربيين النظام العسكري وما يتبعه من الاستعداد للحرب والكفاح ، والسوريون لما عرفوا من استعداد القديم للتجارة كان أول شيء استفادوه من الأوربيين فنون التجارة وطرقها الجديدة حتى بدؤوا في ذلك فقد كان معظم تجارة سوريا المكية يبيروت في أيدي الأجانب فغلّبهم عليها من كانوا يجمعونهم من الأهالي حتى لم يبق لهم منها الاقلية ، والمصريون وهم أهل حرب وزرع قد استفادوا منهم في ترقية زراعتهم ما يستجوابه جميع الذراع في الشرق وكذلك يكون اقتباس

المضار على حسب الاستعداد فلا بد من تدبير هذه القاعدة الاجتماعية فيما نذكر من المقابلة والموازنة في الفصول الآتية

٢

نبتدى بذكر المنافع والفوائد التي استفدناها بمخالطة الاوربيين والاتصال بهم وفي اقتباس علومهم ومعرفة أحوالهم وشؤونهم فنعلم منها ما يسبق الى الذهن انه الاهم ونختار في سردها معدودة لفظ الفوائد فنقول
(الفائدة الاولى استقلال الفكر)

رأيت في يد أحد طلاب العلم جريدة جديدة وكنت تلميذاً في فرقته ورأيت يسطرها ويدعي انه يقدر على انشاء جريدة خير منها فقلت له اني لا أدعي مثل هذه الدعوى فان كنت وانما مما تقول فاكتب لي مقالة في موضوع اجتماعي أو سياسي مما تبحث في مثله الجرائد . قال اقترح قلت اكتب لي مقالة في الاستقلال فسكت ولم يرجع الي قول ولا كتب شيئاً عزمت على اذا كتب شيئاً في استقلال الفكر ولم افرغ له الا بعد ثلثي ساعات لم تخطر في بالي فيها تلك الواقعة ولكن كانت أول ما سبق من الذهن الى القلم عند الكتابة وما أثبتنا عبثاً ولا فكاهة بل أردت أن أنبه القارئ الى جلال الموضوع الذي لا زال أجله من ذلك اليوم عسى ان يهبه من انتباهه ما يليق به لاسيما اذا كان يحب الاستقلال لنفسه ولأمته
يكثُر في الجرائد ذكر استقلال الأمم والشعوب وقلمنا تذكر شيئاً في استقلال الافراد الذي هو اصل استقلال الجماعات الكبيرة التي تسمى
اممًا وشعوباً

استقلال الآحاد نوعان استقلال الفكر واستقلال الارادة وهذان

النوعان هما الجناحان للانسان يطير بهما الى الكمال في العلم والعمل ويكون
حظه من النجاح على قدر حظه من قوتها وحسن استعمالها
استقلال الفكر يكون يلوغ العقل اشد وارتقائه الى مستوى رشده
فان العقل القاصر هو الذي يتبع مذهب التقليد في كل ما ياتي اليه كما نرى
من الاطفال ومن هم في حكم الاطفال من الرجال . فالمستقل في فكره هو
الذي يستعمل عقله في البحث عن الحق والصواب في معارفه والتمييز بين
النافع والضار من مصالحه أو مصالح امته عند ما يبحث فيها فلا يقبل من هذا
ولا ذاك قول من هو مثله الا اذا ظهر له انه الحق والصواب

ان الذي لا يعرف الحق والصواب بالنظر والاستدلال لا يعد عالماً
ولا سياسياً بل لا يعد عاقلاً لان ما يحفظه من اقوال الناس في الكتب
والجرائد أو في البيوت والمحافل لا يفهمه الى مرتبة العقلاء الذين يميزون
بين الاقوال بالدليل العقلي فان الاولاد المميزين يحفظون الاقوال مثله ولا
يمدون من العقلاء الا اذا اريد بالماثل من ليس مجنوناً يجب ان ياتي الى
البيمارستان أو مستشفى المجاذيب فان هذا الاصطلاح يسمع لنا ان نطلق لقب
الماثل على الامة الذي لا رأي له وانما يتابع كل واحد على رأيه لاسيما
اذا لم يكن متجمعا عنده بعداوته له لسبب من اسباب التهم

استقلال الفكر طبعي في البشر كما ان ضده وهو التقليد طبعي
فيهم فاما التقليد فهو طبعي في الراشدين ولولا ذلك لما ارتقوا في علم ولا عمل
ولساو جميعهم على ما كان عليه أول واحد منهم فكانوا كالبهائم متساوين
في علمهم وعملهم « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »
لو ترك الناس وفطرتهم لأعطوا طور القصور حقه وطور الرشدة حقه

ولكان معظم الأفراد الذين بلغوا أشدهم مستقلين في أفكارهم مستدين على آرائهم ولكانت أعمالهم على حسب أفكارهم. لاستقلال أرائهم المعبر عنه بالحرية الشخصية في عرف هذا العصر ولكن الرؤساء المسيطرين قد تصرفوا في الفطرة تصرفاً ذهب بالاستقلال الذي لا يتفق مع الاستبداد . ولذلك ترى أهل البداوة أقرب الى الاستقلال من أهل الحضارة المحكومين بسلطة استبدادية

الحضارة كالإسري وآفته الاستبداد، الذي يحول دون ما تقتضيه الحضارة من كمال الأفراد ، لعبته باستقلالهم وسيطرته عليهم في علومهم وأعمالهم ، التعليم في البلاد التي تساس بالاستبداد يكون مبنياً على التقليد بطبع الحكومة لأن الذين يرفعون الحقائق لا يرضون أن يتحكم في مجموعهم واحد منهم إرادته حكم وهو أهلية وقانون ، فاستقلال الأفكار حرب لحكم الاستبداد وكثيراً ما كانت هذه الحرب سجالات والعاقبة للمستقلين. الشرق أعرق في التقليد من الغرب فهو أعرق في الاستبداد أيضاً وقد ظهر الإسلام في الشرق وهو يرسف كالفرد في قيود التقليد ويخط من وزير الاستبداد الثقيل فكسر القيود ووضع الأوزار ولكن عاد الاستبداد إلى المسلمين بعد أقل من نصف قرن فكان كلما قوي يقوى التقليد ويضمف الاستقلال حتى زال من مجموع الأمة وصار الأفراد المستقلون فيها كالغرباء لا ولي لهم ولا نصير

قاست أوروبا من بلاء الاستبداد أكثر مما قاست ممالك الشرق وحطكت ظلمات التقليد فيها أكثر مما حطكت في غيرها ولكن ما عنت أن خضها لما قبس من علوم غرب الأندلس وغيرهم فوجد فيها من عرف

قيمته، والنقص في استعماله عزيمته، حتى صار خدياء ساطعا، ووراء في تلك الآفاق لامعا، وجاءت ساعة المشرق، بطلوع الشمس من المغرب، جاهدت أوروبا أفضل الجهاد في سبيل استقلال الفكر والارادة حتى ظهرت باعنائها من رجال الدين، والملوك المستبدين، وجعلت كلمة الدليل هي العليا، وكلمة التقليد هي السفلى، جمعت بين عزة البداوة، وحاسن الحضارة، فارتقت فيها العلوم والاعمال، الى درجة لم تصد في جيل من الاجيال، من حيث رجع الشرق القهقري «وعدداً يقدمه الزمان الى ورا» ما كان العلم ليدع الجبل على ما هو عليه حتى يحكم فيه حكمه، ويوقع على أهله عدله أو ظلمه، اندفعت أوروبا الى الشرق مستعمرة للارض، وأوداعية الى الدين، او طالبة للكسب، فامتزج أهلها بأهله، ووصلوا جبلها بجبله، بما أنشأوا من المدارس، وما قلدوا من الاعمال والوظائف، فخلق أهل الشرق يتعلمون على الطريقة الاوربية طريقة البحث والاستدلال، والاستنباط والاستنتاج، وانشأوا يستشقون نسيم الاستقلال، وتوجهون الى طلب الكمال،

فهذه فائدة كبرى قد استفدناها من الاوربيين ينبغي أن نشكرها لهم ونحمد لاجلها معرفتهم. وليس للمسلم ان يشكر ذلك محتجاً بأن القرآن الحكيم قد أرشد الى هدم التقليد وقام على اساس الاستقلال في الاستدلال فان هذا وان كان حقاً يترف به النصف من علماء أوروبا لم يكن هو المنبه في هذا المصير للشرق عامة والمسلمين خاصة ودليلنا على هذا ان رجال الدين منا لا يزن الوزن في الاكثر اسرى التقليد واعداء الاستقلال، فيجب ان نصف من انفسنا، ونشكر لمن نبهنا الى مصلحتنا

الجامعة الإسلامية

تكلم اللورد كرومر في تقريره الأخير عن الجامعة الإسلامية كلاماً يؤيد الذين أظهروا يقظة المسلمين في غير شكلها ف رأينا أن تنشر ما كتبه الأستاذ الامام عن ذلك في رده الثاني على موسيو هانوتو وهو لم ينشر في الرسائل المتداولة ناقلين ذلك عن الجزء الثاني من تاريخه قال رحمه الله

شأن المسلمين اليوم وظهور دعوة فيهم الى توحيد كلمة المسلمين وجمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد في جميع البلاد الإسلامية
أو كما لمسيو هانوتو ان هذه الدعوة لم يوجد لها أثر الى اليوم في بلد من بلاد المسلمين ولو خطا خطوة الى معرفة أحوالهم على ما هي عليه لما خطر بباله ان يشير الى هذه الدعوة فضلاً عن أن يني عليها حكماً وان ما علق بالاولهام منها قائماً منشوء سوء فهم بعض مسيحي الشرق ثم انعكاس ذلك في اذهان سياحيي المغرب وقد يكون لسوء نية بعضهم مدخل في تعظيم ماتوم فيها

وإني أعرض الحقيقة كما هي لا ينشأها سائر من تجو به ولا غطاء من ليس وأرجو ان يكون في هذا البيان ما يفتح مسيو هانوتو بحسن مقاصد المسلمين اليوم في كلامهم عن الدين وما يرد أمثال صاحب الجريدة التي نشرت حديثه (١) الى رشدكم حتى يتقوا الله في أنفسهم وأهل بلادهم ولا يتخذ بعضهم من العلم حراً ولا من السكون شغباً لا أنكر أن طائفاً من الدين طاف في هذه السنين الاخيرة بقول بعض المسلمين في أقطار مختلفة من الارض وان نسمة من نفس الرحمن مرت بانفس قليل من أهل الفضل فيهم فعزكت ما كنهم وأثارت همهم الى النظر فيما كان عليه أهل هذا الدين وفيما صاروا اليه، وان منهم من يتكلم بما يرى اذا وجد سبيلاً الى الكلام ومنهم من ينشر رأيه في كتاب أو جريدة اذا تهيأت له الوسائل

(١) يعني بالجريدة الاهرام وكان صاحبها نشر فيها حديثاً دار بينه وبين هانوتو

بعد الرد الأول عليه وما تنشره هنا هو من الزه على هذا الحديث

قلبك . ثم يوجد مقلدون لهؤلاء يقولون مالا يملكون، ويهرفون بما لا يعرفون ، ولا كلام لنا في هذا المقلدين ، وإنما كلامنا فيما يرمي إليه غرض أولئك الناظرين

ظهر الاسلام لاروحيا مجردا ، ولا جسديا جامدا ، بل انسانيا وسطا بين ذلك أخذ من كل من القيلين بنصيب فنوفر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ولذلك سمى نفسه دين الفطرة وعرفه ذلك خصومه اليوم وعدوه المدرسة الأولى التي برقى فيها البرابرة على سلم المدنية . ثم لم يكن من أصوله « أن يدع ما يقصر لقصر » بل كان من شأنه أن يحاسب يقصر على ماله ويأخذ على يده في عمله . جاء هذا الدين على الوجه الذي ذكرنا فهدى ضالا ، وألان قاسيا ، وهنّب خشنا ، وعلم جامعا ونبه خائلا ، وأثار الى العمل كسلا ، وأقنن عليه وكلا ، وأصلح من الخلق قاسدا ، وروج من الفضيلة كاسدا ، ثم جمع متفرقا ، ورأب منصدعا ، وأصلح مختلفا ، ومحا ظملا ، وأقام عدلا ، وجدد شرعا ، ومكن للام التي دخلت فيه نظاما ، امتازت به عن سواها عن لم يداخل فيه ، فكان الدين بذلك عند أهله كالا للشخص وألفة في البيت ونظاما للملك . وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم ولم يفت العلم حفظ من غايته بل كان قائده في جميع وجوه سيره . فان شاء قائل ان يقول ان الدين لم يلهم التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة في البيت لم يسهه أن ينكر أنه أوجب عليهم السعي الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية وأوجب عليهم ان يحسنوا فيه وأباح لهم الملك وفرض عليهم ان يحسنوا الملكة وما ظنك بدين يقول خليفته الثاني وهو في المدينة من بلاد العرب « لو ان سخلة يراعي الفرات أخذها الذئب لستل عنها عمر » ويقول خليفته الرابع « أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركم في مكاره الدهر » أرا كون أسوة لهم في جشوبة النفس ؟ أي خشوته يريد بذلك أن يساوي المساكين في العيش ليكون قدوة الاغنياء في الاحسان وأسوة الفقراء في حسن الصبر

هكذا كان الاسلام مهادنا للمسلمين يحثهم الى جلائل الاعمال ، ومصباحا ليمائرهم يسترشدون به في استغراق الاحوال ، وتقوم الافكار وعاطفا يعطف قلوبهم على الامم بالسفوف والمرحمة وحسن المعاملة حتى رضيتهم الارض سادة لها

وقادة لساكنها وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم
أفبعد هذا يجب عاقل اذا رأى المسلم يرضى ما رضىه هذا المرشد الحكيم
ويعتق ما يعتقه؛ أيدهش ان يرى المسلم بهذا بكل ما لم يعتقه سائفا في دينه وان كان
فيه ملك الارض أو ملكوت السموات بعد ما شهد المسلم من أثر نعمة الله عليه في
هذا الدين ما شهد؛ لا عجب في ذلك فانه نتيجة ضرورية ينساق اليها الامر بنفسه
بحكم سنة الله في خلقه

وأشفاا لم يبق للمسلم من الدين الا هذه الثقة فيه اما الدين نفسه فقد اقلب
في عقل المسلم وضعه، وتغير في مداركه طبعه، وتبدلت في فهمه حقيقته، وانطلعت
في نظره طريقته، وحق فيه قول علي كرم الله وجهه « ان هؤلاء القوم قد لبسوا
الدين كما يلبس الفرو مقلوبا »

لأبحث اليوم في الاسباب التي وصلت بالدين في نفس المسلم الى ما ذكرت
ولكن أقول ولا أخشى منكم لما أقول : قد دخل على المسلم في دينه ما ليس
منه ، وتسرب في عقائده من حيث لا يشعر ما لا يتصل بأصلها بل ما يهدم قواعدها
ويأتي على أساسها . عرضت البدع في العقائد والاحمال ، وحلت محل الاعتقاد
الصحيح ، وأخذت مكان الشرع القويم ، وظهرت آثارها في أعماله ، وعم شؤنها
جميع أحواله

ان صح لفظ الحديث « طلب المسلم فريضة على كل مسلم ومسئلة » أولم
يصح فالقرآن يؤيد معناه ، وعمل الأولين من المسلمين يحقق صحة ما حواه ، فالرجل
والمرأة سواء في الخطاب التكليفي ، وكانا سواء في علم ما يجب عليهما من فرائض
الاسلام ، وخصال الايمان ، وفي طلب العلم بما يلزم لصلاح مآدهما وما شأهما وبما
تحسن به المعاملة مع من يتصل بهما قرب أو بعد على تفصيل معروف في كتاب الله
وسنة رسوله وعمل الصالحين من بعده حتى لم يبق باب من أبواب العلم الا دخل
منه بقدر الاستطاعة وما يسمع الزمان . ضل المسلم بعد ذلك في معنى العلم فظن الرجل
ان غاية ما يرضى الدين منه معرفة فرائض الوضوء والصلاة والصوم في صورة
أدائها اما يتعلق بسر الاخلاص فيها ووسيلة قبولها عند الله فذلك عمالا يخطئونه

يأل الا القليل النادر اما آداب الدين وتهديب الروح واستكمال الحاصل الجلية مما جعله الاسلام غاية المبادات وثمره الاعمال الصالحات فهو مع أنه أعم علوم الدين مما لا تتوجه اليه عزيمه ، ولا تنصرف نحوه ارادة ، اللهم الا من أشخاص قلائل مشورين في أطراف الارض لا ترقى بهم أمة ، ولا تسمو بهم كلمة امان ينقطعون لطلب العلوم ليحصلوا جنة منها فقد اقساموا الى فريقين

الاول من يظن أنه وارث علوم الدين والقائم بحفظها وقد قل افراده في معظم البلاد الاسلامية ولم يبق منه الا رسوم لا يكاد يدركها نظر الناظر والمشتغلون منهم في بعض البلاد كعصر والامانة فانما حفظ الدكي منهم وقليل ما هو ان ينظر في كتب مخصوصة عينها له الزمان وضمف العرفان ويفهمها بمعنى أن يثق بأن هذا القفظ دال على ذلك الذي ومنى تم له ذلك فقد استكمل العلم سواء سلم له عقله ودينه وأدبه بعد ذلك أم لم يسلم فكان مثلهم مثل من ورث سلاحا فكان همه أن ينظر اليه ويملا عينه منه ولا يمد يده اليه يستعمله أو يزيل الصدأ عنه فلا يلبث أن يأكله الصدأ وينفسد الحثث ويزعمون ان الدين يعبد هما وذا ما عرفوا من العلوم النافعة ومن رأي هؤلاء أن لاشأن لهم مع العامة ولا يجب عليهم أن يأخروا بمصروف ولا ان ينهوا عن منكر وقد ارتكبوا بذلك خطأ في فهم دينهم لا يساويه في سوء عاقبته خطأ ولكن كثير منهم بل الاغلب من سوء الفهم في الدين مالا حاجة الى عده ولا يخفى ان ما يحصله هذا الفريق في العلم لا يظهر له ادني أثر في صلاح الامة كما هو مشهود

والفريق الثاني من يهوى أولياؤه لنيل منصب من مناصب الحكومة حال اوساقل وافراد هذا الفريق ان كثيرون أو قلوا يحصلون مبادي العلوم المعروفة بالعلوم المصرية ثم يحصل كل واحد ما به ينال المنصب الذي يمد له والده على أن ما يحصل اما لفظ يحفظ أو خيال يخزن والمدار على الوصول إلى ورقة الشهادة ومن هؤلاء من يذهبون الى أوروبا بالاستعمال الغربية فيها ولا غاية لهم سوى هذه الغاية فمن أصاب منهم بعد ذلك وظيفة قنع بها وحصر همه على السبل فيها ومن لم يجد وقف على الابواب ينتظرها فإذا مل الانتظار أو تقضي زمن الصل وجدته

في قهوة أو ملهى يسرف في أوقاته ويفسد في أدوائه والصالحون منهم قليل ما هم
لا بهم شأن العامة شقيت أو سعدت هلكت أوقامت فاني أثر لما فعله هؤلاء
يظهر في الامة وأسخطي منهم شواذ في كل بلد على ضعفهم يرجي ان ينمو عددهم
ونفسي الامم ثمار أفعالهم . هذا شأن الرجال مع العلم

أما النساء فقد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن وأدبانهن
بستار لا يدري متى يرفع ولا ينظر بالبال ان يطن عقيدة أو يرو دين فريضة
سوى الصوم وما يحافظن عليه من الفقه قائما هو بحكم المادة وحارس الحياء وقليل
جدا من موروث الاعتقاد بالحلال والحرام وحشو أذهان الحرافات وملأ ذلك
احاديث الترهات اللهم الا قليلا منهم لا يستغرق الدقيقة عددهن وكل من الرجال
والنساء يمد نفسه مسلما يمدحها الجنة ويغيبها السعادة

اخفا المسلم في فهم معنى التوكل والقدر قال الى الكسل وقد عن العسل
وكل الامر الى الحوادث تصرفه حيثما تهب ريحها ويظن انه بذلك يرضي ربه
ويوافي رغائب دينه

اخفا المسلم في فهم ما ورد في دينه من ان المسلمين خير الامم وان القوة
والقوة مقرونتان بدينهم ابد الدهر فظن ان الشير ملازم لعنوان المسلم وان رفعة
الشأن قائمة فقطة وان لم يتحقق شيء من معناه فان أصابته مصيبة أو حلت به
رزقة تسلي بالقضاء وانتظر ما يأتي به القيب بدون ان يتخذ وسيلة لتقديم الطاريء
أو ينهض الى محل ثلاثي ما عرض من خلل ، أو مدانة الحادث الجليل ، فبالفاني
بالحسنات التي لله سنة فيه

اخفا المسلم في فهم معنى القوة لا ولي الا الله والاعقاب لا وارث فالقوى مقايضة
الى ان لا يركب وركب الي التعريف في شؤونه ثم ان يركب حتى تمنى ان يركب
بمكتنبا الأيام بأشواقه جميعا من ادارة وسياسة بدون ان يكون ملائمة عونته يرى
الضرورة التي تفرضها عليه ومن رأى حزن الآباء اذا طلب ابنائهم لاداء الخدمة
العسكرية وما يندفرونه من السعي في تلبيةهم منها حكم بان ما يسهل أكثر المسلمين
من معنى الحكومة لا يمكن انطباقه على شيء من أوليات القتل وعرف ان تقوم

الحاكم قد بلغت الى حد التأليه من حيث ظنوه قادرا على كل شيء بدون عون من أحد وانقلبت تلك الثقة الى الادبار والتخلي عنه من حيث أنهم تركوه وشأنه لا يساعده في حادث ، ولا يمينونه في أمر مهم ، اللهم الا اذا ارغموا على ذلك ومن ذا الذي يحسن محلا اذا ألجئ اليه بالرغم عنه ومن هنا انصرف المسلم عن النظر في الأمور العامة جملة وضف شعوره بحسنها وقبيحها اللهم الا ما عسى شخصه منها اما الحكم وقد كانوا اقدر الناس على اقياس الامة بما سقطت فيه فاصابهم من الجبل بما فرض عليهم في اداء وظائفهم ما أصاب الجمهور الاعظم من العامة ولم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الابدان لاهوائهم واذلال النفوس لحشونة سلطانهم وابتزاز الاموال لانفاقها في ارضاء شهواتهم لا يربعون في ذلك عدلا ، ولا يستشيرون كتابا ، ولا يقيمون سنة ، حتى افسدوا اخلاق الكفاية بما حلوا على النفاق والكذب والفنس والافتداه بهم في الظلم وما يتبع ذلك من الخصال التي مانت في أمة الاحل بها العذاب

هذا كله الى ما حدثت من بدع أخرى من مذاهب شتى في العقائد ، وطرق مخالفة في السلوك ، واراها مناقضة في الشرائع ، وتقليد أعمى في جميع ذلك ، فنفرقت المشارب ، وتوزعت المنازع ، وعظم سلطان الهوى على ارباب النزعات المختلفة ، كل يجذب الى نفسه ، لا ينظر الى حق ، ولا يفزع من باطل ، وانما همه ان يظفر بخصمه وذلك الخصم هو ما يدعو له في الاسلام في مرض التشديق بالكلام

وزد على ذلك وهذا اكبر بدعة عرضت على نفوس المسلمين في اعتقادهم وهي بدعة اليأس من انفسهم ودينهم وظنهم ان فساد العامة لا دواء له وان ما نزل بهم من الضر لا كاف له وأنه لا يمر عليهم يوم الا والثاني شر منه . مرض سرى في نفوسهم ، وعلة تمكنت من قلوبهم ، تركهم المقطوع به من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وتعلقهم بما لم يصح من الاخبار أو غلطهم في فهم ما صح منها وتلك علة من أشد العال فتكا بالارواح والمقول وكفى في شاعتها قوله جل شأنه « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »

تبع هذه البدع جهيها واخرى يطول ذكرها هزال في المصم ، وضمضة في

الزائم، وفساد في الاعمال، يتبدى من البيت وينتهي الى الامة ويعرف في كل طبقة ويمجول في كل دائرة خصوصاً من دوائر الحكومات وما يرى به المسلمون من التصبب الديني الالهي فانما عرض على اقوام في بعض البلاد الاسلامية بما لهذه البدع الضالة على انبي لا اسلم انهم بلغوا فيه ادنى درجاته في الامة المسيحية شرقية كانت أو غربية والتاريخ شاهد لا يكذب

هذا ما سبب المسلمين في عقولهم وعزائمهم وأعمالهم بسبب ابتداعهم في دينهم وخطائهم في فهم أصوله، وجهلهم بأدبي أبوابه وفصوله، لهذا سلط الله عليهم من يسلبهم فصة لم يقوموا بشكرها وينزل بهم من عقوبة الكفران ما لا قبل لهم بدفعه الا اذا تماركهم الله بطلفه وقد ابتلاهم عن يلقى بدينهم كل عيب، ويقرنه اذا ذكره بما يتبرأ منه، ويسند حججاً بين الامة والمدنية، بل يسند منهم شقاوتهم وسبب فاتهم

تنب لذلك أفراد من عقلاء المسلمين في اواسط القرن الماضي من سفي الهجرة في أقطار مختلفة من بلاد فارس والهند وبلاد العرب ثم في مصر وكل منهم بحث في الداء وقدر له الداء بحسب فهمه على تقارب بينهم ولعالمهم يلتقون يوماً من الأيام عند الفاية ان شاء الله

مقصد الجميع ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في تقويم شؤونه ويمكن ان يقال ان الغرض الذي يرمي اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد وازالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين حتى اذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الاعمال من الخلل والاضطراب واستقامت أحوال الافراد واستقامت بصائرهم بالعلوم الحقيقية دينية ودنيوية وذهبت أخلاقهم بالملكات السليمة وسرى الصلاح منهم الى الامة فاذا سمعت داعياً يدعو الى العلم بالدين فهذا مقصده، أو متادياً بحث على التربية الدينية فهذا غرضه، أو صاحباً ينكر ما عليه المسلمون من المفسد فذلك غايته، وهذه سهيل لمريد الاصلاح في المسلمين لاندوحة عنها، فان اتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارفة عن صبغة الدين يهوجه الى انشاء بناء جديد ليس عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه ان يحمده

من همائه أحداً ، وإذا كان الدين كافلاً بهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها ولا الهل من الثقة به مايتناه وهو حاضر لديهم والثناء في ارجاعهم اليه أخف من أحداث مالا إلامهم به فلم الدول عنه الى غيره !! لم يخطر ببال أحد من يدعو الى الرجعة الى الدين سواء في مصر أو غيرها ان يثير فتنة على الاوربيين أو غيرهم من الامم المتحاربة للمسلمين غير ان بعض المسيحيين اذا سمع قولاً في الدين أعرض عن فهمه ، وأنشأ نفسه غولاً من خياله ، يخاف منه ويخشى غائلته ، يسميه باسم الدين ، وبعضهم يظن انه لو اتقى المسلمون الى شؤنهم ، ورجعوا الى الانقياد بالصحيح من دينهم ، لا اعتصموا بحمايتهم ، واستأنوا على تقويم أمورهم بأنفسهم ، واستغنوا عن أدغالهم في أعمالهم من غيرهم ، فيحرم الكثير من المسيحيين تلك المنافع التي قالوها بفنتيتهم ، وهو سوء ظن من الزاعم بنفسه فانه يظنه هذا يعتقدانه غاش مفور ، وسالب متلصص ، وسوء ظن بالمسلمين أيضاً فان أهل الوطن الواحد لا يستغني بعضهم عن بعض معها ارتقت مدارفهم وعظم اقتدارهم على الاعمال وغاية الامر أن ما كان ينال اليوم بدون حق يصبح وهو لا ينال الا بحق والاجسبي الذي كان ينفق الواحد ويربح المئة يرجع الى الاعتدال في الكسب ، ويحتاج الى شيء من التصب في استيراد الربح ، وقد كان المسيحيون عاملين في الدول الإسلامية وهي في عنوان قوتها ، والاجانب يطلبون الكسب في ارجائها وهي في أرفع مقام من عزها

نعم يعرض في طريق الدعوة الى الدين على هذا الوجه أن يلتبس مسلم ببعض معونة من مسلم آخر بسور يأو بالهند أو بالمعجم أو بافغانستان أو بغير هذه الاقطار لان مرض الجحيم واحد وهو البدعة في الدين فاذا نجح الدواء في موضع كان السليم أسوة للربض في موضع آخر أما السعي في ترحيل كلمة المسلمين وهم كما هم فلم يمر بعقل أحد منهم ولو دعا اليه داع لكان أجدر به ان يرسل الى مستشفى المجانين

يكتب بعض أرباب الاقلام من المسلمين في حكمة الحج ويقول انه صلة بين المسلمين في جميع اقطار الارض ومن أفضل الوسائل لتعاون بينهم فليعلم

ان يستفيدوا منه وهو كلام حق لكن لا ينبغي أن يفهم على غير وجهه فإن الفرض منه ان يذكر المسلمون ما بينهم من جملة الدين حتى يستبين بعضهم بعض على اصلاح ما فسد من عقائدهم أو أدخل من أعمالهم وفي مدافعة ما يتوغل بهم من قسوة أو ظلم أو بلاء وهو أمر معهود عند جميع الأمم التي تدين بدين واحد خصوصاً عند الأديين.

يكثُر المسلمون اليوم من ذكر الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد ويعتقدون أنهم يدينونهم ويدينونهم إلى عقد الولاء له وهذا أمر لا ينبغي ان يدهش أحداً فإن هذه الدولة هي أكبر دول الإسلام اليوم وسلطانها أفخم سلاطينهم ومنه برزجي إقادة ما بين يديه من المسلمين لما حل بهم وهو أقدر الناس على اصلاح شؤونهم وعلى مساعدة الداعين إلى تجميع العقائد وتهذيب الاخلاق بالرجوع إلى أصول الدين الطاهرة النقية نأى شئ في هذا يزجج أود با حتى تتعد على هضم حقوق المسلمين اذا حدثت حوادث مثل الحوادث الماضية كما يقول موسيو هانوتو



بقي الكلام على جمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد يقول فيه موسيو هانوتو ان أوربا لم تتقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية من السلطة المدنية وهو كلام صحيح ولكنه لم يدرك ما مضى جمع السلطين في شخص عند المسلمين . لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت تقباً على الأمم المسيحية عند ما كان يعزل الملوك ويحرم الأمراء ويقرر الضرائب على الممالك ويضع لها القوانين الالهية وقد قوت الشريعة الإسلامية حقوقاً للحاكم الأعلى وهو الخليفة أو السلطان ليست تقاضي صاحب السلطة الدينية وإنما السلطان مدبر البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب أو السياسة الخارجية وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم الا التولية والعزل ولا لهم عليه الا تنفيذ الأحكام بعد الحكم ورفض النظام ان أمكن وهذه الدولة العثمانية قد وضعت في بلادها قوانين مدنية وشرعت نظاماً لطريقة الحكم وعدد الحاكمين ومهمهم وسمحت بأن يكون في محاكمها أعضاء من المسيحيين وغيرهم من الملل التي

تحت رعايتها وكف تلك حكومة مصر أنشئت فيها محاكم مختلطة ومحاكم أهلية بأمر الحاكم السياسي وشأن هذه المحاكم وقوانينها معلوم ولا دخل لشيء من ذلك في الدين فالسلطة المدنية هي صاحبة الكلمة الأولى كما يطلب مسيو هانزو ولكن مع ذلك لم يظهر نقمها في صلاح حال المسلمين بل كان الأمر معكوساً فإن أمراء السابقين لواعبوا أنفسهم أمراء الدين لما استطاعوا المجاهرة بمخالفتهم في ارتكاب المظالم والمفالات في وضع المقام والمباينة في التبذير الذي جرت العادة على بلاد المسلمين وأعدمها أعز شيء كان لديها وهو الاستقلال

ان فرنسا تسمى نفسها حامية الكاثوليك في الشرق وملكة انكلترا تلقب بملكة البروتستانت وأمپراطور روسيا ملك ورئيس كنيسة معاً فلم لا يسمح للسلطان عبد الحميد ان يلقب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين

لا أنظن ان مسيو هانزو يسيء الظن بدعوة دينية على الوجه الذي بيناه وأظنه يكون عوناً للمسلمين على تضيقها في البلاد الإسلامية الفرنسية إذا وجد فيها من يقوم بها وأنا أضمن له بعد ذلك ان تتفق مصالح المسلمين مع مصالح الفرنسيين فان المسلمين اذا تهذبت اخلاقهم بالدين سابقوا الاوربيين في اكتساب العلوم وحصيل المعارف ولحقوا بهم في التقدم وعند ذلك يسهل الاتفاق معهم ان شاء الله

٣

« سوء ظن المسلمين بسياسة أوربا كلها وعدم ثقة سياسيتهم بدولة من الدول واعتقاد المسلمين بأن مصلحة أوربا المسيحية تخالف مصالحهم الإسلامية وعدم اطاعتهم الى سياسة الدول المسيحية حتى أدّى بهم فقدان الثقة بالمسيحيين الى ان لا يأتمنوا مسيحياً غريباً ولو أخلص لهم الخدمة وصدق معهم » سمع بذلك كله موسيو هانزو ومن صاحب الجريدة المعروفة ومن بعض الثمانين في الاستانة وباريس ثم أخذ يبرهن على أن سياسة أوربا اقتصادية ملكية لادينية لاهوتية

لا أدري من هم المسلمون الذين وصفهم موسيو هانزو ومن أبلغ اخبارهم أم المنودوم في حكم دولة أجنبية ولا زال نرى في خطبهم وجرائدهم ما يدل على طاعتهم لحكوماتهم وتقليداتهم الآمال بعد لهم والتماسهم الحق من طرق

هل هم مسلمو روسيا وتقتهم بحكومتهم وثقه حكومتهم بهم لا تخفى على أحد
حتى ان الدولة الروسية تفضلهم على المسيحيين من غير المذهب الارثوذكسي
هل هم الافغانيون واخلاص أميرهم في مصافاة الانكليز أشهر من أن يذكر
ولا ينفي اخلاصه حرصه على بلاده وحفاظته على مصلحتها
هل هم الفرس واستأنستهم الى السياسة الروسية لا يجهلها أحد ؟

هل هم المراكشيون وهم يهمل عن كل ما يسمى سياسة بل هم في غفلة عن
الدين والدنيا جميعا شغل بعضهم بعض فلا ينفكون يتقاتلون ويتسالبون حتى
يقضي الله فيهم بقضائه

هل هم التونسيون وقد أفنى عليهم موسيوهاونو بما هم أهله وثبت له اوتياهم
الى السلطة الفرنسية لجرد ما أطلقت لهم الحرية في دينهم
لله لم يقصد الا العثمانيين كما يدل عليه بقية كلامه وكما يفيد قوله ان لا يأمنوا
مسيحيا عثمانيا والعمانيون منهم المصريون ومنهم غيرهم فاما المصريون فلا شيء
عندهم يدل على عدم الثقة بالاوربيين وبالمسيحيين العثمانيين فانهم يشاركون في
العمل مواطنيهم من الاقباط في جميع مصالح الحكومة ماعدا الحاكم الشرعية الخاصة
بالمسلمين وهم معهم على غاية الوفاق خصوصا أهل الاخلاص وسلامة النية منهم
ولكل من الفريقين اصدقاء وأحبة في الفريق الآخر ثم شأنهم هو ذلك الشأن مع
سائر الطوائف المسيحية الا من ظهر منهم بالنصب البارد للدين وآذام في دينهم
أوفي منافهم الخاصة بهم لاشيء سوى التمسب الاعمى ولا تطالب على ذلك شاهدا
اقرب من صاحب الجريدة الذي يحدته موسيوهاونو إنه بعد أن كان على المسلمين
أثناء الحرب الروسية العثمانية وبعد ان أتى ما أتى عقب الحوادث العراية شهد له
المسلمون بأنه صدقهم والساعي في خبهم كما اقتخر بذلك مرارا في جريدته وان
كانت له اليهم هتات لا تزال تبدو من فيه الى وقت ذلك الحديث فأين فقد هذه الثقة
بالعثمانيين المسيحيين في مصر ؟ هل طرد أحد من خدمة الحكومة لانه مسيحي عثماني ؟
هل حرم أحد حق المحاماة أو انشاء الجرائد أو المطابع أو اقامة المصانع أو تأسيس
الهيوت التجارية لانه مسيحي عثماني ؟ فليأت صاحبنا بشاهد واحد

أما حالهم مع الاروبيين فاننا نراهم اذا أحسوا بحد من انكليزي ذكره، أو وصل اليهم معروف من أي عامل أوربي شكره، بل ازيدك على هذا ان المستنث منهم بالحكومة يطلب منها ان يتولى تحقيق مظلمة انكليزي كما شوهه ذلك كثيراً في شكاياتهم وليس بقليل من يمرض شكواه على جناب اللورد كرومر وهو ليس بمحاكم رسمي فأني دليل على الثقة أكبر من هذا

ليس بقليل في مصر من يثق بالفرنساويين ومن له بينهم اصدقاء يركن اليهم ويستند ولائهم وموسيو هانوتو وصاحب الجريدة يعرفان ذلك

كثيرا ما أغرى الاروبيون من فرنساويين وأمريكيين من أبواب المدارس في مصر شيانا من المسلمين بالمروق من دينهم والاندخول في الديانة المسيحية وفروا ببعضهم من القطر المصري الى البلاد الاجنبية وأحرقوا كبدوا لدية ومع ذلك لانزال ترى المسلمين يرسلون أولادهم الى مدارسهم وناظر المعارف عندنا وزير مسلم وأولاده يترجون في مدارس الجزويت وكثير من أبناء الاعيان في مدارس الفرير فأني اتحان بفوق هذا الاتحان

زادت ثقة المصريين من المسلمين بالاروبيين خصوصا في المعاملات حتى أساء أولئك الاروبيون استعمالها وانتهزوا فرصتها وسلبوا كثيرا من أهل الثروة ما كان بأيديهم ومع ذلك فهم لا يزالون يأمنونهم ويثابرون في الاستقامة اليهم ويقلدونهم فيما يخالف دينهم وعوائدهم فاذا يطلب من الثقة فوق هذا !!

هل يشكو عقلاء المسلمين في مصر من شيء مثل ما يشكون من الثقة العمياء بالاجنبي من غير تمييز فيما هو عليه من أخلاص أو غش من صدق أو كذب من أمانة أو خيانة من قناعة أو طمع حتى آل الامر بالناس الى ما آلا اليه من خسارة المال وسوء الحال فهل هذا هو فقد الثقة بالاروبيين والتمانيين المسيحيين الذي يعبه حضرة صاحب الجريدة وجناب موسيو هانوتو ؟

وأما التمانيون من غير المصريين فاذا ارتقينا الى الدولة وسلطانها أيده الله وجدنا أن نظام الدولة قاض باستعمال المسيحيين في ادارتها ومحاكمها في كل بلد فيه مسيحيون، والمأمورون من المسيحيين يثابرون في النياشين والترتب ما يتنااله المسلمون

على نسبة عديم أوفوق ذلك وكثير من المسيحيين نالوا من الامتيازات والمنافع في الدولة ما لم ينله مسلم وسفارات الدولة ومناصبها العالية لا تملأ من المسيحيين . اقبال السلطان على رؤساء الطوائف المسيحية وانعامه عليهم وبسامات الشرف واختصاصه لبعضهم بشرف المشول في حضرته والاحسان اليه بريقى المحاطة لا ينقطع ذكره من الجرائد ، صاحب الجريدة التي نقلت الحديث أمثل شاهد على مثل ذلك فقد جاءه زمانا ليس بالقصير بحالا ترضى الدولة بمثله ولا بأقل منه من مسلم ثم سهل عليه وهو مسيحي ان يكون موضع ثقة للجناب السلطاني حتى أدناه منه وقبله في مجلسه وسمع منه أمير المؤمنين تلك النصيحة المفيدة التي نشرها في جريدته من نحو شهرين أثر هبويه لنصرة مسيو هانوتو ثم والى عليه احسانه بالرتب والنياشين وغيرها فما هي الثقة ان كان هذا قددها ؟

أما سياسة الدولة الخارجية فالفرنساويون يشكون من مصافاة السلطان وثقته بدولة المانيا وهي دولة مسيحية ولا أعظم يشكون من ثقة أخرى بدولة اسلامية وكانت للدولة ثقة لا تتزعزع بالسياسة الانكليزية ثم حدثت حوادث أهمها نشأ من ضعف سياسة موسيو غلاستون فأعقبا اضطراب في تلك الثقة مدة من الزمان بحكم الضرورة ثم انا تراها اليوم تتراجع وفي رجال الدولة من لهم ثقة بصداقة روسيا ويودون لومات إليها سياسة الدولة وهم مسلمون

والذي أحب أن يعرفه موسيو هانوتو ان سياسة الدولة القمانية مع الدول الأوروبية ليست بسياسة دينية ولم تكن قط دينية من يوم نشأها الى اليوم واتما كانت في سابق الأيام دولة قسج وغدب وفي آخر باتما دولة سياسة ومدافعة ولا دخل لدين في شيء من معاملاتها مع الامم الأوروبية

امبراطور المانيا جاء الى سوربال للاحتفال بفتح كنيسة فبالغ السلطان في الاحتفال به الى الحد الذي اشتهر به . يهجي الاسراء المسيحيون من الأوربيين الى الاستانة فيلاقون من الاحتفال مالا يلاقونه في بلاد مسيحية وينفق في تعظيم شأنهم من المال ما المسلمون في حاجة اليه أليس ذلك لمجاملتهم واكتساب مودتهم ؟ وهل بعد المودة الا الثقة بصاحب المودة ؟ كان يمكن للسلطان ان يكتفي بالرساميات ولا يزيد

عليها ولكن عهد في معاملة يفرق الرسمي بدرجات فان سلطان سيادة أوربا ليست
بديعة من جميع وجوها فسياسة الدولة العثمانية مع أوربا هي كذلك ومسلوها تبع لها
فان قال قائل : ان حوادث الارمن لم تزل في ذاكرة أهل الوقت وفسبون
وقائما الى التخصب الديني بل يقولون ان أسبابها مظالم جر اليها ذلك التخصب ؛
أمكن ان يجاب بأن المداومة مع طائفة مخصوصة لا تدل على قنائلته بكل مسيحي منها
ومن غيرها ومع ذلك فان كثير من الارمن في خدمة الدولة الى اليوم وهم بذلك موضع
تقنا وهذا وذلك يدل على الريب فيما يزعمون من ان منشأ تلك الوقائع التخصب
الديني فان المسيحيين سواء في الممالك العثمانية انهم حالا من المسلمين كما شاهدناه
بأنفسنا ولوا نصف الارمن لولا ما كنهم فهم أسباب هذا الاضطراب الذي يظهر زما
بعد زمن في تلك الاقطار ولعل عليهم ان يعرفوا ان منعه في أوربا لاني آسيا

لا يفت علي أن أقول ان المسيحيين في الممالك العثمانية متمتعون بنوع من الحرية
في التعليم والتربية وسائر وجوه الخير يشقى المسلمون ان يساووهم فيه فهل هذا عنوان
سوء الظن بالمسيحيين وعدم الثقة بهم ؟ لا يليق بكاتب مثل صاحب الجريدة ان
يروي عن المسلمين كافة مثل ما رواه فان ذلك مما يحزن المسلمين والمسيحيين جميعا
واني اعتقد انه عند الكلام على المسلمين لم يكن في ذهنه الا بعض أشخاص لم تصبه
آراؤهم فيه فاستحضر في صورهم جميع المسلمين وسياسهم

ليعلم موسيو هانوتو ان جميع ما يقال له أو يكتبه بعض العثمانيين لا حقيقة له الا
في ذهن القائل أو الكاتب فلا ينبغي ان يعمل على مثله في أحكامه وعليه ان يحقق
الأمر بنفسه ان كان يجهل ان يتكلم فيه

وأما ان المسلمين أخذوا عليه فيما كتب عن الاسلام مع انه خدمهم وقوله
فكيف بجاهلهم مع من لم يخدمهم فنبين له الوجه فيه ليزول عنه ما سبق الى فؤاده : لواقصر
على الكلام في السياسة ويبحث في علاقة المسلمين مع حكومته ولم يسط على الدين
نفسه في أصليين من أم أصوله لما أخذ عليه أحد الامن ينتقد رأيه من جهة ما هو
صحيح أو غير صحيح ولكنه لم يكن بذلك وطمع في عقيدة التوحيد وبين رداة
أثره في المسلمين واسفل سلاسله على عقيدة القدر وبين سوء ما عجزت اليه فيهم وهو بذلك

يثبت ان المسلمين لا يزالون منعطين ماداموا مسلمين وهو مالا يرضاه أحد منهم
لومال على المسلمين فيما هم عليه اليوم وفي انحرافهم عن أصول دينهم واكتنى
بتمنيهم على افعالهم لشؤونهم وغفلتهم عن مصالحهم كما جاء في حديثه الذي نحن
بصدده لما وجد من المسلمين إلا معتبرا بقوله منعطا بنصيحة والسلام



﴿ قول اللورد كرومر في الجامعة الإسلامية والشريعة ﴾

(مأخوذ من ترجمة ادارة المقطم لقرره الاخير عن سنة ١٩٠٦)

اذا قلنا ان الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست الاحركة الى الجامعة الاسلامية
لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه ولكن لاريب في كون هذه الحركة مصبوغة
صبغاً شديداً بصبغة الجامعة الاسلامية . وهذا الامر كان معلوماً عندي منذ
زمان طويل وقد علمه كثيرون من الاوربيين الآن كما يظهر مما يرد في الجرائد
الحالية ولكن عليهم به ابطاً كثيراً . ويسهل علي ايراد كثير من الشواهد والادلة
على صحة هذا القول اذا اقتضى الامر ايرادها (١) ولكن أقول الآن ان الحوادث
التي حدثت في الصيف الماضي انما كشفت عنصراً جديداً من عناصر الحالة
المصرية . لانه ولو سلم الانسان بما لاريب في صحته وهو ان الدين أعظم قوة
محركة في الشرق (٢) وان الشرقيين لا يخلو لهم حكومة كالحكومة الثيوقراطية (٣)

(١) اشير هنا الى كتاب ورد علي في الربيع خالياً من الامضاء ونشر في
ورقة من الاوراق التي عرضت على البرلمان فقد ارتاب بعضهم في صحته ولكن
لاريب عندي في ذلك على الاطلاق وقد استغربت شدة اهتمام الناس بامره
وخصوصاً في بلاد الانكليز فاني ما رسلته الى لندن الا على سبيل المثال لا فكار
ومعان ألفتها منذ زمان طويل ولم يبق عندي ريب في وجودها ولكنه مفرغ في
عبارات ابلغ من المعتادة (٢) أقصد بالشرق البلاد الشرقية التي لي معرفة بها لا
الصين واليابان (٣) ايراد بالحكومة الثيوقراطية الحكومة التي يستند اتباعها ان
الله هو الحاكم الأصلي فيها وان سننها وشرائعها هي اوامره ومناهيه لاسنن البشر
وشرائعهم وان العلماء ورجال الدين هم خدمة الله وأموره فيها (المرجم)

فقد كان يجوز له مع ذلك ان ينتظر ان تذكر المصريين لما أصابهم في الماضي
 واعتبارهم لتقدم بلادهم في الثروة واليسر في الحال قدما عظيما جدا بالنسبة الى
 ما جاوروها من الولايات المتأينة يحولان دون نمو الجامعة الإسلامية في بلادهم
 أكثر مما حالاً في الظاهر وإنما قلت « في الظاهر » لاني ربما عن كل الظواهر لا
 ازال غير مقتنع بأن الميل الى الجامعة الإسلامية متأصل كثيرا في الهيئة الاجتماعية
 المصرية بل اني واثق انه لو كان المصريون يعتقدون امكان اخراج الآراء المتعلقة
 بتلك الجامعة من القوة الى الفعل لاقلب الرأي العام عليها انقلاباً عظيماً سريعاً
 ومما يمكن من ذلك فقد انضج ان الجامعة الإسلامية عنصر من عناصر الحالة
 المصرية التي يجب حفظها في البال فلذلك يحسن بنا فهم المقصود منها
 المقصود من الجامعة الإسلامية توجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله
 على تعدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل
 الامم الاوروبية التي لها مصالح سياسية في الشرق ان تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة
 لانها يمكن ان تؤدي الى حوادث متفرقة قد تضر فيها نيران التعصب الديني في جهات
 مختلفة من العالم . وقد أوشكت هذه النيران ان تضطرم بمصر في الربيع الماضي . على
 اني ارى قوما يقولون ان القلق الذي جرت الاشارة إليه في مجلس النواب في الصيف
 الماضي كان وهمياً فانا لا اوافقهم على هذا القول مطلقاً لان طبع الطبقات الدينية من اهل
 مصر ولاسيما سكان المدن متقلب كثيراً . فهاجوا من قراء المقالات التي كانت تصدر
 في الجرائد الإسلامية طائفة بالاعراء والكذب هيجاناً شديداً دفعة واحدة وسكنوا
 دفعة واحدة كذلك عند ما لزبت عساكر جيش الاحتلال وطلعت الجرائد
 الإسلامية لمهجتها بتشديد العقلاء من أهل بلادها التكبر عليها . ولكن لا ريب
 عندي ان البلاد كانت عرضة لخطر حقيقي برهة من الزمن قد جاءني اخبار وتقاير
 عديدة عن تهديد المسيحيين والاوربيين . ثم ان الاخبار القامضة المهمة التي
 تشيع قبل حدوث الفتن والتلاقل في الشرق عادة شاع شيوعاً يستحق الاعتبار
 حتى تولى العرب الاوربيين الساكنين في القطر فجمعوا يتقاطرون من القرى الى
 المدن ولم يترهم هذا الرعب لغير سبب مقبول فقد شرحت في تقريري عن

سنة ١٩٠٥ (وجه ١٧ - ١٩) ما جرى في الاسكندرية لواخر سنة ١٩٠٥ حين افشى وقوع الخصام اتفاقا بين رجبين يونانيين الى شغب عظيم لم يلبث ان انقلب هيجانا على المسيحيين . فلو اتفق حدوث حادثة من هذا القبيل في ابان الهيجان الذي حصل بسبب حادثة الحدود بين تركيا ومصر - وحدوثها لم يكن امرا بديها - لامكن على ترجيح انها كانت تنفي الى عواقب وخيمة

اما ما يقوله قوم آخرون من ان ذلك اقلق آى عن سياسة الحكومتين البريطانية والمصرية في امور مصر الداخلية فخال من كل أثر للصحة لان اقلق كله وليس بضعة فقط نتج عن تصديق خلق كثير من الاهالي الذين كانوا تحت تأثير الجامعة الاسلامية لما كان يقال لهم من ان ما كان يجري حينئذ انما كان يقصد به التمدي على رأس الديانة الاسلامية

ولنمد الى ما كنا عليه فاقول : اني ان كنت لا اصدق أن الجامعة الاسلامية نتج غير اضطراب نيران التعصب في لمكنة متفرقة كما سبقت اليه الاشارة فذلك اولاً لاني لا اصدق ان المسلمين ينحدون معاً ويتعاونون متى خرجت المسألة عن القول الى الفصل ، وثانياً لاني واثق بقوة اوربا واقدارها عند الاقتضاء على تلافي هذه الحركة من الجهة المادية وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية والجامعة الاسلامية أيضاً عبارة عن معان أخرى غير مضاهي الاصل ولكنها لا تخط من علاقة به . وهذه المعاني اهم بالنظر الى ما نحن فيه من المعنى الامم الذي سبقت الاشارة اليه

فتبا أولاً في مصر الخضرع السلطان ونروج مقاصده وهذا المعنى يدل على دخول عنصر جديد في حالة مصر السياسية . فقد كانت الحركة الوطنية المصرية دائرة على مضادة الترك الى عهد قريب اذ الثورة العرابية كانت في الاصل على تركيا والترك . اما الآن فيلغني ان زعماء الحركة الوطنية يقولون انهم لا يقصدون توثيق عرى الاتحاد بين تركيا ومصر وانما يقصدون حفظ سيادة السلاطن على مصر . ولكن قولهم هذا يختلف عما كانوا يقولونه منذ عهد قريب جدا اختلافاً جلياً بحيث لا يتألف الانسان عن النظر بان قولهم الآخر انما خطر على بلهم بمضاهيها

اتهم اذا وسعوا نطاق العلائق التركية بعدوا عنهم اميالا، يستنون قريبا منهم ودوامها معهم . ولكن ليس من الانصاف تقييد الحزب الوطني جملة باقوال بلقيها افراد قليلون غير مسؤولين على عواهمها . فاذا سلمنا بأن القول الاخير هو رأي الحزب الوطني الصحيح فنندي عليه ان سيادة السلطان على مصر لم يتنازع فيها قط على ما اعلم ولا يحتمل ان يصيهاشي مادام كل ذوي الشأن في الفرمان - الذي هو اتفاق بين فريقين كما لا يخفى - لا يفعلون شيئا خارجا عن دائرة حقوقهم . غداثة سينا اما بلغت ما بلغت من الاهمية وعظم الشأن لما خيف من غرق حرمة الفرمان وما يتصل به من المستندات الرسمية المحسوبة جوا منه على وجه يعود بالضرر على القطر المصري

وثانياً ان الجامعة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهييج الاحقاد الجنسية والدينية الا في مائدر . فلا شك في ان كثيرين من أنصارها ينصرونها عن حوارة دينية حقيقية وآخرين يودون لو امكنهم ان يفرقوا بين القضايا السياسية والدينية وبينها وبين الجنسية أيضاً اما لأن مبالاهم بالدين قد قلت حتى أوشكوا ان يحكموا اللاادريين أو لكون اغراضهم سياسية أو لكونهم مقصودون بحين الفرص للارتفاع بها أو لكونهم اتبعوا الآراء الحديثة عن وجوب التسامح في الدين كما هو مأمولي . ولكن متى كانت هذه رغبتهم ومقاصدهم فلا شك عندي أنهم يمجزون عن تنفيذها لأهم ان لم يقنعوا عامة المسلمين بافعالهم أنهم من المسلمين المجهادين لم يستطيعوا ان يحولوا انتباههم اليهم ولا ان يكتسبوا ميلهم أيضاً . فالضرورة تقضي عليهم بتبييع الاحقاد الجنسية أو الدينية اما ظاهراً أو خفية ليرقوا بياتهم السياسي

وثالثاً ان الجامعة الاسلامية تستلزم تقريباً السعي في اصلاح أسس الاسلام على النهج الاسلامي وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين في إعادة مبادئه . وضعت منذ ألف سنة (١) هدى لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة . وهذه المبادئ منها ما يميز الرق ومنها ما يتضمن سنناً وعرائش عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآراء أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أسساً أهم من ذلك كله وهو افراغ القوانين

المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تفسيراً ولا تحويراً وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام
 فلهذه الاسباب وبقطع النظر عن كل الاعتبارات السياسية لا يبعد المهتمون باصلاح
 مصر بدا من استنكار الدعوة الى الجامعة الاسلامية . ويجب أيضاً بذل أقصى
 العناية في السهر على كل ميل طبيعي جائز الى الجامعة الوطنية لكيلا تجتذبه على غير
 انتمائه من صاحبه هذه الحركة - حركة الجامعة الاسلامية - التي هي من أعظم
 الحركات المتفجرة فلا تستحق ان يحيل أحد إليها . لانه قد يفسر على الانسان
 ان يميز شيع الجامعة الاسلامية اذا تجلبب بجلباب الجامعة الوطنية اه كلام اللورد
 (المنار) ان البحث في هذا الفصل الذي أقام المسلمين هنا وأقدم بحق
 ينحصر في ثلاث مسائل (١) الجامعة الاسلامية نفسها وما عده من أسباب
 استنكارها وهو (٢) اجازة الرق و (٣) مناقضة علاقات الرجال بالنساء لآراء
 أهل مصر و (٤) الجود على قوانين وضعت لأهل السذاجة

١

الجامعة الإسلامية

يعرف اللورد كما يعرف جماهير القراء ان السيد جمال الدين الافغاني كان
 أشهر دعاة ما يسمونه الجامعة الاسلامية ذكراً، وأقوام صوناً، وأكثرهم معياداً، وأشدهم
 اضطهاداً، وقد اشتهر عنه انه كان يحاول جمع كلمة المسلمين على خليفة واحد أو
 سلطان منهم والصحيح انه لم يكن يدعو الى ذلك ولم يخطر له على بال ان هذا
 مما تناوله يد الامكان بل قال في معرض تنبيه المسلمين وحثهم على الوحدة
 «ولست أعني ان يكون لهم امام واحد فان هذا ربما كان متعذراً وإنما أعني أن
 يكون امامهم القرآن»

وكان الاساذ الامام أعظم أنصاره في عمله بمصر وأوربا وقد استقر رأيه بعد
 السعي معه والعمل من طريق السياسة والدين معاً على قاعدة «ما دخلت السياسة
 في عمل الا أفسده» وكثيراً ما قال لنا ان السيد جمال الدين كان أقدر من
 عرفنا على الاصلاح، وأنه لولا اقتناعه بالسياسة لصل عمل عظيم، وان الاساس الذي

يجب ان يبنى عليه اصلاح حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والبدع ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله تعالى لتد من شططه وتقلل من خطئه ، وآية هذا الاعتبار يد صديق العلم وباعنا على البحث في اسرار الكون : ويتوقف هذا على اصلاح اساليب الفقه العربية وحياتها في الالسنه والاقلام

وقد عرف اللورد الاستاذ المرحوم محمد طريقتهم هذه وشبهها في بعض تقاريره بطريقة السيد أحمد خان في الهند وقال ان حزبه جدير بالمساعدة والنشيط من الأوربيين . والذي نعرفه نحن بعد السير على هذه الطريقة تسع سنين وأشهرنا ان طلاب الاصلاح الاسلامي في مصر وسوريا وتونس كلهم على طريقة الشيخ محمد عبده كما ان معظم المصلحين في الهند على طريقة السيد أحمد خان ولا يوجد في غير هذه الأقطار حركة اسلامية الى الاصلاح الا في روسيا ويران فاماسلمو روسيا فقد ثبت لدولتهم في الحرب الاخيرة وما اعقبته من الثوة أنهم خير رعاياها وأسلمهم قلوباً وهم الآن لا يطلبون من حكومتهم الا العدل والمساواة ، ومن أنفسهم الا العلم والثروة . واما الفرس فعز كنهم محصورة في اصلاح حال حكومتهم وليس بين هؤلاء ولا أولئك وبين سائر المسلمين صلات سياسية ولا أحد منهم يقاوم الاوربيين وهم يسكنون الاحقاد لا يهيجونها . فالجامعة الاسلامية بالمعنى الذي يفهم من كلامه لا وجود لها في الأرض وانما يوجد في المسلمين دعوتان -- دعوة اسلامية وتنعصر فيما يتناه آفاقاً وهو ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية ، ودعوة وطنية أو سياسية وهي تنعصر في مطالبة أصحاب السلطة فيهم بما يرقى بلادهم ويحفظ حقوقهم فيها ولا علاقة لهذه الدعوة بالدين بل كثيراً ما تخالفه

نعم انه يوجد في كل بلاد من القوالين افراد يتخذون اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والخلافة الدينية والخليفة الأعظم والعالم الاسلامي وغير ذلك من الكلمات أناشيد تستال بها النفوس لتعظيم القاتل أو لبذل المال له وقد يرم كلانهم شيئاً مما أشار اليه اللورد واننا جازمون بأن هؤلاء لا عمل لهم في الاسلام بخشي أو يرحي هؤلاء دعوة لهم نطاع أو تعصى هو انما مثلهم كمثل أصحاب تلك الاناشيد

في مدح الأولياء وفي الزهد في الدنيا التي يستمطون بها الناس ويستندون بها
أكفهم ومن خشى منهم لعله . وقد أغنانا عن التطويل في هذه المسألة ما نقلناه
عن الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو القول الفصل فيها

٢

﴿ مسألة الرق ﴾

يقول الله : ان الشريعة الاسلامية تميز الرق، وتقول نعم إنها أجازته ولكنها
ما فرضته فرضاً، ولا أوجبت إيجاباً، ولا نذبت إليه نذياً، ولا استحبته استحباباً، بل
تقول بمباراة أو حزم: أنها لم تجعله كما يخشى الورد دينا يتقرب به الى الله فيقال ان
المسلمين لا يتركونه بل أقرت البشر - وكلهم كانوا يسترقون - على ما في أيديهم
من الارقاء وشرعت لهم العتق وتحرير الرقيق وجعلت ذلك دينا يتقرب به الى
الله عز وجل فخارة على سبيل الوجوب والحلم الذي لا بد منه وتارة على سبيل الندب
ما أجازت الشريعة الاسلامية الرق الا لأنه قد يكون موافقاً لمصلحة من
يُسرقون كأن يقتل الرجال في حرب شرعية ويبقى النساء والأطفال بدون عائل
ولا كافل فقد يكون من الخير والمصلحة في مثل هذه الحالة ان يسترقوا للمعجز عن
الاستقلال في الحياة فاذا تسرى الرجال بالنساء وولدت لهم كما هو الغالب زال
رقهم اذ يتمتع انتقالهم الى ملك آخر ويمتنع بموتهم ولا يكون حائلهم معهم في الحياة
دون حال الزوجات بالمقد واما الاطفال فانهم يكونون بمثابة الأ ولاد اذ المشروع
في هذا الدين ان يكون الرقيق مساوياً لمولاه وأهل مولاه في أكله ولبسه وعمله وورده
في الحديث النهي عن تسميتهم بالعبيد والاماء ثم حثت الشريعة على العتق حثاً شديداً
وجعلته كفارة لكثير من الخطايا ومن أفضل الذنوب ومحلاً للحث باليمين وهي
مع نفسيهما في الاسترقاق جعلت الرق خلاف الاصل حتى ان أي رقيق ادعى أنه
حُر عنه حراً بمجرد دعواه الا ان يثبت مدعي ملكه أصل رقيقته (ومن أراد زيادة

البيان في هذا فليرجع الى المجلد الثامن من المنار)

وجملة القول ان الاسلام لم يأمر بالاسترقاق ولكنه أمر بتحرير الارقاء
وعتقهم ولم يوجب ذلك على الناس دفعة واحدة لما فيه من الحرج الشديد على المالكين

والارقاء جميعا فان السادة الذين تمودوا ان يقوم عبيدهم بجميع شؤنهم لا يمكنهم ان يتركوا هؤلاء العبيد دفعة واحدة لأن نظام معيشتهم يحتل ، وشمل مصالحهم يتفرق ، كما ان العبيد الذين تمودوا على كفالة غيرهم لهم وكفالتهم أمر المعاش يصعب عليهم ان يعيشوا بالاستقلال اذ هم اعتقوا مرة واحدة كما حصل في أمريكا فان الحكومة لما أبطلت الرق تميز كثير من الارقاء في أمر معيشتهم ورضي كثير منهم بأن يظلوا عند مواليتهم كما كانوا ، وما كانوا يعاملون بما يأمر به الاسلام في مثل حديث الصحيحين وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال اني سأيت رجلا (يعني بلالا) ضربه بأمه وفي رواية قتلته يا ابن السوداء فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أي سيد ان شكاليه بلال ذلك « يا أبا ذر أعبرته بأمه » انك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكافوهم ما ينظرون فان كفتموهم فأعينوهم » وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الايمان للاشارة الى ان معاملة الرقيق بهذه المعاملة من شجب الايمان وأورده أيضا في العتق والأدب

أما والله لو وجد الرق الذي يميزه الاسلام وعمول الرقيق بما يأمر به الاسلام لثمنى ألوف من الناس الذين يموتون جوعا في مثل شوارع لوندرة فما دونها من المدن والقرى في كل مملكة أن يكونوا أرقاء يشاركون أهل الثروة والترف في أكلهم ولبسهم وعملهم كما أمر الاسلام في مثل هذا الحديث

أين هذا من أمر التوراة بالرق ومن سكوت السيد المسيح عليه السلام عن الوصية به يمثل ما أوصى بعده أخوه محمد عليه السلام بل بشر مشاركة على ما كان عليه الارقاء في عصر المسيح من الظلم والاضطهاد . يقول بطرس في رسالته الاولى « ١٨: ٢ أي الخدام كونوا خاضعين بكل هبة لسادة ليس لصلحين المترفين فقط بل للعتاة أيضا » لأن هذا فضل ان كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحمل احزاننا متألما بالظلم . لأنه أي عبد ان كنتم تظلمون مخطئين فتصبرون بل ان كنتم تألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دعين » وقال بولس في رسالته الى أهل أفسس « ٥: ٦ أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورسعة في بساطة

قلوبكم كما لمسيح» الخ وفي رسالته الى أهل كولوسي ٣: ٢٢ أيها العبيد أطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خاشعين الرب « وغاية ما أمر به السادة ان يقدموا للعبيد العدل والمساواة فلا يفضلوا بعضهم على بعض فأين هذا من أمر الاسلام بالمساواة بينهم وبين السادة أنفسهم وبجمل الطاعة في المعروف لا في كل شيء . وقد نص الاسلام على كون الطاعة لا تكون الا بالمعروف حتى للنبي صلى الله عليه وسلم في آية المباشرة (١٣: ٦٠) ولا يصيبك في معروف (وهو صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف كما وصفه تعالى في قوله (١٥٧: ٧) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)

وجهة القول ان الاسلام أجاز الرق ولم يأمر به ولكنه أمر بالعتق والتحرير وإن الديانتين اليهودية والنصرانية أجازتا الرق أيضا ولم يردفيا من الأمر بالعتق وتحرير الرقيق ولا يحسن معاملته مادام موجودا بمثل ما أمر به الاسلام . فاذا سهل على الدول النصرانية إبطال الرق ولم يمنحها الدين فهو على المسلمين أسهل لأن الدين لا يكتفي بدم منكم منه بل يحشم عليه . فدينهم أقرب الى هذه الفضيلة المدنية من جميع الأديان فلا خوف عليها منه وإنما الخوف على كل فضيلة من الحكم الظالمين الذين يسيئون التصرف بالشرائع والقوانين

٣

﴿ علاقة النساء بالرجال ﴾

جاء الاسلام وجميع الأمم تهضم حقوق النساء على تفاوت بينها في ذلك فكان أكثر الرجال يمدون المرأة كالآمة أو المتاع ومذهب علماء الاجتماع ان الناس كانوا في أمر الزواج كالبهايم في أطوارها المختلفة فكانوا أولا يبيحون كل انثى لكل رجل وكان أول الاختصاص بزوجة أو زوجات بالسبي واحتكار القوي من تمجيده من النساء واستشارة بها وعدم السماح لغيره بلامستها الا ان يكون ذلك باذنه ولا يزال في البشر من لا يرى بمثل هذا الاذن بأسا . ولما صار للزواج روابط وأحكام دينية أو عرفية قيدت المرأة فيها بقيود لا ترفعها عن مرتبة الأمة عند الأكثرين وبقي في عقايد كثير من الشعوب والقبائل ما يدل على أصل السبي

وخلف المرأة . وكان كثير من الرجال يتزوجون بنساء كثيرات لا يتقيدون بعدد ويطلقون من شأوا متى شأوا بلا تأثم ولا حرج وما جاء في اليهودية والنصرانية من الاحكام والوصايا لم يرفع قدر المرأة ولم يقربها من مساواة الرجل في الحقوق والاستقلال بشؤونها وقصارى ما تفاخرنا فيه النصرانية منع تصدد الزوجات ونهريم الطلاق الابسة الزنا

أما الاسلام فقد جاء باصلاح لم يسبق اليه ولم تبلغ كنهه أوربا في مدينتها حتى اليوم . اذ لا تزال تهجر على المرأة ان تتصرف حتى بما لها بدون اذن الزوج ويرجع هذا الاصلاح الى آيات من الكتاب العزيز

(إحداها) قوله تعالى « ٣٠ : ٢٠ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يفكرون » وعلى هذه الآيات بنينا مقالات « الحياة الزوجية » التي نشرناها في المجلد الثامن وتكلمنا فيها عن الطلاق وتعدد الزوجات

(الآية الثانية) قوله تعالى « ١٩ : ٤ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فليس ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

(الآية الثالثة) قوله عز وجل « ٢ : ٢٢٨ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وإراجع تفسيرها في (ص ٣٦٨م)

(الآية الرابعة) قوله جل شأنه « ٢ : ٤٠ : ٣٥ وإن خفتم شقاق بينهما فامشوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما »

(الآية الخامسة) قوله وسمت رحمته « ٢ : ٢٢٩ فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان »

(الآية السادسة) قوله تبارك اسمه « ٤ : ٣ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » الآية وبلاحظ مع هذه الآية « ٤ : ١٢٩ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »

(الآية السابعة) قوله جل ثناؤه « ٤ : ٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقرىون مما قل منه أو كثر نصيبا

مفروضا ، فجعل المرأة تملك وتصرف كالرجل وفي الحديث ان المرأة تملك ولا يملك
لرجل أكل شيء مما تملك الا باذنها وطيب نفسها

فهذه الآيات يشبه أن تكون هي أصول الإصلاح وفي منها آيات مفصلة
وان أوروبا المدنية على مبالغتها في تكريم النساء لم تقم هذه القواعد ولم تأت بكل
ما أمر به الاسلام في ذلك بل لم تصل الى درجة جاهلية قهائنا الذين يفرضون
على الرجل للمرأة كل شيء يحتاجه بحسب الاستطاعة ولا يفرضون عليها الا
موانع بالاستمتاع بها وعدم خروجها من داره بدون رضاه وها واجبان سليمان
فكأنهم لا يوجبون على المرأة عملا ما لزوجها بل يمدون كل عمل تصله في ادارة بيته
فضلا منها واحسانا فهل وصل الاوربيون الى هذه المبالغة في تكريم المرأة ؟

كلا انه ليس في شريعة المسلمين من أحكام الزوجة وآدابها الا ما لا بد منه
لسماعة البيت وان بيان هذه الاحكام التي وضعت اساسها تلك الآيات منذ ثلاثة
عشر قرنا وربع قرن آية على كون الاسلام شرعا آتيا لا وضعا بشريا

بيان ذلك انها قد خطب بها الناس في عصر كانوا أقرب فيه الى البداوة
فأقادم رقيما وتهديبا بحسب استعدادهم ثم أننا نرى أن أعلى ما وصل اليه البشر
من الرقي في الحضارة هو دون ما تهدي اليه تلك القواعد والاحكام من الكمال
الاجتماعي ولهم يصلون اليه في يوم من الايام ، وما منع الا فرنج الذين استعدوا
لهذا الكمال من رويته في القرآن الا ذاك الجمعان الكشفيان دونه وهما المسلمون
الذين صاروا باعمالهم وأفكارهم حجة عليه ، وظلة الافكار المادية على اكبر الباحثين
يظهر ان الشعور الذي كان مسئوليا على القورد عندما أفلتت تلك العبودية من

قلبه كان من مجامعنا من الفكر في اعتماد جمهور العالم الأوربي في الاسلام والمسلمين
والفسر في كثرة الشكاوى التي ترد عليه في خلل المجامع الشرعية وما يقاسيه فيها
النساء المطلقات ، والضرائر المهجورات ، وطوالب النفقات ، وما يلاقين في باب
القاضي من الاهانات ، وما يقاسين من جهود القضاة على التقاليد والمادات ،
وانها لحالة تمحرك عصب الرحمة في القواد ، وعضل اللسان بالانقياد ، ولكن تسمه
اعشار الذنب في ذلك على المسلمين وعشره على بعض آرائهم الفقيهية . والاسلام

ففسه بريء من كل لائمة بشكو منهم بلسان كتابه المنزل أضاف ما يشكو جميع المتقدين، وأنى يسمون شكواه وقد ضرر أو دونه سورا من التقليد له باب يسمى باب الاجتهاد، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب ؟ قد أقفلوه بأيديهم، ففعلوا بذلك رحمة الله أن فصل اليهم ،

طالما انتقد الأوروبيون على الاسلام نفسه، مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات وحالم يطلبوا ولم يحمدا فيه وإنما اجيزا لأنهما من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير مرة وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وإن لم يشرعه لهم كتابهم الائمة الزنا . وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصلحة النساء أنفسهن كأن تنال الحرب كثيرا من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون الخير لمن انت يكن ضرائر ولا يكن فواجر يأكل بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك لمصائب تزحجن أتهامها وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام من نساء الانكليز الكائنات الفاضلات ، يطالبن في الميراث بإباحة تعدد الزوجات، ورحمة بالعاملات الفقيرات ، وبالبنات المضطرات ، وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت احداهن في جريدة (لندن ثروت) مستعينة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشارذات لان تعدد الزوجات ، وما كتبت الفاضلة « مس آني رود » في جريدة (الاسنون ميل) والكاينة « اللادى كوك » في جريدة (الايكو) في ذلك (راجع ص ٤٨١ م ٤)

ان قاعدة اليسر في الأمور ورفع الحرج من القواعد الاساسية لبناء الاسلام (٢ : ١٨٥) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - و - ٦ : ٥ ما يريد الله ليخفف عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تعزيم أمر تلجىء الى الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الخاصة (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امثاله دفعة واحدة لاسما على من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من المناسد فلم يبق الا ان يقلل العدد ويقيّد بقيد ثقيل وهو اشتراط

انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يميز تحققه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له ان أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي

وجهة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالكمال الذي لا بد ان يعترف به جاهلير الامريين ولو بعد حين كما يعترف به بعض فضلائهم وفضليآهم الآن . وأما المسلمون فلم يلتزموا هدايته فصاروا حجة على دينهم ونحن احوج الى الرد عليهم والعناية بارجاعهم الى الحق منا الى اقناع غير المسلمين بفضل الاسلام ، مع بقاء اهله على هذه الخازي والآثام ، اذ لو رجوا اليه ، لما كان لأحد ان يتعرض عليه ،

§

الاحكام المدنية والجنائية ، في الشريعة الاسلامية

يفرق كتاب العصر بين الدين والشريعة فيضون بالدين الاعتقاد والعبادات والفضائل أي ما يراد به إصلاح الأرواح وإعدادها لسعادة الآخرة أولاً وبالذات وان كان يفيد في سعادة الدنيا أيضاً ، ويعنون بالشريعة ما يوسوس به الحكم الناس ويفصلون به بينهم في الخصومات أي ما يراد به إصلاح أحوال الاجتماع السياسية والمدنية والجنائية ، ومن المعروف ان موسى جاء بدين وشريعة ومعظم ما جاء به أحكام دنيوية وان عيسى جاء بدين فقط وأقر اليهود على شريعة موسى وان ما جاء به محمد (عليه وعليها الصلاة والسلام) جمع بين الأمرين . ويعتقد الافرنج ان المسلمين لا يفرقون بين الدين والشريعة لان كلامهما إلهي عندهم ولما كانت الأمور الدنيوية تختلف باختلاف الزمان والمكان حتماً كان من المحال ان توضع لها شريعة نامة توافق مصلحة الناس في كل زمان ومكان وهذه مسألة لا يختلف فيها عاقلان ومن ثم يعتقد الافرنج انه يستحيل على المسلمين أن يجارهم في مدينتهم ماداموا يعدون شرعهم التي عليها مدار أمور دنياهم إلهية لا يجوز فيها التمييز والتبديل ولا يفرق فيها بين حال البدو في الصحراء ، وحال من بلغوا من الحضارة قروة الارتقاء ، يعدون حكمهم رؤساء يتقرب الى الله

بطاعتهم فلا يعارضونهم في استبدادهم بهم ولا يأنفون من استبدادهم إياهم
لو اعتقد القوم فينا أننا لا نرتقي مادامنا على شريعتنا وتركنا شأننا لما بالينا
ولكنهم يعرضون لنا في شؤنا ويفتقرون علينا في خاصة أنفسنا زاحمين أن المدنية
التي سفكوا في وسائلها دماءهم ، ووقفوا على مقاصدها حياتهم ، وبذروا بذورها
في الشرق ، بعد أن جنوا ثمراتها في الغرب ، لا يرجي أن تنمو لها نبتة ، ولا أن
تحتفظ لها بذرة ، في مكان للشريعة الإسلامية فيه سلطة ، ينشرون هذه الآراء
بالكتابة ، ويثبتونها في النفوس بالتعليم والخطابة ، وقد يضيفون إليها الطعن في
قسم العقائد حتى التوحيد والقدر كما فعل موسيو هانوتو وغيره . منهم من ينطلق
الاعتقاد ومنهم من تلمي عليه السياسة والسياسة تبجح المهوم وتحل الكذب وتقلب
الأوضاع وتأتي المنكرات

ويقول المعارفون بحقيقة ما عليه الشعوب الأوروبية من التربة العالية أن السواد
الأعظم منهم لا يكابر الحق ، ولا يرضى بالظلم والظلم ، وأن رجال السياسة في
كل شعب منهم قد يمتثلون في اقتناعه بما تقضي به السياسة من مخالفة الحق والعدل
أحيانا ليحجز عملهم . وأن من أمكنه أن يفتح هذه الشعوب بحق من الحقوق العامة
فإنه يجد له منهم خير نصير ، وأقوى ظهير ،

على هذه الطريقة جرى شيخنا الأستاذ الامام (رحمه الله تعالى) في مناظراته
القولية والكتبية لعلماء الافرنج وساستهم كرنان وهانوتو وغيرها فقد حجج واقنع
منهم جبلاً كبيراً بأن الاسلام جاء باصلاح يوافق مصلحة البشر في كل زمان
وكذلك فعل في ردوده على الشافيين من أهل الشرق الذين يقولون في الاسلام
بغير علم . ويعلم قراء المنار أننا لانألو جهداً في بيان التوفيق بين عقائد الاسلام
وأدايه وأحكامه وبين العقل والفطرة والمصلحة واننا نفي هذا التوفيق على ما جاء
في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي مضت بالدوران مع المصلحة
في كل حال بحسبها لا على ما جاء في كتب الفقهاء من الآراء التي أدام إليها
اجتهادهم ومنهم الخطل فيهما والمصيب . ونحن عاجزون عن الاتصاف لكل مافي
كتب الفقهاء كما نذهب لكل ما جاء في الكتاب وما مضت به السنة النبوية . على

ان ما ينتقد على الآراء الاجتهادية في فقها ينتقد مشله على القوانين الوضعية ولكن المنتقدين يقولون لنا ان ما يظهر خطأه في القوانين يسهل الرجوع عنه وما يظهر خطأه في الفتنة يعذر الرجوع عنه لانه في عرفكم من الدين وهو قول لا يمكن دفعه مع الجود على التقليد فهدم التقليد شرط يتوقف عليه كل إصلاح يطلبه عقلاء المسلمين مع المحافظة على الاسلام ونشره في عالم المدنية المصرية، والجمع بينه وبين العلوم والمعارف التي عليها مدار العمران والعزة. وان طريقتنا هذه تؤيدها خيار المسلمين من أهل الدين والدنيا كالسلفيين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين. وأكثرت المعلمين على الطريقة المصرية سواء منهم المتدينين حقيقة والمتدين جنسية. وقد صار الدين يصرحون بذلك كثيرين. وأذكر من الشواهد عن المصري قول أحمد شوقي بك شاعر الأمير عباس حلمي باشا في منظومته التي رفعها اليه يهته فيها بميلاد ولي عهد الامارة (الأمير محمد عبد المنعم)

ويا جيل الأمير اذا نشأتنا وشاء الجد ان تعطى أوشنا

تخذ سبلا الى العليا شئ وخل دليلك الدين القوبما

وحن به فان الخير فيه وخذه من الكتاب وما يليه

ولا تأخذه من شقي فقيه ولا تهجر مع الدين العلوما

فهذه وصية من شاعر الأمير الى ولي عهده بأمره فيها باتباع الكتاب والسنة وعلم اتباع الفقهاء وقد رضيها الأمير أعزه الله ولم ينكرها

ليست طريقتنا هذه بخفية على الافرنج فقد كتبت الجرائد الفرنسية عن رحلة الاستاذ الامام الى تونس والجزائر ما يدل على انها عارقة بخطة راضية بما وكرت ان آراءه في الإصلاح الديني تشر في بعض المجلات المصرية تعني بها المنار وقد كتب في الجرائد الفرنسية في تونس وأوربا وفي غيرها من الجرائد الأوروبية شيء عن مذهب المنار ومنه ما كتب في المجلة الفرنسية في أوائل سنة ١٩٠٥ وهذا مانصه:

(المنار) أسس في القاهرة سنة ١٨٩٧ أسسه الشيخ محمد رشيد رضا أحد كتّاب المهتمين المشهورين لعبد الفيلسوف المصري الكبير الشيخ محمد عبد الحفي الديار

المصرية وهو لا يبحث في الجملة الا في المسائل الدينية والفلسفية وغايته التي يري اليها هي تعليم المسلمين دينهم على أنقى صورة له نافيا عنه الأوهام والخزعبلات والبسطة القديمة وقد قال الشيخ محمد عبده ان دين الاسلام في شكله الحقيقي هو غاية ما يطلبه الانسان من الكمال — هذه هي غبطة المنار وهو مجلة تصدر في الشهر مرتين

وجاء في عدد آخر منها

(المنار) الصادر بالقاهرة في شهر فبراير (أي من سنة ١٩٠٥)

أهم مقالة في هذا العدد تبثت عن مثال للحكومة الاسلامية وكاتب هذه المقالة صالح بن علي اليافعي وهو كاتب هندي (١) قد بين فطائع الحكومة المطلقة التي مقبها القرآن والنبي وقد بين هذا الكاتب ان الحكومة الاسلامية كانت في زمن الخلفاء الاولين ديمقراطية محضة وان الحرية نفسها كان يتقدمه نواب الامة الذين كانت مهمتهم مراقبة سيره مراقبة شديدة

الاسلام لا يقبل من شكل الحكومة الا الملكية المقيدة والجمهورية والجملة أن كل ضرب من ضروب الحكومة المطلقة يديره أي حاكم مسلم كأننا من كان ليس من الاسلام في شيء . جاءت هذه المقالة عقب جزء من تفسير القرآن للشيوخ محمد عبده هـ اهـ

والمراد مما تقدم ان الباحثين في أمور الشرق من الاوربيين عارفون بمرامي طلاب الاصلاح من المسلمين وأنهم يريدون الرجوع بالدين الى ما كان عليه في أول نشأته غير متقيدين بما وضعه العلماء من التقاليد التي قد تحول دون مجاراة أهل هذا العصر بل مسابقتهم في علومهم ومدنييتهم لأنهم يرون ان الكتاب والسنة يحثان على ذلك لا يهولان دونه والمقلدون للفقهاء يرون غير ذلك . ولا يمتثل ان يكون القورد كروم غير عارف ما عرفه كثير من الأوربيين الذين لم يقيموا في الشرق كما أقاموا ولم يكتسبوا أسرار المسلمين كما اكتسبها فان كان بهذا الاختيار كله يقول للأوربيين ان رجوع المسلمين الى أصول شريعتهم المدنية وعملهم بما يرجع

بهم الى طوار السذاجة المضادة للحضارة فأن قوله هذا أعظم صدمة للإصلاح الذي ندعو اليه لأن كلامه في ذلك يؤخذ بالقبول عند الأمم الأوربية كلها ويحسني أن يناهضوا الدعوة الى الإصلاح في بلادهم ولا شيء يدفع ذلك الكلام من الورد نفسه

لهذا وقمت علينا عبارة التقرير في القوانين الاسلامية كالصاغة وأخذنا نجعل قداح الفكر فيها فوأينا بعد طول التأمل أن العبارة وإن كان المنابر منها أنها في الاسلام نفسه - كتابه ومسته وفتحه وكل شيء فيه يتعلق بالمعاملات - يجوز أن يحصل على الفقه وحده لأن حكم المسلمين لا يحكمون إلا به اذ هم ارادوا الرجوع الى الاسلام وإعما قلنا يجوز أن يكون هذا هو مراد الورد وإن كانت عبارته مطلقة فبعد ما هو أعم من هذا وتشمل الأحوال الشخصية لأن التمسك بالفقه هو الذي رآه المانع من اصلاح الحاكم الشرعية كما يينا ذلك بالتفصيل في مقالة نشرت في المجلد السابع من المنار (ص ٢١٢) استشهدنا فيها بما قاله في تقريره عن سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٣ وبشيء من محاضر مجلس شورى القوانين

من ذلك أن أحمد بك يحيى (أحمد باشا الآن) اقترح تأليف لجنة لوضع تقرير في إصلاح الحاكم الشرعية فقال الشيخ حسونه النواوي « اني لا أعلم ان الحاكم الشرعية تحتاج الى الإصلاح في أمر من أمورنا » قال في محضر الجلسة « تقرر بالاغلبية التصديق على رأي الشيخ حسونه النواوي » وقد ذكر الورد هذا في كلامه عن الحاكم الشرعية في تقرير سنة ١٩٠٣ وهو مع ذلك أعلم الناس بكثرة شكوى المسلمين من هذه الحاكم

ومن ذلك أن قاضي مصر قال لما طوحت مسألة إصلاح الحاكم الشرعية في الجمعية العمومية سنة ١٩٠٤ مانعه « قد سمعنا المقترحات المتعلقة بالحاكم الشرعية ونقول ان أعمال تلك الحاكم ترجع أولاً الى الشرع الشريف وهذا لا يمكن لمسلم ان يقول انه يحتاج الى اصلاح » الخ

فأمثال هذه الاقوال من كبار الفقهاء هي التي جعلت الورد كروم يعتقدان هذا الفقه الذي يحكمون به قد صنع كله بصيغة الدين فلا يمكن نقضه وهو يعتقد قطعا انه لا يرافق مدينة هذا العصر ولا ينطبق على مصالح أهلنا ، امنا أصل

الدين وهو الكتاب العزيز والسنة النبوية فقد ينفقد فيه ذلك وقد يكون مصدقا لطلاب الإصلاح في قولهم لا بنا في المدينة ويدل على الاخير حثه الاوربيين على مساعدة حزب الشيخ محمد عبده الدين يطلبون الإصلاح من غير مس لأصول الدين . وقد حدثني الأستاذ الامام رحمه الله تعالى انه كان يكتبه مرة في هذا الموضوع بمناسبة مقاومة الجامدين لإصلاح المحاكم الشرعية فأقام المرحوم له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل صلاح ويناسب كل زمان فقال له اللورد أتصدق يا أساذ أنني أعقد ان دينا أوجد مدينة جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون أساسه العدل وهذا محال ولكنني أعلم ان هذه المقاومات أمور « اكليويكية » أي تقاليد كنيسة الكنيسة

تذكرنا هذا فقلنا في نفسنا لعل اللورد لا يقصد بعبارة التقرير ما ينبغي ادومها لئلا يتناقض ذلك مع ما ذكرنا آتقا ولكن هذا لا يمكن ان يعرف الامن قبله فكنتنا اليه كتابا نسأله أي الامرين يعني ببارنه : هذا نصه

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد العظيم

أحييك بما يلقى بمكاتك وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك وأرجو ان تمن علي بوضع دقائق من وقتك الثمين نجيني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشريعة الاسلامة التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء ؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضا وقد ترك حكم المسلمين أنفسهم المصل بكثير منه ولطلاب الإصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب . وإن كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنايبكم ان معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة - وهي

توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان أساسها دواء المفسد وجلب المصالح
بحكم الشورى - وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المصالح) راجع الى
ذلك . وأختم رقيبى مودعا لجنابكم بالتحية والاحترام
منشئ المنار بمصر
محمد رشيد رضا

كتبنا اليه هذا ونحن نتنى لو يجهننا بأنه يبرى أصل الدين من معارضة
المدنية ونخشى أن لا يفعل - ذلك بأننا نعتقد ان كلامه في الاسلام يؤثر في جميع
الشعوب الأوربية مالا يؤثر في غيره فاذا هم اعتقدوا بشهادته ان الاسلام نفسه
يتفق مع المدنية ويسير مع العدل وأن السبب فيما يرى من سوء حال أهل هو ما للصقوا به
من التقاليد والآراء وجموله بهذا الاتصاف دينا فان هذا الاعتقاد يكون أكبر عون
لنا على خدمة الاسلام والدفاع عن أهل الدين أصبح معظمهم تحت سلطة الأوربيين
واذا هم اعتقدوا العكس كان ذلك أشد منفردهم عن الاسلام وحامل لهم على إلزام
حكوماتهم بالضغط على رعاياهم . وكنا عازمين على ان نكتب اليه رسالة في بيان
ان ما جاء في الاسلام من الاصول الأساسية للاحكام الدينية توافق مصالح
البشر في كل زمان وتقدمها اليه مترجمة بالانكليزية ونسأله باسم العدل والانصاف
ان يبدي رأيه فيها - كنا عازمين على هذا لواجابنا بأنه يعني بما كتب الاسلام
نفسه أو مجموع ما عليه المسلمون من كتاب وسنة وقه لأنه يعتقد ذلك ولا يخاف
في اظهار اعتقاده أحدا ولكنه فضل بالجواب الآتي بنصه العربي موقفا وموخرها
بخطه الافرنجى وهو

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار
جوابا على خطابكم أقول اني عنت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي
تسمونها الفقه لانها هي التي تجري عليها الاحكام ولم أعن الدين الاسلامي نفسه
والذلك قلت في هذا التقرير الأخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي
الذي يطلب الإصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس أصول الدين . ولعل العبارة
التي كتبتها بتقريرى كانت موجزة فلم تود المراد ناعما واقبلوا يا حضرة الاسناد
احترامى الخائف
في ٤ مايو سنة ١٩٠٧
كروم

واقارىء النصف يرى ان ما استدلل به على كونه لا يريد بما كتب الدين الاسلامي نفسه مقبول لا يمكن دفعه بمدّ تصريحه بأن عبارة التقرير لم تؤد مراده تمام الأداء والاسان أعلم بمراد نفسه . غاية ما كان يقال ان مراد القائل يعرف من قوله وقول القورد في التقرير يشمل الفقه ونايحه من الكتاب والسنة . ويقال الآن انه استثنى تلك النبايع بقول آخر مبين لمراده من القول الأول فليعتبر هذا القول تصحيحاً أو تخصيصاً لسابقه أو استدراكاً عليه . ولعل أهل البيرة الصحيحة على الاسلام ينشرونه في الجرائد الأوربية ليطلع عليه الأوربيون الذين قرأوا التقرير فانه خير لنا من شهادة بعض المستشرقين بفضل الاسلام لأن المستشرقين يهملون في أوربا بالنصب لشرق وأهله . ولا يفترون بحدوث القورد كروم عدوا اذا هم قصروا في نشره اذ يقال لهم ان شهادة الصدوق أقوى من شهادة الصديق ، على انه بلغنا من مصدر يوثق به ان شيخ الأزهر قال للقورد عند ما زاره مودعاً له : اننا قرأنا العبارة التي ترجمت عن تقرير جنابكم في الاسلام فلم نجد فيها طعناً فيه ولا مسا لكرامته : أما هذا معناه ولعل مراد الشيخ ان ما ذكر من اجازة الرق ومناقضة أحكام الزوجة لآراء أهل مصر وكون الأحكام المدنية الجنائية لا تعتبر كل ذلك صحيح وحسن عند المسلمين فان لم يستحسنه المخالفون فذلك لا يعبه فاذا كان مناقضاً لآرائهم فهو موافق لآراء أهل . ونحن معاصر طلاب الإصلاح لا نقول بهذا ونعده طعناً نبهى منه الاسلام دون الفقه ووافقنا القورد على ذلك أما ما يجب أن يعتبر به المسلم الحافل في هذا المقام فهو اننا نعلم علم اليقين انه لو تيسر للمسلمين انشاء حكومة اسلامية لما رغب جمهور علمائهم ومن ورائهم العامة ان يحكم فيها بغير هذه الكتب الفقهية بما فيها من أحكام الرق والزوجة وغير ذلك على علانه . ومن أكبر علته الخلاف الكثير في المسألة الواحدة واختلاف التصحيح والترجيح فيها حتى ورد في بعضها بعد ذكر تصحيح قولين متناقضين في مسألة من مسائل الطلاق «نحن مع الدرهم قلة وكثرة» أي ان المرجح لاحد القولين المصححين في المذهب هو الدرهم التي يأخذها المفتي من أحد المستفتين بلغ من جمود فقهاؤنا على هذه الكتب التي يوجد فيها مثل هذه الفضيحة

أنهم يدون العدل جنباً الى كتاب يوضع خالياً من مسائل الخلاف ومواقف الحلال الزمان
جناية على الدين نفسه . ومن عجائب هذا الجود أن شيخ الاسلام النجاشي لا
يفني بحجة الاحكام المدنية ولا يأذن لاحد من المفتين الذين بينهم بالفتوى
منها واذا ذكر شيء منها في فتوى فلما يذكر بعد النص الفقهي من الكتب
المستعدة عندهم . على ان الدولة لم تعمل عملاً شريعياً أفضل من وضع هذه المجلة
فن لنا جمعية من العلماء العقلاء تدرس بعد التمكن من علم الكتاب والسنة والفقه
قوانين الامم ثم تستخرج من هذه الشريعة كتاباً يفوقها عدلاً وسهولة وموافقة
لصالح البشر في هذا العصر يكون حجة ناطقة على كل من ينسب القصور الى
الشريعة أو للدين . وينبغي أن تهزل فيه الامور الدينية عن القضائية أو يذكر في
أول كل باب من أبواب المعاملات أو كتبها ما هو ديني منها كأن يقال في كتاب
المعاملات المالية ان الله حرم أكل أموال الناس بالباطل والفسخ والحياة وأكل
الربا اضماط مضاعفة وأوجب الوفاء بالعهود وأداء الامانات الى أربابها . ويذكر
في أول باب القضاء تحريم الظلم والرشوة وكون حكم القاضي بالشئ لا يجعله للمحكم
له اذا كان يعلم أنه ليس له . اما هذا الفقه فهو على ما فيه من محاسن حجة علينا
لأننا بما فيه من المساوي والى الله المشتكى

انا نحن المسلمين قد أسينا ولا مثل أضيق علينا من قول ابن دريد

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب أخلى قارتي

اذا أحس نبأ ربيع وان تطامنت عنه تمادى وطأ

فنحن نرتج في غفلات الزمان ما وجدنا صريحاً فاذا صاح بنا نذير تقلبات
الزمان نراخ ونهطل وقد نصرخ من الدهر ، أو نتفجع انتفاع الهرب ، فاذا سكنت
نبأ النذير ، عدنا إلى سابق التقصير ، نرتج ونلعب ، ونلهو ونطرب ، بل تماري
بالنذر ، ولا تنفيذ من العبر ، بل نقول ولا فعل ، واذا وجد العامل لإحياء
الدين ، واقامة حجته على الخالفين ، فانا نخذله مع المخدولين ، أذرضى ان نكون
في حكم القرآن من الموقوفين الذين يقولون ما لا يفعلون ، أو المناقذين الذين يقتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ۝

حاشية باب المناظرة والمراسلة

﴿ تشبيه كتاب الاحياء بالقرآن ﴾

حضرة السيد مفتي المناور محمد رشيد افندي سلمه الله وعافاه
يرحمون ان الامام النووي قال في حق الاحياء : كاد الاحياء أن يكون قرآنا؛
ونقله الشيخ عبد القادر العبدروس باعلوي في كتابه « الاحياء في فضائل الاحياء »
المطبوع في هاشم الاحياء . ولذا لك أن الاحياء كتاب عزيز قلما يكون له مثل
ولكن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف
يقاس كلام المخلوق على كلام الخالق . ونحن نستقرب جدا صدور القول من النووي
وان كان غير معصوم من الخطأ . وقد كنت طالمت في زمان مضى شرح مسلم
لهذا الامام الجليل ولكن لا (انمطار) أني رأيت فيه ما يقرب من هذا القول وليس
عندنا من سائر تأليفاته شيء . ولذلك جئنا نستفسر رأيكم في هذا الامر وهل القول
المذكور منقول من النووي بالسند الصحيح أو رأيتموه في آثاره المتداولة في
تلك الاصقاع بأنفسكم وإحذوا لو كتبتم في هذا في المنار فقلنا نستفيد منه
ويستفيد غيرنا ولكم في ذلك جميل الثناء وكثير الاحكام .

عضو الجمعية الشرعية ببلدة اونا ساجقا ومخرج ريدة « وقت » ببلدة أورنيورغ حالا

رضاء الدين بن فخر الدين

(المنار) ليست عبارة النووي رحمه الله تعالى بالمكان الذي وضعتوها فيه
وإن صحت نسبتها اليه فاتها لا تدل على مساواة كتاب الاحياء لكتاب الله . ولا
على كونه يقاس به وإنما هي عبارة يقصد بمثلها المبالغة واعتبر بمحدث أنس عند
أبي نعيم في الحلية « كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر »
فأنت ترى ان الحديث لا يمكن حمله الا على المبالغة المبهودة في الاسلوب العربي
يمثل هذا التعبير وضعت منه لا يثاني بحيث على أساليب العرب وقوانين البلاغة
فمنى العبارة المزهرة الى النووي ان كلام الاحياء يؤثر في القلوب ويرغبها في الهداية
بحيث يصح ان يقال فيه بلسان المبالغة انه قريب من القرآن في ذلك

الانتقاد على النار

سلكته ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

فضيلناو أفندم صاحب مجلة النار المحترم

من بعد اهداء التحية أقول حيث أفدناكم في خط خصوصي قبل هذا بأن
غرض الفقير من مكاتبتكم والاشتراك في مجلاتكم هو الوقوف على حقيقة قصدكم من
انتكار تقليد أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في فهم معنى الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة ليس لأتزوجكم الافادة عن ما اذا كان قصدكم اظهار المخالفة للعرفوا فتمذركم
اذ لستم أول من خالف لهذا الغرض وان كانت الآخرة خيراً وأبقى وقد يضطر
الانسان في الحاس قوته الى ما لا يجوز « لا ما اضطرتم اليه » فان كان هذا قصدكم فنحن
نكتفي منكم بالاشارة ولو من طرف خفي لعلنا ان ساحة عفو الله واسعة ورحته
وسعت كل شيء وعليه فنكف البراع عن الاسترسال في موضوع وجتنبوه مضطرب
وان كان قصد حضرتكم هورد الأمة الى الصواب لما نحقق عندكم وثبت لديكم من
خطأ الأئمة الأربعة او أحدهم في فهم كلام الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة
فالمأمول من غيرتكم على الشرع الشريف ان يبينوا لنا في أي موضوع أخطأ
الائمة أو بعضهم في فهم ما ذكر فان بينتم لنا ذلك فالأصل ان نفيدون عما اذا
كان أصحاب المخطئ منهم أجمعوا على موافقتة على الخطأ أو على مخالفته بحيث
تركوا العمل بقوله بالمره وصار العمل على خلاف ما ذهب اليه أم اختلفوا فمنهم من
خاف ومنهم من وافق فان كان الاول فايانا نلتبس من فضيلتكم مع الاحترام
لشخصكم ان نعرفونا أولاً رجه خطأ الامام في فهم معنى الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة الجميع عليها وثانياً على اتفاق أصحابه معه على المخالفة من ذلك العهد الى
ههنا وهذا فإن عرفتمونا من ذلك ولا أنتم لكم ذلتين يرين في صحة قصدكم
وسلامة نيتكم وشدة غيرتكم على الأمة المحمدية وحرصكم على انشائها من مهادي
الضلالة وحيث أنتم صرتم مع صوتكم قياماً بالواجب وعلى الله انعام المقاصد
« كتم خبر أئمة » الآية « من رأى منكراً منكم فليبدل » الحديث وان لم تفعلوا كما هو
الراجح علنا ان القصد غير صحيح والنية غير سليمة وانما القصد اظهار المخالفة

تحيلاً لالتباس القوت وهنا يحسن بي أن أقول لحضرتكم أن انتظامكم في سلك
محرري الجريدة ينبغي عن ارتكاب هذا الشطط الذي يباه مقام من يدعى
فيلسوف الاسلام مرة وبالمصلح أخرى وإن كان الثاني وهو انتاقهم على مخالفة
امامهم فيما اخطأ فيه أو الثالث وهو اختلافهم في ذلك فقد تحقق لدينا أن القوم
لم يجابوا امامهم ولم يأخذوا اقواله تضايماً منه ولم يقيموا الا فيما تحقق لديهم
بالأدلة الصحيحة لأنهم لا يعتقدون مصنفه بل الامام نفسه لا يعتقد لنفسه العصمة
من الخطأ وقد الانجده اماماً الا وقد خالفه أصحابه في كثير من المسائل وضمف
له اتباعه كثيراً من الاقوال فسلام يلزم المذبح وهو مقر بمجاوز وقوع الخطأ
منه وبأي دليل يأخذ التابع وهو لم يراع لامامه في مقابل الحق حرمة وإن قلت
أيها المصلح نحن لا نعتقد ان الائمة أو أحدهم لم يفهموا معنى الكتاب والسنة بل
فهموا ذلك غير أنهم أو أحدهم قد بسط سبيل القياس في مقابل نص القرآن
أو صحيح السنة أو إجماع الصحابة بلا ضرورة ملجئة فنقول إن كان لديكم شيء
من ذلك فتفضلوا بشعريه لتكون لكم من الشاكرين ولحظتكم إن كان حقاً من
السالكين وإياكم وتابع الهوى وسلك خلة المكابرة أو الغفلة فإننا عند ذلك
معرضون وللهن راضخون وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون هذا وإن تفضلتم
على الفقير المذنب بالجواب عن اعتقاده في أن وقوع الخطأ من أبي حنيفة ومالك
والشافعي وأحد الذين قد تقدم في فهم معنى الكتاب والسنة جمهور الأمة الا قليلاً
من اغوام الشيطان من زمن غير بعيد أقل منه ممن أصيبوا في عقولهم وزين لهم
الشيطان أنهم ادركوا من أسرار الشريعة ما لم يدركه هؤلاء الائمة حلة الشرع
الشريف وإن تقلد أحد الائمة المذكورين أولى من تقليد من ذكرنا من الفواة
على فرض أنهم على شيء من العلم والتقوى هل أنا الفقير مهيب في هذا الاعتقاد
أم لا ينبغي أن تجروا ودهم أفندم

محمود بكم المطيع

أحمد موسى المتوفي بكلكتة

(المنار) تعطينا بنشر هذه الرسالة برمتها على عجبتنا قبيل تمام المنار وعلى قيام
القرائن السابقة واللاحقة عندنا بل الدلائل الناطقة على سوء اعتقاد صاحبنا بنا

ورثه أنه قادر على دحض حجتنا والتفنير عن غفلتنا بل على كونها ليست على شرطنا في انتقاد النار وهو أن يذكر لنا المتقصد لنا شيئا مما نشرناه وبين بطلانه بالدليل أو بطلانها بالدليل عليه إذا نحن أوردناه غفلا . وليس منه أن يحاسبنا على نيتنا وكسبنا أو يعرض بسبنا وثبتنا أو يفتزع لنا رأيا ويسألنا عنه . نشرنا الرسالة على هذا كله نئين لمسلما أن ما فيها ليس بالشئ الذي يسي انتقادا وانا . فيما نحن عليه من البصيرة . نينة في الدين لا تفعل بقول من يقول أو يكذب انا نفعل في الائمة الاربعة وان كان ذلك مما ينفر عن النار جماهير العوام . وكثيرين ممن يمدون من الخواص الذين يحملون هؤلاء الائمة اجلالا خياليا تقليديا لا يوازي معشار اجلالنا الحقيقي لهم رحمهم الله وجزاهم خيرا

وأول ما قوله في البواب ان طريقنا التي جرينا عليها في النار ليست من الوسائل التي يكتسب بها «القوت» - لو كنا معوزين - لانها مخالفة لأهواء الاكثريين وآرائهم مظنة لان كسدها وقها فيهم وانما يكتسب القوت من ياتمه من أصحاب النفوس الضعيفة من حلة الاقلام بما يرضي الجمهور . وقد صرحنا في مقدمة النار بأننا انشأناه ونحن نتوقع عدم رواجه وان أهل الخبرة والرأي أنذرونا ذلك ثم ظهر لنا صدق ذلك وظل النار أربع سنين لا يأتي من اشتراكه الا جزء قليل مما ينفق عليه وهو الآن على سمة اقتضاه لا بعد ربحه مقصودا لمن يقدر ان يربح بغيره اذا تركه اصناف ما يربح منه وقد تمر السنين ولا تطالب أكثر المشتركين بقيمة الاشتراك بل تتروك ذلك لاما تمهم وما هذا شأن من يعمل لأجل القوت . ولنا من محززي الجريدة كما قال في فضوله الذي يشبه سائر أقواله في كونه رجما بالغيب . ثم اتنا لقينا من الابداء في سبيل النار ما يعرفه الكثيرون اجمالا أو تفصيلا ولا نطيل في هذا فان الاخلاص صلة بين المبد وربه ومن لم ير في دعوتنا الى انتقاد ما نكتب ونشر ما يتقصد علينا آية على أننا لا نريد الا بيان الحق فله أن يسي . الاعتقاد بنا كيف شاء وعلينا ان نسأل له الصفو والمفخرة والهداية من الله تعالى . ثم إننا تكلم في المقصد فنقول ملخص الجهر في كلامه أننا نذكر على من نظروا فيما فهم الائمة الاربعة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فاتبعوا منه ما رأوه صوابا وردوا ما رأوه خطأ وسعي

هذا الانباع تقليداً وهو لو وجد لا يمد تقليداً ونحن لم ننكر ذلك قط فإن أصر على زعمه فليبين لنا مكانه من المنار وأما فنكر التقليد في الدين وهو الأخذ بقول القائل من غير دليل لما قام عندنا من الحجج والدلائل على بطلانه وبذلك قال الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم، وما أجاز التقليد الاضعفاء المقلدين الذين خالفوا أئمتهم في استحالة التقليد . أما كون الأئمة أصابوا في فهم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فهو لا يمنع بطلان التقليد في نفسه اذ لا ينقض دلالته بل ربما يؤكد لأن ما جاز لهم جاز لغيرهم لأنه ليس وحياً اختصهم الله به وجعله فوق كسب سائر البشر بل هو أمر ممكن يتناوله كسب كل كاسب وإن تفاوت الناس فيه و « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » والحق أن المجتهد منهم ومن غيرهم يخطئ ويصيب بل قال أهل الأصول ان اجتهاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد يقع فيه الخطأ ولكن الله لا يقرم عليه بل يبين لهم الحق فيه وأتى للأئمة الأربعة وغيرهم بذلك . والمقلدون يأخذون بما صح في مذاهبهم وإن بحث العلماء فيه وينووا مخالفتهم للدليل وليراجع أصول الكرخي أما الدلائل على بطلان التقليد فقد بيناها بالتفصيل في مقالات خاصة وفي تفسير القرآن وفي كثير من الفتاوى وغيرها فلا سبيل الى إعادة هنا بل عليه ان يراجعها في مجلدات المنار السابقة وله بعد ذلك ان يذعن لها وأن يرد عليها ان استطاع ونحن نعدّه بنشر رده في المنار بشرط ان لا يعتمدى البحث في الموضوع الى ما ليس منه كافتل في هذه الرسالة . ومن اقدم ما كتبناه تفصيلاً في ذلك « محاورات المصلح والمقلد » وفيها نصوص الأئمة في بطلان التقليد لهم ولغيرهم وهي مطبوعة على حديثها في كتاب فله ان يطلبه من مصر وثمنه مع اجرة البريد روبية واحدة وقد طبع في هذه الايام اجزاء من كتاب « الامم » للامام الشافعي وعلى هامشه مختصر صاحب الامام المزني وهو مفتتح بهذه العبارة بعد البسملة « قال أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لا قر به على من اراده مع اعلامه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاج فيه لنفسه وبالله التوفيق » ثم ماذا يريد المتقدم من حصره الانكار في تقليد الأئمة الأربعة فيما فيهوه

من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ؟ هل يريد أنه يجب تقليدكم فيما فسروا به القرآن وشرحوا به الحديث وأقوال الصحابة وعدم تقليدكم فيما اجتهدوا فيه الأحكام التي لم يصرحوا بأخذها من هذه المصادر الثلاثة ؟ إن كان يريد هذا وهو ظاهر عبارته الأولى فقد هدم معظم الفقه الذي يدين الجمهور بتقليده خصوصاً فقه الحنفية والافقيدينا على تفسير الامام أبي حنيفة للقرآن وشرحه للأحاديث وأقوال الصحابة ليقولها من يتبع رأيه الجديد ويترك ما عداها من مسائل الفقه المأخوذة بالقياس والاستحسن . وإن كان يقول بقول عامة المقلدين أنه يجب تقليد ما في هذه الكتب من غير القيد بالاتفات الى ما أخذناها من معنى العبارة الأولى !! الموضوع طويل الأذيال واسع الأردان صنف العلماء فيه مصنفات كثيرة وأحسن ما رأينا فيه هو ما كتبه الامام ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) المطبوع في الهند ونقلنا كثيراً منه في المجلد السادس فلي المنقذان يقرأ ما كتبنا وما كتب هذا الامام وغيره في المسألة ثم يكتب بعد ذلك ما يظهر له أنه الحق إن كان طالباً له . ولعلم ان جواهر المسلمين قد أهملوا الاهتداء بالكتاب والسنة اكتفاء بهذا الفقه ثم أهملوا هذا الفقه فقل فيهم من ينطعمه وقل في تعليمه من يعمل به حتى صار الاسلام عند الاكثرين جنسية لا هداية وقد أخذهم الله بذنوبهم وانا نعتقد اعتقاداً جازماً أنه لا ترجى لهم هداية الا بدعوة الكتاب والسنة والرجوع بالدين الى ما كان عليه في عهد السلف ولا نرى حائلاً دون هذا الا التقليد الذي صار على بطلانه في نفسه سيما بلا مسمى وهو مع ذلك لا يزيد المسلمين الا تفرقاً واختلاقاً وضمناً وهلاكاً فضعف نحاول هدمه وندعو المسلمين كافة — الى المتتمين الى المذاهب الاربعة فقط — الى الاهتداء بما لاخلاف فيه بين أحد منهم لعلمهم يرجعون . وانا لا نجهز لأحد أن يقلدنا كما يتوهم المنتقد وغيره من الذين يتبعون فينا الظن والتمانييل الجميع على الكتاب والسنة ومنى قرأ كلامنا بانصاف عرف ذلك والله الموفق

كتب اليناعن بلاد العرب ان الدولة العلية ظهر لها بعد رجوع العسكر ثم المفتشين من نجد لإخلاص ابن سعود لها وما كان من كذب ابن الرشيد وغشه وارسل ابن سعود بطلب الاستانة وفد الى السلطان مؤلفاً من صالح بن عدل و ابراهيم بن عبدالعزيز بن رافع وخدمهما وهم اربعة و لا وصلوا البصرة اكرمهم الحكومة جداً و سافروا على حقها . وأخيراً كتبت الدولة لابن سعود والظاهر انها تطلب منه فيه تأديب قاتلي أولاد ابن الرشيد ظلماً وعدواناً

المسحاة

١٣١٥

فيشر عادي الذين يستعملون القول فيقولون أحسنه
أو تلك الذين يمداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بؤني الحكمة من يتألم من بؤس الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكرو إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوي و« منارا » كتاب الطريق

« مصر ربيع الآخر سنة ١٣٢٥ — آخره ثلاثاء ١١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧ »

تاريخ المصاحف

بقية ما كتبه موسى افندي جارا الله الروسي

ثم أصيب الاسلام بموت عمر وولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر وسمى
 الساعون في ايفاع الخلاف بنشر الاختلاف فدعت الحال الى نشر المصاحف المكتوبة
 على مشهد من الصحابة عظيم فجمع الصحابة وكانت عدتهم يومئذ بالمدينة تزيد عن اثني
 عشر الفا فطلب المصحف من حفصة أم المؤمنين واحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن
 الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكتبوا خمسة مصاحف
 من غير تغيير ولا تبديل مما كان عليه المصحف الذي كتبه زيد بأمر أبي بكر .
 وما ورد عن عثمان في الاقال وبراءة فابداه مما كان يراه قبل من انهما سورة واحدة
 اذ لم يقف على بيان من النبي صلى الله عليه وسلم . وقد شهد عثمان النسخ الاول وقد
 وقع الاجماع فيه على هذا الترتيب ولم يبد عثمان خلافا فيه ولو كان له رأي يراه لوجب
 عليه ان يظهره وما جرى بين عبد الله بن عباس وبين عثمان من سؤال وجواب
 فحكاية ما كان يراه عثمان قبل . وعين زيدا ان يقرأ بالمدينة وبعت عبد الله بن
 السائب مع الهبي والمغيرة بن شهاب مع الشامى وابا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي
 وعامر بن قيس مع البصري . وقرأ كل مصر بما في مصحفه على هؤلاء الصحابة
 ونسخوا من هذه المصاحف الخمسة مصاحف لا يحصى عددها فلم يبق في الامكان
 كيد الكائدين ولا دهم الواهين بقي عثمان كذلك اثني عشر عاما حتى مات وبووه
 حصل الاختلاف وابتدأ أمر الروافض . ثم تولى الامر علي ومالك وبقي خمسة اعوام
 ونسخت أشهر خليفة مطاعا غالب الامر ساكنا بالكوفة والقران يقرأ في المساجد
 في كل مكان وهو يؤتم به الناس والمصاحف معه وبين يديه . ثم بعده ابنه الحسن .
 وكان علي يثني ثناء على أبي بكر وعثمان فيما فضلا في المصاحف . ولو كان وقع من أبي بكر
 وعثمان تغيير في شيء بنقص أو زيادة (ولا يمكن ذلك لا متاعا توافى الكثير المنقرض على
 التغيير في شيء فلو وقع من أحد اظهر ولا تفضح المرتكب من ساعته) لا قدر على
 منزلة التحمل والصبر عليه بعد ما تولى الامر وهو الذي قاتل أهل الشام في رأي
 سبب رآه ورأوا خلافة . وعلي شهد النسخين ورأس في كلا الوقتين
 فالب القول في خلافة في القضاء نافذ الرأي حائز الجلالا

فلا يمكن ان أبا بكر وعثمان قد اسقطا بعض ما نزل في أهل البيت . ولم يكن أبو بكر وعثمان الا كغيرهما من الصحابة في شأن جمع القرآن . ولو كان نزل شيء في أهل البيت لتواتر كسائر الآيات وكتم ما شاع ودفع أمر محال لا بسنطاع (١)

وعلماء الامامية ورحمهم الله تعالى اجل من ان يقولوا قد وقع نقص في القرآن بمكر أبي بكر أو أمر عثمان . والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه ، والسيد المرتضى علم الهدى ذوالمجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي ، والفاضل نور الله في مصائب التواصي ، والامام الطبرسي في مجمع البيان ، هؤلاء اعلم علماء الامامية واعلام أمتنا الاسلامية ، قد قالوا بامتناع وقوع التغيير في القرآن وقالوا ان المسلم يتفصيل القرآن وابعاضه كالعلم بكلمه وحملته . فمن رام في اسقاط بعض آيات نزلت ، فليسع أولا في وضع كل القرآن وكتم اخبار انتشرت . وما قيل عن بعض علماء الشيعة من سقوط بعض آيات نزلت فلا أرى ان ذلك كاف وأيا لم يروونه انما ذلك من جملة بقايا اخبار كانت تنشر من عند الذين يحبون ان تشيع الفاحشة والفتنة في المسلمين ، ومن عند الذين يبنون خبالا ويسمون فسادا في الدين

وقد كانت مثل هذه الاخبار أرفع وسيلة في الحصول على اغراضهم السياسية فتنازوا فوزا عظيما في دعوتهم ، ونالوا فوق ما أملوا في كسر شوكة الامة الاسلامية وتقريب وحدتهم . وقد دس هؤلاء من أباطيل الاخبار شيئا كثيرا في الدين قد قلناه واغتر به قوم من أهل الخير فادخلوه في دواوين الاحاديث والاخبار واسفار السنن والآثار .

وقد من الله علينا اذ جعل فينا رجلا عدولا ميزوا سنن نبينا عن موضوعات الاخبار وأكاذيب الآثار ، فسقونا من بين فرث وهم لبنائنا سائفا للشارين . هذا وكل ما ذكرته من تاريخ القرآن والمصاحف فهو حق لان الامر كالتوقيع كذلك ومن ادعى اتصاف الشمس في النهار قائما عليه ان يشير الى ما هنالك ومن خالف فلا يمتد به فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم نقلوا اخبارا ظنوا معها لا يرجع بطلانها عن العلوم المقطوع بصحتها والى قوم اتوا بأقوال لا يقوم لها من عالم الشهود شاهد ولو اتانا سلكنا مسلكهم واستجزنا التدليس على انفسنا وارتكبنا ما لم يرتكبه سلفنا

(١) يريد المؤلف بهذا الرد على ما ينقل عن بعض غلاة الشيعة من زعم كتمان

الصحابة لآيات ادعوا أنها نزلت في آل البيت عليهم السلام كما سيصرح به

لأننا بما يبلى به خصوصنا أسفًا . لكن مكفينا في بيان الحق أن تأتي بما كان ، وليس من شأن السائل أن يتسكع بما بعد عن الحق وبأن . وحيث وفيما الموضوع بمون الله تعالى بما استطعنا من البيان . وكان ذلك خير ما جئنا وخيار ما اقتطنا من حدائق الاعيان ، وأينا من واجب الاحسان علينا أن تأتي بما يدل على امتناع وقوع التحريف في القرآن . ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في اجمال مافصله العلماء في ذلك ، وإن نجتمع ونلتقط ما اقتصر في محائف الدواوين من هنا وهناك .

البرهان الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم انتقل والصحابة ألوف مزلفة . ما منهم احد الا وهو يحفظ قسما وافرا من القرآن . وفيهم مئات يحفظونه كله بحسام الضبط والاتقان عن ظهر قلب . ثم ان الكثير منهم تشبثوا أثر ذلك في الاقاليم ، وانتشروا في الاقطار استيذانًا بمواطنهم الاصلية . أو تبينا لعمل من الاعمال الملكية والدينية . ثم نسخت المصاحف ووصلت الى هذه الاعداد الكثيرة في المدن والبلاد ، فلو كان وقع تغيير في كلمة أو تحريف في حرف لظهر ولثارت الامة وهاجت الحواطر على جامعي المصاحف وقتلواهم قتلا . ولارد كثير من الناس لان ادساس اقل تغيير فيه بجعل العباد . أو وقوع تصرف فيه بالافكار وكيد أهل الفساد . يقضي بانه غير منزل من عند الله سبحانه وتعالى . لكننا لم نسمع ان احدا من مسلم وغيره عارض في شيء من القرآن وادعى ذلك فيه . ولو وقع حبة تغيير فيه في العصر الاول لوقع تغييرات في العصور الاخيرة على سنن قانون الطبيعة في السموات . لكن القرآن قضى من أجله ثلاثة عشر قرنا وزيادة ، ولأنت المصاحف وجه الارض وطباقتها ولم يوجد مصحف يختلف عن الآخر بحرف واحد .

البرهان الثاني : ان القرآن أكبر دلائل النبوة به ظهر الدين وعز شوكة المسلمين . هو آية ظلت اشواق الجبابرة لها خاضعين ، فاذعنوا له بخص الجناح طامعين لا واصرته ، عاملين باحكامه . فلا يمكن ان يرضى الامة تحريف شيء منه ولو كان دونه بذل المهج والنفوس .

البرهان الثالث : من ألم بتاريخ الصحابة ونظر نظرة في صحاح الاحاديث يعلم أنهم العلم ما كانت عليه الصحابة من غاية الاعتناء ونهاية الاهتمام في حفظ القرآن ضبطه حتى مقادير الدقائق . وتفاوت الامالات ، ويعرف ما لهم من مزيد العناية في ضبط الاحاديث والرواية . حفظا وكتابة ومن وفور الاحتياط وعظيم الثبوت عند ادائها وبليتها الامة .

والقل يحكم طوعا بالقسط ، وضرورة باليقين ان الجهم النفير واجمع الكثير الذين أخذوا القرآن تلقياً عنه عليه السلام في تضاعيف عشرين سنة ، وضبطوه حفظاً في الصدور وثبات في الصحائف والسطور لا يجوز عليهم التخليط فيه ولا التبرير . وشر الاقدمين مع انه لا يمكن ان يظهر ظهور القرآن ولا ان يحفظ كحفظه ولا ان يضبط مثل ضبطه ولا ان عس الحاجة اليه مساسها للقرآن لو زيد فيه بيت أو لفظ أو غير فيه حرف أو حركه لتبرأ منه أصحابه وأنكره أربابه . وطمعن فيه عارفوه ، ووجدته واووه . وقد شوهد ذلك في كثير من الاشعار والخطب والاراحين يعرفه من يضي بلفة العرب وروايتها .

فانما كان ذلك مما لا يمكن في شعر الاقدمين فكيف يجوز وقوعه في القرآن مع الناية الصادقة والضبط المتقن والعلم بانه دليل النبوة ونور الشريعة وملجأ الامة .
البرهان الرابع : ان العلم بالقرآن كله وجملته فاق في الوضوح والاشتهار أشهر المتواترات من كبار الحوادث وعظائم الوقائع ومهمات الامور وحواضر الاحوال .
والعلم بآيات القرآن وسوره وتفاصيله واباضه عند حفظه ورواته في العصر الاول كالمسلم به كله وجهته : فان الناية اذ ذاك توفرت . والدواعي اشتدت . والنراخ انبثت الى حفظه الراسخ وضبطه المتقن . والغايات تباينت والاغراض اختلفت : فمنهم من يضبطه لاتقان قراءته ومعرفة وجوهها وصحة ادائها . ومنهم من يحفظه لاستنباط الاحكام وبيان تعاليم الاسلام . ومنهم من يقصد بحفظه معرفة تفسيره ومبانيه والوقوف على غامضه وغرائبه . ومنهم من يسجد بالغ فصاحته وذوق بلاغته ورائق اسلوبه وشائق نظمه وعجيب تأليفه . ومنهم من يحفظه استلذاذاً بتلاوته واستحباباً في كرامته وتقرباً بقرآته وتعبداً بدراسته . ومنهم من يحفظه ليجرد التمشرف بشرف حله والقيام بواجب ادائه وتعليمه وهو الاغلب .

فبالضرورة لا يمكن على أهل هذه الهمم العالية والاغراض المتناوئة والغايات المتباينة مع كثرة اعدادهم وتباعد بلادهم ان يجتمعوا على التحريف والتغيير ويتواضعوا على التبديل

البرهان الخامس : لا يخفى على الحسبر علوم القرآن وطرقه الثابتة انه لم يقتض عصر الرسالة والواتباع التابعون وأخذوا عن الصحابة مباشرة وقل فيهم من لا يحفظ كل القرآن . وكان الرجل لا يكون عظيماً في الاعين ولا يمد صاحب حديث مالم يحفظ عشرات آلاف من الحديث . فتبعوا حفظه الصعابة في كل زمان ومكان

فما بانهم ان محابا صكنا يحفظ آية كذا بلفظ كذا من اللغات التي نزل بها القرآن (وسأين معنى اللغات والاحرف في القرآن بما لا أظن ان الحق يسميه ان شاء الله) الا ارتحلوا اليه وتقرأوا عنه حتى جموا الترات التي قرأ بها القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ثم جاء قرن كان حفظ القرآن عندهم كأنه امر لازم . وكان اقطار حوافظهم قد امتدت ودوائر احاطتهم قد اتسعت . فكثرت فيهم من يحفظ مئات ألوف من الحديث ومن يحفظ من أشعار الجاهلية وأيام العرب وخطبها وأمثالها وأراجيزها مالا تسعها ضخام الاسفار كانوا يحفظون كل ذلك لاجل القرآن وعلومه فوضوا علوم الرسوم والتجويد والقراءات وعلوم الدين وكل مباحها

وكان من أساس دينهم في الله تشديد التكبر على البدع وشدة الاعتصام بالسنة الثابتة والحفاظة على ماورد والوقوف ضد حد أمر ثبت . وما مضى قرن الا وجاء الذي بعده محققا باحثا في علوم القرآن . جازيا على ماجرى عليه سابقه . كل انسان أحاط بعلوم القرآن خبرا يعلم ان طرقه ووسمه واختلاف رواياته كلها توقيف لم يتصرف فيها أحد بشيء . فوقع التحريف في القرآن من مثل هذا لامة غير ممكن .

البرهان السادس : الصدر الاول كان عاطيا بالاعداء من اليهود وغيرهم . وكأوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا عموما ولنبي عليه السلام خصوصا . واقفين له وقومه بالمرصاد ناصيين لهم حبايل الفتن موغرين عليهم صدور الناس . فلو عثروا على أدنى تحريف أو توير لشنوا على جامعي المصاحف قارة الفتنة . وشتموا عليهم في جميع القبائل . ولكن ذلك من أعظم القرض المساعدة على آتاهم في نظر الامة . وأجر الوسائل المؤدية الى تفريق الجامعة الاسلامية وتشفيت كلها

كانت مدينة النبي عليه السلام خاصة بالمناققين كان يعرفهم بسيماهم ويعرفهم في لحن اقوالهم كانوا يحضرون في مجالسه يسمعون منه ويقرأون في من قرأ ويصلون مع من صلى

وهم في كل لحظة يوشعون غفوة تسدر منه ليتخذوها فريضة الى رد الناس عن الايمان به . وقد صاحبوا أصحابه بعده ولم يمنع ان واحدا منهم قال بتغيير حرف من القرآن وهم أولى الناس بذلك وأقدرهم على فرض وقوعه لنساعهم الاصل من النبي . وتابع الفتن المساعدة لهم في طعن الدين بأببر المطاعين .

أمة غربت اقوال نبيها ونحلها . ويبحث فيها بحث تدقيق وتقسيم . وروت

من اخبار العصر الاول ما طبعها قبل قل ما لها . أمة غايتها بسلام ربها اضافة غايتها بأحاديث نبيه يستحيل عليها انها عكفت على هذا الدين وفي القرآن أقل تمييز قاض انه ليس من عند الله .

أمة اذا سمع ملها بيتا من الشعر واستطلع معناه قال هذا مأخوذ من قول فلان الجاهل أجب عنها البحث في القرآن هل وقع فيه تمييز وشي جديد . أو هو باق على ما كان عليه تنزيل من حكم حميد اه

﴿ خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة ﴾

﴿ لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام نبي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه ﴾

﴿ مقدمة لمصاحب الآثار ﴾

شرع الله تعالى لعباده على السنة جميع رسله ان يقيموا الدين ولا يفرقوا فيه ولكنهم كانوا يفرقون في كل أمة فيقول ما أريد بالدين من معنى الاجتماع والائتلاف حتى اذا ما شرع الله لهم الدين العام القبي هو خاتمة الأديان شدد فيه التفرق من التنازع والتفرق والاختلاف وأكد الامر بالاعتصام والاتحاد ولائلاف وقال لحاتم التميمي (١٥٩٠٦) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) ومع ذلك لم تسلم هذه الامة من اتباع سنن من قبلها والاختلاف كما اختلفوا أو اشد . ولما وقع الخلاف وكثرت المذاهب وصار لكل فريق أنصار يغالون الآخرين ويطنون عليهم امتاز أهل الحق المعتصمون بحبل الله بالهدوة الى الاجتماع والائتلاف . والباعد عن التنازع والفرقة وجعلوا المرجع في ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم صلا بقوله عز وجل (٤ : ٥٩) فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فكتاب الله ثابت لا نزاع فيه وسنة رسوله معلومة لا خلاف فيها فما جرى عليه وتبعه فيه أصحابه على طريقة واحدة بلا خلاف بينهم يمنع فيه الخلاف من المؤمنين وما اختلف فيه العمل كان المؤمنون يميزون فيه لا ينازع أحد منهم أخاه ان أخذ غير ما أخذ هو به وكل جائز

وقد سمي هؤلاء بأهل السنة والجماعة لأنهم يحكمون السنة العملية المتبعة فيها هو حتم وفيها هو غير فيه ويختارون الاجتماع والاتفاق على الخلاف والافراق ولذلك كان من مزاياهم التباعد عن تكفير أهل القبلة وتضليلهم لأجل الخلاف والعمدة عندهم في صحة الايمان وولاء أخوة الاسلام هو الاخذ المجمع عليه في العصر الاول المعلوم من الدين بالضرورة ويعذرون من أخطأ فياعدا ذلك

ثم إن علماء أهل السنة قد كانوا ينظرون في وجوه التوجيه بين ما اختلف فيه عمل أهل العصر الاول أو الرواية عنهم فيأخذ كل واحد ما يراه أرجح مع كونه يعذر من يأخذ بغير ما اختاره هو لا سيما اذا كان رأيا لارواية ثم حدث في الامة التقليد وتماز كل فريق يتعصب لمام من أئمة علماء الامصار من بعدهم ففاد فذلك التفرق والاختلاف المقوتان عند الله الى المنسبين الى أهل السنة والجماعة ووجد بذلك أهل البدع ما وجدوا من المطاعن عليهم وعلى مذهبهم بل كان ذلك مما طهر به في أصل الدين

سبق لنا قول في هذا الخلاف ومضاره ورأي في تلافيه واتقاء أخطاره أودعناها مقالات محاورات المصلح والمقلد (التي جمعت من المنار وطبعت في كتاب مسقط) وأيدناه بما كتبه حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم من الدعوة الى إزالة الخلاف بالاخذ بالمجمع عليه والتخفيف في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على تحرره ويؤدي كل ما أجمع على وجوبه ويفعل ما سهل عليه مما أجمع على نده واستحبابه ولكن المرزوقين بالتعصب للمذاهب يسهل عليهم قطع أخوة الايمان بسبب خلاف في رواية أو رأي مما لم يجمع عليه المسلمون وهم مع ذلك يتركون بعض الفرائض ويرتكبون بعض المحرمات ويحسبون ذلك أهون من الخلاف في الدين

وقد قرأنا في هذه الايام رسالة لشيخ الاسلام أحمد بن حنبل في مسألة الخلاف في المبادات وحقيقة السنة والجماعة فأثرنا نشرها رجاء ان ينفع الله بها المسلمين (٥١ : ٥٥) وذكر فإن القسري ثنم المؤمنين) قال رحمه الله تعالى وآله

(قاعدة) في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية والرأي مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشماثر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون

(أحدها) جهل كثير من الناس أو كفرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه والذي أمرهم باتباعه (الثاني) ظلم كثير من الامة أو كفرهم بعضهم لبعض وبغيرهم عليهم امة بنهيم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على ما لم ينفضهم الله عليه ونارة بتوك ما أوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرون حتى يقدون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك

(الثالث) اتباع الظن وما تهوى الانفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصبر في كثير من المنفعة والمعبدة من الاهواء من جنس من أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(الرابع) التفرق والاختلاف المخالف للاجماع والاتلاف حتى يصير بعضهم ينفذ بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويكرهه على غير ذات الله وحقى بعض الأعداء بعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز ويمضهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح ويمضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرّمها الله ورسوله والاجتماع والاتلاف من أعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن

الاول أنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - اذ قوله - ولا تكونوا كالأقربين
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم « يوم يبيض
وجوه وتسود وجوه » قال ابن عباس يبيض وجه أهل السنة والجماعة وتسود
وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بفروجه عن
السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ومن أهل الفرقة بالفرقة
الخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا
شعبا لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما أهلك فيهِ إلا الذين أضلّوا من بعد
ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد
ما جاءتهم البينات) وما أمروا إلا ليمدوا الله غلظين له الذين حنفوا وقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (إن الذين عند الله بالإسلام وما
اختلف الدين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى
(وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ) وقال
تعالى (فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وقال تعالى
(فَاقْتُلُوا اللَّهَ وَاصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) وقال (إِنَّ الْمَوْتُونَ اخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ
أَخْرَبِكُمْ) وقال (إِلَّا مِنْ أَمْرٍ جَدِيدٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) وهذا الأصل
العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وإن لا يفرق هو من أعظم أصول الإسلام
ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه

ومما عظمت ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية
النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فإن
يد الله على الجماعة » وقوله « فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد »
وقوله « من رأى من أميره شيا يبكره فليصبر عليه (١) » فإن من فارق الجماعة
قيده شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبئكم بأفضل من درجة

(١) لعل المراد بالشئ الذي يذكره مالا يخالف الشريعة لا سيما في أحاديث
كثيرة أن الطاعة في المعروف وعلى ذلك بايعوه وهو المصوم وأنه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق

الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال «صلاة ذات اليمين فان فساد ذات اليمين هي الحاقلة لا أقول تخلق الشمر ولكن تخلق اليمين» وقوله «من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد ان يفرق جماعتكم فادعوا برؤسهم بالسيف كائنا من كان» وقوله «يصلون لكم فان أصابوا فاصحوا وان اخطأوا فلكم وعليهم» وقوله «متفرق هذه الامة على اثنتين وسبعين فرقة منها واحدة حية واثنان وسبعون في النار» قيل ومن الفرقة الناجية قال هي الجماعة يبدأ الله على الجماعة وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلماؤها من ملوكها ومشائخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يفرقه خطاه أو الحسناته الماحية أو ثوبه أو لغير ذلك لكن يعلم ان رعايته من أعظم اصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل الدنيا: عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة وهذا كرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجنب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة (١١ وع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة نقلهم وروايتهم نارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذكر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواجه بنيه بذكره حيث يقول (واذ كن من قبل في بيوتكن من آيات الله والحكمة) حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيها أنزل قبله كما عصم هذه الامة ان تجتمع على ضلالة فحصر حروف التنزيل ان ينير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما ليس فيها من الكذب عمدا او خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه الذين فحسوا عنها وعن نقلتها ورواها وعلموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما نقلوه بالقبول منها إجماعا معصوما من الخطأ لاسباب

يطول وصفها في هذا الموضع وعلما هم خصوصا وسائر علماء الامة بل وعامتها عموما ما صانوا به الدين عن ان يزداد فيه أو ينقص منه مثلاً علما انه لم يفرض عليهم في اليوم واليلة لا الصلوات الخمس وان مقادير ركعاتها ما بين الثلاثي والثلاثي والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الا شهر رمضان ومن الحج الا حجة البيت الصديق ومن الزكاة الا فرائضها المعروفة الى نحو ذلك وعلما كذب أهل الجبل والضلالة فيما قد يأترونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لملهم بكذب من يزعم من الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصاً قاطعاً جلياً وزعم آخرون انه نص على العباس وعلما أ كاذيب الرافضة والناصبة التي يأترونها في مثل الفروقات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذون الطريقة مثل أ كاذبيهم الزائدة في سيرة عمر والبطل حيث علما مجموع مفازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وان القتال فيها كان في نسمة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين ولا المدوي شي من مفازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المدوية لزيد بن معاوية ونحوه والاحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الارزاء ونحوه والاحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات ايام الاسبوع وفي صلوات ايام الاشهر الثلاثة والاحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو واصحابه وتواجده وسقوط البعثة عن رده وبعثه الثوب واخذ جبريل لمضه وصعوده به الى السماء وقال اهل الصفة مع الكفار واستماعهم لما جانه ليلة الاسراء والاحاديث المأثورة في نزول الرب الى الارض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الارض بين رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التي يطول وصفها فان المكذوب من ذلك لا يحصى به احد الا الله تعالى لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وانما يكون موجوداً في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه

(احدها) ان ما توفرت هم الملق ودواعيهم على نقله واشاعته تنتج في العادة

كتابه فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة
 واخبر بمحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد
 إذ لم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر ان في الطرقات بلادا
 عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم
 كذب من أخبر بمادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس
 ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار السقل وقياسه
 وضربه الأمثال يعلم كذب ما ينقل من الامور التي مضت سنة الله بظهورها
 وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عباده انهم
 لا يتواطون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله
 جبل جماهير الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الأمور دون الكذب والكتان
 كما جبلهم على الاكل والشرب واللباس فالنفس بطبعها تختار الصدق اذا لم يكن
 لها في الكذب غرض راجع وتختار الاخبار بهذه الأمور العظيمة دون كتمانها
 والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون الى الاستخبار والاستفهام بما يقع وكل
 شخص له من يؤثر ان يصدقه ويسين له دون ان يكذبه وبكتمه والكذب
 والكتان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل
 النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن الغالب على انسابهم الا الصحة
 وعلى أنفسهم الا البقاء فالنفس هنا ان الأمور المتواترة يعلم انهم لم يتواطوا فيها
 على الكذب والاخبار الشاذة يعلم انهم لم يتواطوا فيها على الكتمان

(الوجه الثاني) ان دين الاممة يوجب عليهم تبليغ الدين وإظهاره وبيانه ويحرم
 عليهم كتمانه ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على كتمان
 ما يجب بيانه يستوطنهم على الكذب وكلاهما من أقبح الأمور التي تحرم في دين الاممة
 وذلك باعث موجب الصدق والبيان .

(الثالث) انه قد علم من عدل سلف الاممة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين
 وإظهاره وعظيم محاببتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم
 العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما قلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه

المادة الحاجة الخاصة الدينية لهم غير المادة العامة لا تتحرك بين جنس البشر
 (الراجح) ان العلماء الخاصة يعلمون من تصور رسول الله صلى الله عليه وسلم
 التوجه عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لاسم الله ووجه له ومن دين آحادهم مثل
 الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس
 وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينا لا يتخلله ريب امتناع هؤلاء من كتمان
 قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير
 بمعرفة ذلك مثل الزهري وقنادة ويحيى بن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة
 وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أمورا يعلمون معها امتناعهم من الكذب
 وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الأمور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتابها لو كانت
 موجودة ولهم في ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وإنما
 الغرض التفتيح على ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الأهواء
 قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فإنه كان يعمل على
 عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف في
 صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وسم
 الاختلاف في قهلاوذ كروا نحو هذه الأمور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند
 بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا ان يكون من أمور الدين ما لم ينقل
 بل كنهم لأهواء واغراض وأملجة الرأي والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم
 في صفات الصادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل
 الأهواء من الزائفة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جهتين
 (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف
 دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويصرون عنهم بعبارة تارة
 يسمونها الجمهور وتارة يسمونها الحشوية وقارة يسمونها العامة ثم صار أهل الأهواء
 لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل مذهبا
 من سبل الشيطان فالرافضة ينتحل النقل عن أهل البيت لمسا لا يهود له وأهل

من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرض ووضع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وأنه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرض باب الزندقة والاحاد قالصاثة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرض والخبرة ونحوهم تتحل القياس والمقل ونظمن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويملكون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أبواب الملة من اسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المنصفين ببعض هذه الامور الصغار ساعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار

﴿ فصل ﴾

اذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فمنه فذكر طريق زوال ذلك ونذكر ما هو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الاصلين الاذنين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء

اما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنون من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات انما هي في أمور مستحبات ومكروهات لا في واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمثلا أو مفردا أو قارنا كان حجه معجزا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب أو يمنع ذلك فن الشيعة من يوجب المتممة ويحرم ما عداها ومن الناصبة من يحرم المتممة ولا يبيحها بحال

وكذلك الاذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في أوله أو ثراه وانما يخالف في ذلك بعض

شواذ المتفقه كما خالف فيه بعض الشيعة فاجب له الخيلة بجي على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والثنية بآتيها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاما تنازع شدوذ الناس

وكذلك الجهر بالبسلة والخفافة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من الطلأ من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فالجائزة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والخفافة في موضعها هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل الخفافة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر قاما الجهر بالشيء اليسير أو الخفافة به فما لا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة الخفافة يسمهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاة بن رافع الزرقي قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل ورائه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال «من المشكك؟» قال أنا قال «رايت بضمة وثلاثين ملكا يندرونها ايهم يكتبها اول» ومعلوم انه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم ان المستحب للأموم الخفافة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيحين عن عمر انه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانه اللهم وبحمديك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وهذا فعلة بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبة فيه الخفافة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفي الصحيحين عن ابن عباس انه جهر بقراءة الفاتحة على الجنازة وقال لعلوا انها السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع انه كان من الصحابة من يجهر بالبسلة كابن الزبير ومحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل احد منهم صلاة احد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى

وكذلك القنوت في الفجر اما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود

السهر لم تركه أو فعله والافاعمتهم منفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس
بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع
ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما اعلم
وكذلك القنوت في الزهرل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان
انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع انه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وذلك
كونه قبل الركوع أو بعده

وكذلك التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أرى في
الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن أحمد رواية
ان التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة ما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط
بالسهر على نزاع في ذلك والرواية الاخرى الموافقة للجمهور انها مستحبة في الصلاة
الكاملة أما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهر على نزاع في ذلك
والرواية الاخرى الموافقة للجمهور انها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب منها والا فلا نزاع
في انه يجوز ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائزة ما اعلم في ذلك خلافا
لاخلافا شاذا وإنما النزاع في المستحب

وكذلك أنواع الافتتاح في الصلاة وأصل الافتتاح انما النزاع في استحبابه
وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولاً في مذهب
الامام أحمد

وإذا كان النزاع انما هو في الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وأجزائه
ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فان جميعها جائزة وإن كان من الناس من
يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم ان ذلك
جميعه جائز مجزي في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان
سواء وإن رجح بعض الناس بعضها ولو كان احدهما أفضل لم يجوز ان يظلم من
يختار المفضول ولا يذم ولا يباب باجماع المسلمين بل المجتهد التحلي لا يجوز ذمه
باجماع المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الامة ولا أن يعطى المستحب فوق

حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة
أفضل بكثير ولا يجوز ان تحمل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يتمتع الرجل
من تركها ويرى انه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك
المستحبات لما روى راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم ان
اختلف قلوب الامة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء
لا اختلف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب
دور مصلحة ذلك المستحب وقد اخرجنا في الصحيحين عن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لقمضت الكتبة
ولأهنتها بالارض ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه» وقد بين
احنوج بهذا الحديث البخاري وغيره على ان الامام قد يترك بعض الامور المختارة
لأجل تأليف القلوب ودفعاً لفرقتها ولهذا نص الامام أحمد على انه يجهر بالرسالة
عند المأمرات الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لأن أهلها اذ ذلك
كانوا يجهرون فيجهر بها لتأليف وليعلمهم انه يقرأ بها وقال غيره بل لأنهم كانوا
لا يقرئونها بهال فيجهر بها ليعلمهم انه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس
بقراءة الفاتحة في صلاة الجأزة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك
والطمع فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم انه دخل في المشروع
فالتيار في الرجحان لا يضر كالتيار في رجحان بعض الفرائض وبعض العبادات
وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد امر النبي صلى الله عليه وسلم كلاً من القراء ان
يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله
ورسوله فاما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من
السنة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض
الناس أما الاذان فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سن في الاقامة الاشارة والشفع في الصحيحين انه أسرى بلالاً أن يشفع الأذان
ويؤثر الاقامة وفي صحيح مسلم انه علم أبا عذرة الاقامة متى شئى مثل

الأذان فإذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعلية القرآن لصبر بحرف ولشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به وكذلك الترجيع في الأذان هو ثابت في أذان أبي مخنف وهو محذوف من أذان بلال الذي روي في السنن وكذلك الجهر بالبسملة والخافعة بها صرح الجهر بها من طائفة من الصحابة وصحت الخافعة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الأمران جميعاً وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضي أنه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأما في الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لا شبهة فيها وفي السنن أحاديث أخرى مثل حديث ابن مقلد وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والأحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئاً ولكن في الصحاح والسنن أحاديث محتملة وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها إذا كان بمكة وأنه لما هاجر إلى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه أبو داود في التماسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فإن الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهرون بها وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألوا أناساً عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الأحيان أو جهر خفياً إذا كان ذلك محفوظاً وإذا كان في نفس كتب الحديث أنه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة

وأما القنوت فأمره بين لا شبهة فيه عند التأمل التام فإنه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قنت في الفجر مرة يدعو على رطل وذو كنان وعصبة ثم تركه ولم يكن تركه نسخاً له لأنه ثبت عنه في الصحاح أنه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مفر وثبت عنه أنه قنت أيضاً في المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استتصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين أنه تركه تركاً

نسخ فاعتقد ان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكين أنه مازال يقنت في الفجر
القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت
لسبب تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العوارض لا الرواتب لأنه ثبت أنه
تركه لما زال العارض ثم عاد اليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح
أنه لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط
عنه أنه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح
والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي
وغیرهما ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنونا
يجهر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت
العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى ان ينقل دعاءه فيه فاذا كان الذي
نسحبه إنما يدعو فيه قنوت الوتر علم أنه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وامثاله فإنه من
المعتمد ان يكون الصحابة كلهم أهلوا نقل ذلك فإنه مما يعلم بطلانه نظما وبذلك
المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل
ودعاء عمر فيه وهو قوله اللهم عذب بفترة أهل الكتاب الخ يقضي أنه دعاء به هند
قتله للنصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه
عن أنس أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وأنه ليس في
السنن إنما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الا شهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل
اذ لفظ القنوت منه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام
كما قد بيناه في غير هذا الموضع

وأما حجة الوداع وان اشتهت على كثير من الناس فأنما أتوا من جهة
الالفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول أنه تمتع بالعمرة الى الحج
وهؤلاء أيضا يقولون أنه أفرد الحج ويقول بعضهم أنه قرن العمرة الى الحج ولا
خلاف في ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل من احرامه وأنه

كان قد ساق المهدي ونحره يوم الحر وانه لم يستمر بعد الحجة في ذلك العام لاهو ولا احد من اصحابه الا عائشة امر أخاها ان يصرها من التعميم أدنى الحل وكذلك الاحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يظف بالصفا والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول فالذين نقلوا انه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل الممرة كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يستمع نعتا حل به من احرامه كما يفعله المنتسب الذي لم يسبق المهدي بل قد امر جميع اصحابه الذين لم يسوقوا المهدي ان يحلوا من احرامهم ويحملوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم

باب الفالات

منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق - الاستبداد

(٣)

الفائدة الثانية الخروج من الاستبداد

أتى على الشرق حين من الدهر كان يعبد فيه الملوك عبادة حترقية ويسمهم آفة ويدعوهم أرباباً وهو لم يسلم من هذا الاعتقاد سلامة تامة عامة الى اليوم ثم ارتقى بعض شعوبه الى الاعتقاد بأن الملوك ليسوا آلهة خالقين ولكنهم اصحاب سلطة إلهية وسيادة ربانية يجب طاعتهم عدلوا أو ظلموا ، وتقديمهم امارة أو احسنوا ، ثم جاء الاسلام باصلاح جديد فجعل أمر المؤمنين شوري بينهم وأمر اصحاب الرأي السديدة والمعرفة بالمصالح العامة واجب الاعتثال في سياسة الامة وادارتها حتى لا يطعم فرد من الافراد بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالأمر . وجرى النبي صلى الله عليه وسلم في سياستهم على هذه القاعدة فكان يقدم رأي اصحاب الرأي المبرر عنهم بأولي الأمر على رأيه كما فعل يوم أحد اذ كان صرح بأنه لا يرى الخروج الى حرب قريش حتى تحصل الى المدينة ورأى اصحابه الخروج فعزل برأيهم وكما فصل يوم بدر والاحاديث في ذلك كثيرة

شبهة . ولكن الشرق لم يكن تم استعداده لهذا الإصلاح الاعلى لما بناه في مقال
(طبيعة الاجتماع في الحاكمين والمحكومين) فلك تنسئ لبني أمة أن يعشوا به
ويزيلوه في زمن قريب

ولي أبو بكر رضي الله عنه أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضب الناس وقال : ولست عليكم ولست بغيركم فإذا استقيمت فأعينوني وإذا
زغت فقوموني : وولي هر رضي الله عنه فقال نحو ذلك في خطبه . ومن المشهور
المتفق على الألسنة أنه لما قال على المنبر : من رأى منكم في عوجا فليقومه :
قام رجل فقال لو رأينا فيك عوجا لقومناه بسيوفنا فقال : الحمد لله الذي جعل في
المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه : وما روي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال
على المنبر « أمرني لأمركم نبع » وقال في أول خطبة خطبها بعد أن ولي الخلافة
الأولان لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وصنة نبيه ثلاثا اتباع من كان قبلي
فما اجتمع عليه ومنتم ومن سنة أهل الخير فيما لم تسوا عن ملأ والكف عنكم
الا فيما استوجبتم »

فانظر كيف قيد اتباع من كان قبله بكونه فيما اجتمعوا عليه وسنوه فهو دليل
وراء الأدلة العملية على أن أبا بكر وعمر كانا يأخذان برأي الأمة ، فيما لم يرد به
الكتاب ولم تمض به السنة ، وتأمل قوله « فيما لم تسوا عن ملأ » والملأ الجماعة
من أهل الرأي والمكانة في الأمة وم معنى التواب

أما سيرة علي كرم الله وجهه ورضي عنه فهي على تلك السنة ماغير ولا
بدل ولا رغب في الدنيا ولا جنع الى زخرفها ولكن نزا عليه بنو أمية أعداء
بني هاشم في الجاهلية والاسلام وكان من أمرهم ما كان ولا محل لشرحه في هذا
التبديد . وإنما غرضنا أن نقول إنهم استبدوا عملا وما عتصوا أن يجروا بالخروج
عن سنن الاسلام في حكمه قولاً اذ قال خطيبهم عبد الملك بن مروان على المنبر
« من قال لي اتق الله ضربت عنقه » فتعولت الحكومة الي استبدادية كانت
على حسب سيرة الحاكم الاعلى الملقب بالخليفة أو الملك فتارة يكون عادلا كعمر
ابن عبد العزيز وتارة يكون جائرا وتارة متوسعا وكان معظم ظلمهم وظلم من

يهدم لمن يأنسون منه سخطا من سخطهم أو مقاومة لها وسائر الناس في راحة وأمان ، يتقدم به العلم وبزهو العمران ، حتى استدار الزمان ، ورجع الشرق الى نحو ما عليه كان ،

أخبار الممالك يقل في التاريخ من لا يعرفها ، وسيرة اسماعيل باشا لم يمت جميع من ذاقوا مرارتها ، ومفاسد بايات تونس مأثورة ، ومنكورات دايات الجزائر غير منكورة ، كان من هؤلاء من يماقب الناس الذين يحمل عليهم غضبه ولو لحفظ عرضهم من فسقة بأحدى ثلاث - الخنزوق أو تردته من أعلى جبل قسنطينة أو إغراء كلاب عاقرة به تهته وتمزق لحمه حتى يموت شرمية . كان هذا قبيل بغارة فرنسا على الجزائر . ولا يجهل أحد من قراء الصحف حال بقية الممالك التي لا تؤثر فيها حالة الأوربيين ولم تحملها على تغيير سلطتها الاستبدادية إما لحملها بها لعدم الاختلاط بهم واقتباس علومهم والوقوف على حال حكوماتهم كموالكش وأما لأن السلطة الاستبدادية فيها لا زال أقوى وأقدر على منع العلم عن المجاهدين ، مع مطاردة طلاب الإصلاح من المعارفين ، كما هو شأن الحكومة النمانية ان بحرية الاستانة للعلم والدين ، ومطاردة العقلاء والمعارفين ، لفوق ما يتخيل المتخيلون ، لأنها اضعاف ما يروي الراويون ، ان أكثر المطبوعات العربية الجديدة التي تعد في مصر من آيات الارتقاء التي استمدت أو تستمد بها الامم لأن تحكم نفسها بنفسها هي في الولايات النمانية من أشد الجنايات وأعظم الجرائم تضطرب قد كرها القلوب وترصد الفرائص حتى من أولئك الذين يصفكون الدماء بلا سوق في وقت الضحى لأن سافك الدم كثيرا ما يسلم بالرشوة أو المحاباة ، وإذا حوكم لا تبرأ منه المحاباة ، وإذا حكم عليه يدركه المغوف في أحد الأعياد بعد عشر سنين أو أقل ، أما من يتهم باقتناء كتاب مما يهد منها للافكار أو يطلبه من مصر فلا يتجرأ أحد على الدفاع عنه ، ولا على الارتشاء منه ، ولا يؤخذ منه عدل ولا نفعه شفاعا ،

كم من عالم عامل ، ومن غيور فاضل ، ين في ظلمات السجن لا يتجرأ أحد على ذكره ولا السؤال عنه ، وكم من عالم وغيور أخرج من داره ، ونفي الى حيث لا يسمع أهله وولده بذكره ، وما كنت عازما على الإشارة الى مثل هذا لولا أن

أقني التي قبل هذه الكتابة رقيم من الحجاز فيه ان أمير مكة حلد بعض أهل العلم مثله جلالة على مشهد من الناس ثم كنه في السلاسل والاغلال لأنه كتب كتابا في التوحيد قل فيه ان الأمر كله لله لا ينبغي ان يطلب الخير ودفع الضر من غيره عز وجل بعد المعجز عن الاسباب التي سنها واستعمل القوى التي وهبها فصار إظهار التوحيد الخالص ممنوعا بهذه الحكومة في حرم الله ، وقد كان أعظم مغاير له في أرض الله ،

هذا واليابان نفاخر أور بالحرية والعدل وحكم الشورى وإيران تحاول مجاراتها في ذلك ومصر لا حديث لها الا المجلس النيابي فمن أبنائها من يلج بطلبه الآن ومنهم من يقول يجب أن نمد له أولا عذته ونكتفي الآن بتوسيع اختصاص مجلس الشورى ومجلس المدريات . وقد سبقهم العمانيون الى المطالبة باعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان (أي النواب) ورى أهم حديث لعمرائد التونسية في هذه الأيام حديث مجلس الشورى عندهم والمطالبة بانصاف التونسيين من الأوربيين لكن الفرق بين المصري وأخيه العماني أن الأول يجهر بطلبه في لده ويناقش حكومته جهرا في المجلس الرسمية وفي الجرائد وفي المحفل العامة والخاصة وقد يطمئن عليها وعلى القوة المشرفة عليها وهي تدح له ذلك والعماني لا يتجرأ على الحديث بذلك في بلاده وان كان في كسريته قد أغفت ، دونه الأبواب ، وأرخت عليها السجوف والاسنار ، لانه أعلم الناس بالمثل القائل « للحيطان آذان » وهو لا يأمن على نفسه الاهل والخيران ، لأن الاستبداد ، قد أسعد الناس أي افساد ، حتى صار الرجل الحر يفر من أخيه ، وأمه وأبيه ، وفصيلته التي زوجه ، وانما يجهر بذلك في أوربا ومصر ، وكل بلاد ليس فيها لأبناء جنسه سلطان ولا حكم .

فأعظم فائدة استفادها أهل الشرق من الاوربيين معرفة ما يجب ان تكون عاياه الحكومة وصطباغ نفوسهم بها حتى اندفعوا الى استبدال الحكم المتعبد بالشورى والشرعية بالحكم المطلق الموكول الى ادارة الافراد ففهم من مال أمه على وجه الكمال كالبا ان ، ومنهم من بدأ بذلك كإيران ، ومنهم من يجاهد في سبيل ذلك بالنفم واللسان ، كصهر ورتيا

أثبتت هذه الفائدة بالشئ، التافه ولا بالا من اليسير ولا هي بالمنفعة التي تقوّن بالظواهر بل هذه مرتبة البشرية العليا، في هذه الحياة الدنيا، فإن القوم الذين يرضون أن يستبد بهم حاكم يقبل فيهم ما يشاء ويحكم بما يريد يفتي أن يدوا من الدواب الرعية، والانعام الساعة، إذن هذه الفائدة هي عبارة عن الارتقاء من حضيض البهيمة، الى أفق الانسانية، فحسب الشرق أن استفاد هذه الفائدة وعرف قيمتها

لاقتل أيها المسلم ان هذا الحكم أصل من أصول ديننا فنحن قد استفدناه من الكتاب المبين، ومن سيرة الخلفاء الراشدين، الامن معايشرة الأوربيين، والوقوف على حال الغربيين، فانه لولا الاختار بحال هؤلاء الناس لا فكرت أنت وأمثالك بأن هذا من الاسلام ولكن أسبق الناس الى الدعوة الى إقامة هذا الركن علماء الدين في الا-تانة وفي مصر وما كش وهم هم الذين لا يزال أكثرهم يؤيد حكومة الأفراد الاستبدادية. وهذا من أكبر أعوانها، ولما كثر طلاب حكم الشورى المقيدم الذين عرفوا أوربا والأوربيين، وقد سبقهم الوثيون الى ذلك. ألم تر الى بلادنا كش الجاهلة بحال الأوربيين كيف تنحط في ظلمات استبدادها ولا تسمع من أحد كلمة «شورى» مع أن أهلها من أكثر الناس تلاوة سورة الشورى ولغيرها من السور التي شرع فيها الأمر بالمشاورة وفوض حكم السياسة الى جماعة أولى الأمر والرأي

فإن قلت ان أول من نبه المصريين الى حقوق الأمة على الحاكم وإلى فضل حكومة الجمهورية والملكية المقيدة على الحكومة الاستبدادية شيخان من شيوخ الدين وامامان من أئمة الاسلام وهما السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده واليك أنت قد نشرت في «المنار» مقالات للسيد مقالات في «الحكومة الاستبدادية» كانت مما نشره هو في بعض الجرائد على عهد اسماعيل باشا وهي تحرك الجهاد وصرحت في ترجمة الشيخ بأنه كان يدعو الى ذلك وأنه قال بل كتب عن نفسه هذه الكلمة الجلية «دعونا الى هذا الاستبداد في عقوباتنا، والظلم فاقض على صولجانه، ويد الظالم من حديد، والناس كلهم عبيده أي عبيد» وقد كان مضي على المصريين أكثر من

نصف قرن وم يقدرون علوم أوربا ويشتركون مع الأوربيين في كثير من الأحوال ويتزاحمون معهم بالمناكب ويبادلون بالأموال ولم يخطر في بالهم أن يقدموا باصلاح الحكومة والسيطرة عليها

ان قلت هذا محتاج على اتنا نحن المسلمين ، قد اقتبسنا فائدة مقاومة الاستبداد من الدين ، فان لي أن أجيبك عن ذلك بأني لا أنكر أن ديننا يفيد ذلك كما رأيت في مقدمة هذا المقال . كيف وانني لم أطلع على كتابة لأحد في ذلك أوسع مما كتبته في « المنار » وانني مطلع على سيرة هذين الامامين الحكيمين وعالم بأنهم كما قد عاها هذا توفيق باشا قبل ان يصير الأمر اليه على نصره وعاهدما هو على انشاء مجلس نيابي وعلى تعميم التعليم في القطر المصري ، ومع هذا كله أقول اننا لولا اختلاطنا بالأوربيين لما تنبها من حيث نحن أمة أو أم الى هذا الأمر العظيم ، وان كان صريحاً جلياً في القرآن الحكيم ، نعم ان استاذينا الحكيمين رحمهما الله تعالى أهل لأن ينهما ذلك من القرآن لانهما أول من دعا في هذا العصر الى جملة أساسا للإصلاح وينا من حكمه وفضله ، ما عجزت الأوائل عن الاتيان بمثله ، ولكن كلامنا في تنبه الشعوب الشرقية على اختلاف مللها ونحلها ، لا تنبه فيلسوفين من أهل ملته منها ، على أن هذين الحكيمين قد استفادوا من الاعتبار بحال أوربا وعرفوا حال أهلها قبل دعوتهما الى هذا الإصلاح

لا يشبه الامة الى مثل هذا التعبير العظيم الا الاحساس بالخطر والخوف من سوء العاقبة وروية الدهر بأعينها ، ومما ع أخبار الذين صرعوا الاستبداد من قبلها ، ولذلك نقول اننا ما عرفنا قيمة هذه الفائدة لا بعد أن أحسننا بالله الله النبي تقاها وهي موثبة استقلالنا والاغنياء عليه وهي ما نسينا في تسم المضار ان شاء الله تعالى

فَسَاءَ الْمَسَانِينِ

فتحت هذا الباب لأجابه أسئلة المشركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته (وله بسند ذلك ان يرزى الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعاً مقامات اخرى لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وورعاً أجنبياً غير مشترك لئلا هذا ، ولكن بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة قال لم نذكره كان لنا غير صحيح لا غفله

مختار أسئلة من بعض أهل العلم بتونس

التوحيد وترقي ملك الموت للناس

(س ١٤) أعظم أساس أقيم عليه هيكل الاسلام توحيد الله تبارك وتعالى واعتقاد انه وحده المنصرف في الكون وكيف نجاح هذه العقيدة الاعتقاد بملك الموت الذي جاء به قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) فما الحكمة في تفويض أمر ترفي الانفس لهذا الملك

(ج) ان تفويض الترفي الى بعض الملائكة كتفويض تبليغ الوحي للأنبياء الى بعضهم كتفويض تبليغ الرسالة للناس الى المرسلين كتفويض غير ذلك من الأعمال الى الخلقين كل ذلك لا ينافي التوحيد وكون الله سبحانه وتعالى هو المنصرف في الكون لأنه عز وجل هو الذي أقدرهم وهو الذي سخرهم ولو سلمهم ما أعطاهم لما فندروا على شيء ولكن قضت حكمته ان يربط أمور الكون بعضها ببعض فيجعل هذا سبباً لذلك وهو واضع الاسباب والمسببات وهو بالمال والمولات وقديرين لنا في كتابه كلنا الحقيقة تن- حقيقة ربط الاسباب بالمسببات وحقيقة انفراد الخلق والتدبير . ومنه ذلك الربط وانفس خبير . فكما قال (٣٣ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (٤٢ : ٣٩) الله يتوفى الانفس حين موتها وقال (٦٢ : ٣٩) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) ولكل مقام مقال ولا تنافي بين الحقيقة تن عند المنلاء حتى من أهل الوثنية الراقية كشركي العرب وقت البهثة وأما كل شرك هؤلاء خاصة بالعبادة وهو التوجه بالقلب الى غير الله في قضاء الحاجات عند العجز عن

الوصول اليها من طريق الاسباب أوفى الترتب الى الله وما يتبع ذلك من دعاء
الموجه اليه وجعله وسيلة الى الله كما بين لنا ذلك الكتاب العزيز في آيات تنطق
بأنهم كانوا يستقدون أن الله خلق كل شيء وان ما يدعون من دونه انما يدعى
ليشفع لهم عنده ويفرهم اليه زاني وهذا هو الشرك في الالهية وقد شرحناه
سرارا كثيرة في بابي التفسير والفتاوى وغيرها من أبواب المنار وترى منه شيئا
في التفسير من هذا الجزء . وهذا النوع من الشرك هو الذي ابتلي به أكثر الخلق
بما يقيسون في هذا الاصل الذي يجب ان يكون مبنيا على البرهان القطعي لا على
القياس الظني أو الوهمي وناهيك بقياس الرب الوحي العظيم الحكيم على الملوك انفسا
الجهلاء السفهاء اذ يقولون : ان الملك يقضي حاجات الناس بواسطة المقر بين اليه
من حاشيته أو وزرائه أو يكل اليهم ذلك ولا يسمع لكل أحد ان يطلب حاجته منه
مباشرة فكذلك يفعل الله سبحانه وتعالى عما يصفون فقد أبطل هذا قياس على
أسنة جميع رسله وهدى الناس الى أن يلتصقوا منه حاجاتهم بالسير على منه في
الاسباب والمسببات حتي اذا أعوزهم السبب وضاعت بهم السل ونفدت منهم
الحيل وجب عليهم أن يلجؤا اليه ويعولوا في أمرهم عليه ويخضوه بالدعاء ويقصروا
عليه الرجاء عسى أن يهديهم الى ما حلوا من الاسباب أو يوقف عليهم ثقل
ما حلوا من الاوصاف ولم يأذن لهم أن يدعوا من دونه أحدا ولا أن يطلبوا منه
عونا أو مددا أما تقرأ ما أمر به خاتم أنبيائه وصفوة اصفيائه (٧٢ : ٢٠ قل انما
أدعوني ولا أشرك به أحدا ٢١ قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ٢٢ قل اني
لن مجبرني من الله أحدا ولن أجدم من دونه متلحدا ٢٣ الا بلغاء من الله ورسله)
فاذا كان خاتم النبيين والمرسلين لا يملك للناس ضرا يدفعه أو نفعا يرفقه أو رشدا
يهدي به القلوب بل بملك التبليغ للرسالة فقط وهو فيما عدا ذلك بشر مثلكم فاذا
تقول بغيره ممن يطلب منهم ذلك ؟

اما الحسكة في جمل قبض الارواح موكولا الى ملك الموت فهي داخلة في
الحسكة العامة في ربط الاسباب بالمسببات وجعل الأرواح الطائفة عاملة في
الاجسام الكثيفة وعلى طالب الحسكة ان يعرف ذلك فتي عرفه أو عرف منه لم

يقول لم كان كذلك لانه يشاهد أنه انتهى السكّال في الابداع كما أن منتهى الجبل في الناس أن يظنوا أن خلق كل شيء أمّا هو أدل على كمال قدرة الخالق كما تخيلت القدرة كأن هؤلاء الجاهلين يرون أن الحكمة والنظام بتأني كمال القدرة تعالى الله عن جهلهم

﴿ قيام الدين بالدعوة . وحديث أمّرت أن أقاتل الناس ﴾

(س ١٥) الاسلام كما لا يخفى عليكم قام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف والقوة كما يعتقد الكثير من أصدقاء الدين الجلاء وكيف يجامع هذا قوله صلى الله عليه وسلم « أمّرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فانه صريح في ان القتال كان ليعمل على الدخول تحت لواء الاسلام

(ج) أما كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف فهذا قطعي لا ريب فيه واما الحديث فقد ورد في مشركي العرب الذين لم تقبل منهم الجزية بعد الاذن بقتلهم وما أدن للمسلمين بقتالهم الا بعد أن آذوا النبي ومن معه وأخرجهم من ديارهم وأموالهم وقدموا لهم كل مرصد ووقفوا في سبيل الدعوة فلم يكن الاذن الا للدفاع عن الحق وحماية الدعوة كما بيناه مرارا وليس الفرض من الحديث بيان أصل مشروعية القتال فان هذا مبين في الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٢٢ : ٣٩) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (الآيات وقوله (٢٢ : ١٩) وتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا (الآيات واما الفرض منه بيان أن قول لا إله الا الله كاف في حقن الدم وإن لم يكن القاتل لها من المشركين معتقدا لأن الأمر في ذلك ينشأ على الظاهر . وهذا بالنسبة الى وقت القتال ولكنه بعد ذلك يومر بالصلاة والزكاة فان امتنع عن قبولها لا يمتد بإسلامه كما يؤخذ من رواية « حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقبضوا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وهو في الصحيحين على غرابته لان شبهة نفرد بروايته عن واق وقد تعدد من الاشكال فيه ان يكون راويه ابن عمر مع ما علم من محاجة عمر لابني بكر في قتال ما نهي الزكاة ولم يحتج به عمر ولا ابنه قاله له وأجاب ابن حجر عن هذا

باحتمال نسيان عبد الله له في ذلك الوقت . ومما يؤيد قولنا ان الحديث خاص بالمشركون وان كان لفظه عاما رواية النسائي له بالنظر لا أمرت ان أقاتل المشركين « وقد علمت ان المراد بياذية القتال لا مشروعيته وان سبب مشروعيته الدفاع وتأمين الدعوة ومنع الفتنة لا الاكراه على الدين الذاتي بنص القرآن الحكيم ﴿ الاضطهاد في الدين وقتل المرتد ﴾

(س ١٦) اذا كان الاسلام لا يضطهد أحدا لعقيدته فكيف يشمر قتل المرتد الثابت بقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه »
(ج) كان المرتد من مشركي العرب يعود الى محاربة المسلمين وابتدائهم فمشروعية قتله أظهر من مشروعية قتال جميع المشركين المحادين للاسلام . وكان بعض اليهود ينفر الناس من الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقتل قوله بالظن فيه . قال تعالى (٣ : ٧١) وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، فإذا حدد أمثال هؤلاء بقتل من يؤمن ثم يرتد فانهم يرجعون عن كيدهم هذا فالظاهر ان الأمر بقتل المرتد كان لمنع شر المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لأسباب تضمنت سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصر سياسة هوفية عسكرية لا اضطهاد الناس في دينهم . ألم وإن بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم اليهوديين على الاسلام فتمهم النبي (ص) يوحى من الله عن ذلك حتى عند جلاء نبي الصغير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزل آية (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين)

﴿ حكاية القرآن المسخ في بني اسرائيل ﴾

(س ١٧) جاء في القرآن الحديث عن مسخ بعض الامم من بني اسرائيل فويل هو محمول على حقيقته من انقلاب الاعيان كما هو مذهب الجمهور (وهو مخالف لسنة الله في الكون) أو هو محمول على التشنيع بالمهم كما هو مذهب مجاهد ؟ واذا كان كذلك فهذا يهيب عن قوله صلى الله عليه وسلم « من خنت امرأة من بني اسرائيل »

هذه الآية وما مائلها تعد من أصول الدين وقواعده العامة التي تقضي على غيرها ولا يقضي عليها شيء ولا يمكن رد الحديث إليها فيما وصل إليه علمنا لا يحمله على ذلك السبب الخاص فكان الضرورة قضت بذلك في تلك الحال

(ج) لفظ المسخ لم يرد في القرآن الا في آية واحدة هي قوله تعالى (٢٦: ٦٧) ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) وهي بيان لقدرة الله تعالى على الانتقام منهم لو شاء ولكنه لرحته لم يفضل كل ما يقدر عليه من التكبد بالكافرين والظالمين والمروى عن السلف تفسير المسخ هنا بالإقدام أو الإهلاك وروى ابن جرير عن الحسن «لو نشاء لمسخناهم على مكائهم قال لو نشاء لا قعدناكم» ورواه عن قتادة بلفظ «لا قعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا ان يتقدموا ولا أن يتأخروا» وروى عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها «ولو نشاء أهلكنهم في مساكنهم» ولم يرد عن أحد أنه قال ان المسخ تحويل الحلقة من شكل الى شكل ويقول الراغب في المفردات ان المسخ تشويه الخلق والخلق وتحويلها من صورة الى صورة: وهو مأخوذ من مسخت الناقة أي أنضيتها حتى تغير خلقها ولا يفهم منه أنك جعلتها بقرة والحديث الذي ذكرته لا أتذكر ان يرد ولكني أعلم انه ليس في الصحيحين والخطب في مثله سهل بعد الذي علمت وبعد العلم بأن هذه الروايات في الأمور التي يطلب فيها العلم الصحيح ليست مما يحتاج به

الهداية التي تكلم في آخر الزمان

(ص ١٨) ما مضى قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض نكلمهم) فهل الآية محمولة على ظاهرها أو هي كناية عن ظهور المجائب (ج) هذه الآية مما أخبر الله به عن المستقبل البعيد فهي من أبناء الغيب التي تؤخذ بالتسليم ما لم يكن ظاهرها محالاً فتعمل على خلاف الظاهر بالتأويل كما هي القاعدة وكلام الدواب ليس محالاً في نظر العقل ولذلك يعلم علماء الافرنج الآن في معرفة لغة بعض الحيوانات كالقردة والبيضاء تكلم بالقدر المعروف

ويحتمل أن تترقى في هذا الكلام كما يحتمل أن توجد حيوانات أخرى تكلم الناس ولا قبل أقاصيص المفسرين في ذلك

﴿ طائفة محمد بن عيسى أكلة الثعابين والنار ﴾

(من ١٩) من الناس طائفة تنسب إلى الشيخ محمد بن عيسى وثاني من المكرات ما يتقلب له وجه السنة ولكن تظهر من الحوارق ما يقف الناظر متحيراً دون الوصول إلى حقيقته وأدراك كنهه كأكل ذوات السموم واجتلاع المدى وإدخال السيف في البطن واليمين وإصاق النار بالبشرة وأكلها وليس شيء من ذلك بخاراً لهم إنما الحقيقة فيها يأنونه

(ج) لو قرأتم ما كتبناه في الكرامات وخوارق العادات في المجلد السادس وغيره لا كنتم به عن السؤال بهذا . إن الذين يتخذون حمل الغرائب صناعة كثيرين في كل أمة وأواع هذه الغرائب كثيرة وكل عاقل يحزم بأن ما يراه منهم يمكن أن يكون من غيرهم إذا هو بمن عليه وهو على نوعين شعوزة يخيل صاحبها إلى الرائي غيبي الحقيقة وأمور طبيعية جاءت على غير ما يعرف الرائي فظن أنها غير طبيعية . ومضى ظهر للإنسان شيء من أعمالهم على حقيقته وعرف سببه بطل تعجبه والعاقل بقيس ما لم يعلم من ذلك على ما علم فأما أكل ذوات السموم وهي الثعابين فهو لا يضر إلا كل بطبعه له وقد استخرج بعض الأطباء سم الثعبان وأكله وإنما يضر إذا أصاب الدم ابتداء ولكن قد يضره الوم إذا هو أكله معتقداً أنه ضار . وأما اجتلاع المدى فما أراه إلا من الشعوزة فهو يخيل إليك أنه ابتلع المدة من حيث يكون قد ألقاها بحقة لم تضر بها وإنما أدخل السيف في البطن والحربة في جنن العين فقد شاهدت عمل الرقاعية له ورويت أنه إيهام وتخيل . وأما مس البشرة بالنار فهو مما قد يكون بالتعود ومما قد يكون بالتخيل وكلاهما مما شاهدته وقد أخرجت واحداً منهم واردته على أن يمكنني من وضع النار حيث أريد من بدنه فلم يقبل ثم استتبته فأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك . ولك أن تراجع ما كتبناه من قبل في ذلك

أثر عمل العرب

﴿ فرائد اللغة العربية ﴾

في لغتنا الفنية فرائد كفرائد اللاك ، قد أهملت على جدارتها بالاستعمال ،
ومنها المفردات التي يؤدي الواحد منها معنى جملة . وكانت شرعت في جمعها
قبل الهجرة الى مصر فكتبت منها أوراقا من حرفي الهزة والباء ثم حال السفر دون
المضي في العمل . وقد عني لي الآن أن أذكر بعض هذه الفرائد أذكر بها الكتاب
لعلهم يستعملون منها ما يروق لهم . ولم أراع في الكلمات الآتية ترتيبا ولا نظاما
الترتيب ما يحظر بيالي أولا فأولا . وهناك ما خطر الآن

(التعذيب) ان تستمع القوم فلا يسمعك أحد وهو مصدر جذذ الرجل
(الدلال) ككتاب : أن يقول واحد فيها بقية وآخر ليس فيها بقية — وأن
يعرض أمران فلا يندري الى أيهما يصير فانت تعرف في ذلك وهو مصدر عادل
(اللوبة) بالضم كاللوبة : القوم يكونون مع القوم ولا يستشارون في شيء
(المراريل) قوم عرازيل : مجتهدون في لصوحيبة
(الاوشاب) اختلاط الناس المنفردون ومثله (الاوقاع)
(الاوقاس) بالهمزة والمهملة السقاط والصيد وأشباهم
(الفروخ) السفة واستماله بمعنى الضوضاء والجلجلة خطأ . وقيل الفروخ
الكثير المختلطون

(الطراء) القوم يمشونك من سيد من غير ان تشر بهم وهو من الطراء والطرو
(التفج) الاجنبي يدخل بين القوم ويصلح أمرهم أو الذي يفرض
لا يصالح ولا يفسد

(المتفج) الذي يفنخر بأكثر مما عنده

(التفاج) المتكبر يفنخر بما ليس عنده

(المرضى) بكسر الميم وتشديد الراء الذي يتعرض للناس بالشر
 (الفيدار) الذي يسمى الظن فيصيب
 (المن) بالكسر من يدخل فيما لا ينبغي ويمرض في كل شي وهي معنة
 (المفن) بالكسر ذوالفتون والفرائب وهي مفتة
 (الضفاج) الكثير الكلام المنشعب بما ليس عنده
 (الضمضاع) الرجل بلا حزم ورأي ومثله الضمضع
 (الوهين) الرجل يكون مع الاجبر يحته على العمل (عزاه التهذيب الى
 أهل مصر)

(التوليح) ولج ماله : اذا جله في حياته لمض ولده فسامع الناس فاقدهوا
 ونحووا عن سوائه . وقال ولج ماله

(الاغراب) أغرب الرجل بالغ في الضمك - ونزوح من غير أهله .
 وأجرى فرسه الى ان مات

(التنصى) تنصى القوم : تزوج من خيارهم وشرفاتهم الذين هم ناصيتهم .
 ومثله نذرهم أي تزوج من قوتهم

(الفراطة) كناية : الماء يكون شرعا بين عدة أحياء من سبق اليه فهو له

(التناوة) بالكسر : ترك المداكرة والمداورة

(الافتاق) يقال أفتق فلان اذا سمعت دوابه

(الافتاق) « أفتق الرجل : تعم بعد بوئس

(الافتجار) « افتجر الكلام : اخترقه من غير ان يسمعه أو يعلمه من أحد

(الافتحار) « افتحار الكلام والرأي أي به من قصد نفسه ولم ينابعه عليه أحد

(التجرم) تجرم عليه ونجى عليه وتذقح له : نسب له الذنب مالم يفعل .

(الدقاقة) بالضم وتشديد القاف من ذود الذقاع والتجرم

تاريخ الاستاذ الامام

قد تم طبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ فأما الثاني فهو في منشأته وآثاره القلمية التي لم تدون في الكتب ك مقالاته القديمة والحديثة في الجرائد ولوائحه في الاصلاح والتربية والتعليم وكتبه ورسائله للعلماء والفضلاء . وناهيك بمقالات العروة الوثقى . وصفحاته ٥٦٠ وأما الثالث فهو في التأين والتأذي والمراثي وصفحاته ٤٢٨ ولطفا أطرف كتب الأدب المصرية وأنفها . وانا نقرظ كلا منهما بنشر مقدمته فلهما أحسن ميين لحقيتهما

﴿ مقدمة الجزء الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ * (سورة يس)

مات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) ولم يمت بل هو حيٌّ بآثاره ، التي هي مقبس أنواره ، مات الموت الطبيعية ، وحي الحياة العقلية الروحية ، فهو لا يزال كما كان ، قبل ان ينسب عن الميان ، تنقل أقواله ، وتذكر أعماله ، وتكتب معارفه ، وتشكر عوارفه ، ولا غرو فان للعلماء والحكماء في هذه الدنيا حياتين - حياة جسمية محدودة بتبدى يوم الولادة وتنتهي يوم الوفاة ، وهي الحياة الحيوانية التي يشاركون فيها سائر الناس بل سائر الحيوان - وحياة عقلية روحانية غير محدودة وهي تبدى بظهور عوارفهم النافذة لأمتهم أول كل من يعينها من الناس

وتدوم مادام الزمان ، وبقي من الناظرين في آثارهم انسان ، وقد كان الاستاذ الامام من خيرة هؤلاء العلماء ، وأفضل أصحاب هذه الحياة من الحكماء ، تشهد له بذلك آثاره المرقومة في وجوه الصحاف ، وما أثره المرسومة في ألواح القلوب ،

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

يسفر لك هذا السفر من تاريخ هذه الحياة عن الرجل وهو فيادون العائنة منها (وفي نحو الرابعة والمشرين من حياته الطبيعية) تارة يحمر الوردات الآتية في حقائق علم الكلام الاعلى ، ويسير في المزج بين عرفان الصوفية وبرهان الفلاسفة على الطريقة الخليلي ، متمكناً من مقام التوحيد ، متكباً عن مقعد التقليد ، على حين لا توحيد ولا كلام هند المشتغلين بالعلوم الدينية ، الاحكامية بعض ما قاله متأخرو الاشعرية ، وتارة يقتبس أنوار الحكمة من أستاذ السيد جمال الدين ، وفيض منها على عقول المستعدين ، بما يكتب من المقالات ، في فلسفة التربية والصناعات ، وآونة يجر الفصول الانشائية ، ويحلي المعاني المصرية ، في أبواب الاسجاع الحيرية ، ويزفها كاخراثة ، على منصات الجرائد ، داعياً الى استقلال الفكر ، وتناول علوم العصر ، حاثاً على ترقية الامة ، حاضناً على تجديد مجد الملة ، آسراً بالاتحاد على ترقية الاوطان ، ناهياً عن التمسك القديم بين المختلفين في الاديان ، فهذا مثال طور الطلب والتحصيل من حياة الرجل العقلية ، ويتبدى في الكتاب برسالة الوردات وينتهي بالتحفة الادبية ،

ثم يمثله لك في طور آخر . وهو تارة بين أبواب الرياسة ، يرشدهم الى طريق الادارة والسياسة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، لترقية الربة وعمران

البلاد ، وتارة يشرف على الامة بالوعظ والتعليم ، ويسلك بها صراط الحياه
 المستقيم ، يبين غوائل السرف وفوائد الاقتصاد ، وتقوم النفوس بمقاتل
 الفضائل وأحسن الآداب ، بعد تطهيرها من لوث الخرافات ، ومساوي
 التقاليد والمادات ، يهبط على الفلاح في حرثه فيخطبه بما يفهم ، وصرح
 بطلب الحكمة الى الله فيعلمه ما لم يكن يعلم ، - وهذا هو المثال الاول
 لطور العمل ، من الحياه المنوية للرجل ، يحليه لك مقالته في جريدة
 الحكومة الرسمية ، وجل عمله فيها خاص باصلاح حال البلاد المصرية ،
 ثم يحليه لك مع أستاذ في الديار الأوردية ، متعدين على ارشاد جميع
 الشعوب الاسلامية ، السيد الحكيم يقترح ويدبر ، والاستاذ الايام
 يكتب ويحرر ، يدعو الى العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ويجمعان
 القلوب على الوحدة وكانا أحق بها وأهلها ، هنالك تجعل لك روح القرآن ،
 هابطة من سماء الحكمة والعرفان ، مؤيدة بالفرقة والسلطان ، تطوف
 بتلك العروة البلاد ، وتصافح قلوب أهل الاستعداد ، فتحيا حياة جديدة ،
 وتجذبها الى عيشة سعيدة ، هنا لك ترى الالهام الآتي ، يمد بتأثيره العلم
 الكسبي ، فيصيان مواقع الاقناع من القتل ، ويلفتان مواضع التأثير
 من النفس ، فلا قرأ القارىء ما في العروة من بيان حال المسلمين ، وأسباب
 ما أصيدوا به من البلاء الممين ، وما تطب لدائهم ، ونصف من دوائهم ،
 الا وينتهي أسير البرهان ، مملوك الوجدان بالاذعان ، مندفعاً الى المسئل
 بذلك البيان ، بالجنان واللسان والأركان ، وذلك طور مستوى القوة ،
 وكمال الفتوة ، ومنتهى علو الهمة ، ويبيع النفس والوقت للملة والامة ،
 ثم يظهره لك رابضاً في الديار السورية ، يعمل لاصلاح الانسلاسل

بإصلاح الدولة العثمانية ، أو مقها في الديار المصرية ، بين لأولي الامر
 طريق الإصلاح بالترية الدينية ، وهو في القطرين يتكلم عن فهم ثاقب ،
 ويرى عن فكر صائب ، بين طبائع البلاد والساكنين ، ويجمع بين
 مصالحة الحاكمين والحكومين ، ويهديهم الى الطريق القويم ، في نظام
 الترية والتعليم ، مرفها باستعداده لتنفيذ العلم بالعمل ، مصرحاً بضمان تحقيق
 الامل ، وفي ذلك ما فيه من اعماده على الله ، ووقته بالقوى والمواهب التي آتاه ،
 يلوح لك ذلك في لوائح الإصلاح ، وما فيها من اشراع مناهج القلاح
 ثم يبرز لك في طور المبارزين ، للطاعين على الدين المبين ، فيترأى لك أن
 ظله أمضى من الحسام ، وكله أنفذ من السهام ، فهو بهما يكرّ ويصول ،
 ويجنبدل من المجادلين الفحول ، ولا ينثني الا والحق غالب على أمره ، وبالباطل
 مغلوب يأرزالى جهره ، وحسبك من ذلك رده على موسيو هاتون في قوله في
 طبيعة الديانتين الاسلامية والمسيحية ، ثم رده عليه في مسألة الجامعة الاسلامية ،
 ثم يريكه يحجب الاقطار ، ويقطع أجواز البحار ، للنظر في آثار
 الاولين ، واستخراج المبر منها للآخرين ، قراء في صقلية مرة يتصفح
 الصحف والاسفار ، ويستنطق العاديات والآثار ، ويقرأ ما نقش على
 الجدران بالمرية ، لتحقيق المسائل التاريخية ، ومرة يبحث عن الاخلاق
 والعادات ، وينقب عن المنشآت والمعتمدات ، يتردد بين الاديوار والكنائس ،
 والمقابر والمدارس ، ثم يزف ما استفاد الى أمته ، فيما كتب عن رحلته
 ثم يكشف لك عنه الحجاب ، وهو يرسل العلماء والكبراء والكباب ،
 فخارة يتلو عليك من كتبه الى حزب المصلحين ، وأهل البصيرة من علماء
 المسلمين ، ما تخشع له القلوب ، ويحدر من وقعه الشؤون ، فكانت لك منه

وقد عاد بك الاسلام ، الى عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، فأريت نفسك تدفق غيرة على الدين ، وتفيض حزناً على ماحل المؤمنين ، فلم يبق لها م الا ان تكون كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، أو كأنك معه في عصر الراشدين ، وكأنه معك أمير المؤمنين ، يصول على الارواح بمواعظه الصادقة ، ويختلب الابواب ببلاغته الرائعة ،

ومرة يشف مسامحك بالؤلؤ والمرجان ، من رسائل الوداد الى الاصدقاء والخلان ، فيمثل لك الادب الباهر ، واللفظ الساحر ، ويصور لك الوفاء في أجل صوره ، والاخلاص في أجل مظاهره ، والصدق في الحب ، على البعد والقرب ، ويريك من ذلك الرجل الحزين على أمته ، المستغرق في عمل الاصلاح ملته ، أديبا طريفا ، وندىما لطيفا ، حسن الاماليح ، مليح الافاكيه ، حلوا فكاهة مرّ الجدة قدمزجت بشدة البأس منه رقة الغزل وآونة يقرئك مما كتب الى المؤلفين بالعربية ، أو المترجمين للكتب الاجنبية ، ما يرفع من أقدارهم ، ويشب من نارهم ، وما يشعذ غرار همتك ، ويترجي ركاب عزيمتك ، الى أن تكون من زمرةم ، وتساهمهم في مثل خدمتهم ،

وأحيانا يسمعك من تعازيه للمحزونين ، ومواعظه للمرزوقين بالاقربين ، ما يحلوه سرير الصبر ، ويرغب فيما عند الله من المثوبة والاجر ، ويترك القلوب مفثوة الماثرة ، قد سكنت قدرها الفائرة ، وأنشأت تشيع الاحزان ، وتستقبل السلوان ،

ثم يحتم لك ذكرى هذه الحياة الروحية ، والآثار العتلية ، بشذرات من الحكم المشورة ، والآيات الماثورة ، قرى اجمالا يني عن تفصيل ، وقليل

لا يقال له قليل، كأنه مصورة مصفرة لتلك الروح الكبيرة، أو عناوين لتلك الكتب المسطورة، على أن الكتاب كله تف من أقواله، وتمودج من أعماله، وإن آثاره في النفوس، لا عظم من آثاره في الضروس، فهو حي في الآخرة بما قدم من عمل، حي في الدنيا بما ترك من أثر، يمثل حياته هذا الكتاب الناطق، وينشر خبرها الصحيح مریده الصادق،

محمد رشيد رضا

منشئ النار

﴿ مقدمة الجزء الثالث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَتُسَّكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

{ الانعام ٦ - ١٦٢ }

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَكُونُ (الجمانية ٤٥ - ٢٨)

كانت حياة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في جميع اطوارها وأدوارها خالصة لله تعالى من شوائب الرياء، وزعزعة الاهواء، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله، لا يرجو غيره ولا يفتنى سواه، لذلك كان في هياه ومماته آية في العلم والعمل لله وللناس، وحجة على أهل الجبل والجمود والجمود من جميع الاجناس،

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور في أمتنا، من

الرشدين والعلماء ، والملوك والامراء ، والشرقاء والاعنياء ، قد جوا
مكرمين . وماتوا مبكين ، وما كانت حياة أحد منهم كحياته ، ولا مماته
كتماته ، - مارأينا أحداً منهم في حداته فطرياً زكياً ، وفي شبابه متعلماً
صوفياً ، وفي كهولته فيلسوفاً اجتماعياً ، وفي شيخوخته حكماً رابانياً ،
مارأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس في الدين والدنيا ، من حيث
لا يطلب لنفسه الا الحياة الاخرى ،

مارأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله ، ويسترشد به
الغني ليفيد ويستفيد بماله ، ويرجوه المتعلم ليقبس من حكمته وفهمه ،
ويستهديه العالم الذي يريد ان ينفع بعلمه ، ويرجوه المحكومون لما يريدون
عند الحاكمين ، ويسفد منه الحكام كيف يمدلون في المحكومين ،
مارأينا أحداً منهم كان قبلة آمال المصلحين ، في السياسة والعلم
والدين ، قد أثلقت الاعناق وامتدت الابصار من جميع الامصار والافطار ،
ترقب آثار اصلاحه ، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه ، فالمصري في وطنه
يرجوه لمصر ، والمسلم في كل وطن يرجوه للاسلام ، والشرقي غير المسلم
يرجوه للشرق ،

هكذا كان مرجوا في حياته للعالمين ، اذ كان محياه خالصاً لله رب
العالمين ، وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين ، اذ كان حتي مماته محباً
لخير الناس أجمعين ،

ثم مارأينا منهم أحداً مات فبكاه السني والسني وغير السني ، وحزن
عليه الشيعي والاباضي ، ورنأه اليهودي والنصراني ، وابنه الشرقي
والغربي ، واستوى في التعزية عنه القريب بالأجنبي ،

مارأينا أحداً منهم مات ففتحه الجرائد كمنيه ، وأبنته بمثل ما أبنته به ، على اختلافها في العقائد والمذاهب ، وتباينها في المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له في عالم الاجتماع من الزعامة ، وفي عالم الدين من مرتبة الامامة ، وهما الزيتان اللتان يتحاسد عليهما الكبراء ، وينبري لمباراة صاحبهما العظماء ، بل يسلطون الالسنه والاقلام على من يخطب واحدة منهما ، فبالك بمن يتمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الاستاذ الامام بنافلين ، ولا عن النيل منه بساكتين ،

مارأينا أحداً منهم مات فمدّ موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للاخلاص والصفاء ، ورزؤه رزماً للمصريين ، بل رزماً للمسلمين ، بل رزماً للانسانية ومصابا على أهلها أجمعين ،

مارأينا أحداً منهم مات فتجاوبت الاقطار بالتمزية عنه ، وتناوحت الامصار بالرثاء فيه ، وشهد له القريب والبعيد ، والنوي والرشيد ، والذكي والبليد ، بأنه امام الزمان ، وسدرة متهى الرقمان ،

هكذا كان وقع موته في العالمين ، لانه مات كما عاش خالصاً مخلصاً لله رب العالمين ،

ليس هذا الذي أقول من خيالات الشمر ، ولا من باب الإطراء في المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من إعجاب الصديق والوديد ، ولا من اجلال التلميذ أو المريد ، وانما هو الحق اليقين ، الذي دوتّه أقلام الكتّابين ، املاء عن السنه الناطقين ، وهذا السفر بمض مادونوا ، ومادونوا البعض ما عاموا ،

ترى في هذا السفر اثباتاً لاعتقاد قوم من المؤمنين والمؤمنين والرايين،
وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتين، قد
تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الاقطار، واتفقوا على اختلاف اللغات
والمذاهب والديار، في اثبات المماني التي أثبتنا، مع تفصيل لما أوجلتنا،
وذلك هو التواتر الحقيقي، المفيد للعلم اليقيني،

تواتر لم يمهده عندنا مثال، دونه الطبقة الاولى في الكتاب، عن تواتر
ساز مسير الامثال، به عرفه البعيدون من الشعراء والكتاب، لا بتوارد
الخواطر؛ كما يقع الحافر على الحافر، ولا بوحى من آحاد متواطئين، الى
جماعات غير متعارفين، اذ لا سبيل الى التواطؤ، ولا ذلك الاعتقاد
والشعور مما يكون بالتوارد،

يدور الكلام في تلك التآيين والتمازي والمرائي على أربعة أقطاب
- (١) بيان الاعتقاد الذي تتبعه الآمال، و (٢) تمثيل الشعور و (٣)
ذكر الاعمال، و (٤) تخيلات الشعر، وإن هي تخلت الذر، وإنما يأتي
توارد الخواطر، في هذا القسم الآخر، كقولهم لو كان يقدى لهدينا به كذا،
وان الحياة بমেه أسمى وأذى، وانه كان بحرا في الجود والعلم، وطوداً في
الثبات والحلم، فأما ماهو من قبيل الاعمال، أو من اثبات الاخلاق
والخصال، فهو مما لا يكاد يتفق فيه خاطران، فكيف تتفق فيه خواطر
الزرافات والوحدان،

ترى في هذا السفر أقوالاً للافريقي والاسيوي، والامريكي (المقيم
في أمريكا) والاوري، ولك أن تقول للعربي والتركي، والافارسي والملاوي،
والافرنجي والبربري، وان شئت قلت للمسلم السني والشيعة، وللنصراني

واليهودي ، تنفق هذه الاقوال في ممان يحزم كل من رآها انها ناشئة عن اعتقاد ، سببه انتشار فضل الرجل في جميع الاقطار والبلاد ، حتى كان جديرا بقول الشاعر

وسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر
هذا ما يؤخذ مما نشر في هذا الكتاب ، واليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب منها ما قيل في حياته ، ومنها ما قيل بعد مماته ،
(ثم قلنا بعد ان أوردنا كلمات كبيرة فيه ، لبعض المشهورين كمختار
باشا ورياض باشا كانت نشرت في المنار)

هذا بعض ما سمعنا وما روينا ، على أن الامة لما تعرف كنه من فقدنا ، كما يقول المقلد المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة ما يقولون ،
فاثبتونا بعالم محير ، أو ملك أو أمير ، اعترفت له الامم بهذا الفضل الكبير ،
ينقسم هذا الجزء الى أقسام (الأولى) أقوال الجرائد العربية وفيه
فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الاسبوعية و (٣)
للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية في أمريكا
الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية في سورية فقد منعت من تأييد
الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص ٩ الى ١٥٠)
(القسم الثاني) أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصلان (١)
لجرائد التي تصدر في التطر المصري وقد رجحنا أكثرها و (٢) للجرائد
التي تصدر في أوروبا ولم يصل إلينا الا قليل منها (وهو من ص ١٥١ - ١٨٤)
(القسم الثالث) أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا
ما يصدر في مصر لانها هي الحرية بما لها من الحرية باظهار شعور فضلاء الترك

واعتقادهم بفضل هذا الامام العظيم دون التي في بلادها (من ص ١٨٥-١٩٨)
وقد فاقنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها
في مصر وكنا رغبت الى عظيم من عظماء مسلمي الهند وأعلمهم بقيمة الامام
وأشدهم له حبا بأن يترجم لنا أم ما كتبه جرائدهم فالت الموانع - من
مرض وسفر - دون أحافنا بما كان يجب من ذلك

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأيين بعض العلماء والفضلاء كان
نشر بعضه في الجرائد (من ص ١٩٩ - ٢٣٥) بعد الوعد به
﴿ القسم الخامس ﴾ ما قيل في حفلة التأيين والرثاء عند القبر
(٢٣٦ - ٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التعازي وهي نموذج مما كتبت بعض
المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب المسلمون من سائر
الاقطار (من ص ٢٧٥ - ٣٠٠)
﴿ القسم السابع ﴾ مرثي الشعراء مرتبة على حروف المعجم وقد
اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ - ٤٢٧)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان في الاول منهما استدراك شيء تابع لقسم
التعازي وهو تعزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه
جموده بك في جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والمستر براون
وفي الثاني استدراك آخر تابع لتأيين العلماء والفضلاء وهو تأيين اللورد كرومر
في تقريره الرسمي عن حال مصر الادارية والمالية وتأيين المستشار القضائي
في تقريره الرسمي عن القضاء في مصر (ص ٤٢٣ - ٤٢٨)
وتينا تأيين الجرائد في كل فصل على ترتيب أسماؤها بحروف المعجم

وكذلك رتبنا تأييد المؤمنين على حسب أسمائهم الا ماشد . وأما المرائي
فرتبناها على حسب حروف قوافيها وقصائدها كل قافية على حروف
ناظميها ، وماشد عن الترتيب فالسبب فيه تأخر ورودها حقه التقديم ،
أو الخطأ من المرتين ، وقد وردت الينا تأييد ومراث أخرى بعد الفراغ
من الفصول الذي قضى الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بمضاهيها
من التوقيع المدرف لصاحبها فأهملناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء
والرهديات في القصائد التي اختصرناها ،

وانا أقدم الى الامة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر
ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشمراته ، احياء لذكرى نائمتها
الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان ﴿ محمد رشيد رضا ﴾
ماشيء المنار

هذا وان أجدر الناس بالاستفادة من هذين السافرين طلاب العلوم
من مجاوري الازهر وتلاميذ المدارس لاسيما الراغبون منهم في تحصيل
ملكة الكتابة وبلاغة الانشاء على انها مما يستفيد منها كل قارئ .
وقد جعلنا ثمنها رخيصاً بالنسبة الى المطبوعات المصرية والى حجمها فان
مجموعها يبلغ زهاء ألف صفحة أو مجلداً من مجلدات المنار ولكن ثمنها ما خمسة
وعشرون قرشاً وأقل من نصف ثمن مجلد من المنار . وثن جزء المنشآت وحدث
خمس عشرة قرشاً وجزء التأييد والمرائي وحده عشرة قروش على انه سترين
بأحسن صورة للاستاذ الامام . وهناك نسخ مطبوعة على ورق أجود يزيد
ثن النسخة منها خمسة قروش . من يطاب نسخة مجلدة فليها ان يزيد خمسة
قروش أجرة التجليد . أما أجرة البريد عن كل جزء فهي ثلاثة قروش

﴿ كتاب الاخلاق والسير ﴾

كتب الامام الجليل أبو محمد علي بن حزم كتابا وجيزا سماه « الاخلاق والسير في مداواة النفوس » يكاد يصدق على كلمة فيه قول بعض الحكماء : العلم الصحيح هو ما اذا سمعت حديثك حسبت انك كنت تعرفه : قرأ ما قرأ منه فشر به نفسك وتعرفه فطرتك ويحكم عقلك بأنه حكاية عن حقيقة ما عليه الناس في أنفسهم ونتائج أعمالهم وآثار صفاتهم وأخلاقهم ويلوح لخيالك أنه مرآة القلوب والأفكار . ذلك أن مؤلفه لم يكن خطه منه كعظم أكثر المؤلفين : جمع وترتيب ونسخ وتبويب : بل كان هو عقله وفكره وأدبه فاضت عن نفسه فوقت على الصحف فكانت كتابا سواء منها ما هو محفوظ ومأثور وما هو مستنبط ومقول فهو اذا قل شيئا يتلقه بعد ان يعقله ويقله بل بعد ان يتفنى به نفسه ويصير جزءا منها حيا يحياها كما يصير الطعام الذي يتفنى به البدن الحي جزءا منه لا كما ينقل المتطلعون المقلدون في التأليف كلام غيرهم من غير ان يحاطل عقولهم أو يمس قلوبهم قال المؤلف في مقدمة الكتاب

« أما بعد فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفاذنيها وأحب التمييز تعالى بمرور الايام وتماقب الاحوال بما منحني عز وجل من التهم بتصاريف الزمان والاشراف على أحواله حتى أنفقت في ذلك أكثر عمري وآثرت قيد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع القدرات التي تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضول المال وزممت كل ما سبوت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله به من يشاء من عباده ممن يصل اليه بما أتيت فيه نفسي واجهدتها فيه وأطلت فيه فكري فيأخذوا عفوًا وأهديت له هنيئًا فيكون ذلك أفضل له من كنوز الأموال وعقد الأملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى لاستعماله . وأناراج في ذلك عظيم الاجر لنتي في فنع عباده وإصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة غل نفوسهم والله استعين »

بلغ ان كتاب الشيخ أحمد عمر المصطفى في الأزهر وضبط من كله ما رآه عن حاجا الى الضبط وفسر في هوامشه ما رآه من غريباً وصدره بترجمة وجيزة للمؤلف وجعل ثمنه قرشين فنصح لكل قارئ أن مطالعته المرة بعد المرة وهو يطلب من مكتبة المنار

(المنار ج ٤) (٣٩) (المجلد العاشر)

(الاسرار القدسية والتبويضات الهدائية)

« تأليف القدي كان كاهنا من كهنة الروم الكاثوليك ومن الله عليه بالصيانة المحمدية ونشرف بدين الاسلام عبدالمعطي المندي » — أهدي ايناهذا الكتاب الجديد وعرفنا مؤلفه فانه كان قسيسا في عكا وأسلم في طرابلس أيام كنا فيها وصار من أهل الطريق وقد جاء مصر في العام الماضي بولد له يريد أن يتلقى القرآن بالروايات في الأزهر ويطلب العلم . أما الكتاب فهو في التبصير والروايات جمع فيه كثيرا من المواضع والآداب ممزوجة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وذكر في آخره شيئا من خبره جملة مقدمة للدعوة الى الاسلام وثباته وذكر في هذا المقام بعض النصوص عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن كتب أخرى من كتب القوم . ونحن النسخة من الكتاب خمسة قروش صحيحة . ويعلم القطن ان في شرائه إمانة للرجل على تعليم والده وزيارته في هذه البلاد التي لا مورد لها فيها

(هدية الرئيس للأمير)

رسالة في علم النفس للرئيس أبي علي بن سينا أهداها الى الامير نوح بن منصور الساماني والظاهر انها أول تصنيفه . وقد كانت قد كتبت هذه الرسالة فلم يعرف الباحثون من الافرنج المستشرقين الانسختين منها احداها في مكتبة (لين) من مملكة هولندا وهي كثيرة الخط والثانية في المكتبة الامبروازية بمدينة ميلانو من ايطاليا وهي أمثل . ففي بعضهم بنسخها وتصحيح احداها بالمقابلة على الاخرى ثم بالمقابلة على نسخة منها مترجمة باللغة اللاتينية في القرن السادس عشر والاستانة بعض كتب المصنف في الفلسفة خصوصا ما كان منقولا عنه فعل ذلك الدكتور صموئيل لانداور الالماني صحح الرسالة وجمع اليها ما اختلف من النسخ وعلق عليها معلق من الشرح والتفسير ونشر ذلك كله في مجلة المستشرقين الالاميين مع ترجمة المانية وجيزة بسبع لغات — العربية والعبرية والسريانية والفارسية واللاتينية واليونانية والالمانية . فلي نظر أهل العربية الى عناية الافرنج بكتبهم وآثار منافعهم وليدخلوا من جهلهم واهمالهم

ثم أن أدور دند بك المدرس بمدرسة الحقوق (ابن القكتور كرنيليوس فنديك الشهير) قد استخرج النسخة من تلك المجلد وقابلها بنفسه على الأصل في مكتبة لين ومكتبة ميلانو بعد أن وعدته شركة طبع الكتب العربية هنا بطبعها إذا هو جاء بها مصححة بالعربية وقد وفيت بالوعد فطبعتها طبعاً متقناً على ورق جيد كادها . وطبعت معها تلك الشروح . وقد اتخذنا تسمية اختلاف النسخ بالقرآت وما هي بقرآت وإنما هي تخرجات وتصحيفات وقد وضعت بين أقواس في أثناء الكلام فكانت مما يشغل القاري لأجل الفهم ولو وضعت في الهوامش لكان أولى . وأتانا شكر لكل من اشتغل بإحياء هذه الرسالة فضله

(قصة البعث)

هي قصة شهيرة من أحسن ما كتب الفيلسوف ولستوي الروسي الشهير بل هي كتاب كبير مؤلف من جزئين في علم الاخلاق والسياسة وفلسفة الاجتماع ليس فيها من معنى القصص الاسرار والمساائل والآراء في التراميات والسياسة والآداب في سياق الوقائع المتصلة بأسلوب يلذ القاري ويبحث شوقه لقراءة . وهو يصف فيها معيشة متروني أمته وأسرتها وحال الفلاحين والمسجونين فيها وبرغب في توزيع الاراضي على الفلاحين فهي من القصص التي جمعت بين الفذة والفائدة فيأليت شباننا يطالعونها وقد طبعها ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهي تطلب منه

ديوان حافظ

قد طبع الجزء الثاني من ديوان حافظ أفندي ابراهيم وهو أدق من الأول نظماً وموضوعاً فإن معظم قصائده في الأمور العامة من اجتماعية وسياسية وما في معناها كدح الأستاذ الامام (تسميه الله برحمته) وبهذا صار شعر حافظ عزيزاً شريفاً واشتهر في كل قطر يقبوه أهل العربية ، ولو كان كسائر الشعراء ، لا يكاد ينظم الا في مديح الأمراء والوجهاء ، لما طار صيته في البلاد ، ورددت شعره أسنة الناطقين بالفساد ، فانه وقد بذل المعاصرين تنقيحاً وتحريراً ، لم يذم تفضيلاً وأثاماً ، فإن شعره أقرب الى عالم الحقيقة منه الى عالم الخيال ، فلولا شرف معناه

لما سلم من الابتغال ، حتى ليمجز عن إعلائه الأمير والسلطان ، على استغناء
عن تهذيب صبري وصل سلان ، (٥) وهاك هذا النموذج منه الآن ،

حجلا لسان حال اللغة العربية

رجعت لنفسى فاقهت حصاني
رموني بقم في الشباب وليتي
وليت ولما لم أجد لرائسي
وسمت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آفة
إذا البحر في احشائه المر كامن
فيا وبجكم أبلى وتبلى محاسني
فلا نكلوني لزمان فاني
أرى لرجال القرب عزا ومنة
أوا اهلهم بالمعجزات تفننا
أيطربكم من جانب القرب ناعب
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وظاخرت أهل القرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجرائد مؤلفاً
واسم للكتاب في مصر ضجة
أيهمرني قومي عنى الله عنهم
مرت لولة الافرنج فيها كما سرى
فجات كثوب ضم سبعين رقعة

وناديت قومي فاحشبت حياتي (١)
عقت فلم أجزع لقول عدائي
رجالا واكفاه أ وأدت بناتي (٢)
وما ضقت عن أي به وعظمت
وتسبق اسماء لمخبرعات
فهل سألو القواص عن صدقاتي
ومنكم وإن عز القواء أساتي (٣)
أخاف عليكم أن نحين وفاني
وصكم عز أقوام بمن لغات
فيا ليتكم تأتون بالكلمات
ينادي بوادي في ربيع حياتي
بما نحت من عثرة وشتات
بمز عليها ان تلين قضائي
لهن " قلب دائم الحسرات
حياه بثلث الاعظم التخرات
من القبر يدينني بغير أناة
فاعلم أن الصالحين فاني
الى لغة لم تقصل برواة
لعاب الأفاعي في مسيل فوات
مشكلة الألوان مختلفات

(٥) الكلام إشارة الى شي بمره حافظ وكثير من أدباء مصر (١) الحصة
المقل والرأي (٢) وأدبت دفنها حبة (٣) الاشارة جمع الآسي وهو الطيب

الى مشعر الكتاب والجمع حافظ بسطت رجائي بعد بسط شيكائي
فاما حياة ثبت الميت في البلى وثبتت في تلك الرموس وقائي
واما ممات لا قيامة بعده ممات لموسى لم يقس يمات
(مسامرات الشب)

(قصة قاطع الجبل) أمت ادارة المسامرات طبع هذه الفصة وهي من اقصص
الغريبة في فئاسق حوادثها وينتهي الجزء الاخير منها (وهو السادس) ببيان سوء عاقبة
الجنة والآمين وحسن عاقبة أهل الوفاء والاخلاص فمضى أن يعتبر القارئون لما بذلك
(مجلة الانسانية)

قد عاد الشيخ ابراهيم الدباغ الى اصدار هذه المجلة مستقلا بها فمضى أن يلاقى
من الاقبال عليها ما يستحقه أدبه ويكون عوناً له ومنشطا على الارتقاء بها الى منتهى
ما يصل اليه استعداداه

(كوكب افريقية)

« جريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية فلاحية تجارية صناعية تصدر كل يوم
جمعة - مدير تحريرها السيد محمود كحول » من فضلاء الجزائر وهو يصدر الجريدة
فيها . وقد وافانا العدد الثاني منها الذي صدر في ١١ ربيع الاول فسروقا به سرورا
عظيما لأن اخواننا مسلمي الجزائر كانوا محرومين من هذا العمل العظيم - الصحافة -
فنحن نرحب بهذه الجريدة ونرجوها من جميع أئمتنا التوفيق للإرشاد النافع
ونحث القراء على الاقبال عليها وشد أزرها

(المنبر)

جريدة أسبوعية جديدة أصدرها في تونس محمد الشاذلي المورالي من فضلاء
الكتاب المشهورين فيها . وقد بين من سياستها في العدد الاول ما هو خير سياسة
يرجى فيها كالحض على نشر العلم بطريقه الاسلاميه والتأليف بين المسلمين في
جامع الزيتونة والمسلمين في المدارس النظامية ونحري الباحث التي تعلق بشؤون
المسلمين ونحامي ثلب الاعراض ففسأل الله تعالى أن يوفق صاحب هذه الجريدة الى
خير ما قال وينفع بجهريته القارئين

باب المناظرة والمراسلة

جاءنا من الدكتور نصر اقتدي فريد طبيب البون بالقصورة ما يأتي

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

حضرة الامتاذ الفاضل

قرأت لكم في العدد الاسبق بجريدة المنار الفراء كلاما في الخمر ملخصه أنه لا فائدة منها الا ان الحجة مدرة للبول وحيث ان جريدتكم الفراء لها تأثير فعال في قوس المسلمين وجدت من الواجب علي ان لا تقوت الجريدة هذه الملحوظة

﴿ المشروبات الروحية وتأثيرها ﴾

هذه المشروبات ليس لها أدنى فائدة للصحة بل مرة الا في ظروف يعرفها الاطباء دون غيرهم في بعض الامراض والاثرفه بمقادير معينة وضروها على الصحة فباعدا ذلك وبيل للغاية وقد تأقت جميات كثيرة في أوروبا لمنع السكرات فأثرت تأثيراً حسناً وفي سنة ١٩٠٣ افرنكية وزعت بلدية باريس عند ما كنت فيها منشورات في المدينة وفي جميع الجرائد معززة بأراء اطباء بضرر هذه المشروبات فأمرض الجنون والشلل العام وامراض الكبد والكليتين والمعدة والقلب والسل أغلبها بسبب من المشروبات الروحية

اما الادرار البول المشاهد بعد شرب هذه المشروبات ومن ضمنها الحجة فهو متسبب من تهيج الكليتين واحتقانها من الكحول الموجود في هذه المشروبات واني أناأسف لا تتشار هذه الفكرة بين العوام وهي تعاطيهم الحجة عند اصابتهم بمرض في الجهاز البولي فيفترون بهذا الادرار البولي الكاذب فتزداد الحالة خطارة وينتهي الاحتقان الكلوي بالتهاب كلوي عاقبه الموت ان لم يسادر المصاب بالانقطاع عن تعاطي أم الحباث والسلام

(المنار) لشكر للدكتور الفاضل مبادرته الي هذا التثنيه المفيد ومازلنا نتصح الناس بأن لا يتقروا بكلام الاطباء المقلدين أو المفتونين بزخرف المدينة اذ يأمرسون من يشكو ممدته أو غير ممدته بشرب نبيذ كذا فان اكثرهم يأخذ على هذا الفش أجرا من باعة الخمر . وقد قرأنا في الجزء الاخير من مجلة الفتى مقال مفيدة في هذا الموضوع سننشرها في الجزء الخامس

وكتب الينا أحد أساتذة المدارس بمصر ما يأتي

اسماني الفضال السيد محمد رشيد رضا .

سلام الله عليه . وبعد فهل لي أن اطلب اليكم نشر هذه الكلمة على صفحات
المنار اعلانا للحقيقة وشكرا للصادقين . سيدي أرى أن أمرك مقسم والناس فيه فرقتان
فن مائب يهجن منك مخاطبة اللورد كرومر ويتمنى لو توقفت عليه مع الثاقين وصرفته
مع الصامتين فلم يكتب اليه شيئا وما يرمونك به أنك في استفهامك منه عما يريد -
من باب الاسلام أم قشوره قد ينت له أي الامرين يختار وذكر لك وجوه الاختيار
من عمل الحكام بالحق ورجوع بعض المسلمين عن العمل به ومن تخطئة بعضهم البعض
فيه . يقولون لو غيرت هذه الالفة . أما أنا فهما يكن من الامر قائما أرى أن مولاي
الرشيد حفظه الله قد استدرج جناب اللورد الى الدول عما في تقريره وخاتمه فخله
وبالواجب عمل - من كان يظن أن اللورد كرومر لا يرجع عما في تقريره في حفلة
الاوربا الحديثة بعد مجاملة سمو الامير له وزيارته في الوكالة البريطانية واشتداد الصحافة
المصرية في الطعن على تقريره ولكن اللورد كرومر دل على تمسكه بما في تقريره واصراره
عليه وهزوا بالمطاعن فيه في الصحافة وغيرها اذ قام في الاوربا خطبيا ولم ينس
ينت شقة وحضا ونضا تلك المطاعن في الاسلام كما كان القوم يظنون ولقد كاد اليأس
من رجوع اللورد كرومر عن تلك التهمة الشنيعة يستحكم في قوسنا ويزجج كيد
آمالنا لولا ما سحر به السيد الرشيد (سدد الله سهمه) جناب اللورد كرومر بكتابه
اليه واستدرجه الى ما يريد وقد كان وعرف العالم الاوربي بشهادة خير منهم أن
كل تهمة توجه الى الاسلام نفسه لا نصيب لها من الصحة ولا باعث لها من مرقدها
الاحزازات النفوس وسخائم الصدور . الا فليرفع المسلمون في جميع الاقطار عقربهم
بالله المنار وصاحبه وهأنا قائل . سدد الله المنار وأطال في بقاء صاحبه أمين
(المنار) قال عاقلم وباسمهم كثيرون ولولا أن الجهالة عذر طبيعي للجاهل فيما ينشأ
هنا وان لم تكن عذرا شرعيا في نفسها لكان لنا أن نجب أشد النجب لضعف يخذ
نفسه عدوا قويا يلج عليه بأن يلج في عداوته . ولا يرضيه منه أن يجنح الى صداقته
هنا وانني وان ينت في سؤال اللورد ما أتى أن يجيب به تبرة للاسلام لم أخافه
ولكنني وقفت الى تنبيهه الى شيء يستدعيه وحله على التصريح به فاحمد الله على هذا
التوفيق وأشكر للرجل هذا الانصاف . وسأبين المبررة في خلاف الثاني يسأب
الاخبار والآراء

باب الحجة في الآراء

(آراء الناس في مكاتبتهم مع لورد كرومر)

من الناس من يكتب ليرضي الناس فهو يحري رضاهم بالحق وبالباطل فلا الحق مقصود له في ذاته ولا الباطل مطلوب له لقائه وإنما يكتب ليرضي خاص هو كل ما يقصد . ومنهم من يحري الحق رضي الناس أم لم يرضوا وافق أهواءهم أم لم يوافقها . ولا يقنع الناس الهوى في شيء كما يقنعونه في الكلام عن الحكم والروءاء ورجال السياسة . وأنا نرى أهل الأهواء قد يعدون الشيء الواحد إذا صدر عن زيد نافعا وإذا صدر عن عمرو ضارا ويقول فلان قوله فيمدونه إيمانا وإصلاحا ويقول آخر فيمدونه كفرا وافتنادا .

هفتستين وأشهر نشرت عدة مقالات في بعض جرائد القاهرة في ذم الفلسفة والتمريض بمن زعموا أنه يريد إدخالها في علوم الأزهر (ينون الأستاذ الأمام رحمة الله) وقالوا إن الأزهر مدرسة دينية مختصة لا يجوز تعليم شيء فيها غير الدين وفي هذا العام أمر شيخ الجامع الأزهر بعض المتابع بقراءة فلسفة اليونان فيه فطلق بعضهم يقرأ الأشارات لابن سينا وبعضهم يقرأ كتبنا أخرى في ذلك ولم يكتب أحد بل لم يقل أحد شيئا فلماذا كن نؤم ادخال الفلسفة في الأزهر منكمرا دافعا إلى ذلك الانتقاد الشديد وصار تعليم الفلسفة بالنقل الآن معروفا لا ينتقده أحد .

وقد نشرت إحدى جرائد المسلمين منذ سنتين مقالا لأحد الأمراء عبث فيه ببعض أصول الدين وعقائده . وكتبت جريدة أخرى لهم أن الحكم يقتل القتلى من بقايا الجمعية ، بل استبدل الحكم القوانين بالشرعية ولم يقل المسلمون شيئا ولا حركوا ساكنا بل ظلوا يعدون هؤلاء الحكم من رؤساء الدول . وقد قال اللورد كرومر في تقريره الأخير عن حال مصر والبيوتان كلمة في الشرع فقام لها الناس وقعدوا لا لقائهم بل لأنها من اللورد كرومر . وقد أطال الرد والظن كثير

من الكتاب على كلمة الرد من حيث هي كلمة ونسلكم بعضهم فيها القناعات. وما كتب في الرد على اللورد مقالة في الرق نشرت في اللواء معزوة الى حكيم من حكماء الاسلام ولكنه لا يعرف البديهي من قواعد الاسلام اذ زعم أن الزكاة المفروضة فيه تصرف بهم القرآن الى الحكام والى سفراء الدول وقناصلهم، في بناء الفنادق والسباح. ولو كتب مثل هذا الكلام في المنظم لقامت عليه وعلى كاتبها قياة اللواء وغير اللواء وعدوا ذلك أعظم جنابة على الاسلام

هكذا ينظر أكثر الناس الى من قال لا الى ما قال، ولا يعرفون الرجال بالحق بل يعرفون الحق بالرجال، كلا ان اتباعهم الهوى في الرجال يصرفهم عن معرفة الحق وعن طلبه فلا يقبلونه ممن لم يوافق أهواءهم ولكنهم يقبلون الباطل ممن فتنوا بهم، وصاروا موضع تقصم، وهذا من أكبر البلاء على الناس اذ لا يرتقي أمة منهم الا اذا كثروا المستقلون فيها بالحكم على الناس وعلى الأقوال والدين يطلبون الحق لقائه ويحفظونه هو الميزان لمعرفة الناس ومعرفة الاشياء

قال لورد كرومر قوله في الشريعة الاسلامية قامت له جرائد المسلمين وقعدت، وأعوت وولوت، وذمت وقدحت، وارنأت واقفرحت، ثم صدر المنار فكان خيرا منها دافعا، وأشد للمخالف اقناعا، وزاد على ذلك أن وفق الى أخذ كتاب من اللورد نفسه يبري فيه الدين الاسلامي نفسه من التمد والظلم ويستدل على ذلك ويصرح بأن عبارة التقرير - التي فهم منها الظلم في الدين نفسه - لم تؤد صراده الذي بينه ووضعه بما كتبه البنا. فاذا قال الناس في ذلك؟

اختلفوا فيه كما هي عادتهم فاستحسنه فريق كل الاستحسان وشكر لنا سينا ولورد فضله وانصافه وبالف بعض افراد هذا الفريق في الاعجاب بذلك حتى قال لنا أحد المهامين وهو ممن لا يختلف اثنان في كمال استقلاله وجودة رأيه وسعة علمه: أخبرني هل سحرت اللورد بكتابك اليه وهو لا يعرفك ام استفت عليه بوسائل أخرى حتى نهضت في أخذ هذا الجواب الذي لا يتصور أن يخدم الاسلام بمثله في هذا الباب؟ الخ ما قال

وذهب فريق آخر الى أنه لا فضل لورد في جوابه وإنما الفضل كله فيه

لصاحب النار . وقد جرت بين أحد الباشوات من هذا الفريق وأحد المشايخ
الوجهاء من الفريق الأول مراجعة ومحاوراة بذلك في حقله عرس في العاصمة وكان
بعض الوجهاء فيها موافقا للباشا وبعضهم موافقا للشيخ

وذهب فريق ثالث إلى أن صاحب النار قد أخطأ فيما كتبه إلى اللورد لأنه
لقنه الجواب في السؤال ، ورد عليهم بعض الناس بأن صاحب النار قد أحسن
في ذلك لأنه ورط به اللورد حتى أجابه إلى ما يريد من تبرئة الدين الذي هو
الكتاب والسنة وهذا هو غرضه من الكتاب . ورد عليهم آخرون بأن ما استدلل به
اللورد في جوابه مؤيد بثقايره فهو لم يستفد الجواب من السؤال وإنما جاء به من
عند نفسه كما هو مفهوم من استدلاله

وقال فريق آخر إن صاحب النار قد أخطأ لأنه كان سيئاً لهذا الكتاب
الذي يميل القلوب إلى اللورد حتى تراه أهلاً للشكر والتناء ونحن لانحب أن نرى
منه ما يحبه الينا بل نحب أن نرى منه ونسمع عنه ما يزيد بنصفنا فيه وحقنا عليه !!!

وصاح فريق آخر إن صاحب النار لا يستحق على هذا العمل إلا القذخ
والقلم ، والسب والشم ، والقذخ والتشهير ، والتشيل والتصوير ، لأنه دافع عن
اللورد الذي هو عدو الوطن والوطنيين ، ونهضهم الاسلام والمسلمين ، ولو كان هؤلاء
يقولون ما يستقدون ، وإذا ظهر لهم الحق يذعنون ، فوجدوا كثيرين يقولون لهم
انكم قهطون ، فان النار ما دافع عن اللورد بل رد ما يفهم من كلامه بثلاث مقالات
لم يسبقه أحد إلى مثلها ثم نزل إلى استكثابه ما هو عين المصلحة للاسلام والمسلمين ، وان
لم يوافق أهواء بعض المتحمسين من الوطنيين ، الذين يكرهون الحق اذا ظهر على
لسان زيد ، وينفرون من المصلحة اذا جاءت على يد عمرو ، وهم لا يقبضون الا شعور
الكرهة والنفور ، ولا يصيخون الا لداعي الافراط والفرور ، وأكثروا مقلدون ،
لما بقوله أصحاب الصحف العالون ،

أما أصحاب الصحف المصرية فأكثرها لم يقدر هذه المسألة قدرها على
عنايتها دائماً بأقل ما يؤثر عن الرجال المقام كلورد كرومر من قول وعمل حتى
ملا شأنه في المصالح العامة كالرياضة والجمهرات إلى الطعام أو الشاي . أما السب

التي لأجله لم تحصل الجرائد بأمر يد من أم موضوعاتها وهو استمدراك اللورد على عبارة في تقريره الرسمي في مسألة مهمة فهو أن جرائد الافرنج ، وعلى شاكلتها من الجرائد العربية لا ترى من مصلحتها التتويه ولا مقتضى ملتها بالشهادة للدين الاسلامي أو تبرئته من مناهضة المدنية أو مخالفتها مما ارتقت وأما جرائد المسلمين التي كان ينظر منها أن تنوء بذلك ونهزم به فقد اتفق انه ظهر في وقت نهضت فيه بعض اصحابها المشهورين على اسقاط «حزب الشيخ محمد عبده» بالدم والقتل والشهيرة ، والقذح والتصوير ، وقد اقرصوا ما يظنون من نجاحهم في ايهام الجمهور بأنهم هم الذين كانوا سبب اسقالة اللورد وتغيير انكثارا سياستها في مصر فبدأ عرضيا (كما يزعمون) ولهذا ترى عنهم محصورا في جمل حسنات ناظر المعارف (سعد باشا زغلول) سيئات وفي الطعن بعلومه ومعارفه وإتقانه لغة الفرنسية — هذا وهو انفع رجال وطنهم المحبوب بالسنة وأقلامهم فكيف يعرفون مع هذا لصاحب النار بأنه أحسن صنعا وهو من حزب الشيخ محمد عبده المحكوم عليه بالاسقاط عندهم ؟ اليس المقول من اصحاب هذا الحكم أن يحولوا الأمر عن وجهه ويحولوا الحسنة سيئة ؟ بلى على أن جريد اللواء أظهرت الارتياب في هذه المكائبة كأنها كرمت فضها ان متعرف بصحتها ثم لا تقدرها قدرها وصحب عليها أن تعرف لورد أو لصاحب النار بميزة فلم تر يخرجوا من ذلك الا باظهار الارتياب والشك فيما قيل ولكنها جازمت بتكذيب ما نقل عن الشيخ حسونة اقتياعا عليه — وجريدة المؤيد نقلت السؤال والجواب ونزلت من مماثها قبلت الجواب على أنه تنازل من اللورد ورجوع عن قوله الأول . وهي على كونها لم تترك الاسم أو القذح الخفي في هذا كعادتها قد كرمت نفسها ان تدافع عن الاسلام دفاعا عن اللورد فركته الى من لا كرامة لهم في أنفسهم ولا في أنفس أحد من العقلاء الذين يعلمون ان ذلك لم يدفع عن اللورد ضرا ولم يجلب له فضلا

وقد كتب اليها من القاهرة وغيرها في استهسان السؤال والجواب واستهجان خطة المشاعب فيه وقد اكتفينا بنشر كتاب لأحد اساتذة المدارس لانه لم يسم فيه أحد وقد صرح بطلب نشره فليراجع في باب المراسلة

البدع والخرافات

وَالْبَقَالِيدُ وَالْجَنَاحُ

﴿ حادثة دميادله في طي الارض . تقبيل اعتبار القبور . صناديق النذور ﴾

يقال ان مسلحي مصر يتحركون الى النقي المدني الذي تتعزبه الامم ويتهمهم الأفرنج بأنهم يحاولون ان يمجّلوا رقيهم اسلامياً يخرج فيه الدين بالمدنية والسياسة ولو كانت هذه التهمة الشريفة صحيحة لكننا نرى مبدأ هذه الحركة من الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية ولكننا نرى بن طلاب المدنية من طريق علوم الدنيا وبين رجال الدين صلة واتفاقاً على الغاية التي يلتقي فيها الفريقان في آخر السير متعدين على أنهاض الأمة وامراز الملة . ونحن لا نرى بينهما الا التباين التام وقد التقى والتدابير على خط مستقيم . ورى أن أهل الدنيا أقوى في ذلك من أهل الآخرة فهم يجذبونهم ولا ينجذبون اليهم فلا نرى أحداً ممن ارتقى بالعلوم الدنيوية يربي ولده تربية أزهريه ولكن أكاير علماء الأزهر قديرون أولادهم في المدارس الدنيوية حتى مدارس الحقوق التي يكون المتعلمون فيها قضاء يحكمون بالقوانين من دون الشريعة وقد سمعت بأذني بعض هؤلاء العلماء يقول بكفر قضاء المحاكم الأهلية لأنهم يحكمون بخير ما أنزل الله ثم هو يحاول جعل ولده واحداً منهم أو محامياً حكمه في نظره حكمهم . ولو سألت السواد الأعظم من المتخرجين في المدارس الدنيوية العالي هل يرضون ان يكون شيوخ الأزهر وامثالهم قضاء للمحاكم المدنية والجنائية وحكاماً للسياسة والادارة لقانوا لك ان البلاد تستغيث من أحكامهم في الامور الشخصية فكيف تستغيث الأمة حال اذا هم حكموا في غيرها لاسباب الامور المالية على اختلاف فروعها الآن والسياسة على وعرة مسالكها والتواء طرقها

وكان يرجى تلافي هذا التقاطع من رجال الدين لكنهم واقفون في المضيق الذي كان فيه اشياخهم واشياخ اشياخهم والأمة متحركة بطبعة المصير فلا هم يسبرون منها ولا هم يستطيعون إيقافها منهم ولا هم يساعدون طلاب الإصلاح على الجمع بين الدين

وما لا بد منه لسلامة الأمة والاستقلال الفكر ، وتحصيل علوم العصر ،
 انك لتحدث أهل الرأي والفكر من الطبقات المختلفة في شأن الاسلام والمسلمين
 فلا تكاد ترى أحدا يرجو ان يحيى يوم يحكم المسلمون فيه بشريةتهم وهم في حال
 راقية عزيزة فيفكر في ذلك ويسعى له سعيه . أليس هذا هو البلاء المين ؟ بلى وان
 وراءه بلاء أكبر منه وهو نفور بعض الذين يتلقون العلوم المصرية من عقائد الدين
 واعتقادهم انما لا تتفق مع العقل ولا يلتئم مع استقلال الفكر ولا تنجح لامة لا تعطي
 العقل حقه من الحرية وتبلغ الفكر مداه من الاستقلال . وكان يرجى تلافي هذا
 من العلماء أيضا بأن يجاهدوا بمقاومة البدع والمخرافات

كنا نتظر من الاستاذ الاكبر الشيخ حسونه النواوي حركة اصلاح جديدة
 في مقاومة البدع أقوى من الحركة التي كانت في مشيخته الأولى فما زادت الايام
 الا حنكة واختيارا ولكن حادثة دمياط جاءت بقبض ما كان يتظر أو يرجى
 فقد كانت هذه المسألة فرصة لاهياء سنة أو سنين وامانة بدعة بل بدع كثيرة
 لامتداد الاعناق وإصاخة الإجماع ونشرف النفوس الى ما يقوله شيخ الأزهر
 فيما عليه العامة من الافتتان بالله جالين وقبور الصالحين

دعي الشيخ حسن علي أحد علماء دمياط الى قراءة قصة المولدي أحد المساجد
 فسمع الناس منه ما لم يتادوا . سمعوا منه قصة ليس فيها شيء من الروايات الموضوعة ،
 والا كاذب المصنوعة ، مفتحة بقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
 فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
 قبل لفي ضلال مبين) فسروا بما سمعوا وانشرت صدورهم . وكان مما ذكر
 في القصة خبر المعجزة الشريفة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قطع المسافة بين مكة
 والمدينة في مثل المسافة التي يقطعها بها الناس فسأله بعد ذلك سائل لماذا لم يقطعها
 في لحظة كما يفعل أهل الخطوة من الاولياء ؟ فأجاب بأن مسألة الخطوة غير ثابتة
 ولو ثبتت لكان النبي صلى الله عليه وسلم حيا ، جدر لاسيا في ذلك الوقت
 الذي خرج فيه مع صاحبه عليه الرضوان مستخفين من قرش خوف اذا هم
 ولكانت آية بهتدي بها خلق كثير . ويقال انه سئل عن البقرة التي فيها قبر النبي

على الله عليه وسلم هل هي من أرض الدنيا أم من الجنة فأجاب بأنما من أرض الدنيا ولا أدري هل فسر لهم حديث الشيخين في ذلك أم لا . وسئل عن التوراة التي نالت في الصناديق التي رضع عند أميرة المشايخ والأولياء في المساجد فأجاب بأن هذا العمل غير مشروع وإن الصدقة على البائسين والمنكوبين كأهالي المطرقة الذين احترقت بدمهم في هذا العام والبذل في الأعمال العامة كإنشاء المدارس أولى وأفضل وسئل عن قبيل أعقاب حجرات قبور الصالحين فقال أنه غير مشروع بل هو بدعة

سألت هذه المسألة الأخيرة شيخ الصندوق في ذلك المسجد من دمياط فأوجز الى خطيب من خطباء الفتنة بأن يمرض بتفضيل الشيخ حسن علي ووسوس الى كثير من النوام بأن الرجل أنكر الكرامات وأهان الأولياء فقامت قيادة التوفياء عليه فنفى الأمر الى الشيخ الأزهر فأمر شيخ علماء دمياط بالتحقيق فأظهر هذا الشيخ وأعوامه من التحامل على الشيخ حسن ما أظفروا حتى أنه كان يقبل شهادة الطاعنين فيه ولا يسمع شهادة المدافعين عنه (كأقيل) . ولما علمت العامة بتحمّل العلماء عليه حاجت هيجاناً شديداً حتى حاولت الفتك به غير مرة وصارت ترجمه بالحجارة أو الطوب إذا خرج وترجم البيت الذي هو فيه إذا لم يخرج . ثم رفع الأمر الى مشيخة الأزهر فقصّد الشيخ حسونه مجلس الإدارة لتتظر في ذلك وبعد النظر حكم بمنع الشيخ حسن علي من التدريس مدة سنة كاملة وقطع مرتبه من التدريس في هذه المدة . هذا ما سمع وشاع

قيل ان الحكم اداري سببه امارة الشيخ حسن علي الى شيخ العلماء في بلده عند التحقيق وهو قول مقبول اذ لو كان أخطأ في بعض المسائل الدينية لحكم عليه بعد بيان غلطه له واقناعه بالصواب ان يتوقف بالخطأ السابق ويقرر الصواب في دروسه على رؤوس الأَشهاد . ولكن العامة فهمت أنه عوقب على انكار ما يسمونه الخطوة أرطلي الأرض للصالحين وتقبيل أعقاب الحجرات التي تبقى فيها قبورهم ونحو ذلك من البدع وربما قولوا ان الأولياء تصرفوا فيه وهذا ما كنا نرجو من خلافه الشيخ حسونه لأن هذه الحادثة أحسن فرصة لنصر السنة ونحو البدع

بأن يظهر الحق قهراً على ألسنة الجرائد

الحق في هذه المسائل من البديهيات التي لا ينتطح فيها عثران - أما مسألة طهي الأرض وقطع المسافات الطويلة في دقيقة أو دقائق قليلة فلم يأت بجواب الايمان بها كتاب ولا سنة ولم يقل بها أحد من الأئمة المجتهدين بل لم يكن يحظر هذا بل السلف ولا حدث القول بذلك في الحلف استذكره بعض الفقهاء حتى قال بعضهم بأن من يعتقد جراه ذلك يكفر ويخرج من الاسلام أو يحكم بجبرائته وغاوته كالمصرح بذلك صاحب الوهبانية من فقهاء الحنفية بقوله فيها

ومن لولي قال طي مسافة يجوز جهول ثم بعض يكفر

ولا شك ان الناطق كان يعتقد أحد الوجهين الذين حكمهما من العلماء فليكن الشيخ حين مثله ومثل من نقل عنهم . وهذا قولهم فمن قال بالجواز فما بالك بمن يقول ان ذلك واقع بالفعل . وهب ان هذا وقع كرامة فهل يكلف من لم يثبت ذلك عنده ولم يشاهده ان يحمله عقيدة دينية له ؟ أي دين ينسج لهذا . أيتسع له دين الاسلام الذي قرر كتابه ان الله في الحقيقة سناً لا تبدل ولا تتحول وان لا حكم في الدين الا لله وما أنزل الله بهذا من سلطان

وأما مسأله تقبيل الأعتاب فهي بدعة لا سند لها من كتاب ولا سنة ولا قول إمام مجتهد وكيف وقد قال الفقهاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من السنة ان يمس الحدار ولا أن يقبله بل يفف من بعد ويسلم

نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد القبور وتشريفها وعن الكتابة عليها وعن إيقاد السرج عليها وعن اتخاذ المساجد عليها ولعن من يفعل هذا . ومضى الصعابة والتابون على هذه السنة فلم يبنوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا اليه ولا بنوا قبوراً لأحد من المهاجرين والأنصار . ولما حدثت بدعة بناء القبور كان بعض الامراء المنسكين بالسنة يهدمها كما حكاه الامام الشافعي في الأم قال : ولم أر أحداً من القتلاء أنكر عليهم ذلك أي هدمها . فهل صارت البدعة سنة وصار بناء القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها والصلاة اليها ديناً متبعاً بعد ان لعن الشارع فاعل ذلك وصار لهذه المساجد التي بنى عليها أحكام شرعية منها ان تقبيل أعتابها مطلوب

شرعا ومنكره يعاقب ويهان ؟

وأما مسألة الروضة فالرواية فيها ضعيفة عن الشيخ حسن علي سمعنا من واحد
مجهلة وانتي مع ذلك أقول فيها قولاً وجيزاً . أقول ان العلماء قالوا في حديث الشيخين
« ما بين يدي ومنبري وروضة من رياض الجنة » ان معناه ان العمل هناك بطاعة الله
يكون سبباً لدخول الجنة . وقيل انها تنقل يوم القيامة الى الجنة وقال بعضهم : انه لما
كان جلوسه (صلى الله عليه وسلم) وجلس الناس اليه يطعنون القرآن والحديث
والايمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجنى فيه وأضاهه الى الجنة لانها
تؤول الى الجنة : وهذا هو الصواب في تفسيره ويشهد له ما ورد في تسمية مجالس
الذكر برياض الجنة كما في حديث جابر وأبي هريرة ومعاذ ولم يقل أحد ان المراد
بها ان مجالس الذكر من أرض الجنة لان أرض الدنيا

وأما مسألة الصناديق التي توضع عند الأضرحة لاستدراار أيدي الذين يظنون
أن إلقاء المال في الصندوق مناسبت لقضاء صاحب الضريح لحاجة الملقى فما قاله
الشيخ حسن فيها لا يستطيع أحد ان ينكره الا أولئك الاغنياء الذين يأكلون
تلك الأموال بالباطل ولم يخلص ان الرجل نوقش في هذه المسألة فلا نبحت فيها
فلم بما تقدم ان كل ما قاله الرجل حق لا وجه لمواخذته على شيء منه وهذا
مما يقوي القول بأنه أوخذ على شيء آخر يتعلق بمعاملة شيخ علماء دمياط ولكن
الناس لم يعرفوا ذلك الشيء فظنوا ان شيخ الازهر وأعضاء مجلس ادارته ينكرون
تلك الحقائق ويقولون بوجوب الايمان بطي الأرض للصالحين بالفعل وقبيل اعتبار
المساجد التي بنيت على قبورهم ابتداء في الدين ، وبان إلقاء المال في الصناديق
عند قبورهم أفضل من الصدقة على الفقراء والمساكين ، وإغاثة المنكرين والبائسين .
والناس في هذا الظن فريقان - فريق يعلم الحق في هذه المسائل فهو يعتقد ان
الشيء مبطلون ، ولبدع والخرافات مؤيدون ، وفريق لا علم عنده فهو يتقدم
بما يظن أنهم عليه . ولا ينبغي اقرار أحد من الفريقين على ظنه ظن السوء بالعلماء
لذلك نقترح على الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أن يبين للناس الحق في هذه
المسائل وأنه لم يؤخذ الشيخ حسناً خطأ فيها بل لآخر وله ان يكنه فهذا
وقت يجب فيه البيان ولا يصح فيه السكوت والاستاذ في فضله وترويه أهل ذلك

يؤتي الحكيم من يشاء من حيث يشاء
وما يذكر إلا أولي الأبصار

المعجم

١٣١٥

فهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الأبصار

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر جادى الأولى سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ١١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧)

باب المقاتلات

منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق

٤

الحميات

يرى كثير من العقلاء ان الصلة الأولى لارتقاء الأمم هي القوة وبها سمد
الافرنج في بلادهم ، وبها سادوا على معظم أمم المشرق ، فاقوة أساس مدنيهم ،
والسلاح مصدر عزهم وعظمتهم ، والا فهم لا يمتازون على غيرهم بالقوى
العقلية ، ولا بشي من المواهب الفريزية ، وهذه اليابان قد اقتضت آثارهم في
العناية بالجندية ، وتشديد الاساطيل الحربية ، فظهرت أكبر دولة من دولهم حتى
صارت الدول العريضة منهم تغزو بمحافلها ، وتخطب مودتها لمكان قوتها ، بعد أن كانوا
يرونها انقص منهم في الحلقة ، وأقل في استعداد الفطرة ، فلي سائر الممالك الشرقية
ان تلت في ذلك تلوها ، وتقوى في أمر القوة أرها ، : يعارض أصحاب هذا
الرأي العالم الاجتماعي مبيناً أن القوة في هذا الزمان تتوقف على أسباب كثيرة
مرتب بعضها على بعض فلا بد من الأخذ بمبادئها لأجل الوصول الى غاياتها فما
هو السبب الأول الذي يجب الابتداء به لفرقية الأمة ورفعة شأنها ؟

يقول المشتغلون بالسياسة إن سبب ارتقاء أوربا وعزتها وسيادتها هو انتظام
حكوماتها وتقيدها بالشورى التي هي ناموس العدل وينبوع السعادة فكل أمة
تحب الارتقاء يجب ان توجه عنايتها قبل كل شيء إلى إصلاح حال حكومتها
بجعلها مقيدة بالشورى والقوانين العادلة ، ويقول لهم العالم الاجتماعي وما هو
السبب المؤدي الى اصلاح الأمة لحكومتها وهل يشفى لامة غير مرتقية ان
تفضل ذلك ؟ فكيف يجعل اصلاح الحكومة علة لسكل ارتقاء وهو معلول لنوع
من ارتقاء الأمة لا بد ان ينقدمه فما هو هذا النوع الذي هو السبب الأول
للارتقاء او علة المثل ؟

يقول علماء التربية إن العلة الأولى لارتفاع الأمم هي التربية والتعليم فكما انتشرت المدارس ينتشر فيها وبها ومنها شمع الارتفاع وكما كان التعليم أمم وأكمل ، كان الارتفاع أمم وأشمل ، ألم يجد اليك أن بسموك قد عن قومه الالمانيين أنهم انتصروا على فرنسا بالمدرسة ؟ والاقوال في اثبات هذا الرأي لا تحصى ولم كتبنا وكتب الكتاتيون في بيانها ، واظهار برهانها ، ولنا في ذلك مقال مطول بأسلوب المحاورة نشرناه في العدد الثاني من سنة المنار الأولى بينا فيه ان حبيب جميع أنواع الترقى الصورية والمنوية إنما هو التربية والتعليم وفي هذا المقال قال أحد أصحاب الصحف : ماذا أنقى صاحب المنار لسائر الأعداد التي تصدر في المستقبل بعد ما جمع في هذا العدد كل شيء : بل قد أعجب الامتداد الامام بذلك المقال وأجاز كل ما ورد فيه ولكن العالم الاجتماعي يقول لنا مع ذلك ان الامة لا تتوجه الى العناية بالتربية النافعة والتعليم الرافع لها من أفق الى أفق أعلى منه الا بعد نوع من الارتفاع ينتقد ذلك فيهدى الامة اليه ، ويقدرها عليه ، فما هو هذا النوع الذي نسميه السبب الأول وعلة الملل ؟

ويقول علماء الاقتصاد وأرباب الاموال إن الثروة مبدأ كل ارتفاع ، ومصدر كل اصلاح ، فلا مدارس ولا تعليم ، ولا تربية ولا تنظيم ، الا والمال أساسه الذي عليه يبنى ، وقواعده التي عليها يرفع ، فلي الامة الشرقية التي تطلب رفعة الشأن ، والعزة والسلطان ، ان تبدأ بجمع الثروة التي تمكنها من نشر التربية والتعليم في الامة ، ومن تنظيم الحكومة وتعزيز الدولة ، ويرد عليهم العالم الاجتماعي اننا لا ننكر ان المال ، هو الوسيلة لجميع الاعمال ، ولكن جمع المال يتوقف على العدل والطمح لاسيما في البلاد التي دخلها الافرنج المألون من طرق الكسب ، الا يعلم الشرقيون . وقد أخذ بهذا السبب اليهود فكانوا فيه أبرع البشر ، وهم يحاولون منذ قرون أن يؤسسوا به ملكا ولما يساعدهم القدر ، فعلمنا أن نبحث عن السبب الأول للارتفاع فنطلب الامر في إبانها ، وتأخذ بربانها ، فانه

من طلب الفاية في المبدأ لا يروب الا بالقنوط والشقا ومن يسر صبرا طبيعيا لمسا يدرك بالتوفيق منها المنتهى

يرى العالم الاجتماعي ان الامة الاولى لارتقاء الامم هي الجمعيات فلا ترتقي
أمة الا بعد ان تنبى حوادث الزمان أفرادا من أولي الالباب فيها الى وجوب
السعي لترقيتها ورفعة شأنها وأول ما يجب عليهم هو تأليف (الجمعيات) لتعاون
على ما يجب القيام به من الاعمال فالجمعيات هي السبب الاول والامة الاولى لكل
ارتقاء بها صلحت العقائد والاخلاق في أوربا وبها صلحت الحكومات ، وبها
ارتقت علومها وفنونها ، وبها عزت وعظمت قوتها ، وبها فاضت ينابيع ثروتها ،
وبها انتشر دينها في الحافقين ، وبها سادت على المشرقين والمغربين ،

أليست الجمعيات السياسية المرمية هي التي ظهرت أوربا من استبداد
الملوك والبابوات وأزالت منها حكومات الاشراف واستبدلت بها الحكومات
الجمهورية والملكية المفيدة بالقوانين وسيطرة أهل الشورى من الامة ؟

أليست الجمعيات الدينية والخيرية هي التي أنشأت المدارس لتعميم التربية والتعليم ،
وأنشأت الملاجئ والمستشفيات للعرضى والبائيسين ، ؟

أليست الجمعيات العلمية والفنية هي التي عذبت القلوات ووسعت دائرة العلوم
والفنون بما خصصت لكل فرع من فروعها رجلا يصبرون نفوسهم على التحرير
والتحصيل لمسائله وتأييدها بالتجارب وترقيتها بالاكتشافات والاختراعات ؟
أليست الجمعيات المالية المبرعنة بالشركات هي التي أنشأت المعامل لجميع
الصناعات ، ومدت سلك الحديد في جميع الجهات ، وسبرت في البحار تفك
الجواري المنشآت ، وابتدعت البيوت المالية (البنوك) لتيسير المعاملات ؟

بلى انه ما من عمل ارتقى الا وكأت الجمعيات هي رفته ، إن لم تكن هي التي أوجدته
واخترعته ، فالجمعيات هي تظهر منتهى استعداد الانسان للارتقاء بل هي التي
تحقق معنى الانسانية في هذا النوع ادلا معنى للانسانية الاحياء الاجتماع والتعاون
فيها قل الاجتماع في أمة ضعف معنى الانسانية فيها ومهما كثر الاجتماع واعتز
كانت الانسانية أقوى وأكمل

سبق الشرق الغرب الى كل نوع من أنواع الارتقاء المدني ولكن المدنية لم
تكلل في الشرق ولم ينن على قواعد يرون سقوطها ولذلك سقطت وما ذاك الا الآن

قيامها كان يجعل الافراد لا الجمعيات فلو لا هذه الجمعيات لما كانت مدينة الغرب الحديثة ارقى وأكثر، وأجدر بأن تكون أثبت وأدوم،

وجدت الجمعيات السرية والجهرية في الشرق ولكن أنقصت عراها، قبل أن بلغت مداها، وجاء الاسلام بالعالم الاجتماعية فجعل أمر المؤمنين شورى بينهم أي تقوم به الجماعة لا يستقل به الأفراد وأمر بتأليف الجمعيات للأعمال النافعة بمثل قول الله عز وجل (١٠٤:٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وبمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم «يد الله على الجماعة» ومع هذا لم يكن حظ المسلمين من الجمعيات أحسن من حظ سائر أهل المشرق بل كان من سوء حظهم ان استعالت الجمعيات السياسية كجمعية الشبة التي ألفت لجعل الحكم في أهل البيت عليهم السلام وجمعية الخوارج المعروفة - إلى مذاهب دينية زادت المسلمين فريقا وخلافا . وفقدت جمعية الصوفية الإصلاحية بعد أن ربت كثيرا من المصلحين وصارت جمعية الباطنية التي أسست لافساد الدين الاسلامي جمعيات ومذاهب متعددة لم يأت منها الا الشر والوبال على الشرق فترى ان جمعيات المسلمين السياسية ما أفسدها الا اصطباغها بصبغة الدين يجعل تعاليمها مذهبا يدعى اليه باسم التقرب إلى الله وسر موضوعها واخفاء مقصدها في ذلك . وقد قصروا في تأليف الجمعيات الخيرية والعلمية الفنية والشركات المالية ولولا ذلك لما ماتت مدنيتهم قبل بلوغها سن الرشد

والآن نرى الشرق قد أنشأ يتعلم من الغرب كيفية تأليف الجمعيات والشركات ففتح أهل يابان في ذلك ورشدوا ولا يزال العمانيون والمصريون في من الطفولية من هذه الحياة الاشتراكية الاجتماعية التي لا وسيلة لبلوغ هذا النوع ورشده بدونها أسسنا غير مرة جمعيات علمية وأدبية وخيرية وسياسية فكانت تسقط الجمعية منها بعد الخطوة والخطوتين أو الخطوات القليلة وقد نجحت في مصر الجمعية الخيرية الاسلامية نجاحا يوثق بدوامه واستمراره وهي أفضل ما عمل المسلمون بمصر في هذا الطرز الجيد من الحياة وتلقاها جمعية المروة اوثق وجمعية المساعي المشكورة الخاصين بالتعليم . وأسسنا شركات مالية كثيرة للعمل في الزراعة

والشجرة حبط علفاني بعضها وثبت بعضها والرجاء في المستقبل عظيم
 اوجع البصر الى البلاد التي لم تأخذ عن الاوربيين شيئا من العلم ولم تشترك
 معهم في شيء من الاعمال كبلاد سراكن هل ترى فيها جمعية خيرية أو ديفية
 أو علمية أو سياسية أو تشاهد فيها شركة تجارية أو زراعية أو صناعية ؟ فأمل
 واعرف الخير وبنائمه وكيف تستزيد منه واعلم ان الجمعيات والشركات هي المعيار
 التي يعرف به تقدم الأمم وتأخرها وحياتها وموتها فلا يفرتك القبل والقال ،
 ولا نبوغ بعض الأفراد في بعض العلوم أو الأعمال ، فان هؤلاء الناجين اذا لم
 يجهدوا في أممهم جمعيات تعرف قيمتهم ، وتقدم على ابراز ثمرات نبوغهم ،
 يذهب استعدادهم سدى ، ويجوز مده قبل ان يبلغ المدى ، واذا وجدوا ذلك زكا
 استعدادهم ، وامتد إمدادهم ، وكانوا كجثة بربرة أصابها وابل فانتأ كلها ضفين ،
 كما أنهم يزولون أجروهم مرتين ،

مبحث الاشربة الروحية

﴿ مقالة المتعطف التي وعدنا بنشرها ﴾

فلما تجد مائدة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر أو البيرا
 أو الشمبانيا ولم تلم ولم لمة من غير أن تشرب عليها أقذاح الراح ولا تعصب ذلك
 خاصا بالافرنج بل هو شائع عند كل الأمم حديثهم وقديمهم . فأثار مصر
 وخرائب بابل وأشعار اليونان ووارث الرومان وأخبار الام الحاضرة والماضية
 وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بأن الناس لم ينفكوا عن تعاطي كوكبي الراح
 من أول عهدهم بين مقل ومكثر ومقال ومدمن ولم ينفك فضلاوهم عن التحذير
 منها والنهي عنها وحجتهم أنها تسكر وتذهب العقل وتلف المال والصحة . لكن
 التحي والتحذير لم يأتا بباطل فلا يزال الناس ينفقون على الخمر اضعاف ما ينفقونه
 على تعليم أولادهم وينفق بعضهم عليها أكثر مما ينفق على طعامه ولا يزال

الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأنها من المقويات فيقوون اعتقاد الناس فيها
ويزيدون ميلهم اليها فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل يضع الخور كاف
للتكفير عن مضارها هذه مسألة جدية بالنظر ولا سيما بنظر الأطباء.

ولا يزيد بالمضار هنا مضار السكر لأنها تفوق كل ما يمكن ان ينسب إلى
الخمر من النفع اضماقاً كثيرة فلا وجه للموازنة بينهما وإنما يزيد مضار الشرب
الممثل أو شرب الخمر على الطعام الذي اعتاده الأوروبيون ومن جرى مجراهم
واتفق أكثر الأطباء على وصفه لضعاف الاجسام أو للذين ماء هضمهم للطعام
يقصد بالطعام تغذية الجسم وبالشراب تسهيل هضم الطعام حتى يفسد
الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام أو من الشراب لمن يأكل
ويشرب . فم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيراً من بيع بضاعته
ففعت المشترين أو اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمر وبائعيها من أغنى أهل
الأرض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الأكبر
لقروج الخمر في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب فائدة للأكل والشارب
ولكنها تختلف كثيراً باختلاف الناس وأحوالهم وأحوالهم من الصحة والمرض
والراحة والتعب والأنس والوحشة وباختلاف الرطب والصعب الى غير ذلك مما
لا ضابط له لكن هذه الفكرة وان افادت في بعض الاحيان لاتمد من النفع المقصود
بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم
النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حاله بالفداء الكافي ويؤذى ويضعف
وتفسد حاله بقلة الفداء.

ازرع بزة في التراب وازرعها من دون ماء فلا تنبت أو ازرع البزة في الماء
وازرعها من دون تراب فلا تنبت وان نبتت ذوت ويست حالاً لأن نمو البزة
حتى تنمو شجرة يقتضي أن تقتضى والفداء يأتينا من التراب ولكن لا بد من ان
يذوب أولاً في الماء حتى يتمكن من دخول جسمها وتغذيتها فاذا زرع في التراب
ورويت بالخمر لم تنش ولم تنبت وهذا أمر يستطیع كل أحد امتحانه فيرى ان الخمر
لا تغذي الاطعمة على أسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف

عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنها يتفديان على أسلوب واحد تقريباً
 ولقد أبنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل أن مقياس الحقائق استعمالها
 والانتفاع بها . وهذه الحقيقة أي ضرر شرب المسكرات مهما كان مقدارها قليلاً
 وجدت لها شركات التأمين على الحياة نفعاً كبيراً فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون
 المسكرات أبداً أكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلاً . أي صار للانتفاع
 عن شرب المسكرات قيمة مالية تفقدونها شركات التأمين بالدرهم والدينار . ولقد
 وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا أدل دليل فطري على
 ضرر المسكرات ولو وصفها الأطباء واطنوها بمدحها ونفعها . فإذا عرض اثنان ان
 « يسوكرا » حياتهما على مبلغين متساويين من المال وكان منهما واحداً وأعمالهما
 واحدة وتساوت فيهما كل الشروط التي تشترطها شركات «سوكرتا» الحياة معاً
 شرب المسكرات أي كان أحدهما يشرب الخمر والآخر لا يشربها فإن الشركة
 بمنح على الاول أكثر مما تفرض على الثاني لكي يسوكر حياتهما على مبلغين
 متساويين وإن دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنت لثاني أكثر مما تضمن
 للاول كأنها تقول بمباراة نجارية حساية لا تقبل الشك ولا الربح أنه قد ثبت
 لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكراً أقصر من عمر الذي لا يشرب مسكراً
 فلا يستطيع ان أعمالهما معاملة واحدة وأكون بمأمن من الحسارة ولا بد لذي
 يشرب المسكر من ان يدفع لي سنوياً أكثر مما يدفع من لا يشرب مسكراً لكي
 أضمن حياتهما على مبلغين متساويين من المال وهذا وجه بكني لان يكون فصل
 الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلاً وشرها معتدلاً
 وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حينئذ بل منها نفع

وهذا الحكم العملي التجاري المبني على الاستقراء يؤيده العلم أيضاً قال الكولونل
 د في أحد أطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثاً في مجلة القرن التاسع
 عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينضم بالسرعة التي كانت ينضم بها
 لولاها وتفعل أيضاً بأعضاء المضم فتقسها كما تقسي القطع اللصعية التي توضع فيها
 فلا يعود فعل المضم سهلاً عليها وإذا اختل فعل المضم انتقل فعل انتفذية وتضرر

أيضاً بالركنين والكليتين والكبد والماغ

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا ينالهم من شر بها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلاً على عدم الضرر من الشرب المعتدل . ولكن هل قاس أحد قوة هؤلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين المسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها . نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد نصف قواهم وتخلد عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذ ولكن يحدث مثل ذلك بكل من يعتاد شيئاً ثم يفطم نفسه عنه حتى الافيون والحشيش لان اعصابه تصير تنتظر المنبه أو المسكن في الساعة التي اعتادها فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الاقطاع مدة الفته الاعصاب ولم تعد تضطرب منه

وبدهى ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم للتخلص منه كما يجاهد للتخلص من سائر السموم التي تدخله وهذا الجهاد عمل شاق يذهب فيه جانب من قوة الجسم واذا تكرر دخول هذا السم يوما بعد يوم فلا بد من حصول الضرر اخيراً

ورب قائل يقول اننا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بد منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفمل كالحرق واليرقان بل يصفون القوي الفمل كالعرق والكدمات فكيف تقولون بضررها قولاً مطلقاً من غير قيد والجواب ان الاكحول الذي هو المنصر الفضال في المسكرات على اذراعها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواء لاغذاء وغير لطيب ان يصف حينئذ الاكحول النقي نفسه لا امزجه المعروفة بالمسكرات وهو اذا وصف كذلك شربه المريض مكرها ولم يجد في شربه لذة ولا رأى في نفسه ميلاً اليه بعد الشفاء من المرض . بل انه لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسه ميلاً اليها كما لو شر بها لتلاذ بطمها . اما ما يزعمه بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوت اركانه الآن . وليس الاكحول غذاء بل هو سم زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها بحتب دواء ولا يستعمل الا اذا دعت الحاجة اليه دواء لأن العلم والاستقراء قد أثبتا ذلك

فتاوى المفتان

فتنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله وظيفته (وله بسند ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانما تذكر الاسئلة بالتدريج ظاهرا وعمادا من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أحيانا غير مشترك لثقل هذا . ولان بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لأغفاله

الكشف وتصحيح الحديث في الرؤيا والجرح للرواة ورؤية السيوطي

للنبي (ص) في اليقظة واجتماع روح الغزالي وموسى (ص)

أسئلة من الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

هذه أسئلة نرفها لحضرة السيد محمد رشيد رضا مفتي الناز الاسلامي بمصر لازال بمافية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نرجوكم ياسيدي ان تجاوبوني عنها على صفحات مناركم المنيرة

(س ٢٠-٢٦) ما قولكم شكر الله سبحانه (١) في قول بعض من ألف في الاحاديث الموضوعية هذا الحديث صح من جهة الكشف وهل يعتمد ذلك (٢) وهل الكشف له أصل في ديننا أو هو قول باطل (٣) وللفظ كشف هل كان معروفا عند الصحابة رضوان الله عليهم (٤) وهل يعتمد على قول من يقول ان الحديث قد يكون صحيحا عند الحديثين وهو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل الله تعالى يعرفون انه موضوع (٥) وهل يعتمد على قول من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ما شرط العصمة في أحد فكيف نرد بعض الاحاديث ونقول راويها كذاب والكذب ما أحد معصوم منه الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام (٦) وعلى قول بعض الناس ان الشيخ السيوطي كان يجمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وتصحيح عليه الاحاديث فالموضوع يخبره عنه انه موضوع والتصحيح انه صحيح (٧) ويقول الناس من أهل

العلم يلهنا ان الشيخ النزالي اجتمعت روحه بروح سيدنا موسى سأل الباري سبحانه وتعالى عن علماء هذه الامة وانهم كانوا في امراة فجمع بين روح سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وبين روح النزالي رحمه الله فقال سيدنا موسى (ص) النزالي عن اسمه فقال له محمد بن محمد بن محمد النزالي فقال له انا سألتك عن اسمك فلماذا اخبرني عن اسمك واسم ابيك وجدك فقال له النزالي وكيف قلت انت للباري لما قال لك « وما تلك يمينك يا موسى » هي عصاي الخ هل هذه المسئلة صحيحة ومروية بسند مرضي عن نبينا ام هي من اختراعات الشيخ نرجوكم سيدي ان تبينوا لنا الحق في هذه المسائل لازلم هادين بهدين مستفيد من الحجاز

م ح ن

الجواب عن مسائل الكشف

لم يقل أحد من أئمة المسلمين ان الكشف من الدلائل الشرعية أو من ما أخذ الاحكام الدينية ولا يقبل احد من المتكلمين ولا من المحدثين ولا من الفقهاء الاحتجاج بهديث لم تصح روايته بالطرق المعروفة في علم الحديث عن يدعي انه صح من طريق الكشف فهذا الكشف الذي يتحدث به الصوفية شيء لا يثبت به حكم شرعي ولا دليل حكم شرعي كالحديث ولو جعلنا الكشف حجة شرعية لما كانت دلائل الشرع محصورة فيما جاء به الرسول (ص) عن ربه وتلقاه عنه أصحابه الذين هم خير هذه الامة وهم لم يقولوا بهذا الكشف ولم يتحدثوا به . نعم انه نقل عن بعضهم شيء من النطق بالالهام الصادق كاخيار الصديقي هما في بطن امرأته من الولد ومعرفة عما كان من ذلك الرجل الذي نظر الى المرأة بشهوة ولكنهم لم يسموا هذه الالهامات النادرة كشفاً ولا عدوها طريقاً لمعرفة الاحكام الشرعية وقد صمى هيمان ما اتفق له مع الرجل فراسة . ولكن بعض العلماء اطلق على ما كان منهم لفظ الكشف وكانت تعرض لهم المشكلات الشرعية في الاحكام فيتذاكرون ويتشاورون فيها ولا يعتمدون في تقريرها على شيء . بعد الكتاب والسنة الاعلى الرأي في استبانة المصلحة وتحري العدل . ولم يدع أحد منهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم انه رآه بالكشف أو في النوم فأخبره بأن الحق كذا أو الحكم كذا

وإذا قلنا بأن من خواص نفوس البشر أن تدرك بعض الأمور من غير طريق الحس والقل نادرا وإن بعض الناس قد يكون استعداده لذلك قويا وإن من كان استعداد له خفيفا تيسر له قوته بضروب من الرياضة كما ينقل ثقلا مستقيضا عن البراحة والصوفية - فإن هذا كله لا علاقة له بالدين وإنما هو من قبيل سائر خواص المخلوقات التي منها ما هو طريق العلم كالحواس التي بني عليها صنع الآلات التي يعرف بها ما يحدث من الأنواء والزلازل قبل حدوثه . ولا شيء من ذلك يعد من الدين ولم يصل الكشف إلى أن يكون طريقا منضبطا للعلم بحيث يعرف كل من كان من أهله ما يعرفه الآخرون إذا هو طلب معرفته بأن تتفق مدارفهم من غير أن يأخذ بعضهم عن بعض

ثم إن الصوفية الذين يعدون الكشف من ثمرات طريقتهم لا يقول أهل الصدق والرفق منهم إن الكشف دليل شرعي بل يعدون من شروط الاستعداد بصحته موافقة للشرع . قال محيي الدين في فتوحاته

كل كشف شهد للشرع فهو علم فيه فلتنصم

وقالوا إن الكشف إذا جاء بخلاف ما علم من الشرع فهو باطل . ويدعونه من وحي الشياطين ولهم في ذلك حكميات غريبة ولم أر من علماء الأصول من بالغ في التسليم بما نقل من الإلهام والكشف حتى ما علم عند المحدثين أنه لم يصبح مثل أبي إسحق الشاطبي القرطبي صاحب الموافقات فانه عد من الأصول كون المزايا والمناقب عامة كموم الاحكام والتكاليف بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته الا ما ثبت أنه خاصة به وذلك مما اضمحره لم يسبقه إلى القول به أحد من أئمة المسلمين وإن قال جمهور المتكلمين ما جاز إن يكون معجزة جاز إن يكون كرامة : وهو خلاف التحقيق . وقد ذكر من فروعه « الخوارق من الفراسة الصادقة والإلهام الصحيح والكشف الواضح والرويا بالصالحه » واشتراط للعمل بذلك ما بينه في المسألة الحادية عشرة من النوع الرابع من المقاصد قال :

« أن هذه الأمور لا يصبح إن تراعى وتعتبر الا بشرط أن لا تخرم حكما شرعيا ولا قاعدة دينية فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق في

نفسه بل هو إما خيال أو وهم وإما إلقاء من الشيطان وقد يخاطبه ما هو حق وقد لا يخاطبه وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضة لما هو ثابت مشروع وذلك ان التشريع الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لا خاص كالتقديم في المسألة قبل هذا وأصله لا ينحصر ولا ينكسر له اطراد ولا يجاضى من التناول تحت حكمه مكلف . وإذا كان كذلك فكل ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدد مضاده لما تعهد في شريعة فهو فاسد باطل . ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر فرأى الحاكم في منامه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا تحكم بهذه الشهادة فانها باطل فثقل هذا من الرويا لا يعتبر بها في أمر ولا ينهي ولا يشار ولا نذارة لانها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع وما روي ان أبا بكر رضي الله عنه انفذ وصية رجل بدمونه برويأرويت فهي قضية عين لا تقدم في القواعد الكلية لاحتمالها فاعل الورثة رضوا بذلك فلا يلزم منها خرم أصل وعلى هذا لو حصلت له مكاشفة بأن هذا المين مفضوب أو نجس أو ان هذا الشاهد كاذب أو ان المال تزيد وقد تحصل بالحجة لمرء أو ما اشبه ذلك فلا يصح له العمل على وفق ذلك ما لم يتبين سبب ظاهر فلا يجوز له الانتقال الى التيسر ولا ترك قبول الشاهد ولا الشهادة بالمال تزيد على حال فان الظاهر قد تضمن فيها بحكم الشريعة أمر آخر فلا يتركها اعتمادا على مجرد المكاشفة أو الفراسة كما لا يستمد فيها على الرويا التومية ولو جاز ذلك لجاز نقض الاحكام بها وان ترئبت في الظاهر موجباتها وهذا غير صحيح بحال فكذا ما نحن فيه وقد جاء في الصحيح « انكم تقتسمون الي» ولعل بضمك أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما اسمه منه الحديث فقيد الحكم بمقتضى ما يسمع وترك ما وراء ذلك وقد كان كثير من الاحكام التي تجري على يديه يطلع على أصلها وما فيها من حق وباطل ولكنه عليه السلام لم يحكم الا على وفق ما سمع لا على وفق ما علم وهو أصل في منع الحاكم ان يحكم ببله وقد ذهب مالك في القول المشهور عنه ان الحاكم اذا شهدت عنده العدول بأمر يعلم خلافه وجب عليه الحكم بشهادتهم اذا لم يعلم منهم تعد الكذب لانه اذا لم يحكم

بشهادتهم كان حاكما بطله هذا مع كون علم الحاكم مستفادا من العادات التي
لأرية فيها لا من الخوارق التي تداخلها أمور والقاتل بصفة حكم الحاكم بطله فذلك
بالنسبة إلى العلم المستفاد من العادات لا من الخوارق ولذلك لم يعتبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الحجة الظلي وحكي ابن العربي عن قاضي القضاة الشافعي
المالكي بغداد أنه كان يحكم بالفراصة في الأحكام جريا على طريقة إياس بن
معاوية أيام كان قاضيا قال ولشيخنا فخر الإسلام أبي بكر الشافعي جزؤ في الرد
عليه هذا ما قال وهو حقيق بالرد أن كان يحكم بالفراصة مطلقا من غير حجة سواها
و فإن قيل هذا متشكل من وجهين أحدهما أنه خلاف ما قيل عن أرباب
المكاشفات والكرامات فقد امتنع أقوام عن تناول أشياء كان جائزا لهم في الظاهر
لتناولها اعتمادا على كشف أو أخبار غير محمود الآثر إلى ما جاء عن الشلي حين
اعتقد أن لا يأكل إلا من الحلال فرأى بالبادية شجرة بين فهم أن يأكل منها
فداهته الشجرة لانتأكل مني فاني ليهودي وعن عباس بن المهدي أنه تزوج امرأة
قليلة النحول وقع عليه ندامة فلما أراد القدوم منها زجر عنها فامتنع وخرج فبعد ثلاثة
أيام ظهر لها زوج وكذلك من كان له علامة عادية أو غير عادية يعلم بها هل هذا
التناول حلال أم لا كالحارث المحاسبي حيث كان له عرق في بعض أصحابه إذا مد
يده إلى ما فيه شبهة فتمرك فامتنع منه وأصل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله
عنه وغيره في قصة الشاة المسومة وفيه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل
القوم وقال ارضوا أيديكم فاتها أخبرني أنها مسومة ومات بشر بن البراء
الحديث فبني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك القول وانتهى هو ونهى
أصحابه عن الأكل بعد الأخبار وهذا أيضا موافق لشرع من قبلنا وهو شرع
لنا إلا أن يرد فاسخ وذلك في قصة بني إسرائيل إذا امرأوا بذبحها وضرب القتل
بعضها فاحياه الله وأخير بقاته فرتب عليه الحكم بالتصاص وفي قصة الحضرة
غرق السفينة وقتل الغلام وهو ظاهر في هذا المعنى إلى غير ذلك مما يؤثر في معجزات
الأنبياء عليهم السلام وكرامات الأولياء رضي الله عنهم
والناسي أنه إذا ثبت أن خوارق العادات بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء

كالمعادات بالنسبة اليها فكما لودلنا أمر عادي على نجاسة الماء أو غصبه لوجب علينا الاجتناب فكذلك هاهنا اذ لا فرق بين اخبار من عالم الغيب أو من عالم الشهادة كما انه لا فرق بين رؤية البصر لوقوع النجاسة في الماء ودرويتها بين الكشف الغيبي فلا بد أن ينفي الحكم على هذا كما ينفي على ذلك ومن فرق بينهما فقد اهدى

فالجواب ان لا نزاع بيننا في أنه قد يكون العمل على وفق ما ذكره صواباً وحلاً بما هو مشروع على الجملة وذلك من وجهين

(أحدهما) الاعتبار بما كان من النبي صلى الله عليه وسلم فيه فيلحق به في القياس ما كان في مثله اذ لم يثبت ان مثل هذا من الخوارق يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان من الأمور الخارقة بدليل الواقع وانما يختص به من حيث كان معجزاً وتكون قصة الحضرة على هذا مما نسخ في شريعتنا على أن خرق السفينة قد عمل بمقتضاء بعض العلماء بناء على ما ثبت عنده من العادات اما قتل الفلام فلا يمكن القول به وكذلك قصة البقرة منسوخة على أحد التأويلين ومحنة على التأويل الآخر على وفق القول المذهبي في قول المقتول : دعي عند فلان

(والثاني) على فرض أنه لا يقاس وهو خلاف مقتضى القاعدة الأولى اذ الجاري عليها العمل في القياس ولكن إن قدرنا عدمه فنقول ان هذه الحكايات عن الأولياء مستندة الى نص شرعي وهو طلب اجتناب حزاز القلوب الذي هو الاثم وحزاز القلوب يكون بأمور لا تنحصر فيدخل فيها هذا النمط وقد قال عليه السلام « البر ما طمأننت اليه النفس والاثم ما حاك في صدرك » فاذا لم يخرج هذا عن كونه مستنداً الى نص شرعي عند من فسر حزاز القلوب بالمعنى الأعم الذي لا ينضبط الى أمر معلوم ولكن ليس في اعتبار مثل هذه الأمور ما يخل بمقاعدة شرعية وكلامنا إنما هو في مثل مسألة ابن رشد واشباهها وقتل الحضرة الفلام على هذا لا يمكن القول بمثلها في شريعتنا البتة فهو حكم منسوخ ووجه ما نقرر أنه ان كان ثم من الحكايات ما يشرع بمقتضى السؤال فمعدة الشريعة تدل على خلافه فان أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً وبالنسبة الى الاعتقاد في الغير عموماً أيضاً فان سيد البشر صلى الله عليه وسلم مع إعلانه بالوحي يجري الأمور على فلوأمرها في المناقطين وغيرهم وان

علم برأطن أحوالهم ولم يكن ذلك بمخرجه عن جربان الظواهر على ما جرت عليه
 «ولا يقال إنما كان ذلك من قبيل ما قال خوفان يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه
 فالعلة أمر آخر لا ما زعمت فإذا عدم ما عطل به فلا حرج لنا بقول هذا من
 أدل الدليل على ما تقرر لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن لا يحفظ ترتيب الظواهر
 فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر فالعذر فيه ظاهر واضح ومن طلب
 قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الحواطر وران على الظواهر
 وقد فهم من الشرع مد هذا الباب جملة الأثرى إلى باب الدعوى المستند
 إلى أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ولم يستثن من ذلك أحد حتى
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج إلى البينة في بعض ما أنكر فيه مما كان
 أشبهه فقال «من يشهدني» حتى شهد له خزيمه بن ثابت فجعلها الله شهادتين
 فما ظنك بأحد الأمة فلو ادعى أكبر الناس على أصلح الناس لسكانت البينة
 على المدعي واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنسب واحد فلا اعتبارات
 النفية مهمة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية ومن هنا لم يصبأ الناس من الأولياء
 وغيرهم بكل كشف أو خطاب خالف المشروع بل عدوا أنه من الشيطان وإذا
 ثبت هذا فتضايا الأحوال المنقولة عن الأولياء محتملة وما ذكر من تكليم
 الشجرة فليس بما نع شرعي بحيث يكون تناول التين منها حراماً على المكلم كما
 لو وجد في الفلاة صيدا فقال له أي مملوك وما أشبه ذلك لكنه تركه لنفيه عنه
 لغيره من يقين بالله أو ظن طعام بموضع آخر أو غير ذلك وكذلك سائر ما في
 هذا الباب. أو تقول كان المتناول مباحاً له فتركه لهذه العلامة كما بترك الإنسان أحد
 الجائزين لمشورة أوروباً وغير ذلك حسبما يذكر بعد بحول الله تعالى فكذلك
 نقول في الماء الذي كوشف أنه نجس أو مفسوب وإذا كان له مندوحة عنها بحيث
 لا يتخرج له أصل شرعي في الظاهر بل يصبر مستقلاً من جائز إلى مثله فلا حرج
 عليه مع أنه لو فرضنا مخالفة لمقتضى ذلك الكشف أعمالاً لظاهر وأعمالاً على الشرع
 في معاملته به فلا حرج عليه ولا لوم إذ ليس القصد بالكرامات والحوارق أن تنخرق
 أمراً شرعياً ولا أن تعود على شيء منه بالنقض كيف وهي نتائج عن اتباعه فمحال

ان ينتج المشروع ما ليس بمشروع أو يعود الفرع على أصله بالنقض هذا لا يكون البتة ونأمل ما جاء في شأن المتلاعنين اذ قال عليه السلام ان جاءت به على صفة كذا فهو لفلان وإن جاءت به على صفة كذا فهو لفلان فجاءت به على إحدى الصفتين وهي المتقضية للمكروه ومع ذلك فلم يقم الحد عليها وقد جاء في الحديث نفسه «لولا الايمان لكان لحولها شأن» فدل على أن الايمان هي المانعة وامتناعه مما هم به يدل على أن ما تفرض به لاحكم له حين شرعية الايمان ولو ثبت بالبيئة أو بالاقرار بعد الايمان ما قال الزوج لم تكن الايمان دائرة للحد عنها

والجواب عن السؤال الثاني ان الخوارق وان صارت لهم كغيرها فليس ذلك بموجب لاهمها على الاطلاق اذ لم يثبت ذلك شرعا معصوبه وايضا فان الخوارق وان جاءت تقضي المخالفة فهي مدخولة قد شابها ما ليس بحق كالزوايا غير الموافقة كمن يقال له لا تفعل كذا وهو مأمور شرعا بفعله أو افضل كذا وهو منهي عنه وكثيرا ما يقع هذا لمن لم يبين أصل سلوكه على الصواب أو من سلك وحده بدون شيخ ومن طالع سبب الاولياء وجدهم يحافظين على ظواهر الشريعة غير ملتفتين فيها الى هذه الاشياء

« فان قيل هذا يقتضي أن لا يعمل عليها وقد بنيت المسألة على أنها يعمل عليها : قيل ان النبي هنا ان يعمل عليها بمحرم قاعدة شرعية فأما العمل عليها مع الموافقة فليس بمنهي »

أقول فهي لا تنقل عن الموافق للشرع . ثم ذكر في المسألة الثانية عشرة ما نصه :

« ان الشريعة كما انها عامة في جميع المكلفين وجارية على مختلفات أحوالهم فهي عامة أيضا بالنسبة الى عالم الغيب وعالم الشهادة من جهة كل مكلف فاليها يرد كل ما جاءنا من جهة الباطن كما يرد اليها كل ما في الظاهر والدليل على ذلك أشياء منها : تقدم في المسألة قبلها من ترك اعتبار الخوارق الا مع موافقة فاهم الشريعة (والثاني) ان الشريعة حاكمة لا يحكم عليها فلو كان ما يقع من الخوارق والأمر النبية حاكما عليها بتخصيص محوم أو تقييد اطلاق أو تأويل ظاهر أو

ما أشبه ذلك لكان غيرها حاكما عليها وصارت هي محكوما عليها بفيرها وذلك باطل باتفاق فكذلك ما يلزم عنه (والثالث) ان مخالفة الخوارق للشرعية دليل على بطلانها في نفسها وذلك انها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك بل أعمال من أعمال الشيطان » -

ثم قال بعد ذكر شاهدين من الخوارق في فصل من هذه المسألة ما نصه :
« ومن هنا يعلم أن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة فإن سافت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها والا لم تقبل إلا الخوارق الصادرة على أيدي الانبياء عليهم السلام فإنه لا نظر فيها لأحد لأنها واقعة على الصحة قطعاً » اهـ

أقول والغرض من هذا كله بيان أن الشريعة كاملة لا تحتاج إلى تكميلها بالكشف ولا بالرويا والاحلام وانها هي الحاكمة لا يحكم عليها سواها . وقد هزت كلام هذا الأصولي القوي يصدق بالخوارق وأنت تعلم ان من علماء الأصول من لا يقول بمجوازها لنبي الانبياء كالمصوثة والاستاذ أبي اسحق الاسفرائيني والحلي من أئمة الاشعرية والا كثيرون القائلون بمجوازها لا يقولون بان أحدا يكلف تصديق من يدعيها بشيء مما يدعيه منها وان وافق الشرع فكيف يكلفونه ان يصدقه بالبحث بأحد أصوله كالسنة النبوية بأن يصحح ما لم يصح عن الرسول (ص) ويكذب ما صح عنه وهم يعرفون منه بأن بعض هذه الخوارق والمكاشفات أحوال شيطانية . فإذا كان فيها الحق والباطل والخطأ والصواب فهل عندنا شيء نرجع اليه في بيان الحق والصواب الا الشريعة المعطرة ؟ فما تقدم كله تعرفون أنه لا وجه للاعتياد على قول من يصحح الأحاديث بالكشف ولا قول من يحمل الكشف أصلا شرعياً ولا عمل المكاشف بكشفه المخالف للشرع فضلاً عن عمل غيره به وما وافقه كان كالرأي والمبل النفسي وقد تقدم ان الصحابة لم يقولوا بشيء من ذلك وبذلك تم أجوبة الاسئلة الثلاثة

وأما السؤال الرابع فهو على العلم بمجوابه مما سبق أيضاً - وهو انه لا يعتمد على قول أهل الكشف اذا قالوا بوضع ما صححه المحدثون من الأحاديث يحتاج

فيه الى التنبيه على أمر مهم وهو أن بعض ما صرح سنده من الحديث قد يكون غير صحيح المتن فإن بعض الذين كانوا يثبتون وضع الحديث كانوا لحذرهم من نقد صياغة المحدثين يظهرون الورع ويصرون الصدق وقد تاب بعضهم فاعترفوا بذلك ولذلك جعل المحدثون للحديث الموضوع علامات منها ما يتعلق بمقتضى كرامة الألفاظ أو المعاني ومخالفة نصوص الكتاب أو السنة المتواترة ومخالفة المقل كما قالوا في حديث طواف سفينة نوح بالبيت على أن سنده غير مرضي كفته . فمن كان ذا بصيرة فيرة في الدين وعلم بمقاصده يمكنه أن يعرف الحديث الموضوع وإن قالوا بصحة سنده ولكن لا يقبل قوله إلا بدلائل معقولة

وأما السؤال الخامس فاجوابه أن من تقبل روايته هو من يوثق بحديث وإن لم يكن معصوماً فإن ذلك القائل يعلم بالضرورة أن من الناس العدل الثقة الصدوق وإن لم يكن معصوماً ومنهم الفاسق الكذوب وإنه يثق بخبر الأول دون الثاني فكيف يحمل مع هذا رواية هذا كرواية ذاك ؟ هل يستوي الصادقون والكاذبون لأن كلا منهما غير معصوم ؟ . وغاية ما يترتب على عدم المعصية أن يكون خبر الصدوق غير المعصوم مفيداً لظن لا ليقين وهذا ما اتفق عليه العلماء في أحاديث الآحاد ولذلك قال المحققون أنه لا يحتج بها في المسائل التي يطلب فيها اليقين كمسائل الاعتقاد

وأما السؤال السادس فاجوابه أن ما ذكر عن السيوطي من ذكر في بعض الكتب ولكن لم يروعه بأسانيد صحيحة منهلة أنه ادعى ذلك ولوروي كذلك لم يكف أحد تصديقه ومن صدقه لا يجوز له أن يأخذ بتصحيحه لتلك الأحاديث لأن هذا من قبيل الكشف وقد علمت أنه لا يعتمد عليه . وقد ادعى كثيرون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في البقعة فانكر عليهم بعض العلماء وسلم لهم آخرون ولا يقول أحد من هؤلاء ولا من أولئك بأنه يجب على أحد أن يؤمن لهم وبأخذ بدعواهم . ولهم في هذه المسألة كلام كثير في الرؤية الحياوية وغير الحياوية وقد عرفنا نحن غير واحد من الصوفية الذين يدعون رؤية الأرواح ومخاطبتها ومنهم من قال أنه سأل النبي (ص) عن أحاديث كثيرة من الجامع الصغير للسيوطي

فأنكرها (ص) وهكذا نسلم عنهم التناقض في الكشف وفي رواية النبي (ص) فهل يصح أن نحكمهم في الحديث حتى مع التسليم لهم ؟ لا لا
وأما السؤال السابع فهو من الحكايات التي يناقها الناس وليس لها رواية يوثق بها ومضاهها كما نرى صريح في أن حجة النزالي أقوى من حجة كليم الله وهو في جوار الله خسينا الله

﴿ استفتاء عن الكشف الطبي على الميت ﴾

(س ٢٧) من السيد عبد الجليل الزاوش أحد فاضلي النابتة المصرية (جنونس) الحمد لله وحده

حضرة الأستاذ المحقق العالم المدقق حكيم الاسلام ومرشد الأنام سيدي رشيد رضا مفتي مجلة النار الباهرة الغراء دام اسماده وكالة
أما بعد السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته فإني أرجوكم وإيكم مزيد المنفعة والشكر ووافر الثواب والأجر أن تفضلوا بالجواب الشرعي عن السؤال الآتي ونشره في أقرب وقت على صفحات مناركم أطال الله بقاءكم وإليك السؤال
ما هو الحكم في إحصاء الحكماء المأمول به في بعض الممالك الإسلامية الشرقية لأجل الاطلاع على من يجنب بموته وشهادته بصحة الخبر واكتشافه سبب الموت حتى لا يبدن الإنسان حيا ولا يموت في المرض الممدي وفي ذلك مما يفيد الأمة في حالتها الصحية ما لا يخفى فهل ذلك - سرعا كم الله - محالاً يجوز مطلقاً ولو كان الحكم مسلماً ولم يستتب الكشف على الميت أدنى عملية جراحية أو ما يوجب أقل إهانة لكرامة الميت ولو مع تخصيص حكم لمباشرة الرجل وحكيمة لمباشرة المرأة أو يسوغ مطلقاً أم المقام فيه تفصيل أفيدونا ترجوا وترحموا

(ج) ليس في هذه المسألة نص من الشارع وهي من المسائل الدينية التي تتبع فيها قاعدة درء المفسد وجلب المصالح وحيث قد يختلف الحكم باختلاف الأموات فاذا وقع الشك في موت من ظهرت عليه علامات الموت وعلم أن الطبيب يمكنه أن يعرف الحقيقة بالكشف عليه فإن الكشف عليه يكون متعيناً ويحرم دفنه مع بقاء الشك في موته وإبقاؤه عرضة للخطر. ويختار الطبيب الذي يوثق به العلم بعرضته وأمانته على غيره لأن

العبرة في ذلك بالآفة فإذا لم يوجد طبيب مسلم يوثق به، ووجد غيره اعتمد عليه بل إذا وجد طبيب مسلم غير موثق به وطبيب غير مسلم موثق به، تكرار التجربة يرجح الاعتماد على الثاني لأن المسألة ليست عبادة فيكون الترجيح فيها بالدين بل أقول أن من اشترط من الفقهاء اسلام الطبيب الذي يؤخذ بقوله في المرض الذي يبيع ترك الفصل والوضوء الى التيمم الا لاعتبار ذلك من أركان العدالة التي هي سبب الثقة وقد صرحوا حتى في هذه المسألة الدينية بأن المريض إذا صدق الطبيب الكافر بأن الماء يؤذيه في مرضه كان له أن يعمل بقوله . وإذا كان من اشبه في موته امرأة ووجدت طبيبة يوثق بها قدمت على الطبيب حتماً فإن لم توجد كشف عليها الطبيب كما هو الشأن في جميع الأمراض

ومن درء المفساد والقيام بالمصالح العامة ما فعله «مصلحة الصحة» بمصر وحيث توجد من مقاومة أسباب الباء والأضرار المعدية ومن أعمالهم ما هو مفيد قطعا ومنه ما نظن فائده فاذا علم أن في الكشف على الميتة مرقعة سبب مرضه مصلحة عامة لم يكن ما يعرفون عنه بتكريم الميت مانعا من ذلك نعم إن اهانة الميت مخطورة ولكن الاهانة تكون بالقصد وهو متف هنا على أن درء المفساد وحفظ المصالح العامة من الاصول التي لا نهيم بهذه الجزئيات والمدار على العلم بأن هناك مفسدة يجب درؤها أو مصلحة يجب حفظها فاذا علم أولو الأمر ذلك عملوا به والشرع عون لهم عليه ﴿ أسئلة من الهند . من ٢٨ - ٣٩ ﴾

حضرة المصلح الكبير والفيلسوف الشهير صاحب مجلة المنار الأكرم
السلام عليكم

وبعد فارجوكم الافادة المطابقة لمذاهب الائمة الاربعة أو أحدهم عما هوأت ثم ابداء رأيكم الخاص في ذلك: رجل من تجار المسلمين القاطنين بكمركتة تأتي له حوالات نقدية من الجبايات على البنك وأصحاب البنك المذكور قوم من التصاري الاروباريين فيبقي في البنك ويأخذ منها بقدر الحاجة فقط بلا شرط بينه وبين أصحاب البنك فاذا مضى على النقدية أو بعضها ستة أشهر يحسبون له زيادة عن الأصل رويتمين في المئة في السنة فيكون في السنة الاشهر روية في المئة وذلك لأنهم

أي أصحاب البنك يتفقون ببقاء الدرهم عندهم نحو اثنتي عشرة روية أو أكثر في المئة سنوياً ولعمرة في البنك عادة على الرجل المذكور في السنة يأخذونهم منه بشيئاً فهل والحالة هذه يباح للرجل المذكور ما يأخذه من أرباب البنك باختياؤهم من غير شرط معهم كما تقدم أم لا أفيدونا سيدي فإن المسئلة واقعة حال لازمة . .

سؤال آخر

حضرة المحقق من التزم القيام بوظيفتي الإفتاء ودعوة الأمة إلى العمل بالكتاب والسنة فضيلة الشيخ محمد رشيد الأفضل

قد اطلعت على قولكم خلال جوابكم على مسئلة الأعطار الافرنجية: وأكثر أثمتنا وعلماً على أن الصلاة لا تصح من متنجس البدن أو الثوب أو المصلى وقد اختلفوا الخ ولا يخفى كما أن مقابل الأكثر الكثير وعليه فالفقير يلتمس من سيادتكم أن تبيينوا له بعضاً من القائلين بصحة الصلاة مع النجاسة غير المفو عنها مع الاختلاف في القدر الممنوع منها كما هو مقرر أن لم يمكنكم بيان الكل وإكم الفضل

سؤال آخر

وكذا أتمس من تحقيقاًكم أن فئيدونا عن بعض القائلين بطهارة الحجر المفهومة من قولكم في الجواب المذكور وإن كانت نجاستها حسية كما هو المعروف عن الفقهاء القائلين بذلك الخ لتكون على بصيرة بواسطتكم من حكم الكتاب والسنة إذ لم نفهم منها إلى الآن طهارة الحجر المتخذة من عصير الصب وثمرات النخيل وحينئذ نعتقد أن وجودكم سيدي بين ظهرا فينا من من الله علينا ورحمة وكم لله علينا من النعم ففضلوا مولاي بالجواب ولكم إن شاء الله الأجر والثواب

سؤال آخر

ما الحكم سيدي في قوم من أهل الهند المسلمين لا يورثون البنات والزوجات جربا على عادة الهندوس الكفرة وهي عادة قديمة للمسلمين أيضاً قبل إسلامهم وقد خبرهم حاكم البلاد حين توافوا اليه في مسئلة الميراث المذكورة بين أن يفضل بينهم بموجب لشرية الإسلامية وبين أن يكون الفصل فيها بموجب عادة الكفار مواطنهم فقالوا فنحنار البقاء على المادة القديمة ورضوا بعدم توريث البنات والزوجات

وما بعضهم البنات فقط وآخرون لا يورثون الأولاد ذكراً كانوا أو إناثاً بل ما يتركه الميت لولده أخيه الذكر دون الأنثى مع وجود ولد الصلب وذلك بحسب عادة بلادهم القديمة وهم يختلفون في ذلك فأهل بنجاب لا يورثون البنت والزوجة وأهل كوزرات يحرمون البنت فقط وأهل مليار يحرمون الأولاد مطلقاً وما ترك لابن الأخت فهل يكفرون بهذا الفعل أم لا ينبغي أن نجروا ودمهم

أحمد موسى بكلكته

﴿ الجواب عن مسألة أمانات البنك ﴾

من أعطى إنساناً باختياره مالا أو عرضاً لا يستحقه عليه فأخذه كان حلالاً بالاجماع ما لم يكن هناك غش أو نحوه من الأمور التي تنافي أن يكون المعطي قد أعطى برضاه واختياره ومن هذه الأمور ما قد يكون معروفاً للآخذ ومنها ما يكون شبهة ومن ذلك موضوع السؤال فإنه لم يستل عنه إلا وهو عند أصحاب الواقعة محل شبهة هل هو من الربا أم لا ولو جزموا بأحد الوجهين لم يسألوا

أما الربا فقد عرفه الحنفية الذين يقدم أكثر أهل الهند بأنه الفضل الحالي عن العوض المشروط في البيع : كما في حواشي فتح القدير وغيرها فتعريفهم المشروط في البيع يخرج منه الواقعة لئلا المسؤل عنها إذا لا شرط فيها . وفي شرح المنهاج للشمس الرملي الشافعي أن الربا شرعاً عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في مقياس الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما ، وقوله « أو مع تأخير » معناه أو عقد مع تأخير كما في حاشية الشبرايملي عليه . ولا عقد في الواقعة المسؤل عنها ويشبه مسألة الحواشي مسألة الوديعة التي تقع كثيراً فإن بعض البنوك قد تزيد للمودع شيئاً على ماله المودع فيها وما قد يقع منه بلا شرط فهو يشبه الواقعة إلا أن يقال إن الوديعة أشبه بالقرض أو الدين منها بالأمانة لأن أهل البنك يتصرفون بالمال ويردون غيره والعرف يقوم مقام العقد في ذلك وقد صرح غير واحد من الفقهاء بأن كل قرض جبر نفعاً للقرض فهو ربا وردوا ذلك حديثاً وأقول إن ما جرى عليه العرف في معاملة البنوك على ما نعلم أن ما يوضع فيها أمانة يجوز لصاحبه أن يسترده كله أو بعضه متى شاء وما يؤخذ على أنه دين ليس لصاحبه

ان يسترده الا بعد انتهاء الاجل أو بأخذ ما يطلب من المال برأ أو أكثر من الربا
الذي يأخذه هو من البنك وان كان ما طلبه جزءاً من ماله . مثال ذلك ان من
أعطى البنك ألفاً على ان له في المئة ثلاثاً في السنة ثم طلب قبل انقضاء السنة
خمس مئة فان البنك يعطيه إياها على ان له مئتا في المئة أو أكثر أو أقل قليلاً
وكل ذلك يجري بمقتود مكتوبة . أما الودائع فيعطى البنك بها وصلاً للمودع
ومنها مالا يزيد على ما أودع شيئاً فيبقى وجه الشبهة في الواقعة المسؤول عنها وفيها
يشبهها انها من قبيل القرض الذي جرم فضا وهي ضميقة في الحوالة قوية في الودعة .
على أن الفقهاء لاسماً الحنفية قد شددوا في مثل ذلك ويمدون كل ما يؤخذ بلا
مقابل برأ فمن اعتقد ذلك حرم عليه الأخذ

وإذا رجعنا الى الدليل رأينا أن حديث « كل دين جرم فضا » الخ ضعيف كما
سيأتي عن نيل الاوطار بل قال الفيروز بادي انه موضوع ولكن في الباب أحاديث
أخرى وآثاراً تفيد في انارة المسألة قال في متقى الاخبار

« عن أبي هريرة قال قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم من من الا بل
فيما يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا منه فلم يجدوا الا سناً فوقها فقال اعطوه فقال
أوفيتني أوفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان خيركم أحسنكم قضاء »
وعن جابر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي عليه دين فقضاني وزادني .
متفق عليهما . وعن أنس وسئل : الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدي اليه فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أقرض أحدكم قرضاً فأهدى اليه أو حمله على
الهداية فلا يركبها ولا يقبله الا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » رواه ابن
ماجه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا أقرض فلا يأخذ هدية »
رواه البخاري في تاريخه . وعن أبي بردة بن أبي موسى قال قدمت المدينة فقلت
عبد الله بن سلام فقال لي انك بأرض فيها الربا فاش فإذا كان لك على رجل
حق فأهدي اليك حمل تبن أو حمل شمر أو حمل قت (١) فلا تأخذه فأهربا :

(١) القت بالفتح هو الخاف من النبات المعروف وهو رطب بالانفصصة

بكم الثاين وهي القضب

رواه البخاري في صحيحه

أقول أثر عبد الله بن سلام لا يحتاج عنده الجمهور الذين يحصرهم أدلة الشرع في الكتاب والسنة والاجماع والقياس ومن التريب قوله بشق الربا في المدينة والظاهر انه قاله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واخراج اليهود منها وقال الشوكاني في شرح هذه الاحاديث ما نصه : حديث أنس في اسناده يحيى بن أبي اسحق الهنائي وهو مجهول وفي اسناده ايضا عتبة بن حميد الضبي وقد ضعفه احمد والرازي عنه اسماعيل بن عياش وهو ضعيف . قوله من أي جعل له من معين وفي حديث أبي هريرة دليل على جواز المطالبة بالدين اذا حل اجله وفيه أيضا دليل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه وانصافه وقد وقع في بعض ألفاظ الصحيح ان الرجل انظر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم وآله وسلم فهم به أصحابه فقال « دعوه ذن لصاحب الحق مقالا » كما تقدم وفيه دليل على جواز قرض الحيوان وقد تقدم الخلاف في ذلك وفيه جواز رد ما هو افضل من المثل المقرض اذا لم تقع شرطية ذلك في العقد وبه قال الجمهور وعن المالكية ان كانت الزيادة بالعدد لم يجز وان كانت بالوصف جازت ويرد عليهم حديث جابر المذكور في الباب فانه صرح بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم زاده والظاهر ان الزيادة كانت في العدد وقد ثبت في رواية للبخاري ان الزيادة كانت قهرا وأما اذا كانت الزيادة مشروطة في العقد فنحرم اتفاقا ولا يلزم من جواز الزيادة في القضاء على مقدار الدين جواز الهدية ونحوها قبل القضاء لانهما بمنزلة الرشوة فلا تحمل كما يدل على ذلك حديث أنس المذكور ان في الباب وأثر عبد الله بن سلام (١) والحاصل ان الهدية والعارية ونحوها اذا كانت لاجل التنفيس في أجل الدين أولا لاجل رشوة صاحب الدين أولا لاجل أن يكون لصاحب الدين منفعة في مقابل دينه فذلك محرم لانه اما نوع من الربا أو رشوة ون كان ذلك لاجل عادة جارية بين المقرض والمستقرض قبل التدين فلا بأس وان لم يكن ذلك لقرض أصلا فالظاهر المنع لا حلاق الهي عن ذلك وأما الزيادة

(١) قد علمت ان حديث أنس ضعيف وأثر ابن سلام لا يحتاج به الجمهور الآن يقال ان له حكم المرفوع وفيه نظر على أن النهي فيه قد يكون للوعود

على مقدار الدين عند القضاء بغير شرط ولا اضمار فالظاهر الجواز من غير فرق بين الزيادة في الصفة والمقدار والقليل والكثير لحديث أبي هريرة وأبي رافع والرباض وجابر بل هو مستحب قال الهاملي وغيره من الشافعية يستحب للمستقرض ان يرد اجود مما أخذ للحديث الصحيح في ذلك يعني قوله ان خيركم احسنكم قضاء وما يدل على عدم حل القرض الذي يجر الى المقرض نفعا ما أخرجه البيهقي في المعرفة عن فضالة بن عبيد موقوفا بلفظ كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا ورواه في السنن الكبرى عن ابن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن سلام وابن عباس موقوفا عليهم ورواه الحرث بن ابي اسامة من حديث علي عليه السلام بلفظ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قرض جر منفعة وفي رواية كل قرض جر منفعة فهو ربا وفي اسناده سوار بن مصعب وهو معزوك قال عمر بن زيد في المغني لم يصح فيه شيء وهم امام الحرمين والغزالي فقالا انه صحيح ولا خيرة لها بهذا الفن « اه المراد منه ومعه منقول من فتح الباري

وأما الربا الذي نهى عنه الكتاب العزيز بالنص الصريح فهو ربا الفسنة المضاعف وقد ذكرنا كيفيته وبيننا حكمته بالتفصيل في تفسير آياته من أواخر سورة البقرة . وتحريره ليس تبديلياً كما يقول من يرى ذلك من الفقهاء بل هو مطلق بقوله عز وجل « لا تظلمون ولا تظلمون » وقوله « واتقوا الله » بعد قوله (٣ : ١٣٠) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) فان هذا من القسوة ومنع المعروف عند الحاجة المتأني للفقير والمراد بهذا الربا المرفوف ما كان عليه الناس في الجاهلية وهو كما قال الامامان مالك وأحمد وغيره ان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل — من قرض أو تمن — فيقول له عند الأجل إما ان تقضي وإما أن تربني فيزيد ويربي له حاجته كلما طلب . وليس منه في شيء ما تقدم في السؤال وهو أن يستعمل انسان مال آخر مودعاً عنده برضاه ثم يسطيه برضاه عند القضاء أو في آخر السنة جزاً مما ربح برضاه واختباره من غير شرط ولا عقد

هذا ما عني لتأني هذا المسألة مع صرف النظر عن حكم دار الحرب وما أحلوه فيها

من العقود الفاسدة ونحوها وأطاعت الخوض فيه الجرائد الهندية من زمن ليس بعيد ولا تنس في هذا المقام . اقرره شيخ الاسلام ابن تيمية في العقود الفاسدة في المعاملات وان ما اشترط في صحتها انما اشترط لأجل ان يكون العقد لازما وناظرا عند الحاكم لا لأجل التقرب الى الله تعالى فالعقد الذي لا يجبره الشرع كعقد الربا لا ينفذه الحاكم الشرعي ولا يلزم الوفاء به بل ولا يجلّ اشراطه وجهه حقا يطالب به . وهذا لا يمنع الناس منما دينيا أن يتصرفوا في أموالهم برضام في غير الفواحش والمنكرات المحرمة لذاتها . وعندني ان ما زاده النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الدين على دينه من هذا القبيل . وقد سبق لنا في المنار كلام في هذا المبحث

﴿ الجواب عن صلاة متجسس الثوب أو البدن أو المصلي ﴾

تقل الخلاف في ذلك الشوكاني في أول الجزء الثاني من نيل الأوطار قال « وهل طهارة ثوب المصلي شرط لصحة الصلاة أم لا فذهب الاكثر الى انها شرط وروي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وهو صروي عن مالك انها ليست بواجبة وقتل صاحب النهاية عن مالك قولين أحدهما ازالة النجاسة سنة وليست بفرض وثانيهما انها فرض مع الذكرك ساقطة مع الفديان وقديم قولي الشافعي ان ازالة النجاسة غير شرط » ثم أورد حجج الجمهور على الشرطية وما يرد عليهم به الآخرون وقال بعد ذلك كله « اذا تقررت ماسقناه من الأدلة وافها فاعلم انها لا تقتصر عن افادة وجوب تغطية الثياب فمن صلى وعلى ثوبه نجاسة كان ثاركا لواجب واما ان صلاته باطلة كما هو شأن فقد ان شرط الصحة فلا لما عرفت » اه والكلام في النجاسة مطلقة ولا يأتي هنا التفصيل في المعفو عنها منها وغيره لان هذا التقسيم مبني على القول بالشرطية

﴿ الجواب عن مسألة طهارة الحجر ﴾

لما أفئنا بطهارة الأقطار الافرنجية . وهو ما اطعن عليه في ص ٥٠٠ من مجلد المنار الرابع ردّ علينا بعض المتطفلين على موائد العلم برسالة ردودنا عليها في ذلك المجلد ردا لو اطعن عليه لما سألتم هذا السؤال فليكن أن تراجعه في ص ٨٢١

وما بعدها وص ٨٦٦ وما بعدها ترون فيه النقل عن الامامية فقيه المدينة وشيخ الامام مالك وعن الامام داود القول بعلامة الحر معزوا الى بعض من نقله كالامام النووي . وأنتم تعلمون ان الأصل في الأشياء الطهارة ما لم يرد نص عن الشارع بالنجاسة ولا نص في نجاسة الحر كما بينا ذلك هناك فتقولكم إنكم لم تفهموا من الكتاب والسنة طهارتها في غير عمله لأن هذا هو الأصل والا فإين النص من الكتاب والسنة على طهارة الأشجار والأحجار والذهب والزيت وغير ذلك

﴿ الجواب عن مسألة مخالفي القرآن في الميراث ﴾

المدار في التكفير على جمود المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة فإذا كان من ذكركم يحددون أحكام الكتاب العزيز ولا يدعون لها مع العلم بأنهم لا يحدون من المسلمين والجهل بها جلة وتفصيلاً يبعد عذرا لمن نشأ بين المسلمين ومن كان حديث عهد بالاسلام أو نشأ في شاطئ جبل فلم يعرف أحكام المسلمين الضرورية يكون مذنوباً كما قالوا حتى يعلم فإن أذن والام لم يكن مسلماً وذلك مشهور . وأما اذا كان هؤلاء يؤمنون بالقرآن ويدعون له الا ان الوارثين شرعاً رضوا باختيارهم ان يأخذ غيرهم ما يستحقونه وكان الآخذ بغير حق لا يستعمل الاخذ البناء على رضا صاحب الحق لم يظهر وجه القول بكفرهم كما يفعل بعض مسلمي القط المصري وغيرهم من رضاء البنات بترك معرائهم لأخوتهم ومن استعمل أكل ميراث أخته بدون رضاها لا يمتد أحد بالاسلام بل يحكم جميع الفقهاء برده ان كان مسلماً قبل ذلك . ومن الامور البعيدة التي لا تكاد تقبل ان يتفق قوم من المسلمين على ترك العمل بالنصوص القطعية المنصوصة في كتاب الله وهم مسلمون حقيقة فالظاهر ان من ذكركم ليسوا مسلمين الا بالجفنية وما سبب ذلك الا الجهل فمسي ان يوجد في الهند من الدعاة والمرشدين من يهديهم الى حقيقة الدين

باب المناظرة والمراسلة

« مطالب مسلمي روسيا من دولتهم »

آلف الشيخ رضا الدين بن فخر الدين أحد أكابر علماء المسلمين في روسيا والعضو في المحكمة الشرعية هناك سابقاً - رسالة أبان فيها رأيه في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم

قال : يظهر من قراءة بعض الأوراق المطبوعة وغير المطبوعة ومما يسم من أفواه الكثيرين - ان مطالب قومنا المهمة عبارة عما يأتي :

(١) استرداد الحقوق الواسعة التي منحتها الامبراطورة « كاترينا » الثانية للجمعية الشرعية (أو المحكمة الشرعية) في سنة (١٧٨٧) م

(٢) اخراج المدارس الاسلامية من تحت ادارة نظارة المعارف العمومية الروسية وجعلها تحت نظارة الجمعية الشرعية التابعة الآن لنظارة الداخلية (٣) مساواة المسلمين القاطنين في روسيا الروس الاثوث كس في الحقوق المدنية والمسكرية كافة بلا استثناء

(٤) مساواة علماء الاسلام الرسميين في الامتيازات للروحانيين المسيحيين (٥) إلغاء جمل معرفة اللغة الروسية شرطاً في تعيين أئمة المساجد وأعضاء

الجمعية الشرعية

(٦) الحرية في الدين والمناظرة مع المحكمين بالمسلمين وحرية الصحافة (٧) ابقاء فصل الخصومات المتعلقة بالامور الشخصية كالنكاح والطلاق وتقسيم التركات والوصايا وما اليها من الخصومات العائلية كما كان في الزمن السابق بإيدي علماء المسلمين أنفسهم دون تحويلها الى المحاكم المدنية

ثم أفاض الكاتب في بيان رأيه في هذه المواد (ماعدا المادتين الثالثة والسابعة) قائلاً ان نترجم كلامه على المواد الخامسة والسادسة والثامنة لما فيها من الفوائد وأما كلامه : ببقية المواد فهو في الغالب مختص بأشؤون الداخلية البعثة ولهذا اغفلنا ترجمته . قال حفظه الله :

﴿ الكلام على المادة الخامسة ﴾

لا يحسن بنا ان نحكم بضرر اشتراط تعلم اللغة الروسية لأئمة المساجد وأعضاء الجمعية الشرعية أو بنفعه الا بعد انعام النظر في حالتنا الحاضرة . اذا ظلت مدارسنا الدينية على ما هي عليه من الخلل ودامت حال المتعلمين فيها على ما هي عليه من الفوضى والفاقة فهو ضار أبنة . لأن الحالة الراهنة تقضي عليهم بان يرتادوا من يتعلمون منه اللغة الروسية مبتدئين من «ألفائهم» بعد ان قضوا أعواما كثيرة في زوايا المدارس الاسلامية وناهزوا سن الكهولة . ومعظم أولئك المتعلمين لا يقضى لهم لتضييق ذات يدهم ان يظفروا بمعلم متحل بالفضائل والآداب . فيضطرون الى اختيار المتعلمين المسفلين في أخلاقهم وآدابهم باجور زهيدة . فينتقلون منهم فتورا من الجهل مع يسير من العلم

ثم ترى فئة من أولئك المتعلمين الذين قضوا سن الشباب بالهفوة والاستقامة هادئين متسكين عما يحفل بأدبهم يقصدون تعلم اللغة المذكورة القرى الروسية أو المدن . فيفتق لهم ان يروا هناك مجالس الفسق ومجلات الفجور لأول مرة من حياتهم فهم وان قدعوا نفوسهم مرة أو مرتين عن الدخول في غمار تلك المجالس يقعون في مهاوئها في المرة الثالثة لاحالة . فينتشر بهذه الوسطة داء فساد الاخلاق بين المتعلمين وينهدم ببيان تصفهم . وما ذلك الضميمة في الارادة والخور في العزيمة الا من نقصان تربيتنا المدرسية ووهنها لانتالنا نربي التلاميذ تربية تجعلهم يقتنعون عن الرذائل لكونها مضادة للكمال الانساني ولرضاء الله واهب الكالات وانما تربيهم تربية تجعلهم لا يأتون المسكرات مخافة من الناس لا غير

نجد بين المتعلمين في مدارس الحكومة الرسمية كثيرين يجتنبون شرب المسكرات وتناول الفخان . وأما المتعلمون منافي المدارس الدينية فيقال ان الأعضاء فيهم قليلون جداً في هذه الايام . فهذه جهة الضرر . وأما اذا نظرنا الى حاجة من يسكن هذه البلاد في قضاء حاجاتهم الماشية وحفظ حقوقهم الخصوصية والقومية الى اللغة الروسية - لغة الأمة الحاكمة - فاننا نقول : بنفع اشتراط تعلمها للأئمة أيضا فمنا حظياً . هذا رأيي في أئمة المساجد واما رأيي في أعضاء الجمعية الشرعية فمكا يأتي :

لا يؤمل خير ما للجمجمة الشرعية والمسلمين من عضوية من ليست لهم قلم راسخة في العلوم الاسلامية مع قصر باعهم في اللغة الروسية وقوانين الحكومة . بل يتحتم ان يكون الاعضاء فيها لهم براعة في العلوم الاسلامية وفي لغة الحكومة وقوانينها . وما اشترطت لهم الحكومة من درجة العلم في المدارس الرسمية ليس بشيء في جنب ما أحب ان يكونوا عليه .

يجب ان نكون مقاماتهم في العلوم الاسلامية مقامات المجتهدين بالاجتهاد الاصطلاحي . بالاجتهاد القضي فقط . درجة الاجتهاد يجب علينا ان نشترطها من عند أنفسنا وللمن تشترطها الحكومة لأن ذلك يعود على امتنا بمنافع جمة ما بين دينية واجتماعية . أما منافع الدينية فظاهرة . وأما النفع الاجتماعي العظيم فهو ان كون قضائنا بهذه المثابة من الاقتدار يجعل لهم مكانة سامية في نظر الحكومة ويكون سبباً لبقاء فصل الخصومات العائلية التي أتى ذكرها في المادة الثامنة من مطالب الأمة — بأيدي علاننا وبقاء جمعيتنا الشرعية الى ما شاء الله .

تأتي بقائل يقول : هل يمكن ظهور المجتهدين من بيتنا ؟

فأقول في جواب هذا السؤال : نعم لا يوجد اليوم فينا مجتهدون ويستعد الناضر في حالتنا الحاضرة ظهورهم في المستقبل القريب أيضاً . بيد أنه اذا انتظمت مدارسنا ودرست فيها العلوم النافعة من كتب أصحاب العلوم الحقيقية بدل هذه الكتب السفينة فلا مانع — في رأيي — من ظهور المجتهدين بيتنا

لا يشترط الاجتهاد الاسلامي ثلث الشروط التي تشترط في ترشيح المرء لأن يكون رئيساً أو مديعاً محمياً أو عضواً أو محامياً في المحاكم الكبيرة في أوروبا وفي روسيا ترى اليوم بين الروس الذين لا يفوقون المسلمين الساكين في هذه البلاد بشيء من الذكاء الفطري والاستعداد الطبيعي الوفاً يساؤون المجتهدين في المذهب بل المجتهدين المطلقين في علومهم وبراعتهم في الفقه (علم الحقوق) والقوانين الوضعية فكيف يتمتع اذا ظهور مثله أو خمسين مجتهداً من بين مسلمي روسيا الذين ينيف عددهم على ١٥ مليوناً اذا سموا له سمياً وأتوا البيوت من أبوابها ؟

اذا نحن أخذنا الى الارض ووضينا بالجلود على هذه الحالة الوضعية الخوام

علينا ان نند أنفسنا من نوع الانسان الذي فطر على ان يترقى دائماً مع الزمان .
 أنا أعلم ان كلامي هذا يحفظ قلوب كثير من الجامدين فينبذوني بالجهل والمروق
 عن دائرة الادب مع الاثمة السافين ويقولون البتة : « ما لهذا الجاهل الضال
 قد حط من قدر الاجتهاد ونهراً على القول بإمكان ظهور المهتمدين في هذا الزمان .
 أما سمع هذا المتهور خير اقتضاء عصر الاجتهاد وانغلاق باب منذقرون كثيرة »
 غيراني أقول هؤلاء : اني لم أكتب ما كتبت لنفاتي عن مباحث الاجتهاد وغير
 انغلاق باب عند بعضهم . بل كتبت بصدان بحث وأدمنت الفكر في هذه المباحث
 زمناً طويلاً حتى هداني البحث والتنقيب الى معرفة متعجري فكرة « انغلاق
 باب الاجتهاد » والاسباب التي حملتهم على اقتجارها والمصور التي ظهرت فيها
 تلك الفكرة السيئة

وخضت الثثار الى بغداد فدمروها تدميراً وقتلوا العلماء تقبيلاً وأبادوا الآثار
 الضخمة الشاهدة بظلمة المسلمين السابقين . وفعل الاسبانون الافاعيل بالمسلمين
 وساموم سوء العذاب في جزيرة الاندلس . اضر هؤلاء المتوحشون بالبلاد الاسلامية
 والمسلمين اضراراً مادية جسيمة . لكن اضرارهم المعنوية لا يقيم لها وزن امام
 الاضرار التي انتجها شيوع فكرة « انغلاق باب الاجتهاد وامتناع بلوغ الاخلاف
 شأوا الاسلام في الكمال والعلم » بين المسلمين

لم تمكن فكرة « انغلاق باب الاجتهاد والارتقاء في نفوس المسلمين حتى
 قوت الرغبات في العلم وتعاقدت الهمم عن الارتقاء والتقدم فانشأوا يتدارسون السافس
 بدل النضائل ويشغلون بالاهام اليونانية بدل العلوم الحقيقية . وبالجملة ان
 الحسائر التي جرت بها الى المسلمين « فكرة انغلاق باب الاجتهاد » أكثر وافظع من
 الحسائر التي أنعم على أيدي « جنكيز » و « هولاكو » و « ايزابلا » واضرابهم
 من المتوحشين المفسدين .

ولهذا أعتقد اننا اذا قضينا على القوضى السائدة في مدارسنا وأدخلنا فيها
 العلوم الحقيقية وأفرغنا كنانة جهلنا في نشر الترية الاسلامية الصحيحة ظهر فيها
 المهتمدون بكثرة ان شاء الله اذ الاجتهاد أمر كسبي مرتبط بالاسباب الظاهرة التي

تناهالا الايدي . ثم ان سنة الارتقاء التي تجري عليها شؤون العالم كلها بتقدير
العزيم العظيم تقضي ان يكون كل شيء . أكل وأرقى مما قبله . نرى اليوم
الأمم الراقية الحية يبنون كل شؤونهم على تلك السنة الثابتة فيسبون سيرا حثيثاً
في مدارج الرقي ومراتي السكال . أما المسلمون فحشا بينهم منذ زمن بعيد
انكار سنة الارتقاء واعتقاد سبر العالم الى التدلي والأنحطاط فرموا الضمة والجمرد
حتى حقت عليهم كلمة الدل والموان

لعل اختتام النبوة أيضاً مبني على تلك السنة (سنة الارتقاء) .
كانت الأمم السالفة لتقصان مداركهم وعندهم اكتمالهم في المزايا الانسانية
يصلون عن الشرائع التي كانت الانبياء يلقها اليهم ويحييدون عن صراط الله
السوي بعد مضي أزمنة سيرة من عهد الانبياء

فكان الله عز وجل يبعث اليهم من يقوم لهم أود الدين ويهديهم الى الحق
المبين من الانبياء الآخرين . واما الأمم الذين يأتون بعد نبينا (ص) فيكونون
قد ارتقوا في المدارك واكتملوا في الخواص الانسانية حتى يستطيعوا بذلك حفظ
الشرعية المطهرة وبلغوها الى من بعدهم بلا تحريف ولا تبديل . فلما تبقى حاجة
الى ارسال من يحدد الدين بعد خاتم النبيين . فبناء على ما ذكرنا ينبغي أن
يكون المجتهدون واساطين الاسلام أكثر وأبرع من المجتهدين السابقين كلما خطا
المجتمع الانساني خطوة الى الامام

وأما نعلم اعضاء المحكمة الشرعية اللغة الروسية فما اشترطته لهم الحكومة
قليل جدا في رأيي . بل يقتسم على من يترشحون للعضوية في تلك المحكمة ان
يحضروا دروس علم الحقوق ولو بصفة المستمعين في « جامعات » الحكومة بعد
ان يمتحنوا في دروس المدارس البلدية أو مدارس المعلمين . لا ينبغي على أهل البصر
ان قوة المحكمة الشرعية وسو مكائتها لدى الحاكم التي فوقها وارتفاع شأنها
في أعين المسلمين التابعين لها ليست هي كل بنائها الشامع وتنوع الاشجار في
الحديقة الحافة بها . بل لا تستحق تلك الاماني السامية الا اذا كانت اعضاءها
والقضاة فيها من أهل القدرة على القيام بواجباتهم حق القيام . ثم اذا نسى لهم

التعارف رجال الحكومة العظام : بل منهم ان يخذلوا المسلمين خدماً جليلة .
 أشغال المحكمة الشرعية مرتبطة اليوم بسائر المحاكم المدنية أشد الارتباط . ويزيد
 هذا الارتباط عاماً بعد عام . قد نتحدث في المحكمة مشاكل لا يمكن حلها الا
 بمقابلة أولى الأمر ومخادمتهم . وأحياناً تستغني المحاكم الكبيرة من قضاة المحكمة
 الشرعية في بعض المسائل الفقهية . وكذلك قد يقصد المحكمة أربح المحامين ليرجعوا
 الى القضاة في بعض المهمات

ونكون كتابات هؤلاء على غاية من الإيجاز والنظام قلباً يفهمها حق الفهم
 الأهل البصر في الامور القضائية والشؤون القانونية فيبقى المصو الجاهل بالغة
 الروسية في حيرة واضطراب في مثل هذه الظروف
 ثم أن المصو الذي لا يعرف اللغة الروسية لا يكون على بصيرة في توقيعه على
 الاوراق الرسمية التي ترد الى المحكمة من المحاكم الاخرى الكبيرة . اذ هو جاهل
 بما في تلك الاوراق من اقسام القوانين ونودها التي بنيت عليها أحكام النصب
 والفزل وغيرها . فيكون مثل هذا المصو كتل « آلة صماء » بيد من يشاؤا بتلك
 الاوراق من الموظفين الروسين

لو كان الائمة أبو يوسف ومحمد وزفر أصحاب الامام أبي حنيفة في وظيفة
 القضاء في محكمتنا الشرعية لتابعهم أيضاً ما ينوب كل يوم قضاة الجاهلين باللغة
 الروسية وقوانين الحكومة من المشاكل والمصاعب

ايضيكم أن يكون القضاء في محكمة هي محط آمال أربعة ملايين من المسلمين -
 آلات صماء تدبرها أيدي الآخرين كيفما شاءوا أم تمنون أن يكونوا من أهل
 البصر بأمرهم يذرون عن مصالح قومهم بقوة جنان وثبات جأش ؟
 ابروةكم ان يوقفوا على كل ورقة منها كانت محتوية بآها أم تخبون أن يكونوا
 من أهل المقدرة على المناقشة في كل الاوراق التي يرتابون في أمرها ؟ بأن يقولوا
 مثلاً : هذا الحكم مبني على كذا من المادة القانونية وهي قد نسخت في كذا
 من الزمن . فبناء الحكم على تلك المادة لا يجوز بل ينبغي أن ينص على مادة كذا
 وما شابه ذلك من المناقشات التي لا يستطيعها الا من برز في اللغة الروسية وقتل الذرائع

الوضعية علما وفيها

وسائل أن يسألني هنا : هل يمكننا أن نربي اناسا يكونون مجتهدين في العلوم
الاسلامية وبارعين في علم الحقوق الوضعية جميعا ؟

فأجيب عن هذا السؤال بجوابين متناقضين : اذا اجلت طرفي في ماعليه علمائنا
الذين أتى اليهم زمام تربية الامة وزقية شوقها من الجود والفلة وسعيهم لرفقة
المصلحين ودوامهم على بث الافكار المناقضة لمصالح الامة الحاضرة والمستقبل
وجعلهم بالمرّة لاسرار الحياة وثنازع البقاء وعلم الاجماع البشري - اجبت عن السؤال
السابق قائلا ان هذا محال أي محال وأما اذا فكرت في استعداد قومنا القوي وثقاني
بعض شبانا في طلب العلم باحتمال المشاق الجملة وجود أغنيائنا بانفس أموالهم
في سبيل الخيرات والمشروعات النافعة اجبت عن ذلك السؤال قائلا : إن هذا ممكن
أي ممكن ولنا رأي في كيفية الوصول الى هذا المقصد الاقصى ربما شرحناه في
المستقبل ان شاء الله

(الكلام على المادة السادسة)

يقال ان ما جاء في هذه المادة من المطالب ملحق بنظر كثير من الاقوام الآخرين
القائمين في البلاد الروسية . لعل أولئك الاقوام الذين هم يفوقونا في كل الشؤون
الحبوية يناورن هذه المقاصد قبلنا

وأما نحن فلنسا الآن على استعداد لطلب تلك المطالب السياسية العظيمة
بالانفراد وما علينا الآن الا أن ننبأ « للاصطياد في الماء المكر » (هذه الرسالة
كتبت منذ سنتين إذ كان مسلمو روسيا هادئين وادعين غائبين في سباتهم العميق
انتقاداً على ما أتى في اللاهتئين الذين وضمهما علماء مديني أورنبورغ وسعيد وبشوا
بهما الى مؤلف الرسالة يسألونه ابدء رأيه فيها)

وأما حرية المناظرة بخصوصها فأقول فيها : ان حرية المناظرة تنفع المسلمين
نفعاً عظيماً وهذا لا ريب فيه . غير ان المناظرة لها أصول وشروط لا تأتي المناظرة
بالتأثرة المطلوبة الا بها . وما شروطها الا كون المتصدي للمناظرة يكون على أهبة
تامة ومطلعا على ما يد خصمه من الحجج وقوتها . ليست مقاومة الخصوم المتساهلين

بالعلوم الحديثة بالنظريات المسطورة في المواقف والمقاصد والطوائع والمطالب
والتهديد والتجريد الاضرباً من التهور والتهوس

ولا يخفى على الباحث المنصف ان الكتب المذكورة تحتوي على كثير من الفططات
الفلسفية والتاريخية الناشئة من خطأ المترجمين اللاتنيين واليهود الذين ترجموا فلسفة
اليونان . وذلك الفططات تكون عونا لخصومنا علينا لاهالة . لاجموز البتة ان تهمس
بظن ان خصومنا عبارة عن بعض القسيس الروسيين المعروفين بتهكمهم بالمسلمين .
ان هؤلاء الاطلاح جيش السدود . وأما الجيش الاصلي فهو يأتلف من أناس
آخرون مضامين من فنون العلم وحاذقين في اساليب المناظرة وطرق الإلزام .
قام الامام الشيخ محمد عبده في وجهه الممارضين للاسلام في السنين السابقة بنفسه
فاضطر الى جدال طويل قاومه فيه خصومه اشد المقاومة مع ان براعة هذا الامام
في العلوم الاسلامية ومكانته في الفلسفة وعلم الكلام اعلى بكثير من مكانة التفاضلاني
والدهواني واضربا وهو مع ذلك مطلع على آراء الفلاسفة الغربيين مباشرة لمعرفة
باللغة الفرنسية . يقال إن ظهوره على خصومه انما كان بسبب معرفته هذه القوة
(هذه الرسالة كتبت قبل وفاة الاستاذ الامام)

لا تظن أيها القاري لما قلت لك أن خصومنا يستظهرون علينا بالعلوم الحديثة
اني اذهب الى مضادة هذه العلوم للدين الاسلامي . انا لا أقول بهذا . كون
الاسلام مجامعا للعلوم ولانها المدنية الصحيحة ثابت بشهادة جم غفير من الفلاسفة
والعلماء الراشدين أيضا بمد ثبوته في نفسه . غير أنني أقول : لا يمد أن يستفيد
خصومنا من جهلنا في المناظرة الدينية ايضا كما انهم يستفيدون منه كثيرا في الشؤون
المختلفة الاخرى . اذ هم لبراعتهم في أساليب المناظرة واطلاعهم على ما نحن غافلون
عنه بمد يقدرون على ابراز ما يكون حجة عليهم في صورة الحجة لهم . وجملة القول :
اننا لا يمكننا أن نفتهم بحرية المناظرة انفعائا يذكر ما دنا غافلين عن اصراء
الكون ومنن الطبيعة ومعرضين عن تحصيل الطبيعيات والعلوم الحديثة بأسرها

(لرسالة بقية)

مترجمها

عيسى عبد الله القزافي

محمد كلام فريد أفندي وجدي في الدين

(فلسفة التشريع)

كتب محمد فريد أفندي وجدي صاحب مجلة الحياة منذ أشهر مقالة في بعض الجرائد اليومية قال فيها أنه سينشئ مدرسة يدرس فيها العلوم العليا من كونية واجتماعية وعمرانية ومن ذلك جميع العلوم الطبيعية والفلسفية بأنواعها الخ أي أنه سيقوم وحده بما تريد لجنة (الجامعة المصرية) أن تبدأ به وتري ما للبهامان مال الا كتاب وهو عشرات الألوف من الجنيهات وما وقف على الجامعة من الاطيان لا يزال غير كاف للشروع في هذا القسم العالي، ولكن فريد أفندي وجدي سخي بانعود وقد تبرع له سيد أفندي محمد صاحب المدرسة التحضيرية بحجرة من مدرسته وفي بها وعدة هذه الحجرة هي مدرسة العلوم العليا وقد شرع فريد أفندي في إلقاء الدروس فيها ونشر الدرس الاول من علم فلسفة التشريع في جريدة المؤيد ثم في مجلته فند كرنا بقراءته تلك المقالات التي كان ينشرها في المؤيد عن الاسلام اذ جاء فيه بمثل ما جاء فيها من أمور نعزى الى الاسلام وهو لا يعرفها وفلسفة فيه لا يرضاها. وكان خطونا أن ننتقد تلك المقالات قیما بفرصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن عرض لنا أمور ثنت عزمتنا عن ذلك منها الرغبة عن انتقاد فريد أفندي لذاته ولأنه صاحب مجلة ولا نحب أن يكون بين أصحاب المجلات مثل ما بين أصحاب الجرائد من المناقشات التي لا يؤمن أن تصير من قبيل المراء والمشاغبة. تركنا الرد على ما جاء في تلك المقالات من مخالفة أصول الدين والنفس نحاسبنا على ما فرطنا وتضرد عن قهر يطمان تثبب خطأ الناس والرد عليه غاية لا ندرک ولا يستطيع القيام بها واحد وهو من فروض الكفايات ولكنها ليست مطلوبة بأن هذا العذر يرضي الله تعالى مع ما ترى من سكوت العلماء في هذا المصير عن انكار المنكر ثم عرض لنا مثل هذا عند ما قرأنا درس فلسفة التشريع وإن كان الخطأ فيه دون الخطأ في تلك ثم جزمنا بأن الانتقاد واجب علينا فبادرنا الى كتابة هذا النقد فمسي أن ينظر فيه وصفتنا فريد أفندي بهين الانصاف

في هذا الدرس أو المقالة كثير من الأمور الممتدة وأهمها عندنا ما قاله في «التشريع» وكون الوحي هو أصل الشريعة عند المسلمين . وقبل البحث فيها نقول كلمة لا بد منها في انتقاد عبارة فريد أفندي وهي أن القاري لها لا يكاد يهتم منها معنى عمروا يجهز بأنه هو مذهب الكاتب ومراده بل يحد فيها من التعارض والابهام والصلابة ما لا يجهز معه بالمعنى المراد . ومثل هذا مما يفسد تفكره ويسهل الجدل والمراء فيه ولم أذكر هذا إلا لأن الضرورة قضت بذلك كره كما ستعلم

بدأ المدرس المقال بقوله «لم يهتم المسلمون في الصدر الأول بشيء» بعد تقرير الأصول الدينية بقدر ما اعتنوا بالأمور التشريعية» وفيه ان المسلمين لم يكن عندهم شيء يعبر عنه بالأمور التشريعية غير ما شرعه الله لهم من الدين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (١٨:٤٥) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) وفريد أفندي جعل المسلمين شارعين ولذلك قال بعد ما تقدم «ثم لما اتسع نطاق العمران واستدعت الأحوال تدوين شريعة شاملة لجميع الأصول والفروع اقتضت الحاجة ان ينبغ المشرعون الاولون من المسلمين كالأوزاعي والشافعي وسعيد بن المسيب وابي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد» الخ ثم قال «فاختلف المشرعون الاولون» وقال «فظلوا يشغلون بأمر التشريع والتفتين» وقال «فاستحال امر المشرعين» والصواب أن هؤلاء لم يكونوا الارواة للحديث ومستنبطين منه ومن الكتاب أي مبيئين ما يفهمونه منها للناس ونائل الشريعة ومفسرها لا يسمى شارعا (ولا مشرعا كما تقول الجواهر الآن) وإنما الشارع والمشرع (أو المشرع) هو واضع الشريعة ويطلق الشارع في كتب المسلمين على الله تعالى لأنه واضع الشرع وعلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مبينه عن الله تعالى ولم يعرف الامته نعم يصح استعمال هذه اللفاظ في غير هذه المعاني لغة لاسيما لفظ التشريع فإنه يستعمل عند علماء الفنون العربية اسما لنوع من محسنات البديع ولكن الموضوع ليس لغويا وإنما الكلام في الشرع الاسلامي فينبغي فيه اتباع اصطلاح أهله المأخوذ من القرآن إلا أن يخرج المشكك عن صراطهم ويجهل الشرع من وضع البشر

قال فريد افندي في الأئمة الذين تقدم ذكركم « فظلوا يشتغلون بأمر التشريع والتقنين ويعقدون تلك التروس الحافلة حتى جاء القرن الثالث وكان قد طرأ ضعف في أمر الحكومة انتقلت به الى شكل حكومة مطلقة مستبدة بعد أن كانت شورى دستورية... فاستحال أمر المشرعين الاسلاميين الى حفظه أقوال المتقدمين وبطل الاجتهاد لعدم نبوغ العلماء الضليعين وأصبح رجال العلم تبعاً لرجال السياسة في الاهواء والميول فتوالى الضعف على هبثهم شيئاً فشيئاً حتى تولاهم العجز بأخص معانيه فاصطلحوا على عدد من الكتب يقرؤونها ويفهمون عباراتها بدون تفقد ولا عناية وصار هذا معنى الدين وانعكس بالسنة في نظرهم »

أقول يفهم من قوله السابق « ثم لما اتسع نطاق العمران » الخ وقوله هذا ان تدوين الشريعة أو التشريع على رأيه قد كمل في وقت اتسع العمران قبل تحول الحكومة من الشورى الى الاستبداد . ونحن نعلم أنه لم يدرك حكومة الشورى من أولئك الفقهاء أو المشرعين على رأيه الاستبداد المسبب لانه تابعي ولقد في خلافة عمر وهو لم يدون شيئاً والباقيون كانوا في زمن بني أمية وبني العباس وحكوماتهما استبدادية بالانزعاع على ان العمران كان في زمنهما أكثر نمواً . ثم ان علماء القرن الثالث لم يكونوا كما ذكر بل ولا القرن الرابع ولا القرن الخامس فالفترة ما اتسع نطاقه الا في هذه القرون وان كان الفضل للمتقدم ولعلنا نبين ذلك ان ما رانا فيه عمار

ثم قال فريد افندي « نحن في هذا الدرس سنعمل على فهم ما هي الشريعة في الاصطلاح الاجتماعي وكيف تكونت الشرائع في مدى التاريخ وكيف توترت أصولها حتى وصلت الى أرقى ما وصلت اليه اليوم وكيف تكونت الشريعة الاسلامية القرآنية وما مكانها من بين سائر الشرائع وما معنى كونها خاتمة الشرائع وماذا هو الاجتهاد وكيف حصل الاستنباط الخ ولنا في كل مبحث من هذه المباحث كلام في فلسفة الموضوع الذي نتكلم عليه وآخر ما انتهى إلينا الرأي اليه وتطبيق ذلك على روح القرآن واطهار اعجاز الشريعة الاسلامية من هذه الوجبات بأمرح بيان » اهـ

ونقول هذه بضعة وعرد منصوبة وأشار برمز «ألح» الى وعود أخرى وبني على الوجود وعودا ولم يف بما وعد اذ لم يكن باقي الدرس الا كلاما في المدل يثلوه كلام في معنى كون أصل الشرائع من الوحي وايراد اعتراضين على ذلك غير واردين والجواب عنها بما لا يدفعا، وكلام في بناء القوانين على الاخلاق وقد ذكرتنا هذه الوجود بقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في كتابة فريد افندي انها «مقدمات وعود»

عرف المدل بأنه ما أدى اليه العقل من الاحكام وهذا غير صحيح لان الاحكام التي وصل اليها الناس بقولهم منها ما هو عادل ومنها ما هو جائر والمالكون بها منهم العادل ومنهم الظالم فالعدل أمر آخر لا محل للكلام فيه هنا ولم نذكره لأنه مقصود بالذات وانما ذكرنا لأنه جاء عقبه بما يأتي

« هنا يلزمنا أن ننبه الى موضوع خطير وهو أن متشعري أور باعامة يعبون علماءنا في اعتقادهم بأن أصل الشرائع الوحي ولهم في ذلك علينا مطاعن في غاية الصرامة ونحن هنا لا نمانع لنا من حل هذه الشبهة فنقول : القرآن الكريم توسع في معنى الوحي فلم يقصره على التبيين بل أطلقه على أدنى درجات الانسياق الطبيعي الحيواني فقال تعالى (واذا أوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يرشون) واذا صح اطلاق الوحي على هذا الانسياق القطوي الحيواني صح من باب أولى اطلاقه على نتائج العقل الانساني لان الله خالق كل شيء والباعث على كل شيء فيكون لا تنافي بين قول متشعري أور وبأن الشرائع أصلها العقل وبين قول علماء الاسلام أن أصلها الوحي . اذا لم يقبل العلماء هذا الحل الموافق لكتاب والعلم فقد تعرضوا للشبه لا نخلص لهم منها وهي :

(أولا) لو كان أصل الشرائع الوحي بمعناه السامي لزلت الشرائع الاولى حاصلة على العدالة بمعناها الخاص والمشهد بين حوادث التاريخ أن الشرائع بدأت مناسبة لعقل الانسان وسداجته ونقص أخلاقه والله يقره عن ذلك (ثانيا) في الارض أم كثيرة في أدنى درجات التوحش ولها شرائع على حسب مداركها مطابقة في أصولها الاولى لشرائع الجمعيات البشرية الاولى فلماذا نحكم

بان شرائع المتوحشين المصريين هي من تلقاء أنفسهم وتلك الشرائع هي من الوحي مع تشابهها في النقص والسذاجة هـ اهـ

افتخر فريد افندي لملائنا قولاً لم يقوله ولا قاله أهل مذهب منهم وأورد عليه مطاعن عزاها الى الاوربيين ، ليدافع بكشف شبهتها عن الاسلام والمسلمين ، فكان دفاعه ملوَّح ما يسبق الى الاذهان منه - من قبيل تلك المطاعن أو أشدها الظاهر من عبارة فريد افندي الذي يفهم منها القارى هو ان الوحي أصل كل شريعة وجدت في البشر فكانت قانوناً يحكم بها الناس فيما يختلفون فيه فلي هذا يكون مما يعتقد المسلمون أن الاحكام التي كانت عليها العرب في الجاهلية وكذا غير العرب من الوثنيين - كلها مبنية على أصل الوحي الالهي وانه لقول ينقضه الاسلام بكتابه وسنته ومذاهب أئمة تفضلاً وانما يقول المسلمون كافة ان الشرائع التي جاء بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام هي من وحي الله تعالى لامن مخترعات عقولهم كما قال تعالى (٢ : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) فاذا كان فريد افندي يريد من عبارته ما يدل عليه ظاهرها وهو ان المسلمين يقولون ان أصول جميع الشرائع كان بوحى من الله حتى شرائع الوثنيين المنحطين في الوثنية أو الذين ارتقوا فيها كقدماء المصريين والكلدانيين والرومانيين ثم يقول ان علماء أوربا يوجهون الينا تلك المطاعن لاجل ذلك فقد أعلمناه أن هذا باطل وزيد على ذلك ان الاوربيين لا ينسبون الينا هذا الاعتقاد ولا يطمنون علينا به . ولو طعنوا لما دفع قوله طعنهم لان الوحي لا يصح اطلاقة على نتائج العقول ومآوله الافكار وان صح اطلاقة على الالهام الفطري وان أراد بأصل الشرائع ما يعتقد المسلمون أن النبيين المرسلين جاؤا به عن الله تعالى ودعوا الناس اليه على أنه وحي من الله لامن عند أنفسهم فقد صدق في حكمية اعتقادنا وان علماء أوربا يطمنون علينا بهذا الاعتقاد بل لا يطمنون علينا الا باعتقادنا أن أصل شريعتنا نفسها وحي من الله دون شريعة اليهود مثلاً وحينئذ يكون دفعه لهذه المطاعن بما فسر به الوحي هو عين الهدم لأصل الاسلام

والتكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام لان ما نطق به القرآن وانفقد عليه
الاجماع هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء بهذه الشريعة من عنده وليس
من نتائج عقله وفكره وانما يقول بهذا من يسكرون الاديان ويدعون أن الانبياء
فلاسفة أخلاق وآداب واجتماع أسندوا فلسفتهم الى الوحي الالهي ليقبلها الناس
ولهذا رجحنا أن الاحتمال الاول هو مراد فريد افندي وعليه يكون محطنا
في عزوه الى المسلمين مالا يعتقدون والي الافرنج مالا يقولون ، (لان ما نبى على
القاسد فاسد) وقصر في سكوته عن بيان شبهتهم على شريعتنا وعن دفع هذه
الشبهة وما يؤيد الترجيح تصريحه بأن الوحي معنى خاصا غير ما فسر به أصل
الشرائع وقد عبر عن هذه الشرائع بالناقصة وانما ذكرنا الاحتمال الثاني لما علمت
ولكن انظر ما يأتي

قال فريد افندي « فان قال قائل قد ثبت شرعا أن أول البشر آدم عليه السلام
وهو نبى بالأجماع وقد ذكر الله أنه أوحى اليه وعلمه فيكون أصل الشرائع الوحي
بالمعنى الخاص نقول ان صح ان إيهاء الله لآدم كان بالمعنى الخاص ولم يكن
بمعنى الالهام والنفث في الروح من طريق مقتضيات الفطرة الانسانية فان الله
لم يذكر انه أوحى اليه شريعة بل لم يكن الحال يقتضي ذلك في ذلك العهد لقلة
الناس وقربهم من حالة الفطرة » الخ

ونقول انه بعد أن ذكر ان آدم كان نبيا بالاجماع ما كان له أن يزاد في كون وحي
الله له - وقد اعترف بأنه ثابت - من الوحي الخاص لا من قبيل الوحي الى النحل
فيه سقطه كبيرة - وقوله ان الحال في عهده لم تكن تقتضي شرعا لما ذكره ظاهر
البطلان فان القليلين يتنازعون ويخصمون كالكثيرين فيحتاجون الى من يحكم
بينهم بالحق والعدل وقد ثبت أن أحدا بناء آدم قتل أخاه ولم يمنعه القرب من الفطرة
عن ذلك فاذا نقول فيما دون القتل من أنواع الخصام ؟ ثم ما يدرينا أن آدم عاش عموما
طويلا كثر الناس فيه فإن طبيعة الأرض كانت في عهده غير طيبة ما الآن فيما يظهر
بل ثبت بالوحي أن نوحا عاش نحو ألف سنة لأن طبيعة الأرض قبل الطوفان كانت
غيرها بعده وأمزجة الناس كانت قابلة لذلك على ما هو المرجح عندنا والله أعلم بالصواب

ثم ختم فريد أفندي دوسه بأربع مسائل قال أنه يمكن جعلها نتائج له وهي (١) ان العدالة في الأمة تكون مناسبة لعاداتها وأخلاقها و (٢) أن الأمم تتكون على النظام الذي تدرك به نفسها . و (٣) أن كل نرق أخلاقي يتبعه نرق تشريعي و (٤) ان « الشريعة لا تصل الى أوج كمالها في أمة الا اذا كانت المساواة بين الافراد بالغة حددها الاقصى أي اذا ترقت فيها الاخلاق لدرجة ان الرجل منها يعتبر غيره نظيره وهذه هي الحالة الوحيدة التي يتخلص فيها العقل من أوهامه الاجتماعية فيواجه الطبيعة الحقة للحوادث ويترك لها زمامه لتفوده الى العدالة المحضة »

(قال) « من هنا يرى الرائي كيف ان كل انقلاب حدث في اخلاق أمة يتأدى بطبعه الى انقلاب في شريعتها . ويدرك تبعاً لهذا فساد الاحكام وبطلانها عن العدالة في بعض الامم المتدنية التي تقرر مبدأ التمايز في أفراد الجمعية فذهب لبعضهم حقوقاً تسلبها عن الآخرين باعتبارات دينية

« هنا نستلفت نظر القارئ الى أمر خطير يدل في احواله على أن الشريعة الاسلامية هي اعدل الشرائع وأرقاها بحكم أكبر أصل من أصول فلسفة التشريع . وذلك أن هذه الفلسفة تقرر بأن الشريعة لا تصل الى أوج الكمال الا اذا كانت المساواة تامة بين الأفراد . وهذه الشريعة الاسلامية مبناها (انما المؤمنون إخوة) فلم تقرر في أصولها أدنى امتياز لأي طائفة فتكون بهذا الدليل الاجمالي اعدل الشرائع وسترى في التفصيل المعجب المعجب » اه كلام فريد أفندي أقول لو أحنى المتفقد هذه الجملة لا يمكنه ان يكتب في انتقادها عدّة أوراق

ونكتفي بذكر المهم عندنا من ذلك وهو ما يتعلق بالشريعة الاسلامية انه جعل كمال الشريعة تاجها لجمال الناس في أنفسهم ولما نزلت الشريعة الاسلامية لم يكن الناس الذين أنزلت لأجل الحكم بها بينهم أولاً في ذلك الأوج من الارتقاء فكيف نبى تفضيلها على هذا الاصل

ثم من هي الأمة المتدنية التي وصفها بفساد الاحكام وبطعن العدالة لتقویرها مبدأ التمايز بين الافراد بالدين ؟ اليهود ليس لهم حكومة والنصارى جعلوا احكامهم مبنية على العقل وشهد هو للأوربيين منهم بالارتقاء العظيم . فهل يعني

بعض الوثنيين ولم لم بشر الى ذلك . وما ذا يقول في مثل جعل الخلافة في قرش وفي أحكام شهادة غير المسلم على المسلم في الشريعة الاسلامية
وعلى الشريعة الاسلامية خاصة عنده بالمؤمنين بها أم يحكم بها بين غير المؤمنين بها ؟ واذا قال بالثاني فهل أخوة المؤمنين لبعضهم البعض تقتضي مساواتهم لغيرهم ممن يحكم بها أم لا ؟ فان اعترف بأنها لا تقتضي ذلك فكيف يتم قوله
ان رأيه في ارتقاء الشريعة ووصولها الى أوج الكمال إنما يصح في القوانين الوضعية التي ترتقي بارتقاء الواضعين لها في أهمهم وفي أنفسهم . وأما الشريعة الاسلامية فإنها قواعد وأحكام أنزلها الله كاملة لأجل ان يكون ارتقاء الناس تابعا لها فكان كال المؤمنين باتباعهم لها ولم يكن كالها هي تابعا لكانهم
هذا ما رأينا ان ننبه عليه ونهتكم الكلام ببيان ان سبب هذا الخطأ وأمثاله فيها يكتبه محمد فريد أفندي وجندي من المباحث الاسلامية هو عدم تلقية علوم الدين عن أحد من العارفين به ففسى ان يحمله ما يرى من انتقاد كلامه في الدين على مقدسة الملم من علومه والله الموفق

أنا على البشرية

صدى مقال المناري دعوة العلماء الى نصيحة السلاطين

(وشهادة موسيو وامبري للاسلام)

ترجم بعض فضلاء الترك مقالا (حال المسلمين في العالمين ودعوة العلماء الى نصيحة الاسراء والسلاطين) الذي كتبناه في الجزء الخامس من مجلد المنار التاسع (ص ٣٥٧ م) بالقبلة التركية وطبعه بالفرنسي ووزعه في بلاد كثيرة فكان له صدى استعجاب من أصحاب الافكار المستقلة من الترك وغيرهم كأ كبره كثير من كتاب العربية وأظهروا استحسانه في الصحف المنشرة كالمقتطف بمصر ومراة الغرب في امريكا الشمالية والمناظر في امريكا الجنوبية . وكتب

الينا غير واحد من كبراء الترك كتب الاستحسان والشكر
وقد أرسل مترجم المقال نسخة منه الى العالم المجري الرحالة الشهير موسيو
(وامبيري) العالم بالتركية وكثير من اللغات الشرقية فكتب اليه وامبيري رقعة
قلنا صبرتها بالانكشاف وهذه هي ويلها ترجمتها



The Librarian

Mr. Sigeli Riza bin Emrah Efendi
Professor in the English School of Cyprus.
Cyprus (Cyprus)
مفتي المدرسة الإنجليزية

ذات مقامه كركي هنتي و عترق اليه ترجمه اوليتي
بالتفصيل بكل وقت اليه اذ قدم واقعه مفكر واراد
مطل يا سلاميه و يا لخصه غلطى ملت لحيه مني ظلم
واستعداد القلم يفتي ووطه هلاكه و يا رافق بلاءه
اول علما ايشير بهييت اسم و شيراه اسطاسي ديه
لن ابناء ايدم اديت درو انك استغفالتني باميه ايونك
ايضا اديت اول بيلور ياسته انك ايجيت و ملنگ و ايدم
تدريت و ايدم و ايدم و ايدم و ايدم و ايدم و ايدم
خزينة ايدم و ايدم و ايدم و ايدم و ايدم و ايدم

بالتفصيل
الامبيري

بنابة التدقيق قرأت الرسالة التي ترجموها هذه أعمير في أن اتقاد الامم
الاسلامية وسيد الشااية من الظلم والاستبداد هو من كل العالم قبل كل أحد .
إن روح نظام المسلمين هو الدين . والذي أحياهم هو الدين . والذي يكفل

سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس لا . ولهذا أتم خدمتهم ملككم جيداً (بهذه الرسالة) ومتى سنحت فرصة سأنشر رسالتكم في الجرائد الا فرنجية
عبد ملككم القديم

وامبري

﴿ فرائد اللغة العربية ﴾

الكلم الذي يؤدي معاني الجمل

(أبد) الشاعر - كضرب - أني في شعره بالعويص وما لا يعرف مضاه
(أبر) الرجل الكلب - كنصر وضرب - اطعمه الأبرة في الخنزير. وهكذا
كانوا يشتقون من الاسماء الجامدة ما تعرض له الحاجة ويجب ان يكون هذا متبصراً
كأهو مقتضى الطبع في كل لغة حية ومنها لغة العامة فانهم يشتقون بالسليقة من غير
تكلف ولا مواضع. يبدأ باشتقاق الكلمة من تعرض له الحاجة اليها أولاً من غير
أن يفكر انه زاد في اللغة كلمة أو كلمات ويسري ما يشتقه بين الناس كأنه قديم
لا يلتفتون الى حدونه ولا يسندونه الى أول من تكلم به

(أبز) الانسان - كضرب - استراح في عدوه ثم مضى
(أنت) المرأة - كضرب - وآنت رأيتك ولدت الولد منكوساً وهو ان
تخرج رجلاً قبل يديه

(أبدأ) الصبي خرجت أسنانه بعد سقوطها
(البدن) السيد الاول في السيادة و(التيان) الذي يليه في السؤدد فلا يقال
البدن الا فيمن انتهت اليه الرئاسة في قومه . قال أوس بن ممرى السعدي يتنخر
ثياناً ان أنام كان بدأهوا وبدوهم ان أناما كان ثياناً
والبدن أيضاً الشاب العاقل المستجاد الرأى والعظم بما عليه من اللحم . والمفصل
(البدني) والبدني البئر الاصلية أي التي حفر في الاسلام فهي حديثة
غير عادية كذا قالوا والصواب انها البئر الحديثة التي يعرف حافرها أو مالكمها في
أي زمن وأية أمة

(الحنية) البئر القديمة التي يعرف حافرها كزمنم

(القلب) البئر القديمة التي لا يدرف طارب ولا سافر
 (الركي ابدى) هي البئر ماؤها ظاهر بارز . وهو على حد عيشة راضية
 (الركي الغامد) هي البئر المغطى ماؤها بالتراب
 (الركي البكي) وينال ركية بكية اذا غضب ماؤها وهو تشبيه بالناقة الضليلة
 القين وأصله بكية . يقال بكوت الناقة اذا قل لبنها ويقال بكوت عيني اذا قل
 دمها وهو مجاز
 (البراء) بالفتح كماء أول ليلة من الشهر وبين البراء أول يوم من

﴿ الإنجيل الصحيح ﴾

(أو إنجيل برنابا)

لعل قراء المنارة يذكرون أننا نشرنا في المجلد السادس ترجمة مقدمة كتاب
 الفيلسوف تولستوي الروسي المسيحي لكتابه الذي سماه (الأنجيل) تحت عنوان
 (الإنجيل الصحيح) ونريد لهم الآن من تلك المقدمة الطويلة المنشورة في عدة
 أجزاء هذه المجلة الوجيزة :

« ولا ينبغي لقارئ أن ينسى أن هذه الأنجيل بشكلها الحاضر لا تتضمن
 أبنة شهادة الحوارين وتلاميذ عيسى مباشرة وإن القول بفكك من الحرافات
 التي لا تنصير على محك النقد فضلا عن عدم بنائها على أدنى أساس سوى رغبة
 نفوس أرباب التقوى والورع في أن تكون كذلك . فقد تواتت القرون والناس
 يدورون الأنجيل ويهدون موضوعاتها ، ويتوسعون في عباراتها ، ويشرحون
 أقوالها فإن أقدم النسخ التي وصلت إلينا قد تمت كتابتها في القرن الرابع للميلاد
 وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها إلى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك
 من الاشارات التي تستعمل لايضاح الكلمات وبيان الجمل . ولذلك دعت
 الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس إلى تفسيرها بطرائق متخالفات من كل
 الوجوه وصارت نسخ هذه الأنجيل تقارب الحسنيين ألفا »

هذا ما قاله الفيلسوف ونقول أن رجال الدين قد اختاروا من بين الأنجيل

الكثيرة تلك الاربعة المشهورة ورفضوا ما سواها بالتدريج ويقال أن بعض مذاهب النصرانية القديمة كانت تمسك ببعض الانجيل المرفوضة عند أهل المذاهب المعروفة الآن

ومن الانجيل التي رفضتها الكنيسة انجيل برنابا أحد حوارى المسيح عليه السلام وقد فقد كثير من الانجيل المرفوضة بنج الكنيسة لها وقضائها عليها أو اختفائها لها ولكن انجيل برنابا مما بقي تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء ، ومازال هؤلاء الباحثون الذين لا يصدم شيء عن إحياء الآثار القديمة يتوقعون الظفر بنسخة من هذا الانجيل لينشروها بين الناس حتى صدق عليهم قول الشاعر

وقل من جد في أمر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
ظفروا بنسخة بالغة الطليانية كانت قد سرقت من مكتبة (الفاتيكان) التي يوجد في خزائنها السرية من الكتب مالا يوجد في غيرها لما كان لبابوات الذين جمعوها من النفوذ والسلطان في الممالك النصرانية

ترجمت هذه النسخة بالانكليزية وطبعت في هذا العام بمدينة (أو كسفورد) بالفرنسين وما تفضل الطابع لها باهدائنا نسخة منها فشكراً له وأينا هذه النسخة توافق الانجيل الاربعة المشهورة في كثير من مسائل التاريخ والأرشاد وتختلف في أمم القواعد والمسائل كالتعبير عن المسيح عليه السلام بعبد الله ورسوله ويان أنه لم يصلب والبشارة الصريحة عنه بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصريح بكون الدييخ اساعيل لاسحق (عليهما السلام)

أردنا أن نجي هذا الأمر بلفتنا كأحياء الافرنج ببعض لغاتهم (ولا بد أن يحويه بسائرها) فكلفنا صاحبنا الدكتور خليل بك سعادة أن يترجمه لنا بالعربية لما نهده فيه من البراعة في اللغة الانكليزية فطلق بترجم وأنشأنا نطبع شركة بيننا واخبرنا أن تكون الترجمة عن الانكليزية بحرفية لا تصرف فيها ولكننا زدنا على الاسم عدد الجمل بالارقام لكل فصل لاجل سهولة المراجعة عند النقل منه ولا يلبث الافرنج أن يفتلوا ذلك ، وهالك ما قاله برنابا في مقدمة انجيله كما جاء في الأصل :

﴿ الانجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح ﴾

﴿ نبي جديد مرسل من الله الى العالم كما رواه ﴾

« برنابا رسوله »

برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يمتحن جميع أهل الارض
سلاماً وتغذية

أيها الاعضاء ان الله العظيم المجيب قد بعث الينا في هذه الايام
الاخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها
الشیطان ذريعة لتضليل كثيرين تحت ستار التقوى مبشرين بتعليم شديد
الكفر داعين المسيح ابن الله رافضين الختان الذي أمر به الله دائماً
محوزين كل لحم نجس الذين ضلّ من عددهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم
عنه الا مع الاسى وهو السبب الذي لاجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته
وسمته اثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلّكم الشيطان فهلكوا
في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يشركم بتعليم جديد مضاد لما
أكتبه تخلصوا خلاصاً أبدياً

وليكن الله العظيم معكم وليعزسكم من الشيطان ومن كل شرّ آمين اه
أقول ومن المأثور عن القوم ان بولس أدرك برنابا وسافر به الى بعض
البلاد التي نشر فيها تعليمه وفلسفته الدينية فالظاهر من هذه المقدمة ان
برنابا لما رآه خالف ما يعرف هو عن المسيح بالمشاهدة والتلقي فارقه وكتب
هذا الانجيل لاجل بيان حقيقة مادعا اليه المسيح وما بشر به

﴿ حياة الزوجين ﴾

كتاب « اجتماعي أدبي اشتمل على آداب حياة الزوجين وما يجب على كل منهما نحو صاحبه وعلى ما تضمنته أسفار الحكا - واسطورات الطما - ما توضح به مناهج السعادة وقواعد الهناء لهما تأليف مصطفى (أفندي) عبد اللطيف أحد موظفي مصلحة البوسطة المصرية بالقاهرة »

إذا نظرت في فهرس هذا الكتاب رأيت من أسماء المباحث فيه ما تقول إنه ينبغي لعامة القراء أن يطلعوا عليه كالكلام في الزواج وفوائده ومبادئ الزواج المشروع وماذا يجب على المرأة لزوجه من الطاعة والنشاط وحسن الخلق والبشاشة والخلقة والاقتصاد وغير ذلك ، وما يجب على الرجل لزوجه أيضا . ويلى ذلك باب الوصايا وفيه إحدى عشرة وصية وطلبه بحث تأثير المرأة في البيئة الاجتماعية وبحث تربية البنات ووجوب تعليم المرأة وهو فصل في نصائح فيلسوف لبنته ويألفها من نصائح حكيمة

لم يستبد مؤلف هذا الكتاب برأيه فيما كتب بل اقتبس من الكتب والمجلات فوائد كثيرة عزاها إليها لئلا ينسى أن يعزوا إلى المار منها تلك البارة التي ترجعها الأستاذ الامام عن مذكريات البرنس سمارك فمن اطلع على هذا الكتاب الوجيز قرأ مالا يفيصر له الاطلاع عليه غالبا إلا اذا كان مقتنيا لأشهر المجلات العربية . وأنا بروية فهرسه وتصفح بعض صفحاته نحكم بأن ما فيه من الفوائد النافعة مما ينبغي أن يذاع ويقرأ في البيوت على النساء والبنات ويباع في مكتبة المنار وغيرها من المكتبات الشهيرة وعن النسخة منه خمسة قروش صحيحة

﴿ أقوال الجرائد في تاريخ الاستاذ الامام ﴾

أصدرنا جزء المنشآت وجز التبيين والثناء من هذا التاريخ معا وإن كان قد تم طبع أحدهما قبل الآخر بعدة أشهر وأهديناهما إلى الجرائد اليومية بالقاهرة في يوم واحد واننا نذكر بعض ما كتب عنه في جرائد المسلمين والقطب والسورين

ثم نذكر ما كتبه جريدة روسية عن الجزء الثالث لبعث القارىء العاقل بما يرى من الاختلاف فيها

قلت الجريدة في ع ٨٨ الصادر في ١١ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢٢ يوليوس سنة ١٩٠٧

تاريخ الاساذ الامام

تم الآن طبع جزئين من هذا التاريخ الذي كان يترقب ظهوره كل مصري يعترف بفضل المرحوم الشيخ محمد عبده وليس المتعرفون به قليلين هذان الجزءان هما الثاني والثالث اما الأول فسيتم طبعه في هذا الصيف والثاني يحتوي على بعض رسائله ومقالاته التي نشرت في الجرائد ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ومدافعته عن الدين ورحلته الى صقلية وعلى كتبه ورسائله الى العلماء والفضلاء في الموضوعات المختلفة وعلى بعض حكمة المنشورة والثالث يحتوي على تاريخ الجرائد والفضلاء ورسائل المحبين من الادياء جميعا الفاضل الشهير الاستاذ السيد محمد شيد رضا أحمد كار تلاميذ المرحوم الاستاذ الامام وهو يكتب الآن الجزء الاول الذي يحتوي على سيرة المرحوم وترجمة حياته ان الامام رحمه الله شغلته الشراغل الكثيرة المتعاقبة بالخدمة العمومية عن التأليف ولكن هذا الجزء الثاني المحتوي على مکتوباته المتنوعة يهدينا مؤلفاً كبيراً من ذلك النظم الذي يبعث روح حياة جديدة في الافكار في هذا القطر ولذا يقابل جمع السيد رشيد لأشنيات هذه المکتوبات بالثناء العاطر من قبل الذين شفق فؤادهم حب المرحوم

أما الجزء الثالث فلنا منه سفر جامع لنخب الشعر والنثر جدير أن ينفع بمطالعة المتأدبون وهذا الجزء الثالث مصدر برسم المرحوم أما الثاني فغير مصدر به وهذا ما نأخذه على جامع الكتاب فمسي ان لا يحرم قراء الاول من مشاهدة مثل تلك الطائفة الكريمة

وقد وضع له الجامع الطابع قيمة رخيصة كأنه رأى ان كل قيمة مادية لا تعادل قيمته المعنوية فأحب ان يعم فائدته برخيصة قيمته المادية فيباع الجزءان بنفسه

وعشرين قرشاً وفيها نحو من ألف صحيفة ويباع الثالث وحده بعشرة قروش
والثاني وحده بخمسة عشر قرشاً وعمل يبعها مكتبة المنار بشارع درب الجمايز

وقالت جريدة الجوائب في ع ١٣٢٢ الصادر في ١١ ج ١

تاريخ الاستاذ الامام

رسم الله الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كم فزع الناس في حياته وبعد ماته
مات الاستاذ فشر العالم كله بفداحة الخطب ، وحرن عليه الشرق والغرب
وكيف لا يعرف الاستاذ الامام أحد وهو ذلك الرجل الذي وطد دعائم
العلم وفك الافكار من قيودها الثقيلة ؟ وأحيا الفلسفة الشرعية بعد موتها ؟ وملأ
مصر نورا ؟

وقد اعتنى حضرة الاستاذ العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء
بجمع ما وصلت اليه يده من فلسفة الاستاذ الامام وكتاباته التي في الفنون الاخرى
ومراثي الأدياء والشعراء والصحف العربية والتركية والفارسية والاجنبية على
اختلاف لغاتها ومنازعها

وقد جاءنا الجزآن الثاني والثالث من هذا التاريخ المجلد

وفي الجزء الثاني بعض رسائل الاستاذ الامام ومقالاته التي نشرت في
الصحف ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم المدني ومدافعته عن الدين ورجلته
الى مستقبله وكتبه ورسائله الى العلماء والفضلاء في الموضوعات المختلفة وعلى بعض
حكمه المنشورة . وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً وأجرة البريد ٣ قروش

وفي الجزء الثالث تأبين الصحف والكبراء والفضلاء ونموذج من تهذيبي
أهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ٣ قروش
أما الجزء الاول فلم يتم طبعه الى الآن وسيتم ان شاء الله في القريب من
الوقت وفيه تاريخ حياة الاستاذ الامام وفلسفته وحكمه العالية وهو أهم الاجزاء
الثلاثة على ما نظن

والجزآن الثاني والثالث يباعان في مكتبة المنار بشارع درب الجمايز

وقالت جريدة المقطم في ع ٥٤٥ الصادر في ١٤ ج ١ و ١٢ يونيو
أهدى النا حاضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار
الجزءين الثاني والثالث من تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أما الثاني
فيحتوي على شيء من رسائل الامام ومقالاته التي نشرت في الجرائد ولوائحه في
اصلاح التربية والتعليم الديني وعلى كتبه ورسائله الى العلماء ورحلته الى صقلية
وبعض حكمه المشهورة . وهو يقع في ٥٦٠ صفحة ذات حرف جلي وورق صقيل
وكله غرر ودرر قد خلعت الفصاحة عليه زخرفها وجلت البلاغة بمطرفها ولا غرو فان
الامام رحمه الله كان امام عصره غير مدافع

وأما الثالث فمصدر رسم الامام ويشتمل على تأبين الجرائد وبعض الكبراء
والفضلاء ونموذج من تعازي أهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء وما قيل في حفلة
الاربعين على القبر وهو يقع في ٤٢٨ صفحة وكلا الجزئين يباع بمكتبة المنار بشارع
درب الجميزة . فثنى على حضرة الفاضل منشئ المنار لاهتمامه بنشر أنفس الآثار

وقالت جريدة مصر في ع ٣٤١١ الصادر في ١٠ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢١

يونيه سنة ٩٠٧

اهدانا حضرة الكاتب العالم والاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الفراء الجزء الثاني والثالث من تاريخ الأستاذ الامام المرحوم الشيخ
محمد عبده وهما يتضمنان تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء له رحمة الله عليه
ونموذجاً من تعازي أهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء وشيئاً كثيراً من
رسائل صاحب الترجمة في اصلاح التربية والتعليم الديني ورحلته الى صقلية ورسائله
الى العلماء في مواضيع شتى فثنى على همة وغيره حضرة الاستاذ رشيد على وضع هذا
الكتاب المفيد في تخليد ذكر ذلك الامام ونعت جمهور الادباء والفضلاء على اقتنائه

وقال المؤيد في العدد ٥٢٠٠ الصادر في ١٥ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢٦ يونيو سنة ٩٠٧

﴿ قَرِظَ الْمُنَقَّى ﴾

« الجزء الثاني والثالث من تاريخ حياة المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده »

الثاني في المنشآت والثالث في التأبين والمرأى أصدر هذين الجزئين جامعهما
الاستاذ الفاضل الشهير الشيخ محمد رشيد رضا مفتي المنار وهو مباشر في إعداد
الجزء الاول الذي يتضمن ترجمة المرحوم المشار اليه . وربما أصدره عن قريب
أما موضوع الجزء الثالث المصدر برسم المرحوم فلموم كنهه لدى القراء .
وأحسن ما يقال فيه أنه معرض لقرائح الشعراء والكسابة : منه تتجلى مقدرتهم
ويوازن بينهم في موضوع فتواردوا عليه . ومعنى واحد كتبوا وظفوا فيه
وأما موضوع الجزء الثاني فربما كانت مضامينه خفية على معظم القراء فنحن
نشير الى نموذجات منها عن كتب : الواردات في علم الكلام وهي على تخط يدع
غير مؤلف . ومقالات ملخصة من دروس الشيخ جمال الدين الافغاني في الترية
والصناعة ومنها مقالات كان ينشرها المرحوم المفتي في جريدة الاهرام منذ ثلاثين
سنة في مطالب ومواضيع مختلفة . ثم مقالات له في الوقائع الرسمية تتضمن كثيراً
من الابحاث الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والدينية ثم مقالات المروءة الوثني
وهي أشهر من نار على علم . ثم لوائح في اصلاح بلاد الدولة العلية . وردة على
هاتون ورأيه في محمد علي باشا هل أصلح مصر أو أفسدها . ثم كتبه ورسائله
الى العلماء والفضلاء في سائر الاقطار
وفي نسبة هذه المنشآت الى الاساذ المفتي رحمه الله ما يفي عن الاسهاب
في رفعة منزلتها وبيان فائدتها . وأنا لتلفت عشاق البلاغة وعجبي البحث في
الاجتماع الاسلامي الى هذا الكنز الثمين الآن . وربما نقلنا فصولاً منه في
الاعداد التالية من المؤبد فها بعد الآن

وقالت جريدة اللواء في

﴿ تاريخ الشيخ عبده ﴾

أهدانا الشيخ رشيد رضا تاريخ المرحوم الشيخ محمد عبده وهو في ثلاثة أجزاء
يجمع فيها كل ما قيل عن المرحوم من نثر وشعر تأييداً له بعد مماته ومفصل تاريخه
وأحواله في حياته والجزاء مبهمة تبويهاً يسهل على القارئ تلاوتها
ومن كل جزء عشرة قروش ويباع بمكتبة المنار بشارع درب الجمائز .

(الدار) فليتأمل القاري البصير في أقوال هذه الجرائد في الكتاب وفيمن وضع الكتاب لإحياء آثاره وذكره وليقابل بينها مستدلاً بها على أذواق أصحابها ومحرريها وشعورهم بمجد أجدد هذه الجرائد البثاء والإطراء على إمام المسلمين ومفتخر المصريين هي (وحاشا الجريدة) أشدها تقصيراً وأبعدها عن الذوق وفطرتها في غلط الحق فإذا كانت جريدة المويديد استكبرت عن تسمية التاريخ باسمه (تاريخ الاستاذ الامام) وجلت عنوان الكلام عنه (تقريظ المتي) وهو عنوان لا وجه له فإن التقريظ هو مدح الحي بالحق أو الباطل - وإذا كانت لم تصبر عن الفقيد عند ذكره بلقبه المعروف عند أهل المحققين (الاستاذ الامام) كما علم من الجزء الثالث من تاريخه - على أن المويديد كان قد سبق الجرائد إلى التعبير عنه في حال حياته بالامام يوم رده على هانوتو - وإذا لم تذكر شيئاً من مكانته وفضله واستحسان إحياء ذكره - فإنها تعد مشيرة بالنسبة إلى تقصير جريدة اللواء التي جاءت بسنخ لا يمكن أن يوجد مثله في غيرها حتى الجرائد التي توصف بالساقطة . وقد يندر محرورو المويديد إذا اكتفوا من تقريظ التاريخ بمجمل ما فيه ولم يلتفتوا صاحبه بلقبه لعلهم بأن سياسة صاحب الجريدة قد تقتضي ذلك والكتاب قد أهدى إلى المطبعة يوم سفره (وإن لم يصدروا بذلك العنوان الذي نعتقد أنه ما كان ليرضاه لو كان هنا لأنه يوصف بحسن الذوق في وضع المناوين) ولكن الكتاب أهدى إلى جريدة اللواء وصاحبها موجود ومرت أيام كثيرة وهو بين يديه ولم يكتب عنه شيئاً وبعد سفره كتب خطافه ما رأيت وهم أعلم الناس بما يوافق سياسة ذلك الذي ينحني خاضعاً أمام غار بيالدي لأنه نبغ في وطنه (إيطاليا) ويشكر فضل أعظم التابفين في وطن نفسه كالاستاذ الامام . أليس هذا مما يعد مصداقاً لقول الاستاذ الامام في اللواء « انه مجموع نويات عصبية بعضها شديد وبعضها ضعيف » (أو ضعيف)

فإن قيل إن جريدة اللواء لم تقصر في تأييد الاستاذ الامام عند موته بل اعترفت بأنه نال أعلى مقام بين علماء الاسلام (راجع ص ٣٣ من ج ٣ من التاريخ) وبأن الاجنبي كان يخرج من حضرته وهو يحسد الاسلام عليه (ص ٣٤) وأنه مات بموته العلم المصري وأنه قعيد البلاد قعيد العلم قعيد اليامي قعيد البؤساء

تقيد الاسلام والمسلمين الخ (ص ٣٥) فما باله اليوم لا يزيد في التعبير عنه على كلمة (الشيخ عبده) والجواب عن هذا ان اللواء الآن في رتبة شديدة عاجها رقي أشهر مردي الاستاذ الامام في الحكومة - ترقى سعد باشا زغلول الى منصب الوزارة وأحد قضي باشا زغلول الى وكالة الوزارة وهناك ميثاق مأخوذ على اللواء وعلى جرائد أخرى باسقاط حزب الشيخ محمد عبده ومقاومة رغبة ذكوه (واقفه ثم نوره) وهو هو السبب في جعل حسنات فاطر المعارف الجديدة سينات في تلك الجرائد والطنين فيه بعد ذلك الاطراء

ونظر بعد هذا الى قول عالم كبير روسي في جريدة روسية لتشكل لك المعرة وهو ماجاء في جريدة «وقت» التي تصدر في مدينة «اورنبورغ» بروسيا وهذه ترجمته

﴿ الشيخ محمد عبده ﴾

كان الشيخ محمد عبده مقى الديار المصرية مات سنة ١٣٢٣ في ٨ جمادى الاولى في الاسكندرية .

كان الشيخ محمد عبده من أشهر مشاهير الرجال في هذا العصر ولا شك ان شهرته تزيد ومكانته في النفوس تسمو على ممر الايام بما ترك من الآثار الحسنة واتم من الاعمال الجليلة .

لم يكتسب الشيخ محمد عبده هذه الشهرة الفاتكة بكونه كان مقى الديار المصرية . وانما نالها بكمالها العلمية . والا فقد سبق قبله بمصر مفتونون كثيرون ونقلت وظيفة الافناء بعده أيضاً الى عدة اشخاص ولم ينل أحد من هؤلاء واولئك من الشهرة عشر ممثار ما ناله الشيخ محمد عبده .

والسبب الرئيسي في تبرز الشيخ محمد عبده على أقرانه هو استفادته من علم حكم الشرق السيد جمال الدين الافغاني وكان بعد وفاته خليفته في العلم والاصلاح غير انه خالف استاذة في خطته السياسية ولا يخفى على البصير ان الرجل الحر المستقل في آرائه وأفكاره لا يعمل الا بما يمتدده صواباً وان كان فيه مخالفة لاساقته ومشايخه قضى السيد جمال الدين الافغاني حياته بالتفكير في اصلاح الدين الاسلامي . والكلام بهذا الشأن أيضاً كان . غير انه لم يتيسر له الشروع فيه عملاً لقضاه

جل أوقاته بالسياسة والسياسة . الا ان مالم يتيسر للانفاني يقدر الشيخ محمد عبده
تيسراً كاملاً . وذلك انه بعد ما رجع الى مصر من منفاه في سورية بذل قصارى
جهده في هذا المسلك (مسلك الاصلاح الديني) بالكتابة والتدريس في الأزهر .
كانت مجلة « المنار » التي يصدرها حضرة محمد رشيد أفندي رضا أنشئت
بقصد نشر آراء الشيخ محمد عبده وترويج مقصده الديني (*) ولا تبرح بعد
موته أيضا على هذه الخطة المستحسنة - وينشر التفسير المفيد من دروسه -
في « المنار » . لم يكن الشيخ المرحوم يلزم في تفسيره القرآن - اتباع أحد من
المفسرين ولا غيرهم وإنما كان يعول فيه على بصيرته الثيرة وفهمه الثاقب
ثبت الشيخ محمد عبده في خطه ثبات الاطواد ولم يأل جهدا في نشر مقصده
في أرجاء البلاد الاسلامية حتى انه كان مشغولا بالتفكير في مقصده في مرضه
الذي مات فيه وصادت قريحته قبيل موته بايات يتحسر فيها لحلول الأجل
قبل تمام العمل .

كان الشيخ محمد عبده معاصرا لنا أيضا وقد استفدنا كثيرا من علمه
وكنيت عاشق علمه وفضله ولا أزال غير اني لسوء الحظ لم يتح لي التعرف به
ومراسلته بسؤاله عما كنت احتشكه من المسائل من بين علمية ودينية . وكان
هذا الامر يمحول في خاطري من زمن بهد يد انا أضعا الفرص بالأسف
بالتمني والتسويق

كان أصدقائي في مصر يكتبون الي من حين الى آخر خبر عزم الاستاذ
المرحوم على السياحة في البلاد الروسية . ولهذا كنت أمني نفسي برويته حين
يجي هذه البلاد ولكن :

(*) اننا عند ما عزمنا على الهجرة من سوريا الى مصر لاجل انشاء المنار لم
نكن نعلم ان الاستاذ الامام يشغل بالاصلاح الديني وهو لم يكن يقرأ في ذلك
المهدد روسيا في الأزهر على انه كان يعمل في اصلاح ادارته ومع ذلك كنا نعتقد
انه أكبر زعيم وأعظم مصلح عند السيد جمال الدين وكنا نرجو أن يكون أعظم
من يقدر خدمتنا للدين قدرها ويسعدنا عليها بعلمه وارشاده وكذلك كان

ما كل ما يمتش المرء يدركه تجري الزمان بما لا تشتهي السفن

وقد وافانا فيه حيناً كنا ننتظر قدومه

وقد ألف مريده وتلميذه وخليفته في مذهبه ومسلكه الشيخ محمد رشيد
افندي رضا تاريخاً في ثلاثة أجزاء للاستاذ المشار اليه . وقد ازدانت مكتبتنا
بوجود الجزء الثالث المحتوي على ٤٢٨ صفحة من ذلك التاريخ

وفي هذا الجزء كثير من التعازي والمراثي التي بعثت من مسلمي الاقطار
المختلفة . وليس فيه شيء بث بقصد التعزية من مسلمي وروسيا سوى ما كان
كتب كاتب هذه السطور الى حضرة صاحب المنار من كتاب وجيز بقصد
تريف حامل ذلك الرقيم لحضرته

ولما لم أغفر في الكتاب بغير تلك السطور القليلة من تعازي مسلمي وروسيا
وقفت خجلاً في أول الامر ثم لم ألبث ان سررت لوجود تعزية منا أيضاً بين
التعازي الكثيرة الواردة من مسلمي تونس والجزائر والهند وإيران
لوقعت لهذا الامر في حبه لكتبت البنية بنائية واهتمام ما يطلق عليه اسم
التعزية . والآن أقرع سن النعم ولات حين مندم

اذا كنت أناقصرت في كتابة هذه التعزية لاشتغالي بالنظر في «الخصومات
العائلية» (كان الكاتب حينئذ قاضياً في المحكمة الشرعية) فإبال الشيخ نجيب
التوناري الذي حصر كل حياته على المطالعة والعلم - لم يكتب شيئاً بهذا الصدد
بل وما عذر الشيخ علجان البارودي الذي لديه جم غفير من تلاميذه المجيدين
للكتاب بالمرية في تفریطه في هذا الواجب الانساني

رضاء الدين فخر الدين

﴿ مطبوعات البكري ﴾

طبع الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق وتقيب الاشراف هذه الكتب
(كتاب التعليم والارشاد) كتاب جديد « جمعه وصنفه بعض رجال الصوفية »
ولم يذكر اسمه عليه بأمر البكري ودلائله وممظنه مأخوذ من كتاب الإحياء وفيه

عدة فصول مأخوذة من «المنار» بدين عزو اليه كما ظهر لنا ذلك من قلب كثير من أوراقه في بضع دقائق فمن ذلك فصل لنا في اسرار الزكاة وفوائدها وهذا قد عزاه الى أحد الفضلاء وفصل في اسرار الصوم وفوائده لم يمهز الى أحد وفصل في مضار تربية الأولاد والتلاميذ بالقسوة لم يمهز الى أحد . وكل ذلك من المجلد الثاني من المنار وفصل في الحكومات الاستبدادية وهو مقال ثان لسيد جمال الدين نشرناها في المجلد الثالث ومقالة فلسفة الصناعة التي اقتبسناها في المجلد التاسع من منشآت الاستاذ الامام . فكيف جاز لرجال الصوفية ان يستحلوا السرقة والنهب ليس في كتاب الارشاد الذي وضع لهداية أهل الطرق التابعين لهم

أما الكتاب فيرجى أن يفيد من يوزع عليهم من مشايخ الطرق الذين يقلّ فيهم من يقرأ في غير كتب الحرفات كما يفيد غيرهم من القارئ وهو أفضل عمل سمي اليه البكري وكان قد سبق لي معه الحديث فيه منذ سنين واتفقنا على أن أختصر الاحياء وأزيد عليه من الفوائد ما يحتاج اليه في هذا العصر وهو بطبع المختصر ويوزعه على أهل الطرق ليكون عندهم في الارشاد . ثم بداله فهدى بذلك الى جامع كتاب المعلم والارشاد لينتحل كلاما وكلاما غيرنا انتحالا . وقد سبقه الى هذه التسمية الشيخ محمد بدر النساني فإنه ألف كتابا سماه بهذا الاسم وطبعه في السنة الماضية وهذا مما يندق بما يقع فيه من الاشتباه

(صهاريج الأول) للشيخ توفيق البكري نحو عشرين أذنية مثبوتة ومنظومة مظمها مأخوذة من نثر المتقدمين ونظمهم عهد الى الشيخ أحمد بن أمين الشنيطي والشيخ أبي بكر محمد لطفي المصري بشرحها فشرحها شرحا مطولا تز يدصفحاته على عدد أيام السنة ومنعود الى الكلام عليه في فرصة أخرى

(كتاب بيت الصديق) وضع الشيخ محمد توفيق هذا الكتاب لترجمة نفسه وترجمة آباؤه واجداده الذين ينتسب اليهم وصفحاته تز يدعى أربع مائة (كتاب بيت السادات الوفاية) وهو زهاء مئة صفحة يذكر فيه نسب

الوفاية وتراجهم

(المستقبل للإسلام) هي الرسالة التي نشرناها في المجلد الخامس وطبعناها على حدة

البدع والخرافات وَالْبَقَايِدُ وَالْعَجَائِلُ

بدعة غريبة في مصر

يقولون ان مصر بلاد المعائب وأي المعائب أغرب مما يحدث في مصر يقوم شيخ عالم كالشيخ حسن علي الدمياطي بنكر بعض البدع والخرافات التي فشت في المسلمين فيقيم عليه التكبير العلاء وأنصاره من العوام يعاقب بمنع رزقه الذي يستحقه شرعاً من الأوقاف ومنه من تعليم المسلمين وأرشادهم سنة كاملة ويقوم شيخ آخر كالشيخ عبد الرحمن عليش فيبتدع بدعة جديدة في الاسلام هي من أغرب البدع وأنكرها فلا يلقى من العلماء انكاراً ولا من الأمة انكاراً وما أعلن أن أحداً سبق هذا الشيخ إلى وقف المساجد على الاموات من غير المسلمين لاجل الصلاة على أرواحهم وكيف وان وقفها على أرواح المسلمين أفدهم من البدع التي لا يعرفها كتاب الاسلام ولا قبلها سنة نبيه عليه الصلاة والسلام اسم الشيخ عليش الكبير رحمه الله مشهور في مصر وفيما جاورها من البلاد بما كان عليه من التمسك والتشدد في الدين ، على كونه من أشهر علماء الأزهر المصريين ، وقد بلغ من تمسكه أنه لما بلغه ان السيد محمدا السنوسي (رحمه الله تعالى) يقول بالاجتهاد أخذ حرية وقصد اليه ليطعنه بها لما كان بمصر . وأنه لما وثق اليه أحد أولاده بالشيخ محمد عبده (رحمه الله) عند ما كان يقرأ العقائد النسفية (وهو محاور بالأزهر) قال لا أنه رجح مذهب المعتزلة على مذهب الاشعري ثار عليه وعلى أستاذه الأفغاني وكان طول حياته حرة بالحكيم الاسلام وللاستاذ الامام والسيد السنوسي وان هؤلاء الثلاثة لا عظم مسلمي هذا العصر أثرا في الاسلام ما أسد الفرق بين الشيخ عليش في تمسكه الديني وغيره على الاسلام في مذاهبه وتقاليده وبين أولاده وأحفاده الذين لم يرثوا منه علما ولا خلقا فهم أول من مثل الاسلام أمام الافرنج في معرض الهز والسخرية اذ جمعوا لهم بعض الزعافات المتسيبين

الى الطريق وجعلوا يرقصون ويدكرون ليصورهم الا فرنج في تلك الحالة ويشبتون صورهم في الكتب ميين ان رقصهم على تلك النصف الشيعية من عبادات الاسلام ثم بلغنا في العام الماضي ان الشيخ عبد الرحمن عيش قد وقف قطعة أرض بمحارة الجوار القريبة من الازهر وبني فيها مسجدا باسم هبة والاول ملك ايطاليا لنقام الصلوات فيه عن روح الملك المتوفى ويكون تذكارا له وسلما للحكومة ايطاليا . وهي بدعة غريبة لا يعرف لها نظير في الاسلام

وفي تلك السنة رفع الشيخ محمد عبد ربه قضية على الشيخ عبد الرحمن عيش بأن له حقا في الارض التي بني فيها المسجد فهي أرض مفصولة فكان مما قدمه المحامي عن الشيخ عبد الرحمن عيش الى المحكمة من الاوراق التي يسوئها المستندات ما يأتي بنص الحافظة التي حفظها له المحامي وخطها القموي :

عدد

ترجمة موقع عليها بامضاء مترجم أول الوكالة السياسية الإيطالية بمصر محمد بيك على علوى مورخه في ١٦ مارس سنة ٩٠٦ ففيد ان الشيخ عبد الرحمن عيش المدعى عليه بناء مسجد وأعطاه للحكومة الايتالية ورقه باللمة الاجنبية ترجمة المشروح أعلاه

خطاب باسم الشيخ عبد الرحمن عيش مورخ في ٣١ فبراير سنة ٩٠٦ يفيد تشكر فصيل ايتالية بالنيابة عن الوزارة الخارجية الايتالية لحضرة الشيخ عبد الرحمن عيش نظير تبرعه بقطعة أرض من أملاكه للحكومة الايتالية ليقام عليها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس على روح الملك

٣

قطعة ثلاثة أوراق لا غير تقدموا للمحكمة السيد زبيب بحفظه بامضاء محمد زكي عبد الحميد المحامي بمصر ٢٢ - ٣ سنة ٩٠٦ ترجمه بمعه ١ حافظه

الوكالة السياسية الايتالية تتعرف ان الشيخ عبد الرحمن عيش الكبير بناني

حارة الجوار بخط الأزهر جامع باسم جلالة الملك هبوتو الاول ونذ كاراله
والجامع المذكور أعطاه للحكومة الاثالية هذه الترجمة طبق الأصل

١٦ - ٢ سنة ٨٩٩ تفصل جنرال دوله مترجم السياسة بمصر
ايتاليه والوكيل السياسي محمد علي علوى
بمصر المستر سلطان خوس

راعى

ختم التفصيله

(الشارح) وبلى هذا صورة كتاب شكر من عبيد دولة ايطاليا بمصر للشيخ عبد
الرحمن عليش . وكنت جريدة الاخبار في هذا الشهر شيئاً في هذه المسألة علم
منه أن حكومة ايطاليا مضبوطة بموالاته الشيخ عبد الرحمن عليش لها وموادته
اياها وأنهم أخذوا عنه صورة شمسية عرضوها في بعض جرائدهم . وعظمت شأنه
جريدة الاخبار تبعاً لهم فجعلته من العلماء الذين لهم الشأن والنفوذ وما هو منهم
في شيء . ولا نفوذ له بل لا يكاد يعرف

وقد نعى الينا ان ايطاليا تستعين بموالاته هذا الشيخ لها وبما نعظم من
شأنه بالباطل على تأييد نفوذها فيمن استولت عليهم من المسلمين وفيمن تطعم
بالاستيلاء عليهم كاهل طرابلس الغرب وأهل اليمن فان لها بدا خفية في فتنة اليمن
ولها طمع في تلك الولاية تنفيذ وتتميه في نفسها انكسروا فيما يقال . ولكن أجل
المسلمين لا يستند بشيخ يقف مسجداً تهمل فيه الصلوات الحسن على روح ميت
غير مسلم بل ولا ميت مسلم بل ولا نبي من الانبياء فان الصلوات الحسن عند
المسلمين لا تكون الا خلاصة لله وحده وأما الصلاة على الأنبياء التي يخصصون بها
الانبياء فهي الدعاء بمثل اللهم صل على محمد : أو : صلى الله عليه وسلم : عند ذكره .
فهل يستند به أهل اليمن أو طرابلس وفيهم العلماء والعادفون ؟

ليس ما فعله عبد الرحمن عليش من التساهل الديني الذي يحملونه التمسك القديم
بل هو من تساهل الجاهل والتهاون والعبث بالدين . وقد يفهم جملة العوام ولو بعد
حين ان نسبة المسجد الى (هبوتو) كنسبة غيره الى بعض الاولياء كالسوفي
والبدوي والخنفي ولا يبعد أن يبنى له فيه قبر الملك يزار وبضه اليه عباد القبور

بغير عبادي الذين يستمعون اقواله فينبور أمن
اولئك الذين هدام الله اولادهم اولاد الابواب

المعجم
١٣١٥

بوزن المعجمة يشاويون بوزن المعجمة هذا وهي
عجا كجرا وبنا يسكر الا اولو الابواب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق ﴾

﴿ مصر جادى الثانية سنة ١٣٢٥ - آخره السبت ١٠ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٧ ﴾

﴿ باب الغلات ﴾

﴿ المسر المالي والربا والبنوك ﴾

أصبحت بلاد مصر في هذه السنة بنقص في المال وعسر في التجارة بالنار والعروض وقلت دونها أيدي أصحاب البيوت المالية في أوربا فأقلس كثير من الاغنياء فيها ولم يبق صنف من أهلها الا وقد ذاق مرارة المسر، ومسه ألم الضر، ويقتظر الناس الآن موسم القطن - الذي تقدر قيمته في السنة بثلاثين ألف ألف جنيه أو تزيد الى خمسة وثلاثين - وهم بين الخوف والرجاء - وإنما يخافون أن يبيت بالموسم الماليون الاوربيون فيمظلم الخطب ويهم الكرب قد صرنا الى زمن لم يعرف له نظير في التاريخ -- زمن يقبض على أعنة جميع مصالحه ومراقبه وسياسة أصحاب النقود فيصرفونها كيف شاؤا، زمن صار فيه العلم بتصرف الاموال من أوسع العلوم وأدقها، زمن مارت فيه الأمم الفقيرة أذل الأمم، ودولها أضف الدول، فالمال في هذا الزمان هو أساس القوة والبر، وآلة السيادة والسلطة،

يسر على أمة تبغي النجاح في تحصيل الثروة ومباراة الأمم العزيزة بالنقى أن تصل الى ما تريد من ذلك ما لم تسلك سبل تلك الأمم وإنها لسبل مضربة منها القصد ومنها الجائر وما الجائر الا سبل القمار والربا لاسيما المضاعف أو المركب والقمار والربا محرمان في الاسلام نهرا عما غليظا فمن ثم كانت الشعوب الاسلامية اليوم في حيرة لا تدري كيف تعيش مع هذه الأمم الافريقية التي تنازعها الوجود مع عدم محاربتها في سبل الثروة ولا كيف يجارها مع الاحتراس من الربا بأتوابعه لو أن الاسلام دولا قوية وشموها غنية بمكنها أن تستغني عن أوربا أو أن تجعلها تابعة لقوانينها أو تلجئها الى اتباع مدنيتهما لول عليها أن تسلك في جمع الثروة والتصرف فيها سلكا قرن المصاحبة بالفضيلة فضيلة الرأفة بالبائس الفقير وإيماده في الامر المسير، وما الحيلة وليس لنا دولة عزيزة قوية، في أمة عالة غنية، وأوربا تنص دماونا، حتى كادت تذهب لنا،

لم يجد حكما حيلة لمنع الربا فأباحوه لرعيته في قوانينهم وتعاملات به

دولهم حتى ان السلطان عبد الحميد الذي حرص على قلب الخلافة حرصاً لم يسبقه به بباقي يأكل الربا ويؤكله ومثله في ذلك أمير مصر . وأكثر المسلمين لا يأكلون الربا ولكنهم يؤكلونه فيدلون بأموالهم الى الاجانب وذلك شر من أكل الربا منهم بل شر الاقسام التي تتصور في ماملة الربا وأشدّها ضرراً ، وأعظمها خطراً ، ذلك أن هذه الماملة صوراً نذكر أهمها ومثله يعلم باقيا - أحدها أن لا تأكل من أحد ولا تؤكل أحد - ثانياً أن تأكل من الأجنبي خاصة ولا تؤكل أحد - ثالثاً أن تأكل من الأجنبي وغيره ولا تؤكلهما - رابعاً أن تأكل منهما جميعاً وتؤكلهما كذلك - سادساً أن تأكل منهما وتؤكل الأجنبي فقط - سابعاً أن تؤكل غير الأجنبي ولا تأكل من أحد - ثامناً أن تؤكل الأجنبي خاصة ولا تأكل منه . فأفضل هذه الاقسام وأشرفها أولها وأخسها وأشدّها ضرراً ثامناً وما بينهما من الاقسام صرنية على حسب درجاتها من الضرر في الامة الثالث شر من الثاني وهكذا وأكثر المسلمين الذين يتعاملون بالربا قد اختاروا شرها على الاطلاق ثم ما يقرب منه

إذا كان كل ما اشترطه الفقهاء في جواز المعاملات المالية كالبيع والعرف والقرض والحالة والشركة ديناً يجب اتباعه في كل زمان ومكان ، ويكون التارك لشيء منه عرضة لفضب الرحمن ، فما أشد الحرج على المسلمين في هذا الزمان ، بل ما أكثر المنسوق فيهم والضياع ، فانه لا يكاد يوجد في الاف وألوف من التجار وغير التجار واحد راعي تلك الشروط والاحكام في معاملاته وما ذاك الآن في مراعاتها حرجاً شديداً وعسراً عظيماً وإذا قلت أيضاً إن في معرفتها لحرجاً لم تكن ببسداً من الصواب ولولا الحرج لما قل المالمون بها وقل المالمون في هؤلاء المالمين أو فقدوا

السواد الأعظم من المسلمين يسمون بأن تلك الاحكام الفقهية كلها دين إلهي ولكن هذا التسليم مبني على أساس التقليد الواهن لاساطان له على النفس ولذلك لم فصل به ولما كان الاعتقاد بمصرمة الربا اعتقاداً صحيحاً مؤيداً بنص الكتاب العزيز ترى أنه يقل في المسلمين من يقدم على أكل الربا ، ولا يقل

وكيف يؤكلونه بما يقتضون ولا يأكلونه بما يقتضون فانك تعلم أن الاقتراض بالربا لم يرد به نص الكتاب ولا يحتاجه في الحديث وقد يستنبط من الكتاب استنباطاً ومكان ذلك من القوم دون مكان النص قوة وتأثيراً ، ثم إن الضرورة قد تلجئ المحتاج الى الاقتراض ولا ضرورة تلجئ النفي الى الاقتراض ، فان كان الفقيه لا يرى تلك الضرورة صحيحة شرعاً فان المقرض يراها صحيحة وهو مسوق للعمل به . . . يرى ويعتقد دون ما يرى غيره ويعتقد ، ولا ينفك خاصة الناس وعامتهم يجتهدون فيما يمرض لهم ويعملون باجتهادهم مما ضيقت مقلة الفقهاء في منع الاجتهاد ولا يمنع ذلك ان يكون التقليد هو الغالب عليهم

ولا التقليد لوجد المسلمون المخرج في شريعتهم من كل حرج وعسر فان من قواعد الاساسية في نص الكتاب نفى الحرج والعسر في الاحكام واردة اليسر فيها . قال قتال (٦ : ٥) ما يريد الله ليخفف عليكم في الدين من حرج) وقال (١٨٥ : ٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » واه ما لك في الموطأ من سلا وأحمد وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ومن ثم كان من قواعد الفقه ان الثقة تجلب التيسير ، وان الضرورات تبيح المحظورات ، وانه اذا ضاق الأمر اتسع

يقول كثير من أهل الرأي ان السسر المالي الذي مددت في البلاد أظنابه ، وضربت في أرضها أوتادها ، ويخشى ان يصير شره المستطيل مستطيراً ، فيجعل ثروة الأمة هباءً منثوراً ، يمكن مقاومته بانشاء بنك وطني يتفرع بأيدي أغنياء البلاد ، بعض ما عليه مالىو الأجانب من الأثرة والاستبداد ، والتحكم في معاش العباد ، قدام في وجوههم آخرون يقولون ان دين الاسلام لا يسمح لأهل أن ينشئوا لهم بنكاً لأن البنوك هي بيوت الربا كل معاملاتها أو جعلها بالربا فرد ذلك بعض المقترحين قائلاً ان البنك الذي مقترحه ليس من نوع بنوك الصيارف التي تنشأ لأجل الاقتراض بالربا الفاحش أو غير الفاحش وانما هو من نوع البنوك الكبرى التي هي واسطة بين أرباب الأموال في مداولتها بينهم قبول حوالها هذا وتحصيلها من ذاك بأجرة معينة وايضاً ما يريد ارساله أهل بلد الى آخر بأجره أيضاً وليس

هذا من الربا المحرم علينا بالنص : ولا تريد ينكنا أكثر من هذا . قل بعض
المعرضين اننا نشك في كون هذا ليس من الربا المحرم واننا نطلب من العلماء
بيان ذلك

لجأوا الى العلماء المعروفين بالفتاء ، وباب الربا عندهم أوسع من الأرض
والسماء ، فانه يطلق عندهم على جميع السبع الفاسدة ، والمعاملات المالية التي
لا تطبق على الشروط المدونة ، وباب الاجتهاد عندهم مقفل بل مسدود ، والفتوى
بالقواعد العامة كمرعاة المصالح وتقدير الضرورات من عمل المجتهدين مقتوح ، على
ان الحلال بين والحرام بين ، والرجوع الى النص وآراء المجتهدين أمرهين ، وان
كاوا يريدون من العلماء إقناع العوام ، لا معرفة الحلال والحرام ، فقام بمحذركي
قوى رسمية ، ولا حيلة قهية ،

هذه مسألة من أكبر المصالح العامة التي ينبغي أن تنظر فيها الجامعة المحمدية
في الكتاب بأولي الأمر أي أصحاب الشأن في الأمة ليستنبطوا حكمها بمقتضى
قوله تعالى (٤ : ٨٣) ولو رددوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم) وليس أصحاب الأمر هم الملوك والأمراء ولا طائفة القضاة اذ
لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية ملوك يحكمون ، ولا قضاة
يفتون ، وانما كان هناك جماعة من أصحاب الشأن في الأمة البارزين بمصالحها
المعروفين بحسن الرأي فيها وهم يوجدون في كل أمة بحسب حالها فأولو الشأن
والرأي في المصريين الآن يتألقون من عدة أصناف رجال مجلس الشورى وقضاة المحاكم
الطبا من شرعية وأهلية والمحامون وأصحاب الجرائد وكبار المدرسين والمرافعين والتجار
فأقترح ان تتألف لجنة من هؤلاء الأصناف وتنظر في هذا الأمر هل هو
ضروري للأمة فان كان ضروريا وضعوا له قانونا أول مواده منع الربا المضاعف
المحرم بالنص التطبي لشدة ضرره وهو لا ضرورة اليه ونظروا فيما عدا ذلك من
أحكامه التي لا بد منها هل فيها شيء من ربا الفضل الذي حرم لسد الثغرة
الالئنه كما في (اعلام الموقعين) فان كان فيها شيء من ذلك فهل وصلت الضرورة
فيه الى حد يبرز العمل بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » أم لا .

قال الامام ابن القيم « الربا نوعان جلي وخفي فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم والخفي حرم لأنه ذرية مالي الجلي . فحريم الاول قصد وتحريم الثاني وصية . فأما الجلي فربا القسيمة وهو الذي كانوا يخطونه في المعاملة مثل أن يؤخرو دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصبح المدة آلافا مؤلفة وفي الطالب لا يفضل ذلك الا مستم محتاج فاذا رأى المستحق يؤخر مطالبته وصبر عليه بزيادة ينالها تكلف بذلك ليقضي من أسر المطالبة والجلبس ويدافع من وقت الى وقت فيشعر بضرره وتضخم مصيبته ويصلوه الدين حتى يسترق جميع موجوده فيبرو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ويزيد مال الربا من غير قمع يحصل منه لأخيه فأكل مال أخيه بالباطل ويحصل أخوه على غاية الضرر » ثم أطلال وأورد آية (٣ : ١٣٠) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة . وأورد بعد هذا فصلا في ربا الفضل الذي حرم لسد القرية وهو أن يبيع الدرهم بدرهمين مثلا وذكر الخلاف فيه وإن بعض الصحابة جوزوه وبين أنه ككل ما حرم لسد القرية قد يباح للمصلحة (راجع ص ٢٠٣ من أعلام الموقعين) وأنت تعلم أن باب المصلحة أوسع من باب الضرورة . وأساس المعاملات في الشريعة أن كل محرم ضار وكل نافع حلال ولذلك علل الكتاب حرمة الربا بقوله (٢ : ٢٧٩) لا تظلمون ولا تظلمون) ولكن أكثر معاملات البنوك لا تظلم فيها بل منها ما فيه الرحمة للمعاملين فإن العاجز عن الكسب إذا ورث مالا وأودعه فيه بربا الفضل يستفيد هو والبنك مما

وتبحث اللجنة في سائر فروع المسألة وتمضي الامة ما تقرره اتباعا لهاية القرآن ، وثبتت للمالين ان شرع الاسلام موافق لمصالح البشر في كل زمان ومكان ،

فتاوى المتبناة

فتعنا هذا الباب لا حاجة لاسم المفتي خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يذكر اسم المفتي وطلبه ومحله وظيفته (وله بعد ذلك ان يذكر الى اسم المفتي ان شاء الله تعالى ذكر الاسئلة بالتصريح فالتأويل ما قدمناه من غير السبب كمناسبة الناس الى بيان موضوعه ورواياته غير مشتركة لكل هذا . وأن بعضي على سؤاله غير ان ثلاثة ان يذكر بهر فواحدة فان لم يذكره كان لنا علمه وصحيح لاعتقاده

﴿ أسئلة من القاهرة عن الربا من ٣٧-٣٥ ﴾

فضيلة الأستاذ العلامة صاحب مجلة المنار القراء

السلام عليكم وبعد فأرجو من فضلكم أن تكشفوا الثغاب عن هذه الاسئلة الآتية ولكم مني مزيد الشكر طناً

(١) هل ربا الفضل جائز مطلقاً فان كان بضه جائزاً وبضه غير جائز

ففضلاً بشرح مستوف يفرق الجائز من غير الجائز

(٢) ما قولكم في حديث أبي أمامة من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لاربا

الا في الشئ) اعتبره منسوخاً بحديث أبي سعيد الخدري الذي روى أن رسول الله (ص) قال (لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضه على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق الا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضه على بعض ولا تبيعوا منها غائباً بناجز) - أم كيف يمكن الجمع بين الحديثين ؟

(٣) في صحيح البخاري أنه قال صلى الله عليه وسلم (الذهب بالذهب

ربا الا هاهنا والبر بالبر ربا الا هاهنا والشعر بالورق ربا الا هاهنا هاهنا والشعر بالتمر ربا الا هاهنا) - من هذا الحديث يتبين لدينا أربع صور وشاهد في ثلاث منها التجانس في البدلين وفي الرابع اختلاف فيهما لان الشعر غير الورق فاحكم بيع الشعر بالورق المصدوم من هذا الحديث ؟ وما الملة في اختلاف هذه الصورة عن الصور الأخرى ؟

(٤) جاء في حاشية بن عابدين (ج ٤ ص ٢٤٣ هامش مطبعة ولاق)

نمت سطلب كل قرض جر نقدا حرام هذه العبارة مجرّوة في وفي مع غيات

المفتي أبي السعود لو اذنان زيد الشجرة بأني عشر بطريق الماملة في زماننا بعد
أن ورد الامر السلطاني وفتوى شيخ الاسلام بان لا تقطع العشرة بأزيد من
عشرة ونصف ونبه على ذلك الخ

من هو هذا السلطان الذي أصدر الامر المذكور وفي أي زمن كان وما
دواعي إصداره له وأني نجد صورة الامر ؟

ثم من هو شيخ الاسلام المشار اليه وهل يمكنكم أن تقيّدونا أثابكم الله
بمن فتواه عنا ما نقف على الاسباب التي بني عليها الفتوى ؟
وتفضلوا في الختام بقول فائق احتراماتي أقدم م

طالب بمدرسة الحقوق الحديوية

(المنازل) أما الجواب عن الأول فقد قل المحدثون ان السلف رضي الله عنهم قد اختلفوا
في ربا الفضل فاجازه ابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن
أرقم وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير مطلقاً وقلوا عن ابن عمر انه رجع عن
ذلك واختلفوا في رجوع ابن عباس . وجميعهم حديث أسامة المذكور في السؤال
وهو في الصحيحين والجمهور على خلافهم وجميعهم حديث أبي سعيد الذي تقدم في السؤال
أيضاً وهو في الصحيحين . وإنما جعل مدار الخلاف في ربا الفضل على الأحاديث لأن
الربا المحرم في القرآن هو ربا النسبة الذي كان في الجاهلية وهو ان يزبدوا في
المال كل شهر كما قل ابن حجر في الزواجر لأجل الإنشاء أي التأخير في الاجل
حتى يتضاعف أضمافاً كثيرة

وفي حديث جابر عند أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة ان النبي صل
الله عليه وسلم اشترى عبداً بسدين . وفي حديث عبد الله بن عمر عند أحمد وأبي
داود ان النبي (ص) قال له « ائتم علينا إبلاً بثلاثين من إبل الصدقة الى عملها »
قال فكنت أبتاع البعير بثلاثين وثلاث قلائص من إبل الصدقة الى عملها .
ثم ذكر أن النبي (ص) أداها من إبل الصدقة عند ما جاءت . وهناك روايات
أخرى في موطأ مالك ومسنند الشافعي وعند البخاري تعليقاً في شراء الحيوان
بالحيوان مع انخفاض بل والنسبة . وهذا مما يقول الجمهور بموازاة على أنهم روبا

النهي عنه من حديث سمرة وحديث جابر بن سمرة . فهذا نوع من ربا الفضل قد أجازهُ الجمهور

وأما الجواب عن الثاني وهو تعارض حديث أسامة (لأبي أسامة كما ورد في السؤال) وهو «لاربا إلا في النسبة» واللفظ البخاري ولفظ مسلم «إنما الربا في النسبة» ، وحديث أبي سعيد «لا تبيعوا الذهب» إلخ كما ذكر في السؤال فقد قال الحافظ في فتح الباري : وافق العلماء على صحة حديث أسامة واختلفوا في الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد فقيل إن حديث أسامة منسوخ لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال وقيل المعنى في قوله «لاربا» الربا الا غلط الشديد التحريم المتوعد عليه بالعقاب الشديد كما تقول العرب لا عالم في البلد الا زيد مع أن فيها علماء غيره وإنما قصد نفي الأكل لافني الأصل وأيضاً ففي محرم ربا الفضل من حديث أسامة إنما هو بالمفهوم فيقدم عليه حديث أبي سعيد لأن دلالة المنطوق ويحمل حديث أسامة على الربا الأكبر : اه والقول بالنسخ أضف الأقوال والقول بترجيح المنطوق على المفهوم كما ترى غريب في هذا المقام وإذا قلت أن المعنى في صيغ المحصر منفي بالمنطوق كنت أقرب إلى الصواب والا لما كان نفي الألوهية عن غير الله في كلمة التوحيد الأمن قبيل المفهوم الذي نعرف ما قال فيه أهل الأصول فبقي القول بأن حصر الربا في النسبة هو الربا الحقيقي الذي ورد فيه الوعيد الشديد في القرآن وهذا هو الجمع الذي جرى عليه المحققون كابن القيم وقال إن ربا الفضل لم يحرم لذاته وإنما حرم لسد الدرية . وعلى هذا يكون الربا الذي ورد عليه الوعيد في القرآن خاصاً بربا النسبة المهود في الجاهلية ولا يدخل فيه ربا الفضل خلافاً لبعض الفقهاء ولو تناوله القرآن بالنص لما اختلف فيه أ كابر علماء الصحابة لاسيما ابن عباس وابن عمر (رضي الله عنهم) فلي هذا لا يكون ربا الفضل منافياً للإسلام

وأما الجواب عن السؤال الثالث فهو أن ما نقله السائل غلط وقع في بعض نسخ البخاري المطبوعة ومنها النسخة التي على هامش فتح الباري والصواب «والشهر بالشهر» وحديث «هاه وهاه» هذا هو حديث هو وليس

فيه ذكر الورق الا في رواية أبي ذر وأبي الوقت من رواية البخاري فانها
 قلنا «الذهب بالورق» بدل «الذهب بالذهب» واتفق جميع رواة الصحيحين على
 «والشعير بالشعير» وبه احتج الشافعي وأبو حنيفة وفقهاء المحدثين على ان الشعير صنف
 غير البر خلافا لما في واليث وغيرهما عن قال انهما صنف واحد
 وأما الجواب عن الرابع فهو ان السلطان الذي أصدر ذلك الأمر إما السلطان
 سليمان القانوني ولله الارجح وإما ولله السلطان سليم فان أبا الدود كان في
 عصرهما وقد توفي في جهادي الاولى سنة ٩٨٢ والسلطان سليم توفي في رمضان
 من تلك السنة . وقد ولاء سليمان الافاء سنة ٩٤٥ وهو هو شيخ الاسلام . أما
 صورة الفتوى فلم تقف عليها والظاهر ان سببها وسبب الأمر السلطاني الذي بني
 عليها منع الربا المضاعف والاطلاع عليها لا يفيدنا فائدة فقهية وإنما فائدة تاريخية
 محضة فاننا نعلم أنها مبنية على استباحة «المعاملة» ولذلك عطل ابن عابدين عبارة
 الدر التي ذكرتموها بأن السلطان اذا أمر بمباح وجبت طاعته «والمعاملة» ولا
 إخالكم تجهلونها هي بيع القليل بالكثير احتيالا على الربا كان يقرضه ثمن مئة
 ويبيعه مندبلا ثمنه عشرة قروش بمئة قرش مثلاً . وقد أجاز الحيلة الخفية والشافعية
 واستدلوا عليها بأذن النبي (ص) ببيع الصاعين من التمر الرديء بصاع من التمر الجيد
 بالحيلة وهي ان يباع كل من الصاع والصاعين بالثمن وذلك خروج من نص
 «والتمر بالتمر ربا الا هاء وهاء» في الحقيقة دون الصورة والمانون للحيلة كلالا للحيلة
 والحيلة لا يحدون للحديث مخرجا الا القاعدة التي ذكرها ابن القيم وهي ان
 ما حرم لسد القرينة كرها بالفضل جاز له صلحة وأنت تعلم انه لا معنى لاشتراط
 كون بيع النقد أو القوت بمنه هذا بيد مثلا بمثل لقائه لان عاقلا لا يفعل ذلك
 اذ ليس فيه فائدة وإنما يقصد الناس بالبيع الزيادة بالقدر أو الوصف ولا شيء من
 ذلك بمحرم لقائه لأنه هو أصل المنافع والمقصود من التجارة فلم يبق لذلك الشرط
 منى الا سد ذريعة التوصل الى ربا بالنسيئة الذي كانوا يأكلونه أضافا فلا أخبر
 عامل خبير النبي صلى الله عليه وسلم انهم يأخذون الصاع من التمر الجنيب - وهو
 الطيب أو الصلب وقيل ما أخرج حشفه - بصاعين من الحجم - وهو ما خلط به

أو القفل وهو نوع ردي - قال « لا فضل للجمع بالدرهم ثم البيع بالدرهم جنيهاً »
رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة . فأباح ذلك عند العلم
بالحاجة إليه وأمر بأن يكون البيع بالدرهم لأنه هو الأصل في التجارة وليقضي سبباً
عن ذرية الربا

ومن الحنفية من صرح بأن الحيلة في الربا لا تهيئز إلا لحاجة كمشترى مال
اليتيم أو الأرملة أو طالب العلم المنقطع عن الكسب وعنده مال إذا أفقته ففقد واضطر
هو إلى ترك السلم فلم يميزه هؤلاء إلا بالحاجة أو الضرورة . ولا يميزون أن يكون
مضاعفاً فقد راعى هؤلاء النص القطعي في تحريم الربا المضاعف الذي لا هوادة
فيه وراعوا المصلحة أو الضرورة وقدروها بقدرها في ربا الفضل وأخرجوها بما
يسمونه المعاملة أو المراجعة عن صورة المنهي عنه في الأحاديث حتى لا يخرج عن
حكمة الشارع في معناها ولا في صورها فإن كل حيلة أبطلت حكمة الشارع ومقصده
فهي باطلة لا تزيد صاحبها إلا متاعاً وضلالاً

واعلم أن الزيادة الأولى في الدين المؤجل من ربا الفضل وإن كانت لأجل
التأخير وإنما ربا الفسينة اليهودي ما يكون بعد حلول الأجل لأجل الانشاء أي
التأخير وإذا تكررت ذلك كان الربا المضاعف كما كانوا يفعلون في الجاهلية . والذين
يقولون بالمعاملة أو المراجعة يحددون القدر عند نهاية الأجل إذا لم يدفع لكليلاً
يزيدوا المال لمض الانشاء صورة ومعنى ولكن هذا إذا أدى إلى مضاعفة المال
على المدين كان مخالفاً لحكمة الشارع ولا يستعمله ذو دين

سؤال من سنن غفره القرآن بالقرآن والقرآن

(س ٣٦ و ٣٧) عون الله الحضرمي بتصرف في لفظه : ظهرت آفة
تنطق بالأحرف بالفنا والاشعار المختلفة وتنفى وتوح ثم ظهرت فيها قراءة القرآن
والأذان وصارت تتداوله أيدي الكفرة وأهل الطغيان في كل قهوة و د مخدرة
وزق وزقاق « كأنه للفرج والفرح وياع في كل دكان ، من أهل الاسلام
وأي دين كان ، لأن الأمة زاعقت بهذه الفنون ، كأنهم أصيبوا بالجنون ، ولا
نندي ماذا يكون ، والله يقول (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) فحينما

سؤال مجلة المنار عن حكم اشريعة في المسألة فإن منهم من قال ذلك جائز ومنهم من قال ذلك لا يجوز . فخرجوا أن نجتهدوا فيها ، وعملاً وصحيفكم بفتواها . وهذا عندي من أكبر الكبار ، والله أعلم بما في الضمائر ،
(س) من السيد حسن بن علوي بن شهاب :

الى المنار المنير : ملحق الاسطوانات المودع فيها صوت القاري . فقرأ
فهل هي كالصحف في الحكم حملاً ومسا وحرمة أم لا . وقد اختلفت الافهام هنا
وأنا أعتقد أن لاحكم لها بل هي كغيرها من الجمادات

(ج) قد جاءتنا أسئلة أخرى في معنى هذين السؤالين من مصر وغيرها
فاكتفينا بها عنها فأما استعمال هذه الآلة في تأدية القرآن فهي فيما نرى تابعة
لغرض المستعمل فإذا قصد بذلك الانماط والاعتبار بساعه فلا وجه لحظره وإذا
قصد به التلوي وهو ما عليه الجماهير في كل ما يسمونه من الفونوغراف فلا وجه
لإستباحته وأغشى أن يدخل فاعله في عداد من اتخذوا دينهم هزوا ولعباً فيتأوله
وعيد قوله عز وجل (٦ : ٦٩) وذروا الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرهم الحياة
الدنيا وذكروه أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
الآية وقوله تعالى في وصف الكافرين أهل النار (٧ : ٥١) الذين اتخذوا دينهم
لهواً ولعباً وغرهم الحياة الدنيا) وأن يدخل مشعري الاسطوانات أو الألواح
التي تؤدي القرآن بهذا القصد في عداد من نزل فيهم (٣١ : ٦) ومن الناس من
يشعري هو الحديث ليضل عن سبيل الله بصير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم
عذاب مهين) كلال بل وبما كان شراً من هؤلاء الناس فإنه جعل الآيات نفسها
مع ذلك الهوى قرن فصرف النفس عن الاعتبار حتى إذا تليت عليه كان كأن لم
يسمها كأن في أذنيه وقرا . وقد كان الأستاذ الامام يتألم من استعمال الفونوغراف
في تأدية القرآن مطلقاً فيما ظهر لي منه ولكن وجد في أصحاب العلم عنا من
يجرأ على القول بإباحته مطلقاً ولعل ما ذكرناه من اختلاف الحكم فيه باختلاف
القصد أقرب والله أعلم بالسرائر

وقد يكون لبعض الناس من المقاصد الصحيحة غير قصد الاعتبار والانماط

يسماع القرآن ما يبيع لهم ذلك أو يجمعه مطلوباً كان يستعين به من لا يضبط القراءة أو لا يحسنها على ضبطها ونحو هذا أو تحفظ فيه أروا تاريخها
وأما حكم حمل ومس الاسطوانات أو الألواح التي بها تؤدي القراءة الذي
بني السؤال عنه على الاعتقاد بمحرمة حمل المصحف أو مسه على المحدث وهو من
يحتاج في صحة صلاته إلى الوضوء أو الفصل ففيه وجهان (أحدهما) أن يقال إن
اسطوانة الفونراف أو لوحه الذي ينشأ عن قرع الآبرة له الصوت المشتمل على
الكلام ليس قرأنا مكتوباً إذ لا يرى الناظر فيه شيئاً من كلمات القرآن ولا حروفه
فلا يتناولها الضمير في قوله تعالى (٥٦ : ٧٩ لا يمسه الا المطهرون) (راجع إلى
قوله (كتاب مكتون) بناء على أن المراد بالكتاب القرآن وهو وجه ضعيف في التفسير
لأنه ليس بكتاب . وهذا الوجه ظاهر على طريقة الفقهاء الذين ينظرون في استنباط
الأحكام إلى مدلولات الالفاظ في الغالب وهو الذي لاح للسائل فيما يظهر
(والوجه الثاني) أن ينظر في المسألة إلى حكمتها وسرما فيبني الحكم على ذلك .
ويان ذلك أن تلك النقوش التي تسمى كتاباً ما كان لها حكم الكلام الا لأنها
وسيلة لعارف بها إلى أدائه وتلقه وكذلك اسطوانات الفونراف أو ألواح وسيلة
إلى ذلك . فإذا كانت الألواح والمصحف المكتوب فيها القرآن كله أو بعضه محترمة
لأنها وسيلة إلى أدائه فلماذا لا تكون ألواح الفونراف واسطواناته محترمة كذلك .
ولصاحب هذا الوجه أن ينقض الوجه الأول بأن المرف يسمى ما في هذه
الاسطوانات والألواح قرأنا إذ يقال إن هذا اللوح فيه سورة كذا أو قوله تعالى
كذا وإذا نظرنا في الكتابة نظر الفيلسوف يرى أن النقوش الدقيقة التي في ألواح
الفونراف أجدر من النقوش الكتابية بأن تسمى كلاماً ذلك بأنها كتابة طبيعية
حدثت من تموج الهواء بالقراءة اللفظية بواسطة الآبرة المروقة وهي تليد الكلام
كما بدأه الهاري لا تخمل . وأما الكتابة الخطية المروقة فهي كتابة اصطلاحية
لا تؤدي الكلام بطبيعتها بل بالمواظمة والاصطلاح وقد يقع الخطأ فيها من الكاتب
فلا يؤدي ما أملي عليه كاهو ومن القاري فلا يؤدي ما كتب على وجهه وإن كان
المنار ٦

عارفا بالكتابة بل المتلقي القراءة لا يضبطها كما هي ذلك قال بعض علماء الأصول ان تواتر القرآن خاص فيما ليس من قبيل الأداء فانا لا تقطع بأن أداءنا لهذا القرآن المتواتر كأداء النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان في عهده فونتراف حفظت به قراءته لقطنا بذلك ولدت الأداء أيضا متواترا . ومن ثم قلنا إن من المقاصد الصحيحة ان يستعمل الفونتراف في أداء القرآن لأجل ضبطه إن احتيج الى ذلك

هذا وإن نجوم من المصحف على المحدث لا ينهض عليه دليل من الكتاب ولا من السنة ولكن بعضهم ادعى الاجماع على حرمة مسه للعجب ولا نسلم له هذه الدعوى والخلاف في غير المنوضى أقوى . نعم ان احترام القرآن واجب قطعا وأهاتته من كبائر المحظورات بل من الكفر الصريح اذا كانت عن عمد ولكن حل المحدث له لا ينافي الاحترام ولا يستلزم الاهانة فرب محدث يحمل القرآن وهو له أشد احتراماً ورع متوضى بهمله وهو مقصر في احترامه

الجنة والنار

(س ٣٨) من محمد أمين أفندي فوزي صاحب جريدة العجائب بمصر

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الفراء

تحيات وتسلميات وأرجو الجواب على السؤال الآتي تحت امضائي

على الجنة والنار حقيقتان وان كانا كذلك فابن مقرها ؟ افيدونا ولحضرتكم

التراب

(ج) اذا أردتم بالسؤال كونهما ثابتين أم لا فالجواب انهما ثابتان قطعا وما أراكم تريدون هذا وقد قرأتم الآيات الصريحة في ذلك . وان أردتم هل مدلولها على معناها حقيقي كما يفهم من اللفظ أم لا — وهو ما يوجب على الظن — فالجواب انه ليس المراد منهما ما يفهمه العربي من اللفظ بل لكل منهما حقيقة شرعية أخرى يؤخذ وصفها من مجموع ما ورد فيها من النصوص ويقال بالاجمال ان الجنة دار الجزاء الحسن على الايمان الصحيح والاعمال الصالحة لا يستان كبساتين الدنيا والنار دار الجزاء على الكفر والأعمال السيئة لا يجر دمانسبه ناراً . أما مقرها

فهو في غير هذا العالم أي في عالم النيب فلا فائدة في البحث عنه فنحن نؤمن
بهما إيماناً غيبياً اتباعاً لما جاء به الرسول عن الله تعالى . لا يزيد على ذلك ولا
نقص منه ولا نشبه عالم النيب بعالم الشهادة بل نقوض ذلك إلى الله تعالى

﴿ القسم رب موسى وعيسى وإبراهيم . وأبجد وهوز الخ ﴾

(س ٣٩ و ٤٠) من عبد الحافظ أفندي على (بشر بن)

سيدى العلامة الفضال مفتى مجلة النار القراء

بعد الاحترام ستلت مرة وسألت علماءنا مراراً عن اليمين المتداول بين
الناس وهو (والله العظيم رب عيسى وموسى وإبراهيم) فلما نفي أنه لا بد من
حكمة يعرف العالم العامل ولكني من الأسف لم أعتد على الجواب الشافي الكافي
وسألت أيضاً العلماء والادباء عن معنى (أبجد . هوز . حطى . الخ) فلم أوف
على الحقيقة « فخرجكم أجابتنا في العدد الاثني ولكم الشكر وأفضيه باهتمام »
(ج) أما القسم المذكور فلا أعرف له حكمة ولا أرى البحث عنه أمراً ذا بال
ويسبق إلى الذهن أنه جرى على لسان بعض محبي السجعة فتمنعته الناس وسمعت
بعض العامة يحذف منه اسم عيسى فخطر لي أنه ربما كان من أقسام اليهود وسرى
منهم إلى المسلمين

وأما أبجد هوز الخ فهي كلمات ضبطوا بها حروف المعجم ولهم فيها روايات
جمع المشهور منها الشيخ حسين والي في كتاب الاملاء قال
« هذا وكان تعلم الحروف في أول الامر على ترتيب - أبجد هوز حطى
كلين معنص قورشت ثمخذ ضفغ قال في القاموس : وأبجد إلى قرشت وكلين وقيسم
ملوك مدين - ووضموا الكتابة العربية على عدد حروف أمثالهم - هلكوا يوم
الظلة فقالت ابنة كلين

كلين هدم ركني	هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه	حذف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم	داوم كالضفحة

«ثم وجدوا بعدهم يُخذ ضلع فسموها الروادف اه فهم قوم شعيب صلى الله عليه وسلم ورافقه ما في الخطط القريزية

«وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنها قالا -- أول من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزلوا في عدنان ابن ادين أول أسماؤهم -- أجمد هوز حطلي كلهم صفص قرشت - فوضع الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا حروفاً ستة ليست من أسمائهم وهي تُخذ ضلع فسموها الروادف اه أما الفقهاء فقد قال منهم محمد سميت بعض أهل العلم يقول أنها أسماء ولد سابر ذلك فارس -- أمر من كان في طاعته من العرب أن يكتبوها -- قال فلا أرى لأحد أن يكتبها فأنها حرام اه وقال سحنون سميت حفص بن غياث يحدث أن أباً جاد أسماً شياطين اه وبني على ذلك كراهة تليها الصبيان» انتهى المراد من كتاب الاملاء

باب المناظرة والمراسلة

مطالب مسلمي روسيا من دولتهم

﴿ تمة رسالة الشيخ رضاه الدين ﴾

الكلام على المادة الثامنة

نحن نبرهن ما أتى في هذه المادة «بالخصومات الماثلية» برخياً للسهولة وفي الواقع ان هذه الخصومات لا تعدو البيوت (العائلات) في الغالب وهي تفارق الخصومات الأخرى بوجوه عديدة. لاجتهاد المجتهد دخل كبير في سائر الخصومات وكثيراً ما يحول القاضي في فصلها عليه. وأما الخصومات الماثلية فعظمها - ان لم نقل كلها - يرجع في فصلها الى الكتاب والسنة فقط. وتقسيم التركة مثلاً لا حاجة فيه الى الاجتهاد بالمرة وإنما العمد في الكتاب والسنة. أو تقول: ان الحاجة فيه الى الاجتهاد شاذة نادرة ليست محاولة الحكومة الروسية أخذ فصل الخصومات الماثلية من أيدي قضاة المسلمين وتسليمها الى الحاكم المدنية أمراً حديثاً. بل يظهر من مطالعة كتاب (رحلة سر كفتان) لرجل يقال له «شيلدر» ان الحكومة همت بهذا الأمر قبل اليوم ثلاثين سنة

غير أنه قد عرض حينئذ في سبيل اتمامه عرائق اضطرتها الى إرجائه الى يوم ياتيها
لا ارى وسيلة معقولة تتوصل بها الحكومة الى سلب قضاء المسلمين حتى فصل
« الخصومات العائلية » سوى زيادة هضم حقوق المسلمين ، وعدم اقتدار علماء
المسلمين على تلافي هذا الخلل في الحكم والقضاء

اذا فاجأتنا الحكومة قائلة : أيها المسلمون قدم وطم ونكم ظلم النساء والاجحاف
بمقوقن . وقضائكم لا يفركون في اصلاح هذا الخلل . والخطب يتفاقم يوماً فيوماً :
أفجدينا نفماً ان تجاوزها قائلين : نحن براء ما تنهينا به ؟ أو ان نقول : ليق الامر
بأيدينا ولو كانت الحال كما تقولين : كلا

ان رجال الحكومة لا ينفق عليهم خافية من شؤنا الا لهم برايقوننا بقلوب متعطشة
وعيون ساهرة وان كنا نحاطهم غاطلين عنها . نعم ان الرراض التي نرضع الى المقامات
العالية من قبل المسلمين قليلة بالنسبة الى عدد النفوس . غير ان قلتها لا تصلح ان
تكون دليلاً على قلة وقوع الظلم عليهم . لان المسلمات في هذه البلاد متعجبات
لا يمكن التظلم والتشكي من حالهن بأنفسهن . وفريق نهن بزحين الايام في
العذاب الاليم والشقاء الدائم متسليات باحالة الامور الى القضاء والقدر

فقاو عن على هذه الحالة النعيسة جدير بان يعد ضرباً من الظلم وعدم
الاكثرات بشأن هؤلاء المسكينات . مطالبنا الحكومة بما في هذه المادة كاهوتشه
قولنا لها : لا يهنا أمر المسلمين وانصافهن وانما يهنا بقاء الامر بأيدينا : ولا أغلن
الحكومة قنقع لنا بمثل هذه المطالبة العارية من كل حجة وبرهان

لا يقل الظلم والحيف ولا يكون الناس آمنين من قبل حكاهم الا اذا كان
القضاء الشرعيون براعون مقاصد الشريعة العادلة وكانت القوانين التي يعمل عليها
في الحكم وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان وفصلت الدعاوي بالعدل ونهري
منهج الانصاف

اذا كانت القوانين ملائمة لمعاملات الناس وحالاتهم الاجتماعية فلا جرم انهم
يعيشون سعداء من هذه الجهة . وأما اذا كانت على العكس فلا تزيد أمورهم الا
ارتباكاً واختلالاً

لا بد في وضع علم الحقوق من ملاحظة عادات الناس وطرق معاملاتهم سواء كان مبنياً على أساس الوضع الالهي أو على أساس العقول السليمة والآراء الصائبة .
وتحتي عن البيان ان عادات الناس وأساليب معاملاتهم تتغير على اختلاف الاعصار وتحول الدول

وهذا التغير الدائم يقضي بتبديل بعض قوانين الازمنة الفارغة في الازمنة الحاضرة . وتبديل بعض قوانين الازمنة الحاضرة في الايام الآتية . ومن هنا نرى الدول الاوروبية تجمد وتصور قوانينها في كل ربع عصر على الاقل هذا أمر لا مندوحة عنه في سير المجتمع البشري

لا يخفى على المشتغلين بالعلم ان المتون المولديها في علم الحقوق الاسلامية أو في الفقه الاسلامي وضمت قبل اليوم بسبعة أو ثمانية قرون في بغداد والري . والشاش (المسمى اليوم طاشكند) وسمرقند ومرغيان ومرو وما اليها من المدن الممورة في سالف الازمان . ولا شك ان مؤلفي تلك الكتب راعوا في وضعها عادات تلك العصور ومناهج معاش أهل تلك البلاد . وبما اتنا اليوم نعيش في عصور غير عصورهم وفي بلاد غير بلادهم نجد طائفة من القواعد الفقهية المذكورة في تلك الكتب يستعمل العمل بها في هذه الايام في بلادنا . ولذلك نرى القضاة الشرعيين فينا يلهجون حيناً بعد حين الى الحكم الجزائي . والحكم الجزائي وان كان عظيماً عند الله لا تبدو مضاره الدينية في مرة أو مرتين ولكنه اذا تكرر عدة مرات صار قاعدة مطردة في الحكم حتى ان الحكم بخلافه يوقع الحكومة في ريبة ويضعف ثقها بقضائنا وقضائنا . وما ينشأ عن هذا من المقاصد لا يعلمه الا أهل البصر من القضاة والحكام

وبالجملة ان كثيراً من القواعد المذكورة في الكتب الفقهية لا يمكن الاخذ بها في الازمنة الحاضرة وان كثيراً من الاشياء التي ظهرت في هذه الايام لا ذكر لها ولا اشارة اليها في تلك الكتب . فلهذه الاسباب نرى القضاة الشرعيين فينا يتخلص ظله يوماً فيوماً . ولا يرتابن أحد في شيوع الظلم وضياع الحقوق اذا لم يكن القضاء مبنياً على أصول تكفل العدل وابتاء كل ذي حق حقه

ولذلك يصعب جدا ان نرد على الحكومة توجيهها لنا ظلم النساء والإجحاف بحقهن بنطين الامر على الواقع وان كان الرد عليها بالدلائل النظرية والقواعد المنطقية سهلاً ميسوراً

ومن هنا أقول: لا ينبغي لنا ان نطالب الحكومة بما أتى في هذه المادة بصورة مبينة مجملة بل يجب علينا ان نقرن بها بعض الدلائل قائلين مثلاً: نحن لا نرضى في بقاء فصل الخصومات العائلية بأيدي قضائنا لكون هذا الامر عادة موروثة فينا منذ عهد قديم فقط بل نطلبه لكونه أمراً دينياً بحثاً أيضاً لأن حكم القضاة غير المسلمين في مثل هذه الخصومات لا أثر له في نظر الشريعة الاسلامية . بل تمهيد الفقه الاسلامي وجعله صالحاً للحكم به في هذا الزمان راجحاً الى علماء المسلمين أنفسهم

وفي وضع الحكومة أن تولف لجنة من علماء المسلمين الكبار وتنوط بها وضع كتاب فقهي في الدعاوى العائلية وأبواب القضاء والشهادات والدعوى والبيئات وما شاكلها من المباحث حتى يتخذ القضاة الشرعيون « دستوراً » للعمل في القضاء وفصل الخصومات

ويمكن تلخيص كلامنا على هذه المادة في المباحث الآتية :

- (١) كتبنا الفقهية لا تنكح اليوم فصل الخصومات العائلية
 - (٢) بعض القواعد الفقهية لا يمكننا المجري عليها في هذه الايام
 - (٣) القواعد الفقهية يجوز تغييرها بحسب اقتضاء الأزمنة والمصالح العامة
 - (٤) فصل الدعاوى العائلية من الامور الدينية
 - (٥) يجب وضع كتاب فقهي يكون عمدة لقضاة الشرعيين في قضائهم فتسكلم هنا على هذه المباحث الخمسة مبيناً مبيناً ولو باختصار فنقول :
- (المبحث الاول) : لو شئت لسردنا هنا لاثبات هذا المدعي دلائل كثيرة بيد أننا لانصب أن نطيل المقال بايراد الأمثلة الجزئية المختلفة . غني عن البيان أن كتبنا الفقهية ألفت في زمان لم تكن فيه البوسطة (البريد المنتظم الحاضر) والتلفزيون وما إليها من المخترعات الحديثة . وكذلك لم يكن فيه دفاتر المواليد

والوفيات المنظمة كالיום ولا محكمة الاشهاد التي تعرف في روسيا (بالناتاريوس)
ولا شهادة الحاكم والاطباء ولا النفي الى سيبيريا مؤبداً أو مؤقتاً بمدة مديدة
ولا الحكم بالانحراف في سلك المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة وماشا كلها من
النظامات المستعده في الدول الحديثة اليوم . مع ان لهذه المذكورات دخلا
كبيرا اليوم في ماملاتنا ودعاونا وفصل الخصومات وعلان الاحكام
ولا ينسئ تطبيق احكام تلك النظامات الحديثة على ما في الكتب الفقهية
الا لافراد قلائل من نوابغ العلماء . والكتب التي لاتصلح أن تكون « عدة »
لكل قاض جديرة بأن يقال فيها : انها لا تكفي لحاجة العصر الحاضر .

يكاف رجل مقيم في احدى مدن سيبيريا امرأته الساكنة في أحد بلدان
روسيا المتوسطة بواسطة التلغراف بعد اشهاد محكمة « الناتاريوس » على هذا
الكلاف . او يمش رجل في مدينه « موسكو » بكتاب الى زوجه في سيبيريا
يخبرها فيه بطلاقها بعد أن حول النقود التي تصرفها المرأة لتفقه العدة على احدى
البنوك . في تمثل هذه النوازل يحار قضاتنا الشرعيون المتوسطون فلا يكادون
يستخرجون فيها حكما من كتب فقهية تنويع . واما كبار القضاة — وان لم
تملكهم الحيرة بالمرة — فلا يعدو فكرهم مباحث « كتاب القاضي » ومبحث
« جواز العمل بالخط وعدم جوازه » . ولا يخفى على البصير ان فصل تلك القضايا
بأمثال هذه المباحث أصعب من خوط القناد . فتضطر أولئك النساء الى ترجية
الايام كالملاقات شاكيات القضاء والقدر الى آخر حياتهن

(المبحث الثاني) يقع أحيانا أن جزأ من دعوى واحدة ينظر في مقاطعة
« يا كوتسكي » (في أقاصي سيبيريا) وجزأ آخر في بلدة « بلاياي » (في أواسط
روسيا) تلجأ قضاتنا اليوم عند النظر في أمثال هذه الدعاوي الى ما في فصول
« كتاب القاضي الى القاضي » من الاحكام . مع ان أوجه الاقوال في هذه
الفصول (وهو قول أبي يوسف) لا يمكن تطبيقه على ما يجري في هذه البلاد .
هذه المرأة الساكنة في « بلاياي » مثلا تقضي ثلاثين أو أربعين عاما من حياتها
وهي تندب حظها . مع ان زوجها لا يزال في قيد الحياة وليس من المتقودين أيضا

ولا يقتضى لما الاجتماع معه ولو مرة في عمرها . باليت مثل هذه المرأة كانت واحدة أو عشرة فقط . بيد انهن لسوء الحظ يمددن بمئات في جميع أنحاء البلاد (الروسية) التي يسكنها المسلمون

لا يذهب من أحد الى أني أطنن بكلامي السابق على الكتب الفقهية وأحط من قدر مسائل « كتاب القاضي الى القاضي » فان العمل بما في تلك الفصول كان موافقاً غاية الموافقة للمصدر الاولى المحدث في كل أسباب العمران وشؤون المدن . وأما اليوم فقد انقلبت الا مر ظهرا لبطن حتى لو رجع الامام أبو حنيفة لتعني الكتب الفقهية التي ألفها تنفيذ الامام محمد عن مستقرها الذي أقرتها فيه متفهمة الأزمنة المتأخرة ووضعت فيها جديداً يلائم روح هذا الزمان لا محالة .

لا يحسن بنا البتة أن نحاول تطبيق الحوادث وجميع شؤون الناس المتجددة على القواعد المحصورة بين جلود الكتب الفقهية بل يجب على كل بصير أن يبدل غاية جهده في تطبيق تلك القواعد على الحوادث والعداات . رأينا كثيراً من الجامدين على الكتب الفقهية كانوا يأبون كل الإباء تصديق خبر روية الطلال الذي رد اليهم ممن يعرفونه في البريد إذ يجدونه غير مستوف للقبول المذكورة في باب « كتاب القاضي الى القاضي » المذكور في كتب الفقه المتداولة

مع ان هؤلاء لم يكونوا يرتابون أدنى ارتياب في كونهم هم أئمة الماسجد أصحاب المنشورات حين ينطقون منشوراتهم التي كانت ترسل اليهم من صرا كز الولايات بمئات من الوسائط — من يد مستخدم روسي في المراسل (بمعناه المعروف بمصر) .

يقضي قضائنا اليوم في المرأة التي يصح زواجها عن الاتفاق عليها باستماتتها على زوجها ولا يجوزون الفقرة بهذا السبب أبداً

كان هذا الحكم موافقاً في المصدر الاولى (وربما يكون موافقاً في هذا المصدر أيضاً) لميشة من يسكنون الكوفة وشداد وأمثالهما من البلاد الحارة .

وأما بلادنا التي يحكم فيها البعد الشتوى الزهريري عدة شهور من الطال العمل فيها بهذا الحكم . لان المبلغ الذي يكفي في تلك البلاد الحارة لتعيش عشر

نساء لا يكفي في بلادنا لتميش نصف امرأة .

ليت شعري ماذا نجني المرأة من وراء هذا الحكم الذي لا أثر له في الواقع . لماذا لا يحكم باستدانة زوجها ؟ اذا لم يجد الرجل من يقرضه فمن أين تجده المرأة المستضفة ؟ انظرون المرأة تنصرف من عند القاضي مبهتجة بحسن حالها عند ما يقول لها : حكنا لك بأن تستديني على زوجك : ؟ أي فرق بين حكم يمكن تنفيذه وبين حكم لا يترب عليه أثر مافي الواقع ؟

يشير علماءنا في مسألة العنة المضلة الى الصل بأقوال النساء . هذه المسئلة قد طالما اعترف فطس الاطباء بمعجزهم عن إدراك حقيقتها في هذا العصر الذي ارتقى فيه علم الطب والاشربح ارتقاء رائعا (راجع كتاب حياتنا التناسلية) فكيف يجوز لنا في مثل هذه المسئلة الطبية المضلة ان نعول على أقوال نساءنا الجاهلات اللواتي لا يعرفن شيئا سوى الثروة بالسفاسف والتباهي بالثياب والرياش ؟ طلبت ذات مرة امرأة الفرقة من زوجها في المحكمة الشرعية (باوقا - روسيا) مدعية عنه . فحكمت المحكمة بالتأجيل المعروف في كتب الفقه . ثم ظهرت مسئلة أخرى وهي : هل الزوجان يقضيان الاجل المضروب معا أو يقضيانه كيفا يشاآن ؟ المرأة وضيت مسا كنتزوجها الى انتهاء الاجل غير أنها اشترطت الاقامة في غير منزل هيبا . وأتت بعدة موانع تمنعها من الاقامة فيه . وأما الرجل فهو رد على المرأة دعواها قائلا : انه لا يمكنه مفارقة منزل أبيه لأنه يقوم بحاجاته وهما مشتركان في مهنة واحدة . ولما أبطلت المحكمة في فصل هذه الدعوى فصلا نهائيا رفضت المرأة الى نظارة الداخلية عريضة شديدة الالهة تشكو فيها إبطاء المحكمة الشرعية في حل القضية . فأخذت المحكمة تشتغل من جهة بالجواب عن استعلام تلك النظارة . ومن جهة أخرى كتب الى « القسم الطبي » (باصطلاح الحكومة هنالك) كي يعمل الكشف الطبي للرجل والمرأة جميعا . فعمل لهما الكشف الطبي عند شاهدين قبل المحكمة الشرعية الى أن كتب القسم المد كوفي شهادته - سلامة الرجل من العنة وعدم تيقنه بشي في أمر المرأة . أمثال هذه القضية تقع في كل زمان . ومن لنا بدلائل قهينة من مختصر القدوري والهداية بل الجامع الصغير

يفصل أمثال هذه الدعاوي فصلاً مرضياً ؟ ولا أظن أن هذا يقسم لكل قاض من قضات الشرعيين . فحينئذ لما سبق بالأجمال أن كثيراً من القواعد الفقهية لا يمكن الجري عليها في هذا الزمان .

﴿ المبحث الثالث ﴾ : لا يستلزم تغيير بعض ما في الكتب الفقهية بمسب اقتضاء الزمان والمكان وتبدل قواعدها البالية بقواعد كافة لمصالح الناس في عصورهم التي يعيشون فيها تغيير أصول الشريعة الإسلامية العامة ونصوصها الفقهية الإسلامية عبارة عن ركنين . ركن يتألف من أصول الشريعة المعروفة عند أهل كل المذاهب المتبعة . وركن آخر عبارة عن القوانين الإسلامية المولدة من آراء رجال معروفين وغير معروفين في أزمنة مختلفة القوانين الإسلامية لا فرق بينها وبين قوانين الروم القديمة أو قوانين فرنسا وأمريكا مثلاً في كون كل منها موضوعة بآراء الرجال . كل الآراء التي ارتأها الفقهاء المتقدمون لما اقتضت معاملات الناس وعاداتهم في زمانهم واتبعوها بقولهم « هذا هو الواقع لهذا الزمان » أو « هذا هو الأرفق بالناس » أو « العقل السليم يقضي بهذا » أو « عموم اليولي نميز العمل بهذه القاعدة » وما اليامن أقوالهم . كل هذه عبارة عن القانون الإسلامي الوضعي والسلام

ولا بأس أن نشفع كلامنا هذا بمثال : كون نصيب البنت الواحدة من التركة نصفاً حكم شرعي لا هوادة فيه لأنه ثابت بالكتاب . أما قاعدة مراجعة النساء في مسألة العنين فهو قانون إسلامي لكونه رأياً مجتاعاً من آراء الفقهاء . (لا أظن أن مسألة العنين وقعت على عهد النبي (ص) بجميع فروعها . لأن العلامة ابن القيم مع التزامه جمع كل الوقائع التي وقعت والاحكام التي صدرت مما يتفق بالإسلام في ذلك الزمان لا يذکر شيئاً من ذلك القليل كتابه « زاد الماد » المعروف بل مسألة التأجيل نفسها بروى الكمال في فتح القدير كونها منقولة عن الخليفة الثاني والرايع فقط . وأما قاعدة العمل في هذه المسئلة بفنارى النساء فلم نمر الى الآن على مبسكها مع طول بحثنا وتنقيتها في الكتب الفقهية . هذا في العنين وأما الوسائل التي يذکرها الفقهاء لتوسل بها الى معرفة البكائية

فحدث عن غراتها ولا حرج)

الحكم الشرعي الثابت بالكتاب مثلاً لا يجوز تغييره بوجه من الوجوه - الا في الضرورة الملحة - . وأما القانون الاسلامي فلا أرى بأساً في تغييره وتطبيقه على مصالح كل زمان ومكان لانه مما تغير شكله وتبدلت صورته لا يخرج عن كونه قانوناً اسلامياً

(المبحث الرابع) كانه يجب ان تكون اصول الاحكام التي يبنى عليها فصل الدعاوى الماثلة أحد الاصول الشرعية المعروفة (لا يضر حكماً هذا ما في تلك الاحكام من القوانين الاسلامية لأن أحكام الآراء انما هي في فروع الاحكام دون جوهرها على ان القوانين الاسلامية نفسها لا مندوحة عن كون واضعها مسلمين) فكذلك يجب ان يكون القضاة الذين يقضون بها قضاء شرعيين والقاضي الشرعي لكونه نائباً في القضاء عن الرسول (ص) لا بد من كونه مسلماً ومن أجل هذا تجد الخلفاء العباسيين لم يوسدوا القضاء الى غير المسلمين ومن وسدوا الى علماء اليهود والنصارى والصابئين والمجوس أكبر الوظائف غير القضاء . كان نكاح المسيحيين لا يعدّ شرعياً الا اذا باشر عقده أحد الروحانيين منهم فكذلك فصل الدعاوى الماثلة في المسلمين لا يعدّ شرعياً اذا جرى على يد قاض غير مسلم مما كان بارعاً في الفقه الاسلامي . لأن القضاء في الدعاوى الماثلة وظيفة دينية بحجة كالإمامة في الصلاة سواء بسواء . فنعلم من هذا ان قضاء القاضي المسلم بالقوانين الوضعية في الدعاوى الماثلة ليس بشيء في نظر الشرع . فكيف بقضاء القاضي غير المسلم بتلك القوانين ؟

ثم ان المذاهب المشهورة تشترط كون القاضي مجتهداً . قضاء القاضي غير المجتهد وان كان يفتد في مذهب الحنفية غير ان له شبهة قوية في كون هذا القول قول أبي حنيفة نفسه . على أنهم لا يجيزون قضاء القاضي المقلد الا اذا كان مستنداً الى فتوى المفتي المجتهد . فلا يبقى كبير فرق بين المذهبيين . لأن الأول بقضي يكون القاضي مجتهداً مباشرة وثاني بقضي كونه مجتهداً بالواسطة . وعلى كل حال لا بد في فصل الدعاوى الماثلة من قاض مجتهد أو مفت مجتهد . ولا يجوز ان يفت غير المجتهد

في المذهب الراجح . واشترط الاسلام للاجتهاد أمر لا خلاف فيه بين المسلمين
أوجزنا الكلام بهذا الشأن إيجازاً ولم نكتب ، اكتبنا الا بطل أنه قد يكون
عونا على ابقاء فصل الدعاوى المذكورة بأيدي علمائنا . اذ نحن أنكرنا كون أئمة
مساجدنا قضاة شرعيين وذهبنا مع ذلك الى اقتضاء عصر الاجتهاد وانسداد باب
كننا كمن قضى يده من النظر في تلك الدعاوى باختباره وسلمها الى المحاكم
المدنية برضاء

فن البعث اذ أن تفاوض فيها يفتنا في ابقائها على حالتها الأولى
قال العلماء المحققون بمجواز تخصيص القضاء ببعض الاحكام وكذلك قالوا
بوجوب اتخاذ ثلاثة نفر من المسلمين القاطنين في موطن واحد منهم قاضياً لهم .
صرحت الحكومة في قوانينها المتعلقة بأئمة المساجد بأن في وسع الأئمة ان يفصلوا
القضايا العائلية الحادثة في أحيائهم بمقتضى شرعهم وان يطعنوا بالحكم المتناصبين .
وليس اليهم فصل الدعاوى المالية ، فما الذي يمنع ان يكون هؤلاء قضاة شرعيين ؟
لا يمنعهم من ذلك كونهم منصوبين من قبل حكومة غير اسلامية . لأن القضاء
بمجاز تقلده من أئمة حكومة كانت

ولا يمثل أن يكون المانع هو عدم تلقيهم بالقضاة . لان القضاء لا يشترط
فيه هذا القرب (القاضي) . ولا إخال ان أحدنا يزعمنا في ذلك ، فما المانع اذا ؟
ان الحكومة مكنت أئمة المساجد عندنا من النظر في دعاوى النكاح والطلاق وامثالها
تمكيناً تاماً حتى انها تؤخذهم مأخذة عنيفة اذا هم قصر وافي ذلك كما انها تؤخذهم
اذا تخلفوا عن الامانة في صلاة الجمعة بلا عذر شرعي (ارجع الى القوانين المتعلقة بذلك)
ليست المنشورات التي تعطىها المحكمة الشرعية لأئمة المساجد هي التي تثبت
لهم وظيفة القضاء . لان نصب الأئمة والقضاء ليس الى المحكمة الشرعية في
هذه البلاد . واذا نظرتم الى مواد القانون التي تذكر في منشورات الأئمة
ظهر لكم هذا ظوئاً بيا . فيما قلنا يتبين سقوط قول القائل : لا تكون أئمة
المساجد قضاة شرعيين الا اذا نصبتهم المحكمة الشرعية
لا يجوز لنا أن نتدخل في الأمور التي تناط بها حياة الأمة ونقاؤها بل

يتحتم علينا أن نجعل قدام القشاور بعد أن نزعنا من قلوبنا كل غرض شخصي
وسخية كائنة .

إذا كان في ادعاء كون أئمة الساجد عندنا قضاء شرعيين شيء يصادم
الشرعية أو يضر بمقتبل الأمة فإنا لا يصعب على الدول عن هذا الرأي في كل حين
وما أفا إلا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أوشد

(المبحث الخامس) مسلمو روسيا في حاجة شديدة الى كتاب في علم
الحقوق الاسلامية (أو الفقه الاسلامي) ملأتم لتفضيات هذا الزمان يكون «دستوراً»
لتضاتنا الشرعيين في فصل الدعوي العائلية .

إذا بقيت وظيفة فصل هذه الدعوي باليدي لماثنا كما كان في السابق تحتم
علينا قبل كل شيء سواء أمرت الحكومة أو سكنت أن نبادر الى وضع مثل هذا
الكتاب .

وغني عن البيان ان وضع كتاب على هذا النحو إنما يكون بواسطة «لجنة»
مؤلفة من أكابر العلماء وأفاضل المدرسين ثم يهود وينتج ما فيه من الأحكام
بحيث لا يناقض الاصول الشرعية على عمر الأيام . يروي حديث معناه «يأتي
على كل رأس أئمة ستة مجددون يجددون الدين» وإذا صح هذا الحديث فلا
مندوحة من أن يكون في حاجات الأمة ومهمات . وأهم المهمات للمسلمين بل
للمجتمع الانساني بأسره هو علم الحقوق والفقه دون الشرع والتاريخ والتصرف .
لأن الفقه المعزى الى الدين إذا لم يكن كافلاً بحفظ حقوق الناس وصيانة مصالحهم
تتبدد يكون سبباً لرغبة الناس عن الدين نفسه . وإذا كانت الاحكام غير ملائمة
لصالح الناس فلا جرم تضاف ثقتهم أيضاً بالقضاء الذين يحكمون بها . متى سمعنا
الناس يهزون المدل الى قضاء يحكمون احكامهم مشوشة غفلة ؟ ومتى سمعنا أمة
تواخت روابط المحبة بينها وبين قضائهم وحكامهم ثم حيث حياة طيبة وبقيت
وطيدة الأركان ثابتة البيان ؟ إذا كان هذا شأن الفقه مع الأمة الاسلامية فما
الذي اضطر بعضهم الى حمل حديث التجديد على التصوف ؟ هل التصوف
وكن من أركان الاسلام حتى يحس به هذا الاعتناء ؟

كيف يوضع هذا الكتاب ؟ هذا سؤال سابق لاوانه . لأنه لم يكن بعد وقت المناقضة في كيفية الوضع وما علينا الآن الا أن ننظر في أمور تهمنا في الحالة الراضة . ومع هذا وذاك فلا بأس علينا اذا أُلحنا هنا إلحاحا الى كيفية الوضع أيضا . اذا جاء وقت وضع كتاب على نحو ما ذكرنا وجب علينا أن نضمه معتندين على أصول الشريعة مهما أمكن من غير تعقيد بمذهب خاص . بل نرجع الى كتب المذاهب المعروفة قاطبة فيؤخذ الصالح مما فيها ويترك غير الصالح . ولا نضمرنا تسمية هذا العمل (تليفقا) . لأنه لم يقم الى الآن دليل ناهض على حرمة (التليفق) و بطلانه

من ينكر علينا كون المذهب المدعو بمذهب الحنفية ملحقاً من المذاهب الثلاثة المتخالفة أصولاً وفروغاً . اذا أنكر علينا هذا منكر فليفضل بدليته . يقول المحققون : ان الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه أكثر وأشد مما بين الامام مالك وبين الامام أحمد

لم يوقع الامة في هذا الاقتراق الشنيع وفي مهاوي القتل والفاقة والفوضى والتعصب الجاهلي الا فتو التقليد وتكثر المقلدين . يكون اجماع الكلمة واشتداد الاواخي بين أفراد الامة بحسب كثرة المجتهدين والباحثين وتقلص ظل المقلدين والباحثين هذه المذاهب المنبعة نفسها لم تكن متبعة على عهد المجتهدين أنفسهم وانما صارت متبعة بعدد قرون

وحين كان المجتهدون كثيرين لم تكن الامة مصابة بداء الاقتراق المضل الذي فت في عضدها وذهب بجهتها ولم تنفق اذذاك سوق التضليلات والتجويلات كما نفقت بعد إغلاق المسلمين في وجوههم أبواب الاجتهاد بأيديهم . العلم نقطة كثرها الجاهلون . واستنصر الله إن طغى العلم، أوزلت القدم، والصصة لله المتعال، وما بعد الحق الا الضلال .

محمد الاتقاد على محمد فريد أفندي وجدي

٢

وصف بعض المهريين في إحدى الجرائد اليومية فريد أفندي وجدي بأنه من عشاق الاتقاد عليه وكنا نحن على علم يقيني بأنه يفت الاتقاد أشد المفت لأنه من أصحاب الدعوى العريضة والضرور ولأنه لما طبع كتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نوااميس المدنية) وأهداه إلينا تصفحنا بعض صفحاته فألفينا فيه من الخطأ في المسائل الدينية والدعوى ما لا يجوز السخوت عليه وكنا قد عرفنا الرجل معرفة شخصية وأحسننا الظن به لما حدثنا به عنه بعض محبيه من أقطاعه المطالمة والكتابة فكرهنا أن ننقد الكتاب بدون استشارته واستئذانه فكتبنا إليه - وكان في دمياط - نطلب في الاستئذان ونطلبه من حبل الثناء ما يكون به حسنًا جميلًا فكتب إلينا راجيًا أن لا ننقد الكتاب وقال ان الاتقاد يصرف الناس عن المتقد لأن الأمة لم تعود ذلك أو ما هذا معناه . فاكتمينا يومئذ بطرائقه وإطراره كتابه تنشيطًا له الا أننا اتقدنا عليه شيئًا وحدها وهو دعوى ان أحدا لم يقم بالبحث عن أسباب ما حل بالمسلمين لما فيه من هضم المناد (١)

(١) كتبنا في (ص ١١١ م ٢) تقريبًا لهذا الكتاب قلنا فيه مانعه : وما اتقدناه (تأمل كلمة مما) على صديقنا الفاضل مؤلفه انه هضم حقنا في خدمتنا في المنار حيث قال في فاتحة الكتاب مانعه : نسقم كل جمعة على المنابر قائلاً يقول لم يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه ولكننا لم نسقم قط بأن عاقلاً قام يبحث بدقة وثبات عن أسباب هذا الاضطلال الشديد الذي وقعت فيه الامة الإسلامية من منذ (كنا) قرون كثيرة . اما والمسلم لو بحث باحث عن علل هذا الهبوط المائل بسد ذلك الصعود السريع ما وجدها الا في ترك السنن واتباع البدع : اه نحن قد سيفناه الى هذا في المنار إجمالاً وتفصيلاً حتي ان عبارة الخطباء التي قالها قد ذكرناها في مقالة اقتحنا بها العدد ١٩ من السنة الأولى وتكلمنا فيها على البدع . وقد كتب المؤلف لهذا العاجز كتاباً

ما كتب ذلك الكاتب في تلك الجريدة ما كتب قلنا لعل الزمان غير منه فحب إليه الانتقاد أوله صار يحسن الظن بالامة فلا يخاف أن تصرفها كلمة نقد عن الشيء الذي تنتقده اذا كان حسنا في نفسه فكنتنا في جزء الشهر الماضي ما كتبنا ولم يكذب ينشر الجزء حتى يادر فريد أفندي وجدى الى كتابة أربع مقالات في جريدة اللواء تمثل كل كلمة منها لقاريء اضمأراب مجموعه المصبي وهو عصبي المزاج - وبلغ الفيظ والنفصب والامناض منه منتهى ما تبلغ من أمثاله المصبيين . على أنه يقرر ويكرر في كتاباته ما اقتبسه من المنار وأخبره من قول الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر : (يشير الى قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم) بل يصرح بأن هذا أصل من أصول الاسلام « الصراية » التي بفضل بها غيره . فلماذا عظم عليه الانتقاد عليه وأخذته العزة بالآثم حتى استفرغ كل هاتيك الضيرة والإزراء بالمنتقد والتعظيم والتعجيل لنفسه وكلاهما منكر عظيم ؟

ذكرنا في نبذة الجزء الماضي ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قال في وصف ما يكتب فريد أفندي وجدى انه مقدمات ووعود . وكان يرجى أن يفيد هذه الموعظة اللرية من امام مصر وحكيم الشرق ومفخر مصر فيترك تلك المقدمات والوعود التي كلها دعاوى وتبجح ويتكلم في المقاصد من غير أن يدخل نفسه فيها ولكنه كان بعد السلم بها أوغل في ذلك منه قبله وزاد على الوعود الوعيد فتواعدنا اذا عدنا الى الانتقاد عليه بما يأتي

قال في آخر المقالة الاولى بعد دعوى أن الناس يهودون منه الى اليوم دفع

كثيرة يعني فيها على خدمتنا للاسلام وكأنه دخل عن ذلك عند كتابة ما ذكر وسبحان المنزه عن الدهول والنسيان « اه ما كثيفناه في المجلد الثاني . ولما قرأ المؤلف يومئذ كتب الينا يعتذر ويعد بأن سيني المنار حقه في طبعه ثانية (واجمع ص ١٢٧ م ٢) ولكنه لم يفعل على انه كان كتب الينا كتابا قال فيه انه يكتبه هذا يعنى مشروعا وقهوي صوتا

السيرة بالحسنة مانحه » فان لم يجد الشيخ رشيد الى صوابه ويحترم الامة التي يعيش بين أظهرها ويعرف مقامه من السلم والعمل اضطارنا لنقرب سقطة في عجلة الحياة وشذا عليه غارة لا يقيم بعدها راسا فيأخذ عنا درسا بنفسه هو وأمثاله ممن يريدون أن يعيشوا بين ظهراني هذه الأمة باعترافها ونسبها أحلام قاذبها » مهلا يا أخي فريد أفندي ولا تبتلى البطشة الكبرى فاني معذور بما كتبت لأنه اعتقادي وأنت تدعي احترام حرية الاعتقاد حتى إنك تدعي تصحيح عقائد المارقين من النابتة الجديدة ، مهلا يا أخي ولا تستعمل قدرتك كلها في الانتقام فاني لأعتقد أن بيان غلطك - وأنت غير معصوم - إهانة للأمة وتزك لاحترامها . مهلا يا أخي واستعمل الحلم فاني ما علمت ولا سمعت بأنك من قواد الأمة ، ولا اعتقد أن انتقاد القائد إذا أخطأ في قيادته يكون احتقارا للأمة . بعيشك يا أخي فقد صاحب جريرة اللؤا في الفخر والعوى ومدح النفس ولا تقلده في دعوي أن الامة تبع لك وأنها وراءك فان هذا هو الاحتار لها لا بيان خطاك في فهم الشرع وتعرف الوحي وإنكار نبوة آدم عليه السلام ، ولا في تلك العصبية الجنسية الجاهلية

ثم قال في آخر المقالة الرابعة » واني قد تسامحت هذه المرة مع الشيخ رشيد وقاعاً عن مدرسة العلوم العالية ولو عاد للخط من كرامتي وكرامة مدرستي ولم يلتزم جادة المحاسنة في الكلام على القوم الذين يعيش بين أظهرهم بدأت له في العرص الذي وعدته به وكنت أنا صوت السخط العام عليه والعاقل من اختار السلام والسلام » اهـ

وقها يا أخي فريد أفندي واجعل الانتقام خاصا لاعامنا ولا تسلط على الامة التي ترى أنك أنت قائدها فانك ربما جربت ذلك قضيت علي ثم ندمت !! وربما كتبت لك التجربة أنك لست قائدا للأمة الا في خيالك ووعيك وان مكانة أحيك أثبت فيها من مكاتك قبوت بالحبيبة

الانتقام الخاص الذي أذنت لك فيه هو ان تتبع سقطة المنار وشيئا في الحياة فاني لا أبرئ المنار من السقطة ولا أدعي العسبة وأتمنى لو أجد وقتا أقرا فيه

مجلات النار القسوة أو العسرة لأستخرج منها مالي هندی اليه من القمطات وأينما للناس . واني في كل سنة أحت العلماء على نقد النار وأشهر كل مايرد الي من ذلك ولا أسخط على الناقد ولا أهينه ولا أنكبر عليه . واني آتمنى ان تستبين على نقد النار بشرك فما أراك وحدك اهلا فندم اطلاعك على العلوم الدينية واني ان يكون من تستمين به من غير المهين لي وأنصحك ان تترك في ذلك مدح نفسك وذم غيرك وما اعتدته من المقدمات والوعود فانك ان تفعل هذا انتل كلامك في انتقاد النار وإلا أهمله ولم أحفل به

وأما الانتقام العام الذي نهيتك عنه مع علي بعجزك فهو تحريك المصيبة الجاهلية علي أعني عصبية الجنسية لأنني لست مصرياً

المصيبة الجاهلية والاسلام

لم تكف يا أخي بالتميزة والأزواء في مقالاتك حتى قلدت جريدة اللواء في شر ما جنت به على الاسلام من تحريك عصبية الجاهلية بتفريق المسلمين الى جنسيات مناطق الوطنية فأخذت ترجف بأن الحامل لي على انتقاد كلامك كراهة ان ينجم للمصريين عمل عظيم (كدراسة العلوم العليا) ولماذا يا ترى أكره ان ينجم للمصريين عمل عظيم ؟ هل أنا على مذهب مصطفى كامل في المصيبة الجنسية الجاهلية التي يحامها الاسلام فقام هو يشتتها وجئت أنت اليوم تؤيده من حيث أيدك في نشر طعنك في أخيك

ألست قد حاربت هذه النزعة الجاهلية و بينت فسادها مراراً كثيرة ؟ على أنني باذل كل حياتي لتصبحة المصريون وخدمتهم قبل غيرهم من الشعوب لاسلامية التي هي عندي في مرتبة واحدة من حيث هم مسلمون لا أفضل سودياً على صيني ولا تونسياً على مصري

قلت بعد الأرجاف بما ذكره والنصر ببحر بأنه ربما كان لطف الأخلاق المصريين وبجاهلهم سبباً في جرأني على الافتيات عليك مانعه : « لم يكف هذا الرجل أن يتعكك في محبته بملوكنا وأمرائنا وعلماؤنا وكتابتنا ورجال صحافتنا على طريقة أصحاب الجرائد الساقطة حتى قام اليوم بهتات على أئمة الدين » الخ

أقول لو أنك قلت هذا القول قبل سنتين أو أكثر لأحسنت إليك الظن
وقلت لعله لا يدري ماذا جرى هؤلاء الرؤساء على الإسلام والمسلمين فهو يعتقدان
ما تنسبه إليهم خطأ بضر ولكنك في هذه المدة الأخيرة قلدتني في ذلك حتى غلوت في ذم
هؤلاء الرؤساء غلوا كبيرا وحكمت بمروقهم مع معظم الأمة من الإسلام وخصصت منهم
أهل الأزمهر بأشد الظن لاسيما في مقالاتك التي نشرت في المنبر وادعيت أنه لم
يبق أحد من أصحاب المائمه يرجع إليه في فهم الدين وإنما انحصر علم الدين في
بعض أصحاب الطرايش وإنما تدعي طربوشك وحده فإنه يرجع بعده طرايش كما
رجع بالمائمه كلها فكيف جاز لك هذا القول ولم يجر لي أن أبين الحقائق بالأعذار؟
لعل السبب في ذلك أنك ولدت في مصر وإن لم تكن مصري الأصل وأنا لم
أتشرف بمثل هذا المولد

إن هذه الأمة أمة واحدة كما جاء في الكتاب العزيز فكيف يفرقها فريد
أفندي تبعا لصاحب جريدة اللواء ويحطها أما وتلك هي العصبية الجاهلية التي
أزالتها الإسلام وجعل المؤمنين أخوة أينما كانوا ومن أي جنس كانوا . وقد قال
صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية
وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم .
وقال صلى الله عليه وسلم « من قتل تحت راية عمية يضر العصبية ويغضب
العصبية فقتلك جاهلية » رواه مسلم والترمذي عن جندب وفي حديث البخاري
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر - ونأهيك بمكانه من الدين - « إنك
أمرؤ فيك جاهلية » أتدري لماذا قال له ذلك ؟ قال له لما عبر بلالا الحبشي
بأمة الحبشية . أتدري ماذا فعل أبو ذر عند ذلك ؟ أنه وضع يده على الثوب وآلى أن
لا يرفسه حتى يبطأ عليه بلال . فهل كنت وأنا عربي من سلالة الرسول أبعد عن
مسلمي مصر في الجنس من بلال الحبشي عن أبي ذر ؟ فإذا كان صاحب ورقة اللواء
يدعو إلى العصبية الجنسية لأنه سياسي لا يبالي وافق الإسلام في سياسته أم خالقه
فأنت يا فريد أفندي لست سياسيا بل تنفج دائما بالدعوة إلى الإسلام فما معنى
إخراجك إياي من هذه الأمة ونحريض من قننهم جريدة اللواء بالعصبية

الجاهلية عن هدي الاسلام وأخوة الايمان علي وتبغضي اليهم بايهاكم ايام
 اتني أحقر المصريين كافة ولا أحب لهم الخير لأنني لست منهم .
 إن أمثال هؤلاء المفتونين لاقية لرغام ولا لسخطهم فحسبي أن المؤمنين
 الصادقين من المصريين بروني أخاهم وأرام أخوة لي وإن زعمت أنهم قليل
 لتصريحك بأن أكثر الأمة عوامها وخواصها ليسوا على الاسلام الصحيح فإن
 هذا القليل الذي خير من كثير أهل العصية الجاهلية . على انني أحب الخير
 لجميع الناس من جميع الشعوب والاجناس ويعرف لي هذا كثير من المواقفين والمخالفين
 فلن فريداً أفندي وجدي كايظن صاحب جريدة اللواء أن العصية الجاهلية
 أصبحت سلاحاً قاتلاً في أيديهم لا يجردها على «دخيل» الا ويجد لانه حتى لا يرتفع
 لهرأس ولا تقوم له قائمة (بالفرور) وظن فريداً أفندي وجدي اني لشدة رعي من هذا
 السلاح لم أرد على ابراهيم بك الموبلي اذ تهرش بي من نحو سنتين ونصف
 فكتب في الزيد يقول اتني جئت مصر فقيرا ثم بعد أن صرت غنيا طمنت
 على أهلها . ونسي فريد أفندي أوتامى أن المسألة كانت أكبر من ذلك وإن
 الموبلي لم يكن هو الذي طعن في وحدته بل انبرى لي يومئذ المؤيد واللواء
 والجوائب وجرائد أخرى ولم أكن أنا المنسود وحدي يومئذ بمجلة هذه الجرائد
 ومن كتب فيها وإنما كان الفرض الأول الذي تسدد سهامها اليه هو المحرم
 الامتداد الامام فخر المصريين وأعظم تابع في مصر . ولعل فريد أفندي أن
 تلك القارة الشواء التي يصحزح هو عن عشر مشارها ما زادت المنار الا انتشارا ولعله
 لا يجهل مصدرها العالي وما أنفق فيها من بدر الذهب . فاكف يا أخي غريك،
 واثقف مر بك ، واعلم أن الامر ليس في يدك ، وإن سهكت رجما عاد عليك،
 فهذه نصيحتي انيك ، ثم الى سائر المفرورين ، الذين يفرقون بالجنسية جماعة هذا
 الدين ، ولولا هذه النصيحة ، لما ذكرت عنك هذه الفضيحة ، فلا يفرنك
 اعتقادك بمجل الأمة التي قالت بمروقها من الدين وعدم استعدادها للحكم النيابي
 فظن أنك نبيت بها كائنات ، لاسيما اذا وازرك اللواء .— فإن الأمة صارت تميز
 بين النافع والضرار كتمما نظن ولذلك كانت عجلات أكثر السورين فوق محبتك

انتشاراً لم يصدها عن ذلك هذان القراء بالعصية الجاهلية لأن العلم لا وطنية فيه
فما بالك بالدين ؟ ثم أنكم في المقصد

مدرسة العلوم العالية

قال بعض المتدينين ان كل ما انتقد به المنار على فريد أفندي صواب ولا
مندوحة عنه الا تلك الكلمة في تصغير شأن مدرسته فانها ليست جوهريّة ولولاها
لم يكن له في الرد على صاحب المنار كلمة تسمع . ومن نظر الى المسألة في ذاتها كانه
أن يقول ذلك إذ ليست الآن امرأاً يكبر عمله الصغير لمعظم في أعين الناس
فيقبل عليه قوم ويساعده آخرون ولذلك قال بعض الناس بل تقلوا عنه أنه مادحي
إنشاء مدرسة عالية إسلامية تدرس فيها جميع العلوم العالية مع تطبيقها على الدين
الا لأجل تحويل أريحية الأغنياء عن الجامعة المصرية اليه هو لأن مدرسته
تحتوي (بحسب دعواه) على جميع العلوم التي تنشأ الجامعة لأجلها وتزيد عليها
علوم الدين . فاذا حولت اليها التبرعات والأوقاف كانت أولى بها وأجدر .
وقال أنه لنعجب بعد ان مر على كتابة تلك المقالة بشأن المدرسة الطيافي المؤيد
والقواء شهران ولم تنهل عليه الجنبات ، وتكتب لمدرسته الرقيات ، ولعله هذا
هو سبب قوله في الجزء الأخير من مجلته إن الأمة المصرية غير مستعدة لأن
تحمك نفسها بحكومة نيابية

مهلاً أيها المتدلون لا تمعجلوا بالاعتراض على هذه الجملة ولا على أصل المسألة
حتى أيمن لكم المراد منها وهو ليس بيان الخطأ في تسمية حجرة من مدرسة ابتدائية
مدرسة عالية كما ادعى قدام يشبه نفسه بهلافة اليونان ومدرسته بالا ما كن اني كانوا
يأتون فيها ظلتهم اذ لو كان هذا هو المراد لا عرفت بالخطأ وان كنت مصححاً
يمكنني أن أقول إنه يتكلم بعرف هذا العصر لا بعرف تلك العصور والمدارس
العالية في هذا العصر مباني عظيمة فيها كثير من الآلات والآثار والتحف المعدنية
والنباتية والحيوانية التي يحتاج اليها في تدريس تلك العلوم ولها كثير من المدرسين
اذ يستحيل أن يتقن العلوم العالية كلها ويستطيع تدريسها رجل واحد من
المختصين في تلك المدارس بل فريد أفندي وجدي الذي لم يبرح في العلوم

الأولى فيرتقى إلى الوسطى كما يدل على ذلك سقوطه في امتحان شهادة البكالوريا التي ينالها الجلم التفسير من الأحداث كل سنة

ليس هذا مانفي فانه من الامور الجزئية وإنما نفي أمراكليا أو مانا اليه في الجزء الماضي إيماء ولم نشرحه لأن في الشرح جرحا والقييب تكفيه الإشارة واذ كان لبيينا لم يكف بالإشارة فما نحن أولاء نشرح ذلك

المسألة ذات بال من جهة فريد أفندي نفسه ومن جهة الأمة . أما من جهة نفسه فان ما ادعاه من انشاء مدرسة عالية ليس هفوة عارضة لا يترتب عليها شيء فيفضى عنها وإنما ذلك شيء سار خلقا له وملكة فيه وقد أضربه ذلك الخلق كما أضرب الناس ونصير عن هذا الخلق بالتشبيح بما لم يعط الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « المتشبيح بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق من حديث الشيخين

كتابه كنز المعلوم واللفة

مثال ذلك كتابه (كنز المعلوم واللفة) كتب في بعض الجرائد اليومية انه شرع في تأليف دائرة معارف كاملة في مجلد واحد يذكر فيها خلاصة ما انتهى اليه البشر في جميع العلوم والمعارف الفنوية والدينية والعربية بجميع فنونها والفلكية والطبيعية والكيمائية والتشريحية والطبية والصحية والمدنية والنباتية والحيوانية والجغرافية والعمارة والتاريخية والرياضية الخ وأتدكر أنه وعد بأن يودعه رسوم (خرط) جميع البلاد والممالك وصور أشهر الرجال المتقدمين والمتأخرين

فهل في استطاعة أحد من البشر أن يؤلف كتابا كهذا ؟ كلاله لم يوجد في البشر من يتقن هذه العلوم كلها إتقاناً يستطيع به تخصيصها في دائرة معارف وإنما يؤلف دوائر المعارف في أوروبا الجمليات لا الأفراد . ولوفرصنا أن فريد أفندي وجدي أنقن علوم البشر كلها وان لم يتقن علوم الدين ولا طالع جميع علومه ولم يتقن من علوم الدنيا ما يؤهله لشهادة البكالوريا . فهل في استطاعته أن يجمعها كلها في مجلد واحد مع الخرط والصور أو بدونها أليس اذا قيل إن هذا من المحال الذي لا تقطع قدرة الله به يكون القول مقولا

ظهر الكتاب فانا في مقدمته أنه يحتوي تلك العلوم والقانون كلها -
ولكنه لم يذكر الصور والخرط - ولكنك تراجع أم مسائل هذه العلوم
فلا تجد بها (بالطبع) وما عساك تجد منها فكثير الخطأ قليل الفائدة حتى
قال أحد العلماء عند ما اطلع عليه : ان هذا الكتاب سيقتضي على هذا الرجل
ويذهب بغيره المتفرين به : وكان يسهل عليه أن يشير تلك المقدمة التي يكذبها
الكتاب في مجموع مواضع ويستند عن وعده في الجرائد . وانا نورد لك بعض
الامثلة على تكذيب الكتاب لها ثم نبين وجه تمثيل هذا الكتاب بالمدسة
العالية ووجه كون الانتقاد عليهما واجب مفيد لفريد أفندي وللأمة وليس من
المسائل الشخصية أو الجزئية

جعل فريد أفندي أنواع علوم دائرة معارفه عشرة قال :

(أولا) العلوم الدينية كعلم التوحيد مما يجب أن يعلمه كل إنسان في حق
الله تعالى وحق الرسل من عقائد أهل السنة وفي هذا القسم أسماء الرسل وتواريخهم
الصحيحة وتراجم الصوفية واصطلاحاتهم وفيه تفصيل شاف لجميع مذاهب
المعتزلة والمشكلين وسائر العقائد التي ظهر بها فلاسفة المسلمين في عصر المدنية
العربية . وفيه تنبيه على البدع التي طرأت على المسلمين وتوجيه الأفكار القوي
منها . وفيه كل المسائل الفقهية التي يحتاج إليها كل مكلف تفصيلا كمسائل
الطهارة والوضوء والاعتسال والصلاة والصيام والحج وجميع ما يحتاج إليه الإنسان
بحيث يستفي به عن السؤال . ولم تقتصر على مذهب واحد بل جتافه بالمذاهب
الأربعة ليأخذ من كل أحد ما يوافق طريقة إمامه . اهـ هذا النوع

أقول انه جعل العلوم الدينية عدة أنواع ووعد بما سمعت في كل نوع ولم
يف به وكيف يف به وهو لا يعرف واليك الامثلة

(١) أم مسائل علم التوحيد الالهية مسألة وحدانية الله تعالى التي جعلت
كلمة التوحيد عنوانا على الاسلام لأجلها ومسألة صفات الله تعالى التي يشتبا
السلف دون المعتزلة ومن على شاكتهم وهو لم يبينها بل لم يذكرها في موادها كما
كما وعد ومسألة القدر وقد ذكرها ولم يبين معناها بل اعترف بالعجز عن بيانها

(٢) أم مسائل علم التوحيد في النبوات مسائل الوحي وتكليم الله الأنبياء وعصاة الرسل والتبليغ والمكاشفات في القرآن ولم يشرح شيئا منها . ولم يذكر أسماء الرسل المذكورين في القرآن الذين ذكروا في كتب العقائد أنه يجب الايمان بهم تفصيلا حتى أنه ذكر داود ولم يذكر سليمان عليهما السلام والنصارى لا يقولون بنبوته ولم يبين توارثهم الصحيحة كما وعد . بل اكتفى في موسى عليه السلام وهو أكثرهم ذكرا في القرآن وأوسعهم تاريخا بقوله « هو رسول كريم أرسله الله الى بني اسرائيل لانهم ظلم فرعون مصر أحد خطاه مفتاح من ملوك الثالثة التاسعة عشر (كذا) المصرية قبل المسيح بنحو ألف عام » ولم يذكر أنه أرسل الى فرعون وملائه أيضا وإن كان ذلك صريحا في القرآن - وفي يعقوب عليه السلام بقوله « نبي من أنبياء بني اسرائيل هو أبو يوسف عليه السلام » ولم يذكر أنه رسول ، وفي يوسف عليه السلام بقوله « هو ابن يعقوب كلاهما من أنبياء بني اسرائيل » ولم يذكر أنه رسول . وفي يونس عليه السلام بقوله « هو أحد رسل الله عليهم السلام » ألا يعلم « ناصر الاسلام » معنى النبي والرسول (٢) وذكر أن في هذا القسم تراجم الصوفية واصطلاحاتهم - ولا تدري ما معنى ذكر هؤلاء في قسم التوحيد دون قسم التاريخ - وذلك غير صحيح وإنما ذكر بعضهم وترك كثيرا من أشهرهم ومن ذكرهم لم يترجمهم وقد راجعنا مادة الوحدة والوجود والحال والمقام والسكر والوجد والسطع وهي أشهر اصطلاحاتهم فلم نجد قد بين شيئا منها

(٤) وقال « وفيه تفصيل شاف لجميع مذاهب المذاهب المتفرقة والتكلمين » وهذا غير صحيح أيضا فهو لم يذكر الواسطية ولا المبرية ولا الهذلية ولا النظامية ولا الاسوارية ولا الاسكافية ولا الحضرية أصحاب جعفر بن بشر ولا الحاشلية ولا المبرية ولا الصالحية ولا المردارية ولا الهاشمية وهؤلاء أكثر فرق المذاهب ومن ذكره من فهمهم وهم الأقل لم يبين مذاهبهم كلها . مثال ذلك قوله في البشرية « فرقة من المذاهب تنسب لبشر بن البشر من أفضل علماء المذاهب » فهل هذا

المجلد الخامس

هو التفصيل الثاني للمذاهب كما قال ذلك أن نقيس على هذا زعم الاتيان بمذاهب الحكمين وفلسفة المسلمين .

(٥) وقال « وفيه تنبيه على البدع التي طرأت على المسلمين وتوجيه الأفكار لتتوق منها » وهذا غير صحيح أيضا فإنه ترك الكلام على البدع وأصلها وحسبك أنه لم يبين بدعة القدر وهي أول بدعة ظهرت في الاسلام وتليها بدعة الأرجاء وقد وقد ذكر المرجحة ولم يوجه الأفكار الى التوفي من بدعهم كما قال

(٦) قال « وفيه المسائل الفقهية التي يحتاج اليها كل مكلف فصيلا . . . وجميع ما يحتاج اليه الانسان بحيث يستغني به عن السؤال » وهذا غير صحيح أيضا ففي كلمة طهارة لم يذكر جميع المطهرات عند جميع أرباب المذاهب وفي مادة نجس لم يذكر جميع النجاسات وما ذكره فيه ما فيه مما لا محل لبيانه هنا : ولم يبين الوضوء تمام البيان حتى أنه لم يذكر النية فيه ولا غسل اليدين الى المرفقين ولم يذكر موجبات الوضوء أو نواقضه ولا التيمم . وكذلك الفصل لم يذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف لم يذكر كيفيته ولا وجوب النية وعدمه فيه ولا ان الاحتلام موجب له . وفي كلامه عن الصلاة لم يبين الأركان والواجبات عند جميع الأئمة كالاتدال من الركوع والطأينة فيه فما ركنان عند بعضهم وكذلك الجلوس بين السجدين والطأينة فيه . فن ترك شيئا من ذلك بطلت صلاته . والطأينة عند أبي حنيفة واجبة لأركان فن تركها وجبت عليه إعادة الصلاة في الوقت . . . وكذلك فصل في الزكاة والصيام والحج . فإذا كان في شيء مما قلنا فافقا لحدود ونبين خطأ فيها ذكر كما يينا عدم صدقه فيما قال أنه ينه وهو لم يبينه

والنوع الثاني من علوم الكتاب الفنون العربية كلها وهو فيها أشد تقصيرا وخطأ وإخلافا من العلوم الشرعية . مثال ذلك علم المنطق راجعا فيه الكليات والحد والرسم والقضية والقياس والشكل والبرهان والمكس والنقيض فلم نجد لشيء من ذلك ذكرا فهذه أشهر اصطلاحات المنطق . نعم قال في مادة (شرح) : القول الشارح في الاصطلاح المنطقي ما يدل على معنى الاسم في اللغة أو ذات المسمى في الحقيقة وهذا خطأ ظاهر وأني لئس فريد أفندي أن يعرف شيئا ما من اصطلاحات المنطق

الذي يذمه دائماً « ومن جهل شيئاً عاداه »

فهذا نموذج بريك أن هذا المؤلف لم يصدق في معظم ما ادعى أنه أودعه كتابه وأنه لم يوفق الصواب في كثير مما ذكره وقس عليه سائر ما ذكره من العلوم التي جعلها عشرة أنواع تحت كل نوع أفراد كثيرة لا يعرف هو من مجموعها إلا أسماءها . وسنين في جزء آخر نموذجاً من خطأه في أشهرها

قد ارتكب فريد أفندي بهذا الكتاب أنواعاً من المنكرات تزيد على أنواع العلوم التي ادعاهما نعت منها ما يحظر في البال الآن ولا قول أنه تصدها فإن بعض من يطلب عليهم المزاج المسيحي ينتقدون في أنفسهم وفي علمهم ما يبين الحقيقة كما يعتقد بعضهم أنه المهدي المنتظر فهو في الغالب يعتقد أن كتابه حوى جميع تلك العلوم ولكن الكتاب في نفسه يمثل هذه المنكرات وهي

(١) القول في الدين بغير علم وهو من أصول الكبائر التي قرنها الله تعالى بالشرك في قوله (٣٣:٧) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبيخي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

(٢) الكذب وناهيك به وبما ورد فيه

(٣ و ٤) إخلاف الوعود وعدم الوفاء بالعهود والمقود فهو بما كتب في الجرائد من الدعوة إلى الاشتراك قد عاهد المشركين على أن يوافيهم بكتاب فيه كذا وكذا (٥) عدم الأمانة في نقل العلم فإنه ينقل المسألة ويتصرف فيها بما يثير المعنى .

وما ورد في هذه الخصال معروف

(٦) أكل أموال الناس بالباطل فإن الذين اشتركوها في الكتاب لقراءة تلك المقالة الطويلة ذات الوعود العريضة لم يشتركوها إلا في كتاب مشتمل على كذا وكذا من العلوم والمسائل وكثر العلوم والأقوال التي أرسل اليهم غير مشتمل على ما ذكر كما يتناهى الأمثلة السابقة فكان شأن المؤلف مهم شأن الصانع بما قد على عمل شيء موصوف بصفات معينة بثمن معين فبأنه به غير واف بما فهو لا يستحق ذلك المال فهذا الاشتراك في الكتب والجرائد من قبيل ما يعرف في الفقه بالاستصناع . وكذلك من يشترى الكتاب بعد تمام طبعه لاطلاعاً على

مقدمته . فمثل هؤلاء المشتريين والمبتاعين ككل من يعرض عليه رسم دار فيها
كذا وكذا من الحجرات والفراغات والمرافق المتصفة بكذا وكذا الصفات كالحسن
والإتساع فينزل المال ويأخذ داراً تحالف ذلك الرسم في عدد ما فيها وفي صفاته .
وانني أعتقد أنه اذا تاب فريد أفندي وجدي من هذه المنكرات بعد أن نبهناه
عليها وكتب الي من اشتركوا في كتابه انكم قد اشتر كنتم في هذا الكتاب لما
وهنكم به من استيفائه لكذا وكذا من العلوم القنوية والميدنية الخ وقد جاء ناقصا
مضطربا ذلك فكان الاشتراك باطلا فمن شاء أن يقبله على علانه فذاك ومن شاء أن
يرده ويستود دواحه فله ذلك — اعتقد أنه اذا فعل هذا فان الكثيرين أو
الاكثريين يردون له الكتاب . وقد رأينا في جريدتي الظاهر والمقطم كتابة
لبعض الفضلاء يطلب منه فيها أن يرد له دواحه ويستود كتبه وحياته

(٧ و ٨) النقش في المعاملة كما علم مما ينال آتيا وفي الطب والدين كما علم مما قبله
وفي الحديث « من غشنا فليس منا » رواه مسلم وغيره من أصحاب السنن والمسانيد
وفي رواية للترمذي « من غش فليس منا » وفي رواية لأبي داود « ليس منا
من غش »

(٩) التقرير وهو غير النقش وقد يجامعه ويترب عليه فاسد كثيرة فمن صدق
المؤلف في زعمه ان هذا الكتاب يحوي كل ما يحتاج اليه في النحو واللغة الخ وكان عنده
كتب في هذه العلوم يستعين بها فربما باعها واشترى بغيرها الكتاب وهو لا يفقه من شيء
منها حتى يفتار الصحاح أصغر كتاب في اللغة . وقس على هذا سائر العلوم التي وعد بها
(١٠) التشجيع بالمدح والثناء المريضة وقد عرفت حديث الصحيحين في ذلك

**

مدرسة العلوم العالية

واعلم ان مجموع هذه الخوازي التي يمثلها كتاب كنز العلوم والقيمة ماثلة في مدرسة
العلوم العالية وتعارفه في أنه لم يترتب عليها أكل أموال الناس بالباطل . والجامع
بينهما دعوى فريد أفندي ان كلا منهما جامع لكذا وكذا من العلوم التي لا يعرفها
وربما كان النقش والتقرير بالمدرسة أعظم . لما لا يجوز أن يفتر بعض قراء المؤيد

والهواء من أهل الاقطار البعيدة بما كتب فيها فريد أفندي عن هذه المدرسة الموهومة فيوسل ولقد الى مصر ليتلقى فيها علوم الدنيا مطبقة على الدين بعد أن تعلم في المدارس الابتدائية والثانوية حتى إذا جاءها لم يجد لها شيئاً وإنما وجد فريد أفندي يشجع بالدعوى ويفض بالوعود وإذا ذكر بعض المسائل خبط فيها على غير هدى كما خبط في المسائل التي انتقدناها في الجزء الماضي

أيموز لنا أن نسكت على هذا كله ونحن نرى الرجل يحمل عدم الانكار عليه حجة على أنه مصيب . بل غره هذا السكوت فقال في أواخر مقاله الرابعة في الهواء « واني لأعجب للشيخ رشيد في إثارة أئمة الدين علي مع أنهم قرروا كنز العلوم والثقة في الأزهر وملحقاته رسماً وهم على وشك تقرير مؤلفاتي الأخرى » والذي يفهم من هذه العبارة أنهم قرروا تدريس هذا الكتاب وهذا غير صحيح وكيف يقررون تدريس كتاب هو عبارة عن أمشاج من فنون قديمة وحديثة يكثر فيها الخطأ وتقل الفائدة وفيه التشنيع على التقليد والقول بالاجتهاد وبإثبات مذهب الوهابية والتشنيع على مذهب المتكلمين وبإنكار الشفاعة والخلط في مسائل الشريعة كما سنبينه في جزأ آخر . على أنه ليس من الكتب التي يدرس مثلها . وقس على هذه الدعوى دعواه أن الدولة التركية قررت تدريس بعض كتبه في مدارسها

أنه لم يقرر تدريس الكتاب ولا مطالعته في الأزهر . ولا في ملحقاته وإنما بلقنا أنه اشترى منه بعض نسخ لدار الكتب (المكتبة) الأزهرية فهل يند هذا تقريرا من أئمة الدين لكتاب . وهل صار أهل الأزهر اليوم أئمة ولم يحض سنة على تلك السهام التي سددها إليهم حتى جردهم من العلم والدين وجعلهم أكبر بلاء على المسلمين ؟؟ لهم إذا اشترأ منه كتابا آخر بمنحهم شهادة بأنهم أئمة في العلوم العمرانية والكونية الخ الخ !! هكذا يكون الإصلاح

وجهة القول في هذا الجزء أن هذا الرجل ادعى دعوة كبيرة وجعل السكوت عليها دليلا على صحتها وهي غير صحيحة فنقدته برفقه حله وبنبيه على ما هو غافل عنه من المنكرات في حله وبخروج العارفين به من مصيبة السكوت على المنكر

ولسنا في حاجة الى إيراد ماورد في الكتاب الالهي والاحاديث النبوية
من إيجاب الاسر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعيد على تركها وناهيمك بلعن
الله تعالى للذين لا يتقنونه عن منكر فعلوه

أجوبه على ما انتقدنا عليه

جعل فريد أنفسي وجدي مقالته الاولى مقدمة في شتمنا وإطراء نفسه
بالمدح والفتور وقال في أول الثانية مانصه :

« أتيت أول أسس على مقدمة في موضوع الشغب الذي أثاره على مدرسة
العلوم العالية الشيخ رشيد رضا وأريد اليوم أن أناقشه في جزئيات هذا الشغب
ردعا له ولأمثاله عن التطاول الى ما لا ينبغيهم من أمورنا حتى تفرغ لأداء واجباتنا
والقيام بأعباء أعمالنا المفروضة علينا لأمنا وملتنا . واني أرجو من وراء مناقشته
في جزئيات كلامه أن يعرف مكانه من هذه العلوم فيثوب الى صوابه وينخرط
في سلك طلبة هذه المدرسة التي ما أسستها الا له ولأمثاله ممن لا يعرفون اللغة
الأجنبية وهم في أشد الحاجة الى الالمام بأصول العلوم الأوروبية العالية التي
لا كتب لها باللغة العربية »

أقول له (أولا) كيف لا ينبغي أموركم لأمتكم وملككم ؛ ألسنت أنا من أبناء
هذه الأمة ومنبجي هذه الملة ؛ اذا كانت أمتك هي المصرية لا الإسلامية فهل
ملكك يا فريد أنفدي هي الملة المصرية القديمة دون الإسلامية حتى تضيقها إليك وإلى
قومك - إن كان لك قوم يرضون ذلك - ونجماني ممن لا ينبغيهم أمرها ؟

(وثانيا) كيف تقول أنه لا يوجد كتب عربية في العلوم الأوروبية حتى كأنك
بمحل من النهضة العلمية العربية في سوريا ومصر . ألم تعلم أن جميع العلوم كانت تدرس
باللغة العربية في المدرسة الكلية الأمريكية ببيروت وفي مدارس أخرى عالية وابتدائية
فيها وفي غيرها منها مدرسة كفتين بجوار طرابلس (بندرنا) والمدرسة الوطنية الإسلامية في
نفس طرابلس ألم تعلم على دائرة المعارف العربية وعلى المجلات العلمية كالمقتطف ومعظمها
مترجم عن أحسن المجلات والكتب الأفرنجية وعلى الكتب الكثيرة المترجمة في

مصر وسوريا ومنها في فلسفة التشريع كتاب بنظام وكتاب مونتسكيو ؟ فصل كنت أوسع علما وفيها في اللغات الافرنجية من مؤلتي ومنرجي هذه الكتب والمجلات من العلماء والدكثرة وأنت لم تحصل من الإلمام باللغة الفرنسية وعلومها ما يوتي بك الى شهادة البكالوريا التي يهملها الألوف من الاحداث في بلاد مصر وسوريا ؟ فكيف ساغ لك أن ترفع نفسك بقولك على جميع هؤلاء العلماء وأنت تعلم أن أعراب الأهرام وبجارية الاسكندرية يعرفون من اللغات الافرنجية ما لا تعرف وما كل من عرف لغة عرف علومها

انني ما وجهت اليك هذه التذكرة الا لأنك أفرطت جدا في التبعيض بالملك الضعيف باللغة الفرنسية حتى جعلت نفسك في مرتبة الاستاذ الامام زاعما انه ما كانت له تلك الحكمة العليا في الصلوب الا باللغة الفرنسية التي تدعي انك تساويه في معرفتها وتجرات على كتابة ذلك فلم تكشف بما ينقل عنك من ادعائه باللسان يوجد ألوف ممن أهتوا هذه اللغة إقتانا لا تطمع بالقدوة منه ولم يخطر على بال أحد منهم ولا من الناس أنهم على مقربة من الاستاذ الامام في الحكمة والعلم ولا في المزايا والأعمال ولم يقل في أحد منهم علماء اوربا - كالداكتور براون الاستاذ المدرس في أعظم مدرسة جامعة في انكلترا تفوق مدرسة العلوم الوحيدة - مثل ما قالوا في الاستاذ الامام إذ قال هذا العلامة الانكليزي أنه لم ير مثله في الشرق ولا في الغرب . بل كان للاستاذ الامام من الحكمة في الفلسفة والعلوم والاستنبلاء على العقول والقلوب قبل أن يتعلم اللغة الفرنسية ما يسهل عليك أن تعرف بعضه من صراحة تاريخه

الانتقاد الاول وجوابه

أجاب فريد أفندي عن انتقادنا عليه جعله المحدثين والفتواء شارحين بقوله : « ونحن نرد هذه البسطة الغريبة بقولنا أن لفظة المشرع والمشرع والشارع كلمات تطلق اليوم على المشتغلين بالبحث في الشرائع ولكل جبل اصطلاحه واللغة تامة لأذواق أهلها في كل عصر »

وهذا الجواب يدل على أنه لا يفهم المسائل الأولية البديهة من فلسفة

التشريع التي تصدر لندرسها فانه لا يقول أحد من أهل مصر بأن الباحث في الشرائع يسمى شارعا ومشرعا وانما يطلقون لفظ الشارع والمشرع على واضع القانون براه وعلمه اذ يسون القانون شريعة ولو كان كل باحث في الشرائع شارعا لكان جميع التلاميذ في مدرسة الحقوق شارعين فليسأل فريد أفندي شقيقه هل يطلق عليه وعلى اخوانه من الطلاب أو المتخرجين لقب الشارع أو المشرع؟ فاذا أجابه بالسلب فيترك تدريس فلسفة التشريع حتى يتعلم بعض اصطلاحاته الأولية ولو ممن يجولون اللغة الفرنسية !! على ان كلامنا كان في الاصطلاحات الاسلامية الدينية وليس لفريد أفندي ان يفرضها تبعا لعرف مصر ومن هنا يعلم انه لا وجه لقياس أحد من الصحابة والفقهاء على النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته شارعا مثله لأن ما جاء عن النبي (ص) ما كان يعرف من غيره وهو مما يجب اتباعه فيه وليس لأحد غيره هذه الزية في الاسلام فسقط الإلزام الذي وجهه اليها فريد أفندي اذ قال بعد ما تقدم عنه

«واذا صح تسمية النبي (ص) الشارع مع انه ليس بواضع الشريعة بل مفسرها ومبينها فقط فلم لا يصح تسمية أصحابه مشرعين باعتبار انهم مبينو الشريعة ومفسروها للناس»

فتأمل كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة سواء ونسي ان النبي (ص) مبلغ عن الله تعالى على ان بعض العلماء صرحوا بأن الله تعالى اذن له ان يشرع من قبل نفسه واستدلوا بحديث «الا الإذخر» ولا يحل هنا لشرح ذلك

الانتقاد الثاني

لم يستطع فريد أفندي ان يكاثر فيها انتقاده على ما زعمه من تدوين الشريعة عند انقاع العمران وكلمها في عهد الشورى وانعطافها عند ما صارت الحكومة الاسلامية استبدادية فزعم ان ما قلناه لا يفهم من كلامه ولعله لا يفهم هو من كلامه وكلام الناس ما يفهم الناس كما تعلم مما يأتي

الانتقاد الثالث

زعم فريد أفندي انه لما جاء القرن الثالث استحال أمر المشرعين الاسلاميين

إلى حنفية أقوال المتقدمين وبطل الاجتواد لعدم نبوغ العلماء الضليعين الخ ماعرفه القراء
فرددنا عليه بقولنا « ان علماء القرن الثالث لم يكونوا كما ذكر ولا القرن
الرابع ولا القرن الخامس فالفتنه ما اتسع نطاقه الا في هذه القرون » أي الثالث
والرابع والخامس فقلل عنا هذه العبارة بنصها في آخر مقالته الثانية ورد عليها بقوله :
« نقول هكذا فهم الشيخ رشيد رضا تاريخ الفقه الاسلامي فهو يرى الفتنه في
القرون الخمسة الأولى أيام نبوغ الأئمة المجتهدين والمشرعين الأولين والمؤلفين
السابقين الذين ملأوا مكتبات الدنيا فقها ونشروا ما لم ييلفوا درجة الفقهاء في هذه
القرون التي قد يمر القرن ولا يظهر فيه مؤلف الخ »

ان هذا هو جوابه بحروفه وقطعه فهل يفهم هذا الرجل اللغة العربية ؟ كيف
يفهمها وهو ينقل عني انكاري عليه زعمه ان الفقه قد انحط في القرن الثالث وتطبعي
إياه انه ما اتسع نطاقه الا فيه وفي القرنين الرابع والخامس ويقول بعد ذلك من
غير فصل انني أقول ان علماء القرون الخمسة لم ييلفوا درجة الفقهاء في هذا العصر !!!
ان كان يفهم اللغة العربية فلا شك انه ما أوقفه في هذه الهوة الا التيهج المصري
الذي غلب عليه . ولكن ما بال أصحاب جريدة الأقواء لم يحذفوا له هذه العبارة
الخاصة بالعلم لم يفهموها والا فهم غير ناصحين له

الاتقاد الرابع

انتقدنا عليه انه وعد ببيان بضع مسائل في ذلك الدرس ولم يبينها فأجاب
بما حصله انه يريد بالدرس جنس الدرس لا هذا الدرس الأول . وله في هذا
الجواب وجه وكان خطر ذلك بياني عند الاتقاد لكن العبارة والقرينة وما اعتاده
من الوعود وعدم الوفاء كل ذلك رجح عندي انه يعني بالدرس ذلك الدرس الأول
والجواب سهل وقد كثرت الدروس بعد الاول فهل بين تلك المسائل وفي تلك الوعود ؟

الاتقاد الخامس

انتقدت عليه تمرينه البديل بأنه ما أدى اليه العقل من الأحكام لأن هذه
الأحكام منها المادى ومنها الجائز فقلل عني ذلك وقال في الجواب عنه « واني
(الملاح ٦) (٦٠) (المجلد الماشر)

يرى . مما نسب الى الشيخ رشيد فقد قلت بالحرف الواحد . . . « وقل عبارة في محكم الحكومة العقل عند الحاجة اليه وتيجتها قوله » حكمت الحكومة (العقل) وما أداها اليه هذا العقل من الاحكام سمته (عدلا) فالعدل اذن مظهر من مظاهر العقل » اه ومنه يعلم القارىء ان فرهد أفندي لم يفهم ما كتبت ولا ما كتب هو فانه لا معنى لعبارة الاما قلت . ويانه ان قوله « ما أداها اليه العقل » مبتدأ وقوله « من الاحكام » بيان لما وقوله « سمته عدلا » خبر المبتدأ فصار المعنى والاحكام التي أداها اليها العقل هي التي سميتها عدلا . ثبت أنه جعل الاحكام التي استنبطها العقل عين العدل . فاذا كان لا يعرف النحو فليراجع كتز العلوم والفتنة له . يجد هذا الحل صحيحا . . .

الانتقاد السادس وما يتبعه

انتقدت عليه ما يقوله على علماء المسلمين من انهم يقولون ان أصول الشرائع كلها من الله وأنكرت عليه ما قاله في الجواب من تفسير الوحي الى آخر ما عرفه القراء فأجاب عن ذلك بكلام تلخص في أجوبة أولها (ان الخاص والعام يعلمون انه أسس هذه المدرسة لتعريف حلة الدين على الدفاع عن حوزة الاسلام (وثانيها) أن غرضه تأييد الدين (وثالثها) انه وقف جزء كبيرا من أوقافه على المدرسة (ورابعها) ان الشيخ رشيدا آله وجود هذه المدرسة حتى أخرجه الألم عن حده (وخامسها) ان الشيخ رشيدا يوم الناس انه عالم بملفلة التشريع وانه مطلع على أقوال الأوربيين كافة (وسادسها) ان الشيخ رشيدا لا يعرف من لسان الأوربيين كلمة (وسابعها) انه يعنى بقوله ان علماءنا يعتقدون أن أصول الشرائع كلها من الله اهم » يقولون بان الانسان لم يوهب من العقل في مبدأ وجوده ما يكفي لإقامة حياته فكان الوحي الالهي مرشده في كل أموره في بناء شريعته وفي إقامة صنائه وفي هدايته الى وجود معيشتة حتى في تلقينه الفقه » (وثامنها) أن كلامه « في أصول الشرائع الأولى في عهد طفولة الانسان لاني عهد شبو يته أيام الرسل والأنبياء » (وتاسعها) انه لو كان الشيخ رشيد يستطيع أن يطلع على تحقيقات العلماء في شأن الانسان في هذين

المدين لحوته على كتب « فلان وفلان وختم الأجوبة بشي » من الطعن والتضليل للشيخ رشيد

وأقول لاشي من هذه الاجوبة في الموضوع الاسامع والثامن . فاما السامع فهو دعوى جديدة على علماء الاسلام ليست من عقائده في شي وان وجد شي من فروعها في مباحث بعضهم . فهم لا يعدون كون واضح اللفظ هو الله على القول به انه من عقائد الدين حتى يحتاج الى أسلحة فريد أنندي التي يدهي انها يسلح بها حملة الدين فاذا ثبت أن هذا القول خطأ فهو لا يعد شبهة على الدين فكيف ندافع عن الدين بتكثير الشبهات عليه ومحاولة الجواب عنها بما هو شر منها

وأما الثامن فهو على كونه كما يقول علماء المناظرة من قبيل « المراد لا يدفع الابرار » لا يمكن حمل مانسبه الى اعتقاد علماء الاسلام عليه لانهم لم يقولوا بأن حياة البشر دور طفولية ودور شبوية ظهر فيه الرسل حتى يحمل كلامهم عليه . بل يقولون ان أول البشر نبي مرسل ومن بحث أمثال هذه المباحث كالاستاذ الادم فقله فيها لاشبهه عليه ولا يحتاج هي الى تأويلات فريد أنندي وجدي التي نحتاج الى تأويل

الانتقاد السامع

انتقدنا عليه انكاره رسالة آدم عليه السلام وكون الله تعالى أوحى اليه كما أوحى الى غيره من النبيين فاجاب عن ذلك بكلم يؤخذ منه أجوبة - أحدها انه بخدمة الاسلام يعيد له سلطانته الأول - ثانيا ان أحق الناس بالانتفاع بخدمة الله الدين الناشئة الجديدة العامة في الادارة والسياسة والقضاء - ثالثا ان الشيخ رشيد لو كان قرأ كتابا واحدا في لم الفز بولوجيا لمكسلى أو لداروين الخ وما فيها من الشبهات على نبوة آدم لصلح أن المسألة تحتاج الى نظر ولا لنبد أقوال أهل الشرع بنوبة آدم أو لنظ قول الفز بولوجيين وضرب بتعقيقاتهم في الحفريات والماديات عرض الحائط وسهل للطائفة المتعلمة ترك الدين - رابعا أن قادة الدين بشكون من مهرق المتعلمين وما مروقهم الادم وجود أحد من قادة يشاركم في معلوماتهم

— خامسها ان ابراهه تلك المسألة بسارة لا تشع بالجزم هو كالأعلام هؤلاء
المؤلفين أو الشاكين في الدين بأنه عالم بأقوال علماء الفيزيولوجيا وعامل على حلها
بما يوافق القرآن والعلم . ونظم هذه الاجوبة بقوله « فما يسميه الشيخ رشيد منقطة
كبيرة هو في الحقيقة نقطة كبيرة »

أقول الجواب الحقيقي من هذه الجمل التي لخصنا بها كلامه هو انه لم يجد سلاحا
يدافع به عن اعتقاد المسلمين بنبوة آدم الا التشكيك فيما قيل سمع أحد من
البشر بان التشكيك في الدين دفاع عنه ، أليس التشك في الدين كالانكار
لقضاياه كالألها ككفر صريح ، أبشرك يا فريد أفندي بأنني مطلع على ذهب
داروين وعالم بأنه لا يمس الاسلام واذا أردت أن تفهم ماورد في آدم فيها
مطابقاً للعلم فراجع النار مع بعض من يفهمه من أهل العلم ليفهموك ما يحفظ به
الدين ثم ألقه في مدرستك ان استطعت

الانتقاد الثامن

انتقدنا عليه جملة تفضيل الشريعة الاسلامية على غيرها مبنيًا على قاعدة
ارتقاء الشرائع بارتقاء أهلها ، وزعمه انها أي الشريعة الاسلامية ما جاءت راقية
الا لارتقاء أهلها وقلنا ان هذه القاعدة إنما تصح في الشرائع أي القوانين الوضعية
التي يكون ارتقاؤها نابعًا لارتقاواضحايا والشريعة الاسلامية وضع إلهي أنزلت على قديم
غير مرتقين فكان ارتقاؤهم بها ولم يكن ارتقاؤها بهم . فأجاب فريد أفندي عن هذا
الانتقاد بكلم يتلخص منه أجوبة (أحدها) ان ما أورده « هو من مقررات فلسفة
التشريع ذلك العلم الذي أفنى المشرعون قوامه وأحارم في رضه » ثانيها قوله
« فبأي سلطان يستطيع الشيخ رشيد الذي لم يقرأ في العلم سطرًا واحدًا ان يرد هذه
المقررات البديهة ؟ وهل لو قال يسمع له أحد ؟ » (كذا) (ثالثها) قوله « فأقول
له ان كلامي كله موجه الي ان الشريعة الاسلامية وحى من الله لا أنها شريعة
وضعية نابعة لأهواء الناس حتى يتوهم الشيخ رشيد انه يغالطني فيما قلته »
أقول ان هذا الكلام يشبه أضغاث الأحلام كما هي العادة في أكثر كلامه وهو

مؤذن بأنه لم يفهم ما كتب ولا ما انتقده عليه . نحن نقول ان ارتقاء الشرائع لا يكون نتيجة لارتقاء أهلها الا في النوازين الوضعية فيقول أنك خالفت مقررات فلسفة التشريع والى لم تقرأ منها سطرا وما هذا بمخالفة لها وقد قرأت فيها كتابا ونقول ان الشريعة الاسلامية ليست تلك القوانين لانها الهية فيقول ان كلامي موجه الى أنها الهية !!!

ويقول أبى سلطان يستطيع الشيخ رشيد ان يرد مقررات أهل الفلسفة وأجابه بأنني أردتها بسلطان الاسلام اذا هي خالفته ولو صح قوله اني لم أقرأ منها سطرا فحسبي اني قرأت حكمة التشريع الاسلامي التي لم يقرأ هو منها سطرا ولتلك الجهل البديهيات فيها ككون الشريعة هي التي رقت الأمة الاسلامية دون العكس

الانتقاد التاسع

قال فريد أنفدي في درسه بعد ان قرر ان ارتقاء الشريعة تابع لارتقاء أهلها من بلادتنا في الاخلاق «من هنا يرى الرائي ان كل انقلاب حدث في أخلاق أمة عنأدى بطبعه الى انقلاب في شريعتها ويدرك تبعا لهذا فساد الاحكام وفسادها ان العدالة في بعض الأمم المتدنية التي تقرر مبدأ التمايز في افراد المجنسة تهب لبعضهم حقوقا تسلبها عن الآخرين باعتباريات دينية»

فسألتاه عما يعني بعض الأمم المتدنية - اليهود وليس لهم حكومة أم النصارى وقد بالغ في وصف ارتقاء شرائعهم وفن بها حتى ليظن أنهم اذا قالوا قولا يخالف الاسلام لا يمكن رده وانما يجيب عنه بتأويل ما جاء في الاسلام أو بانكاره أو التشكيك فيه . أم يعني بعض الوثنيين ؟ سألتاه لأن الشبهة قائمة على انه يريد بذلك المسلمين ، ولا غرو فقد جعل منهم الشارعيين ، فأجاب عن هذا السؤال بما نصه « يكفيني ان أنتعجب من هذه الردود وأترفع عن الرد عليها ذلك أولي وأولى بالقاري » (كذا)

الانتقاد العاشر

سألته بناء على ما تقدم : ماذا يقول في جعل الخلافة في قريش ؟ فأجاب عن هذا

— بعد القول بانني أثرت هذا السؤال وما بعده مما يأتي شبا على الاسلام
ما كان يتخيل صدورهما من مسلم — بأجوبة (أحدها) ان الخلافة بيد المؤمنين
يرون عليهم بالاجماع من شأوا ولو كان عبدا حبشيا (ثانيها) لو كانت الخلافة
مقصورة على القرشين لآتي في ذلك نص قرآني أو حديث متواتر ولما اختلف
المهاجرون والانصار عليها (ثالثها) ان خليفتنا الحالي تركي الاصل طاعنه مفروضة
علينا ولا يحاول نقض هذا الاصل الا من يريد أن تنفككت جامعة المسلمين
وتنقسم عرونتهم وحبسنا الله ونهم الوكيل »

أما الأول ففيه جهالات منها اشراطه الاجماع ومنها قوله من شأوا مطلقا مع ان النبي
صلى الله عليه وسلم جعل الأمر في قريش كما ثبت في الأحاديث الصحيحة وجرى عليه
المسلمون في خير القرون حتى بعد ان صار الحكم استبداديا الى اقراض الدولة
العباسية ونقل بعض أئمة الاصول والحديث الاجماع عليه من أهل السنة ولم يمتدوا
بمخالف الخوارج وبعض المعتزلة قال الامام أبو بكر الباقلاني في قول ضرار بن عمرو من
الخوارج بأن غير قريش أول بها : لم يرجع المسلمون على هذا القول بعد
ثبوت الحديث « الأئمة من قريش » وعمل المسلمون به قرنا بعد قرن وانقد
الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف : وقال القاضي عياض : اشترط
كون الامام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الاجماع ولم ينقل
عن أحد من السلف فيها خلاف وكذا من بعدهم في جميع الامصار »

وأما الثاني ففيه من الجهل بأحكام الاصول عدم الاعتداد بالحديث النبوي
إذا لم يكن متواترا وان كان في غير العقائد وكأنه يقرأ في المنار ان هذا الحديث
لا يؤخذ به في هذه المسألة فيظن ان جميع المسائل سواء على ان المحققين اختلفوا
في العمل بأحاديث الآحاد الصحيحة في العقائد ولم يتفقوا على عدمه واما في غير
العقائد فلا خلاف ثم ما ذا يقول في الاجماع ؟ وفيه من الجهل بتاريخ الاسلام
الاحتجاج بمخالف المهاجرين والانصار اذ لم يعلم ان هذا الخلاف قد ارتفع باحتجاج
أبي بكر رضي الله عنه بكون الأئمة في قريش وان الأنصار أذعنوا لذلك
وأما الثالث ففيه من الجهل ان خلافة خليفتنا الحالي ليست منطبقة على قوله

أفنا ان المسلمين هم الذين يولون الخليفة بالاجماع فكان قاعدة تقضى بطلان خلافته لانها بالوراثه لا بانتخاب المسلمين بالاجماع : اراد فريد أفندي ان يعرض بأن مؤلفنا المبني على الحديث الصحيح واجماع أهل السنة ينفي خلافة السلطان ليبيح علينا العوام فكان كلامه هو الذي نفي خلافة هذا السلطان . واما نحن فنقول ان خلافة هذا السلطان ووجوب طاعته بالمعروف لا تنفي ذلك الحكم المقرر في كتب العقائد وكتب الحديث والفقه المتداولة في الامة وكل بلاد المسلمين من كون الاصل في الخلافة ان تكون لفرش كما هو مشروح في محله فليسأل عنه فريد أفندي بعض مجازي الأزهري لأن ذلك مبني على وجود من يصلح منهم للخلافة ومجرحوا بأن المتطلب يجب طاعته

الانتقاد الحادي عشر

ومأثله عن شهادة غير المسلم على المسلم فأجاب « بأنها لا يجوز لأن المتعصب الذي جعل اتباع أولئك الملل يكذبون على الله في كتبهم ويبرحون أن كل ضرر يلحقونه بنعيم حتى القتل لا يماقون عليه عند الله -- إلى أن قال بعد ان ذكر ان دوائر المعارف الاوربية صرحت بذلك -- فان كانت الشريعة الاسلامية قوت قبول شهادتهم على المسلم مع وجود هذه النصوص الصريحة في شروح كتبهم لكانت (كذا) أنت بغير العدل والله يشذره عن ذلك »

أقول ان الشريعة الاسلامية شريعة عامة دائمة فهل يقول فريد أفندي ان كل من كان غير مسلم يستحل شهادة الزور وان هذا كان عاما في زمن نزول الشريعة وعلم الله أنه لا يزول وان دوائر المعارف ثبتت هذا ؟ ان قال هذا فلا أحاجه بيده بطلانه ولكنني أورد عليه مثل قوله تعالى في اليهود وهم الذين كانوا أشد الناس عدواة للذين آمنوا (٦٦:٥) منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) وقوله (٥٩:٧) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وما في معناها من الآيات . وقوله تعالى (١٠٦:٥) يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان لم تجل جملة هذه الآية بغير العدل أم أنت يا فريد لا تفهم معنى العدل ولا تعرف أحكام الشريعة اذا

أودت أن تفهم فلسفة الشريعة في أمثال هذه المسألة وما قبلها فالتقص من يفهمك ما كتبنا منها في المنار وأسأل عنهما من قرأ لهم تفسير القرآن الحكيم وصحيح الأحاديث هذا ما أجاب عنه من انتقاداتنا على أحد دروسه ولم يتفق له الصواب في شيء ولم يقارب إلا في ذلك الاحتمال في الانتقاد الرابع كما قسم على أنه لم يذكر جميع الانتقادات التي وجهناها إليه قدسأنا هل الشريعة التي قال أنها مبنية على قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) خاصة بالمؤمنين أم عامة يحكم بها غيرهم وإذا قل بالثاني فهل أخوة بعضهم لبعض تقتضي مساواتهم لنيرهم أم لا ؟ فإن قل بالطلب فكيف يتم قوله . ولم يذكر في مقاله هذا

﴿ جواب سؤال ﴾

قلت ان فريداً فدي لم يتلقى شيئاً من علوم الدين فسألني عن ثلقت عنهم الدين وعن الشهادات التي تأذن لي بالأفادة والفنوى . فأجيبه بأن يرسل إلي صديقه الذي كلمني في ترك الرد عليه لأطلع على الشهادات التي عندي والاجازات بالتدريس او ليحضر بنفسه لأريه ذلك

ولي هنا أن أسأله أين تعلم هو فلسفة الشرع ومصادر العلوم الأوربية التي يتبجح بها ويضاخر ومن أين أخذ الشهادات بالعلوم العالية ومن أذنه بتدريسها ونحن نعلم أنه عرض نفسه على امتحان الشهادة الثانوية فنجح وسقط فهل يليق به مع هذا ان يدعي ان يدرس جميع علوم أوربا العالية كما يدرس علوم الشرع في جميع المذاهب الاعتقادية والعملية ؟ هل يليق به ان يدعي انه قائد الامة ومعلم علماء الدين وعلماء الدنيا ؟ هل يليق به ان يدعي ان اعاد ائمة الاسلام وقف عليه ومحسورة فيه ؟ فأنصح له ان يترك هذه الدعاوى العريضة ويوطن نفسه على الاستفادة أكثر من الافادة والا فافاننا قرأ جميع مؤلفاته المملوكة ونبين خطأها الكثير وما أخذ صوابها القليل من كتابة بعض من يتبجح عليهم ويدعوم الى الاستفادة منه

هو الملك من يشاء من رؤساء الحكمة هذا وهي
خدا كبيرا وما يحدسك الاول الا ان يلب

المسحاة

١٣١٥

فهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسن
او تلك الذين هم اقداروا تلكهم اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « متاروا » كثار الطريق

(مهر رجب سنة ١٣٢٥ - آخره الاحد ٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٧)

نموزج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علاماتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علاماتها أرقام بن أقواس فهي لما وافق فيها العهد القتيق والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

(الفصل السادس عشر)

(التعليم المجية التي علمها تلاميذه بخصوص الارتداد من الحياة الشريفة)
 وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل »^(١) فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلا ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله^(٢) علينا فترتب علينا من ثم ان نمبده باخلاص قلب ٤ وكما ان الخمر الجديدة توضع في أوعية جديدة: »^(٣) هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجلا جددًا اذا أردتم ان تتوا التعليم الجديدة التي ستخرج من في ٥ الحق أقول لكم كما انه لا يتأتى للانسان ان ينظر بعينه السماء والارض معًا في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم^(٤) ٦ لا يقدر رجل أبدًا ان يخدم سيدين^(٥) أحدهما عدو للآخر^(ج) لانه اذا أحبك أحدهما انفضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حتمًا انكم لا تقدرون ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والجمع والخبث^(٦) ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلًا

(١) المجدله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نسبة الله كبر (ث) مثلاً في بني آدم عيان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك لا يمكن ان نجمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن للبشر ان يخدم سيدين عدوين أحدهما الآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم العهد الدنيا وأمة تعالى منه (١) ت ١: ٥ (٢) مت ٢: ٩ (٣) مت ٦: ٢٤ ولو ١٦: ١٣ (٤) ١ يو ١: ٦ (٥) ١ يو ١: ٦ (٦) ١ يو ١: ٦

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ اذاً فاعبدوا الله واحترقوا العالم ١١ اذ مني
تجدون راحة لنفوسكم^(١) ١٢ اصيخوا السمع لكلامي لاني اكلّمكم بالحق
١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتمزون^(٢)
١٤ طوبى للمساكين^(٣) الذين يرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم
سيتممون بملاذ ملكوت الله
١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله^(٤) لان الملائكة ستقوم

على خدمتهم

١٦ انتم مسافرون كسياح ١٧ ايتخذ السائح لنفسه على الطريق قصوراً
وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلاً ثم كلاً ولكنه يحمل أشياء خفيفة
ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلاً لكم ٢٠ واذا احببتم
مثلاً آخر فاني اضر به لكم لكي تفعلوا كل ما اقول لكم
٢١ « لا تتقنوا طوبىكم بالارغائب المالية قائلين من يكسونا^(٥) او من
يطعمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذاها
الله (ا) ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقكم
ودعاكم الى خدمته هو قادر ان يمدّ يكم ٢٤ الذي أنزل المن^(٦) من
السماء^(٧) على شعبه اسرائيل في البرية أربعين سنة وحفظ اوابهم من
ان تصق أو تبلى^(٨) ٢٥ أولئك الذين كانوا ست مئة وأربعين ألف رجل^(٩)
خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق أقول لكم ان السماء والارض

(١) (الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكر منه

(١) مت ٢٩: ١١ (٢) مت ٤: ٥ (٣) مت ٣: ٥ (٤) مت ٦: ٥ (٥) مت ٢٥: ٦

(٦) مت ١٦: ٢٨-١٦ (٧) مت ٤: ٨ (٨) خر ٣٧: ١٢ عدد ٤٦: ١ و ٢١: ١١

تهان^(١) يد ان رحمة لاهن الذين يتقونه^(٢) ٢٧^(١) أغنياء العالم هم على رعايتهم
جياع وسيلكون^(٣) ٢٨ كان غني اودادت^(٤) روثه فقال ماذا أفعل
يا نسي ٢٩ اني اهدم اهرائي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أكبر
منها فقطفرين بمناك يا نسي « ٣٠ انه لخاسر لانه في تلك الليلة توفي ٣١
ولقد كان يجب عليه العطف على المسكين وان يحمل نفسه اصدقاء من
صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢
وقولوا لي من فضلكم اذا وضعت دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم
عشرة اضعاف وعشرين ضعفا أقل تعطون رجلا كهذا كل مالكم ٣٣
ولكن الحق أقول لكم انكم معهما أعطيتم ورحمتكم لاجل محبة الله
فتسردونه مئة ضعف مع الحياة الابدية^(٥) ٣٤ فانظروا اذا كم يجب
عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (٦)

(عدم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيليس اتنا لراغبون في خدمة الله
ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله^(٧) لان اسميا النبي قال « حقاً انك
لا إله^(٨) تحتجب^(٩) ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا^(١٠) »

(١) أقول لك هذا الكلام حق ينهم السماء والأرض وأما من يخاف الله لا يقطع
رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيت في سبيل الله من
الاشياء اعطى كم الله في مقابلته مائة خيراً منه (ت) هنا سورة إخلاص (ث) الله خفي
(١) مر ٣: ١٣ (٢) يوح ١: ٥ (٣) لوق ١٦: ٣ (٤) مت ٢٩: ١٩
(٥) يو ٦: ١٤ (٦) انش ١٥: ٢٥ (٧) خر ١٤: ٥٣

٤ أجاب يسوع يافيلس ان الله صلاح بدون له صلاح ٥ ان الله موجود بدون له وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء (أ) ٧ هو عظيم حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا تد له ٩ لا بداية ولا نهاية له (ب) ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية (ت) ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشراء (ث) له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يعيش ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبه (ج) بشري ١٤ لانه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وابسط البسائط (ح) ١٥ وهو جواد لا يجب الا الجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صنف فلا مرد له ١٧ وبالاختصار أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته الى الابد حيث يكون قوام سمادتنا ومجدنا ١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في أشياء ان الله أبونا (١) فكيف لا يكون له بنون ؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(أ) الله واحد لا كف له حق سبحانه وتعالى خيراً لا خيراً الا هو وكذلك حيوة وفاته منه (ب) الله أكبر الله قديم وابق (ت) لا أول لله « لا أول لله » ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولاً وآخر (ث) الله تعالى لا أباً له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يكل ولا ينام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزه من كل علقات ولا مركب له ولا يتركب من الأشياء لكن لطيف بالذات منه (ج) الله قائم وابق وسبحان ولطيف وخير فواستقام وغفور منه (ح) الله لا تدره الابصار منه

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لان كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين
 ألفا الذين أرسلهم (أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمسيات بنظام ٢٢ ولكن
 سيأتي بهدي بهاء (١) كل الانبياء والاطهار (ب) فيشرق نورا على ظلمات
 سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله (ت) ٢٤ ولما قال هذا شهد يسوع
 وقال ٢٥ أرأف يا إسرائيل أيها الرب الاله (ث) وانظر بشفقة على ابراهيم
 وعلى ذريته لكي يخلص قلب

٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله (ج)

٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكذبة والسماء قد أبطأوا
 شريعة (٢) الله بنواتهم (ح) الكاذبة المخالفة لتبوات أنبياء الله (خ) الصادقين
 ٢٨ لذلك غضب الله على بيت إسرائيل وعلى هذا الجيل الثقيل الايمان
 ٢٩ فبكي تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا أرحمنا يا الله (٣) أرأف على المهمل
 والمدينة المقدسة ولا تدفعها الى احتقار الامم لكي لا يحتقروا عهدك
 ٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب الاله أبائنا (د).

(أ) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيحي من بهدي نور الانبياء والاولياء منه
 (ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله الكريم (ج) الله سلطان (ح) الله
 قهار (خ) اليهود ومخرون الكلام من بعد مواضعه هذا وبسبب انصار هذا انا
 شهيد وهذا الكتاب يحرفون الكلام في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان
 له أبائنا

(١) ١٣: ٧ مر (٢) ١٣: ٧ مر (٣) ١٦: ٩ ما

الفصل الثامن عشر (١)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله قديم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال : « لستم أنتم الذين اخترتموني ^(١) بل أنا اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أنفضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي ^(٢) ٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله تذكروا الانبياء الاطهار الذين قتلهم العالم كما حدث في أيام ايليا ^(ب) اذ قتل ايزابيل عشرة آلاف نبي حتى بالجد نجا ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء ^(٢) الذين خبأهم رئيس جيش أخاب ٤ أواه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٥ اذا لا تخافوا أنتم ^(٤) لان شعور رؤسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظروا المصفور الدروي والطيور الاخرى التي لا تسقط منها ريشة بدون ارادة الله ٩ أيمتي ^(٥) الله بالطيور أكثر من اعتناؤه بالانسان الذي لاجله خلق كل شيء ١٠ ١١ اتفق وجود انسان أشد اعتناء بمجذاته منه بانه ١١ كلامكم كلا ^(٦) (١٢) أقل ^(٧) يجب عليكم بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهلككم وهو المستي بالطيور ١٣ ولكن لماذا اتكلم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله ^(٨) »

١٤ « صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهكم اذا حفظتم كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجورهم لما أنفضكم ولكنه يخشى فضيخته »

(١) سورة توكيل (ب) في زمان الياس قتل اليهود عشرة آلاف أنبياء
غير الحق منه (ت) الله وكيل وحافظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط
ورق من الشجر الا بإرادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥ : ١٦ (٢) يو ١٥ : ١٩ (٣) ١ مل ١٨ : ١٣ و ١٣ (العدد هناك مئة
وليس مائاهو المراد بل في ١ مل ١٩ : ١٨ (٤) مت ٢٨ : ٣٠ ولو ١٢ : ٥١ - ٥٧

وقد لك ينفذكم ويسطهكم^(١) ١٦ فاذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم فلا تخزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً العالم حتى حسبت حكمته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل (ب) العالم بصبر فلماذا تخزنون أنتم يا راب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون أنفسكم^(٢) ١٩ فاذا لطمكم أحد على خد فقولوا له الآخر ليلطمه^(٣) ٢٠ لا تجازوا شراً بشر^(٤) لان ذلك ما تقطعه شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا الشر بالخير (ت) وصلوا لله لاجل الذين ينفذونكم^(٥) ٢٢ النار لا تطفأ بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم لا تطفئوا الشر بالشر بل بالخير^(٥) ٢٣ انظروا الله (ث) الذي جعل شمس تطلع على الصالحين والاطالحين^(٦) وكذلك المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تعملوا خيراً مع الجميع لانه مكتوب في التاموس كونوا قديسين لاني انا الحكم قدوس^(٦) (٤) كونوا أتقياء لاني انا نقي وكونوا كاملين لاني انا كامل (ج) ٢٥ الحق أقول لكم ان الخادم يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوباً يفر منه سيده ٢٦ وآتوا بكم هي ارادتكم ومحبتكم ٢٧ احذروا اذاً من ان تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضي لله (غ) ربنا ٢٨ ايقنوا ان الله يبعض بهرجة وشهوات العالم لذلك ابقضوا أنتم العالم

(١) الدنيا لا تحب عباد الله الا خيار لانها خافت ان يكشفوا واثاقها : يكشفوا شقاوتها (٢) وقصد للمباد ان تصيب البلاء والضرر منه (ب) الله صبر «صبور» الله عليم (ت) مثلاً لا يدفع النار « بالنار » كذلك لا يدفع الشر « بالشر » منه (ث) الله رازق (ج) الله ولي وقدوس وكامل (ح) يقول الله تعالى في التوراة يا بني اسرائيل كنوا ولياً فاني ولي وكنوا طامها فني طامها وكنوا كاملاً فني كامل منه (خ) « الله سلعان

(١) ١٩: ٢١ (٢) مت ٢٩: ٥ (٣) ١ بط ٩: ٢ (٤) مت ٤٤: ٥ ولوق ٢٨: ٦

(٥) روم ٢١: ١٢ (٦) مت ٤٨: ٥ (٧) لا ٢٠: ١٩ (٨) مت ٤٨: ٥

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

إن سيرة عظماء الرجال ، أجزء عون على تربية الاجيال ، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المجهدين المشار اليهم بحديث « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المعركة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسبأني ذكر شيء من أقوال الفقهاء والمؤرخين والصوفية فيه . لذلك همت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال النظام أبدأ فيه بمخلص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

﴿ أصله ومنشؤه ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد لم أر احداً ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأسائهم عربية ولكن نسبه لا يعرف منها فهو امان من العرب الذين تغلفوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لمراقبتهم في الاسلام . وانك لتجد كثيراً ممن يتكلمون في التاريخ يجهزون بنسب الملأ الذين نشأ ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون أنهم من الفرس وإن فلاناً فارسي الأصل والمنشأ حتى إن منهم من يعد أصحاب الانساب العربية المصروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضرابهم . ومن أسباب هذا القلط فيما أرى اشتباه قول ابن خلدون إن أكثر علماء الملأ من المعجم وهو غلط . في هذا الحكم ونحطى . فيما علق به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نبغوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كن ذكرنا أناساً ومنهم المسيحي كسيبويه ومنهم المجهول نسبه كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على أنه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتغاله

العلم من بلاغته مع قلة عمارته لفنون العربية
 أما ما ينسب إليه الفزالي فقد اختلف فيه وفي ضبطه هل هو بالتخفيف أو
 التشديد وقد جاء في ترجمة أبي حامد لشارح الاحياء في ذلك مائنه :
 « قال صاحب نسخة الارشاد قلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد
 في الفزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير وبلغنا أنه قال منسوب الى غزالة
 بن خنيفة الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضاً في
 البيان . وقال الذهبي في السير أبو ابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم
 وجرجان يقولون القصاري والجباري بالياء فيها فقبوه للفزل وقالوا
 الفزالي ومثل ذلك الشعمي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف
 وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأذكروها وزيادة هذه الياء قالوا
 فلنا كيد وفي تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب الى فزس الصنعة وبين
 المنسوب الى من كانت صنعة كذلك وهذا ظاهر في الفزالي فانه لم يكن ممن
 يفزل الصوف وبيعه وأما هي صنعة والده وجده . ولكن في المصباح الفقهومي ما يؤيد
 التخفيف وإن غزالة قرية بطوس والياء نسب الامام أبو حامد . قال أخبرني بذلك
 الشيخ محمد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل خوارزمي
 ابن عبيد الله بن ست المنا بنت أبي حامد الفزالي يفتاد سنة عشر وسبعمائة وقال لي
 أخطأ الناس في تثمين جدنا وأما هو مخفف . وقال الشهاب الحفاجي في آخر شرح
 الشفا : ويقال انه منسوب الى غزاله ابنة كهب الاحبار وهذا ان صح فلا محيد
 عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب أن القول قول
 ابن الأثير أنه بالتشديد »

وله أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي
 في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده بفزل الصوف وبيعه في دكانه بطوس
 فلما حضرته الوفاة وصى به وأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الحلب
 وقال له ان لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط وأشتحي استدراك ما فاتني في ولدي
 هذين فلهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أحلفه لهما . فلما مات أقبل

الصوفي على تعليمهما الى أن في ذلك النور اليسير الذي خلفه لها أبوها وتصور على الصوفي القيام بقوتها فقال لها : اعلمي أني قد أنفقت عليك ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيك به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يستكما على وقتكما : فعلا ذلك وكان هو السبب في سعادتكما وعلو درجتكما . وكان النزالي يحكي ذلك ويقول « طلبت العلم لغير الله فأبى أن يكون الله » اهـ

فأنت ترى أن النزالي نشأ فقيراً وكذلك أكثر التائمين في الأمم أو المصنوع التي لا إزمام فيها بالتعليم والتربية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم . والأغنياء يشغلهم الترف والتعيم عن الجد والاجتهاد في العلم لاسباب في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي وهناك بما كان في طي المسافات من المشاق

﴿ طلب النزالي للعلم ﴾

قرأ في صباه طرفاً من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذكاني في بلده (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليلة وعاد الى طوس . قال الامام أسعد الميمني فسمعت يقول قطعت علينا الطريق وأخذ الحيارون جميع ما معي ومضوا فقتلهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد علي تلميذي فقط فإني بشئ تنفعون به . فقال لي وما هي تلميذتك ؟ فقلت كتب في تلك الحسلة هاجرت لسماعها وكتابها ومعرفة عليها . فضحك وقال كيف تدعي أنك عرفت عليها وقد أخذناها منك فتمجرت من معرفتها وقيمت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي الحسلة (قال النزالي) هذا مستحق أنطقه الله ليبرئني به في أمسي فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحسب لو قطع علي الطريق لم أنجبد من علمي . قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن النزالي أيضاً الوزير نظام الملك

أقول وفيها من السيرة لئلا طلاب الأزهر ان هذا الإمام العظيم ما وصل
الى ما وصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون المسلم صفة من
صفاته لأن فهم ما يأخذ عن العلماء اذا هو قرأه فقط فينبغي لكل طالب علم أن
يتلقى العلم لا لجل أن يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راوياً لأقوال
العلماء ولو مع التهم لأن من فهم علم غيره لا يهد هو عالماً الا اذا هو أشرب
العلم وصار له فيه فهم خاص بقدر على الاستدلال عليهم ودفع معارضة المخالفين عنه
وصار بحيث لو رجع عنه من قتل عنه لا يرجع هو

قال السبكي ثم ان القرطبي قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين وجد واجتهد
حتى برع على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجدل والأصول والمنطق وقرأ
الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم ونصدي لرد
عليهم وإبطال دعاوهم وصف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفاً ،
وأجاد وضماً وتوصيفاً ، كذا قل الثقة عنه وأقال أنه مصنف في أصول الدين
بعد شدة النقص الا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صفوى (نذا)

أقول وفاته كتاب الاقتصاد في الاعتقاد . وظاهر قوله « وقرأ الحكمة
والفلسفة » انه لم يقرأها على إمام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المنقذ
من الضلال) وفيه انه صنف كتابي الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد
الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الامامعيلي وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في
التصوف « ومن مشايخه أيضاً يوسف السجّاج وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد
ابن عبيد الله الحنفي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي
الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطواري خوار طبران ومحمد بن يحيى
ابن محمد السجّاجي الرّوزني والحافظ أبو القتيان عمر بن أبي الحسن الرّواضي
الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يذكره فهو لا
شيء في العلوم الثلاثة - يعني القم والتصوف والحديث - أقول وهو لا الكثيرون
الذين سمع منهم الحديث انما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحته -

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أمم شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فإن عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به إن شاء الله تعالى . وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال : اهـ

أقول أنه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فهما وما كان الزبيدي أن يفصل عن ذلك . ولم يذكرنا شيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل أنه أخذ عن الرادكائي مع اتفقه شيئا من مبادئها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد الناصر القاسمي خطيب نيسابور وكان من معاصريه أنه كان مما يفترض به عليه وقوع خلل من جهة انهوquem في أثناء كلامه وروجع فيه فأ نصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج إليه في كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح النخب بالمعارف التي تنجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها ، وأذن للذين يطالعون كتبه فيشرون على خلل فيها من جهة القفظ أن يصلحوه و يمدروه فما كان قصده الا المعاني وتحقيقتها ، دون الألفاظ وتلفيظها ، اهـ كلام عبد الناصر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوبا وأحسن بيانا وأشد تأميرا كما نجد فهمه للكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك متتبع المقصد من الفنون العربية كلها فإذا كان الوصول إلى هذا المقصد ممكنا مع الاقلال من الاشتغال بالنحو فإذا بضمح الماقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهري والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على أن كتابا منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من الغزالي بنفس النحو فليد أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل الغزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه وللايمان بالكلام البليغ منه قولاً وكتابة . ولذلك طريق غير كثيرة من رواية كتب النحو التي يصف مشها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأذكياء لاسيما من كان منهم عربي اللسان يسئل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

فإن كاتب هذه السطور قرأ كثيراً من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يقيس للأعاجم . وقد يستدل بهذا على أن الفزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها إلا ما لا تخلو عنه طبيعة المتألفة للأعاجم من التعريف والتخيل إلا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار المعارف بالفارسية يتلقاها بالتعام وهذا ما ينكره كثير من المعارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فإنه يقول إن لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الفزالي يعرف الفارسية وأنت فيها ولو كان فارسي الأصل وهو من العامة لسكانت لغته الأصلية ومثله لا يصير بايقاً بالعربية إلا بعد اشتغال بالفنون طويلاً قبلانته وفصاحته وسلامة عبارته من العبثية على كونه من العامة يرجح كونه عربي الأصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام في ثلثي العلم والمعرفة فيها للمطالعين

﴿ تخرجه وتصدية للإفادة ﴾

قلنا أنه اشتمل أولاً بطوس وكانت مدينة آهلة بالعلم والعلماء في الجملة وكان يومئذ مرافقاً ثم في جرجان وكانت فوق طوس في العلم والمصراع ثم في المدرسة النظامية بنيسابور أعظم مآهد العلم في خراسان وما زال فيها يخلف إلى دروس أمام الحرمین علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل إن شيوخه كان يجهل منه شيئاً في نفسه وإن كان يفتخر به في الملاء كما سيأتي . ولما توفي أمام الحرمین سنة ٤٧٨ هـ خرج الفزالي إلى السمرقند وهي محلة بالقرب بنيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فخل من مجلس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي خطيب بنيسابور في ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الفزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تمر العيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً ، وذكاً وطبياً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس من اتقته على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم بنيسابور فمخلفاً إلى درس امام الحرمین في طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريية وبو الأقران ، وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، في أيام امام الحرمین .

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويشرح لهم ويبحثون في نفسه .
 وبلغ الأمر به الي أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو
 عبارته وسرعة جريه في النطق والحكلام لا يعنى نظره الي الغزالي سرّاً لارائه
 عابه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيع له تصديه للتصنيف وان كان تخرجاً
 به منتسباً اليه كالا ينجي من طبع البشر ولكنه يظهر التبحر به والاتحاد بإمكانه
 ظاهراً خلاف ما يضره .

« ثم بقي كذلك الى اقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وصار الي المسكر
 واحتل من مجلس نظام الملك محل القبول وأقبل عليه صاحب لعلو درجته، وظهور
 اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحاضرة محط رحال العلماء
 ونسب الأئمة والفصحاء ، فوقعت للغزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة
 وملاقة الخصوم القاد ، ومناظرة الفضول، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق،
 وارتق ذلك أكل الارتفاق، حتى أدت الحال به الي أن رسم للمصير الي بغداد
 لقيام بتدريس المدرسة الميمنية النظامية بها فصار اليها وأعجب الكل بتدريسه
 ومناظرته وما لقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

« ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف، وجدد المذهب
 في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضاً تصانيف ، وعلت
 حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تطلب حشمة الأكابر والأمرء ودار الخلافة
 فاقبال الأمر من وجه الي آخره اه المراد من كلام عبد الغفر هنا ومنه تعلم
 أن رياضة العلوم الظاهرة قد انتهت اليه في سن الشباب حتى كان يوصف بحجة
 الاسلام وإمام أئمة البصر وهو لم يشغل بالتلقي عن العلماء الا بضع سنين
 أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذاً مما مر من انه لم يطلب العلم من أول سن التمييز بل بعد
 عجز الوهي عليه وعلى أخيه من النفقة عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المتقدم من
 الضلال » ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الي الآن — وقد
 أناف المن علي الخمين — اقمتم لجة هذا البحر الخ ماسباتي . وقد علم من
 كلام معاصره عبد الغفر ومن كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

إمام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت سن الفزالي ٢٨ سنة أي أنه كان متزوجاً قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تنبيه طلاب العلم إلى مسألة أرجو انتفاع أذكيائهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالعلمي والتفصيل فلان تأتي بفائدة بل هي عنوان البلاده وخود الذهن وخول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابغين من العلماء والحكماء لم يقيموا في معاهد التعليم والتلقي زمناً طويلاً . وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر . وقد كان الأستاذ الامام بمس سنوات قليلة يحضر دروس بعض العلماء في علم ويده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الفزالي لنفسه وفلسفته وتصوفه ﴾

المسلم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح اللسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد - أحدها أن يعرف الفن بحسب ما قاله الواضعون له والمصنفون فيه اتباعاً لهم وتقليداً . ثانياً أن يعرفه كما عرفه الواضعون بما آخذوه ودلائله بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يبالي فيه وافق الواضعين أو خالفهم وإنما يتحرى فيه ما يراه صواباً . ثالثاً أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له ويحمله وسيلة للعمل . وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد يوجدان بدونه و يوجد أوفى من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قرواً الفنون المرية والشرعية وبعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثير من قرواها بالقصد الثاني وما كان المصنفون لقرائنها من الآخرين فضلاً عن الأولين إلا الأقلين فكأن من عالم بمسائل النحو البلاغة واسم الاطلاع لم يصلح لادائه ولا قلده فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح ، به البليغ الفصيح ، وكم من عالم بأحكام الحلال والحرام ، والفضائل والذائل ، فاسد لخلق ، مرتكب للمحرمات ، وكم من عالم بقوانين المناطق يجهز عن تحديد حقيقة ، واقامة البرهان على عقيدة ، وكم من بارع بصناعة الحجة ، يحرر في علم الكلام ، وهو فاسد الاعتقاد ، أو منطو على الاتحاد ، وإن لنا في سيرة حجة الاسلام ، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام ،

شرع أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المقلدين فأرشده رئيس الصيارين الذين نهوه منصرفه من جرجان إلى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماماً في زمن قصير لأن المستقل بنظره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد الذي يأخذ كل ما يلقي إليه بالقسليم في سنين كثيرة . وما كل أحد كالغزالي ورشده كلمة بلغها قاطع الطريق إلى مثل هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر المشتغلين بالعلم . وإنما يسترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الغزالي في القدرة العليا وقد بقرأ سيرته هذه بطولها وتفاصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد إلى نور الاستقلال لضف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني الذي لا يعلو به صاحبه عن مرتبة الصانع بل حاول في كل علم قرأه الوصول إلى غايته ، والتحقق بحقيقته ، فكأن كان بالعلوم العربية كاتباً بلهياً وخطيباً مفوهاً وعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركناً للذهب ، أراد أن يكون هو في نفسه على يقين من كل ما يستند وإن يكون عمله عمرة علمه ، فربى نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمجرد المسائل والدلائل فقط بل لابد فيه من التربية والمجاهدة وهناك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصاً من كتابه (المنقذ من الضلال) . قال بعد البسملة والحمد لله والتسليم

« أما بعد فقد سألتني أبا الأخ في الدين أن أثبت اليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائقة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المذاهب والطرق ، وما استعجأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد إلى رفاه الاستبصار ، وما استفدت أولاً من علم الكلام ، وما احتوت به ثانياً من طرق أهل التطعيم انقاصه من لدرك الحق على تقليد الإمام وما زدريته ثالثاً من طرق الفلاسف ، وما ارتضيته آخراً من طريقة التصوف ، وما أنجلي لي في تضاعيف تفهيشي عن أقاويل الخلق ، من لباب الحق ، وما صرقتني عن نشر العلم بيفداد مع كثرة الطلبة ، وما دعاني إلى ما ودتي بنسايور بعد طول

المدة ، فابتدأت لأجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مسخيتاً بالله ومتوكلاً عليه ، ومستوفئاً منه ومتلجئاً اليه ،

« اطلوا أحسن الله إرشادكم » وألان للحق قيادكم ، أن اختلاف الحق في الأديان والمال ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق ، وتباين الطرق ، بحر حقيق غرق فيه الأكتيون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم أنه الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين وهو الصادق المصدوق حيث قال « متفرق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عنفوان شبابي وقد أناغت السن على الحسين أقنم لجة هذا البحر العميق اقتحام المسور ، لاخوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل ، مظلة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأقنم كل ورطة ، وأنقص عن عقيدة كل فرقة » وأستكشف أمرار مذهب كل طائفة ، لا مبرزين حق ومبطل ، ومسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنياً الا وأصب ان أطلع على طائفة ، ولا ظاهراً الا وأريد أن أعلم حاصل ظاهره ، ولا فلسفياً الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكاملاً الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفياً الا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبداً الا وأرصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقاً معطلاً الا وأنجس وراءه لثنية لاسباب جرأته ، في قطبيه وزندقته ، « وقد كان التعلش الى حقائق الأمور دأبي وديني ، من أول أسري ، ورومان حموي ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلي ، لا باختيارى وجبلي ، حتى انحلت عني واجلة التقليد ، وانكسرت على (كذا) العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام ، وسبغت الخديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

فمحرک باطنى الى طلب حقیة الفطرة الاصلىة ، وحقیة العقائد المارضة بتقلید الوالدین والاساتذین ، والتمیز بین هذه التقلیدات ، وأوانها تلقینات ، وفي تمیز الحق منها عن الباطل اختلافات »

« قلت فی نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقیة العلم ما هی فظاهر لی ان العلم الیقینى هو الذى ینکشف فیہ العلوم انکشافا لا یتقی معه ریب ولا یقارنه امكان النطق والوهم ولا یفسح القلب لتدبر ذلك بل الامان من الخطأ ینبغى أن یکون مقارنا للیقین مقارنة لوعدهى بالظہار بطلانه مثلا من یتلب الحجر ذهباً والحیة ثعباناً ، لم یورث ذلك شکاً وإنکاراً ، فانی اذا علمت أن الشجرة أكثر من الثلاثة فقال لی قائل « لابل الثلاثة » أكثر بدلیل أى قلب هذه الصفا ثعباناً » وشاهدت ذلك منه لم أشک بسببه فی معرفتی ولم یحصل لی منه الا التمسبب من کیفیة قدرته علیه فأما الشک فیما علمته فلا . ثم علمت أن کل ما لا أعلمه علی هذا الوجه ، ولا أتیقه هذا النوع من الیقین ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فلیس لعلم یقینى

(القول فی مداخل الفسطة وجمع العلوم)

« ثم فکشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة الانی الحسیات والضروریات فقلت الآن بعد حصول الیأس لامطمع فی اقتباس المشكلات الا من الجلیات وهى الحسیات والضروریات فلا بد من إحکامها أولا لأتین أن تقنى بالله . وسات وأمانى من النطق فی الضروریات من جنس أمانى الذى کان من قبل فی التقلیدات ومن جنس أمان أ أكثر الحلق فی النظریات أم هو أمان محقق لا غدر فیہ ولا غایة له ؟ فأقبلت بمجد بلوغ تأمل فی المحسوسات والضروریات وأظہر هل یمکننى ان أشکک نفسى فیما فاتحى بی طول الشکک الى أن لم تسمح نفسى بتسلیم الامان فی المحسوسات أيضاً وأخذ یسبح هذا الشک فیها ویقول من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهى تنظر الى الظل قدراه وانها غیر متحرک ونسکم بنفى الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف

أنه ينحرك وأنه لم ينحرك بقية ودفعة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . ونظرا إلى الكوكب قتره صغيرا في مقدار دينار ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

هـ هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حكم الحس بأحكامه ويكذبه حكم العقل وبجونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعت . فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا فلملة لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا معدوما واجبا محالا

و قالت المحسوسات : هم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كفتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حكم العقل فكذبني ولولا حكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تمحل كذب العقل في حكمه كما تمحل حكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تمحلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته : فنوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأبدت اشكالها بالنام وقال : اما تراك تعتقد في النوم أمورا وتمخيل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل فهم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالته . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك وتكون يقظتك نوما بالإضافة إليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما نوهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها أول تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا توافق هذه العقول ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الناس قيام فاذا ماتوا انتبهوا» (هـ) فليل الحياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(هـ) قال في الدرر المنتثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

(المجلد العاشر)

(٦٥)

(المنار ٧)

على خلاف ما شاهده لأن يقال له عند ذلك (٢٠٠: ٥٠) فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديث

« فلما خطرت هذه الخواطر انقذت في النفس فحاولت لذلك علاجاً فلم يقبصر
اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا
لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الله ودام قريبا من شهرين
أنافيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله
تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضرورات
العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام
بل بنور قدفه الله تعالى في المصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف
فمن علم أن الكشف موقوف على الأداة المهيمنة فقد ضيق رحمة الله الواسعة
ولما مثل رسول الله عليه السلام في الشرح ومناه في قوله تعالى (٢٢ : ٣٩) أفمن
شرح الله صدره للإسلام) قال « هو نور قدفه الله تعالى في القلب » فقيل وما
علامته فقال « التجاني عن دار النور والاناة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي
قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣)
فمن ذلك النور ينبعث من الجود الإلهي في بعض الأحيان ويجب التوصل له
كما قال عليه السلام « ان لكم في أيام دهركم نفعات الا فتمضوا لها » (٤)
« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتي ينتهي

- (١) سنكمل عن هذا النور في موضع آخر بما يزيده تألقا (٢) رواه الحاكم
والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو
انهم سألوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور
القلب انشراح له وانفتح » قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله فقال « الانابة الى
دار الخلود والتجاني عن دار النور » وهو في الظاهر خلاف الآية فانهم
(٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع
الصغير بالصحة وثبته « فمن أصابه ذلك النور يومئذ انتهى ومن أخطاه ضل »
(٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واخفى ومن طلب مالا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب (القول في اصناف الطالبين)

« ولما شغاني الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفسة) فضله
وصلة جوده انحصرت أصناف الطالبين (أي الحق في الاعتقاد) في أربع فرق
المشكلون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر ، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب
التعليم والمخصوصون بالاعتباس من الامام المعصوم ، والعلاسفة وهم يزعمون انهم
أصحاب المنطق والبرهان ، والصوفية وهم يدعون انهم خواص الحضرة وأهل
المشاهدة والكشفية . قلت في نفسي الحق لا يمدو أصحاب هذه الأصناف
الاربعة فهو لا هم السالكون سبل طلب الحق فان شأ الحق عنهم فلا يبق في
درك الحق مطمح اذ لا مطمح في الرجوع الى التقليد بعد مفارقه اذ من شرط التقليد
أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يربأ
وشمت لا يلج بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأف لها صبغة أخرى
مستجدة . فابتدرت لسلك هذه الطرق ، واستقصاء ما عند هذه الفرق ، متبذرا
بلم الكلام ، ومثلها بطريق الفلسفة ، ومثلها بتطبيقات الباطنية ، ومثلها بطريق
الصوفية ، »

هذا ما كتبه الامام الفريابي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من
العلم بطريق التقليد زمنا وبطريق الاستقلال زمنا آخر . وقد ذكر بعد ما تقدم
فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصه وعقله وطالع كتب المحققين فيه وصنف
فيه ما شاء أن يصنف قال فصادقه علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي : وبين
أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة
وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجوهر الى التسليم
بها وهي التقليد أو الاجماع أو عبود القبول من القرآن أو الاخبار . قال « وكان
أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومواخذتهم بلوازم مسلأهم وهذا

قليل النعم في جنب من لا يسلم سوى الضرورات شيئاً أصلاً فلم يكن الكلام في حق كافياً ، وللهائي الذي كنت أشكوه شافياً ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى مجاوزة الدب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاصة في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصودهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يعمى بالكلية فخلت الجيرة في اختلافات الخلق ولا أبعد أن يكون حصل ذلك لتبري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات . والنرض الآن حكمة حالي لا الانكار على من استغنى به فان أدوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينفع به مريض ويضر به آخر » اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما يذم منها ويكفر منه وما ليس كذلك قال « ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويمجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائبة فاذ ذك يمكن أن يكون ما بدعيه من فساد حقا ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته وهنقه الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بخلاف عامي فضلا عن يدعي دقائيق العلوم فسلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في هاربة . » فتمت عن ساق الجدل في تمهيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استماتة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصديق والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والافادة اثلاث مئة نفر من الطلبة بضداد فأطعنني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أوغلب على التفكير فيه بذهنه قريباً من سنة أو ما وده

وأردده واتفقده فوائده وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتليس وتحقير وتخييل الخلاع لم أشك فيه »

ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيعات والآيات وسياسيات وخلقيات وبين رأيه فيها وسنذكره . وانقل من ذلك إلى الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وغاياته

قال « ثم أتى لما فرغت من علم الفلاسفة وتحصيله وفهمه ونزيف ما يريف منه علمت ان ذلك أيضاً غير واف بكمال الغرض وأن العقل ليس مستقلاً بالأحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المضلات وكان قد ثبت ثابتة التعليمية وشاح بين الخلق تهمدهم بعمرة معنى الأمور من جهة الامام المصوم القائم بالحق ، عن لي أن أبحث عن مقاتلهم لأطلع على ما في كتبهم . ثم اتفق أن ورد علي أمر جازم من حضرة الخلافة بصيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني مداينته وصار ذلك مستحناً من خارج ضحية للباحث الأصلي من الباطن

» فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كتابهم المستعدة التي ولدتها خواطر أهل العصر لا على المنهج المصمود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات ورببتها ترتيباً محكماً مقارناً للتشقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل الحق مني مبالغتي في تقرير عجزهم وقال : هذا سعي لهم فأنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم لئلا هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إيها : وهذا الانكار من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي فضينه في الرد على المتنوعة فقال الحارث الرد على البدعة فرض : فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بضمه ولا يلتفت إلى الجواب ولا يفهم كنهه : وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . اما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد المحاكمة . نعم ينبغي أن لا يشكف لهم شبهة لم يشكف . ولم أنكف انا ذلك بل كنت قد سمعت

لك الشبهة من واحد من أصحابي المتخفين التي بهذا كان قد اتضح بهم واتصل
مذمهم وحكي أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فأنهم لم يفهموا
بعد حججهم فلذلك أوردتها لتلا يظن بي أنني وإن سمعتها لم أفهمها فذلك قررها .
والمقصود أنني قررت شبهتهم إلى أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها ثم بين
ذلك ملخصاً في عدة صفحات . وليس يبان ذلك من مقصدنا إنما المقصد سيرة هذا
الإمام وبيان كيفية تربيته لنفسه ونمرة ذلك فيها وفيها قصد إليه من الإصلاح

القول في طريق الصوفية

ثم أني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمني على طريق الصوفية وعلمت
أن طريقهم إنما شتم بطل وحمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتغلب عن
اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تهلية القلب عن غير الله
تعالى وتهلته بذكر الله وكان العلم أسير علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم
من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث
الخاصي والمفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك
من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كتبه مقاصد علمية وحصلت ما يمكن أن
يحصل من طريقهم بالعلم والسماع وظهري أن أخص خواصهم ما لم يمكن الوصول
إليه بالتعلم بل بالدوق والحال وتبدل الصفات فكأن الفرق بين أن يعلم حد
الصعقة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشجاعاً وبين
أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبرة تنصاعد من
المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر
وعلمه وهو سكران وما منه من علمه شيء والساحي يعرف حد السكر وأركانه وما
منه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصعقة وأسبابها وأدويتها
وهو فاقد للصعقة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها
وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فطلعت يقيناً أنهم أرباب
أحوال لا أصحاب أقوال وإن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصله ولم يبق

الا ما لا سبيل اليه بالسماح والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارستها والمساكن التي سلكتها في التفتيش عن صفى العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل بأسباب وقرآن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان وأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار القرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنهه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والحرب عن الشواغل والملاهي ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلائق وقد أحدثت بي من الجوانب ولا حظت أعمالها وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعها ومهرها طلب الجاه واقتدار الصيت فتيقنت أنني على شفا جرف هار واني قد أشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الأحوال فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا تصفوني رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحمل عليها جنة الشهوة حلة فيمتدحها عشية فصارت شهوات الدنيا تجماذيني سلاسلها الى المقام ومناذي الايمان بنادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم رياء وتخييل، فان لم تستند الآن للآخرة فتي تستند، وان لم تعلم الآن فتي تقطع: فبعد ذلك تفتت الداعية وينعزم العزم على الحرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك أن تطاوعها فانها مريبة تزوال وان أدعت لها وتركت هذا الجاه المريض والشان المنظوم الحالي عن التكدير والتفتيش والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ربما ألقت اليه فسك ولا يتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين تجماذي شهوات الدنيا ودوامي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها وجب سنة ثمان وعشرين

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطراب إذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطييباً لقلوب المشقة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أوثت هذه المثلة في اللسان حزنا في القلب بطل منه قوة الهضم وقرم الطعام والشراب فكان لا ينساخ لي شربة ولا تنضم لقمة وتصدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طعمهم من العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه يسرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالصلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم: ثم لما أصعبت بمعجزتي وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله تعالى التوجه المضطر الذي لا حيلة له فأجاني الذي (يجيب المضطر إذا دعاه) وسهل على قلبي الأعراض عن الجاه والمسال والأهل والولد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أوري في نفسي سفر الشام حزنا من أن يطعم الخليفة وجلة الأصحاب على عزي في المقام بالشام فطلعت بطائف الحبل في الخروج من بغداد علي عزم أن لا أعودها أبدا واستدفت لأمة أهل العراق كافة أذل يكن فيهم من يجوز أن يكون الأعراض عما كنت فيه سببا دينا اذفونوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين وكان ذلك مبغضهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستبيحات وظن من بعد عن العراق أن ذلك كان لاستثمار من جهة الولاية وأما من قرب من الولاية فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي وأعرضي عنهم وعن الالتفات إلى قولهم فيقولون هذا أمر مجاوي وليس له سبب إلا عين أصابت أهل الاسلام وضرورة العلم « ففازت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أذكر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصود للمصالح لكونه وثقا على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذ العالم لعياه أصلح منه ثم دخلت الشام وأقيمت به قريبا من سنتين لاشغل لي الامة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهديب الاخلاق وتصفية القلب لله كثر الله تعالى كما كنت حصائله من علم الصوفية فكنت أعكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها علي نفسي ثم دخلت منها إلى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأطلق

باجها على نفسي ثم تهركت في داعية فريضة الحج والاستعداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زبارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته بعد ان كنت أبعد الحقن عن الرجوع اليه وآرت الهزلة أيضاً حرصاً على الخلوة وتصفية القلب لئلا ذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعاش تغير في وجهه المراد وشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة لكنني مع ذلك لا أقطيع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن لعصاؤها واستقصاؤها واقدر الذي أذكره ليتفتح به اني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لوجهم عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغفروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بمأهرو خير منه لم يمدوا اليه سبيلاً وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة فهاذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلمة عما سوى الله تعالى وفتحها الجاري منها مجرى النهر من الصلاة استغراق القلب بالكلمة بذكر الله وآخرها الفناء بالكلمة في الله وهذا آخرها بالإضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك كالتخلي عن السالك اليه ومن أول الطريقة لتبدي المسكافات والمشاهدات حتى انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيئ عنها نفاثات النطق ولا يحاول معبر أن يبرع عنها الا اشتغل لنظفه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحسول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل

ذلك خطأ وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الأقصى بل الذي لا يست
تلك الحالة لا ينبغي أن يز يدعى أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما است أذكره * فظن خيراً ولا نسأل عن الخبر

وبالحلقة فن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم
وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله
عليه السلام حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتمدد حتى قالت
المرأة أن عمداً عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فن لم
يرزق الذوق فيحققها بالتجربة والتسامع إن أكثر معهم الصعبة حتى يفهم ذلك
بقرائن الأحوال يقينا فن جالسهم استفاد منهم هذا الإيمان فهم القوم لا يشقى
جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم إمكان ذلك يقينا بشواهد البراهين على ما ذكرناه
في كتاب عجائب القلب من كتب أحياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم
وملايسة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن إيمان
فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
وراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون
ويسخرون ويقولون العجب أنهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (١٦:٤٧)
ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آتينا
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه للعلم وتربيته
لنفسه وأما تحكي فبايلي ذلك أثر هذا التلميم والتربية وما استقر عليه رأي الرجل
في العلم والدين (طاب ثبته)

أثر من التاريخ

بغداد في القرن السادس

« ومجلس شيخنا الشافعية والحنابلة رضي الدين القزويني وابن الجوزي »
 قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنتاني الاندلسي
 البلسني في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه للكلام عن بغداد :
 « هذه المدينة العتيقة وإن لم زل حضرة الخلافة السياسية ، ومثابة الدعوة
 الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهر اسمها ،
 وهي بالإضافة الى ما كانت عليه قبل انهاء الحوادث عليها ، والنفات أعين
 الثواب اليها ، كالظلم الدارس ، والأثر الطامس ، أو تمثال الخيال الشاخص ،
 فلاحسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز الغلة والنظر ، الادخلتها
 التي هي بين شرقها وغربها منها كالآلة الخالوة بين صفحتين ، أو المقدم المتكلم
 بين لبنتين ، فهي ترددها ولا نظماً ، وتطلع منها في مرآة صافية لانصدأ ، والحسن
 الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ ، هي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ،
 فتنسج منى منها الا أن يصمم الله ضروفة ،
 « وأما أهواؤها فلا تكاد تلقى منهم الامن يتعصم بالتواضع رياء ، ويندمج
 بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاياء ،
 ويستصغرون من سوامهم الأحاديث والانباء ، قد تصور كل منهم في مقعده
 وشده ، ان الوجود كله يصغر بالإضافة لبلده ، فهم لا يستكبرون في مصور
 البسيطة متوى غير سوامهم ، كأنهم لا يعتقدون أن الله بلاداً أو صباداً سوامهم ،
 يسحبون أذيالهم أشراً وبلراً ، ولا يفتخرون في ذات الله منكراً ، يظنون أن أسنى
 الفخار ، في سحب الأزار ، ولا يسلطون أن فعله بمقتضى الحديث المأثور في النار ،
 ينبايون بينهم بالذهب قرصاً ، وما منهم من يحسن لله قرصاً ، فلا تفقه فيها الا
 من دينار نقرضه ، وعلى يدي نحضر للبرهان نقرضه ، لا تكاد تظهر من خواص
 أهلها بالورع المنيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاعلى من ثبت له

الويل في -ورة التلطيف ، لا يبالون في ذلك بعيب ، كأنهم من بقايا ،دين قوم
النبي شبيب ، فالقريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الاثاق ، لا يجد من
أهلها الامن بهامه بئفاق ، أو بهش اليه هشاشة انتفع واسترفاق ، كأنهم من
انزام هذه الحلة التبيحة على شرط اصطلاح بينهم واقفاق ، فسوء مفاخرة أبنائها ،
ينطب على طبع هوائها ومائها ، ويمثل حسن المسبوع من أعادتها وأبنائها
« أسنفر الله الأتقاءهم المحدثين ، وعافظهم المذكرين ، لاجرم إن لهم
في طريقة الوعظ والتدبير ، ومداومة التبييه والتبشير ، والمثابة على الانذار
الحورف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من راحة الله تعالى ما يحبط كثيرا من
أوزارهم ، ويسحب ذيل الفوضى على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحمل
بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا
يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه فالوفيق منهم لا يزال في
مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس
الشافعية ، وقيه المدرسة النظامية ، والشار اليه بالتقديم في السلم الأصولية ،
حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر
المذكور فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه بالقراءة على كراسي موضوعة فتوقفوا
وشوقوا وأتوا بتلاحين مسجبة ، ونفقات مخرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام
المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفتابن من السجوم من تفسير
كتاب الله عزوجل وابراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ،
ثم رثته شأبيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ،
ودفعت اليه عدة رقايع فيها (١) لجمعتها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة
منها وينبذها الى أن فرغ منها وحن المساء ففرل واقترق الجمع . فكان مجلسه
مجلس علم ووعظ وقورا هينا ليناً ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

(١) كنا في الأصل وفي نسخة الاخرى « منها » ولعل الاصل « فيها مسائل

إرسال عبرتها فيه النفس المستكنة ، ولا سيما آخر مجلده ، فإنه مرت حيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا ، وفجرت بها دموعا ، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكم من ناصية جز ، (١) وكم مفصل من مفاسل التائبين طبق بالمحظنة وحز ، فيمثل مقام هذا الشيخ ببارك رحم المصاة ، وتتمتع الجناة ، وتستدام المصيبة والنجاة ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، ويتصدق ببركة العلماء الأولياء عبادة الطامعين من سخطه واثقائه ، ورحمته وكرمه أنه المنعم الكريم لأرب سواه ، ولا معبود إلاياه ،

« وشهدنا له مجلساً ثانياً إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الحراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آفاق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم المذكور في وعظه مسروراً بحضوره ومتجلاً به ، فأني بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم المذكور . ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الحنبلندي المتقدم المذكور في هذا التقيد (٣) المشتهر المأثور والمكتمل ، المتقدم من الأكاظم والأعظم ،

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقره من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من همرو ولا زيد ، وفي جوف افراكل الصيد ، آية الزمان ، وقررة عين الايمان ، رئيس الحنبلية ، والمختص في العلوم بالرتب العالية ، إمام الجماعة ، وقارس حلقة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراه ، مالك أزمة الكلام

(١) كان الثابت في ذلك العصر يميز ناصيته . وأما هذا الفصل الذي بعده فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة واسل فيها تحريفاً أو تصحيحاً ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالقاف وأن يكون استعمالها بمعنى الإطراق . والحنبلندي بضم الجيم وفتح الحاء (٣) يريد بهذا التقيد كتاب الرحلة

في النظم والنثر، والفائض في بحر فك على فائض الدر، فأما نظمه فرضي الطباع،
مهاري الانطباع، وأما نثره فيصدق بسحر البيان، وبسط المثل بقس وسحبان،
«ومن أكبر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المسهر ويتدنى القراء
بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئاً فينتزع الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن
يلتصقون على نسق بطرب وتشويق فإذا فرغوا نلت طائفة أخرى على عددهم آية
ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة وقد أتوا
بآيات مستعجيات لا يكاد المتقيد الحاطر يحصيها عدداً أو يسميها نقلاً. فإذا فرغوا
أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إبراز خطبته عجلًا مبتدراً، وأفرغ في أصداف
الاسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أو نزل الآيات المقرآت في أثناء خطبته
فقراً، وأتى بها على نسق القراءة لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية
آخر آية منها. فلو أن أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية
على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن يتعلمها مرتجلاً، ويرد الخطبة القراء بها
عجلاً، (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) أن هذا هو الفضل المبين (حدث
ولا حرج عن البحر، وهيأت ليس الخبر عنه كالكثير،

«ثم أنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر
طار لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد
بشهقانه الشيخ، وأعلن التائبون بالصباح، وتساخطوا عليه تساقط الفراش على المصباح،
كل يلقي ناصيته بيده فيعجزها ويمسح على رأسه داعياله. ومنهم من يفتش عليه،
فيرقع في الأذرع إليه، فتشهدنا هولاء بملأ النفوس إناية وندامة، وبذكرها هولاء
يوم القيامة، فلم نركب شبح البحر، ونهتسف مقازات القفر، إلا لمشاهدة مجلس
من مجالس هذا الرجل الكائنات الصفقة الراجحة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد
لله على أن من بقاء من تشهد الجمادات بفضل، ويضيق الوجود عن مثله،

«وفي أثناء مجلسه ذلك يندرون المسائل وتعليل إلى الرقاع فيجواب أسرع
من طرفة عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل
يبد الله بوحيه من يشاء لا إله سواه

ثم شاهدنا مجلساً له ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفري باب بدر في ساحة قصور الحليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور هو من حرم الحليفة وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمه من تلك المناظر الحليفة ولوالده ومن حضر من الحرم . وفتح الباب للامة فيدخلون الى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر . وجلسوا بهذا الموضع كل (يوم) خميس . فبكرنا لشاهدته بهذا المجلس المذكور وقمنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فبعد الخبر وأرضى طيلسانه عن رأسه وأضاح طرمة المكان وقد تسطر القراء امامه على كرامتي موضوعة فابتدوا القراءة على الترتيب وشوقوا ما شاءوا وأطربوا ما أودوا ، وبأذنت العيون بأرسال الدمع ، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صعد بخطبه الإهراء القراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منقطات ، ومشى الخطبة على قرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (١٠:٤٠) الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذي فضل على الناس) فيأدى على هذا العيون ، وحسن أي تحسين ، فكان يرمه أعجب من أمسه ، ثم أخذ في التنا على الحليفة والدعاء له ولوالده . وكفى عنها بالستر الأشرف ، والجناح الأوف ، ثم سلك سبيله في الوعد كل ذلك بديهة لادوية . ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقررات على النسق مرة أخرى . فأرسلت وأبلى العيون ، وأبدت النفوس مرشرفها المدكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم مترفين ، وبالتوبة مملئين ، وطاشت الابواب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تمك تحصيلها ، ولا تهيئ معقولا ، ولا تجد للصبر ميلا .

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة الشوق ، بديهة الترقيق ، تشعل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهدا ، وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي اذا به الوجد وأين قلبي فما صحا بهد

يا سمد زني جوى بذ كرم بالله قل لي فديت يا سمد

ولم يزل يردد هذا والافعال قد أثر فيه ، والمدايح تكاد تمنع خروج الكلام

من فيه ، الى أن خاف الاغرام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلان ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشعونه بالمدامع الحمر ، فمن ملطن بالانتعاب ، ومن متحضر في التراب ، فياله من مشهد ما حول صراة ، وما أسعد من وآه ، ففتنا الله ببركته ، وجعلنا من فاز نصيب من رحمة ، به وفضله « ثم ذكر أنه حضر له مجلساً ثالثاً وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز والعراق وفصل وعاظ الشرقي على وعاظ الغرب أهل بلاده (الاندلس)

السيرة في هذه الأثرية التاريخية من وجوه

أحدها - أن بغداد لما ضفت مدنيتهما ونضات العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فساداً في الاخلاق ، وشراً في الارتفاق ، وعصياً بما كلف على عهد الآباء ، واحتقاراً للقرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يعيش الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيذعنون له ويعترفون بأمامة وهذه سيرة النزالي حجة الاسلام حجة على ذلك . فليعتبر بذلك دعاة المصيبة الباهلية بمصر ليعلموا ان هذه المصيبة من علامات الموت لآيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه المصيبة لما أصابوا من العلم والمدنية شيئاً مما أصابوا ثانياً - أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالانحطاط والتأخر ها كانت حتى تمثل فيها بقول أبي تمام « لا أنت أنت ولا الديار ديار » هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فمن لنا الآن بمثلها وقدمت بك التنوية بشيء من فضلها

ثالثاً - أن أكابر العلماء وأئمةهم كانوا لا يزلون يستمدون مجلس الوعظ العامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستنكفون عن الوعظ ويسدون مزايا بهم حتى عم الفساد وصرّ ثلاثيه وقد بذل الأستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والتذكير بتوغب العلماء فيها بالقول وبما سمى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يمشى الى العمل وانما تعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالمعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباحث

النفسي لأتقن ذلك كثيرون

رابعاً - أن وعظ ذلك العصر كانوا يعظون الناس بالكلام الفصيح المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحاديث ووقائع التاريخ (وستنشر في المنار نموذجاً من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم ويعظون به وقد سمعت خبر كثرة التائين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت الفنتحني أنك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والاساليب العالية حتى الفهم فما بالك بالاميين . فواللهي علي تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسير القويعة ، على أن ضعف التفاعل ، قد صار أشد من ضعف التقابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجال من الواعظ الحسن الذي ينحري السهولة وبراعي درجة استعدادهم ما يشعرون به ويتذكرون ولكن لا نكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الا عدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة وتذكرها فإني أنا من الاستعداد ما نهزم معه بأن إحياء سنة الوعظ تحيي الدنيا وتصلح الاخلاق في زمن قليل

خامساً - ان، الخليفة ونساء كانوا في ذلك العصر يعنون بسماع الوعظ الذي يلقي على العامة مع شدة ما أحدثوا من التحجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدن فأين ذلك من ملوكنا وأمرائنا اليوم وسلاطان المغرب الأقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرئ تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفهيجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الخرافة وماهي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الامراء المتفرنجون ، فلهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، وبها مشغولون ، فهاذا تقول في نساء الملوك والامراء وعدم سماعهم شيئاً من أمر الدين

وقد يقول قارئ تلك الأثر ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ما ذكر ثم ما عظم ان ذكر ان الذين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . وبجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة (المنار ٧) (١٦٧) (المجلد الماضي)

بل كانت الرواحل تشد الى امثال هؤلاء الوعاظ من الامان البعدة كما يعلم من التاريخ: الى أن كثرة التائبين أو الصالحين في بلد عظيم كفقداد لايتا في كون المعصاة فيها أكثر أو كون المعاصي فاشية فيها



فَتَاوِي النَّارِ الْمَبْنِيَّةِ

فتنا من الباب لاجابة أسئلة المستر كين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه وتلقبه ويذكر عمله (وطيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان تاند ذكر الاستشارة بالتسريح قالبا ووعاقد من آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشرك لئلا هذا . ولئن بقي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قلنا لم نذكره . كان لنا عدد مصباح لاغفاله

﴿ س ٤٤ : عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعلم الفهوم الحبيب النسيب السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الفراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام وكثر الهرج لاجلها فأجبت ان أقدمها لجنابكم ما تلا حلها واجابني عنها جوابا باشافيا وافيا على صفحات المنار ليهتدي كل من استهدى به . وذلك عند حلول رمضان واثبات الصوم أو الفطر حتى اتفرق أهل البلدة لثلاث فرق واليك نبأهم بالتفصيل (الفرقة الاولى) تخرج بظهور هلال رمضان أو الفطر عيانا في قطرها وثبوته بالتواتر كاهو ممرر بالكسب القهوية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا افطرت واذا غم أكلت عدة شعبان ثلاثين يوما وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تشدد في صومها وافطارها على قتابل الحكومة المطلقة اهنا تا بحلول رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه القتابل لا تطلق الا باذن شيخ الالهلام

بعد ثبوت هلال الشهر للهـ ويصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق
(الفرقة الثالثة) يقول في صومها واضارها على قاعدة منسوبة للامام جعفر
الصادق «رضه» وهي في كتاب عجائب المخلوقات لقزويني ونسبها «قال جعفر الصادق
«رضه» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي سمته في
العام الماضي فانه أول يوم من شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك
خمسین سنة فكان صحيحا» اهـ من عجائب المخلوقات

فارجو الاحتذاء افادتي عن المسئلة هذه ميثا وجه الحق في الاتباع وأرجو ان
لا يغفلونا على ماضي اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليعق الله الحق ويخرجنا
من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام ﴿ كسبه القدير

٢٣٣٠ هـ جادى الآخرة سنة ١٣٢٥ هـ عبد القادر ملاقند البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار النبوية الواردة في الصيام فصلا فيما ثبت به الصيام
والفطر هذا منه (ص ٦٨١) وعدد الاحاديث فيه تابع لما قبله

﴿ فصل فيما ثبت به الصوم والقطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اني رأيت الهلال
رمضان فقال : «أشهد أن لا اله الا الله» قال نعم قال «أشهد أن محمدا
رسول الله» قال نعم . قال «يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا» رواه
الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود وأبي
بلال فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود
أن النبي عليه السلام اكنى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حديث على ثبوت
الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربيعة بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فشهدا عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهلال هلالا أمس عشية فأمر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية .
وان يفتروا الى مصلاهم

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقعدوا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه عن حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر ثَمَع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فاكلوا العدة ثلاثين » وفي رواية بسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعدد الى ٣٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا لرؤيته فان غمى عليكم فاكلوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغني هنا بمعنى غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبدة بروية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة الكافة ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين ، وجاء في بعض الروايات « وانسكوا له » فواقيت الحج تعرف بروية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بنته الى معاوية بالشام (قال) قدمت فقصت حاجتها واستهل علي ومضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته فقلت نعم وراه الزم وصاموا وصام معاوية فقال : ولكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه : فقلت : ألا تكفي بروية معاوية وصيامه ؟ قال : لا - هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكننا رأيناه ليلة السبت » الخ فإنه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد بروية أهل بلد آخر وهو غير مروى في المرفوع ولا هو صرح به فتكتفي بروايته فالراجح اذا حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقليل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بمدت البلاد أو قربت وتقل لا يلزم أهل بلد العمل بروية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم قبله لان حكمه

افقد في جميع البلاد وقيل ان تقاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت عمل كل برؤيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه المطلي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجع النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء.

وقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجع شهادة وبلغها الناس وجبان يستمدوا عنها ولا يلتفتوا الى رؤية الآخرين لينضبط الامور ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صام وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف المطالع التمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لوورد حديث يذكرك فيه اختلاف الحكم بين البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي التي تختلف به الاحكام. وهناك وجه آخر في البعد والتقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها قد بلاد امتقاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا وبعضهم صائما بحجة اختلاف الرؤية فاذا ثبتت الرؤية في بعضها بصوم الجميع والا أكلوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يضلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين به حسن في ذاته وغیر حسن ما يخفى به من البدع. وأما البلاد التي لاصلة بينها قومية ولا تعامل بينها الا بهجرة بعض أهلها من أحدها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما ثبت عنده من تيسر اعلام كل قطر الاخر بنبا البرق الذي يؤمن تزويره ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع الادمم وتيسر له اعلامهم بما ثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك لكن له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون اه ما في المجلد السادس وقد سقط من آخره شيء وأصله واتجه ما قاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد برؤية غيره الا أن ثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كابلد الواحد

لتعز حكه فيها» وحلة القول أن العبرة بالرؤية أو الكمال العدة فإذا ثبت عند الحاكم وأعلم بها الناس علما بإعلامه

سؤالان أو أسئلة من « جاوه »

علق جميع الميبد والاذن بتزويج المعنقات

أرسل الي بعض أهالي سليس هذان السؤالان والناس في أوساطها اليكم لكي تشروهم في المنار مع الجواب وهما الاول في الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع (س ٤٥ و ٤٦) أنه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليس وأخذت سلطان بني أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالي تلك تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك المتواحي هرب أولئك المالكين وتركوا مالكمهم فاقولكم رضي الله عنكم فيمن أعقق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: إني أعققت جميع عيالي وبطلهم احرارا لوجه الله ذكرا وإناثا . واذا أذن المعتق بتزويج معنقاته قائلا: إني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاة المسلمين أن يزوج كل معنوقة في عند علم وليها الشرعي على من تريد : فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج صيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الأجر والثواب

﴿ الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص) ﴾

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فن صلى بالناس الجمعة التي وقعت في حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

﴿ الجواب عن السؤالين الاولين ﴾

يصح العلق بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لا فم في ذلك خلافا . وأما لاذن بالتزويج فيه تفصيل فإذا أرادت المسئلة أن تزوج في بلد ليس لها فيه

ولي غير مولى المتألفة وقامت البيعة عند القاضي على ذلك الاذن كان له أن يزوجه
واذا لم تهم عنده بيعة طلبة ليزوج هو . وأما اذا كان المولى غائباً ولاولي سواء
فقاضي أن يزوج سواء كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ .

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل
ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه
توفي حين اشتد الضعف من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي
بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام في المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا
أنه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يصلي الصبح بالناس فضمكت سرورا
بموتهم وكادوا يفتنون في صلاتهم فرحابه اذ ظنوا انه عوفي وأراد أبو بكر ان
يتأخر ليم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار اليه بأن يمضي في صلاته
وقال بعضهم ان أبا بكر صلى في الناس سبع عشرة صلاة ولم أرا أحدا قال
ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه
بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فإذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في
الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أم أبو بكر بها الناس كانت متفرقة
ومنها الليالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي
صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

باب المناظرة والمراسلة

الاتحاد على المنار

(المصيبة الجنسية والوقاء)

أرسل الينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكتندرية عنوانه «المنار والسياسة والدين» ولكن موضوعه الدقاع عن صاحب جريدة الوقاء وإطراؤه بالمدح والثناء، ومواخفة المنار على إنكاره عليه ما أدخله في دعوة الوطنية، من نزقات المصيبة الجنسية الجاهلية، وإقامته الحجج على أن ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أيا كان جنسه. ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي روا على فريد أفندي وجدي قال الكاتب «أما بعد فإن لي كلمة يدفعني الشعور بالواجب أن أقولها لكم وهي وإن كانت لا تنفق إلى الآن مع رأيكم إلا أن لي ملء الثقة في أنكم لا ترفضون كل ما يخالفكم لما ناديتم بذلك كثيرا وشهدناه منكم غير مرة فانا أرسل اليكم تلك الكلمة معتقدا أنني أخدم بها الحق كما أخدم بها المنار فرجائي أن تنشرها في مجلتكم ولكم بعد ذلك أن تعلقوا عليها ما شئتم أن تعلقوا»

قول اننا لا نرفض كل ما يخالفنا ولا نشر كل ما يوافقنا واتما نختار ما نرى فيه الفائدة من الامرين ومنه الاتحاد علينا في المسائل الدينية والسياسية نحن نبحث في المسألة نفسها لا في اعتقاده بنية صاحبه وشؤنه الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقالته في انتقاد رأينا في المصيبة الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة الوقاء وما يبرجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو ما نعتقد خلافه. فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول «فإذا تنقدون عليه في ذلك وماذا ترون فيه مما يخالف روح الدين» كأنني بانتقاد المصيبة الجنسية الجاهلية عليه انقدت عليه كل شيء. يقوله. وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادئ التي تنهض بها الامم - وهي مبادئ صاحب جريدة الوقاء في رأيه - مخالفة للإسلام وأنني أجعل الحياة الوطنية عين المصيبة الجنسية الجاهلية وبذلك أكون متفرا عن الاسلام. وهذا غير صحيح فافانك التلوه بل بشرح رأي غير منطبق على الواقع.

ليس في المقال دفاع حقيقي عن صاحب جريرة الوقار في موضوع العصية الجنسية الا انكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك ما يملن به على الاخلاء وتحذير المصريين منهم في الوقار . ان كنتم تريدون ذلك — وهو الواقف — فما أبعد دعوة عن عصية الجنسية !! لان مصداقي كامل باشا قد عرف معنى الاخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء الوقار فهو يعني بالانجيل من يزوج نفسه في أهل أمة ويسعى في ضررهم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أصحابهم أنهم يحملون في صدورهم أقبح النيات فحرقا سحيا وراء مصالهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدعينا في تلك الزمرة فما ذلك الا اعتقاده أننا قتل قتل تلك الزمرة واننا لانخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدل على ذلك باجلاء بعض السوريين كرفيق بك العظم أقول ليست العصية الجنسية في الوقار مأخوذة من كلمة الاخلاء التي جعلها مبيهاة قط بل ترى روحه قاضية بهذه العصية التي جعلها مضادة للسوريين ووجعنا من فسادات آونة لصدمة الحرك الا وقاضت أخرى . وقد ظلت حتى تجاوزت السوريين المقيمين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ما علل نائب المسافر السورية المسوقة الى اليمن بخمسة المنت . وقد ظهر أثرها في الأغوار المدعوين بمسجدة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجندي لا يسمح للحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا بمجد أحدا ينشر له هذا الا الوقار صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه العصية يكون مظهرها في اللسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتطمين بل والمسلمين ينفلون من اخوانهم من يتعرف بفضل سوري أو يخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطروء هذه النزعة الجاهلية على المسلمين . ولعل المتفقد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات الحديثة من كورهم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!

بل وصل شر العصية الجاهلية الى بعض علماء الأزهر الذين يعيشون فيه مع طوائف

المسلمين من جميع الافكار حتى قال أحد كبارهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقعه وظافته : نعم ولكن من الاسف انهم حشوه بالشوام؛ وهو وان بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الحطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الأماكن البعيدة ممن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أتدري من هو ذلك العالم ؟ اتني لاسميه وإيما أقول لك أنه صديق صاحب جريدة اللواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل ارتقى صاحب جريدة اللواء بهذه العصبية الى مستوى اسمي فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطبته يوم خلع على الشريفي خليفة مشيخة الازهر الى وجوب خروج صاحب النار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طوبقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن اللواء لا يقضي بالانحلاء الذين ينفر عنهم وينفض فيهم غير فئة من نصارى السوريين كما يرى انتقد الحسن الظن لما كنا الا قائلين بأنه مخطئ - خطأ خائراً بالبلاد لأن أول من يحظر بالبال من هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصالحها حتى يقال أنه مذهب سوري ويذم منتعه بأنه اولاً أنه سوري أو دخيل ؟ كلا أنه ماذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية تصعب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومناقها الى وطنه وإنما قصاري سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منتهم الخاصة فما مسمى نبرتم بلقب الانحلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الافواق والمقول ان ترتيب الحكم على المشتق يؤخذ بعلية مائه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يحمل عمل اسم المفعول ؟ فهذا تبين أن ترتيب الظن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤخذ بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الظن وما ترتب عليه وحفظه يكون لنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقاً وأخاف في الرأي خازراً لأنه تأريث عداوات وضائيق بين أهل قطرين

متجاورين في الأرض متساوين في الفنة والثابة الثمانية متقاربن في العادات
وأكثر أهلها مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين القيين بمصر وحدهم لا يستهان بمداومهم فانهم أصحاب قوة
مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لا تحتاج الى تعريف . وما من
أحد منهم يعد من أصحاب الرأي والاشراف على أحوال مصر الا وهو يعتقد
بأن خطة جريدة القراء تضعه من المصريين موضع المدح من عدوه . ومن هؤلاء
من هو مخالف لاصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يفتنهم ويطن فيهم
أي قول قال به أصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أو قبطهم من
يقول بمثل ما بالاك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف قديم في مصر ولهم جرائد
مخالف رأي القراء كما يخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لا ينوط ذنبنا في رأيه
بكون أصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا ؟

ان كل أجنبي بمصر يرى نفسه أشرف من الجنس المصري وأجل من ان
يخضع لقانونه وهو يعمل في هذه البلاد لأمنه وبلاده وما أصابه من الثورة ينقلب به
الى أهله . والسوري يرى نفسه شقيقا للمصري ومساويا له في كل شيء ، وقفا يرجع
سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال
عظيمة لاسيما في هذه السنين الاخيرة . فلأي شيء يعد القواء ذنب الواحد منهم
عارا عليهم . وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجي في ذلك ؟ على ان جميع
الاجناس صارت تشعر بأن القواء يدعو الى عدوانها بل طفقوا به بتقدون أن المصريين
يغضون كل غريب فما أشأم القواء

المتصر لقواء يرى ان خطته هي التي تنجح بها الام وأهلا لا نجاح بسواها ونحن نرى
ضد ما يرى وما توهمنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لانها منافية لروح
الاحلام من جهة ولصلحة المصريين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شذنا لينا تنفير
هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جعلتهم عونا للانكليز عليهم
بعد أن كانوا عونا لهم على الانكليز ، وبيننا كيف شملت هذه الخطة المصريين
بالسياسة القوية عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما نذكره على هذه الجريدة الشهيرة

وصاحبها وليكتنا ندع ذلك للأمام ، فهي التي تكشف للناس كيف كانت هذه الوطنية عبادة تبغض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والعزى والنفقة وعلى اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق ليس بعيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة اللواء

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكلكتة (الهند) في موضوع اعتقادنا على بعض الجرائد فيها كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أمحي فيها على صاحب جريدة اللواء إنحاء شديدا يطلاق بسيرته وسياسته كما أطراء صاحب الرسالة السابقة في ذلك . فمعتذر عن نشرها بمثل ما اعتذرنا به عن نشر تلك لأنها لا تفيد القراء وإنما تفيدنا نحن وقد قرأناها وأما نذكر جهة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لا مجازاة لقواء على ضمه أيا فامرة بعد أخرى اذ لو كن غرضنا ذلك لنشرناها برمتها . قال الكاتب في معرض الكلام على صاحب جريدة اللواء :

« ثم ازداد غلوا فجل مداد قلمه قامورا المسلمين ومهجة المصريين لا استغراب ما صدر منه من هذه القفلة الشنيعة التي منشأها الفطوسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه القفلة يتحاشا من كتابتها وجعلها عنوانا على امام الامة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدهم تكبرا وأجلهم بحقيقة نفسه بل لا ينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فبالك بصاحب (جريدة) اللواء الذي يعتقد انه خالص المسلمين وعلى الاخص المصريين من دوكه أو أخرجه من سبيل وجل واتهم لولاه لم تتم لهم قائمة « الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه خلفاءه لأنهم كما قال الكاتب « لا يكتبون الا ما وافق مشربته » وجهلة القول اننا لانحب البحث في مذهب جريدة اللواء وسيرة صاحبها في سياسته ومشربه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نفتقد فيها لأنهم يتبعون في ذلك الاعجاب الشهور والوجدان دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستنزفه

القول والشذوذ ولذلك قال عبد الله أفندي نديم رحمه الله من اعجاب الجماهير وتصفيق ثلويهم وأبدعهم ما لم يصل اليه ولا الى عشرة صاحب جريدة للهواء الى اليوم لانه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب ان فذائف مدافع الاسكتلرية تصل الى قبرص من هذه الناحية وفذائف مدافع الاسناقة تصل اليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراتب الانكليزية فهي تحت رحمة مدافعتنا - وهصطفى كامل بهراً بالانكليز ويهددم بما يقرب من هذا وقد وصل اليه - وما ذلك بعيد - بصيرا اعجاب الجماهير بأشدهم اليوم لأن اعجابهم يكون دائماً على قدر التلوكا قلنا . ولكن اذا وقع بابلاد منتهى ما هو قه العقلاء من عواقب هذا القول - وما وقع الى اليوم ليس بقليل - أو اذا تدارك هؤلاء العقلاء الخطب قبل وقوعه وهم أولو الشأن في البلاد كما يرجى منهم فيومئذ يعلم المفرورون أن ليس كل مخالف للهواء بدو لبلاد ولا بدخيل ولا بضار بل الضار هو الهواء وصاحبه المتفاني في حب الشهرة والعولاني حب الوطن (١٦: ٩) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء منكم أجمعين)

الاتقاد على محمد فريد أفندي وجدي في كتبه

٣

كنز العلوم والفنة

نكتفي في هذا الجزء بالاتقاد على مادة واحدة من مواد كتاب كنز العلوم والفنة لأن باب المناظرة لا يقسم فيه لأكثر من ذلك
أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعا من الخطأ تدل على أنه لا ثقة بنقله وروايته كما أنه لا ثقة بفهمه ورأيه

(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله «والحديث في الاصطلاح أطلق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام » وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتلقى ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئا قليلا لم يفهمه والصواب ان الحديث في اصطلاحهم ما أنصيف الى النبي صلى الله

عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة وبلغت كافي النخبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله انه لم يصح عند أبي خنيفة الا سبعة عشر حديثاً فقط فان من يعرف غير هذا المسمى من الصحاح لا يعرف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق . نعم ان الرواية عن أبي خنيفة قليلة وفرق بين ما يروى عنه وما يصح عنه (الثالث) قوله « انه لم يصح عند الامام مالك الا ثلاث مئة حديث » وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنه وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرها . وقد نقل عن الامام الشافعي ان الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . نعم ان الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيح البخاري ومسلم اللذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً . وقد نقل السيوطي في تنوير الحوائك عن القاضي أبي بكر بن العربي ان الموطأ هو الاصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني وان مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت الى خمس مئة . وعن الكيا الهرامشي كان نسخة آلاف فرجع الى سبع مئة . أقول والظاهر ان الخلاف في العدد خاص بالاحاديث المسندة وهي كما نقل عن الأبهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف . وجميع الاحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الأبهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٤ ومن أقوال التابعين ٢٨٥ وكل ما فيه قد صح عند مالك وان قل بعض المحدثين بعده بضع قليل من رواياته . وقد نقل عنه انه قال « عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من قهات المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ » فليحضر الناظر الى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجراته على كتابة ما ليس له به علم

(الثالث) قوله « ولم يصح عند البخاري الا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا)

من أكثر من ٦٠٠٠٠ منها من الناس »

أقول لاندري باختراع فريد أفندي وجدي هذه الأقوال اختراعاً ام سأل بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك ليفخر به لم غيره فكان اقتضاره بالليل

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن مافي الجامع الصحيح البخاري هو بعض ما صح عنه وهو المكرر يزيد عما قال وبدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح جميع أسانيده بالكرسوى المطلقات والمباينات سبعة آلاف وثلاثة مئة وسبعة وتسعون حديثاً والمخالص من ذلك بلا تكرار ألفاً وخمسة مئة وخمسة وثلاثون في احصاء المتن المطلقة المرفوعة بنهر وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجدي مع عدد المكرر ولا مع تركه . هذا اذا فرضنا أنه لم يصح عند البخاري الا أحاديث الجامع والصواب أنه قد صح عنه غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحاً وما زكت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من ألف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة

١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب الكتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعطية البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر عمرو بن حزم أن أخطر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سننه أو حديث عمر أو نحو هذا فأكتبه لي فإني قد سمعت دروس العلم وذهب العلم » . ثم إنهم ذكروا أن مالكا وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتباً على الابواب وهذا أغصن من مطلق التأليف والتدوين فإن الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفاً اتفق ومنهم من رتب على الابواب ومنهم أصحاب المساند الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن ألف الحديث مرتباً على الابواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بحكة وسفيان الثوري بالكوفة والافزاعي بالشام والربيع بن صبيح أو سعيد بن أبي عروبة أو حماد بن سلمة بالبصرة وهشيم بن عمار ومسلم بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بنجراسان . قال الحافظان ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم أصبق .

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلوا في الأول منهم . فلو كان فريد أفندي وجدي مطلقاً على أقوال المحدثين في ذلك لقاب ان ما لكتاب ابن جريج مما أول بل من أول من صنف الحديث موباً كما يقال أول من أول من كتب المسند نسيم بن حماد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى مثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئاً من هذه الفروق والدقائق أو مثل من وصفه بالدقيق والتحقيق في كل ما يكتب كبعض محرري المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج لمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للمعاليق ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الخامس) قل فريد أفندي وحشي " ثم نالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ ومسلم المتوفي سنة ٢٦١ هـ وأبو داود (كذا) المتوفي سنة ٢٧٥ هـ ابن ماجه المتوفي سنة ٢٨٢ هـ والنسائي المتوفي سنة ٣٢٣ هـ والدارقطني المتوفي سنة ٤٢٨ هـ

أقول انه ذكر ان المجموعات سبع وعد ستا فقط فلا نجد هذا عليه وانما نجد عليه انه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقلنا انه تركه للخلاف فيه وإن جرى جميع المتأخرين على عدم السادس من الستة ولكن أنى ثلثه ولن يقرط له كنه فيصنفها بالدقيق والتحقيق أن يعرف هذا

(السادس) لزمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢ هـ والصواب انه توفي سنة ٢٧٢ هـ وقيل ٢٧٥ هـ

(السابع) لزمه ان النسائي توفي سنة ٣٢٣ هـ والصواب انه توفي سنة ثلاث ومثلث

سنة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلاً عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ما هو قولي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لم تبناها واتخذناها لفظاً ونسباً لأننا في احصاء ما يقدر إحصاؤه ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة " هذا وانما في عصر كثير فيه النباهة وأخذ كثير منا في احضار مثال أنمنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

السليم وإن كان قليلا وترك المشكوك فيه مها كان كثيرا» من قرأ قوله هذا يظن أنه هو في مقدمة هؤلاء النباه الذين ذكروهم ولكنه إذا تتبع الأحاديث التي يحتاج بها فيها يكتب يرى أنه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشافعية ويضد في الأكثر على الأحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بضبطها أو وضعها وهو لا يعلم وسنين ذلك في فصل مستقل إن شاء الله تعالى

أثر علي البيهقي

كتاب لباب الخيار في سيرة المختار

ألف الشيخ مصطفى الفلاحي البيهقي مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعا جميلا على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ما رآه مما يشبه فيه غير العالم فكانت صفحاته ٨٢ صفحة وهو أسهل المختصرات وأقربها إلى الفائدة للطلاب المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر أن الاسلام قام وأُنشِر بالدعوة لا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثة أدوار ما قبل البعثة وما بعدها إلى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والنزوات دون السرايا ونبه على مواضع العبرة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثا رتبها على حروف المعجم . وثمن النسخة من هذه السيرة قرشان صعيطان ماعدا أجرة البريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

فلسفة الاسلام ومدينة القرآن

كتاب جديد يؤلفه أحد أفندي يدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في سكة الحديد السودان وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة الآداب والمؤيد . قد يصحب القاري من نسبة كتاب في الفلسفة إلى ضابط مصري لاسيما إذا

كان عالما بمجال التعليم في المدرسة الحرة المصرية وأنه تعليم صناعي ليس فيه شيء يرقى الفكر حتى ان دراسة التاريخ قد ألغيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا يرى جريدة من المرائد المبالغة في انتقاد نظارة المعارف تقتقد ذلك على نظارة الحرية ،

نعم يتعجب القارىء من تأليف ضابط مصري كتابا في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه الا تذكر تناقض استبعاد البشران في الضباط المصريين أفرادا من المغربين بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية . ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين للفلسفة وبألبت تربيته لم تصرفة عما خلق مستندا له الى غيره . قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق ، جاءت من كل فج سحيق ، بعضها جلي وبعضها خفي لم تقو العبارة على إيانه ، ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله . والله والفلسفة الالهية وإيصال القرآن الى السادة وغير ذلك

مجلد الدليل . في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية السروليم جارستن مستشار نظارة الاشغال الصومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعا في ممتهى الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح . ويليه نبذة لتجارب السنوديسيون منشئ محمود ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة نساغا وأهجار السودان الشرقي . وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »

قول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلا في الكلام على بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت أدور ودو بحيرة ألبرت وهي ينابيع النيل وأصوله وعلى نيل فيكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأخفض والأزرق وما فرعا النيل النيلي وغير ذلك . والقسم الثاني في « قصرات الأهل وممكنات المشاريع » وفيه فصلان . وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

في مشروعات ومباحث مهمة كتلمية حبس أسوان ومشروع وادي الروبان وفرع رشيد،

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ رسماً وهناك رسوم أخرى كثيرة منها الملون كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان ومن خدمة القنة في هذا الكتاب أن مترجمه بالحرية قد فسر في هوامشه الألفاظ التي احتاج إلى استعمالها ففي البحث عنها ووضعها في مواضعها ولم تكن مستعملة عند كتاب العصر كالساك بوزن سحاب وهو مكان من النهر تتراصف إليه عظامه الأعنان ورقاض الحطب والشب وغيرها فتجس من مائه وتنفق سيره ويعرف بالسد . وكالمنجرة بوزن المنجرة قال وهي أرض تطلعت وتنفجر فيها أودية وبالتفصيل فجوة ما بين جبلين وهي الفجة والوادي والنور . وهو يفسر أيضاً كل ما ورد في الكتاب من الاصطلاحات والتخيل

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلما تجد لاًحد من كتاب هذا العصر ومترجميه مثله وإن لم يخل من بعض ما يفتقد على قابضهم وهناك هذا النموذج منه في الكلام على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لا مرءة لوقوعها وقضها أكيد . ذلك أن منال جيل روزوري والفواعل الجوية فيه تؤدي إلى تحات جوفاته على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرفاض (١) تجتذره السيول إلى أخاديد (٢) ومضائق ذاهية به إلى نهر سلتسكي وهو يري بها إلى بحيرة ألبرت ومنها مقادير من الطين التي تجتليها مياهه من أتحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تستاق تلك المواد فتستقر جميعها في بطح البلاد المجاورة . وعليه فقد كونت روا سب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلاً

(١) رفاض الشيء : كخراب قشارته وما تعظم منه فتفرق (٢) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم) وجرف (بضمين) وهي ما تجرفه السيول وأكثه من الأرض (المغرب)

بسببنا من الأرض يتداخل شيئاً فشيئاً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يملأ بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقى بالبلية وأجرافه في البحيرة تضيق .
فتشكر لوضع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولترجمه خدمته لها ولقنتها بما لم يخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أو شاعر فلاسفتها فيكتور هيجو أو هوجو (أو الأسم بالثمن أو الكفاف بدل الجيم على ما ترى عليه المربين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه (هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين وفنانيهم كالآلهة والأهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والباوثيون والباشيون ذهب خياله فيه إلى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزاً للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشر بها الكهنة والملوك وبين أن اختراع المطبعة الذي سهّل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب العلم بالكنيسة . وانفقد على ذلك بعض الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تقدم الكنيسة بل خدمتها ورد عليه المترجم ثانية . نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدة

﴿ مطمح النصحاء ﴾

كتاب أفنه الشيخ علي فؤاد النوراني في شيء سماه الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الرد والشوق والعتاب والاعتذار والقطعة والامتنعاف والرجاء والشكر والتمنازي والتهاني وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحاً أكبر منه وإن شئت قل أنه نصف كتاباً أخرجه عامشاه وسماه شرحاً وإن كان أكبر ما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه لبيت الآتي
إني لأبصر من أفعالها عجبا الوصل ينضيبها والصد يرضيها
فانه لا يبين المراد من البيت في شرحه وإنما يتكلم عن أقسام الفعل فيصرف فيذكر المجرى والمزيدة والمفعلة والسالبة والمضاعفة والمهورة وغير ذلك . كذلك شرحه لبيت الآخر

أكرم الوجد والآلام تظهره هيات هيات ذوطب يداويها
قانه لا يذكرك في شرحه الأنموذ منفتحين في أسماء الأفعال كأنه يشرح كتابا
في النحو والصرف

قل المؤلف في فائحة كتابه « وكل ما فيه من التثنيات ابتكاري ، كما أن
بعض ما به من الأيات اختياري »

« يعرف المرء باختيار وجمع ودليلي على الأدب اختياره »
وقول انه ليس فيه شيء من الابتكار ، وهالك هذا التمدح مما فيه من
المنظوم والمشور وهو ما قاله في أول قسم الاستطاف بعد آيات كثيرة
« مهيا في النجني علي أفرغت ، وأذقني بصدك الهوان ، فروحى لودتك أوهبت ،
يا إنسان كل إنسان ،

فأشكر غرامي وما أعاني وألني
قطعت جبل ودادي ولم أحن لك حقا
وبني تبدلت غيري فأله خير وأقي

لكن ... عهدي بمجمل خصالك ، وقوفي على خبيب هجرائك
لئن كان بالسوان غي عواذلي لكم حدوا والله قد كذبوا بما
عن الحب والهدد القديم وودكم وحق الهوى ماضل صاحبكم وما
لهمني الشجر أوردت ، ولعيني السهد وهبت ، والي الارق بشت ، والهي قد روعت
فواد اشتياقي وقل اصطباري ولم أستطع في هواك المجرع
فوادى أسرت قبادي ملكت اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حفار النول كنت وجدي يا خير مأمول عدت رشدي
فن على يزد الجواب وحقق اني به لقنوع

دامت لك عليك ولا أعدمني الله بحبك والسلام اه
ولا يحسن القاري انا قمنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه
بل هذا من أحسنه فان أسماء بنا الظن أوردناه أياتا كتب بها الى صديق آخر وهي

أيامن قلق أهل العصر طرا
أماأت اليك فاستوحشت مني
فصرت أقارع الأحوال ضنكا
وأصرخ في (الشوارع والحواري)
وأزدي دمع عيني فوق خدي
ولما أن رأيت عيناى موتى
أتيت اليك معتوقا بذنبي
أؤمل فيك انك تف عني
فأقضي بفضلك ندي عفو
بما أبداه من شرف الطباع
وأبدت التواصل باقطاع
وأنتف شعر رأسي من مجاعي
بأصوات كأصوات الضباع
ومن أسنى أعض على صباي
وان الروح مني في النزاع
ورجلي فوق كتفي بانخفاض
لأنك بصر جود ذواتساع
لاشفي القلب منه بالرضاع
هكذا جاءت هذه الايات في الكتاب فلا نطن ان مطبعنا حرفت

فيها أوصحفت

هنا يقول انقاريء مابال النار أطال في الكلام على هذا الكتاب وخالف
عادته في مثله وانا أقول له ان السبب في ذلك التعريف بمكانة كتاب كنب مصنفه في
أوله انه ورد اليه ٢٦ تقریظا له من أكابر العلماء وفاضل الشعراء وذ كرمها تقریظا
للشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهى بالامس يشهد
فيه للكتاب بأنه مفيد نافع

وتقریظا للشيخ محمد نجيب الحنفي المشهور يقول فيه « وبعد فتبدأ ملئت على
كتاب مطبخ الفصحاء بل مرتع البغاه فوجدت من بحور الادب درر منظومة في
سلوك الذهب تزري بثلاثه القيان في نبحور الحسان كيف لا وقد حوى من
الثر أغلاه ومن الشعر أعلاه فجرا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء واكثر من
أمثاله النبلاء وجل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلفه الأمة والوطن آمين »

وقد كان حظله من كبر الجرائد كحظه من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد
قرظه تقریظا جملة فيه منتهى البلاغة . . . افيلام النار بعد كله أن أطال القول فيه

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في الإصلاح السياسي والاجتماعي وله أسلوب رشيق وكثيراً ما يبرز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندي قيعين وهو من أدباء السوريين المأوفين باللغة الروسية - أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالعربية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفاً . عنوان المقالة الأولى (الملك الراضع اللواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجميلة) وعنوان الرابعة (اليهود) ونحن هذه النخب ٣ قروش صحيفة

﴿ غرائب الاسرار - جاسوس الازام ﴾

غرائب الاسرار قصة مؤلفة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسمه (جاسوس الازام) حسن أفندي موسى (ضابط بالاستيداع) فأما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرائبها من الحوارق والشعوذة وفيها من الرموز والامرار ما يشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ القضية والذيلة ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أوتيه أحد كتاب الفرنسيين وترجمها بالعربية محمد أفندي كرد علي منشى مجلة المنقبس وأحمد محروني المويد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات بين فتر من الادباء والأديبات ، ولها تجد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالعربية فالقصة فيذك مالانكا دمرض من كتاب اخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكافة الأدب عند رآثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبها وثمنها ١٥ قرشاً

﴿ المجرم البريء ﴾

قصة فرنسية الاصل زوجها محمد أفندي كرد علي لجهة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزاء وهي على كونها قصة غرامية تشرح لقارئ مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعتماد على القرائن القوية في إثبات البنايات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فن لا يبيح الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لاحقة في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل لك في أولها رجلا عاديا على آخر في بيته قتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قرايطيس لامعدنا وقد رآه من داره وهو منليس بقتل جاره كل من زوجه وبنته وخادمتهما وكان ذلك ليلا والا واري في بيت القتل مناعة ولا عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا لعادته عاد شعنا مضطربا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المالية التي قدت من القتل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما لم نشر اليه كلها شبهات تشرح القصة حقيقتها بعد شرحها بالامهال

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالبرية نسيب أفندي المشعلاني بطلب ادارة الهلال وعلى فقرتها طبعت ومن مكنتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاعتماد الفطري لرياسة وجبات الحوادث مربية لهذا الاعتماد حتى بلغ منتهاه . والقصة في جملتها مفرقة في قالب مقبول ونسقتها مقبول غالبا يقل فيها التلو المتقصد كرم الاتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الإسلامية وأوروبا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية صنفه بعض فصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

الأمين والمأمون

في الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الترامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان ويشرها في الهلال « وتُشتمل على ما قام بين الأمين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنعرة المأمون حتى قتلوا بضداد وقتلوا الأمين وأعادوا الخلافة إلى ابن اختهم (المأمون) ويتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي انقام ذكره من الآداب الاجتماعية والعبادات والأخلاق » . وما يشرحه فيها ان الفرس كانوا منتمين بالعصية الجنسية متعمدين إزالة الملك من العرب وجعله فيهم وإقامة خليفة من العلويين يكون آله دينية في أيديهم وان الكثيرين منهم كانوا يظهرون الاسلام ويخفون الجوهرية لينتخبوا من نخبة المسلمين عربهم وفرسهم . قد كررنا هذا بالعصية الجنسية التي عاها الاسلام وأما فاحياها بعض المناقذين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر بمصر باسم الوطنية بعض المتونين بالشهرة فنسأل الله ان يقي الاسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر يقتضي بهلاك جميع المسلمين لا يقتلب جنس منهم على جنس آخر كما كان من قبل

رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي

نشرنا في هذا الجزء أثاراً تاريخية من هذه الرحلة وسنقل غيرها وهي رحلة جلييلة ذات فوائد طيبة طبعها ثانية العالم المنشور كوريج في هذا العام طبعاً متقناً على ورق جيد وقامهاك باقتان الأفرنج وعنايتهم بالضبط وما يضعونه للكسب من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى إلينا نسخة منها مجلدة تجليداً حسناً فتشكره لنشره آثار سلفنا وخدمته هو وأمثاله لفتنا

الصراط - مجلة جديدة تُطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها « مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية . قيمة الاشتراك سنوياً عشرة قروش صاغ وللازمة المدارس خمسة قروش » وهي قيمة قليلة وان كانت صفحات الجزء من المجلة لا تزيد على عشرين صفحة فتسنى ان يكون هذا الصراط موصلاً إلى الفوائد النافعة

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْإِنْسَانِ

﴿ المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء ﴾

كتبنا في السنة الأولى النار فصيحة فيه لسلطان مراكش أنفرداه فيها بأن طوقان أوربا لا بد أن يفيض على بلاده فيضمها إن لم يبادر هو إلى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمالية. ثم كنا نعيد التصائح والتذمر مرة بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبنا في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي (١٠١٠: ١٠١١) وما تنفي الآيات والتذمر عن قوم لا يؤمنون) بالأسباب والمسببات ومن الله تعالى في الامم وأما يتصدون في دفع الضرر وحفظ المصالح على الخوارق وكرامات الاولياء مع ما درجوا عليه من التقاليد والعادات لا يقبلون وراء ذلك إصلاحا، ولا يفتنون بدونه فلا حلا، وقد سبق لنا بيان النجائهم الى قبر مولاي إدريس وجوار أهل العلم الديني عنده بكلمة «الطيب» ليدفوا بذلك ما طلبته فرنسا من السلطان يومئذ فيرجع الى ذلك في المحل الثامن من اراد

مرت الأيام والسنوات وأهل هذه البلاد «يفتنون في كل عام مرة أو مرتين» أو مرات «ثم لا يتركون» من قريتهم وغربهم «ولا هم يذكرون» ما حل بأمتهم من الأمم والشعوب الجامعية بحال هذا العصر وروقي أمه وما يجب من اعداد القوة لمداومتها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ما هي عليه من الاستعداد وكل ذلك مما يرشد اليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن ابن أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن هم يعتقدون أن قراءة تفسيره نيت السلطان وحياته عديم أولى من احياء القرآن، ثم ماذا تقدم قراءته اذا كانوا يعتقدون ان الاحتفاء به من الاجتهاد المنوع بهمك شيوخ التقاليد الجامدين، وان الدين لا يؤخذ الا من كتب التقوا الميتين، كما يفهمها أصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين، وهم يرون ان العلم

والفنون والصنائع التي بها تصنع آلات القوة كالبنادق (ويسمون بها المكمل) والمدافع والبواريج الحربية كلها محرومة لا يجوز للمسلمين الاشتغال بها كما يرى ويستند ذلك أشباههم من أصحاب العمائم في أكثر بلاد المسلمين، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين، وكانوا سبب هلاك المسلمين،

مرت الأيام والسنين فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاربة أوروبا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اعتدى بعض المتأربة على العلة الأوربيين في مرافق « الدار البيضاء » وهي من حواضر مملكة مراكش فتفتح بذلك فرنسا باب استعمال القوة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ما كانت تبغي أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالقبائل تهاجم الدار البيضاء فتلاقيها المراكزية بمداخلها ومن ورائها البوارج تساعدها يد فيها تفرق شمل القبائل وتسفهم في الهواء نسفاً ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المتأربة واستبأسهم فسلطوا عليهم عسكرهم من مسلمي الجزائر لملهم بأنه لا يفل الحديد إلا الحديد وقد ترك المتأربة المهجوم إلى حيث نالهم مدافع البحر مهما عظمت شجاعتها للمتأربة فأبنا والجهل قائدها لا تنكفي لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها ما يزيد فرنسا منها فإن الجهل لا يغلب العلم والاختلال لا يملو النظام فإذا كان أهل المغرب الاقصى أسوداً فإن العقلاء من البشر قد عهد منهم التصرف في الأسود وحبسها في بلاد ما هي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجعلها مع ذلك في مواضع الغزاة يأمن برؤيتها حتى النساء والولدان . نعم ينظر أن تكتب فرنسا في تذليلهم كما نعت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى والتقوى تفسر في كل مقام بحسبه فهي تفسر في باب الحرب والصدام باتقاء أسباب الانكسار والخذلان ولا شك أن فرنسا هي المتقية ما يجب اتقاؤه في هذا المقام بالتدبير التام وإعداد ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذ العقلاء ولا يدري به الجهلاء وهو من قبيل السبل يضرب جلوداً بجلود إيقاع الشقاق بين الزعماء في الحرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والمتحاربين له بل قامت طائفة عظيمة من الأمة فما يست

بالمك مولاي حفيظاً (أوعبد الحفيظ) أخا السلطان عبد العزيز بتوى من
العلماء فصار في البلاد سلطاناً سيحارب كل منها الآخر فيكون فرنسا شر قوة البلاد
يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجأ إلى فرنسا لتحفظ له
سلطانه وتسكفه شر أخيه كالجأ توفيق باشا إلى انكلترا في إبان الثورة المراية
وبذلك تحتل فرنسا بلاد مرا كش احتلالاً رصياً يسمى موقتا وتعمل عليها فيما
باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها رأي
حاسة أوربا في استثمار بلاد المسلمين لأن حكمهم باسم أمراءهم وملوكهم أقرب
إلى السلام وأبعد عن النزاع والحصام

انه ليعزتنا أن نرى مملكة اسلامية في الشفاء الذي أحاط بمملكة مرا كش
ولا يسرنا أن تبقى على ما هي عليه أو على ما كانت عليه إذا كان ما اتابها الآن
مبدأً للانتقال من حال إلى حال

وانه ليعزتنا أن يكون انتقالها بقوة الاجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا
لا نرى متذا لحيط من خيوط أشعة الرجاء في أولئك الرجال الجبناء فباطلنا
نصنعنا لهم وأنفردناهم البطشة الكبرى (٥٤ : ٣٦ فهاروا بالنذر) بل كان مثلاً
ومثل سائر الناصحين منهم (٢ : ١٧١ كتل الذي ينق بجلا يسم الادعاء ونداء
صم بهم عي فهم لا يفتلون)

ان أهل النقل والعلم من طلاب الإصلاح للمسلمين تفتى قلوبهم لو يدوم
سلطنة مرا كش استقلالها وتعمل طوفان أوربا عنها حتى يكون اصلاح حالها
من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لا مطمع فيه وتذكر
ان من المدة العامة في الاكران ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقتذف
بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن
الارض يرهبها عباد الله الصالحون أي لموارثها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة)
ولا شك أن العلم بالنظام وطرق العمران وتأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به
الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل وان الاوربيين يعدون
بالنسبة إلى المغاربة من الصالحين لاستثمار الارض الذي امن الله علينا به كما قال تعالى

(١١: ٦١ هو أننا كم من الأرض واستمر كم فيها) فكان الكتاب العزيز مؤيداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المغاربة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام الآن تنوب وتقيم الميزان بعد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان. ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الأرض إلا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجهل والخلل والافساد في الأرض هو الذي يخفف من ألم حسرة القلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الإسلام فإن من يقضي القرآن بزوال دوله لا تكون دوله إسلامية ولكن قد تكون مسلمة وبهذا نرى الإسلام يحق من مناقضة أصول المصانف العلمى ونجعل ذلك على أعناق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الأوربية ﴾

إن أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الأوربية يخشون أن كل من تلقف لغة منها صار من العلماء الاعلام والحكام المرشدين للأفام ولكن هؤلاء المتعلمين يمدون بالألف ولا نكاد نجد واحداً منهم في الألف فيد أمته بكتاب يفضل بغير العارفين بهذه اللغات وأنا نرى أن نمر ما يكتب كائهم في الجرائد أو غيرها في منتهى السخف وضعف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الأوربية وسيلة للعلم ليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بهونه ولا فهم

إذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علماً وبصيرة فإنه يوجد فيهم أوف لم يستفيدوا إلا الفرور والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الأجنبية التي يعرفها إلا عوناً له على إضاعة ماله وشره ثم هو يفاخر بالثقوة وعلمها ويحتقر علوم العربية من دينية وغيرها ويحط من قدر أهلها

للاستاذ الامام تاريخية كتبها قبل أن يعلم اللغة الفرنسية كتابات الوقائع المصرية ومقالات العروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بعد تعلم هذه اللغة أهل على

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل وجدني هؤلاء الألوفا من المعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكفرت ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والهند . ولا غرو فكل العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوروبية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوروبية ولكن ما كتبني الاستبداد لا يوجدني فلاحقة أوروبا كثيرين يكتبون أحسن منه أو مثله بل الذين يعرفون لغات أوروبا وليس لهم من علومها سهم يستد به .

وما لي لا أضرب لهؤلاء الغرورين الأمثال الابن ماؤا فهذا رفيق بك العظيم فليأثروا بكثير من مثله من منطلي اللغات الأوروبية . وهذا صاحب جريدة المؤيد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة الأقواء العارف باللغة الفرنسية

فليخض الغرورون برمّة اللغة الأجنبية من غرورهم فان الناس تفاضل بالعقول لا باللغات فقد العقل الكبير قد يقبض العلم من الوجود كما اقتبسه جميع الفلاسفة وان لعامل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيدة من يتايمها وأصولها . ثم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع طامعه قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستفي عن طائفة من الأدكياء يعرفون لا اقتباس تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستفي عن طائفة يحبون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يستعمل لأحياء الأمة يقومات الأصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوماً من غيرها أظهر لان قد العلوم الأجنبية عنها قصص وقد مقوماتها الإتيهت وفناء فهل بقي بعد هذا البيان من غير بعض الأغرار المفسوخين بما اتفقوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تقييس العلماء بعضهم وتاريخهم اذا كانوا لا يعرفون منهم تلك اللغة

على أن وراء العلم الذي تعد الفئات وسائل له أمراً آخر هو مناهج الاستفادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والإخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والهمة وغير ذلك من الفضائل فإذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لغات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الاحتمال من قسوره ونظرنا في حال الذين قال أنهم أوتوا نصيباً من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلهم شهواتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لا مثال هؤلاء كالسيف في يد المهنون يخشى ضربه ولا يبرحى فضله للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سيد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعيها الأستاذ الامام وسنتج أروباها الطالبين الذين عملوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للإسلام في هذا العصر وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون في التعليم ما يرغب فيه ككونهم يشهدون بحاجات ويتقدمون في المدرسة ومنهم من يأخذ مرتباً شهرياً وهم أصحاب القسم الثاني من تلاميذ مدرسة المعلمين الحديثية وأرسل البعث إلى أوروبا لتلقي العلوم العالية في انكلترا وبنها في البلاد بعد عودتهم فأتوا أن شاء الله تعالى وهذه البعث أكثرها من الذكور وبعضها من الإناث وقد انتقد إرسال بعض البنات إلى أوروبا من انخدعوا فبيع أعمال الحكومة دلائل على جهلهم للوطن وأهلهم ولعلمهم أن السواد الأعظم لا يزال من الجبلية الذين يصدون تعليم البنات من المنكرات فهم يحضون على قبح إرسال البنات إلى أوروبا بكونه مخالفاً لرأي الأمة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الأمة من عهد محمد علي إلى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتابات القديمة والأزهر أن جميع عقلاء الأمة البارزين بما يتفهمها ويضمرها متفقون على أن تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كلها نعم انهم يختلفون في قدر ما ينبغي أن تعلمه البنات، ورأي كثير من المعتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لمن وأنه لا حاجة إلى ضرورة التعليم لغة أجنبية، ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يمارض وجوب تمييز من تعلم لتكون ممتعة في المدارس على سائر

الخطبات فان من لا يتجاوز علمها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون مطلة فيها . ثم اتنا مادنا عالة على الافرنج في علومنا ومدنيتنا وما دام أمر حكومتنا ومنها ادارة مدارسنا في أيديهم أو تحت إشرافهم فلا بد لنا من معلمين ومعلمات من أهل العلم الاوربي الذين يلقون من معدنه عن أهله بلفتة حتى لا تقوم علينا حاجة القوم بأنه ليس فينا أكفاء يتولون التعليم لاسباب تعليم البنات . فوالسبل بعض البنات القواني يرغبن هن وأولياؤهن بأن يكن معلمات في المدارس الى أوربا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المعلمات الاوربيات لاوسيلة سواها وينبغي أن يحضرن من البيوت التي حسنت تربيتها بالدين والأدب على أن الامانة اذا مرت فيها الحياة المنوية سر يائنا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بين استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المصلدين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بهنق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كمثرات من المشتغلات بالعلوم الكتابية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالامانيد والتصدي لتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل اليانا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبته التي قراها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نجباء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فاتحته معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجبابرة للمجاهدين وإرثهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد ينارأينا في الخطبة من خمس جهات - كونها من عام رسمي وكونها من رجل يمدن بطانة الأمير والمقرين منه وكون التنديد بكلام بلورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بسند نصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادئ الجامعة الاسلامية الذين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا لشبهات التي تضمنها كلام اللورد على الفقه الاسلامي كما قال أو على الاسلام كما يريه الشيخ شاكر وأمثاله ؛ ولكن هذا الجزء لم ينسج لما كتبناه فاشترنا اليه بهذه الكلمات

[illegible]

١٣١٥

၁၉၄၆ ခုနှစ် ဇူလိုင်လ ၁ ရက်နေ့

✽ قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوي و « منارا » كثر الطريق ✽

(مصر شعبان سنة ١٣٢٥ - آخره الاثنين ٨ أكتوبر (ت) ١٩٠٧)

السنوسية والجامعة الإسلامية *

« حقائق ناضجة ياتها »

لقد ظهر لقاري من المقالة التي ترجمتها الجريدة من قلم ضابط انكليزي له الاطلاع على أحوال أفريقيا الإسلامية ان الاوربيين غير غافلين عن سير المسلمين في سائر شؤنهم وجميع أقاليمهم وراهم يظهرون من الاهتمام بعض الذين لهم زعامة دينية وبكل ما هو مغلة القوة والاجتماع ما يبين للسامع ان رابطة صغيرة بين جماعة قلبية من المسلمين ترى في نظر الاوربيين غولا يفضى اغتياله ويجب ان يحال بينه وبين النمو لتلا يكون شره مستطوياً

والامثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها الآن بما يقوله هذا الكاتب الانكليزي الذي ترجمته « الجريدة » قال :

« وقد ان ترى في أوروبا من يعلم شيئاً كثيراً عن هذا المذهب حتى لو سمع معظم الاوربيين كلمة « سنوسية » لما فهموا شيئاً مع انها لفظة لما في آذان فاهمها وقم شديد ومعنى مرضى . وما يعلم عن هذا المذهب وان قل فبني . باقتدار ففوزه وقوته وأنه على مضادة لاوروبا لا يبعد ان يكون السبب في اضطراب واهوالها بما افضت الي كسح النصر الايض من أفريقية كما ننبأ بذلك الدكتور كارل ييتز وهو حجة » ان هذا الكاتب الانكليزي قد عظم من هول زعامة السنوسي تعظيما جده يستدبر الصواب استدباراً وازاء قد عزا لهذه الطائفة كل حركات عروق المسلمين في قلوبهم واحشائهم ولا يستطيع الواقف على حقيقة الحال الان ان يضيف في المعجب اذ يراه يقول ان مصر من جملة البلاد التي يسري فيها نفوذ السنوسي وأنها تحركت بأصابع من هذا النفوذ فيا للمعجب متى تحركت مصر وكيف تحركت وما هي حركاتها وان هو سلك الاتصال بين حركاتها والكهر بائية السنوسية ولكن ليست مصر وحدها في الانجذاب الى هذه الكهر بائية على رأي الكاتب بل كل حركات

« نشرت (الجريدة) ترجمة مقالة لضابط انكليزي تكلم في السنوسية والجامعة الإسلامية كلاماً خالياً بمقتب عليه السيد عبد الحميد الزهر وي المحرر بالجريدة هذه لانه لا

قلوب المسلمين هموماً وأفريقيا المسلة خصوصاً فهو يقول :

« ولا ينكر أحد ما يشمل الاقطار الافريقية المسلة وغيرها من السخط العام الآن واليك شاهداً على ذلك حرب الصومال والحركة المصرية وتورق زولوا والقتال الذي في مستعمرة المانيا الجنوبية الغربية وحوادث شتى بالشام والجزيرة . خطوط متغيرة لكنها تنفر بالخطب الاكبر والهداية القوية . ثم اخذ الى ذلك مسألة المغرب الاقصى ومصاعب فرنسا في شمال افريقية والحركة الاثيوبية (الزنجية) في الجنوب »

ويقول في مكان آخر : ويظهر ان الاضطراب الذي جرى عصر حديثاً كان سببه دعاء الطريقة السوسية هناك وان كان السوسيون لم يريدوا ذلك الهياج ولم يستنوه لهيبه قبل اوانه ولذلك لم يهضوا بتفذية الفتنة التي اتجهوا » ويقول في الختام : وخلاصة القول ان السخط بين اهالي افريقية عام طام فشرارة واحدة تفرم التيران من أقصى افريقية الى اقاصها وفي زهي ان السوسية هي مصدر الشرارة التي لا بد ان تصيب لهم السخط المستمر في صدور الاهالي »

ان امثال هـ هذه الكتابة تدعونا الى ان تفكر ونستقصي بالبحث عن تفاسيرها . ولا يظهر لنا من خلال المذاهب المتعددة في تفسير هذا الاهتمام الذي يظهر هو لا الكتاب الا ان اقوم مضطرون لهذا السهر والتجسس على شؤون البلاد التي ملكوها والتي يطمعون ان يملكوها فهم قد عرفوا ان القوة بالتضام والاتفاق وهم يدون ان يقطعوا من البلاد التي يطمعون بها كل ارومة للتضام ويحرصون على ان يمحشوا كل سنخ لقوة . وقد زعموا ان الطريقة التي عليها السوسية هي ارومة عظيمة لتجمع المسلمين الثاقين على اوطانهم هذه الجماعة التي حوله سيكونون يوماً جيشاً جراراً كالجراد يلقف في طريقه كل نابتة من الاوربيين

إما أن تكون هذه المزاعم مصطنعة لتنظم الحكومات الاوربية في عين شعوبها هول « الخطر الاسلامي » كي تكون تلك الشعوب راضية عن كل ذلك بهذه الشعوب ليقطوا دابر كل نصاب بينهم ونصارف ونماطف حتى يكونوا اقذاذا مقطعي الاطراف مشرفين على الاقتراض من غير رثاء وإما أن تكون قائمة في اذهانهم خطأ أو اسرافاً في سوء الفهم أو تكبر في تخيلاتهم من مظاهر التآخي

الذي . وخلق بنا على كلا الوجهين أن لا يمر بهذه المسئلة متجاهلين هذه المواضع التي عليها ينشأ صرحاً من سياسة الاسراف بسوء الظن . والكلام في روح هذه المسئلة وهي الرابطة الدينية والجامعة الاسلامية تدور حوله اغلاط كثيرة تقع من باحثينا وباحثيهم والاعلاط منشأ سوء التفاهم ومنشأ التافر الذي ما برحنا نراه يتعد في عهد كنا نظنه يقتصر فيه . فلذا رجعنا اليوم أن نقوض غمار هذا البحث غير رامين الا الى تجلية الحقائق التي فعلها وكلامنا ان لم ينفع في دوائر السياسة ينفع في دوائر العلم التي يطوف حولها الشرقي والغربي متصافين ونرجو أن يأتي يوم تسو فيه الحقيقة في هذه المسئلة على المزايع - مصطنعة كانت أم خطأ -

(١)

الخط في الجامعة الاسلامية

مركز الدائرة في هذه المسئلة هي الجامعة الاسلامية وقد شغف كثير من الباحثين منا ومن الادريين بلوغ الحقيقة في هذه النقطة فأبى على أكثرهم واستقصت بحسب من التشابه ففى السبيل على الطالبين واتقسموا فرقاً وسلكوا مذاهب أعظم الدين اعترفوا بأنهم لم يروا وجه الحقيقة ومنهم من وصف النبي شبهه زاهماً انها هي الحقيقة . والذين اشتهروا الوصف والبيان ولم يطبقوا ان يظهروا المجرى من بعد البحث والنظر قد اختلفت أقوالهم فمنهم من ثبت وجود هذه الجامعة ومنهم من ينفي . والمثبتون منهم من يشكك به ومنهم من يثبت . ومنهم من لا يثبت عليه أملاً . ومنهم من لا يرجس منه وجلاً

لكن يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها الكتاب الأوبين ان في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة وان فيها خطراً على المستعمرات الاوربية أو قد نحدثون عاصماً عظيماً يوماً ما من بلوغ أوربا أمانها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاعاً تاماً . ويؤكد هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشافين

والكتاب المسلمون بهبل أكثرهم الى تصديق هذا الخلق الاوربي وتفتي أقلامهم بان المسلمين كثيرون وكلمهم في الدين اخوان وان مستقبلهم حسن بواسطة

كثرتهم وجامعتهم الدينية وعلى شيء من هذا بنى السيد توفيق البكري كتابه
« مستقبل الاسلام »

والغريب في الامر ان أكثر الباحثين في « الجامعة الاسلامية » يتون
فيها الاحكام من غير ان يقولوا لنا ما حقيقتها وما تاريخها . أفلا تلاحظون وضوحا
أم لأنها ليس لها صورة حقيقية واحدة فهي تصورا يقوم ظلالها في خيال الكاتبين

(٢)

— حقيقتها —

الجامعة الاسلامية الاتفاق في كلمة واحدة وهي أن القرآن كتاب الله جاء
به محمد رسول الله ولكن المطلع على تاريخ المثقفين هذا الاتفاق يعلم أنه لم يدفع
عنهم الاختلاف الذي لا اتفاق معه بعد فتنه اختلف المسلمون قامت جامعتهم ولم
يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ولا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . فما هي جامعة
قوم مخطئين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافا سياسيا واختلافا دينيا قتل بعضهم بعضا
ويستعين بعضهم على بعض بأهل المال الخالفة من الاماس . ما هي جامعة قوم لم
يقتل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى منذ مقتل خليفةهم الثاني الى
يومنا هذا . ما هي جامعة قوم يسر ملوكهم المخطئون بذهاب ممالك ملوك آخرين
منهم . ما هي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبا شرقيا (هولاء كوي)
أكتسح بلادهم وهم في عزم فلم تضام أيديهم على مقاومته وكانت لا تزال قوية
على قتال بعضها بعضا . وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبا غربيا (الصليبيين)
حاجم بلادهم فلم يجتمعوا كلمهم على طرده حتى حركت الهمة ملائمة منهم قويت
وحدها على صدّه

الجامعة التي يلفظونها بها هذه هي : « صورة مكبرة في خيال الأوربيين منقوطة
من دعوى المسلمين الأخاء الديني . وصورة مخبوءة في خيال المسلمين منقوطة من
مس الحاجة الى مثلها على رأيهم » ثم قد أصبح لها بين السودئين ظال في الوجود
قام عليه الحساب الحاضر فالأوربي يقول يجب محو هذا الظل لتلاصيح رجبك حقيقيا
هائلا ويندبون في محو مذاعب كاريين في كتاباتهم المتنوعة المختلفة . وللأسلم

يقول يجب جعل هذا الظل شعباً حقيقياً ليكون بهيته حامياً حقوقنا أجمعين ولهذا عظم تشبث المسلمين هذه السنين الأخيرة بمسألة هذه الجامعة الإسلامية لإدلاء على التضام والترابط ولكن لا يصنع هذا شيئاً ما دام الاختلاف الديني والسياسي قاضين أن يدوم قتل المسلمين بعضهم بعضاً ويقعد بعضهم عن نصرته الآخر . ولو تدبر الأوربي والمسلم لاتفنا الى أمر نافع غير هذا لأن الظل لا يصير شعباً ، لو تدبر الأوربي لحرف أن الجامعة الإسلامية قد تحتلها الامراف في اباداة ملك المسلمين ولحرف المسلم أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم السلم الصحيح عندهم مقام التقاليد وتكون الجامعة يومئذ جامعة قومية

(٣)

— السخط العام من الأوربيين —

لو تدبر الأوربيون لعلوا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمون به ليس ناشئاً من الجامعة الإسلامية بل هو ناشئ من سوء الإدارة وهو يجر الى هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين ويشهد التاريخ أن شعوباً كثيرة هاجت على حكوماتها نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين فإذا لم ينتظر الأوربيون من المسلمين الذين تحت حكمهم هياجاً الا باسم الدين قاتهم سوف يتسبون من سوء نتائج هذا الخطأ على عمادي الأمام

(٤)

— خطر الجامعة الإسلامية —

وعندي أنه ان صح أمر الجامعة الإسلامية لا ينتظر منها الشر الذي يندر به كتاب الأوربيين الا أن يكون الشر عندهم هو صد المطامع وإيقافها عند حد . ولماذا لا ينتظرون الا الشر من قوم كان لهم دول عظيمة فلم يسبوا الى بني آدم كما ينتظرون منهم الآن

(٥)

— السنوسية —

أما السنوسية فطائفة في الصحراء بين طرابلس ومصر ملتفون حول شيخ

طريقة في الارض كثير من أمثاله وأمثاله . واضح هذه الطريقة هو السيد أحمد بن إدريس وهو رجل من صوفية المغرب وعلمائه رحل الى اليمن وتوفي فيها وهو شيخ الأستاذ المرعني المشهور وشيخ الشيخ ابراهيم الرشدي وشيخ العلامة السيد السنوسي «محمد علي» المولود عام ١٢٠٤ في مستغانم وقد طلب العلم في فاس ثم رحل الى مكة فلقى أحمد بن إدريس فأخذ عنه التصوف وخلفه في الطريقة وأحب أن يؤسس له مركزا في الحجاز فلم يساعد على ذلك فعادر الزاوية التي بناها في جبل أبي قيس (عند مكة) ورحل الى طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ ونزل في الجبل الأخضر وبني هناك عدة زوايا ثم رجع الى الحجاز سنة ١٢٦٣ فأقام بمكة سبع سنين يقرئ الحديث فيها ذكره وزار مصر عائدا من الحجاز فاجله عباس باشا الحديدي اذذاك وهرج الناس في يارته . ولما كثر مريديه في صحراء ليبيا أراد أن يستول البلاد التي فيها الأمر والنهي للحكومات بمروقة فأرسله مريده الى جنوب ليبيا ووجد الماء هناك فبنى زاوية عام ١٢٧٣ هـ وأقام فيها بين عرابان البادية الى أن توفي عام ١٢٧٦ هـ خلفه ابنه السيد محمد المهدي السنوسي وقام مقامه بشمر الطريقة وازداد عدد المريدين على عهد هذا ودخل في مريديه ملك وادي فذلك أصبح مقامه في تلك الجهات كقام الملوك لأن مريديه يعيرونه عن طيب نفس المفروض عليهم من زكوات أموالهم وهو يصرفها على اللاجئين الى تلك الزوايا من الضعفاء والمراطين وبناء السبل

وكل من عرف السوسية حق المعرفة يمتدحهم على قيامهم في كبد هذه الصحراء بما ينفع بني آدم من الموائحة وقتل الشرب والقتال وإيواء ابن السبل وتعليم الجاهل وإرشاد الفضال فلماذا لا يترقب كتاب الأوربيين من هؤلاء الأكمل شروهم قوم قد جاهدوا جهدا استناعتهم عن هذه السياسات المبنية على مالا حله من الطمع . ولا ذنب لهم الا شبه قوة على الدفاع

هذه حقيقة السوسية لا مازعها الكاتب من أنها جسيمة مياسية في لباس ديني تترس بالأوربيين يوما عموما قطريا يكون شره من سيوفهم ونادقهم مستظيلا هذا ولقد حاول جلالة السلطان استدعاء السنوسي الى الاستانة بإحضار من

سياسة أوربية فلم تتجح هذه الدعوة ولم تكن نتيجة البشة التي بثت لهذه المهمة
الابادال التحبات والهدايا فالسنوسية في منزل عن هذه الامور ولا نفلن بالسيد
السنوسي شيخ هذه الطائفة اليوم انه ينبغي من وراء هذه العروة الدخول بنفوس
خلق الله الى المذابح البشرية وأبعد شيء عن الصواب زعم الكاتب وأمثاله
ان الفروض الدينية هي التي تحمل على اباداة غير المسلم وهذا انتهى الجهل بالتاريخ
وقانا الله سوء نتائج الجولات
عبد الحيد الزهراوي



﴿ الجامعة الإسلامية ﴾

كتب رفيق بك العظم الشير بمباحثه التاريخية والاجتماعية رسالة في الجامعة
الاسلامية اشرفنا اليها في الجزء الماضي ووقاء بالوعد تقبلس منها ما يأتي

﴿ هل صحيح ما تقول أوروبا ﴾

﴿ عن الجامعة الإسلامية ﴾

علت أيها القارئ من هذا التوبيخ ان الاجتماع يستدعي بطبيعته وجود
الروابط القومية والوطنية الخ وان الفرض من هذه الروابط حفظ التوازن بين قوي
المجتمعات الانسانية الميالة الى الغلبة بحكم الانانية والطبع وان أقل هذه الروابط
تأثيرا في المجتمعات رابطة الدين وان المسلمين لم يفهمهم هذه الجامعة يوما حتى
ولا على الثماون على دفع الكوارث الكبرى التي حلت ببلاد الاسلام من هجمات
أهل الصليب والتار ولو اجتمع المسلمون امام أمثال هذه الجوامع الكبرى سواء
في ذلك الوقت أو الآن أو كل زمان لأتوا عملاً تستدعيه طبيعة الوجود لاصبة
فيه ولا مواخذة عليه الا اذا سمحت من صفحات الوجود قوانين الروابط الاجتماعية
بحكم الاخوة الانسانية والمساواة العامة بين افراد البشر وأقوامهم ولا يكون هذا الا
اذا استبدل البشر بخلق آخر من جنس الملائكة المطهرين
اذا قرر هذا فاعلم ان دعوى القائمين بنظر الجامعة الاسلامية المتروكم عنناه

الذي يريده أولئك القائلون مدفوعة من وجوه

الوجه الأول : ان الجوامع الجنسية غالباً عند الام وأخصها الأمة الإسلامية لهذا ترى المسلمين قد مزقهم الاوريون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية دون أن يجد بعضهم يد المودة الى بعض باسم الدين والجامعة الإسلامية لتلبية العصبية الدينية ولتخاذهم المعروف الثاني عن تحاسد أمراءهم الذين أحامهم الجبل وحب القات والافاقية الباطلة حتى عن الاختصاص بالجماع السياسية التي تقتضي بها أحياناً المصالح المتحددة بين دول الارض

الوجه الثاني : ان المسلمين ولو اجتمعوا باسم الدين لتأهضة دول أوروبا فلا يكون اجتماعهم خطراً على المدنية كما يذهب اليه سياسيو المغرب بل يكون وقاء بحق القومية ورجوعاً الى الانضمام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية الغربية التي اجتاحت أغلب ممالك الاسلام وكانت خطراً كبيراً على حياة المسلمين السياسية وقد أبنا فيما سبق ان قوانين الاجتاع الطبيعية تقتضي على الشعوب بالدود عن محبتها والحب عن استقلالها ما لم يصبح البشر كله في حقوق الانسانية والتجمع بشيرات الحياة سواء

الوجه الثالث : أن القول بالجامعة الإسلامية واتحاد الاسلام وغير ذلك من الالفاظ الوضعية التي أراد واضعوها ايفاد صدور الأمم على المسلمين اتماهي من موضوعات السياميين في هذا العصر لم ترد في تاريخ الاسلام وليس لها في الدول الإسلامية شأن غير سياسي أصلاً وهو شأن الدول القائمة والأمم القائمة في كل عصر وعلى تقدير ان هناك ما يدعو الى النظر باتحاد المسلمين في هذا العصر فنشأه اتحاد أوربا على كساح ممالك الاسلام واستعباد المسلمين فليسوا اتحاد المسلمين بازاء اتحادم الاتحاد الديني أو الجامعة الإسلامية أو الشرق والغرب أو ما شأوا من الاسماء أفلس معنى ذلك كله ان المسلمين يريدون الاعتصام بجامعة كبرى تقابل اجتاع الدول المسيحية على احتضام حقوق الأمم الإسلامية

من الصحيح أن الدول الأوروبية التي تسوخ لنفسها الحق بالاستيلاء على الممالك الشرقية والقضاء على حياة المسلمين السياسية لا تسوخ للمسلمين الحرص على هذه

الحياة بأن يحموا بقوة الاجتماع والتآلف فصارم ويصرون من عبث التافهين استقلالهم وإن ينادي ساستهم أن في وجود الجامعة الإسلامية خطراً على أوروبا وسبادة أوضع على سياسة دولها الموجهة إلى تدوير الممالك الاسبورية والافريقية ولا يجوز أن يقول المسلمون أن في وجود الجامعة المسيحية الأوروبية خطر على الممالك الإسلامية مع تحقق الخطر من قبل هذه واتفاته من قبل تلك

إن حاسة الغرب يوهمون العالم أن الجامعة الإسلامية خطر على المدنية لا سطهاها بسبغة دينية مع أنها خير على المدنية وأرجى نفع الانسانية لو قام بها المسلمون

واليك البيان

﴿ الاسلام والجامعة الإسلامية ﴾

من المعلوم بالضرورة أن معنى الدعوة إلى الدين هو ربط أفراد كثيرين وأقوام عديدين بمقيدة واحدة فالأمة التي تدين بدين واحد مسوقة بضرورة المشاركة في الاعتقاد إلى المشاركة في المواطن وهذا هو الارتباط الديني الذي قلنا أنه كباقي الروابط طبيعي بين البشر مادام لهم دين أو أديان والاسلام من هذه الوجهة كباقي الأديان إلا أنه يمتاز بأمرين جديرين بالنظر والاعتبار وهما تنويجه بشأن الأرباط الأخوي بين المسلمين ارتباطاً خاصاً ثم الارتباط الانساني بين الناس كافة ارتباطاً عاماً ومما جاء في الأم أول قوله تعالى في القرآن الكريم (إنما المؤمنون اخوة) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) وفي الحديث النبوي (المسلمون تكافأ دماهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وفي الحديث أيضاً (المؤمن المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً) ولقد كانت رابطة التعاون والإخاء عقيدة من عقائد المسلمين وإن تناسوها ولم يعملوا بها إلا قليلاً

ومما جاء في الأم الثاني في الرابطة الانسانية قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي الحديث (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) (١)

(١) أين هذا عما يعتقد الاوربي من أنه أفضل البشر وأسماهم

وأنت ترى من هذا أن الإسلام له رابطتان رابطة العواطف التي يشترك بها كل أرباب دين ورابطة التعاون والأخاء التي يدعو إليها بالفعل إلا أنه بين معنى هذا التعاون في أنه على الخير دون الشر وعلى البر بالناس دون العدوان عليهم لكي يكون ارتباطهم بجماع الأخاء الديني واجتماعهم عليه غير مقصود به العدوان بل المحاسنة والاحسان وصريح قوله بالأجتماع وعلم الفرق جھول على ما تستدعيه حالة الأجتماع من لزوم حفظ البيضة وكف الأيدي العادية عن المجتمع وهذا ضروري للمجتمعات كما أشرنا إليه في التمهيد

ثم لكي لا نكون جامعة الدين سبياً للعدوان مع الآخرين بل وصية الى التدرج في مدارج الانسانية في أهم مظاهرها وهي المساواة العامة بين أفراد البشر وأقوامهم فيما تقتضيه حقوق الانسان على الانسان من الكرامة وحسن الجوار وتبادل المنافع والاحمال التي جعلت الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجاً الى التعاون مفتقراً بمضه الى بعض قال الله تعالى ارشاداً للمؤمنين الى ذلك (يا أيها الناس اتقوا الله ما كنتم من ذكر وأنثى) الآية

هذه هي الوحدة الدينية التي يدعو إليها الإسلام أفلا يرى المنصفون من كل قبيل أن الجامعة الإسلامية التي يؤهم ساسة القرب العالم المسيحي بظفرها على المدينة اذا اصطفت بصيغة الدين هي خير للمدينة من أن لاتصنع بهذه الصيغة (٢) وأن فرضي القول عند الطوائف الإسلامية تأتي بما هو شر على المدينة مع تكرر نفوس المسلمين لهذا العهد لما تأتي به دول أورب بالمضادتهم ومضادة دولهم من أساليب المكر والحذبة توصلا لاثبات حقوقهم وسلب استقلالهم ووطء بساط ملكهم خيماً كان

اللهم ان المسلمين ما قلف بهم في لج الخيرة ووقف بهم عن البر مع الامم الراقية في سبيل المدينة الصحيحة وكشف ما يتهم وبين الامم المتعددة فومهم بكل قبيصة ونالهم بكل سوء الا انقصام عروة وحدتهم الدينية والخروج عن

(٢) ان حزب الإصلاح الاسلامي الداعي الى اصلاح الدين هو الذي يريد

مثل هذه الوحدة ويدعو إليها لما فيه من التقارب بين الشعوب

قانونها الجامع التي يرمي الى غرض الاجتماع الصحيح والمدينة الفاضلة ويريد الشعوب على توحيد الكلمة لضرورة القيام على شؤون الحياة المدنية وأما تحقيق معنى الحياة في قوم أعزوا جانبهم وذاذوا عن حوضهم وكانوا يدا على من قواهم واقسطوا في الماملة الى من عداهم وهذا ما يريده الاسلام

من الظلم أن يمثل ساسة المغرب الجامعة الاسلامية بصفتها الدينية في صورة ينكرها الاسلام وأياها العدل ولا تنطبق على نص من نصوص الدين كما رأيت وحسبك من الدين والتاريخ دليلا على أن الاسلام لا يحض أهله على الجامعة الا ليكونوا يدا على من قواهم وأن يقسطوا الى من سواهم وان افترق عنهم في الدين مالم يبادتهم بالعدوان ويردبهم السوء . إن بعض القرشيين من المشركين كانوا يزورون بعض المهاجرين من ذوي قرابتهم في المدينة فلا يقبلون عليهم ولا يحسنو اليهم لما عرفت به قریش من الشدة على المسلمين والاصرار على الشرك فزالت في تقييمهم الى أن الدين لا يمنع من الاحسان الى غير أهله ماداموا غير متاولين للمسلمين هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

وهذا التسامح الذي عرف به الاسلام ونبه عليه القرآن هو الذي سد كل منفذ من منافذ الاغراض السياسية التي تنفذ نظام الاجتماع وتفرق وحدة الانسانية وتلقي العداوة والبغضاء بين بني الانسان فلم يستطع زعماء السياسة في الدول الاسلامية جمع الشعوب الناشئة في البسيط الاسلامي على كفة الاسلام بقوة الاكراه ولم يسمح أن يمالوا مخالفينهم في الدين بضروب من الفتنة تاجبهم ولو الى المحيرة والجلال من بلاد بسط عليها الاسلام جناح سلطانه وآخر من نهده انه حاول ذلك من ملوك المسلمين السلطان سليمان السلياني فإنه لما رأى ضعف المسيحيين في ولاياته الأوربية وتوالي خروجه عن الطاعة وعلم ان قيامهم على النصرانية خطر على تلك الولايات استقى علماء عصره في اكرامهم على الاسلام فأبوا أن يقفوه بذلك وكان مأثوقه ذلك السلطان من الخطر على تلك البلاد فضلاً عما لاقته الدولة العثمانية من النصب والتعصب في سياسة أهلها ولم تزل تلاقه فيما بقي منها حتى حوزها الى الآن

ان السياسيين وأهل الانانية المنوطة في أوربا الذين يرجفون بخطر الجامعة الإسلامية لا يرون ان من الخطر على المدنية والبعث بنظام الألفة الانسانية والوحدة البشرية اضطهاد المسلمين الذين تحت كنفهم وارعاقيهم بضروب من الاذلال والاعتات قصد القضاء عليهم واستفصال شافقهم باسم السياسة ويرون ان من الخطر على المدنية وجود جامعة إسلامية تعامل باسم الدين مخالفتهم في السياسة والذين معاملة الاكفاء في الانسانية والعشراء في الوطنية كما سبق بيانه أظلم في هذا ما يدعوا الى الحكم على رجوع الانسانية التهجري وقدم المدنية الى الوراء حقا ان هذه (السياسة) المطلقة من قيود الانسانية والوجدان ومن قيود الحق والعدل تشبه في تشكيلها حكايات التيلان الواردة في أساطير الأولين وتماثيل إله الشر عند اليونانيين فالسياسيون اذا ساقوا الشعوب الى الدمار وقتلهم بالسيف والنار قالوا انما السياسة واذا وطئوا بأقدامهم الحقوق وامتهنوا الشرائع اتهموا السياسة واذا أخطوا خطأ يجب على بلادهم الدمار وعلى دولتهم العار تدعروا بالسياسة وبالجملة حيثما صنعت لهم ساحة شر قدموا امامهم السياسة فالسياسة عند (كلجسم المرن) قابلة لتشكيل بأشكال الأهواء التي تبحث في نفوسهم وتدعوم اليها اطماعهم ولهذا لما استباحوا لجامعتهم الأوربية المسيحية السياسية اضطهاد الجامعة الإسلامية في ملكها ودينها وأهلها ورأوا أن يأتوا لهذا العهد على البقية الباقية أخذوا يصيرون بخطر الجامعة الإسلامية تمهيدا لتصادم البيئة وتكفيرا عن اجرامهم الى المسلمين أمام القتل وانصار العدل والفضيلة من أهل البلاد الأوربية وسوف يملكون أيهم مخطئون اه

(التار) وبلي هذا فصل في الرسالة عنوانه « أوربا والجامعة الإسلامية » فيه

كثير من الحقائق التاريخية والعبير



حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

﴿ رأيه في التعلم والتعليم ﴾

بينما كيف تعلم أبو حامد الغزالي حتى صار حجة الاسلام، وإمام العلماء الأعلام، وهو أنه اجتنب التقليد وجرى على طريق الاستقلال، وكيف بنى نفسه بالرياضة والعمل حتى صار شيخ المارفين، وصفوة الصديقين، وتقني على ذلك بيان رأيه في التعلم والتعليم والعلوم وتربية النفس والكمال البشري في الدنيا باستخلاص ذلك من كتبه وتقدمه زبدة قبية لطلاب الكمال في العلم والمعرفة والعمل والمجاهدة وما يتبع ذلك حتى كأن المطلع عليه أدرك حجة الاسلام في نهايته، وأخذ عنه صفوة حكمته، وما كان ليقتصر لنا هذا لولا أن سبق لنا مطالعة هذه الكتب من قبل بقصد الانتهاء بها، وأخذ الحقائق منها، وقد كنا ذكرنا في المنار أن كتابه إحياء علوم الدين كان أستاذنا الأول وأنا وقتنا لمطالعة قبل الشروع في طالب العلوم الآلية والشرعية وبارشاده كان لهذا المأجر طريقة خاصة في الطلب مقرونة بالنية الصالحة كان من أثرها ما عبر عنه شيخنا الشيخ حسين الجسر بقوله في ملأ من الناس بدار علي أفندي السمين بطرابلس الشام: إن فلاناً ساوى في سنة واحدة من سبق لهم الاستقلال علي سبع سنين من أذكاء الطلاب: والفضل في هذا بعد عناية الله وهدايته لآبني حامد الغزالي جزاء الله عنا خير الجزاء. وإنما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في المنار أنني أجري فيها على يته وخيرة، شاملة لا كن يريد أن يكتب عن عالم أوحكيم فينظر عند الكتابة إلى بعض ما قيل فيه وبعض ما يؤثر عنه فيختلف من هنا عبارة ومن هناك إثارة ويحمل ذلك ترجمة، ولترغيب طلاب العلوم لاسيما الأزهريين منهم في التأمل والبصر فيما يكتب عن هذا الأمام وتحري الاستفادة منه ولعل ذلك يكون مشوقاً لهم إلى مطالعة الأحياء وفيرة من كتبه

﴿ رأي النزالي فيما يطلب من المتعلم ﴾

نخلص ما يأتي من كتاب العلم من الإحياء مقروناً بالعبارة فقد جاء في الباب الخامس منه في آداب المتعلم والمتعلم ما يأتي : أما المتعلم فأدابه ووظائفه (٥) كثيرة ولكن ينظم تقاريبها عشر جمل
وظائف طالب العلم وآدابه

(الوظيفة الأولى) تقديم طهارة النفس عن ردائل الأخلاق ومذموم الأوصاف
إذ العلم عبادة القلب وصلادة السر وقرينة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف »

أقول ثم أطال في هذا وقد اشترطه مثله صاحب التريمة إلى مكولم الشريعة لطالب علم الحقائق فقال « حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعي ثلاثة أمور — الأول أن يطهر نفسه من رديء الأخلاق تطهير الأرض للبر من خبائث النبات وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن إلا بيتاً طاهراً وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب » وقد شرح النزالي هنا حديث عدم دخول الملائكة بيتاً فيه كلب (وهو في الصحيحين) بطريق الإشارة والاعتبار فقال :

« واعلم أن القلب المشعور بالفضب والشر إلى الدنيا والتكلم عليها والحرص على التزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور ، والصور في هذا العالم غالب على المعاني الحقة فيها ، وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتطلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على

(٥) هي جمع وظيفة وهو استعمال موك وأصل الوظيفة من الشيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو شراب أو علف للدواب ذكره في لسان العرب وقال : وظفته توظيفاً أقرمها إياه (أي الوظيفة) وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل : اه فإطلاق أهل العصر الوظيفة على أعمال الحكومة له وجه وجب

صورته المنوية » ثم قال

« فان قلت كم من طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فهيات ما أبعد من العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مسمومة قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً إنما الذي نسميه من التوسمين حديث يلقونه بالسنة ثم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم توريق في القلب وقال بعضهم إنما العلم الحشبة لقوله تعالى (٣٥ : ٢٨) إنما يخشى الله من عباده العلماء) وكأنه أشار إلى أن من غمرات العلم والحق قال بعض المتقدمين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأي العلم أن يكون إلا الله أن العلم أبي واستمع علينا فلم تتكشف لنا حقيقة وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه

« قلت قلت أني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المتقدمين يبرزوا في الفروع والاصول وعدوا من جهة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يظهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الفناء من حيث كونه علماً وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لا الله تعالى اذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتي فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى »

أقول المراد بهذه الوظيفة ما نفع عنه بالترقية النفسية فمن رأيه أنها مقدمة على التعليم وأن من يعلم من لم تهذب أخلاقه كان كمن يقدّم الشرع أعتاق الخنازير، ويعطى السلاح للمجانين، وذلك أن التعليم الفاسد الأخلاق يستعين به على الشرور والفساد في الأرض كما هو مشاهد . ومن رأي كثير من العلماء أن علة سوء حال أهل الأزهر هي كونهم أكثرهم ممن لم يتحلوا بترقية ولا تأديب لكونهم من بيوت لا تعرف الترقية معنى ولا للتهذيب سبيلاً ولا للعلم قيمة وإنما يقذف أهلها بأولادهم في الأزهر لأجل الخلاص من خدمة العسكرية أو لأجل الجبراة وأرقم من يقصد أن يكون بعد التعليم قرضاً أو مقبلاً ولا شيء من ذلك يعد من طلب العلم لوجه الله وإذا لم يقصد بالعلم الله وجهه الله إلهاء هدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا صلاح

حال محاد في نفوسهم وأحوالهم الاجتماعية فأني غناء فيه وكيف يرجى الخير من صاحبه بل لا يشك عاقل في كون طلب العلوم الدينية لا يكون مرقيا لنفس صاحبه وحاملا له على خدمة أمة بالاخلاص النافع الا اذا صحبت تربية النفس وتهذيب الاخلاق وحسن النية فمن كانت فاسدة الاخلاق اتخذ العلم وسيلة لحطوط الدنيا وشهواتها لا ليالي في سبيلها بأمة ولا ملة . ففساد الاخلاق هو السبب في قلة النابضين في علوم الدنيا والدين ، وقلة العاملين المخلصين من مدون نابضين ، ولو كانت نفوس أكثر المتطين منا أو الكثير منهم عالية وأخلاقهم كاملة لسهل عليهم النهوض بهذه الامة الى أوج العزة في زمن قصير ، ولكن بلانا بقدر التورية أضف بلائنا بقص التعليم ، . واذا قد قرأت بعض كلمات حجة الاسلام في علماء الدين في عصره المير فاذا تقول فيهم في عصرنا هذا ثم قال

(الوظيفة الثانية) ان يقل (وفي نسخة يفرغ) علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الامل والوطن فان الملائق شاغلة وصارفة (٤: ٣٣) ما جعل الله لرجل من قليلين في جوفه) ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيتك كلك فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر (يريد على شك) والفكرة الموزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فشقت الارض بعضه واختلقت الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ الزوارع » أقول انه جعل الرحمة ومقارفة الوطن والاهل وتقليل الصلات والشواغل وظيفته واحدة لأن الفرض منها فراغ الفكر وصفاء الذهن فكأنه هو الوظيفة المقصودة وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا للرحلة في طلب العلم وكونها مزيد كمال في التعليم وما زال الناس على هذا في الشرق والغرب حتى ان أهل المملكة الواحدة من عمالك أو ربلا يكتفون بالرحلة من بلد من بلادهم الى آخر لجودة التعليم في مدارسهم واتساع دائرة العلوم فيها بل يدخل منهم كثيرون الى مدارس عمالكة أخرى كرحلة أهل فرنسا وانسكترا الى سويسرا وألمانيا . ثم قال

(الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأخر على العلم بل يفتي بالهزائم أمره بالكلية في كل تفصيل ويؤمن لنسبته اذعان المريض الجاهل للطبيب

الشفق الحافق . وينبغي ان يتواضع لطلعه ويطلب الثواب والشرف بخضعة ...
فلا ينبغي لطالب العلم ان يشكر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستكف عن
الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة . ومنها أشار عليه المعلم
بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أفع له من صوابه في نفسه
اذ الصبرية تعلم على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفسها ... وبالجملة كل
متعلم استيق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاختناق والحسران
أقول ذكر في هذه الوظيفة كثيرا من الاداب قد يتوقف في تقليد المعلم منها
ويظن ان هذا يخالف لما ذكرناه عنه من سلوك طريق الاستقلال في العلم وانما
يظن هذا من يضل عن الفرق بين العلم نفسه وبين طريق التعليم فعلم الطالب
في طريقة الاستاذ في التعليم خرق وفساد لا يجوز بحال ولو جاز هذا لكان مؤديا
الى الحال عند ما يترج كل طالب طريقة غير التي اقتصرها الآخر وأنى يكون
لتلميذ رأي في طرائق التعليم وهي مما لا يعرف الصواب فيها الا بعض العلماء المجريين
وانما بينت هنا على ظهوره ليعتبر به طلاب العلم في الازمة فان كثيرا منهم يمدون
عقبه في طريق اصلاح التعليم بما جروا عليه من العادات في المظالم والفهم بطريق
التحكك وتتبع المفردات والاعراض عن الاساليب والنظام الشروح والحواشي
والقارير وقد كلفت غير واحد من المدرسين في تحسين طريقة التعليم بالمجري
على الاساليب الحديثة فاعتصموا بأن المجريين يترون دروسهم اذا هم تركوا
المأثور فيها . وانما يأتي هذا الفساد من المجريين الذين أفوا طريقة الازمة
الصيقة بطول المجري عليها اذا المبتدى لا رأي له لو كان المنتظر من هؤلاء اذا تمككوا
في ذلك أن يكونوا وسيلة للاصلاح لا لبقاء على الخطأ القديم . نعم ان فيهم من يطلب
الاصلاح فلا يحمده وم الاذ كياء من تلاميذ الاستاذ الامام رحمة الله تعالى وقد
رجعوه الآن بمدرسة القضاء الشرعي وسيظهر أثر ذكائهم واستقلالهم بعد زمن
قصير ان شاء الله تعالى

على أن التقليد في العلم نفسه ضروري للمبتدى حتى يصير املا فليقلده والاستقلال

فبعد ذلك سلك طريق الاستقلال ، ثم قال

(الوظيفة الرابعة) أن يحتوز الخائض في العلم في مبدأ الامر من الاعتناء الى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتعن أولا الطريقة الحميدة المرضية عند أستاذة ثم بعد ذلك يصني الى المذاهب والشبه وان لم يكن أستاذة مستقلا باختيار رأي واحد وانما عادة قتل المذاهب وما قيل وفيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاصحى لقود المبيان ارشادهم . ومن هذا حاله فهو يمد في هي الجيرة وفي الجبل

« ومنع المبتدي من الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام من مخالطة الكفار . ونصب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان من التهجيم على صف الكفار وينصب الشجاع له . ومن الفلحة عن هذه الدققة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالأقوياء فيها ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك أن وظائف الأقوياء تختلف ووظائف الضعفاء « الخ أقول وقد جربته هو على ذلك فانه أقن في افقه مذهب الشافعي وفي الكلام مذهب الاشعري ثم نظر في سائر المذاهب والآراء على طريق الاستقلال ومن لم يقن في أول أمره شيئا قلما يستفيد بعد ذلك من الخلاف الاجرة واضطرابا . وما حذر عنه من الاخذ عن الدين يتقلون المذاهب والاقوال ويعجزون عن تأييد شيء منها هو من أقبح ما يساق الى مجاورتي الازهر الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء المعلمين الذين لا يكادون يجوزون في مسألة خلافية بشيء واشتهر بعض تلامذتهم بذلك حتى صار بعض المجاورين يظن ان سرد الاقوال والآراء في المسألة هو الكمال في العلم وما هو الا متمي الجبل الذي ينصب بالاستعداد للعلم حتى ان من طال عهده به لا يمكن أن يكون عالما وحسبك بحجة الاسلام ففتروا وناصحا . ثم قال

(الوظيفة الخامسة) أن لا يدع طالب العلم فاما من العلوم المعجزة ولا أنواعا أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العز طلب التجبر فيه والا استعمل بالألم منه واستوفاه وطرفه من البقية (أي أخذ منها الطرف

والتوادر) فان العلوم متداولة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الافلاك
عن مداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى (١١:٤٦)
واذ لم يهتدوا به فسقطوا هذا اظك قديم) وقال الشاعر:

ومن يك ذا فم مريض يحد سرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالهدى الى الله تعالى او مينة على السلوك
نوعاً من الاعادة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود. والقوام بها حفظه
كمناظر الرباطات والتغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة
اذا قصد به وجه الله تعالى اه كلامه

أقول وهذا الكلام الاخير مبني على ما قرره في هذا الكتاب من كون جميع
العلوم النافعة في الدين أو الدنيا مفروضة ديناً حتى فنون الصناعات التي عليها مدار
المنفعة فانها من فروض الكفايات كفنون اللغة وكهلالة الجازة ومضى صلت
نية التأم بها وأحسن عمله بالصديق وعدم الفش كان بعمله هذه الفنون وبه
فيها عابداً لله تعالى مستحقاً للثواب في الآخرة

وأما ما قرره من طلب الاطلاع على جميع العلوم والفنون المتداولة في العصر
فهو ما جرى عليه في زريته لنفسه وعليه علماء فن التعليم من أهل هذا العصر وهو
حجة على كثير من شيوخ الدين عندنا فانهم لجهلهم بأنفع علوم العصر الكونية
والعقلية هادونها وينفرون طلاب العلوم الدينية منها فيجنون بذلك على دين أسهم
ودنياها ويمسكون الناس عن الدين بزعمهم ان هذه العلوم تنافي الدين كما قاله
الامام النزالي في أمثالهم من أهل عصره وسيأتي نقله عنه في فصل الكلام عن
رأيه في العلوم. ثم قال:

(الوظيفة السادسة) ان لا يخوض في فن من فنون العلوم دفعة بل يراعي
الترتيب وينتدى بالام فان المر اذا كان لا يقسم لجميع العلوم غالباً فالمر ان
يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في الميسور من
علمه الى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة

أقول ان هذا مسلم في جملة عند علماء فن التربية والتعليم من أهل هذا العصر وهو مرتبط بما تقدم في الوظيفة الخامسة وقد صار الكثيرون من أهل الغرب الذين اتسعت عندهم دائرة العلوم وكتبت فروعها يصرفون جماع قوتهم الى اثنان فرع من فروع العلم الواحد كطب العيون أو طب الأذان أو طب الامراض النفسية من علم الطب مثلاً وذلك بعد تناول طرف من كل علم وفن كما تقدم . وأما كون علم الآخرة هو أشرف العلوم فسيأتي بيان المراد منه وقد ذكر فيه هنا ما لم نر من الصواب ذكره ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان لا يفرض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبضهاطريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج قال تعالى (١٢١ : ١) الذين آتيناهم الكتاب يثابرون حتى ثلاثون) أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً . ولكن قصده في كل علم يتجراه الترقى الى ما فوقه . فنبغي ان لا يحكم على علم بالنسبة لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا يخطأ واحد أو آحاد فيه ولا يخالفهم موجب علمهم بالعمل . فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفتيات مثليين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة في معيار العلم . وترى طائفة يستقنون بطلان الطب خطأ شاهده من طيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لوحيد وطائفة اعتقدوا بطلانه خطأ اتفق لآخر . والسكل خطأ بل ينبغي ان يعرف الشيء في نفسه فما كل علم يستغل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله : هـ

أقول ان هذه الوظيفة توجد في أكثر النسخ وسقطت من النسخة التي شرح عليها الزبيدي فالوظائف فيها تسع . وقد ذكر فيها أمران أحدهما ترتيب العلوم وهو مما لا مجال للخلاف فيه لاسيما في العلوم المتحدة في النوع كالرياضيات فان من لا يتقن الحساب لا يفهم الهندسة لتوقفها عليه والهيئة الفلكية لتوقفها عليهما جميعاً . ولأهل هذا العصر في ترتيب العلوم بالمدارس النظامية إثنان أي إثنان . والامر الثاني الحكم على العلوم بالوقوف عليها ومعرفة موضوعها وغايتها وأهم مسائلها

لا باعتبارات خارجية تؤخذ من حال أهلها كما ينظر بعض شيوخنا عن علوم العصر بشبهة قلة التمسك بالدين من أكثر متطلبها وما يدرهم أن ذلك جاء من سوء نظرية لامن طبيعة العلوم والحكم على الشيء فرج عن تصوره كما يقولون قال (الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وأن ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوته . وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرة ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم قايما وإن ترضب إليه وإن تفرص إليه »

أقول يعني بالطريق الموصل طريق الصوفية الذي وصل هومته بصدان انقطعت به الطرق الأخرى من الكلام والفلسفة ومذهب الجبائية . وهكذا شأن الدعاة ينظر قرون إلى مقصدهم من كل ناحية اتصروا . ومن الناس من يقول أن أبا حامد يجذب الناس إلى الآخرة حتى يوشك أن تكون قراءة الإحياء وما شاكله من كتبه من أسباب تعطيل مصالح قارئيه وإضاعة دينهم وهجر سائر العلوم والفنون وليس كذلك كما ترى في الوظيفة الآتية وإنما هو دعوة إلى الكمال وسبيل تحقيق ذلك بعد . ثم قال

(الوظيفة التاسعة) أن يكون قصد التعلم في الحال عملية باطنة وتجميعية بالفضيلة وفي المسائل القرب من الله سبحانه والفرق إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والمجاهة وممارسة السفه ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب لامتداد الأقرب إلى مقصده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين المقاربة إلى سائر العلوم أخص علم الفتاوى (يعني به ما يسمى الفقه) وعلم النحو والفقه اللغويين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما

أوردناه في المقدمات والتمت من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية (كنفون الصناعات كلها) ولا تخفى من غلونا في التناثر على علم الآخرة تهيجين هذه العلوم فالمشكفون بالعلم كالمشكفون بالنور والمرابطين بها والفراة الميادين في صيل الله منهم الخائفون ومنهم الرد ومنهم الذي يقيم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويقصد ما ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الثنائيم فكذلك العلماء قال الله تعالى (٥٨ : ١١) برفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقال تعالى (٣ : ١٦٣) هم درجات عند الله) والفضيلة نسبية (أي بينهم) واستحقاقها للمباركة عند قياسهم بالملك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسيين . فلا تظن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنياء ثم الأولياء ثم العلماء الراغبين في السلم ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن قصد الله بالعلم أي علم كان فمه ورضه لاحتجاة أقول يعني رحمه الله تعالى أنه ينبغي لطالب الكمال أن يطلب بالعلم الذي يتوجه لتحصيه وجه الله تعالى أي الوجه الذي يرضيه وهو الذي فيه إقامة سنته في النظام العام ومنفعة الأنام وذلك مدعاة لاقتناء الأعمال وحسن النية فيها وانتفاء الفسب بها وهل ثم من طريق للكمال الانساني أقرب من هذا ؟ ألسنا نشاهد نشوء الفسب والطمع والاحتيال والفسوة وأشياء هذه الرذائل في أهل العلوم والفنون والصنائع الذين لا يعرفون الله ولا يبتغون وجهه ؟ ثم قال :

(الوظيفة المباشرة) أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر ما يجري له من مجرى البيان ، فالأهم ما يبقى أبدا لا يباد ، وعند ذلك نصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال مهيأ إلى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى فيه التميم كله وإن كنت لا تعرف قدره في هذا العالم الا الأقول ، الخ ما أطال به في هذه المسألة

أقول اذا أخذنا قول أبي حامد هنا على ظاهره نفهم بأنه غلط في قوله إن القرآن نطق بأنه لا يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة فنانسمع منادي القرآن يقول علينا في سورة الاعراف وهي من السور المكية التي بين فيها أصول الدين وكتبااته « ٧ : ٢٣ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يطمنون » ولكن المقول الذي نطق به القرآن هو أن من أثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان لا يصل الا لذاتها وشهواتها يفوته حظه من الآخرة كله أو بعضه وذلك ان حظ الانسان في الآخرة يكون على حسب ارتقاء نفسه في الحق والخير والاخلاص وغير ذلك من ثمرات الايمان وايات الشبهات يصف هذه الاشياء حتى يذهب بها من النفس فتبقى حيوانية شيطانية . ومن الآيات المثبتة لهذا التفصيل قوله (٢ : ٢٠٠) فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ٢٠١ ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٢٠٢ أولئك هم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) وقوله (٢٩ : ٣٧) فأم من طغى ٣٨ وآثر الحياة الدنيا) ان الخ الآيات . وانا نهجد في كلام أبي حامد ما يوافق هذا التفصيل في مواضع من الاحياء ككتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والجاه وغيرها من كتب الاحياء ولذلك يمكن حمل كلامه هنا على ان المراد بكل من ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة مرتبة الكمال فيها فان من كان همه استكمال الذات البدنية لا يمكنه ان يستعد لتحصيل كمال نعيم الآخرة المبررة بقاء الله تعالى والفوز برضوانه الاكبر بل ربما قلدر عليه الاستعداد لما دون ذلك كما ينهم من التفصيل المذكور آنفاً

ثم بين أبو حامد بعد وظائف المنطق وظائف المعلم المرشد ويضي بالمرشد المري للنفس المذهب للأخلاق فقال :

❦ بيان وظائف المعلم المرشد ❦

« اعلم ان للانسان في علمه أربعة أحوال كماله في اقتناء الأموال اذ لصاحب المال حال استغادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسب فيكون به غنياً عن

السؤال وحال اتفاق على نفسه فيكون منفصلاً وحال بذل لغيره فيكون به متبناً منفصلاً وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتضي كمالاً فله حال طلبوا اكتساب وحال تحصيل يعني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في المحصل والتعمق به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل فهو الذي يدعي عظماني ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكذلك الذي يطيع غيره وهو طيب . والذي يعلم ولا يعمل به كالدق الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكذلك الذي يشهد غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذباة المصباح (فتيلته) تضيئ لغيرها وهي تمحرق كما قيل :

ما هي الا ذباة وقدت تضيئ قناس وهي تمحرق

ومها اشتغل بالتعليم فقد تله أمراً عظيماً وخطراً جسيماً فيحفظ آداباً ووظائفه (الوظيفة الأولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بني به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد بولده » (٥) بأن يقصد إيقاظهم من نار الآخرة وهوأم من إيقاظ الوالدين ولدهما من نار الدنيا وتلك صار حق العلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والعلم سبب الحياة الباقية وولا العلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الملاك الدائم وإنما العلم هو المنفذ للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك فعوذ بالله منه

« وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتعاون ولا يكون إلا كذلك إذا كان مقصدهم الآخرة ولا يكون إلا التعاضد والتبايض إن كان مقصدهم الدنيا . الخ أقول غرض أبي حامد رحمه الله تعالى أن أول شيء يطلب من العالم المربي

(٥) رواه أبو داود والنسائي وأبنا ما جبه وحبان من حديث أبي هريرة وليس فيه كلمة « لولده » ولفظ أبي داود « إنما أنا لكم مثل الوالد أطعمكم » الخ وفي سننه من تكلم فيه

هو أن يكون تلاميذه كأولاده في تربيتهم بالشفقة والرحمة دون القسوة والقسوة
ومن لوازم الرحمة والشفقة حفظ كرامة الناشئ وتربية ملكة العزة والشرف في
نفسه ومن لوازم القسوة إهانة وتحقيره ولا شيء يفسد الاخلاق كالقسوة في
التربية وامتنان المربي واحترامه بالقول أو المعاملة . ولا أعون على التربية مع
الرحمة والتكريم من السير فيها على هدي الدين من قصد الآخرة والتجذير من
التردد بمقاصد الدنيا وحفظها الحقة وقد جرى أهل المدارس الدينية في هذا
المصر على طريقة الرحمة والتكريم في التربية ولكنهم أهملوا أمر الدين فكان
أكثر المتخرجين في مدارسهم لأم لهم من حياتهم الا تمتع بالشهوات وطلب
المال من غير مبالاة بمحرم ولا حلال . ثم قال

(الوظيفة الثانية) أن يقتني بصاحب الشرع صلوات عليه وسلامه فلا
يطلب على إقادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً ، بل يعلم لوجه الله تعالى
وطباً لتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم بل يرى
الفضل لهم إذ هدوا قلوبهم لأن تقرب الى الله تعالى بوزارة العلوم فيها كالذي
يسيرك الأرض لتزرع نفسك فيها زراعة فضلك بها تزيد على منفعة صاحب
الأرض فكيف تقدم منة ؟ وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المعلم عند الله تعالى
ولولا المنظم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل
(٢٩: ١١) وفاقم لأسائكم عليهم الا إن أجرى الاعلى الله) فان المال وما في الدنيا
خادم البدن والبدن من كسب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس
فمن طلب العلم بالمال كان كمن مسح أسفل فله بوجهه لينظفه فبصل المخدوم خادماً
والخادم مخدوم وكذلك هو الا تكس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض
الأ كبير مع الهرمين نا كسرهم عند ربه وعلى الجملة فالفضل والمنة لهم
« فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى
الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيما وفي غيرها فانهم يبنون
المال والجاه ويتحملون أصناف القل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو
تركوا ذلك تركوا ولم يختلف اليهم

« ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر عليه ويمادي عدوه ويتنصص حماره في حاجاته مستغرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخس بالم يرضى لنفسه بهذه القوة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم قريبا الى الله تعالى ونصرة لدينه ، فانظر الى الأمارات ، حتى ترى ضروب الاختارات »

أقول أما أخذ الأجرة على التعليم فيه بحث وان كنا لانخاف أبا حامد في كون ما ذكره هو الكمال الاثني بطاء الدين لاسيا اذا كانوا في سعة من العيش ولكن التعليم قد صار صناعة لا يقنأ الا من انقطع لها عن الأعمال والمكاسب فن كانت هذه حاله لا يمنع إخلاصه في التعليم وإتقائه وجه الله به قبول الأجرة عليه لاسيا اذا كانت الأجرة من المصالح العامة كالأوقاف وغزائن الحكومات وإدارات المدارس التي تنشئها الجمعيات أو الأفراد

وأما ما قاله في العلماء الذين جعلوا الدين أحجوة لصيد المال وإجابه والتربص من الأمراء والحكام فهو الحق الأبلج . وكذلك كلامه فيمن يحاولون استنظام تلاميذهم وتسخيرهم في منافعهم والانتصار لهم . واذا كان هذا شأن الكثير من الفقهاء والمتكلمين في عصره فاذا كان يقول لورأى علماء الدين في عصرنا هذا ؟ فيعتبر المعتبرون ثم قال

« الوظيفة الثالثة » أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي . ثم ينبه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله دون الرياضة والمباحاة والمناظرة ويقدم تقييد ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فان علم من باطله أنه لا يطلب العلم الا لهديا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والمجمل في الكلام ، والتناوي في الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها : تعلموا العلم لنهر الله فأنبي العلم أن يكون الا لله : وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة

ومعرفة أخلاق النفس وكيفية هذيتها فإذا نطقه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه فإنه ينشده علماً في الوعظ والاستبعا ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره اذ فيه العلوم الثمينة من اذ تأمل الحقرة للدنيا العظيمة للآخرة وذلك وشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى ينطق بما يعط به غيره ويمجى حب القبول والجاه يمجرى الحب الذي يثر حوالى انفع ليقص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً للاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم

« فاما الخلافات المفضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغربية (أي في الفقه) فلا يزبد التفريغ لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وخلة عن الله تعالى ونماديا في الضلال وطلباً للجاه الامن تداركه الله تعالى برحمة أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر يا أخي واعتبر واسمصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان »

أقول هذا ما يقوله حجة الاسلام في التقواء والمتكلمين أيلم كانوا أئمة في هذه العلوم بهم اوقفت وانست دواثرها وكانت محتاجا اليها لوجود الفلاسفة والمبندعة الذين يرد عليهم المتكلمون ولكون جميع الاحكام في بلاد المسلمين كانت جارية على احكام الفقه وهو مع ذلك يمد علومهم دينوية ويقول انه علم بالتجربة كما علم بالبرهان أنها لا تزيد القلب الا قسوة وحبا في الدنيا واعراضاً عن الله تعالى فإذا قول في المنطقين لهذه العلوم اليوم وهم مقلدون لأولئك الذين كانوا في عصره ولبن ذنوبهم ممن جدم والحاجة الى علومهم الآن ليست كالحاجة اليها في عصره فان معظم قههم لا يحكم به أحد من حكم المسلمين اليوم ومعلم علم الكلام الذي يراولونه لا حاجة اليه لأنه عبارة عن رد على الفلسفة اليونانية التي نسخت بالفلسفة العصرية وعلى الحقرة الذين اقترضوا

مع هذا ترى شيوخ العصر في الأزهر وأمثلة من المدارس الاسلامية في سائر البلاد يشجعون بأنهم رجال الدين المحافظون عليه وهم لا يلتفتون الى علومه

الحقبة التي تهذب النفوس وتصلح القلوب وتربي الارواح من التفسير والحديث والاعلاق وسنن الله في الأقس والآفاق وحكمه في الخلوقات فأوضحه حجة الاسلام في الاحياء . وقد تصب الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله تعالى واجتهد وقاسى البلاء ليحصل علم الاخلاق وتاريخ نشأة الاسلام والتفسير الحقيقي مما يدرس في الازهر فلم يصادف من القوم الا اعراضا فاما تفسير كتاب الله على أنه هدى ورحمة وموعظة وعبرة فقد أحياه نفسه ولذلك مات بموتوأما الأخلاق وآداب الدين وتاريخ الاسلام فقد تقرر بحسبه تدريسا رسميا ولكنها لا تدرس ولا يحفل بها أحد ومع ذلك كله كانوا يحاربونه بزعم أنه يشتمهم عن علوم الدين ويرددون بألسنتهم وأقلام الجرائد المنصورة لهم كلمة « الازهر مدرسة دثية محضة » فليعرضوا هذا القول على ماقرره حجة الاسلام في الاحياء في هذا الموضع وغيره ولينظروا بعد ذلك مكانته من الصدق . ألا إن الازهر وأمثاله مدارس دنيوية محضة بحسب ماقرره أبو حامد ولا نعرف أحدا من العلماء نازعه فيها قوله ويشهد لذلك أننا لا نرى المتخرجين فيها يحفلون بأمر الدين وإرشاد المسلمين . ابن المنجدون لتهديب النفوس وتربية الأرواح ؟ أين حجة العقائد من شبهات المسلم المصرية ، وأهل الفجرة على دين الناجية الحديثة ، أين أنصار السنة ، المخاذلون للبدعة ، أين الدعوة الى الدين بحسب مايلق بحال المعاصرين ؟ مهما رفعت صوتك بالنداء لا تسمع منهم مجيبا . ثم قال أبو حامد

(« الرظيفة الرابعة ») وهي من دقائق صناعة التعليم أن يجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح بهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم « لو منع الناس عن فت البعر فقتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء » (هـ) وينهيك على هذا

(« قال العراقي في الحديث لم أجده الا من حديث الحسن مرسل وهو ضعيف رواه ابن شاهين ، قال شارح الاحياء ووجدت بخط الداودي مانعه : ونظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشرك قالوا فيه التذ » وفي مناه حديث آخر

حصة آدم وحواء عليهما السلام وما نها عنه فا ذكرت القصة لتكون صمرا بل
لتنبيه بها على سبيل الموعظة . ولأن التعريض أيضاً يحيل النفوس الفاضلة والاذهان
الريكة الى استنباط معانيه فيفيد فرح الثغمان لمناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك
مما لا ينبغي عن فطنته »

أقول رحم الله أبا حامد ما كان أحرمه على تكريم الطلاب وتشتمهم على العزة
والشرف فهو يدخل على هذا المعنى من كل باب ، وينزل اليه بأنواع الأسباب ،
فأين من هذا ما يجري عليه شيوخ مشهورون من التلظاة والسباب ، ونحو تلاميذهم
بأقبح الألقاب ، حتى صار الذين يشتمون في المدارس الدينية يفتنون أن التواضع
والتكريم للطلاب ، مما وضعه الأفرنج من الآداب ، وهكذا جردنا أنفسنا من
آداب ديننا ، حتى صارت تسمى الى غيرنا ، ثم قال

(الوظيفة الخامسة) إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يتجسس في نفس
المتعلم العلوم التي وراءه كعلم اللغة إذ عادته تقيس علم الفقه ويطعم الفقه مادته
تقيس علم الحديث والتفسير وإن ذلك نقل محض وسامع وهو شأن المجاز ولا
نظر لقتل فيه ومعلم الكلام يفرعن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حبس
النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي أن تجنب بل المتكفل يعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم
في غيره وإن كان متكفلاً بعلوم ينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة
الى رتبة »

أقول إن السبب في مدح كل متكفل من أوعلم له وذم غيره أو تقليل شأنه
هو ما يسمونه حب الذات فهو لا يريد بذلك الامدح نفسه وتفضيلها على أقرانه
ومما صير به فهو قد يذم العلم الآخر وإن كان عارفاً بفائده فكيف إذا كان جاهلاً
به . ثم قال

(الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالتعلم على قدر فهمه فلا ياتي اليه مالا يلائمه
عقله فيفهمه أو يخط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم
حيث قال « نحن ماسر الأبياء أسرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على

قدر عقولهم « (١) فليث اليه الحقيقة اذا علم انه يستغل بجهلها قال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا يتلوه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » (٢) وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره : إن ههنا لعلوا جهة لو وجدت لها حجة : وصدق رضي الله عنه (وفي نسخة الشارح عليه السلام) في قوله قلوب الأبرار قبور الاسرار

(١) هذان حديثان أوردهما في سياق واحد أما الأول فقد ذكر في الجامع الصغير وفي كنوز الحقائق من حديث عائشة بلفظ « أنزلوا الناس منازلهم » معزواً في الأول الى مسلم وأبي داود وفي الثاني الى مسلم فقط . وعزوه الى مسلم سهو من السيوطي والمتاوي فإن مسلماً لم يخرج في صحيحه وإنما ذكره في مقدمته بخبر إسناد وغير جزم إذ قال « ويذكر عن عائشة » وأما أبو داود فقد أخرجه في الأدب من سننه ورواه كثيرون فمنهم من تكلم في سننه كقول أبي داود إن ميمون ابن أبي شبيب لم يترك عائشة ومنهم من صححه كالخام وابن خزيمة وقال البخاري حديث حسن . ورواه بعضهم عنها بلفظ « أمرنا رسول (ص) أن نقرئ الناس منازلهم » وورد بألفاظ أخرى

وأما الثاني فقد روي في الجزء الثاني من حديث ابن الشخير عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ « أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » كذا قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء والمخالف البخاري في كتابه الجواهر والدرر وفي معناه حديث « حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » رواه الترمذي في مسند الفردوس عن علي مرفوعاً وهو في البخاري موقوف ووضح السيوطي في الجامع الصغير بجمانه علامة الحسن .

(٢) ذكر المصنف هذا الحديث في باب قبل هذا الباب بلفظ « ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم » ونقل شارح الكتاب عن الحافظ العراقي أنه قال : أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه : اهـ قال الشارح ولفظ حديث ابن عباس « ما أنت محدث قوماً حديثاً لا يتلوه عقولهم الا اذا كان على بعضهم فتنة »

فلا ينبغي ان يشفي العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً
للاستفاح به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام ولا تلقوا الجواهر في اعناق
الخنازير . فان الحكمة خير من الجواهر ومن كرها فهو شر من الخنازير ولذلك
قيل : كل لكل عبد بمقيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ، وينفع
بك ، والا وقع الإنكار ، تفاوت المياري ، وسئل بعض العلماء عن شيء قام
يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كنتم
علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجأً بلجام من نار » ؟ (هـ) فقال أروك اللجام واذهب
فان جاء من يفقه وكنتمه فليجبن فقد قال الله تعالى (٤ : ٤) ولا تتوا السفهاء
أموالكم) فتبيناً على ان حفظ السلم بمن يفهمه وبفسره أولى وليس الظلم في
إعطائه غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق هـ اهـ

أقول بجمل بعض أهل النظر هذه المسألة - إظهار الحقيقة لكل أحد في
كل وقت - محل بحث ولبحث فيها من الجهة النظرية وباللكن من بلا الناس
وعرف شوؤهم يحكم في هذه القضية بالسلب حكماً لا تردديه ولقد كان الانبياء
المؤيدون بعناية الله وآية يظهر حقائق الدين بالتدريج ويستعملون الكلام
الجهل والكنايات والتجوزات والمشايات التي يأخذ منها كل ذي عقل وفهم
على مدار عقله وعده . نعم لا يجوز لأحد ان يقول قولاً يخالف الحقيقة ليقبله الناس
فان قائل ذلك من الكاذبين الفاشين ، لا من الحكماء الناصحين ، واذا كان هذا
يثاق الصدق والحكمة ، فهو أشد منافاة للنبوة ، ومن ثم تعلم ان ما يقوله بعض
الباطنية حتى في زماننا هذا من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قالوا اشياء
تخالف الحقيقة مراعاة لافهام الناس واستعدادهم هو من الباطل الذي لا يدنو من

« قال الحافظ العراقي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد ولفظه
عند السيوطي في الجامع الكبير « من كنتم علماً مباحاً يرفع الله به الناس في أمر
الدين ألجهم الله يوم القيامة بلجام من نار » اهـ أقول وفي الجامع الصغير من
حديث ابن مسعود عند ابن عدي « من كنتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة
لجاماً من نار » وهو ضعيف

الصواب منه بل هو دليل على أن هؤلاء الباطنية يستعملون الكذب والنفس والخداع فلا ثقة بأقوالهم ولا بمقائدهم أعني أنه لا يوثق بأنهم يستقدون ما يقولونه ويدعون إليه بل هم طلاب رياضة من طريق الاتحال في الدين وتشكيكه بشكل وثني كما يعلم من تاريخهم منذ وجدوا إلى أن ظهروا باسم الباطية والبهائية في هذا الزمان . ولهذا الذي قرره أبو حامد في هذه الوظيفة جعل كتابه هذا مرتباً على ما يشبه ترتيب الفقه الذي كانت الرغبات كلها أوجها متوجهة إليه في ذلك العصر استدراجاً لقلوب الذين في ذلك العصر وحذراً أن تفر منه كما صرح بذلك في فاتحته ، ولأجله جعل أحكام الفقه فيه على مذهب الشافعي إلا قليلاً على أن رأيه في الإصلاح قائم على قاعدة إبطال التقليد كما سيأتي عنه فكانه أراد أن يجعل الإحياء مقدمة لما قرره في كتبه التي أنها بعد ذلك كانت ملأ المستقيم والمتخذ من الضلال والمضنون به على غير أهله . ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان المعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فإن ذلك يشتره رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فإما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حاجة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله

« وهذا يعلم أن من قعيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه أنه تائب المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يحل وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطاناً مريباً يهلك نفسه وغیره . بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الحقيقية بل يقتصر معهم على تعليم المباديات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصورها وعيلاً قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويسر عليه حلها فشق ومهلك

« وبالجملة لا يقتض على العوام باب البحث فانه يعلم عليهم صناعاتهم التي بها تقوم الحلق ودوام عيش الخواص »

أقول أرشد في هذه الوظيفة الى نوع من أنواع التدريج في تعليم طلاب العلوم والى طريق تعليم العامة ومن هذا يتبين لك ان ما يلح بالهجرة اليه من الاعراض عن الدنيا والرغبة في معرفة الله تعالى والعلوم التي تقرب اليه انما هو موجه الى الخواص أصحاب الاستعداد للكمال كما أشرنا الى ذلك وسنزيد به يانا . ثم قال

(الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملا بطله فلا يكذب قوله فله لأن العلم يدرك بالبصائر والصل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العلم الصل منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال لناس لا تناولوه فانه سم مهلك وسخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الاشياء وأنها لما كان يتأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من الود فكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوي الظل والود أعوج ولذلك قيل في الخبيث :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى (٢ : ٤٤) أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) ولذلك كان وزر العالم في مصابه أكثر إذ يزل يزلته عالم كثير ويتعدون به « ومن من سنة سيئة ضل به وزرها ووزر من عمل بها » (٢ : ٤٤) ولذلك قال علي رضي الله عنه : قسم ظهري رجلا ن عالم متبك ، وجاهل متبك ، فالجاهل يضر الناس بتسكته ، والعالم يفرح بتسكته ، والله أعلم » اهـ

أقول يجب أن يكون المعلم مربيا وقوام التربية بالقدره فاذا كان المعلم لعلوم الدنيا أو الدين سمي الاخلاق فاسد الآداب فانه يفسد نفوس تلاميذه بالفضل وما يقوله لهم من النصائح يكون عندهم من الأقوال التي يقصد بها الترش والرياء فالجبل بها خير لهم من معرفتها

أثار من التاريخ

قطعة من مكتوب شهاب الدين بن مري تلميذ ابن تيمية يعرض اخوانه تلاميذ
شيخ الاسلام عنه ويحتم على جمع مصنفاة
(أيها الاخوان)

لائسوا تقريرات شيخنا الحاذق الناقد الصادق قدس الله روحه لما في قوله بآرك
وتعالى في بيان الحكم الاربع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر
الرسول في يوم أحد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء
وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فلا تهملوا أمر النكرة الصالحة في
هذه الممانى الشريفة وعضوها ولا تهملوها لما حصل فإن الله حي لا يموت وهو المتكفل
سبحانه بنصر الدين وأهله والمتبر لعباده فيما يتلبيهم به والتجبر بحيلة مصالحهم
والوقوف بهم والمهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم ولا يهلك على الله الا هالك
والسيد من قام بما عليه الى وقته ومن أراد عظيم الاجر التام، ونصيحة الانام،
ونشر علم هذا الامام، الذي اختطفه من بيتنا محنوم الحام، ويحشى دروس كثير
من علومه المنفردة الفاتحة مع تكرار مرور القياالي والايام، فالطريق في حقه هو
الاجتهاد العظيم على كتابة موافاة الصغار والكبار، على جليتها من غير تصرف فيها
ولا اختصار، ولو وجد فيها كثيرا من التكرار، ومقابلتها، وتكثير النسخ بها وانما اعتناء
وجمع النظائر والاشباه في مكان واحد وانتهام حياة من بقي من أكابر الاخوان، فكاننا
جميعا بكمال الفتوة وقدحان، ويكفينا ماخذنا على ما فرطنا من عظيم الأصف، فوجه
الله ممشر الاخوان لا تاملوا الوقت الحاضر بما عاملهم به الوقت الذي قد مضى،
فإن حياته وجه الله ورضي عنه كانت مأموقة الاستدراك الفارطات الفاتحات،
وتكامل النايات والنهايات، فافغتموا تحصيل كل مهمتي وقتها بلا كسل ولا ملل،
ولا تشاغل ولا بخل، لأن هذا المهم الكبير، أحق شيء يبدل في تحصيله المال الكبير،
وقد علم مضررة التأمل والتسويق وكون ذلك من أكبر القواطع عن مصالح
الدنيا والآخرة فاحفظوا بالشيخ أبي عبد الله (١) أيده الله وبما عنده من الخفايا

والنفايس وأقبحه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألم أحيانا من مطالبته لانه قد بقي في فقه فريدا ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق وكل أحوال الوجود لابد فيها من العوارض والافتكار فاحسبوا مساعدته عند الله تعالى وأنهموا بمجموع كلمته فان الشدائد تزول والخيرات تنضم فاكثروا ما عنده وليكتب ما عندهم وأنا أستودع الله دينه وما عنده وأوصيه بالصبر أيضا وبجماعة الله سبحانه فيها هو فيه وإن قصر الإخوان في حقه ويلتطلب نصيبه من الله تعالى متكلا عليه في رزقه المضمون ومجلا في الطلب لأن ما قسم لابد أن يكون وإنما أبحث همكم الصالحة عليه لتحصيل كرايس الرد على عقائد الفلاسفة لانه ليس في الوجود بهذا المؤلف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الحرستان الشمالي من مدرسة شيخنا وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى أنه أودع المجموع في مكان حريرى ولقد شح علي بافاد هذه الكرايس وقت القضاة من الشام ولا قوة الا بالله والكرايس الرابع منها أخذه أبو عبد الله من يدي وهو عنده ونسخة الاصل التي بخط الشيخ هي في التعلم في الكبير وكانت هناك أيضا وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة فأوصلوا ذلك الى أبي عبد الله ليكمل النسخة الى عند قوله « فهذا باب وذلك باب والله أعلم بالصواب » ولطواسي نسخة بخط كين وكلوها لأنه مؤلف لا نظيره ولا يكسر الفلاسفة مثله ومن الله نأل المعرفة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بعد شأنها، وضوذه من عوارض القواطع وآفاتنا، لأن الفتور صعب، وغائقة التفريط رديئة، واتهاز القرص من أهم الأمور وأجملها لمصالح الدنيا والآخرة وما يعلها الا العالمون، وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكملية والمقصرون، كما ندم المتخيلون بطول حياة الشيخ والمفترون وهذه الأمور التي قد أشرت اليها في هذه الأوراق الخفيفة هي أعلا أبواب النسيحة وأتمها فيها أعلم لأن القضاة مضى، والوقت سيف متفضى، وكل من ذهب بعده من أكابر الإخوان ماعنه عوض والدهر في إدبار والشرور في زيادة وإذا جمعت هذه المؤلفات العزيرة الكثيرة وقيل من المودات طام ينقل وقيل رأي أبي عبد الله في ذلك كله لانه على بصيرة من أمره وهو أخبر الجماعة بمكان المصالح

المفردة التي قد انقطعت مادتها وقبول كل ما يكتب مع أصلح الجماعة أو على نسخة الأصل وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين الذي هو بقية الخير لفتته وخبرته وشفتته ومهرقه على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود دوسمة عليه واحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف وروجع الشيخان الطالان الفاضلان المختاران (القاضي شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر) فانهما أحقق الجماعة على الإطلاق في المناهج العقلية وغيرها وأذكرم الباحث الأصولية فيها يشتهى من المقاصد خوفاً من التصحيف وتغيير بعض المعاني وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضاً كان في ذلك خير كثير واستدراك كبير ان شاء الله تعالى

(والشيخ أبو عبد الله) سلمه الله هو بالتردد واسطة نظام هذا الأمر العظيم فساعدوه وأزايو ضرورته واجمعوا همته واعتصموا بقية حياته واقبلوا نصيحتي فيها اتبعته من هذا كله كما كتبت أتحقق ان اغتنام أوقات الشيخ وجهها على التأليف والاحتقان والمقابلة خير من صرفها في مجرد المناقشة والفتنة والنقد والتفوس فطلت كثيراً في ذلك الحال والله المسؤول بأن يكفيها مضرة كمال الفتور الذي لا عرض عنه بحال ، انه رؤف رحيم جواد كريم ، فان يسر الله تعالى وأعان على هذه الأمور العظيمة صارت ان شاء الله تعالى مؤلفات شيخنا فخرية صالحة للإسلام وأهله وخزينة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويستفهم الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم «لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعة الله» وقال «لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» والله سبحانه يقول في كتابه (ويحقق مالا تطعون) وكما اتفق الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينفع بكلامه من بعده ان شاء الله تعالى فاتبوا أمر الله واتقوا رضى الله بجمع كل ما تقدره عليه من أنواع المؤلفات الكبار وأشوات المسائل الضخمة ومنها نسخ الفتاوى المتفرقة وسائر كلامه الذي قد ملئ والله الحمد من الفوائد والقرائد والشوارد فأيقظوا الهمم وأذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصير له فهذا هو الذي يؤمننا من حجب

الاسباب والنام على رب الارباب ومسبب الاسباب، وقائع الارباب، الذي يقم
 دينه وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من بوعده لتلك من انواع
 الخصاص والنام، وكل مجزي في القيامة بسببه (وما ربك بظلام للعبيد)
 وقد علم أن الامام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع
 القلوب على المادة الأصلية السليمة ولا يفرق في استدراك أصحابه ذلك الامر الكبير ففعلوا عليه
 وينوا مقاصده وشهروا فرائده فانصهرت طريقته واتفتت آثاره لأجل ذلك
 والوجود هو على هذه العنقة قديما وحديثا فلا تياسوا من قبول القلوب القريبة
 والبعيدة لكلام شيخنا فانه والله الحمد مقبول طوعا وكرها وأين غايات قبول
 القلوب السليمة اكليانه وتقيم المهم النافذة لمباحته وترجيحاته والله ان شاء الله
 ليقين الله سبحانه لهصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وقهره واستخراج مقاصده
 واستحسان عجائبه وغرائب جلاله الى الآن في أصلا بآبائهم وهذه هي سنة الله
 الجارية في عبادته وبلاده والذي وقع من هذه الأمور في النكون لا يحصى عدده
 غير الله تعالى ومن العلوم ان (البناري) مع جلالة قدره أخرج طريقا ثم مات
 بعد ذلك غريبا وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا يخطر في باله ولا مر في خياله
 من عكوف المهم على كتابه وشدة احتفالها به وترجيحها له على جميع كتب
 السنن وذلك لكمال صحته وعظمة قدره وحسن تربيته وجمعه وجميل نية مؤلفه
 وغير ذلك من الاسباب ونحن نرجو أن يكون مؤلفات شيخنا (أبي العباس) من
 هذه الورثة الصالحة نصيب كثير ان شاء الله تعالى لانه كان بنى جملة أمور على
 الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد تحرير المصنف بكل جهده
 ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه لا يهاب مخافة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة
 وتبيين هذه الحقيقة وقد علم ان لكتبه من الخصوصية والنفع والصحة واليسر
 والتحقيق والاقان والكمال وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المخرقات، والتملق
 في مضائق الأبواب، بمقتضى فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب
 مسائل أصول الدين، وغيرها من مسائل المحققين، لانه كان يحمل النقل الصحيح
 أصله ومعدنه في جميع ما ينفي عليه ثم ينفذ بالتعليقات الصحيحة التي توافي ذلك

وبغيرهما ويحتج على دفع كل ما يارض ذلك من شبه العقول ويلتزم حل كل شبه كلامية وفلسفية كما تقدمت الاشارة الى ذلك ويلتزم أيضاً الجمع بين صحيح المنقول وصريح العقول ويهزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من المحال أن كان عقليين أو عقلياً وتقلياً قال لأن الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فاما ان لا يكونا قطعيين واما أن لا يكون مدلولهما متناقضين وعلى هذا المقصد الجليل في كلامه الذين وقاسيه العجيبة في أول قاعدته الكيرة الباهرة التي انبثقت فيها في دفع تناقض العقل والنقل فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجباً من عجائب الوجود وكان يقول لا يشعور ان يتعارض حديثان صحيحان قط الا ان يكون الثاني منها فاسخاً للاول قال والامام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه وانا في زماني انتم حكم هذه القاعدة أيضاً والنهوض بالجواب عن كل ما يارضها وكان رحمه الله ورضي عنه يذنب عن الشريعة ويمضي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم ولا يفتي عما يشقق عنده ولم يزل على ذلك الى ان قضى نهيته واتي رحمه الله قدس الله روحه ونور ضريحه ونصر مقاصده وأيد قواعده، والله سبحانه يعلم حسن قصده وصحة علومه ورجحان دليله وهو ناصر الحق وأمله ولو بعد حين

وجميع ما وقع من هذه الامور فيه من الدلالة ان شاء الله على شمول امره وعظمور كلة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ولا قوة الا بالله غير ان الاشياء المقدورة تنقسم الى أسبابها المعلومة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العرش يوم يدرى مجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصر في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جليلة مصارع القوم ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلاً: يا رسول الله أهكذا مناصدتك ربك فانه واف لك بما وعدك لم يترك استغاثته به لعلمه ان الأمور المقدرة لا بد ان تقع بأسبابها اللازمة لها المعروفة بها ومصادق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الامر وتحقيق هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم آتي ممدكم بالفرق من الملائكة ذفنهم وما جعل الله الا بشرى ولظنن به قلوبكم وما النصر الا

من عند الله ان الله عزيز حكيم) لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلا شك اعلام مراتب العبودية، واقفا وارضا في حق مجموع البرية، كما كانوا من استعمال هذا الامر الجليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلام على جميع الصالحين



نموذج من انجيل برنابا (الفصل السبعون^(١))

١ وانصرف يسوع من اورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية
فيلس^(٢) ٢ فسأل تلاميذه بعد ان ائذنه الملاك جبريل بالشغب الذي
يجم بين العامة قائلا : « ماذا يقول الناس عني ؟ »
٣ اجابوا : « يقول البعض انك ايليا وآخرين ارميا وآخرين احدا لانبيا »
٤ اجاب يسوع : « وما قولكم انتم في ؟ »
٥ اجاب بطرس « انك المسيح بن الله »
٦ فغضب حينئذ يسوع واثبته بغضب قائلا : « اذهب وانصرف
عني^(٣) لاني انك انت الشيطان وتحاول ان تسيء الي »
٧ ثم هدد الاحد عشر قائلا : « ويل لكم اذا صدقتم هذا لاني
ظفرت بجنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا »
٨ واراد ان يطرد بطرس ٩ فنصرع حينئذ الاحد عشر الى يسوع

(١) سورة البقرة على التمام

(٢) قابل هذا بما في مت ١٣ : ٢٠ - (٣) مت ١٦ : ٢٣

لأجله فلم يطرده ١٠ ولكنه اتهمه أيضاً قائلاً: « حذار ان تقول مثل هذا الكلام مرة أخرى لان الله يمينك »

١١ فبكى بطرس وقال: « يا سيد لقد تكلمت بعبادة قاضرع الى الله

ان يتغفر لي »

١٢ ثم قال يسوع: « اذا كان الهنا لم يرد ان يظهر نفسه لموسى عبده ولا لايلىا الذي أحبه كثيراً ولا لنبى ما أتظنون ان الله يظهر نفسه لهذا الجبل القامد الايمان ١٣ بل ألا تعلمون ان الله قد خلق بكلمة (١) واحدة كل شيء من العدم وان منشأ البشر جميعهم من كتلة طين ؟ ١٤ فكيف اذا يكون الله شبيهاً بالانسان ؟ ١٥ ويل للذين يدعون الشيطان يخدمهم » ١٦ ولما قال يسوع هذا ضرع الى الله لأجل بطرس، والآحاد عشر وبطرس يكون وقولون: « ليكن كذلك أيها الرب المبارك آلهنا (ب) »

١٧ وانصرف يسوع بهد هذا وذهب الى الجليل إخذاً لهذا الرأي الباطل الذي ابتداء أن يلقى بالعامية في شأنه

(ت) الفصل الحادي والسبعون

١ ولما بلغ يسوع بلاده (٢) ذاع في جمة الجليل كلها أن يسوع النبي قد جاء الى الناصرة ٢ فنفقوا وضدوا المزمى بمجد وأحضروهم اليه متوسلين

(١) خلق الله كل شيء في كلام واحد بلا نبي منه (ب) يا الله سلطان

(ت) يسوع يسوع

(١) ص ١٥٢ - ١٢

اليه أن يمسهم بيديه ٣ وكان الجمع غفيرا جدا حتى ان فنيا مصابا بالشلل لما لم يمكن ادخاله في الباب حمل الى سطح البيت الذي كان فيه يسوع وأمر القوم برفع السقف ودلي على ملاء أمام يسوع ٤ فتردد يسوع دقيقة ثم قال : «لا تخف أيها الاخ لان خطاياك قد غفرت لك»

٥ فاستاء كل أحد لسمع هذا وقالوا : «من هذا الذي يتفر الخطايا»

٦ فقال حينئذ يسوع : «أمر الله إني لست بمقدر على غفران الخطايا ولا أحد آخر ولكن الله وحده يغفر ٧ ٨ ولكن تكلم الله أقدر أن أتوسل اليه لأجل خطايا الآخرين ٩ لهذا توسلت اليه لأجل هذا المريض وإني موقن بأن الله قد استجاب دعائي ٩ ولكي تعلموا الحق أقول لهذا الانسان : «بسم الله (ب) أبائنا الله ابراهيم وأبائته قم مفاي» ١٠ ولما قال يسوع هذا قام المريض مفاي ومجد الله

١١ حينئذ توسل العامة الى يسوع ليتوسل الى الله لأجل المرضى الذين كانوا خارجا ١٢ فخرج حينئذ يسوع اليهم ثم رفع يديه وقال : ١٣ «أبها الرب الناجود الاله الحقي الاله القدوس الذي لا يموت (ت) ألا فارحمهم ١٤ فأجاب كل أحد : «امين» ١٥ وبعد أن قيل هذا وضع يسوع يديه على المرضى فقالوا جميعهم صحتهم

١٦ فحينئذ مجدوا الله قائلين : «لقد افقدنا الله بنيه فان الله أرسل

لنا نبيا عظيما»

(١) قال عيسى أقسمت (أقسمت ١) بالله الحي أنا لا أقدر ان يغفر ذنبا من ذنوب لا يغفر ذنوب الا الله منه (ب) ياذن الله (ت) سلطان الله حي حق وليد باق

الفصل الثاني والسبعون^(١)

١ وفي الليل تكلم يسوع سرّاً مع تلاميذه قائلاً: ٢ « الحق أقول لكم ان الشيطان يريد أن يفر بكم كالخطة^(١) »^(٢) ولكني توسلت الى الله لأبطلكم فلا يهلك منكم الا الذي يلقى الجائل لي » ٤ وهو انما قال هذا عن يهوذا لان الملاك جبريل قال له كيف كانت ليهوذا يد مع الكهنة وأخبرهم بكل ما تكلم به يسوع

٥ فاقرب الذي يكتب هذا الى يسوع بدموع قائلاً: « يامعلم قل لي من هو الذي يسلمك ؟ »

٦ أجاب يسوع قائلاً: « يا برنابا لست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها ولكن يطن الشرير نفسه قريباً لاني سأنصرف عن العالم »

٧ فيكي حينئذ الرسل قائلين: « يامعلم لماذا تركنا لان الاخرى بنا ان نموت من ان تركنا »

٨ أجاب يسوع: « لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا^(٣) » ٩ لاني لست انا الذي خلقتكم بل الله الذي خلقكم يحميكم^(ب) ١٠ أما من خصوصي فاني قد أمتيت لأهية الطريق لرسول الله^(ت) الذي سيأتي بخلص للعالم ١١ ولكن احذروا أن تُفسدوا لانه سيأتي أنبياء كذبة^(٤) كثيرون يأخذون كلامي وينسجون انجيلي

١٢ حينئذ قال اندراوس: « يامعلم اذ كر لنا علامة لتعرفه »

(أ) يهوذا العلامة رسول الله (ب) الله خالق وحافظ (ت) رسول الله

(١) لوقا ٣١: ٢٧ (٢) يوحنا ١٤: ٢٧ (٣) متى ٢٤: ١١

١٣ أجاب يسوع : « انه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يطل انجيلي ولا يكاد يوجد تلاميذ مؤمناء ، ١٤ في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل (أ) رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة يصفاه يرفعها أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم ١٥ وسيأتي بقوة عظيمة على القمار ويبدع عبادة الاصنام من العالم ١٦ واني أسر بذلك لانه بواسطته سيطن ويمجد الله ويظهر صدقي ١٧ وسينتقم من الذين يقولون اني أكبر من انسان ١٨ الحق أقول لكم ان القمر سيمطيه رقاداً في صباه ومتى كبر هو أخذه (١) بكفيه ١٩ فليحذر العالم أن يفذه لانه سيفتك بعدة الاصنام ٢٠ فان موسى عبد الله (ب) قتل أكثر من ذلك كثيراً ولم يبق يشوع على المذبح التي أحرقوها وقتلوا الاطفال ٢١ لان القرحة الزمنة يستعمل لها الكي ٢٢ » وسيجيء بمجيء أبلج من سائر الانبياء وسيخرج من لا يحسن السلوك في العالم ٢٣ وستجي طوبا ابراج مدينة آباتنا بعضها بعضاً ٢٤ فتشبه شومد سقوط عبادة الاصنام الى الارض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم ان نبي الله (ب) حينئذ يأتي

(المتار) وفي موضع آخر من هذا الانجيل يان سبب تسمية سيدنا عيسى إلهنا وابن الله وهو أن الرومانيين الذين كانوا يحكون اليهود يومئذ رأوا آياته عليه السلام في إبراء البرص وغيرهم من المرضى فقالوا هذا إله إسرائيل قد افتقد شعب كعادتهم في إطلاق اسم الإله على كثير من المخلوقات الخ

(أ) الله مرسل (ب) رسول الله

(١) الآية المهيبة في القرآن سورة ٥٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

هنا هذا الباب لا حاجة إلى شرحه المشركين خاصة ، إلا يسمع الناس طاعة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وتب موطنه وجمعه وظيفته (وله بعد ذلك أن يرزق الله اسمه بالحروف إن شاءه) وأن يذكر الاستسنة بالتسوية قالوا وقد سئلتنا عن السبب كطاعة الناس إلى بيان موضوعه ورأينا أحيانا غير مشتركين لهذا ، ولكن بعضي على سؤاله شهران وثلاثة أشهر ذكر به من تواحدة قال لم تذكره كان لنا غير صحيح لا نقلا

حكم من قال أنا في جاه النبي وحديث توسلوا بجاهي

(ص ٤٨) من أحمد أفندي البدوي في (القطار الخيرية)

ملخص السؤال أن بعض المجاورين في الأزهر عديم التخذ كانا كبير اليمين الخلاوة وقد وقف خطيباً على جمهور من الأفاضل وقال لهم : من قال أنا في جاه النبي فقد كفر ؛ فقال له أسألك قال عليه الصلاة والسلام « توسلوا بجاهي » فإن جاهي عظيم فأجاب به أن هذا حديث مكذوب مات لي حديثاً من الكتب الستة أو آية من القرآن . ويطلب بلسان أهل البلد بيان الحق في ذلك

(ج) أن الرجل قد أخطأ في كلمة وأصاب في كلمة أخطأ في تكفير من قل أنا في جاه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصاب في قوله أن عبارة « توسلوا بجاهي » الخ ليست حديثاً مروياً عنه صلى الله عليه وسلم بل هي من الموضوعات كما سبق لنا القول في التاريخ غير مرة . أما الكفر بمعنى الارتداد عن الإسلام فهو إما يكون بانكار شيء مما جاء به صلى الله عليه وسلم علم من الدين بالضرورة إجماعاً كالقرآن كله أو بعضه وككون الصلوات المفروضة خمساً . ولعل الرجل ما قال بالكفر إلا وهو يظن أن من قال تلك الكلمة فهو يعني بها أن النبي صلى الله عليه وسلم ينفع أو يضر من دون الله . وهي ليست نصاً في ذلك وإذا كان من لوازمها القرية أو البينة فلازم المذهب ليس بمذهب لاسيما في باب الردة . والتي أرى الناس يستعملون هذه الكلمة « أنا في جاه النبي » لانتفاء استعظام الأمر أو استغناؤه يقول قائل : فلان شرير يفتش ضره أنا في جاه النبي : ويريد الآخر أن يبالغ في تصديقه

فيقولها أيضاً ولا يكاد قائلها يقصد الاستقامة بالنبي صلى الله عليه وسلم لينقذه من شر الرجل . هذا وإن الكلمة لم يرد بها كتاب ولا متون ولا أثر من الصحابة أو الأئمة ، فتركها أعلم من استعمالها وإن لم تكن كفراً . فلا يليق أن يجعل اسم النبي (ص) عنواناً على الاستفطاع كما هو المستعمل وإن قصد قائلها أنه يهجو من اشترى والذباب ويصيب الخير والثواب بجعل نفسه في جاه النبي صلى الله عليه وسلم قولاً قصده هذا يخالف لمهدي النبي وما جاء به من أن النجاة في الآخرة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح وأن أمر الدنيا مبني على الأسباب ومن الله التي لا تقهر والتي يجرعها انتصر المؤمنون منه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم فئة قليلة ولولا لأدبار يوم حنين وهم كثيرون وانكسروا كذلك يوم أحد .

﴿ صخرة بيت المقدس ﴾

(ص ٤٩) من محمد أفندي عبدالكريم بمدرسة الناصرية بمصر
ما قولكم في الصخرة المقدسة الموجودة ببيت المقدس ببلاد الشام وفي أي زمن قدست ومن أطلق عليها اسم المقدس وهل هي حقيقة متصلة بالجبل ومعلقة بين السماء والأرض وما هي الحقيقة فيها ؛ لا زلتم كما قالوا ردين ولم جألة احدين ودمتم (ج) لم يردني كتاب الله ولا في أحاديث رسوله وصف الصخرة بالمقدسة وإنما وصفت تلك البلاد كلها بالأرض المقدسة لظهور الأنبياء والمرسلين فيها وبارشادهم بتقدس نفوس الناس من الشرك والردائل . وكانت الصخرة وما زالت قبلة اليهود فهي مستقلة ومحدودة من الآثار الشرقية لأنها من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليست متصلة بالجبل ولا واقعة في الجو وإنما هي سقف لمخارة صناعة وقد سبق لنا وصفها فراجع ص ٢٦٦ من المجلد السادس

﴿ مشكلتان في القضاء الاسلامي ﴾

(أحدهما واردة على حكم القاضي باجتهاده والثانية على تعدد المذاهب)
وجه اليأس السوالين الآتين بعض كبار علماء القوانين والفتة في بلادنا من فضلاء سامريين عنده ورجب اليأس أن نجيب عنهما في المثار وقال أنه سأل بهما بعض الفقهاء المشهورين فلم يجزوا جواباً وقد أحببنا هناك جواباً بجملة قصده هنا

(السؤال الاول)

(س ٥٠) قرر القضاء ان يكون القاضي مجتهدا ومناه انه يحكم بما آداه اليه اجتهاده ويلزم من هذا ان يكون المتحاكون جاعلين بالاحكام التي يحكم لهم أو عليهم بها وفي ذلك ما فيه وهو عما يمد على الفقه الاسلامي

(ج) ان الدين الاسلامي لم يأت بقوانين وأحكام منفصلة لجميع ما يحتاج اليه الأمة في معاملاتها الدينية وإلما جاء ببعض القواعد العامة والاحكام التي احتيج اليها في عصر النزول وفوض القرآن الأمر فيها يحتاج اليه من أمور الدنيا السياسية والقضائية والإدارة الى أهل الرأي والمعرفة بالمصالح من الأمة بقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (٤ : ٨٣) ولوروده الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ولهذا أمر بطاعة هؤلاء الذين مهام أولي الأمر وم أهل الشورى في الآية الأخرى فقال (٤ : ٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فهذا ما جاء به الاسلام وهو هداية تامة كاملة لاتصل بها أمة الا وتكون مستقة في أمورها مرتقية في سياستها وأحكامها يسير بها أهل الرأي والمعرفة في كل زمان ومكان بحسب المصلحة التي يقتضيها الزمان والمكان ومن ذلك ان يصنعوا القوانين وينشروها في الأمة ويلزموا القضاء والحكام باتباعها والحكم بها ولكن المسلمين لم يهتدوا بذلك على وجه الكمال أما أهل الصدر الأول فقد قاموا بما تقتضيه حال الزمان والمكان بقدر الإمكان لاسيما على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد كان ما هو معروف عندهم أم المرفة من أحكام القرآن وأفضية الرسول وسنته في تحري العدل والمساواة وأيا بمعظم حاجاتهم القليلة بمقتضى السذاجة الفطرية وشطف العيش والتبسك بالدين ومن لوازمه فقد لا تعتمد والاحتيال فكان يكتفي في القاضي أن يكون عالما بما ذكر صاحب بصيرة فيه وعدالة في نفسه بحيث اذا عرض له قضية لم يرد فيها كتاب ولا تمس بها سنة - ولعل ذلك قليل أن يسل وأيه تطبيقها على العدل وقياسها بما يشبهها مما ورد . ولم يكن الناس في ذلك العهد يشعرون بأهم في حاجة الى معرفة ما عساه يعرض من أحكام القضا غير المصنوعة ليدون وينشر بل لم يكن ذلك

متيسرا للامة على المسلمين ولنفوذ بعضهم أمرا الذين يدخلون في ذمتهم الى حكم أنفسهم بأنفسهم ونتيجة ذلك أنهم لم يكونوا محتاجين الى وضع القوانين ونشرها ولذلك صرفوا همهم الى الدعوة الى الاسلام وما يتبع ذلك من الفتوحات وما يدل على أن ما كانوا عليه كان كافيا في إقامة العدل وراحة الناس وأمانهم بحيث لا يشعرون بحاجة الى معرفة ما كانوا يحكمون به، ما رواه ابن سبني الطباقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر يأمر عماله أن يوافقوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال (أي على مسمع الملاة من أهل الموسم الواردين من الجهات) : « يا أيها الناس إني لم أبش عمالي عليكم ليصيروا من أباشاركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم إنما بقتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيكم بينكم فمن ضل به غير ذلك فليقم » فقام أحد الأ رجل قام قتال : يا أمير المؤمنين إن عاملك فلان ضربني مئة سوط : قال : فيم ضربته ؟ قم فاقص منه : فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك : قال (عمر) « أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ (١) قال (عمرو) فدعنا نرضيه : قال « دونكم فارضوه » فافندى منها بمئتي دينار عن كل سوط بدنيار بن اء والشاهد في عدم قيام أحد من أهل الموسم بشكوا العمال غير هذا الرجل وقد كتبنا في المجلدين الرابع والخامس من المنار مقالات أو فبذا في القضاء

في الاسلام وما كتبناه في أول النبة الرابعة مانه (ص ١٦٦ م ٥)

« أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة - الكتاب المزبوع والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر - وإنها لأركان عظيمة » وأصول قديمة ، والاساس الذي بنيت عليه هذه الاركان « دهر المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على ائمنة في كل زمان ومكان بحسبه » وأقول الآن فقد كان قضاء المسلمين ممن يسمون بلسان الارريين الآن بقضاة العدل والانصاف . ثم أوردنا الاحاديث وآثار الصحابة الدالة على تلك الاركان وما أوردناه في منتهى في الاستشارة

(١) القود القصاص وأقادم من نفسه مكبه من القصاص وأقادم القاتل بالقتيل فتعنه

وعلم الاستبداد فيما لانس فيه ما جاء في (ص ١٧٢ م ٥)

« روى الهارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان عليها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال « أأفني كذا وكذا فظفرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فقل تملكون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ » فربما قام الرهط فقالوا : نعم قضى فيه بكذا وكذا : فأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وان أعياء ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم (أي الذين هم أوّل الأمر في الآية) فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفضل ذلك » وكان يرجع الى أقضية أبي بكر الخ أقول فأتت ترى ان ما جروا عليه في الصدر الأول كان متصفاً الكمال الممكن في عصرهم الكافل لمناجهم

ولكن حدثت للمسلمين بعد ذلك حاجات أخرى قد تشعبوا المدائن والأصهار ودخل الناس في دينهم أفواجاً من جميع الأمم واللل فكثرت حاجات العمران وحدثت للناس أقضية كثيرة لم يكن لها نظير في الصدر الأول كما قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضية بحسب ما أحدثوا ثم ان هؤلاء الناس لم يكونوا من فهم الدين والاهتمام به كما كان أهل مصر الأول ومن ثم احتيج الى وضع قوانين عامة يرضى بها الناس ويتقاضون بها وكان يجب بمقتضى هداية القرآن أن يجمع لذلك أوّل الأمر والمصبر عنهم في الأمر المذكور آتينا رؤوس المسلمين وعلماءهم فيضموه وتبري ما يظهر لهم ان الامة الاحكام عليه مالم يروا تحويره وتضييعها وانكسرهم تركوا ذلك للأفراد يكتبون متفرقين محتاجة اليه فكثرت المذاهب والآراء وكان ينصب القاضي من هؤلاء الأفراد المنصرفين الى وضع الاحكام برأيهم واجتهادهم حتى اذا ما ضعف العلم فشتوا فليد أفراد من المصنفين في الاحكام صار المحكام المستبدون يولون القضاء أفراداً من متعلمي مذاهبهم فكان ذلك قصافي القضاء عند المسلمين ، سببه عدم علم الاهتداء بما سبق تقريره من أصول الدين ، مع ما طرأ عليهم من الأمراض الاجتماعية

والفكر السياسية ، فبعض التصغير على المسلمين لاشي منه يلحق بهداية الاسلام
فرض القرآن جماعة أولي الأمر أن يستنبطوا للأمة ما يحتاج اليه بالشورى
فلم يفعلوا ونهاهم عن تقليد الأفراد قلدوهم ونهاهم في آيات كثيرة عن التفرق
والخلاف ففترقوا واختلفوا ولو وضع لهم أول الأمر قانونا مدونا لاختلاف فيه
بحيث يعرف الحاكم والمحكومون ما به يتون الحكم اكانوا مؤمنين بهدي الاسلام
ولم يمنع ذلك من أن يكون القاضي مجتهدا كما كان في عهد السلف مع التزام أحكام
الكتاب والسنة فان ما يرضه أولو الأمر لمصلحة الدنيا واجب الاتباع بنص القرآن كما
يجب اتباع الله ورسوله وحينئذ يكون جل اجتهاد القاضي في تطبيق أحكام الكتاب
والسنة وقانون أولي الأمر على القضايا وأقله فيما عدا بعض من القضايا التي أغفلها
القانون ولا نص فيها ويشترط في ذلك أن يقرن اجتهاده باجتهاد غيره كما يحصل
نظير ذلك في محاكم الاستئناف على الطريقة الأوروبية

(السؤال الثاني)

(م ٥١) ان ما جرى عليه المسلمون من حكم القاضي بأحد المذاهب التي
قلدها الجمهور (وهو مذهب الحاكم العام في كل مملكة غالبا أو دائما) يستلزم اذا استبدل
قاض تابع لمذهب بقاض تابع لآخر أن يحكم القاضي الجديد بمذهبه بين المتعاقدين مع
مراعاة مذهب من قبله وقد تكون الشروط الأولى التي التزموها ورضوا بها لموافقها
المصلحة باطلة عند القاضي الأخير فتضد المصلحة على أحد المتعاقدين أو كليهما .
ومما يدخل في هذا الباب انتقال المتعاقدين أو الشرعيين من بلد الى بلد آخر
يختلف مذهب مذهب الأول . ومثل هذا مما صرحت قوانين الأوربية بحكمه
(ج) هذا مما يرد على المسلمين وفقههم ولا يرد على أصول الاسلام نفسه
وهي التي تلتزم في المنابر بيان موافقتها لمصلحة الناس في كل زمان ومكان اذا أقيمت
على وجهها دون هذا الفقه وبينان ذلك يعلم مما تقدم في المسألة السابقة من ان
القرآن وكل ذلك الى أولي الأمر يستنبطونه بالمشاورة بينهم لا يلتزمون في ذلك
الا الأصول المنصوصة المجمع عليها من إقامة ميزان العدل ودرء المفاسد وحفظ
المصالح وهذا لا يمكن من التقليد الذي هو التزام الأمة مذهب أحد أفرادها

السابقين ولقد كنت نحي دائماً على التقليد وتقول انه والاسلام ضدان . والحكم بما
 يفرضه أولو الأمر على ما ذكر ليس تقليدا بل هو عين الاجتهاد . ولا يرد عليه
 ما يفرضه جماعة منهم في مملكة وبراعية الناس في عقودهم ومعاملتهم ثم ينقل بعضهم
 الى مملكة أخرى وضم أولو الأمر فيها قوانين أخرى على فرض ان الاسلام يميز
 وجود مملكتين مختلفتين في الاحكام ولا ما يقع اذا مات واضمح قانون وعقلم
 آخرون رأوا تغيير بعض أحكامه فان مثل هذا واقع الآن في الأمم المرقية
 في علم الحقوق فان الأمم يخالف بعضها بعضاً وكل أمة تفسخ وتبدل بعض
 أحكام قوانينها آناً بعد آناً ويراعون في ذلك مصلحة من قاموا من قبل هذا التسخ
 والتبدل . وأي مانع يمنع المسلمين من ذلك غير هذا التقليد الذي خالفوا به
 القرآن والسنة ، وأقوال جميع الأئمة ،

وجهة القول ان كل بلایا المسلمين في علم الحقوق عندهم منبها التقليد وهي
 كثيرة جداً ولو اتبعوا هدي الكتاب والسنة ، لا نكتشف عنهم كل غمة ، فقد
 وسع الله عليهم ، ولكنهم ضيقوا على أنفسهم ، ولا يمكن اخراجهم من هذه المودة
 أو اقاذهم من هذا المضيق الا بنزع أغلال التقليد من اعناقهم وكسر قيوده
 التي في أرجلهم وحينئذ يفسى لهم في أي مملكة لهم فيها حكم أن يؤلفوا لجنة
 من أهل العلم والرأي والمكانة في الأمة تضع لهم القوانين والأحكام التي تنبأ
 هذه المخاسد الكثيرة وتسهل لهم سبل المصالح التي تقضيها طبيعتهم منهم ومكانهم
 عملاً بهدي القرآن الحكيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ حديث « ان للاسلام صوى ومناورا » في طرة المنار ﴾

(ص ٥٢) من م . ح . ن . بالجواز

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم العالم الرباني سيدي السيد محمد رشيد رضا
 أقضي ان يفيدني عن هذا الحديث « ان للاسلام صوى ومناورا كمنار الطريق »
 في أي كتاب من الكتب الحديثية المتسيرة هو وفي أي باب هو فصحيح هو
 أو ضعيف ويشرح لي مناه لزال في مقام حكيم ، على رغم أنف كل حاسد
 لهم ، أمين

وقد رأيت في (الرحمة المهداة لمن يريد الزيادة على حديث المشكاة)
 لجبل المرحوم السيد صديق حسن خان ملك بهوبال في باب السلام حديثاً يخالف
 ما هو على طرة المنار الأغر « ان للإسلام صوي ينار الطريق » وهو طويل
 ما أعلم هل الذي على طرة المنارة زيادة أم هو كما هو على طرة المنار أرجو الاقادة
 عنه سيدي

(ج) نرون الحديث في الجامع الصغير باللفظ الذي نرونه في المنار معزو
 الى الحاكم عن أبي هريرة وبجانبه علامة الصحة ونرون بعده حديثاً آخر « ان للإسلام
 صوي وعلامات كنار الطريق ورأسه وجماعه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً
 عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقامه الوضوء » وهو معزو الى الطبراني
 عن أبي البرداء وبجانبه علامة الضعف . أما منناه فالصوة بضم الصاد المهملة
 كالكرة حبر يكون علامة في الطريق يهتدي به المارة والجمع صوي ككوى وهو جمع
 قياسي كغرفة وغرف . قال في لسان العرب : وفي حديث أبي هريرة « ان للإسلام
 صوي ومنار كنار الطريق » . . . قال أبو عمرو الصوي أعلام من حجارة منصوبة
 في الثيابي والمنارة المهيولة يهتدى بها . وقال الأصمعي : الصوي ما نلظ من الأرض
 وارقم ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، قال أبو عبيد : وقول أبي عمرو أعجب الي وهو أشبه
 بمعنى الحديث : اه وقال في مادة (نور) : والمنار والمنارة موضع التور : ثم قال
 أيضاً : والمنار العلم يوضع بين الشيئين من الحدود وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم
 « لمن الله من غير منار الأرض » أي أعلامها والمنار علم الطريق . وفي التهذيب
 المنار العلم والحد بين الأرضين والمنار جمع منارة وهي العلامة فجعل بين الحدين
 ومنار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام
 على أقطار الحرم ونواحيه وبها تعرف حدود الحرم — الى أن قال — وفي الحديث
 عن أبي هريرة رضي الله عنه « ان للإسلام صوي ومنار » أي علامات وشرائع
 يعرف بها : اه

ومنه يعلم أن نسبة ما ينفي في المواثي يوضع فيه التور لتهتدي به السفن ليلا

٦٢٤ الرخصة لأصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والتفدية (المار ٨-١٠٠)

بالتار له وجان أحدها انه موضع لنور وثانيهما أنه علم يمتدى به ولكن الناس يسمونه النار وهو فقط أعجب لا يبعد أن يكون محرقا عن النار . ويصح أن تسمى الأعلام الحديدية التي توضع في السكة الحديدية لهداية الرايات بالنار وأيضا هذا وإننا قد اقتبسنا اسم النار من الحديث الشريف فتاؤلا بأن يكون مينا لصوى الاسلام وثاميا لأعلامه وموضعا لنور الحقيقة التي نحتاج اليها في حياتنا الملية والاجتماعية والله الموفق والمعين

﴿ الرخصة لأصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والتفدية ﴾

(س ٥٣) من أمين محمد افندي الشامي بمصلحة السكة الحديدية بأبجرا (السودان)
فضيلة الأستاذ المرشد

بسم تقديم واجب الاحترام أوجوكم الجواب على السؤال الآتي وهو انما حال مصلحة السكة الحديد السودانية تشغل باجهااد انفس في ورش جدرانها وأسقفها من حديد ولا يخفى على فضيلتكم أن موقع السودان وشدة الحرارة وتأثيرها في تلك الورش شديد جدا كما لا يخفى على فضيلتكم ما لتفصول الاعمال البدنية من تشييط الحضم وسرعته قبل برخص الشرع الشريف للمسلم الذي يحيطه مثل هذه الظروف بافطار شهر رمضان أم لا وإذا رخص الشرع الشريف فما الذي يجب على المفطر اداؤه جزاء على هذه الرخصة أفيدونا على صفحات متاركم الاخر ونفضيكم التراب

(ج) جاء هذا السؤال قبل طبع المزمة الاخيرة من هذا الجزء فبادرنا الى الاجابة عنه من غير مراعاة ترتيب الاستفتاء فنقول : يباح لأصحاب الاعمال الشاقة التي عليها مدار معيشتهم اذا كانوا يتحملون مشقة شديدة بالصيام ان يفطروا ويطعموا عن كل يوم بفطرونه مسكينا لأن المخرج صرّح من الذين بنى القرآن وقد ذكر ذلك الفقهاء كما في شرح المنهاج الرملي (ص ٣٣٩ ج ٢) وبه فسر الأستاذ الامام قوه تعالى (٢ : ١٨٤) وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين (راجع ٦٥١ م ٧) وأقل ما يطعمه المسكين مد من الطعام وقد بين كفي الرجل المتصل من القمح واذا غذاه أو عذاه أو أعطاه ما يفي تلك من الطعام الذي يأكله هو كفي

أثان على الحبيب

﴿المطبوعات الجديدة﴾

﴿كتاب غريب القرآن للسجستاني﴾

كتب علماء الاسلام في غريب القرآن كتباً كثيرة منها المطول والمختصر ومنها المنثور والمنظوم ومنها مختصر للشيخ أبي محمد بن عزيز السجستاني مائة زهرة القلوب وهو مرثب على حروف المعجم ترتيباً خاصاً . وقد طبعه في هذه السنة محمد اخندي الخافجي وشركاؤه طبعا جميلا ضبطت فيه كلمات القرآن في الأكثر . فاجاء كتابا لطيفا بشكل صغير يوضع في الجيب وهو مفيد يفسر الكلمات غالبا بالمعنى المراد وثارة يذكّر أصل الاشتقاق

﴿غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب﴾

كتاب للشيخ محمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨ شرح منظومة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القوي المرداوي الحنبلي المتوفى بالشام ٦٩٩ أحد شيوخ تقي الدين ابن تيمية في العربية . وهذا الشرح يدخل في مجادين فيهما من الاخبار والآثار والقوائد والشوارد مالا يوجد الا في الاسفار الكثيرة فقد كان السفاريني واسع الاطلاع حسن الاختيار في القالب . وقد طبع كتابه هذا الشيخ عبد الفتاح المجاوي النابلسي باذن أحفاد المؤلف وثمن النسخة منه عشرون قرشاً وأجرة البريدي القطر المصري أربعة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكتبات المشهورة

﴿كتاب الأمالى لأبي علي القالي﴾

سبق لنا قول في هذا الكتاب النفيس وهو جران يتلوها جزء لطيف مائة ذيل الأمالى وجزء آخر ألطف منه مائة التوارد وقد تم طبع الجميع في مطبعة بولاق لا مربة على نفقة الشهابي صاحب دار الكتب المصرية

قلنا في الجزء الآخر من السنة الماضية إن هذا الكتاب من أفضل كتب الأدب وقد عدّه ابن خلدون أحد أركانها الأربعة التي تعدّ مائر الكتب فروع عنها .
والثلاثة الأخرى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرّد والبيان والتبيين للجاحظ . ففي الكتاب من مختار المنظوم والمنثور للعرب والمختصر من وكبار المولدين ومن مباحث اللغة والأدب ما هو خير عون على طبع ملكة البلاغة في نفس من يراول قراءته . وأما طبعه فمفيد القول بأنه لم يطبع بمصر فيما نعلم كتاب بعد التخصّص منه في الضبط والاعتقان مع جودة الورق فمضى أن يقبل عليه عشاق الأدب ولا بد أن تنبثق نظارة المعارف طائفة من نسخته

﴿ سفينة النجاة ﴾

كتاب في النحو وضعه لتعليم في مدارس الخريز أحد أسانفتها (الأرخ بلاج) وهو مؤلف من أربعة أجزاء لطيفة - الأولى والثاني ذكرت في المسائل بأسلوب السؤال والجواب وضبط بالشكل التام دون التقرينات الملحقة بها وهما لتعليم المبتدئين في السنة الأولى والثانية ومسائلها تليق بهم ووضع ثالث والرابع شروح في هوامشها وقد أهدانا المؤلف نسخة من طبعة الكتاب الرابعة فإذا هي بمكانة من الجودة والضبط والاعتقان . فني نجد في الأخرى مثل هذه الكتب لتسهيل التعليم التي سبق عطاءنا إليها الاجانب ولولا أن نظارة المعارف سبقت إلى مثل هذه الكتب وإن هذا المؤلف أخذ منها وحذا حذوها لساغ لنا أن نقول أن الاجانب خير منا في خدمة لغتنا

﴿ سفينة البلاء ﴾

وأهدانا هذا المؤلف أيضاً نسخة من رسالة في علوم البلاغة الثلاثة سماها سفينة البلاء وهي نحو ستين صفحة فشكر له هذا وذاك

(التقدم) جريدة سياسية يومية أنشأها في تونس البشير الفودني وبين أن من مقاصدها الدعوة إلى الاعتصام بالدين والدفاع عنه وخدمة الجامعة الإسلامية في بئل التصالح لأهل الوطن في جميع الشؤون والاعتدال في تنبيه الحكومة إلى ما يجب فتمت القراءة والكتاب على تضييدها بالاقبال عليها واسماها على هذه الخدمة الجليلة

باب الحجة الأولى

سياسة إيطاليا بمطامعها في بلاد المسلمين

دولة إيطاليا تحاول مجازاة الدول الاستعمارية ولكنها تجهل الاستعمار فستلجأ إليه غير طريقه وتأتيه من غير أبوابه . ومن المعروف المشهور أن لها طمعا قديما في ولاية طرابلس الغرب العثمانية وقد علمنا في هذه السنة أن أطاعها قد انطلقت بولاية اليمن وأنها منذ زمن غير قريب تدس الدسائس إلى امام الزيدية فيها لتفوق عزيمته على مجازاة الدولة العلية وتتوهم أنها تدخل اليمن في غلات هذه الفتنة فلا يظن لها أحد . وإن طمعا في اليمن لأدل على جهلها بطرق الاستعمار من طمعا في طرابلس الغرب لا لأن عرب اليمن أشجع وأمرن على الحرب من عرب طرابلس ولا لأن الزعيم الديني الذي في اليمن سياسي حربي بالفعل والزعيم الديني (وهو السنوسي) الذي في صغاري طرابلس ليس كذلك بل لأن اليمن والحجاز صنوان للدولة التي يستقر سلطانها وقوتها في اليمن تكون خطرا متصلا بالحجاز فأول من يتألب عليها إذا كانت غير مسلمة عرب الجزيرة ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ان يكونوا عوناً لهم بكل ما يستطيعون فكان دولة إيطاليا بطمعا في اليمن تهدد المسلمين بهدم الكعبة والقضاء على الاسلام في حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم

ومع هذا نرى لبعض خدمة هذه الدولة وسائل سياسية تضحك الشكلى براد فيها غش المسلمين وقناعهم بأن إيطاليا محبة للإسلام والمسلمين منها تلك الهدية التي أرسلتها إلى السنوسي وما أمكن ان ترسل إليه الا بامم رجل مسلم من مستخدميه ثم كتب إليه بعد ذلك بأن ملك إيطاليا دفع عنها لجه الشديدي في الاسلام نفسه وفي المسلمين عامة والسنوسي والسنوسية خلاصة . ومنها ما ذكرناه في بعض أجزاء منار هذه السنة من استخدام الشيخ عبد الرحمن عيش في بناء مسجد وإيقافه ليصل فيه على روح أمبروزو الأول ملك إيطاليا السابق ليصبحوا ذلك بين جهة مسلمي طرابلس

والبن والصومال والشيخ عيش يصفه بالايان ليوم الناس انه كان مسلماً !!
ومنها إنشاء مجلة بمصر نصفها عربي ونصفها طلياني كتب عليها «عربية تليانية
إسلامية» ويدير أعمالها وسياستها رجل طلياني ويكتب فيها من الخطب والخطب
في الدين والتصوف ما يبكي المسلم الصادق ، ويضحك المارق والمناق ، وأما الحب
الذي يضعه مدير سياحة هذا الفخ حوله ليجذب به اليه من يراه من أغرار المسلمين
الذين يشبهون الطير في غراتها فهو مدح الاسلام ودعوى إقتناع الأوربيين بفضله
وأني فضيحة على المسلمين أن منع من تشبه بأن بعض الاجانب الذين يمدحون دولة
طامعة في بلادهم هو الذي يبين لأوربا والمسلمين جميعاً حقيقة الاسلام وفضله وهو
لا يعرف أحكامه ولا يستخدم الالجاهين بها ؟ ولماذا لم يعمل هذه الخدمة للاسلام
بلغات الدول التي يقول أنها أعدى أعدائه كإنكلترا وفرنسادون لغة أهل العربية
ولغة محبيه بزعمهم وهم الايطاليون ؟

وقد وقع لبعض جرائد المسلمين ترميز هذه الصحيفة المخادعة ولله كان قبل
التأمل فيها ، والتعطين لما في احشائها ومطاولها فسي أن لا تعود في ولا غيرها الى ذلك
(حزب الامة)

انضمت الجمعية العمومية اشركة (الجريدة) المصرية في ١٣ شعبان فخطب فيها
حسن باشا عبدالرازق (لا اعتذار رئيس الجمعية محمود باشا سليمان عن الحضور بسبب
صحي) خطبة سياسية اجتماعية جمعت بين الحكمة والبلاغة وقد سمى فيها الجماعة
المؤسسة للجريدة بحزب الامة وبين مقاصده في ست جهل كلية فوافق من حضر
على ما قال باجماع عقب مناقشة . وقد تلى العقلاء ظهور هذا الحزب بالقبول وما
زال الناس يدخلون فيه فرادى وثبات ، وفقه الله للخير وأبده بالثبات ،

(رزء عظيم بعظيم من زعماء المسلمين)

روى الامام عن بعض الجرائد الانكليزية ان المملك الهندية قد أصبحت
بوقاة النواب محسن الملك الناظم الاعزازي لدرسة العلوم الكلية في عليكرة .
فوجلت منا القلوب لهذا النبأ العظيم ، والرزء الأليم ، الذي أصاب المسلمين عامة
في ذلك العقل الحكيم ، والقلب الرحيم ، والعلم الواسع ، والتدبير النافع ، والتلم

الكاتب ، والرأي الصائب ، وأصاب صاحب هذه المجلة بصدق صادق ، وصحب
مخلص ، وأني أكتب هذه الكلمات لأحضرها في المجلة وقد تمت موادها بعد
خلف شيء مما جمع منها وإن لنا لعودة إلى الكلام عن هذا الرجل العظيم وصو
إن بين طينا لكثيرة ضياء الدين أحمد بركة حافلة له رحمه الله

الرد على فريد أفندي وجدي

قد علم قراء النار أننا تصدينا لرد على ما يكتبه محمد فريدا فدي وجدي
الآن لأنه يتكلم في أصول الدين وفروعه بغير علم (إلا ما يقتبسه من المجلات
والجرائد وبعض الكتب العربية والفرنسية التي ينقل فيها عند الحاجة) وأنه لما
رأى ذلك فرغ إلى جريدة اللواء فأوسعنا فيها سباً وشتماً وتهديداً ووعداً ومزج
ذلك بشيء من المغالطة جعلها كالرد لما انتقدنا به كلامه في فلسفة التشريع .
ولكنه رأى أننا ردودنا هذه المغالطة ردّاً محكماً لا يقبل المراء وأنتم نبال تهديده
ووعديه بأنه سيتبع سقطات المنازعي لا يدعنا نرفع رأساً ، بل انظرنا له السرور
بتصديده لنقد النار (إن كان يقدر على ذلك) لأن النقد علينا ضالنا التي نقسدها
دائماً فهددنا ووعدنا في مجلته بأنه قد كتب إلى كثير من علماء الدين يطلب منهم
الرد علينا وأنه سيطلع ما برده عليه من ذلك في كتاب ووزعه كأنه موقن بأن
سيجيئونه إلى ما يطلب !! وجعل ذلك خاتمة لقائه في السب والشتم والوعود والتبجح
استمرت أربع ورقات سماها القروس الأولى وقال « واني لن أزال أتقي عليه من
هذه القروس مادام لم يعرف قدره حتى يفيق من هواه وينفي إلى أمر الله » !!
وعني بأمر الله فيما يظهر ترك نصيحته وأمره بالمعروف ونهي عن المنكر وإنما أمر
الله بالتواضع والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يترك ذلك
وما رأيت أحداً من الغلاء اطلع على كلامه هذا أو على مقالاته في اللواء
إلا وقال أنه أمان بها نفسه اهانة لا يستطيع أن يلغها منه الأعداء وإنما أشد عليه
من نقد النار لكلامه وكأني بعض محبيه ين له ذلك ونصح له بأنه إذا لم
يستطع مقابلة النار إلا بمثل هذه القروس التي هي تبجح وإطراء لنفسه وأزراء
بمناظره فالتسكوت أجدر به وأحفظ لكرامته ولله يسكت المنازعة فكلمت النياما يأتي

مصر في ١٨ - ٩ سنة ٩٠٧

الى حضرة الشيخ رشيد

أرجوكم أن لا ترسلوا الي المنار مادتم تسبوننا فيه فقد عزمت ان لا أرد عليكم ولا يتم عزمي هذا الا اذا اجبت عن كل ما يثير نفسي . ولو كنت أعلم ان فيا تقولون ظلام من الحق والصدق لقراءه صاغرا ولكنكم اتخذتم اليوم خطة أتم أعلم بصير السالكين فيها وقد تكلفت كتابة هذا الخطاب اليكم ابقاء على محبتكم من الرد بالبوسة

كاتبه فريد وجدي

فينظر أهل الفهم والعقل الى هذا الكلام وليعجبوا من قوله - وكله مواضع عجب - « ولو كنت أعلم ان فيا تقولونه » الخ فهل يستطيع أحد من خلق الله ان يحكم على قول يقال في المستقبل بأنه ليس فيه ظلم من الحق والصدق الا اذا كان موقنا بأنه يعلم النيب وأنه مصوم في كل ما يقول ويكتب ؟

لقد كان مما قلته ان موضوع علم الحديث كل ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والافعال والصفات الخ وانه مخطى . في جملة موضوعه الأقوال فقط . ومنه تخطت في قوله انه لم يصح عند البخاري الا كذا حديثا اذا نقلت عن البخاري نفسه انه صح عندها كثر من ذلك . فاذا كان أعلم بماصح عند البخاري من البخاري والحفاظ الذين نقلوا عنه لأنه يعلم النيب مثلا فهل يأتي ذلك في الحكاية عن الاصطلاحات كوضوح علم الحديث الذي قال فيه عن الحديثين ما هم مجمعون على خلافه ؟ نعم كان مما قلت انه غير صادق في قوله ان مشيخة الأزهر قررت كتابه كنز العلوم والفتنة في الأزهر وملحقاته وإنما اشترت مكتبة الأزهر بعض النسخ منه . ثم تبين لي أن أمين المكتبة الأزهرية لم يشر هو باستحسانه ولا بأمر شيخ الجامع شيئا من الكتاب وأن ما وجد في المكتبة وظننت أنا أنها ابتاعته منه فهو ما أرسله اليه اديوان الأوقاف فان بعض أصحاب فريد افندي سمي له في الديوان فاشترى الديوان بعض النسخ وأرسلها الى مكتبة الأزهر وله البادة في ذلك . وواقه انه لم يظهر لي أن شيئا مما كتبه مخالف للحق ولو بوجه ما الا ذلك الظن بأن مكتبة الأزهر ابتاعت بعض نسخ ذلك الكتاب . ولكن ظهور الحق في ذلك أشد على فريد افندي وجدي من خلافه .

يؤتي الحق لمن يشاء من عباده
كما يشاء ولا يحصى إلا أولو الألباب

الحمد لله
١٣١٥

فهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون حسنه
أولئك الذين هم أمم اقربا وثقاهم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « مفار » كتاب الطريق

(مصر رمضان سنة ١٣٢٥ — آخره الاثنين ٦ نوفمبر (١) سنة ١٩٠٧)

﴿ نموذج من أنجيل يوحنا ﴾

الفصل الرابع والتسعون^(١)

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « اني أشهد امام السماء وأشهد كل ساكن على الارض اني بريء من كل ما قال الناس عني من اني أعظم من بشر^٢ لانني بشر مولود من امرأة وعمرضة لحكم الله^(ب) أعيش كسائر البشر عمرضة للشقاء العام^٣ لعمر الله^(ت) الذي تقف نفسي بمحضته انك أيها الكاهن لقد أخطأت خطية عظيمة بالقول الذي قلته ؛ ليظف^(ث) الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحمل بها قفمة عظيمة لهذه الخطيئة »
 ٥ قال حينئذ الكاهن : « ليتقر لنا الله^(ج) أما أنت فصل لاجلنا »
 ٦ ثم قال الوالي وميرودس : « ياسيد انه لمن المحال ان يفصل بشر ما أنت تقوله فلذلك لا نفقه ما تقول »

٧ أجاب يسوع : « ان ما أقوله لصديق ان الله يفصل صلاحاً بالانسان كما ان الشيطان يفصل شر^٨ لان الانسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يستغل ويبيع فيه^٩ ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك أتما تقولان هذا لانكما اجنيان عن شريعتنا لانكما لو قرأتم العهد وميثاق الهنا^(١٠) (١١) رأيتما ان موسى حول بعصاه البحر دما والنبار براغيث والندي زوينة والنور ظلاما^{١٢} أرسل الضفادع والجُرذان على مصر فغطت الارض وقتل الابقار وشق البحر وأغرق فيه فرعون^{١٣} ولم أقفل شيئاً من هذه^{١٤} وكل يستترف بأن موسى انما هو الآن رجل ميت^{١٥} أو وقف^(١٦) يشوع الشمس وشق

(١) سورة المؤمنین (ب) الله حکیم (ت) الله حي (ث) استغفراة

(ج) بلاء على فرعون وغرق ذكروه

(١) سفر ٧ (٢) يش ١٠ : ١٢ - ١٤

الاردن وهما مالم أفضله حتى الآن ١٤ وكل يتترف بأن يسوع اتما هو الآن
رجل ميت ١٥ وأنزل ايليا النار من السماء ^(١) عياناً وأنزل المطر ^(٢) وهما
مالم أفضله ١٦ وكل يتترف بأن ايليا اتما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من
الانبياء والا طهار واخلاء الله فلما بقوة الله أشياء لا تبلغ كنهها يقول القديس
لا يعرفون هذا ^(٣) القدير الرحيم المبارك الى الأبد «

(ب) الفصل الخامس والتسعون

١ وطيه فان الوالي والكاهن والملك توسلوا الى يسوع ان يرتقي مكاناً
مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم ٢ حيث ذارقي يسوع أحد الحجارة الاشبي
عشر التي أمر يسوع الاثنى عشر سبطاً ان يأخذوها من وسط الاردن
عندما عبر اسرائيل من هناك دون ان تبطل أحذيتهم ^(١) ٣ وقال بصوت عال :
« ليصعد كاهننا الى عل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامي » : فصعد
من ثم الكاهن الى هناك ٤ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من
سماحه : « قد كتب في عهد الله الحي ^(٢) ^(٣) وميثاقه أن ليس لاهنا
بداية ^(٤) ولا يكون له نهاية ^(٥) »

٦ أجاب الكاهن : « لقد كتب هكذا هناك »

٧ فقال يسوع : « انه كتب هناك ان هذا ^(٦) قد برأ كل شيء
بكلمته ^(٧) ^(٨) فقط »

(١) الله قدير على كل شيء والرحمن (ب) مودة لاله الا الله (ت) الله حي
(ث) الله قديم (ج) الله باق (ح) الله خالق (خ) خالق الله كل شيء في كلام واحد منه
(١) مل ١ : ٩٨ : ٢٨ : ٢٩ (٢) مل ١ : ١٨ : ٤١ (٣) يش ٤ : ٨ (٤) مز ٩٠ : ٢ :
(٥) مز ٣٣ : ٦

٨ فأجاب الكاهن : « انه لكذلك »

٩ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الله لا يرى ^(أ) وانه عجوب ^(ب) من عقل الانسان لانه غير متجسد ^(ت) وغير مركب وغير متغير ^(ث) »

١٠ قال الكاهن : « انه لكذلك حقاً »

١١ قال يسوع : « انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لا تسعه ^(١) لان الهنا غير محدود ^(ع) »

١٢ قال الكاهن : « هكذا قال سليمان النبي يا يسوع »

١٣ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لا يأكل ولا ينام ولا يمتريه قص ^(ح) »

١٤ قال الكاهن « انه لكذلك »

١٥ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الهنا في كل مكان وان لا اله سواه ^(خ) الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد ^(ز) »

١٦ قال الكاهن : « هكذا كتب »

١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال : « أيها الرب الهنا ^(د) هذا هو ايماني الذي آتي به الى دينوتك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك »

١٨ ثم التفت الى الشعب وقال : « توبوا لانكم تعرفون خطيتكم من كل ما قال الكاهن انه مكتوب في سفر موسى عهد الله الى الأبد ١٩ فاني

« ا » الله لا تدركه الابصار (ب) الله غني (ت) لا بدن له (ث) لا يخلف الله منه (ج) الله عظيم (ح) الله غني (خ) قال عيسى لا غير اله الا الله فامنه « د » الله سلطان

بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الأرض وفان كسائر البشر ٢٠ وأنه
 كان لي بداية وسيكون لي نهاية وإني لأقدر أن أبتدع خلق ذبابة
 ٢١ حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا: « لقد أخطأنا إليك
 أيها الرب الهنا (١) فارحنا (ب) » ٢٢ وتضرع كل منهم إلى يسوع ليصلي
 لاجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يذمها الله في غضبه لتدنوسها الأمم (٣)
 ٢٣ فرغم يسوع يديه وحلى لاجل المدينة المقدسة ولجل شعب الله
 وكل يصرخ: « ليكن كذلك آمين »

الفصل السادس والتسعون (٤)

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال: « قد يا يسوع
 لانه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكيناً لامتنا »
 ٢ أجاب يسوع: « أنا يسوع بن مريم (٥) من نسل داود بشر مائت
 ويخاف الله وأطلب أن لا يبطل الأكرام والمجد الا لله »
 ٣ أجاب الكاهن: « انه مكتوب في كتاب موسى ان آلهنا سيورسل
 لنا مسيحاً (٦) الذي سيأتي لينبؤنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله ؛ فذلك
 أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيحاً (٧) الله الذي ننتظره ؟ »
 ٤ أجاب يسوع: « حقاً أن الله وعد مكذبا ولكني لست هو لانه
 خلق قبلي وسيأتي بعدي (٨) »

« ١ » الله سلطان « ب » استقر الله « ت » الله قهار « ث » صورة البشر
 « ج » قال عيسى أنا عيسى بن مريم « ح » الله مرسل وورسل « ورسول » « خ » رسول

٦ أجاب الكاهن : « انا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي و قدوس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان هبنا جاً في الله بآية كيفية سيأتي مسياً »

٨ أجاب يسوع : « لعمري الله (١) الذي وقف بحضوره نفسي اني لست مسياً الذي تنتظرونه كل قبائل الارض كما وعد الله ابانا ابراهيم (١) قائلاً : بسلامك ابارك كل قبائل الارض : ٩ ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيخبر الشيطان سره أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل مادم التقوى على الاعتقاد بأنني الله وابن الله ١٠ فيتجسس بسبب هذا كلامي وتلميحي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً ١١ حينئذ يرجم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة (ب) وسيبيد الاصنام ومعبدة الاصنام ١٣ وسيخزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحة الله لخلاص الذين يؤمنون ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً »

الفصل السابع والتسعون (٦)

١ « ومع اني لست مستحقاً أن أحل سير حدائه (٢) قد قلت نعمة ورحمة من الله لاراءه »

٢ فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لانهج نفسك يا يسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لا تحدث في زمنا مرة أخرى ٣ لاننا

سنتكبال مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوكم فيما بعد الله أو ابن الله »

- ٤ فقال حينئذ يسوع (١) : « ان كلامكم لا يعزني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور . ولكن تعزني هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب في ويمتد دينه ولم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله آبائنا ابراهيم ٦ وان ما يعزني هو أن لا نهاية لدينه (ب) لأن الله سيحفظه (ت) ميسحا »
- ٧ أجاب الكاهن : « أيأتي رسل آخرون بعد مجي عرسل الله (ث) »
- ٨ فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد كثير من الانبياء الكذبة وهو ما يحزني ١٠ لان الشيطان سيثيرم بحكم الله (٤) العادل فيسترون بدعوى انجيلي »
- ١١ أجاب هيرودس : « كيف ان مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ »

- ١٢ أجاب يسوع : « من العدل ان من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للسته ١٣ لذلك أقول لكم (٥) ان العالم كان يمتن الانبياء الصادقين دائما وأحب الكاذبين كما يشاهد في أيام ميسع وأرميا (٦) لان الشبه يحب شبيهه » (٥)

« ا » قال عيسى صفات حاجته رسول الله لانه اذجه في الدنيا برفع اعتقاد السوء من أهل الدنيا لما ودينه يضبط جمع الدنيا لدينا منه « ب » دين رسول الله أبدي لانه تعالى يحفظ دينه منه « ت » الله حافظ « ث » رسول الله خاتم الانبياء « ج » حكم الله عادل « ح » والى بني آدم « خ » المجلس مع المجلس منه

١٣ قال حينئذ الكاهن : « ماذا يسمى مسياً وماهي العلامة التي تظن بحيه » (١٩)

١٤ أجاب يسوع : « ان اسم مسياً (ب) عجيب لان الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهامساوي ١٥ قال الله : « اصبر يا محمد (ت) لاني لاجلك (ن) أريد أن أخلق (ج) الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التي أمهالك حتى ان من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً ١٦ ومتى أرسلتك (ح) الى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صالحة حتى ان السماء والارض تهتزان ولكن ايمانك لا يمن أبداً ١٧ ان اسمه المبارك محمد :

١٨ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : « يا اللهم أرسل (ع) لنا رسولك (د) يا محمد (ز) تملأ سريعاً خلاص العالم »

(ر) الفصل الثامن والتسعون

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس وهم يتحاجون في يسوع وتطيعه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالي ان يكتب

« ا » جات طاقة من اليهود عيسى يألون عن اسم الذي يمت في آخر الزمان فقال عيسى ان الله تعالى خلق الذي في آخر الزمان ووضعه في قنديل من نور وسماه محمداً قال يا محمد اصبر لاجلك خلقاً كثيراً وحببت لك كله فمن رضي منك قاتلاً راض منه ويمنحك قاتلاً برئ منه قاتلاً أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام وشريرتك باق الى أبد الأبد (ب) رسول (ت) محمد (ث) الله محب ووطب (ج) الله خالق (ح) الله مرسل (خ) الله مرسل (د) رسول الله (ذ) يا محمد (ر) سورة طهم (طهم)

بالامر كله الى رومية الى مجلس الشيوخ فعمل الوالي كذلك ٣ كذلك
عن مجلس الشيوخ على اسرائيل وأصدر أمراً أنه ينهي ويتوعد بالموت
كل أمد يدعو يسوع الناصري بني اليهود لها أو ابن الله ، فطلق هذا
الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس الخ



خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي (*)

تلاما باللغة التركية في ردهة فندق الكونتال بالقاهرة على نحو ثلاث مئة
رجل من جميع الطبقات المتعلمة (ماعدا الاصماء) وقرأ ترجمتها بالعربية الشيع
عبد الوهاب النجار:

— شيء من أحوال المسلمين في البلاد الروسية —

نشأت لاسلمى روسيا في الأزمان السالفة دولتان كبيرتان . أحدهما دولة
« آلتون أوردو » وكانت عاصمتها مدينة « سراي » قرب بحر قزوين والآخرى
الدولة التيمورية . ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على أنقاضهما
خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي امارة سيبريا و امارة قزان و امارة استراخان
وامارة قريم و امارات القوقاز نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى وخيوا
وغوقند وعدة جمهوريات صغيرة . اذا صح هذا التعبير - في تقوم الدولة
الارمنية الشمالية .

ثم دار الزمان دورته وحمل لامارني بخارى وخيوا أن نصيرا داخل حدود
الممالك الروسية وقد خلا تحت حمايتها . وأما بقية الامارات فقد استولت عليها
الروس استيلاء كاملاً وصارت الآن ولايات روسية صرفة
أول الامارات مقوماً هي امارة قزان وسيبيريا وأما الجمهوريات التركمانية
فلم تفضها الروس الا في العهد الاخير

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القاقاس وقسم عظيم منهم يقطعون الولايات الداخلية والشرقية من أوروبا الروسية وقليل في شبه جزيرة قرم . وعدد المسلمين الساكنين في القاقاس الشرقية وداعستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك . وأما في سيبيريا فهم الاقلون . والساكنون منهم في الولايات الشرقية من أوروبا الروسية يمتثلون بالروس وسائر الاجناس . وهم الاكثر في ولاية أودا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم . وأما عدد مجموعهم فهو يناهز - بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ - سبعة عشر مليون نسمة . وإذا ضممتنا اليهم أهل بخارى وخيو جاوز عددهم ٢٠ مليوناً . ولا ينبغي أن يهتوا بالشركة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينية (كشمير) الذين نجمعهم ومسلمي روسيا أوامر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك « مجتمع جنسي » مؤلف من ثلاثين مليون نسمة .

تسعة وعشرون مليوناً من هؤلاء سفيون ومليون واحد شيميون . وأما من حيث الجنسية واللغة فكلهم ترك سوى ثمانمائة ألف من قبائل الشراكسة القاطنين في جبال القاقاس ولهم مع ذلك اللام باللغة التركية .

يشغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالجماعة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم . وكانت لهم في سائر الأيام صناعات تذكر . ولكنها أخذت تموت رويداً رويداً من مكاتبتها الأولى بمزاجية مصنوعات المامل الأوروبية الحديثة كما هي الحال في الأقطار الإسلامية قاطبة . والقرميون منهم معروفون بشهود البساتين وانباء الفواكه المختلفة الطيبة

والقوقاسيون أو القاقاسيون يشغلون في الغالب بتربية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة . وقد انتشرت بينهم في هذا الأخير زراعة القطن انتشاراً عظيماً . وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانباء الفواكه وزراعة القطن . والجهات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والأراضي القاحلة ويندر فيها الماء السائب السائغ وتقلب في أرجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها .

في الولايات الأوروبية والقوقاس أربع مشيخات إسلامية . ثلاث منها

للسنين «واحدة للشعبة» . ولدى كل مشيخة مفت (أوشينغ اسلام) وثلاثة قضاة أو أعضاء . وتظهر هذه المشيخات في الامور الدينية البحتة كالنكاح والطلاق والميراث والنسب وتقسيم التركات وتوزيع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما إليها مما يقع في أحيائهم . وتقسيم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك

الوصايا الاسلامية لا يحسبها القانون الروسي بسوء

في كل قرية اسلامية - في أوروبا الروسية وفي القرم - مسجد وكتاب . وأما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتائب

وفي أوروبا الروسية والقوقاز مسجدة آلاف مسجد وعناية آلاف كتاب وما ينيف على مائة مدرسة دينية وأكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد التعليمات من البنات في الكتائب يساوي ثلث التعليم من الذكور وما يحسن ذكره هنا ان جماعة من الفتيات المسلمات يتلمن في مدارس البنات التجريبية الرسمية . وكذلك تعلم اليوم في القسم الطبي من «جامعة» بطرسبورغ أربع عشرة فتاة مسلمة . وقد كانت أكلت دروس الطب فيها فاثنتان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة «رضية» إحدى تبتك الطبيعتين في الجامعة بحسب المرحوم شاكرباشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لى الآن تفصيل بشأن الكتائب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسية ولكني أعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركية

وإني لأتملك ان أذكر هنا بكل أسف ان تلك المدارس لا تبرح تسود فيها الفوضى والخلل في طرق التعليم . ومن أجل ذلك لا تأتي فوائدها بقتضيا هذا الزمان ونطاق برجماتتها أضيق من أفكار الامة القائمة فيها بالتعليم والتدريس وليست يتنا إلى الآن مدارس للمعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس

من هذا القبيل قد حدثت في العهد الأخير
انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتقدم منذ ربع قرن انتشاراً
يفرّك . ومن ثمرات هذه الفكرة أنهم جعلوا في العهد الأخير يصلحون كتاباتهم
ومدارسهم وينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم المصرية والأدبيات التركية وطبقوا
ينشئون المعاهد الطبية على الطراز الحديث ورسّلوا التلاميذ إلى المدارس الروسية
والأوروبية وإلى الاستانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة المصرية والعلوم الغربية والدينية .
ويتأخر عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم المصرية والأدبية
نحو خمسة مئة كتاب

وعدد المطابع الإسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي:

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قران وثلاث في تاليس وثلاث في باكو وواحدة
في باغجة سراي . وفي قران ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع
ثلاث عشرة مطبعة . وأما الصحف المنتشرة الإسلامية في البلاد الروسية فهي
صحيفتان في بطرسبورغ وأربع في قران وثلاث في أودنورغ وثلاث في باكو
وواحدة في طاشقند قاعدة تركستان اليوم وواحدة في تاليس وواحدة في باغجة سراي
واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربية والبقية بالتركية . وأحدى الصحف
التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك السبانيين والبقية تكتب الآن بلغات
تركية مختلفة باختلاف الأقاليم . والرجاء أن تعدّ لثلاث هذه الصحف أو تقارب كل
التقارب في مستقبل قريب أو بعيد . وهذا الاتحاد القوي غاية ما يري إليه المصلحون
والتنويريون من ثلاث صحف من تلك الصحف علمية أدبية والبقية سياسية أيضاً . وأما
من جهة الخطّة فثلاث عشرة صحيفة منها وطنية ومثلة وثلاث ترميان إلى غاية
« اشتراكية ديمقراطية »

وفي روسيا اثنا عشرة جمعية خيرية إسلامية غرضها إسفاف المعوزين والأخذ
بأيدي البائسين والمساكين ولها قوانين مصدق عليها من الحكومة
ويتجاوز عدد الكتابات التي أصلح أمرها ألف كتاب تمل فيها القراءة التركية
والكتابة والقرآن والفتاوى الدينية ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ الإسلامي

وشيء من علم حفظ الصحة

وأما المدارس الدينية فقد أصلحت منها مدرسة في قرآن وأخرى في أورغوبورغ وثالثة في أوقا . وفي تلك المدارس نفوس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقويم البلدان والتاريخ . دح عنك العلوم العربية والدينية بأنواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا افراد جادوا بأموالهم وأنفس املاكهم في سبيل ترقية المعارف واعلاء قدر الامة والملة . وأخص بالذكر من بينهم المرحوم الحاج فمة الله قراميشف السيفري القوي بذل أموالا طائلة في سبيل انشاء مئة كتاب ومئة مسجد وأفق مئتي مكتبة عامة أو دعما أنفس الكتب وأندرا الآثان . أكرم الله مشواه وأجله مقاماً كريماً . وأففق الناجر القراني المرحوم أحمد الحسيني في انشاء معاهد العلم وتربية المعارف ثلثاة ألف روبل . وأنشأ شقيقه عبد النبي الحسيني مئتي كتاب على نسق حديث وقد نشر بهته الشفاء فكرة اصلاح الكتابات وبذلك الاصول الحديثة المعروفة بالاصول الصوتية التدرجية الى تخوم النصين وذلك بانشاء الكتابات في تلك الديار الثانية كما أنشأها في الولايات الروسية المتوسعة جزاءم الله عنا وعن العلم والقراء جزاء حسناً

وعن تقضي علينا الانسانية ان نذكر اسمه مقرونا بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاعيف الباكوي لان خدمة هذا المئري الكريم في سبيل نشر العلم واسعاد القراء أكثر وأجزل

أنشأ هذا الرجل في داغستان مئة مسجد ومئة كتاب . وأنشأ في ضواحي مدينة باكو حقلاً آمودجيا . وأنشأ لهداف عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية

وبذل ملايين من الروبلات لتعليم أناس كثيرين في الجامعات الروسية والاوروية . وما معظم الاطباء والمحامين والمهندسين المسلمين الذين فتخروجهم الامن آثار همة هذا الرجل الكريم . ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات أيضاً فقد أنشأ في مدينة باكو مدرسة شائعة لينات أففق على بنائها فقط عشرين ألف جنيه . ووقف عليها وقفاً يأتي بإيراد قدره ثلاثون ألف جنيه سنوياً ولا يمد أن

تصبح هذه المدرسة ذات يوم « المدرسة الجامعة » للناث ولم يجزىء هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مديدا المونة الى ايران أيضا . وقد طبعت هناك كتب جمة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدر ما ساعد به المنكوبين والبائسين في البلاد الفارسية بمليون روبل وزيادة .
أيها السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للانسانية والخدام للفضيلة .
أطال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان .

وأما الاغنياء الذين أنفقوا كتابا أو كتابين ومدرسة أو مدرستين فهم كثيرون جداً يشذرون على الآن احصاؤهم وما الخطوة التي خطوناها الى الامام في ميدان التقدم الا بفضل هذه الكتابات والمدارس التي أسست ووصلت بجملة أمثال من ذكرنا أسماهم من أولي الهمم العالية الى ما وصلت .

•••

وها قد آن لنا أن نوجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية .
ان لدى المسلمين الساكنين في آسيا الوسطى وأوروبا الروسية قوة تذكر في هذا الشأن . ولكنه لا بد من أعدادها وتنميتها بفشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام الذين يتفق للمسلمين ان يباروهم في ساحة الاعمال التجارية أشداء أقوياء فيما يمارسون . فمسلحي روسيا — عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية — من الاراضي ما يكفيهم للاستقلال . وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين الآخرين منها تولدوا يبشر بحسن النية ان شاء الله . وأهل تركستان بارعون جدا في أمور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم — من الوجهة الاقتصادية — لا الروس ولا مهاجرو الالمان .

وهم يكدهون في أمر الزراعة كدحاً لا يعرفون فيه الملل والسآمة . فهم يشبهون المصريين من هذه الوجهة كل الشبه ولكن أراضيهم الغالة أكثر وأوسع من أراضي القطر المصري . ونصف القطن الذي تحتاج اليها معامل المنسوجات الروسية يرد من الخارج وأما النصف الآخر فهو ثمرة كدح أهل تركستان ومجدهم . فزراع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الأوروبية الى بلادهم مبالغ طائلة .

وأما المسلمون القاطنون في مدينة قران وما يتاخها من البلدان ظهم كثير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جعلها معامل « آقجورين » الثري المسلم الشير . وتبيع هذه المعامل سنويا الى الجيش الروسي من الجوخ ما يناهز مليون مترو . وللمعري الشير الحاج زين العابدين فاخيف الذي تقدم ذكره معمل للمنسوجات القطنية فيه أربعة آلاف عامل . وأكثرهم من المسلمين . وكذلك المهندسون وزعماء العمال فيها . وأما مديرها فكان من قبل انكليزيا ولم يبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبها يديرها بنفسه وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشتغل باستخراج النفط والبترول يبلغ ما يتعامل به أحدهم عشرة ملايين روبل

وأكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك للمسلمين وانفوا كه العلية التي تنفك بهار روسيا كافة في أكاها في بساين المسلمين في القريم . لا يظن ظان ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم عظيم . لان كل ما ذكرناه من مسلمي روسيا هو شيء طفيف ناه جدا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهب المقيم والارتقاء بخطا المغاريت وتنتهي الى أسباب النجاح والانتاج احتداء المغرير ، وتعض في سبيل الخير والصلاح الاصليت ولكنه لا يقضي لنا ان لا نياس وتقاعد عن النظر فيما يرقى شؤنا ويصلح حالنا اذ كل من سار على درب وصل

ولا شك ان مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد انتهت أفكار الأمة في السنين الثلاث الأخيرة تقبها عظيما واتسع نطاق الآمال اتساعا جسيما . حقا ان انقلاب روسيا أثر تأثيرا يذكر في مسلمي روسيا وأنام فوائده . ولست الآن بمكثف بعدد تلك الفوائد جملة بل أحب أن أذكرها أهمها وأعودها عليهم براءة

أيها السادة : ان مسلمي روسيا أنشأوا لأنفسهم حزبا سياسيا دستوريا ديمقراطيا باسم « اتحاد مسلمي روسيا » فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلفة في

أعطس سنة ١٩٠٥ في مدينة « نيجني نوفغورد » غير أن الوالي لم يسمح بمقد الاجتماع حسبها . ولم يكن الوقت ليتسع لتسهيل الاذن من العاصمة . فتعد المتدرون اجتماعهم على ظهر باخرة استأجروها لتقربهم عليا في نهر « فولجا » . فقررت الآراء في ذلك الاجتماع إنشاء (حزب اتحاد المسلمين) وإنشاء فروع له في الولايات لنصب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية .

وقد أنشئت لهذا الحزب الذي يتقوى برما فيوما فروع في بعض الولايات بالفعل ورفعت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعا غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسميا في « نيجني نوفغورد » وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبع مئة رجل وامتدت مدة المناقشة خمسة أيام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الأفكار السياسية بين المسلمين انتشارا زائدا فحسب لهم أن ينتخبوا منهم أربعة وعشرين نائباً للدوما الأولى و٣٦ نائباً للدوما الثانية ولا يستأمن هنا الا الاعتراف بأن هذا النجاح الباهر في الانتخاب في عينك المرتين لم يحصل بهمنا فقط بل كان فيه للقوانين العادلة ومعاملة أحرار الروس لنا معاملة شريفة تأثير كبير لا ينكر

نعم ان أحزاب الفقهاء من الروس ينظرون الى « اتحاد المسلمين » بنظر الخشاش المستعيط ولكنه غير خارج عن دائرة القانون حتى تذكره الحكومة وليس حزبا يسمى لا يتجاوز الضيقة بين الرعايا الروسيين حتى يفتر منه الاحرار من الروس . ومما يحسن ذكره هنا أن المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوثام . وأمة الروس كثيرة الجنوح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين بنظر المتنن المؤدى بل يعاملونهم معاملة القرين لقرينه وأرباب الجمليات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في الحاق بأهلها نعم قد حدث في الايام القليلة بتأثير الكنيسة وجماعة المبشرين بعض الحوادث المؤلمة ولكننا قد زالت أسبابها بعد أن أعلنت الحرية كل الزوال ونؤمن

أن تحسن أحوالنا في المستقبل أكثر مما نحسن . رأينا كثيرين ممن أكرهوا زمن الاستبداد على التصرف عادوا الى الاسلام وكذلك اتعمل الاسلام انفس من الروس الاصليين رجالا ونساء . والفضل في ذلك كله الحرية التي ترف بها الامم وتكمل الانسانية

﴿ مسألة التعليم العام ﴾

اذا ارادتم معظم أمم الارض أن تدخل في دور التقدم والرفق يكفينا النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الامة الاسلامية فانها مطالبة بأن تعد بنظرها الى الماضي أيضا فليس في الامم الأخرى في غابر أزمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . أما الامة الاسلامية فان أعوامها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الامة الاسلامية الحاضرة تتمايز على غيرها في هذا المبدأ فلا بأس من أن تعيد نظرة الى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

ان مصر هذه التي تعد منها المصارف ومهدا المدينة وان كانت في ساقف أيامها أي منذ ٤٠ قرناً اشتهرت بارتقائها في العلوم الا أن هذه النعمة ماقتت اذ ذلك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة ثقوية أهوائهم ثم انتقلت القراءة والكتابة الى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كدائوس سقراط وافلاطون وارسطاطليس الا أن هذه المجامع لم تكن على شكل مدارس اليوم ، بل كانت أشبه بمجالس المذاكرة خاصة يختلف اليها الموهوبون بالبحث والمنظرة وأعني بذلك أنها لم تكن عامة للتدريس يهرع اليها كل طالب . انتقلت المدينة اليونانية بعد ذلك الى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدمها صليبا ولم تنبه فيهم أيضا فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غائصة غريبة عن الافكار الى أن قبض الله تعالى لسلم الانساني الامة الاسلامية التي اعتدت الى هذه الفكرة لاول وهلة فأخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حظا من التوسع والانتشار . ومنذ ذلك الاسلام نفسه لانه كما أتى بالتوحيد أتى بما يدعو الى وجوب تعليم العالم . فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل معبد مقام فيه الشعائر

الاسلامية كتاباً او مدرسة للتعليم العام مجاناً . فاصبح التعليم العام المجاني من جهة الخيرات التي انتخبها المدينة الاسلامية في العالم الانساني . ثم لم تلبث هذه النعمة العظيمة في ايدي المسلمين زماناً طويلاً حتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت ما ناله من الحفاوة والاحلال فتقدمت تقدماً باهراً واتسعت اتساعاً عظيماً فواصفاء على هذه الحساسة التي لحقت بنا وواصفاء على ذلك الاجمال الذي انقص بنا الى ضياع هذه النعمة من ايدينا بعد ان ورثناها عن آباءنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيراً لا مزيد عليه . فالمعارف التي تركها لنا الاملاف بقيت طافية في مهدها ولم تصل على انمايتها بل المدارس والمعاهد العلمية التي هي تذكرا المتقدمين لا لم نسع في ترقيةها فبدل أن نصورها ونرفع أعلام مجدها السابق صعبنا في تخريبها أو هدمها .

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد والغزالي ومحيي الدين بن العربي أصبحت منذ عدة قرون دوراً للجزرة الضعفاء ومسكناً للمطلبين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكاثر والاهمال الذي أسبل ستار النقص علينا وحال دون تدبينا الى حالة الامم الاخرى .

أما الآن فقد أقبل . والله الحمد والثناء — على الأمة الاسلامية دور النقص فأخذت الرغبة في التعليم تتولد في كل جهة من الممالك الاسلامية فأصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات للتفكير في شؤون التعليم والعلوم ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الحطة المطلوبة نحن معشر المسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لأوروبا غنائم شيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها اليها . ولكن قد حان الآن وقت الاعادة فليتنا أن نستردها منهم استرداداً يحمل ما توفر لديهم حتى الآن من انمايتها . ولا يقال هنا أن الشرق غريم للغرب اذ لا يقصد منه الا الذهب الذي لا يساوي شيئاً اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب فغرامة القرب لنا هي أعظم بكثير من غرامتنا له فلي الدائن أن يطالب الدين

وليست هذه الكلمات من بنات أفكارى الخاصة كلا بل يقولها فرباب
 المختن الالمانى ودراير العالم الاسريكي وما سأعرضه أيضاً مما يشبه تاريخ التعليم
 لا ينكر اليوم أحد من العقلاء المستعيرين ضرورة التعليم العام فتوح البشرى
 وخصوصاً للأمة الإسلامية فإن ديننا القويم يقضي علينا بتصديق هذا الأمر وقبوله
 وإبرامه ووضع موضع الاجراء . وفي نظري أن هذا الأمر ليس من قبيل المسائل
 حتى يتناقش فيه بل هو أمر ديني قطعي فإطينا لا أن نتناقش في كيفية اجرائه
 وإيجاد الطريق القويمة الموصلة الى هذا المقصد لتجديده قط .

ولقد أثبتت فهارب أعظم الام المتقدمة في هذا العصر أنه لا يمكن تميم
 التعليم ونشره الا بوجود كتاب واحد لكل سبعين أسرة من الامة
 وأما طريقة إجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي .

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة ففقدار ما يلزمها
 من الكتابات هكذا . تبين أن قسم هذه الشرة الملايين على خمسة (أقاليم) ثم
 قسم الحاصل وهو مليونان على سبعين فيبلغ عدد الكتابات على هذا الحساب نحو
 ثلاثة وثلاثين ألفاً وهذا هو المقدار المعين الكافي لشرة ملايين نفس

فولفت مصاريف كل كتاب مع فترات الأدوات ومربيات المعلمين نحو
 ٤٠ جنياً يكون المجموع ١٣٣٠٠٠٠ ر. ٣٣٠ جنياً . فإذا أضفنا اليه مبلغ ٢٠٠٠٠ ر. ٢٠
 جنياً وهو ما يلزم للائاق على ارادة تلك الكتابات وغيرها من مدارس المعلمين
 فنحتاج في ايجاد التعليم العام الابتدائي الى ميزانية قدرها ١٥٠٠٠٠ ر. ١٥٠ جنياً

وهذا لا شك مبلغ جسيم إلا أنه لا ينبغي أن لا يروعنا بحجمه . لان الفائدة
 التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت أو معنوية أعظم وأرق بكثير من
 ذلك المبلغ . فانه نسبة مبلغ ١٥٠٠٠٠ ر. ١٥٠ جنياً لشرة ملايين نسمة الانسبة الجزئية
 جدا تقضي بدفع ١٥ قرشاً على كل نفر في السنة و٧٥ قرشاً عن كل أسرة . وربما
 يقال هنا إن طائفة الهال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لاننا لو فرضنا أن
 عاملاً يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل قسمة ٧٥ قرشاً عليها ما يساوي نصفاً
 قط وهو ما يطالب باقتصاده من مكسبه اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلاً

لا يكلفه إخراج ذلك منه الا أن يتنازل عن فتجان من القهورة يتناوله يوميا وعن
سيجارين على الاكثر

فبقي علينا أن نبحث في الثقة اللازمة لبنائنا فإذا فرضنا أن نفقة كل كتاب
على حده هو ١٥٠ جنيا تبلغ نفقات ٣٣ ألف كتاب ٥ ملايين من الجنيحات .
وحيث قد تقع في مشكلة عطلى أيضا وهي خلوا اليد من النقود . فما الحللة والجواب
سهل . وهو ان الأمة مادامت حية فالنقود توجد ألبنة أولا بد من وجودها .
النقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام المسبية لم لا توجد لبناء مدارس ؟
وإذا كان يجوز للامم الحية اقراض المال لاثاء السكك الحديدية والبرازخ والقروع
فلماذا لا يجوز اقراضها لاثاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة أخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تجزئة مدة
الا كتاب الى عشر سنين لانه من البديهي أن مثل هذه المشروعات المهمة
لا تتم دفعة واحدة كما انها لا تتم الا باكتساب ثقة الامة ورغبها في المشروع .

في الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام

نرى المسلمين اليوم تنبوا بعض التنبيه في الاقطار الاسلامية كافة . وهب
فضلاؤهم لاثاء الصحف والجرائد التي لها أثر عظيم في تقييد الافكار والارشاد
الى الخير والملاح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية .
هذه علامات خير قريبا عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا البتة ان نجترى
بهذه السلام الحسنة ثم نخلد الى ارض القمة والكسل . فالمستقبل الحسن ان
يدأب ويصل . لاجرم ان المرء يرى اذا جاء طرفه في الاقطار الاسلامية من
مدينة قران الشمالية الى مصر الجنوبية ومن مرا كش المغربية الى جاوا الشرقية
علام الانحطاط أكثر من علام الارتفاع .

قد عادت معظم المدارس ماثبة للماجزين والبطالين . ودرت الصناعات
الوطنية أو أشرفت على التهور . أصبح حفظنا قليلا من تجارة العالم وهدنا ضئيلة
في الصرف والشؤون المالية ونصينا عدما في التجارة البحرية . وليس لهذه الأمة
التي ينف عدددها على ثلاث مئة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما أنها

لا تملك مصرفاً رأس ماله خمسة ملايين جنيه مثلاً .
ليس في أيدينا ما نفيس به غير الأراضي الخصبة التي ورثناها عن آبائنا .
تأتي لنا هذه الأراضي بالقمح والفلل والبن والقطن والقز والفواكه وغيرها .
ولكننا نهمل أساليب بيع هذه الثروات بيعاً رابحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح
تلك الحاصلات من أيدينا إلى أيدي التجار الأجانب وجزء عظيم إلى شركات
تسير السفن الأجنبية

ولا تكاد تجد تاجراً مسلماً في جميع البلدان الأميركية والأوروبية إلا في
النادر وإذا رأيت هناك تاجراً شرقياً فهو إما أرمني أو روسي أو يهودي هندي أو صيني
إذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالنا لا نعمل في بلادنا أيضاً . هاهن
أولاً نرى معظم التجارات المهمة في البلاد الألمانية والإيرانية ومصر والمغرب الأقصى
والهند بأيدي الزنلاء الذين يقاطرون إلى البلاد الإسلامية من أقطار العالم المختلفة
نحن لا نفتأ نقول : أمطرت السماء فشرتنا وأقيمت الأرض فأكلتنا ولكن
ينبغي لنا أن نعرف أننا إذا عشنا على العمل بهذه القضية في الأيام القادمة يستعمل
أن نبقى بها فيها نستعمله من الأيام

إذا فقدت أمة من الأمم استقلالها ووقفت تحت حكم الأجنبي فإنها تخسر
خساراً مائتاً . بيد أن هذا الخسران لا يقام له وزن - في مذهبي - في جانب
الخسارة التي تخسرها الأمة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكانتها في
ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة الالئمة التي وقعت فيها الأمة الإسلامية ؟ ليس
لأننا نقول : إن السبب هو الجبل : ثم نسكت ؟ اذ يرد عليه سؤال آخر وهو : وما
هو سبب الجبل ؟

إذا أغضيت عن ترقى الاسم الأفريقية ألا يجب على كل مسلم ناصح لأمته
أن يسأل : كيف ارتقى الأرمن والروم والكرج والبشار واليهود والمندوس الذين
كانوا قبل اليوم نصف قرن يعيشون ميتاً ويشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا
ونحن نحن ميتاً وواهم نطرق إليهم بين الأعجاب ؟

حالتنا أيها السادة مما يرثي له ولكن لا يجوز لنا البتة أن نكتبها لأن ذلك
الكتمان هو عين الخطأ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا
بل يمتنع لنا أن نجاهر بها في كل ناد ونسعى لتشخيص الداء حتى نصف له
الهواء هل من الرأي أن يكتب الإنسان مرضه إذا لم يكن عدو نفسه، وليست مغبة
من يكتب مرضه إلا الهلاك .

إذا كنتم تنتظرون الجواب عن الأسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر إلى
القول بأنه أعجز من أن يجيب على أمثال هذه الأسئلة العظيمة . لأنه يبحث عن
الجواب ولا يجده

أيها السادة إن استعداد الأمة العربية للمدينة قد ثبت عندنا بتاريخها
المثالي الأمام

وبرشدنا إلى استعداد الأمة التركية للمدينة ما تركه لنا علماءهم من المؤلفات
الثافية . وأطال مرصد سمرقند تشهد بشرف هذه الأمة بالعلم والعرفان ثم الأبرى
الفنانيين والمجريين الأتراك المتعددة ومجاهداتهم في كل شؤونهم . ونحن نعرف
إن هاتين الامتين والترك يفرعون من أصل واحد .

القصد أيها السادة من سرد جميع هذه الأدلة التاريخية إثبات أنه ليس بسبب
انحطاط العرب والترك اليوم هو نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . وأما الذين
الاسلامي الذي تدن به فهو دين مخاطب العقل ويبحث على العمل والتدبؤ وبسوط
نجاح الإنسان بسفه . ولكن سيرتنا تخالف هذه الأصول الكريمة الدينية مخالفة
ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة أيضاً ؟

إني أرى أيها السادة أن الجواب على تلك الأسئلة المهمة وكشف النقاب عن
أصناف انحطاط الأمة الإسلامية لا يتيسر تيسراً كاملاً لفرد أو فردين بل لا مندوحة
للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه علماءنا وفضلاؤنا ثم
يقاضون في الشؤون الإسلامية .

(هـ) قال الخطيب أنه مقلد من الخطبة ذكر الفرس والمندود وأهل الأفضان
وجاهه والمغرب والمراد أن فطرتهم قابلة للعلم والمدينة كالعرب والترك وسائر الاجناس

لا يفهم أحد اني اؤمى باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة الى غاية « باسلاميزم » أي الجامعة الاسلامية التي يتشائم منها الأوروبيون . وأما فرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر هو البحث عن أسباب انحطاط الأمة الاسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختصار السبل القوية التي تصل بنا الى أخذ نصيبنا من المدنية الغربية الحاضرة .

ولا ننكر أنه كان لاكتشاف أمير كاوري في الصناعات والمباني كانت في الغرب تأثير يذكر في افتقار الشعوب الاسلامية وقندان وجوه الكسب . بيد أن العامل القوي في انحطاطنا — على ما أظن — هو الجمود على بعض العادات والقواعد الواهية واللاوهم والحرافات التي ورثناها عن آباءنا وتسربت اليها من الأمم الاخرى بحكم الزمان . ومن أجل ذلك أبدي وأعيد ان حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف الحجب عن الحقائق

فاسمحوا لي أيها السادة والامر على ما ذكر ان أقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتصرف قط الى البحث في الامور السياسية ونكون باب داره مفتوحة لكل أحد ممن يجهلون اسماع المذاكرات وتشر خلاصات المناقشات في الصحف المنشرة وأرى أن يعقد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة أو بعده . ويحسن ان يعقد هذا المؤتمر في الاسكندرية أو في مصر المركز الثاني . ولا أرى سبباً يحتمل على عقد هذا المؤتمر الذي يتناول فيه بالمسائل المدنية (*) والطبية في جنيف مثلاً

أيها السادة: اذا واقفتموني على هذا الاقتراح فلا بد من التمسك لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتحتم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتورين تشغل بهذا التمسك مثلاً: تخبر هذه اللجنة الحكومة المحلية بحليلة الامر وتضع للمؤتمر برنامجاً اجمالياً وفيه زمن افتتاد زمن المؤتمر وتقولى مراسلة من يرجعون اليها من سائر الاقطار .

(*) لعل الاصل المراد « الدينية » فهي التي لا يليق فخصيص مثل جنيف بعقد

مؤتمرها

ولاريد ان هذه اللجنة تنظر الى قدر من النفود . ولكني لا اظن مطلقا
أن المأمم يكون من الوجبة المالية
ومن منا يتمتع أيها السادة أن يتفضل على هذه اللجنة بما في استطاعته من المال ؟
هل يجيب المسلمون داعي هذا المؤتمر ؟ هذا سؤال أنا أجيب عن جزء
منه قائلا اني على ثقة من أن خمسة عشر أو عشرين مندوبا من روسيا ومن إيران
يحبون الطلب .
أيها السادة : هذا ما أردت عرضه على حضراتكم في هذا الاجتماع . وقد
استوقفتكم زمنا طويلا . فأسألكم أن تصفحوا عن هذا العاجز صفحا جميلا . اهـ



بحث في المؤتمر الاسلامي

(تعارف المسلمين والبحث عن أسباب ضعفهم وطريق علاجه وتاريخ الدعوة اليه)
أول صوت سمعناه في هذا العصر يدعو المسلمين الى التعارف والائحاد
والتعاون في الرأي والسعي على تدارك ما حل بالمسلمين من الرزايا الاجتماعية التي
هيئت لهم من ذلك الأوج الذي كانوا فيه الى الخفيض الذي صاروا اليه
سببهم أهل الملل من الكتائب والوثنيين في المدينة هو صوت الحكميين الفيوزين
المجاهدين في سبيل الله الجهاد الذي لا يفضل جهاد في هذا العصر - السيد جمال
الدين والشيوخ محمد عبده ورحمهما الله تعالى وجزاهما عن قسما وعن الأمة والملة
خير الجزاء

لسيد جمال الدين مقالات كثيرة في تنبيه المسلمين من وقتهم وإعلامهم
بأسباب تزيق قوتهم ، ودعوتهم الى الوحدة ، ودلائلهم على وسائل القوة ، وله من
البروس والخطب والقاورات في ذلك ما هو مشهور بين المارفين ، وإن لم يقيد بالتدوين ،
ولا اجتماع الشيوخان في باريس وأصدرت جريدة « البرودوثي » كان قلب سياستها
دعوة ملأ المسلمين وعقلانهم الى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم الى

ما ينض بهم الى عجالة الأم العزيزة وكان من رأيها أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطره بالتعاون بينهم وإن يكون لهم مجتمع عام في الحجاز بأمر فيه من يحضر الموسم من أعضاء جمعية العروة الوثقى فيها بينهم وما كانا يكتمان في هذا الارشاد بما ينشر في جريدة العروة الوثقى بل كانا يكتمان من يرويه أهل ذلك في أقطار المسلمين . وفي الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام نموذج من كتبه لبعض أولئك الأعضاء (راجع ص ٤٨٨ - ٥١٢)

وقد جاء في قائمة العدد الأول من جريدة العروة الوثقى بعد ذكر تلبية عقلاء المسلمين ومسيحيين في معالجة ملهم مانعه :

« وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام في كل عام ، يجتمع اليه الشرقي والغربي ، ويتآخى في مواقيها الطاهرة الجليل والخبير ، والفني والفقيه ، كانت أفضل مدينة تتوارد اليها أفكارهم ، ثم تبت الى سائر الجهات والله يهدي من يشاء الى صواب السبيل »

وجاء في خاتمة مقالة نشرت في العدد الخامس عنوانها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إرشاد الى كيفية الوحدة في الإصلاح الديني ومنه « ويحيطون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التزليل وصحيح الأثر ويجمعون أطراف الوشائج الى مقعد واحد يكون مركز الأقطار المقدسة وأشرفها مسجد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع البدوان » الخ (فراجع ص ٢٥٤ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

وجاء في آخر مقالة منها نشرت في العدد العاشر عنوانها حديث « المؤمن مؤمن من كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ما يوتي (كما في ص ٢٩ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

« وأرى ان علماء المسلمين لو وجهوا فكرهم لا يصل أصوات بعض المسلمين الى بعض لأمكنهم ان يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بصبر عليهم ذلك جد ما اخلص الله من قاع الارض بين الحرام بالاحترام وفرض على كل

مسلم ان يحجه ما استطاع وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع اجيال المسلمين وعشائهم وأجناسهم ، الخ
هذه إشارة مما كتبه الاستاذ الامام ، باتفاق الرأي بينه وبين حكيم الاسلام ، منذ ربع قرن فان العدد الاول من العروة الوثقى قد صدر في ٥ جادى الاولى سنة ١٣٠١

ثم انما لما أنشأنا التاريخ في أوخر سنة ١٣١٥ كتبنا في العدد الثلاثين و ٤٠ من السنة الاولى مقالتي (الإصلاح الديني) اقترحنا فيها على مقام الخلافة تأليف جمعية اسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي وفصلنا ما يجب ان تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية والفقهاء ومن تلاميذ البدع والتعاليم الناصية (٥)
وانما جعلنا هذا الإصلاح مقترحاً على سلطان آل عثمان لبيان انه واجب عليه لأنه هو القادر على تنفيذ ذلك ومنع من يتصدى له هناك من دونه
ثم ان السيد عبد الرحمن الكواكي (رحمه الله تعالى) قدم الى مصر في سنة ١٣١٨ ونشر فيها كتاب سجل جمعية أم القرى التي صور فيه انعقاد تلك الجمعية المفتوحة خفية بدون علم الحكومة المصرية وأمير مكة المكرمة (الشريف) وان ذلك كان في موسم سنة ١٣١٦

كل ذلك كان الإصلاح الديني فيه ممزوجاً بالإصلاح السياسي على النسيج الذي جرى عليه المسلمون من اشتغال الدين على كل شيء وكذلك كانت فكرة المقترح الأول السيد جمال الدين رحمه الله تعالى
ثم ان الاستاذ الامام وجه ذهنه بسبب مفارقة السيد جمال الدين في أوروبا وعودته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى إصلاح حال المسلمين باقتناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى لتربية المسلمين وتعليمهم فكتب ثلاث

(٥) قد سرق المرحوم ابراهيم بك نجيب من هذا المقال وغيره من فصول التاريخ ماشاء وأودعه مقالته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان (حياة الاسلام)

لوائح (٥) احداها لاصلاح الملكية العثمانية عامة وقدمها الى شيخ الاسلام في الاسكندرية سنة ١٣٠٤ ليقدمها الى السلطان والثانية لاصلاح سوريا وقدمها الى واليا بعد ارسال الاولى الى الاسكندرية . والثالثة لاصلاح التربية الدينية والتعليم في مصر ولم تحصل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليه ما ولوحلت احداها به لعلنا ما يصح عن كل مثله جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين

ثم رأينا الاستاذ الامام في السنين الأخيرة من عمره قد احتقر رأيه على الناس من حكم الامم الذين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ومسألة أهل السلطة سرا وجبرا والرضي منهم بدم موارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجتماع الأهلية والقومية . فان عارضوا قال رأي أن يسئل الجهد في إقناعهم وكان يرى أن هذا متيسر للمصلحين العقلاء مع حكم المسلمين الأوربيين اذا ظهر لهمؤلاء أن الأمر لا سياسة فيه . ومن الأمثال المأثورة عنه « ما دخلت السياسة في عمل الا وأفسدت » واقفا نرى عقلاء المسلمين يكادون يجتمعون على هذا الرأي

جاء مصر في هذه الأيام اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان الترجمة التي تصدر في بشفة سراي من بلاد القرم التابعة لروسيا وثلا على جمهور عظيم من سكان مصر الخطة التي نشرنا ترجمتها قبل هذه المقالة واقترح في آخرها تأليف مؤتمر إسلامي ينقذ في مصر لبعث عن الاسباب التي كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم واشترط أن لا تنطرق مباحث باب السياسة بل تقتصر في الاسباب الاجتماعية والاقتصادية . وما هي هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية ؟ نحن نقول ان المسلمين كغيرهم من البشر مستعدون لكل ارتقاء وحضارة وان المانع لهم من ذلك أمران استبداد السياسة والجهد على التقاليد الدينية التي قيدتهم في كل شيء حتى في تصرفهم في بيوتهم وأموالهم . واضرب لهم مثلا علماء الأزهر الذين يستكرون أشد الاستكثار لبس الأخذية السوداء المروقة

(٥) راجع فصل اللوائح في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٢٢٨)

هنا بالجزم (جمع جزمة) وقضاة الشرع الذين يأبون ان يكون في الحكمة الشرعية اجراس كبر باقية للطلاب الكتاب والمضربين والحكم لأن هذا وذاك مما لا يليق بأهل الدين أولاً ولا يتخلو من كراهة شرعية. فهذا المثل الصغير، يقبى عن أمر كبير، وإن هربى به الجلاء، أو اشتغل به عن الموضوع أهل الأهواء، فهو كمثل البعوضة والذباب في القرآن فالمسلمون لا يقصرون على مجازاة أمة مطلقاً من القيود التي قيدوا أنفسهم أن يأخذ مداه في كل علم ورأي وتفيد الإرادة أن تتخذ كل حل يظهر للمفكرين أنه نافع ومفيدون فكراً وأرادة إما بالتقاليد الدينية وإما بالسياسة الاستبدادية. فعمل المؤتمر محصور بالطبع في تلك القيود التي قيد المسلمين حتى يكونوا أحراراً مستقلين، فإذا حظر أهل على أنفسهم البحث فيما هو سياسي منها بقي لهم ما هو ديني فقط ومنه ما يتعلق بحكامهم ومنه ما لا يتعلق بهم

مثال ذلك الشركات المالية التي هي أعظم أركان الثروة في هذا العصر ولا أذكر فيها مسألة فرضية بل مسألة واقعة هي في تاريخ مصر الحديث أصل الانقلاب السياسي والعمراني، ولا أفتات على المسلمين فيما أقوله فيها اقتيانه، أو استنبط خلاصهم فيها استنباطاً، وإنما أروي فيها رواية نبيها على المسلمين من القيود التي تمنعهم من مجازاة غيرهم في تحصيل الثروة التي هي أساس العمران

زرت وزير مصر الأكبر رياض باشا فألفت في حضرته جماعة من أكابر المسلمين منهم العالم الأزهرى والمهندس والمؤرخ والطبيب ومن كان فاعلاً لبعض المدارس العليا وكل واحد منهم يعد من أكابر رجال طبقته وأعلمهم وهم يتشكرون في مسألة شركة زرع السويس وأن شراء أسهمها غير جائز شرعاً لأن عملها غير مشروع وكان أشد عارضة في ذلك العلامة الأزهرى (طبا) ولا أحب أن أذكر شيئاً من أدلتهم المبني بعضها على أن الماء لا يملك وأن أوراق السهام لا قيمة لها في نفسها الخ وما عجيبت لقول أحدكم بهي من موافقة واحد منهم لهم في ذلك أعهد منه الميل الى كسر نقاط التقليد ورأيت في هذه السنة يسمى في تأسيس بنك أهلي وهو أشد من أعرف اهتماماً بمشروع المؤتمر الاسلامي. وقد جهزت هناك باستئراب جعل هذه المسألة موضعاً للبحث وجزمت بمجاوز عمل الشركة

وشراء سهامها مصرحاً بأن أوراق السهام ليست هي التي تقابل الثمن وإنما هي مثل أوراق الصكوك والحجج التي تكتب لمن يشتري حقاراً أو يقرض آخر مالا . جهوت بهذا ولكنني لم أسمع من أحد كلمة موافقة ولكنني أظن أنه أعجب بعض الحاضرين ورأيت الوزير حش له

فإذا كان أرقى مسلمي مصر الذين يدعون الآن في مقدمة شعوب المسلمين علماً وقراباً من المدينة فيباحثون حتى اليوم في أعلى محافلهم الاجتماعية في شركة ترعة السويس ويقولون بنعم جواز شراء سهامها وهي هي السهام التي براها وراشها أميرهم اسماعيل وأعطاهم لأوروبا فخار بنهم بها واحتلت بلادهم وملكت عليهم أمرها ، فهل يلام مسلموه مراکش إذا قال عالمهم الكتاني إن شر عمل عمل محمد علي باشا هو بناء القناطر الخيرية وكان ينبغي أن يتفق المال الذي أضاعه في بنائها على بناء المساجد ؟ كلا إن علل المسلمين واحدة ولو كان محمد علي مقيداً بالتقاليد الدينية لما أنشأ القناطر الخيرية

إن شركة ترعة السويس وأمثالها من أمور العمران التي لم تكن معروفة في عصر التنزيل فريد فيها كتاب أو نخصي بها سنة ولكن الفقهاء المستقدمين قد وضعوا أحكاماً للشركات وغيرها من المعاملات المتعارف عليها في عصرهم فجدد المتأخرون عليها إذ عدوها ديناً يجب النجاسة في كل زمان ومكان فهل يسهل على المسلمين الذين يريدون مجازاة الأوربيين في الكسب أن يدرسوا قبل كل عمل هذه الكتب الفقهية الضيقة الواسعة ويتقيدوا بها ثم يجرون وراء المطلقين من القبيد فيلحقون بهم ويعلمون في مسابقتهم ؟ لا يسهل الجواب عن هذا على فقيه يعرف الأحكام المدونة في هذه الكتب ولا يعرف حال العصر في الأعمال المالية والاجتماعية ، ولا على رجل مالي أو « منشد » كما يقال لم يقرأ كتب الفقه ، وإنما يسهل على من عرف الأمرين أن يجيب عنه بحق ولكن جوابه لا يكون إلا سلباً

أعرف بمصر كثيراً من المسلمين المحدثين يرون أنه لا علاج لتأخر المسلمين عامة إلا بنشر العلوم المصرية ومحاولة فهمها بقدر الطاقة وترك الدين وشأنه بحيث لا يتعلم ولا يدافع عنه ولا يفترض عليه حتى يحكم العلم والزمان فيه حكمها ومن

هو لاء من هو مسلم جنسية فقط يرى ان الدين غلبة يزيلها العلم ومنهم من يؤمن بالله ورسوله وكتابه ويرى ان الدين قد اصطبغ بغير الصبغة التي ازلها الله تعالى وان العلم المصري ينزعه من سلطة المفاظين على الصبغة الحادثة ويساعد على اعادته الى اصله فاذا قام مصلح ديني يمكنه ان يهدي المتطمين للعلوم المصرية الى حقيقة الاسلام ولا يمكنه ان يهدي غيرهم من علماء الصبغة الحديثة للدين والمقلدين لهم وهم جامعي العوام الا ان يتعدوا على الطريقة الحديثة

ونحن نقول انه يمكن الجمع ابتداء بين حقيقة الاسلام وصبغته الاصلية وبين جميع العلوم والفنون والاعمال التي عليها مدار المدنية المصرية وان اصلاح حال المسلمين بغير هذه الطريقة متعذر ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لناظرة كل من يخالفنا في هذا الرأي

وجهة القول ان المسلمين لا يجارون غيرهم من الامم في ميدان المدنية والعمران الا اذا اطلقوا من القيود السياسية والدينية التي قيدت استقدام الفطري وليس في نصوص كتاب الله المنزل ولا في سنة رسوله المتبعة القطعية شيء من هذه القيود الدينية بل فيها الاطلاق المكل للفترة وانما القيود قيمان بدع محدثة وتقاليد مستنبطة من أقوال البشر وقواعدهم تعرف بالاحكام الاجتهادية

فاذا حظر المؤتمر على نفسه البحث في القيود السياسية انحصر عمله في القيود الدينية أي التقاليد والبدع التي فشت في المسلمين باسم الدين الا ان يكون غرض أهله الرقي الديني بدون دين

واذا انحصر عمله في حل القيود الدينية دون السياسية عتية أن تقاوم المسلمين حكومات أور بالستمرة بلادهم فيجب أن لا يدخل في أعضائه أحد من المشتكين بالسياسة لتأييد ملك أو أمير لأن ذلك يجعل المؤتمر في موضع الريية والفتنة عند تلك الحكومات ولقد صرح الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد على مسامع من نحو خمسين رجلاً من دعاة البحث في المؤتمر بأن من مصلحة المشروع ان يخرج هو وحافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر وقرآخرون من لجنة المؤتمر فلا يكونوا من الأعضاء السامعين فيه

ثم أنه ينبغي أن تكون القاعدة الأساسية الأولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على الجميع عليه من المسلمين لا سيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن وما استُخذ منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة - ونفي بالسة معناها القوي الذي كان فيه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمسين ركعة كل صلاة منها كذا قرأ فيها كذا وبركه في كل ركعة مرة ويسجد مرتين، ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف - ذلك أن المؤتمر عام لجميع المسلمين وفيهم السني الشافعي وغير الشافعي والمالكي الحنفي والاباضي ومن السنية الحنفي والمالكي الخ ومن الشيعة الجعفري والزيدى فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم وبذلك يكون المؤتمر غير مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يجمع أعضاؤه مانع من الاعتصام بجعل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به (راجع التفسير من هذا الجزء وما قبله)

ثم يمرض ما يقرره من الإصلاح الاجتماعي الموافق للاجماع على شعوب المسلمين ميئانهم أن من عمل به لم يكن عمله منافياً لأصل الاسلام الذي لا خلاف فيه فمن اكتفى بذلك وعمل به فيها ونعت ومن حاول تطبيقه على المسائل الاجتهادية في مذهبه وتقيده بها فهو وشأنه

بهذه الطريقة يجتمع المؤتمر المسلمين أكبر قاعدة دينية بما يعلمهم من الأصول المتفق عليها بين المسلمين التي بها يكون المسلم مسلماً أياً في الدين ثلاث مئة مليون يوافقون في اعتقاده وأكثر المسلمين يجمل ذلك بالتفصيل ولا يكون جانباً على مذهب أحد ولا حائلاً بينه وبين عالم يتقوله رأيه ولكنه يلمح اذا كان متبعا لمذهب ان ما يتفرد به في مذهبه لا ينافي أخوة الاسلام بينه وبين من لا يتبع مذهبه يتيسر هذا المسلك لأعضاء المؤتمر الا اذا كان فيهم العلماء بالكتاب والسنة وقادريع الاسلام والعلماء بشؤون العصر وما تقتضيه المدنية من العلوم والفنون والاعمال بحيث يكون عند علماء الدين من علوم الدنيا وعند علماء الدنيا من العلم بالدين

ما يمكن الفريقين من الاتفاق على الجمع بين الدنيا والدنيا كاختصيه مزية الاسلام
الذي هو الدين الموافق لمصلحة البشر في كل زمان ومكان

يقول بعض الباحثين في مسألة الموت أنه يجب ان يكون في أعضائه بعض الشيوخ من
عليه الرسوم التقليديين المذهب الأربعة ليشق بما يقرره عوام المسلمين ويورد عليهم
آخرون قائلين ان الاصلاح لا يأتي من العوام وانما يأتي من خواص القلاء وان
هؤلاء التقليديين اذا وجدوا في الموت ترعها فظن على تقاليدهم فهم الذين يحاولون دون
الاستفادة منه ومن همهم بمداواة العوام لا يأتي منه اصلاح اذ يكون العوام حينئذ انما في
الحقيقة وان كان يومهم انه سيؤمهم بالحيلة فالمصلح الحقيقي هو الذي لا يخاف في بيان الحق
قومة لا ثم ولا نفور عاصي ولا مقاومة خاصي بل يقرر الحق ويدعو أمثاله من العارفين
الى موازته وموالاته والحق يعلو ولا يعلى وانما بقاء الباطل في ضلة الحق عنه

ذلك قال عاقل من العظام التي لا فهم معنى « مؤتمر اسلامي » يقصد
للقيام به من لم يبحث في عمره يوما واحدا عن الاصلاح الديني ولا عن أسباب
ما ألم بالمسلمين وانما يكون انشاء المؤتمر معقولا اذا تصدى للدعوة اليه من جعلوا جل
همم البحث عن أحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وأسباب ما عرض لهم في دينهم وما
ليس منه كفالان وقالن فهم الذين يجب ان يختاروا من يرويه اهلا لا مثال هذه المباحث
ويقول بعض أهل البحث والرأي أن الشعوب الاسلامية لا تستعمل هذا
المؤتمر فهو غير ممكن الآن من حيث طبيعة الاجتماع وان كان ممكنا في نظر النقل
يعني أن الإصلاحي المطلوب يرجع الى مسائل يقل العارفون بها في بعض الاقطار
ويعز اجتماعهم واجتماع غيرهم لا يفيد المطلوب . واذا اتفق أن اجتماعا فلا بد أن
يعتبروا بنهرهم بمن لا يوافقهم على رأيهم فاذا كان لديهم من الشجاعة ما يصلحهم
على الجهر بالحق يملونه غير مباينين بطعن الطاعنين فلا يرى أن يتقدم ما يروونه
وربما تقرر رفضه وإعلان مخالفته للدين فيكون ذلك مبعدا للاصلاح وعقبة في
طريقه يقيمها المؤتمر فيعكس الأمر ويقبل الوضع ويكون المؤتمر ضارا لا نافعا
ويقول آخرون ان أقل فائدة يجنيها المسلمون من المؤتمر وراء تعارف أهل
الفضل والرأي منهم هو ان ما يتفقون عليه يكون جديرا بالقبول ولا يمكن أن يتفقوا

كلهم أرا كنوم على شيء صارَ فاذا لم يمتدوا الى كل المطلوب من الاصلاح فلا بد أن يمتدوا الى بعضه وما يفوتهم منه في الاجماع الأول يرجى أن يمتدوا اليه في الاجتماعات التي تليه وأمر الاصلاح لا نكون الا بالتدريج . ولكن هذا يتوقف على أن يقوم بالأمر أهله

ومن الناس من يرى أن اجماع المؤتمر يتوقف على اذن الحكومة ومساعدتها ولذلك اقترح داعيته اسماعيل بك فيما اقترح استثنائها وماضنه من اجابة طائفة من الروسين والايرائين مبني ذلك والحكومة المصرية لا تأذن بهذا المؤتمر ولا تساعد القائمين به لاسيا اذا كان فيهم من يشتغل بالسياسة ومن يهتم بالفرض لأنه ممن لم يعرف عنه قط البحث في أمور الدين وطرق اصلاح المسلمين كبعض الموزولين والمتفادين (الحاليين على الماش) واذا لم تأذن به الحكومة إذ تارسمها فإن سائر الحكومات لا تأذن لمن يدعون اليه بالسفر لضرره ، وأهل الرأي والفضل لا يسافرون لمثل هذا الأمر بدون اذن حكوماتهم لئلا يكونوا عندها في موضع التهمة ويقول آخرون ان هذا مؤتمر حر لا يتوقف على اذن الحكومة ولا على مساعدتها واتما اذنها ومساعدتها مز يد كمال فيه اما اذا أرادت منه فلا شك في قدرتها على ذلك ولكنه مما لا يظن فيها اللهم الا اذا حصل في الاجماع شغب أو قن مما يمنع مثله كل حكومة مها كانت صريقة في الحرية

أما سلطان المسلمين الأعظم فلم أر أحدا من أهل الرأي يشك في استيفائه من هذا المؤتمر وحرصه على منعه اذا أمكن . وقد جاء من أخبار الاساتذة في بعض الجرائد ما يؤيد هذه الآراء وأن السلطان سيكتب الى الأمير والمفتي الخاص (مختار باشا الخازني) بتلاني ذلك وأنه أمر بمنع الحجاج بالتمريج على مصر . ويزعم بعض الناس أن الأمير كوتب في ذلك بالفضل . وكراهة السلطان للمؤتمر مما يجعله عند كثير من المسلمين مكروها يحشونه ولا يرجون منه ويحول دون نشر الجرائد الصائفة شيئا من أخباره قبل انتقاده به ما يقرره ان هو انقصد . فلا معنى لجملة نعت حمايته

هذا أم ما خطر لنا يانه الآن من فكرة الدعوة الى مؤتمر اسلامي وتاريخها وما يجب أن يكون أساس المؤتمر المقترح الآن والآراء التي نستحق الاختيار فيه .

﴿ النسخ في الشرائع الالهية ﴾

قد كنور محمد توفيق أفندي صديق الطبيب في مستشفيات سجن طره

النسخ هو ابطال حكم لبدل أو لنفي لبدل . وهو وقع في جميع الشرائع الالهية والوضعية خلافاً لمن أنكر ذلك من الجهلاء . اما الشرائع الوضعية فوقعه فيها مشاهد معروف . وأما الالهية فشواهد وقوعه فيها عديدة أغنتنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الأمة الإسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمولاه العلامة المحقق رحمه الله الهندي . فقد أتى فيه بما يضم كل مكابر ويخرس كل عنيد .

يقع النسخ على ضربين ١- نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فما يلائم البشر في زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الانسان في صحته قد لا يوافق في زمن مرضه . لذلك اقتضت حكمة الشارع العليم أن ينسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب . قل تعالى (٢٨: ١٣) لكل أجل كتاب ٢٩ بمحوه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الأحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في التعصص أو في القضايا العقلية إذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما أنه لا معنى لوقوعه في الالفاظ . قلنا ممن يسلم القول بنسخ لفظ بلفظ كما يقولون . أو بنسخ لفظوا بلفظ حكمه كما يزعمون إذ لو سلم ذلك لكان دليلاً على جهل الشارع أو غفاه أو عبثه نسباً عن ربك واسع العلم والحكمة عما يصفون

قدما ذلك لنعلم أن النسخ يقتض أو لحكمة لا عيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفضل ، فانكاره جهل ، أو مكابرة قبحوس

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الإسلامية ، مقتضيات الاحوال في الامة العربية زمن التشريع . فكان تشريعاً اذ ذلك صورتان:

(١) صورة تمهيدية وقتية

(٢) وصورة ثابتة باقية

فالصورة الأولى هي التي صارت منسوخة لا يصل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ وطولب الناس أجمعون بالصل بها . أما الصورة الأولى فتجد لها أمثلة عديدة في الأحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف) .

وإذا قشنا الأحاديث المنسوخة وجدنا بعضها منسوخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . وإذا قشنا القرآن لا نجد فيه ما نسخ به قرآن مثله ولا منسخ به حديث كما بينا ذلك في مقالة لنا نشرت سابقا في المار (في الجزء الثاني من المجلد التاسع صفحة ١١٠) . فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الإمام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الأصماني . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في النسخ والنسخ في الشريعة الإسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوئها إذ لا يمكن الاستثناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها . فكان إذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم ما يخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له ما يجب العمل به فلا غرابة إذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال إن هذا الحكم منسوخ بذلك

وقد نشر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لا ننكر . ولكن جميع هذه الروايات لا يمكن القطع بصحتها وخصوصاً ما كان منها واردا في تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد أئمة وهو الإمام أحمد « ثلاثة لأصل لها التفسير واللاح والمغازي » ولا يخفى على أحد قدر أحسن في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظهر لنا من الآثار المختلفة على علانها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الأقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف إن سلم نسخ حكما » راجع ما قلناه في المقالة السابقة . على أن رأي أي واحد منهم

لا يجوز الأخذ به بدون دليل .

والذي نراه نحن أن العقل لا يستطيع وقوع النسخ في القرآن الشريف إذا كان القرآن يبين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ . أو أن رسول الله صلى عليه وسلم يبين ذلك بياناً يقبل متواتراً ويتفق عليه محملاً بين المسلمين . وإذا لم يكن هذا ولا ذلك فالقتال بالنسخ يرضى للدين لظن الطاعين واستهزاء المازيئين، وعبث اللاعين، الذين جعلوا القرآن عvisن فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعاً لأهوائهم وأهوائهم فاجزاء من فضل ذلك منهم الاخرى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ومن العجيب دعواهم النسخ في الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه علي أو قلبي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (٢٧١: ١٨) لا تبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبدله إذ التكرار « أي لفظ مبدل » في سياق النبي تم يقول المحققون منهم « إن النسخ خلاف الأصل ومنى أمكن التفسير بدونه وجب المصير الى ذلك التفسير » وأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة ؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن تفسير جميعه بلا حاجة الى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبدل فيه ؟ وإذا كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفاً وغير يقيني (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) وإذا كان لا حاجة اليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه إذا كان كل ذلك في أي شيء يمسكون ؟ أما قوله تعالى (١٠٦: ٢) ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٠١: ١٦) وإذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرها في المقالة السابقة بما يشفي العلة وبروي التعليل . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل . وقد نزلت هذه السورة قبل إيجاب القتال على المؤمنين أي في مدة أو في أوائل مدة المدينة (٥) كما نل على (٥) الظاهر أنها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة أي قبل اتيان النبي بأحكام الشريعة

ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (١٦: ٤١) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظالموا لنيوتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (وقوله في آخرها) ١٦: ١٢٦ وان عاقبتهم فاقبوا بثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) واذا كان نزولها في مكة فالمراد بالهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأمر حكم من أحكام الشريعة الاسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا اينأت مقترا) الظاهر أن القول بأنه مقترا إنما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحمل ما حرمته الشريعة الموسوية من المعلومات كما في سورة الانعام المكية التي ورد فيها قوله تعالى (١٤٥: ٦) قل لا أجد فيها أوحي الي عمر ما على طامع بطمه الا أن يكون مينة الى قوله - ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورها أو الجوايا أو ما اختلط بغضظ ذلك جز ينالهم فيفهموا وقال الصادقون ١٤٧ فان كذبوك قل ربكم ذورحة واسعة ولا يرد بأسهم القوم المجرمين) وقد أشار تعالى في سورة النحل الى هذه الآيات بقوله (١٦: ١١٨) وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبه كما أخبر فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : واذا أتينا بحكم في الشريعة الاسلامية بدل حكم في الشرائع السابقة ووضعت مكانه قالوا إنما أنت كذاب فتلقى الأحكام ونفسها الى الله : الى آخر الآيات . أما تفسير هذه الآية وآية ما نسخ فهو بخلاف السياق في كل منها . وينافي قوله تعالى (١٨: ٢٧) أتى ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) الآية والمخالفة أن القرآن لا نسخ فيه مطلقا . أما السنة القولية (الاحاديث) فيمنعها نسخ بالقرآن وببعض الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى . وعندنا أنه لم يبق منها شيء يجب العمل به غير موجود في القرآن لانها لم تكن الاشرية وثنية

تمهيدية لشرعية القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قرولية نهيت الصحابة عن كتابتها ولم ياملها النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر (٥) فلا يملكون بها كما ينال ذلك في مقالات لتأسفت في المنار. وإن أنكر علينا منكر ونسبنا للمروق فلنا له : —

(١) إذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) وإذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) وإذا كان العمل بالظن مذمومًا في القرآن الشريف . وكل ما ورد فيها من الأحكام ظني باجتماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد — إذا كان كل ذلك مسلمًا به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأى شيء خالف فيه الاجماع أو ابتدعه حتى أرى بالمروق ١٢

أنا لا أنكر ما الأحاديث من الفوائد العلمية أو التاريخية أو القوية أو الأدبية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف . الذين الذين يكفرونه شيئاً : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . لأن أنكار التواتر مكابرة وجمود فلا يجب التوصل إلا علمياً . ولا الرجوع إلا إليها (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) والرد إلى الله يكون بالرجوع إلى كتابه . وإلى الرسول بالرجوع إليه في حياته أو إلى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته . ولم يقل القرآن إلى من ظنتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان إلا بالتواتر أو بالدليل العقلي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله إلا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين لأن الله أراد أن تكون سنن الأقوال شرعية واضحة . أما من الأحكام المتواترة فقد أراد الله أن تبقى بين المسلمين . لا يوضح الكتاب وتصوير ما أراد بالفضل ككيفية الصلاة والحج . لأن الايضاح بالمثل أبلغ من كل قول . ولذلك أجل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاءً بصل النبي صلى الله عليه

(٥) حاشية الكاتب — لا يرد على ذلك وجود الأحاديث الكثيرة بينهم لأنها

كأها تقريباً مشكوك فيها

وسلم لما بين جواهر الناس الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب . - وهما مما يحسن
ايمانه في الجماعة . بل لا يصح اتيان أحدهما (أي الحج) الا فيها . فلا خوف
عليهما من الضياع أو القسيان . ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفهما عن وضعهما
فقد بلغت والله الحد من التواتر ما يمنع كل ذلك .

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ماداموا جامدين على الاحاديث ،
(وقد انقضى زمنها) كنفين بالروايات ، وهي ممتلئة بالكاذب والأوهام والخرافات .
وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في علمها واعتقادها

ألا فلنطارد الترهات ، ولنقض على الضلالات ، ولنفت على ديننا : كتاب
الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نضلها الا بهما في الدنيا والآخرة ،

(تنزيل) ذكرنا في الصفحة ٩١٣ من المجلد التاسع من المناوئخص معاملة النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه للأحاديث . ونذكر الآن ملخص آراء أئمة المسلمين فيها
ليعلم القارئون أننا لم نختصر شيئاً في الدين فنقول : -

إن الأحاديث التي رويت متواترة لا تتجاوز عدداً صاعب اليد الواحدة وهي
مع ذلك لا تدخل لما في أحكام الشريعة الإسلامية كحديث « أنزل القرآن على
صحة أحرف » وحديث « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فن كذب علي »
من هذا فليقبوا مقصده من التارة . وسائر الأحاديث الأخرى رويت أعاداً .
وبعضها عندهم منسوخ . وأما التي لم يقولوا بفسخها فهاك آراءهم فيها : -

(١) رفض أبو حنيفة مع قومه من زمن الرسول (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠)
جميع الأحاديث لعدم صحتها عنده الا بضعة عشر حديثاً (راجع كتاب روح
الاسلام) . ويعول هو واتباعه في مذهبه على الكتاب والقياس فقد موها على الحديث
(٢) قدم مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة على الحديث . والسنة عند السلف
في الطريقة المثبة عملاً لا الاحاديث

(٣) أنكر الشافعي جواز نسخ القرآن بالأحاديث ولو كانت متواترة

(٤) أنكر الامام أحمد صحة الأحاديث التي رويت في تفسير القرآن الحكيم

(٥) قالت الظاهرية : لا يجوز تفصيل عموم القرآن بها . وإن العمل بها فيغير

واجب مطلقا بل هو مذموم ظنية والعمل بالظن مذموم في القرآن الشريف
(٦) رأي المحققين من علماء المسلمين أنه لا يجوز الأخذ بها في العقائد،
فهذه هي آراؤهم فيها كما في كتب الأصول . فأي شيء ابتدئته أو اقتصرته
أو خالفت فيه الاجماع اذا كان ما ذكرت هو حكما عند أئمة المسلمين . فليتروا
المنصفون، وليتدبر العاقلون ، (وذكروا فاذنوا) تفع المؤمنين) ما
(المنار) ان لنا قولا في هذه المسائل نشره في جزء آخر وتقبل من العلماء
اباحين كل ما يرد اليها في ذلك لا يشترط فيه الا التزام ما يلقى بالعلماء من الأدب
والقراءة وبناء المناظرة على احترام اعتقاد المناظر

خطبة اسماعيل بك عاصم

الحامي

التي ألقاها في الحفلة (٥) التي أعدها في داره لطباء الكتاب اصحاب المجلات
المصرية ومحرريها احتفالا بتمام مجلة المنار السنة العاشرة من عمرها
(سنة ١٢٢٥ شوال سنة ١٢٢٥ - ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على من اجتياه، فان براعة استهلاكي
هي تقديم الشكر والثناء لحضراتكم على اجابة دعوتي وتشريف هذا الاحتفال
الادبي بإكمال مجلة المنار الزمراء لصديقنا السيد محمد رشيد رضا السنة
العاشرة من عمرها

(٥) راجع خبر الحفلة في باب الأخبار والآراء

(المجلد العاشر)

(٨٧)

(المنار ٩)

ولعل هذه أول مرة قام فيها انسان مصري بتل هذه الخطة
ودعا اليها أعظم أصحاب المجالات وأفاضل محرريها سروراً وإقبالاً
بمجة عظيمة اتمت العقد الأول من عقود الاعداد . وأرجو أن يكون
هذا الاجتماع فاتحة لامثلة في المستقبل

اني يا حضرات الافاضل عرفت مجلة المنار في السنة الثانية من
نشأتها اذ نهني اليها صديقي المرحوم نقولا بك توما الاصولي الشير وكان
في يده نسخة منها قال لي انها أحسن مجلة دينية، وأفصح صحيفة عربية
أدبية ، فأنمت النظر فيها فألفيتها جديرة بالمطالعة والادخار وحيث تأت
نفسى لمعرفة محررها وقالبه فوجدت منه انساناً فاضلاً أدبياً ، وكاتباً
مالاً أريباً ، كما تشاهدون وتشهدون ، فاشترته ثمانية أروام وهو يزاد
كلاً في محاسن أخلاقه ، وتزداد جلته جلالاً بالمباحث الاخلاقية العالية ،
والافكار الصحيحة البعيدة عن التقليد الاعى ، وبالتعالقات الحكيمة
السراية من الوجتين الدينية والمدنية ، فزاد حبي له كما ازداد إعجابي
بثباته بالرغم من مقاومة الدين لا يفتنون ما يقول أو يفتنون قوله ولكنهم
يبرم عليه الجبل السبى قد يثور بأهله البسطاء على المصلحين الاذكياء
فازدادت جلته اقتداراً ، ولاقت عند أهل الحبا اعتباراً حتى فبطه عليها
محبوه ، واتما يعرف الفضل ذووه

ومن المقرر أيها السادة ان الصحف هنا قسمان أحدهما سياسي ويطلب
عليه اسم الجرائد . وهى تبحث في التالب عن الحكومة وعلاقتها بالامة
والدول ، وعن الامت وعلاقتها بالحكومة ، وعن حقوق كل منها التي لها
أو عليها للاخرى ، وتراقب ما يتجدد من التقنين والتشريع ، وتنبه الى السدالة

والاعتدال، والاتصار للمظالم، والأخذ بيد صاحب الحق المضموم، ونحو ذلك . فهي نم المرشد الامين اذا أخلصت في النصيح والارشاد، ولم تسلك سبل التحيز والهووى والعناد

والقسم الثاني علمي أدبي ويقب عليه اسم المجلات . وهي تبحث عن تقيم الاخلاق، وتهذيب النفوس، وتثقيف الطباع، وتصبح الافكار، واحياء اللمنة التي بها حياة الامة، واتماء الصنائع، والتنبيه الى المحترعات المفيدة، وبث روح العلوم النافعة الجديدة، الى غير ذلك مما يرقى المرفان، ويزداد به العمران

وهذه ربما كانت أهم للامم وخصوصاً للحدیثة العهد منها بالمدينة لانها معها تضارب أفكارها، وتساقت أقلامها، فهي انما تكون البحث في مسائل علمية اجتماعية، أو أمور صناعية عمرانية، فلا يحدث عن احتكاك بعضها ببعض غير اشعة تستفيء بنورها العقول

ولهذا وجب على أبواب المجلات ان يتبعوا الذیلة فيطسوا رسومها، ويتعاونوا على قلم جذورها من النفوس الضالة، بأوتوا من الهداية والحكمة، والموعظة الحسنة وقوة البرهان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) - وان يتبعوا الذیلة من طرق الشرائع السماوية، والنواميس الاجتماعية، ويثبتوها في النفوس حتى تنطم في مرآة اخلاق الامة وشعورها (والناس تسعد بالاخلاق ما صلحت)

فان هم فسدت أخلاقهم فسدوا

فاذا أنتم قم بهذه الواجبات، وأديتم المطلوب من مجلاتكم حتى الاداء، فاستلوا بها عقول الامة، وارتقت أفكارها، وعظمت نفوسها، فعرفت

قيمة الاجتماع، وقوة التعاون، فوجدت المدارس والمستشفيات، والمصارف والكيانات، والجامعات العالية بقدر الحاجة اليها، ثم ذاتت لذة القيام بنفسها، وانفت اجابة كل داع يضلها عن السبيل السوي، - هنالك تيسرها ايجاد المجالس النيابية، واللجان التشريعية، التي تطلبها الجرائد السياسية، وتمناها كل محب لنفسه ووطنه

لا ينبغي على حضراتكم ان من الادلة على حياة الامة وارثائها أن تعرف قيمة رجالها الماملين لنفسها، فتقدرهم حق قدرهم، وتشجعهم على أعمالهم حساً ومعنى، فيذوقوا من حلاوة الاحترام والاكرام، ما يقوي منهم الآمال بالاصلاح العام، فيزدادوا نشاطاً وتفتنا في عملهم، وهتدي بهم غيرهم، فيزداد اوتقاء الامة بقدر زيادة النابضين فيها،

لهذا رأيت من الواجب علي لصديقي «المارشـد الرشيد» ان احتفل باكمال مجلته (المذار) للسنة العاشرة من ظهورها في هذا اليوم المبارك ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ فقد كان في مثله ظهور أول عدد منها سنة ١٣١٥ ويحسن بي ان أعرض على نظركم هذه النسخة من العدد الاول المذكور واقطف منه زهرات متفرقة يتأرجح نادينا بعرفها

قال في المقدمة الافتتاحية - أيها الشرقي المستغرق في منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بذلت الارض غير الارض واستولى أخوك العربي المستيقظ على قوى الطبيعة قهرن بين الماء والنار، وأولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور، واخترق الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساهة الهواء، وجمع بين أقطار الارض، بل عرج للعبة الطليكية فعرف الكواكب ومادتها الى أن قال -

وان هذا العصر عصر العلم والعمل فلا تضيع أوقاتك بالتفكير والتفكير
والاماني والتشهي (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فليها)

ثم قال ان من وظيفة هذه المجلة الحث على تربية اليتامى واليتيم
واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد
الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال
المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتسليم بالخرافات صلاحا واختيال
العقل والالفة والخنوع والذل تواضعا والتقليد الاعمى علما وايقانا

ومن غرضها رد الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض
مزاعم من زعم أنها حجاب بين المسلمين بها وبين المدينة ، واقناع
أرباب النحل المتباعدة ، بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر
والاحسان ، وان المعارضة والمناسبة تضي الى خراب الاوطان ، وتقضي
على هدي الاديان : فهذا ما أرادت أن أجتهه لكم من ازهار هذه المقدمة
ومن أبدع ما رأيته أن سعادة العالم الفاضل أحمد قنبي باشا غلول استشهد
في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصفحة السابعة
بشذرات من فائحة أول عدد من المنار في حينئذ قد شئت في مهادها وحازت
الثقة عند اكابر الامة منذ نشأتها

فهذا ما دعاني اليها الاخلاء لاتخاذ هذه المناسبة اللطيفة ، والمصادفة
الجميلة ، وسيلة حسنة للتشرف بدعوة حضراتكم لتجتمع على مائدة
السمر الادبي فوق أرائك المحبة والصناء فينبىء بعضنا البعض على هذا
الاجتماع الاخوي المفيد ، ونهنيء كلنا هذا الاخ العزيز المختل به على
توفيقه لهذه الخدمات التي نوهنا عنها ، ونسأل الله أن يمنحه الصحة ويزيد في

عمره وعمر عجلته ليزداد به النفع العام، وهذا جهداً يستطيع مثلي عمله والسلام
(لا خيل عندي أهديها ولا مال فليسمع النطق ان لم تسمع الحال)

ثم اني أشكر حضراتكم بلسان الامة المصرية على جزيل فوائدهم على
الازاهرة فاتها طالما نشرت من اريج دوحها ما تطورت به النفوس وأتمنى
ان يتكرر مثل هذا الاجتماع ولو مرة في كل شهر لتبادل الآراء في ما
يكون به زيادة ترقية الافكار

وفي الختام اقبل الى الله ان يرزقنا الخليفة والسلطان الاعظم بروح
من عنده وان يوفق خديونا المظم ورجال حكومته وعقلاء الامة لما فيه نفع
البلاد وخير البلاد آمين

حجة الاسلام ابو حامد الغزالي

(٢)

رأيه في العلوم الدنيوية

قال في بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الباب الثاني من كتاب احياء
العلوم التي بين فيه العلوم المحموده والمذمومة

« اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر العلوم . والعلوم بالاضافة الى
الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما مستفيد
من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة
مثل الطب ولا السماع مثل الفقه

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى
ما هو مباح فالحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالحطب والحساب وذلك ينقسم الى

ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس فريضة
 «أما فرض الكفاية فهو مالا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطلب اذ هو
 ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة
 الوصايا والموارث وغيرهما . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها حرج
 أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتوجب من
 قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من
 فروض الكفايات كالزراعة والحياكة والسياسة بل الحياطة والخياطة فانه لو خلا البلد
 من الحياكم تصارع الملاك اليهم وخرجوا بغيرهم أنفسهم لهلاك (١) فان الذي
 أنزل الله أنزل الدواء (٢) وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز
 الترخي لهلاك بآماله

«وأما ما يبدى فضيلة لا فريضة فالتعنى في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير
 ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في التقدير المحتاج اليه
 «وأما المذموم منه فعلم السحر والطسمات وعلم الشبذة والتلييات
 «وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا تنفخ فيها وتوارىخ الأخبار وما
 يجري مجراه » اهـ

أقول لا يظهر وجه ما قاله في الأشعار والتواريخ الا فيمن يقرأهم المفض السلي واتفكه
 فاما قراءة الأشعار لاجل معرفة الله مفرداتها وأسايلها واكتساب ملكة البلاغة وتعمير
 الصبحيح والفتيح من غيره فهو على قاعدته من فروض الكفاية بل ربما يستنبط من
 كلامه في كتاب الجامع التوام عن علم الكلام ان معرفة الله المربية فرض عين على
 كل مسلم بحيث يفهم الكلام البليغ ويميز بين الحقيقة والمجاز والكناية فانه قال هناك

(١) كان هذا المثال مطابقا لحكمكم في زمة ذ كان الأطباء لا يصفون علاجاً
 لتبيخ اللحم في بعض الاحوال الا الحياطة أو القصد وكان يتولى ذلك الحياكمون
 (٢) هذا المعنى رواه البخاري من فروعاً يلفظ «ما أنزل الله الا أنزل له شفاء»
 ورواه غيره ولفظ ابن ماجه «الا أنزل له اقدواء» وعند مسلم «فان أصبت دواء
 الله برى» فان الله

إن ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لا يميز أن يؤخذ بالترجمة فإن غير العربية لا تؤذي ما يؤديه القول الوارد فيها على وجهه في كل صفة من تلك الصفات وضرب لذلك الامثال

وأما تواريع الاخبار - ولعله يعني بما يقابل تواريع المحدثين - فقد كانت في زمنه قليلة الفائدة وهي في هذا العصر مادة السياسة التي قال بأنها فريضة ويتبع العلوم الاجتماعية التي تشرح لنا سنن الله تعالى في الامم وهو يد العلم بسنن الله تعالى في خلقه كالمعلم بصفات الله وكما له أعلى العلوم الدينية كما سيأتي عنه فلو كان في هذا العصر لقال في الشعر والتاريخ قولاً مفصلاً على نحو ما قلنا

﴿ رأيه في علوم الفلسفة ﴾

ثم تكلم عن العلوم الشرعية وأورد على نفسه هذا السؤال « فإن قلت فلم لم نورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذهبومان أو يهودان » وأجاب عن علم الكلام بما سذكروه في الكلام عن العلوم الدينية وإن كان لا يبعده منها وعن الفلسفة بما يأتي

« وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء :

(أ) المحسوسات والحساب وهما مباحتان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لها قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنه لآلئنه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث الهدى بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع أن القوي لا يتدب إلى مخالطتهم

« (الثاني) المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه وهما داخلان في علم الكلام .

« (الثالث) الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنسط آخر من السلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة

هو (الرابع) الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جمل وليس
بملم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث من صفات الاجسام وخواصها
وكيفية استحداثها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن
الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام
من حيث تتغير وتتحرك ولكن الطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه وأما علومهم
في الطبيعيات فلا حاجة اليها اه

وقد أوسع المجال لذلك في كتابه المختار من الضلال فقال :

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الفرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية
وطبيعية وإلهية وسياسية وخلقية أما الرياضية فتشمل علم الحساب والمنطق وعلم
هيئة العالم وليس يخلق شيء منها بالأمور الدينية فيها وإثباتا بل هي أمور برهانية
لا يصلح الى مجادلتها بعد فيها ومعرفة فيها وقد تولدت منها آفاق (الأولى) من ينظر
فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براعيتها فيحسن بسبب ذلك اعتقادها في الملازمة
ومحسب ان جميع علومهم في الفروض ووثائق البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع
من كفرهم وتسليلهم وهوانهم بالشرع ما تناوله الاسن في كفره بالتقليد المنص
ويقول لو كان الدين حلالا اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم فإذا عرف
بالقسام كفرهم وجددهم يستدل على ان الحق هو الجسد والانسكار دين وم
رأيت من ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواء وإذا قيل له المادى في
صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حادقا في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحادق
في التقه والكلام حادقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالانطقيات جاهلا بالانصو
بل لكل صناعة أهل بقوا فيها البراعة والسبق وان كان الحق والجهل قد يلزمهم
في خبرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الانطقيات تفصيلى لا يعرف
ذلك الا من جربه وخاص فيه فإذا اذ قدور على هذا الذي أخذ (كنا) بالتقليد

لم يقع منه موقع القبول بل تمحله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحسب التكاسل على ان يصير على محبين الظن بهم في العلوم كلها فلهذا آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فلما وان لم يتعلق بأمر الدين لكن لما كانت من مبادئ علومهم يسري اليه شرم وشوهم فقل من يخوض فيه الا وينظم من الدين ويحل عن رأسه لجام القوى

(الاقية الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جاهلهم فيها حتى انكر قولهم في الكسوف والحسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجبل وانكار البرهان القاطع فيزداد غلظة حبا وللإسلام بضاً ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بل في الآيات ولاني هذه العلوم تعرض للأمور الدينية وقوله عليه السلام ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينفصلان لموت أحد ولا حياة فاذاً رأيت ذلك فافهموا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسجد الشمس والقمر ولجأهما أو مقابلهما على وجه مخصوص وأما قوله ان الله اذا تميل لشيء خضع له فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلاً فهذا حكمة الرياضيات وأنها

(وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين قياً وثباتاً بل هو انظر في طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد ما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يقدرونهم بالعبارات والاصطلاحات ويزيادة الاستقصاء في التعريفات والتقسيمات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (أ) (ب) (ب) لازم ان بعض (ب) (أ) أي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لازم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون عن هذا بأن الوجبة الكلية تمكس موجبة جزئية. وأي تعلق

لهذا جهات الدين حتى يبعد ويترك فإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل
المنطق الاسوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على
مثل هذا الإنكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجهلون البرهان
شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لا الحجة لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية
ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق
أيضاً من يستعنه وبراه واضحاً فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة
بمثل تلك البراهين فاستعمل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الالهية فهذه الآفة
أيضاً منطوقه اليه

(وأما علم الطبيعيات) فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما
تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والعراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان
والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث
الطبيب عن جسم الانسان وأعضائه الرئيسة والمخادمة وأسباب استعانة مزاجه
وكما ليس من شرط الدين أنكار ذلك العلم الا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تنهايت
الفلاسفة وما عداها مما يجب الخفاة فيها فعندنا أمل يدين أنها مندرجة تحتها وأصل جعلها
أن يعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعانة من جهة فاعلمها
والشمس والقمر والنجوم والطوائع مسخرة بأمره لأفعل لشيء منها بذاته عن ذاته
(وأما الالهييات) ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين
على ما شرطوا في المنطق وتلك كثير الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب
ارسطاطليس مذهبه فيها من مذاهب الاسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا
ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها
وتبديعهم في سبعة عشر ولا يطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صفنا كتاب
التهاوت. أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم أن
الاجساد لا تحترق وأما الكتاب والمقاب في الارواح المجردة والنفوسات روحانية
لاجسانية ولقد صدقوا في اثبات الروحانية قائماً كائناً أيضاً ولكن كذبوا في
إنكار الجسمية وكفروا بالشرعية فيها فلقوا به ومن ذلك قولهم أن الله تعالى

يعلم الكليات دون الجزئيات فهو أيضاً كافر مريب بل الحق انه (لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك قولهم بقسم العالم وأزليه فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من تفهم الصفات وقولهم انه عليم بالذات لا يعلم زائد على الذات وما يجري مجراه ففهمهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يقين فيه فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه

(وأما السياسيات) فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحة المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الاولياء

(وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأواعها وكيفية مخالفتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية ومم التأملون المتأبرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلك الطريق الى الله تعالى بالأعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات أفعالها ما صرحوا بها فأخذوها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلاً بالتجمل بها الى ترويض باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتأملين لا يخجل الله العالم عنهم فاتهم أوتاد الارض ببركهم تنزل الرحمة الى أهل الارض اه المراد منه

أقول هذا آخر ما استقر عليه رأي الامام أبي حامد في هذه العلوم لأن هذا الكتاب من آخر ما كتب . ومنه يعلم انه لا ينكر من علومهم شيئاً بيده مخالفاً للدين الامثال مدودة من الفلسفة الالهية وانا نزيد المسألة بياناً بأمراد ما كتبه قبل ذلك في مقدمة كتابه تهافت الفلاسفة قال :

وأما بعد فاني رأيت طائفة يستعدون في أنفسهم التقيز عن الانساب والنظراء ، بمزيد النظنة والذكاء ، قد رفضوا طوائف الاسلام والعبادات ، واستحقوا اسمائهم الذين ووطاقت الصلوات ، والتوقى عن المحظورات ، واصفوا بتعبدات الشرع

وحسوده ، ولم يفتروا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلعوا بالكافة رقة الدين ، فتون
من الظنون ، فيؤمن فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويغفونها عرجاً وم بالآخر
م كافرون ، ولا مستند لكفرهم غير صراع التي ككفيلد التصاري واليهود اذ جرى
على غير دين الاسلام فتوسم ولادهم ، وطيه درج ابارهم وأجدادهم ، ولا من
بمحت نظري صادر عن التصرف باذبال الشبه الصارفة عن صوب الصواب ، والالتضاع
بالحيالات المزخرفة كلام السراب ، كما اتفق لطوائف من التفار في البحث من
الغائث والآراء ، من أهل البدع والاهواء ، وإنما مصدر كفرهم مباحهم أصابي
هالة كفرط وقرط وأفلاطون وأرسطاطليس وأمثالهم ، وإطاب طوائف متبعهم
وخلاتهم ، في وصف عقولهم وحسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية ، والمنطقية
والطبيعية والالامية ، واستبدادهم بفرط الذكاء والنظرة ، واستخراج تلك الامور
الخفية ، وحكايتهم منهم أنهم مع رزانة عقولهم وبوغزارة فضلهم ، متكرون للشرائع
والفصل ، ويجاهدون للفصيل الاديان والمثل ، ويعتقدون أنها نوايس مؤلفة ،
وحيل مؤخرقة ، فلما فرغ ذلك منهم ، ووافق ما حكمي لهم من عقائدهم باجمهم
قبولوا باعقاد الكفر فحمزوا الى غمار الفضلاء برعهم ، وانخرطوا في ملكهم ، ورفضوا عن
مساعدة الجماهير والهداه ، واستكاثوا من القناعة باديان الابهاء ، فلما بأن اظهار
التكاييس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال ، وفتلة منهم
عن أن الانتقال الى تقليد من تقليد خرق وخبال ، فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة
من يجعل بترك الحق المحقق تقليد ، بالتسارع الى قبول الباطل دون أن يقبل خبراً
وتحقيقاً ، والبه من السوام بمنزل عن فضيحة هذه الموهبة ، فليس في صحتهم حب
التكاييس بالشبه بدوي الضلالات ، والبلاهة أدنى الى الخلاص من ضلالة بزء ،
والسي أقرب الى السلامة من بصيرة حولا.

فلما رأيت هذا العرق من الحماقة ناجحاً على هؤلاء الاغبياء ، اجذأت بتعريب
هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء ، ميتات هات عقيدتهم ، وتناقض كلامهم ،
فيما يتعلق بالالاميات . وكاشفاً عن غوائل مذاهبهم وعوراته التي هي على التحقيق
مضاحك القلاء ، وعبرة عند الأذكاء ، أعني المختصين به عن الجماهير والهداه ،

من فنون العقائد والآراء ، هذا مع حكاية مذهبيهم على وجهه ليعين هؤلاء الملاحدة تقليداً اتفاق كل صرمق من الاوائل والاواخر ، على الايمان بالله واليوم الآخر ، وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين التطبيقين الذين لاجلها بحث الأنياء المؤيدون بالمعجزات ، وأنه لم يذهب الي انكارها الا شرفة يسيرة من ذوي العقول المنكوسة والآراء المعكوسة ، الذين لا يربو لهم ، ولا يهابهم ، فيها بين الظاهر ، ولا يبدون الا في زمرة الشياطين الاشرار ، وغمار الاغبياء والأغمار ليكف عن غلوائه ، من يقطن أن التجمل بالكفر تقليداً يبل على حسن رآئه ، أو يشعر بخطئه وذكائه ، اذ يعتقد أن هؤلاء الذين تشبه بهم من زعماء التلاصقة وروسائهم ، برآء مما قد فؤا به من جفائش رائحة ، وأنهم مؤمنون بالله ، ومصدقون لرسوله ، ولكنهم اخطأوا في تفاصيل هذه الاصول ، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، ونحن نكشف عن فنون ما انخدعوا به من التخاييل والأباطيل ، ونبين أن ذلك هو يلي ما وراده تمصيل ، والله تعالى ولي التوفيق ، لاظهار ما قصدناه من التحقيق ، ولتصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن مساق الكلام في الكتاب

(مقدمة)

ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف التلاصقة تطويل ، فإن حيلهم طويل ، وزعمهم كثير ، وآرائهم منشرة ، وطرقهم متباعدة متبارقة ، فلتقتصر على اظهار التناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق ، والمعلم الاول ، فانه رتب علومهم وعلمها بزمهم ، وحذف المشور من آرائهم ، وانثني ما هو الاقرب الى اصول أمواتهم ، وهو ارسطاطاليس وقد رذ على كل من قبله حتى على أستاذه الملقب عنهم بالفلاطون الالهي ثم اعترض عن مخالفته أستاذه بان قال أفلاطون صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه (وانما) قلنا هذه الحكاية عنهم ليعلم انه لا ثبت ولا ايمان لمذهبيهم عديم ، وانهم يمحكون ظن وتخمين ، من غير تحقيق وبحث ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بتأبور العلوم الحسية والمطقية ويستخرجون به ضفاء القول ولو كانت علومهم الالهية مثقة البراهين ، فية عن التخمين ، كلوهم الحسية والمطقية لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسية ثم

الارجون لكلام اوساطا ليس لم يترك كلامهم عن تخریف وتبدیل معوج الى
 تفسير وتأويل، حتى آثار ذلك أيضا فزاعا بينهم وأقومهم بالفضل والتحقيق من
 المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا . فلنقتصر على ابطال ما اختاراه
 ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما مجراه واستنكفاه من
 المتابعة فيه لا يتارى في اختلافه، ولا يقتصر الى نظر طويل في ابطاله، فليعلم ان مقتضون
 على رد مذاهبهم بحسب قل هذين الرجلين كذا يفتشركم الكلام بحسب اقتضائهم المذاهب
 (مقدمة ثانية)

ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام
 (قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم تعالى عن قولهم
 جواهر مع تفسيرهم الجوهري بأنه الموجود لاني موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج
 الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجهر التحيز على ما أراده خصومهم ولست نخوض
 في ابطال هذا لأن معنى القائم بالنفس اذن صار متقفاً عليه . رجع الكلام في التعبير
 باسم الجوهري عن هذا المعنى الى البحث عن اللغة وأ كثرهم لا يسمونه جوهراً وان
 سوغت اللغة اطلاقه . رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث التقنية فان تهرم
 اطلاق الاسامي وابطاحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع . ولعل قول هذا انما
 ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن الله فلا ينبغي أن يلتبس
 عليك حقائق الامور بالامدادات والمراحم قد عرفت أنه بحث عن جواز اللفظ
 بلفظ صدق منه على المعنى به فهو كالمبحث عن جواز فعل من الافعال
 (القسم الثاني) لا يصدم مذاهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من
 ضرورة تصديق الانبياء والرسول صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف
 القمر عبارة عن انحاء ضوء القمر بقوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه
 يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر
 في ظل الارض اقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف
 جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعها في القطبين على دقيقة
 واحدة . وهذا الفن أيضا لست نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض . ومن ظن أن

المتأخرة في ابطال هذا من الدين فقد جئ على الدين وضمف أمره فكان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها رية فمن يطلع عليها يتحقق أدلتها حتى يتغير بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائها الى الانهلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه واتماسته يب في الشرع وضرر الشرع عن يضره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يظن فيه بطريقه وهو كاقيل عدو عاقل خير من صديق جاهل

(فان قيل) قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياه فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة ؟ فكيف يلائم هذا ما قالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه لا في وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياه والامر بالصلاة عند الشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والظهور من أين يعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا

(فان قيل) قد روي انه قال في آخر الحديث ولكن الله اذا نجلى لشيء خضع له ، فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي

(قلنا) هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أمرون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالادلة القطعية التي لا تنهي في الرضوح الى هذا الحد وأعظم ما يقدح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مستائلا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كمنسية النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الزمان فالقصور كونها من فعل الله قط كيف كانت

(القسم الثالث) ما ينطبق التزاع فيه بأصل من أصول الدين كالتقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكر وراجع

ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه
(مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود ثبوتهم من حسن اعتقادهم في الفلاسفة فظن
أن مسالكهم تقيت من التناقض ببيان رجوعها فها هم فذلك أن لا أدخل في الاعتراض
عليهم إلا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فأبطل عليهم ما اعتقدوه مقولوا
به بالإزمات مختلفة فأنزهم ثارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا
مذهب الرافضة ولا أنتهض ذابا من مذهب غصصوس بل أجل جميع الفرق إلا
واحدا عليهم فإن سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل وهو لا يعرضون لاصول
الدين فلتظاهر عليهم فنقد الشذائذ تذهب الاحقاد (الكلام بقية)



بسم الله الرحمن الرحيم

محضر المؤتمر الاسلامي

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان
التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر اسلامي

جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بن يارة اصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين
منهم بما جاء لاجله فوعده صاحب جريدة المؤتمر بمهم بالمساعدة ودعو الناس الى مباح
خطبته التي أعدها لذلك وقد طبع أوراق الدعوة ووزعها على نحو ١٠٠٠ من أختار من الوجوه
والفضلاء وكان موعدهم ليلة السبت الخامس من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر
كثيرون لم يدعوا فارد حوا على باب دافق الكونشتال وتندو تقديم المدعوين على
غيرهم فكان السابق هو القسم كان كل واحد منهم كان يرى أن افاعي والمدعوين وغيرهم
من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة
(العدد ٩) (٨٩) (المجلد الثاني)

كان عدد المجتهدين زهاء ثلاث مئة رجل قرئت عليهم الخطبة التريكية ثم رجعتا الترية وبعد ذلك قام صاحب المؤيد قد كر بتعديد وجيز في كون فكرة المؤتمر فاضحة قد اعتدلت لها النفوس - أماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجهاه الخاصة قال لهم أذنوا له بأن يذكرهم أنهم أجابوا الدعوة وهم الأساتذة المشهورون الشيخ سلم البشري والشيخ محمد توفيق البكري والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد بخت والشيخ محمد حسين الدوي والشيخ حسين والي والباشوات حسين واصف وامام جيل أباطه والدكتور حسن وقفي وعلي شعراوي والدكتور علوي وموسى خالب ، والبكرات أحمد تيمور وعبد العزيز فهمي الحامي ورفيق النظم وظلت حرب وخني النظم وابراهيم الملباوي الحامي واحمد زكي ويوسف صديقي ومرو لطفي الحامي ومحمد فريد وعلي بهجت وامام جيل رأفت وحسن بكري القارول ومحمد أحمد الشريف ثم ذكر من الصحافيين قسما حافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أكثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعاهم الى ذلك دعوة خاصة فرفضوا وأذنوا له بذلك أناسهم . وقد اتفقت بعض الناس هذا وقالوا أنه عبارة عن إجابة الدعوة قبل ماها وظنوا أنه لا يخلو من نوايا خاصة ثم أصبح في البلد أن وراء الستار إرادة تدبر أمر المؤتمر وتصرف كبار المشغلين به في علمهم ورأيت غير واحد ممن ذكرنا أماءم آفقا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجهاه على صاحب المؤيد أن يدعو كثيرا من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يقامه للبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة التاسعة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في ردهة الحمار وكان صاحب المؤيد قد دعاهم حضر من ذكر أماءم من قبل وسام اللجنة التحضيرية الى مخرج بجانب لودية يأتمرون ويختصمون في اقتراح عرضة عليهم ومهران يخرج من اللجنة أناس منهم يد اختيار من رضاه ويرضونه ليكون مكانهم فلم يفتقروا على ذلك اذ رأى بعضهم أنه لا حق لهم ان يتبدوا بالسل م ومن يفتقرون

ولا طال الانتظار ومل الحاضرون ظهور النضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا الهادي ويخلو بقر من دوتنا في مخدع باعمرين بينهم سرا؟ ما هذا الا ايهانة وعمل غير معقول: فرأى من القوم اورتياحا لقوله ومواقفة له عليه وصاروا يقناجون بينهم: إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدوا بالمشروع لا من تأويل يدان أن بخار المؤتمر من برضيان ليم ذلك الأمر وكان ذلك الناضب قد درس على النفر المؤتمرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدير أمر مشروع المؤتمر وهذا غير صحيح وانما خلوة لتذاكريا نعرضه عليكم وهو اننا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عرض منه وحسن باشا رفقي وامبايل باشا أباطه وقلان وقلان فالرجو منكم ان تنتخبوا بدلم من الحاضرين لآتمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر: أو ما هذه خلاصته فبرأ نفسه بخروجه مما ظن فيه الظنون

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سميتموهم اللجنة التحضيرية لم ينتخبوا فالعلل أن ينتخب جميع الاعضاء ابتداء . فحاول صاحب المؤيد والسيد البكري ان يشتا علم الحاجة الى جعل أحد من ذكرت أسماؤهم لية الاحتفال بالخطبة موضعاً للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المؤتمر وجمهور من حضر خطبت ولم يمارض في أحد منهم أحد والسيد البكري سمي ذلك انتخابا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماؤهم الآن على الحاضرين وتأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يطلع في كفاءة أحد في وجهه ولا على مسمع الملا . ولعلك اتفقت الام كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سرياً فمن نجل ونحترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى أناساً آخرين أولى بهذا العمل من بعضهم فشكل واحد ينتخب سراً من يستحق كفاءته لهذا الامر مع حفظ كرامة الآخرين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماؤهم لية الاحتفال وسكوت السامعين فلا يسمى انتخاباً اذا لم يخطر في بال أحد من السامعين من تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأي فيها ولا ان له الحق في جرح أحد من ذكر

ثم اقترح بعض الحاضرين أن يكون البحث قبل كل شيء: إمكان المؤتمر وعدمه، وإذا ظهر أنه ممكن فهل الأولى أن يكون عاما أو خاصا بمصر وطال الجدل في ذلك. واقترح بعضهم بيان موضوع المؤتمر أولا فكان السيد البكري أحسن من أجاب إذ قال ماثله موضحا أن السيد جمال الدين قال أنه لا فرق بين المسلمين وبين سائر الشعوب إلا في الدين ولا يمكن أن يكون دين الاسلام في حقيقته هو السبب في تأخيرهم لأنه هو القوي كان السبب أولا في جمع كلمة العرب وتقلهم من الجمل والأمية الى العلم ومن البداءة الى المدنية ومن القفر والضعف الى الثنى والسيادة قال شي: الواحد لا يكون سببا لشيء ولغضه مما فلا بد أن يكون فهم الدين قد تغير ودخل فيه ما ليس منه فكل أثره في الآخرين ضد أثره في الأولين ولا يصلح حال المسلمين الا بالرجوع الى حقيقة الدين (قال) هذا ما سمعناه من السيد جمال الدين وهذا ما سمعناه من الشيخ محمد عبده وعليه جميع العارفين من الكتاب والباحثين ومنه يعرف موضوع المؤتمر. وعند هذا قال بعض الحاضرين لبعض ومنهم أحمد بك زكي الأمين الثاني لاسرار مجلس انتظار أن هذا عمل قامت به مجلة المنار. وقام الشيخ اسماعيل خليل فقال قولاً جاء فيه إشارة الى ما صرح به غيره من جواب هذا القول وهو ان ما يكتب في المنار وكذا في بعض الجرائد أحيانا من البحث في أسباب ضعف المسلمين وطرق علاجه يكون محلا لاتقاد بعض الناس فإذا كان مثل ذلك معزوا الى طائفة كبيرة من علماء المسلمين وفضلائهم وأهل الرأي فهم يرجي أن يكون مقبولا نافعا وقد أشرنا الى ذلك في مقالنا عن المؤتمر في هذا الجزء.

وبعد كثرة الجدال انفض القوم ولم يتفقوا على شيء فترم من حضر ممن ساهم صاحب المؤيد اللجنة التحضيرية على أن يسدوا أنفسهم اللجنة التأسيسية أو لجنة التأسيس للمؤتمر وأن يضموا اليهم من يختارونه للعمل معهم.

ثم انهم بعد ذلك اجتمعوا واختاروا الشيخ سلجا البشري رئيسا للمؤتمر وعمر بك لطفي الحامي كاتباً للسر وناطوا بتحديد موضوع المؤتمر ونظامه بلجنة مؤلفة من الشيخ توفيق البكري وصاحب المؤيد وبرايم بك البلاوي وحسن باشا رفقي ورفيق بك العظم

رحمة مصر بحسن باشا عاصم

رزئت مصر في ثالث شوال برجل الجدة والعدل والنبات والاعتدالة والعدل
والنظام خادم الأمة المحض نافلة التواضع فادرة المصرية نبيلة الصاميين الصفاء
حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه .
وانا نكتب في شأنه كلمات لا تقصد بها مجرد الرثاء والتأبين ، ولا محض الترجمة
والتاريخ ، بل العبرة والموعظة للأمة ، على ان يكون فيها لاهل الاعتدال حسن الاسوء
من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهذه الألقاب والسموت مخالفا
عادة في ذكر الناس بأسمائهم ؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يؤتبه المنار وقد
مات كثير من الأحرار والباشوات وكذا العلماء ولم يدكر خبر موتهم ولا عزى
البلاد عنهم ؟

كان حسن عاصم رجلا من الرجال الذين نهض بأمتهم الأم اذا كبروا
فيها ولو كثر أمته في مصر لا ذهبت انكسرتا بأن المصريين قادرين على أن
يحكموا أنفسهم كأمة أوربية فقد كان اذنا روحا من أرواح الحياة القومية ،
وركنا من أركان النهضة المدنية ، وان كان عمله مما كانت يهجه الأمة ، وظلما
تهنئ به ألسنة الخاسرة ،

كان رجلا يزور هذه البلاد السائح المورخ فيقرأ جرائدها ، ويخشي أئديها
ومعاهدها ، ويتحدث مع الخواص والعام ، والمحكومين والمحكم ، فيسمع ويقرأ
أخبار الأحزاب ومؤسسيها ، والتعصب لها أو عليها ، والمناورات في التفاضل بين
أفراد ، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد ، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه
المواضع ذكرا ، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خيرا ، فكيف كان لحياة البلاد
روحا مدبرا ، ولنهضتها ركنا مشيدا ، والأمة في مجموعها غافلة عنه ، جامعة عمله
ويتنازع زعامة النهضة فيها زيد ومحمود ، وخالد وبكر ، ؟

الجواب عن هذا ان الرجل كان ضالا ، ولم يكن قوالا ، وأمتا في مثل هذا
الطور تشلها الأقوال ، وتقرها السعاري المراض الطوال ، ورب قول كبير
للسوى ، فدير على التقرير ، لو كثر أمته في الأمة مازادوها الارحضا ، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد - وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه -
 إلا ويحزم بأنه لو كان فينا عشرون رجلا مثله في صفاته وأعماله لتهضوا بنا نهضة
 لا نظير في بال الدين يقولون مالا يفعلون ولكننا حجة لنا على الأجانب لا يكابر
 أحد في دحضها . ولكن يوجد في البلاد مثلات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا
 بالستيم وأنفادهم ما يشبهه الزعماء العامة فقت عليهم حال المعيشة بأن
 يكون كبيرهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي فعل بها هذا الرجل استقلال الفكر
 والرأي فقد كان لا يقبل أحدًا في رأيه وإنما ينظر في الأمر ويطلب فيه الفكر
 والتدبر حتى يظهر له الصواب واتنا نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد
 والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطغولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يقولون
 أنهم مستقلون فيما قبلوه بادي الرأي ولا عمل هنا لكشف التليس في ذلك

(استقلال الإرادة) كان رحمه الله تعالى مستقل الإرادة قوي الزينة أضي
 أنه كان يعمل دائمًا ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس
 الأمر بحسب اعتقاده وإن كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا المثلقي
 فينا أضف من سابقه ولو كان ضدنا كثير من الحكام والعلماء الذين يعملون
 بما يعتقدون أنه الخير والمصلحة للبلاد لكننا من أرق الشعوب ذن فينا عددا كثيرا
 من الماورين بما يجب ولكنهم ضغفاء المرائم فلا يعملون بما يعملون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالليل الراسخ في ثباته على رأيه
 وحملة واستقامته في سيره وهذا كان نافعا في استقلاله وقوة إرادته . ذن الزينة
 تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت
 وقرجل القلب فإن الإيمنة الذي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفا في العمل
 بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قويا . وكان رحمه الله لا يشك من شيء شكواه
 من القلب والتحول في الناس قد اقتروحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة
 بما يكون بالإجماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

أكثر مما يجب لأنك لمختبرها : وقال لي مرة أو غير مرة ما صنعه انما اذا دعونا الى هذا العمل نحمد المجهدين اليه كثيرين في اول الأمر ثم يتسألون لو اذا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحمال) كان على نفاة هذه آفة في الصبر على العمل واحمال الشقة لا يمل ولا يسأم ولولا الصبر والاحمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يملكه عدة رجال حتى كان يمل ويتلذذ كل من يشتغل معه لاسيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيجب كل عاملها من صبره وجهده - وهي ادارة القصر العالي وادارة تركة الأمير محمد ابراهيم وادارة الجمعية الخيرية ومدارسها وادارة الشركة الانكليزية المصرية - هذا وهو غير مهمل لادارة منزله بل مقيم لها على أكل نظام

(النظام والالتقان) كان عاشقا للنظام كلنا باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتباً منتظماً متقناً حتى قال فيه سعد باشا زطول انه خلق منتظماً بالطبع . ومن يخطر بباله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيها يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية وخطره أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لابرص المصحف المنبع عن الصحابة عليه الرضوان فبدأ أولاً بالبحث عن جواز ذلك واستقى فيه الاستاذ الامام فافاد . ورجع نهاراً الى الامام مالك يجاوز في مصاحف التسليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبعث بنفسه مع أهل العلم في الكلام الذي يشبه في رسمه مكلمة (الضحى) تكتب ألفها بصورة الياء أم مليئة والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لأجل الوقت . فكاننا نسير معه الليالي فوات المدد نقاباً في هذه الكلمات . ثم ناط ضبط ذلك كله ونصحح الاصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء ليطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراءات لكي لا يخرج الرسم عن أداء التواتر منها ثم انه كتب مراجع

بنفسه كل ما يصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من سنتين على طبع كتاب العدة في الأدب لابن رشيق بنقطة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت إليه المطبعة الاميرية نموذج المزمة الاولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابلة على النسخ قرأها فوقف في فهم بعض عباراتها والا حادith وأيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب النار غير مرة كنا نراجع فيه الأحاديث في كتبها والاشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هودروان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في المألزمة عبارة غامضة يرجح أنها محرقة وطبق يال ويبحث عن نسخة أخرى من المدة ليطلعها أو يستسخرها من القلر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خالق الاثنان وامانة العلم ان يطبعها وهو يعتقد أن فيها تحريفاً فبارك من أنهم عليه بهذه الاخلاق ، وبأيت الذين يتجرون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يتنون بعض هذه النماية بالاضبط والاثنان

(الجدل والرصانة) كنا نرى كثيراً من الناس يفتقدون منه رصانته وجده في كل وقت وحال ونعجبهم المزل والدعاة ونحامي المزارع والمناكة في الحديث الا قليلا وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعباً يعتقد أنه يكثر فيه العياش والحفة ويطلب على أكثر أفرادهم المزل والهو والعب في زمن بزاجه فيه أهل الجدل والعمل من الشرب الأخرى على بلاده وينازعونه جميع مقومات حياته نولوا هذا الخلقان لما قدر على كل ما عمل . ولكنا لا ننكر مع هذا ان استقرار جميع الاوقات في الجدل والتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المتشددة في القضية ولكن لا يقبل انتقادها الا من يصرف أكثر أوقاته في الجدل ويفرغ في أقلها للاهل والصعب ينا كهم ويمازحهم وينسب اليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً (الاقتصاد والوفاء) اشترى فقيدنا المبكي بأعين الفضلاء بالمباينة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يظن فيه البخل والتقيير وهو لم يكن بجبار ولا مفر في النقطة بل كان في الاتفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٧: ١٥) ليتقى ذو سمعة من سمته

ومن قدر عليه رزقه فليفتق عما آتاه) كان يكتب لبيته ميزانية السنة قبل دخولها فيجمل المخرج غير مستغرق لدخل كله ويحصى كل أنواع النفقات ويضيف إليها مبلغاً احتياطياً ثم يؤدي كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والأجنبية في أواخر شهر ديسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم يأخذ أول وصل ما وصلات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر ومن كل شيء يشتريه في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في السادة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستثناء عن الاقراض والاستعانة بالربا نعم إن اقتصاده المنبني على قواعد العلم الحديث والتزامه النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الأمور مخالفة يستنكرونها فيفسونها بغير اسباب . فمن ذلك أنه كان إذا دعا إلى طامه فترا من أصحابه وزاره عند وقت الطام أو قبله صاحب آخر فإنه لا يدعوهم بل كان يرضى أصحابه ربما يعتمد أن يقول : ينبغي أن قلائد وقلائد سبأ كلان الصناء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيئهم بمررتهم اليهودية : انه ليس لك كرمي على المائدة في هذه الليلة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يحب الطعام على قدر حاجة الآكلين المألوفين بلا تقدير ولا تمييز . وكيف يوصف بالتقدير من كان خدماً يأكلون من جميع ما يأكل متاع أهل البيت وضيوفهم من الألوان والمخلى حتى التافكة في الشتاء .

وبلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يري ورقة مكتوبة من الأوراق التي لم يبق من حاجة إليها إلا بعد أن يقص منها ما عدا المكتوب إن كان ينتفع به بإمكان كتابته شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثلاً وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبني لقاء الأمير وكان هو رئيس التشريلات فأرسلت إليه بطاقة الزبارة للاستئذان ولما صمت بالخروج من حجرة قال لي خذ هذه البطاقة - وكانت لا تزال في يده - فأها أدت وظفيتها الآن ويمكن أن تؤديها مرة أخرى : قلت له ذكرني هذه الدقة في الاقتصاد كذا للامام الغزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجح بالحبة لا يرجح بالنظر لأن النظر مؤلف من الحب

فإذا أتني في الميزان حبة بعد حبة لم يكن الرجحان إلا بحبة : فأعجب هذا القول وكان يستحل به

ومن الناس من يهزأ بهذه الحكائق ويهدأ من الصنائع التي لا تنفي لأهل النفوس العالية . وهذا خطأ وجهل يزينه لصاحبه الاسراف والحرق واضعاً لخل والحرق من النظام فإن الكاتب (الخطاط) الذي لا ينفى بكل حرف من الكلمة لا يكون مجموع خطه كامل الحسن ، والبناء الذي لا ينفى بضبط كل حبر ينحط لا يكون بناؤه رصيناً محكمًا ، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صورته مطابقة لما صورده . وهكذا يصحح المال الكثير في غير فائدة من فرط في حفظ التقليل بوضعه في غير موضعه

ان كثيرا من المشرعين الذين يسميهم الخلق أسخياء وأجواداً يطلبون أصعاب الحق ويبلونهم وهم واجدون ما يفون به ولا يكادون يذلون شيئاً في سبيل الله وإذا خرج منهم الحق لا يفرج إلا نكاحاً ولكنهم يراون الناس باضاعة المال في أمور لا يجدها فاعلها عند الغلاء ولا يؤجر عند الله . ومنهم الذين يضيعون ما هو ثروة من الثروة الراسمة أو غير الراسمة فيصرون في القل للرجع ، وانقر المدقع ، وما أكثرهم في هذه البلاد واكثر الناس لا يمتثلون

قال الله تعالى يكره في الوضوء ان يغسل الوضوء الغضوء أكثر من ثلاث مرات لأن ذلك من الاسراف ولو كان بوضوء من البحر إلا ان يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالتبرد ولكن لا يضيء بها العبادة وقالوا ان حكمة الشرع في ذلك هي ان تعلم الأمة الاقتصاد في الأمور كلها فلا تفرط في شيء وتضيق في غير متعة وإن لم يكن في اضعافه ضرر

أي ضرر يصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيعون شيئاً بوضعه في غير موضعه ولا يؤخرون حقاً من مستحقه ويجهدون في السبق الى مساعدة الجماعات الخيرية أما والله ان أمة يكثر فيها أهل هذا المطلق لجديرة بأن تكون أسعد الأمم (فهرجة قبية)

(يصدر هذا الجزء من المنار في سلخ شوال وهو شهر سلخ رمضان)

﴿ الاحتفال بالقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشأ المنار في سنة ١٣١٥ و صدر العدد الأول منه في مساء اليوم ٢٣ من شهر شوال من تلك السنة ثم زمرحنا أول صفته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة المصرية هي سنة المنار الحادية مئذنته الخامسة أي سنة ١٣٢٠ وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطرت اسماعيل بك عاصم الخطيب والحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالاً ينوه فيه ببلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قضى بإرجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذا كرني في ذلك فأخبرته بتاريخ إنشاء المنار فسر بذلك وعزم على ان يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدده منه وهو ٢٢ شوال فوزع مرقاع الدعوة على أصحاب الجبلات الشهيرة في مصر وعمره بها ليحضرها مساء ذلك اليوم في داره بالعباسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر محبوبون كثيرون من عليّة القوم ومنهم من يتقدم على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الإصلاح بالتتويبه بالمون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الإصلاح لا بأسحة عرضت أو فكرة صنعت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فلهذه وهديته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكلم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكارم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وإيداعها ما يراه مناسباً لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترويج في الآداب النافعة وبالمون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامة مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويصلي (الجوق) مئتين جنبها اعانة له على تمثيلها بمصر: على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذكرت هذا قبل الكلام عن كيفية الاحتفال ليان بعض مزايي الاحتفال لمن لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضاً فأتيتي سمعت كثيرين يقولون

بالعجة الاعجاب والتعجب كيف خُطرت لفلان هذه الفكرة يظنون انها سابعة عرضت ، لم تأت عن ملكة رسنت

اسماعيل بك عاصم يطالع المنار بدقة متبجاً سير الإصلاح فيه وكثيراً مايفاض كوني في مسائل منه يصحب بها فضل إعجاب ومماثل ينتقدها أو يري فيها غموضاً أو إيهاماً فله خدمة المنار علم تفصيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يجب أن يجعله سنة دائمة فجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعواً تجمعهم رابطة السلم والأدب اجتماعاً لا يفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وم الأ كثر بالطبع) والفارسي كالك كهور محمد مهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالك كهور جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولا الاختلاف في الوطن فان منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي وهو فرج أفندي مراد الحامي محرر مجلة التهذيب الدينية الأدبية لطائفة القرايين)

تم اجتماع القوم بعد العشاء الآخرة في الساعة السابعة مساءً وكانوا قد أقبلوا فرادى ومشي وثبات . وطقوا يتسامرون باللف الكلام والبشر يفتق من وجوههم سروراً بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال ، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحد بالحنافة والبشر حتى كان سروره بهم يوجع بسرور مجموعهم . وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانظموا حولها كقصد القولو المنظم ، أو كمنطقة مؤلفة من النجوم ، ولا بدع فهم يهجم الهداية الى الأدب والعلوم ، وقد أعجبوا بدوق صاحب الدعوة ورب المنار ، فيما على المائدة من تسليق الراحين والأزهار ، واختيار أنواع الفاكهة والثمار ، مع حسن نظام المنار ، ومايز فيها من تألق الألوان ، فإنه جلب اليها صنوف الفاكهة السورية كالنخب الزيني والزعرور البناني وحسب الآس وغير ذلك علما منه بأن المختل لا جله ونحو نصف المدعوين وهم سوريون يحضرون بذلك الى ما ألفوا في سن الصبا ، وأن سائر المدعوين يسرون من عظمة الطريف ، وما زال الانسان يحن الى غير المبدول المعروف ،

مكثوا قسوسا ونصف يمزجون أطيب الطعام ، بأطيب الكلام ، ويجمعون
 بين أحسن النفاكة ، وأحسن النفاكة ، ثم طافت الثاني على الكواب ،
 فتقرها بالمال الغايري (الغازوه) المزوج بأهل الشراب ، فأكلوا هنيئكم ، وشربوا
 حللا طيبا ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيبا ، مرحبا بالقوم ترحيبا ، فألقى الخطبة التي
 نشرناها في هذا الجزء من النار ، وزاد عليها نورا من عقائل الكلام وورقات الأشعار
 ومنها أقول إن إسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يعود تأليفها
 وحفظها ثم تلاوها كما يفضل كثير من يدعون الخطابة فضلا عن كتابتها وتلاوتها
 في الورق . ولكنه في هذه المرة خالف عادته وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعا
 ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما قصد فألقاها بالمسني غالبا
 وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالا وكان مما زاده أثناء على هذا العاجز بأكثر مما في
 الخطبة فأعجبني ذلك جدا

تت بعد إتمامه ما جاد به لأشكره ولاخواني الحاضرين فضلم وأقول
 شيئا يناسب الختام فأوصي الي سلطان الحبل الذي كان يمسك في وجداني حكما
 استبداديا لا ملاقاة لي بذقه أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في
 الإصلاح والعلم فهو يفضن التنا على قصي وأرتج علي أو كاد حتى لم أجسد
 القول الا الاعتذار عن الشكر بالسبب عنه اذ لم أوت جراحة الخطيب وطلاقة عن
 الكلام في المسائل العلمية والادبية بأني أفتح عيني فلا أرى أمامي الا العالم
 التحرر ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف الدقيق ، أو المؤرخ الحق ،
 فإذا عساني أفيد هؤلاء الفضول ، وهم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو
 أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان فيهم من أن أصر في بصري
 عنهم ، وأخاطب بما يفتح علي قلوبهم ، قبلوا بكرمهم البذر ، وأعجبهم الاعتراف
 بالعبور ، ولكنهم تواضعهم عدوه من التواضع

ثم قام يقرب أفندي صروف الله كثر في العلم والفلسفة وعمره بحجة التقطع
 الحفيدة فألقى خطابا مفيدا افتتحه بقوله أنه عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه
 الديار كتب الي بعض أهل العلم (و ذكر اسمه) كتابا يقول فيه أنه قد ظن

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حر لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المناظر جازمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهوان اخواتنا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المناظر وكذا الى المرحوم الخفي (يعني الاستاذ الامام) كنظر التنصاري في أوروبا الى لوثير وكافن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدينة قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . اننا لانبحث في أصول الاديان لأننا كلنا نعتقها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصد من المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوروبا يظنون الدين المسيحي فيما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأ لمدنيتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يظنون الاسلام فيما دهمهم الى المدنية والعلوم ثم اقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وأن فلافا هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا اصلاح في مجلته المناظر التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقي الحبيب الفاضل والحامي الشيرازي اماعيل بك عاصم . ان صاحب المناظر يقاوم البدع والخرافات وشرح الدين شرحاً بسيطاً مبيناً للمدنية ويهدم العقبات التي تقف في سالكها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبنى في وقت واحد ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويمدونه بخدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لا ديني لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم النصر الاكبر فيه وانتهى على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما لديه من المصاعب وصبره عليها وعلى اماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم ووجه له واكرامه لآله ،

منه فحوى ما قاله به الدكتور الحكيم ملخصاً وقد كان موضوع الاعجاب والامتنان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، فطقت بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصنيق اليدين ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (ونظير المدرسة التحضيرية الكبرى) وارتجل خطبة خافية الذيل، متدفقة السيول، مدح فيها العلم وأهله، وحمد فيها المختل وأطرى المختل لأجله، وعما قلناه أنه عرف صاحب المنار، أول مقدمه لهذه الديار، وعلم أن سينشئ صحيفة إصلاحية فيها لذلك كان من المواطنين على قراءة المنار والامتناع منه منذ ظهر إلى الآن. وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتاً ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والخرافات. ثم ذكر ما تلي المنار من المقاومة والمادة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تعليمه وانفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد اقتضوا هم أنفسهم به وصاروا يشكرون في حالهم وما آلهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في هذا العصر. وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتعليته بالألقاب التي لا يستحقها إذ لم يكن يشير إليه إلا بكلمة «استاذنا» وما يصح بها من الثبوت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيراً. وقد أتى على المختل الكريم في قائمة التول وختمه، بل في كثير في أجزائه وأقسامه، وصفق له السامعون صراخاً

ثم قام توفيق أفندي عرو ز صاحب مجلة المنار خطيباً وهو من كتاب وخطباء القبط. أسبغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أن محبة قرية من محبة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على المبرائد وأنهى على المختل وهذا المختل لأجله

وكان حسن بك حماده صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أخذ شيئاً وكتبه ليبيعه أصلاً لخطبة يلقىها فضاء الوقت باطالة الخطيبين الآخرين فنهه كغيره عن الخطابة فأعطاني ما كان كعبه وهو بنصبه :

«لو مضت منه الأدب بأن لا ينأى الشخص بسارة، إلا بعبارة تحيط بوصفه، مسبوكه في قالب من البلاغة مساو لبلاغته، لوجب على حضرة الأخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الآخر أن يقوم بتهنئة نفسه ويؤدي هذا الفرض من هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على قصورهم من أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخطئ بخلق مولاه فأطلب إليه أن يقبل

تهنئة هذا الضيف له على ثبات ارادته ومقابلته لما اعرضه من الصواب في سبيل
 هذه الجليل التي يؤديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعة علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر
 السرور بهذا العيد الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه
 لخدمته وصرف مواهبه في القرب من حوضه، يوجب علينا ذلك مرات كثيرة، وقد
 ضمنا من ورائهما ادب اقتناء مقام الوالد .

واني أحس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير
 الانسانية وبعبارة أجلى كما يحس كل شخص ضمنه حاشيتا هذا المحفل الزاهر
 بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا القدر من السنوات خطوة واسعة في
 ارتقاء الآداب، ودرجة مُمينة في تاج المجلات التي تصدر في هذا القطر المبارك بل
 فخر لحياة المجلات التي تصدر في الشرق أجمع .

واني من محبة الاحكام الشرعية أحيي محبة المنار الاسلامي بنحوها في
 القدر الثاني من حياتها المباركة وأسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فياقصد .
 هذا وليس بسبب أن يقوم حضرة الاصولي المفضل اسماعيل عاصم بك الخطيب
 الشير بمظاهر هذا العيد فطالما خدم العلم والادب وكانت له اليد الطولى على
 الجمعيات الادبية في موطن كثيرة وله مناجيا أجمل الشكر ومن الله تعالى
 جزيل الاجر والسلام اهـ

وقدم اليها التامذة التعجب عمود أفندي رمزي التاريخ الآتي فشرناه شكرا له ونشيطا

مؤسس عيد المنار على المعارف والسفن الطاهرة

دعوت المجاهدة السالين وأهل المعارف في القاهرة

ومن كل شهم اذا ما تحمد ث ينطق بالسرور الساحره

ليحي المنار ووب المنار وعاصم والسادة الحاضره

بيد المنار فأرخ الا يمن لقد بلغ الماشره

هذه الكتب من مؤلفات الحكمة الفارسية
عفاكم الله وما يصححها الا اولى الاكابر

المجلد

هذه الكتب من مؤلفات الحكمة الفارسية
عفاكم الله وما يصححها الا اولى الاكابر

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام موى و « مآوا » كل امرئ طريقه

(مصر شوال سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ٥ ديسمبر (١) سنة ١٩٠٧)

الماديين والآلهيون (١)

مجلد فلسفة صحيحة

(ولولا كلمة سبقت من ربك لغضى بينهم)

« تمهيد - غرور الماديين بمعلوماتهم - الجوهر المفرد - المكان - الزمان -
قوى المادة - ماهو البرهان الصحيح : المعجزات - القنات الطبيعية - مذهب
داروين - القضاء والقدر - أبسط الاحياء - الفعل المتكسر في السلسلة الحيوانية -
عمل المنع هو فعل منعكس متضاعف - الانسان مضطرب في صورة مختار - اختلاف
احوال المادة - الظلم - شهرة الخائف منه »

الانسان مفتون بنفسه ، مغرور بمقتله ، لا يعرف من الامور لظاهرها ، فيظن
انه أدرك برابطها ، فيقبح إعجابا به وينأى بجانبه تمردا واعتكابا ،
عرف الماديون شيئا من أسرار الوجود فوجدوا لذة وراحة عقلية ما كانوا
يشعرون بها من قبل وتوهموا أنهم فهموا هذا الكون وصبروا غوره وأمكنهم التطليل
عن منشأ وأصله بدون الاحتياج الى شيء ليسابهم تلك اللذة الفكرية التي حصلوا عليها

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي الطبيب بسجن طره

قام الدين بناديهم بالأذهان لثمة السبل ومسبب الأسباب ووصفه لهم بما لم يمكنهم إدراكه ولا يقدرّون على تصوّره فذكّر عليهم ما دعاهم اليه . وعز عليهم ترك ما هم فيه ، فأعرضوا عن الدين وأظهروا العداة له ، وقالوا ما لنا ولهذا الخديان ونحن (وللطبيعة الحمد) قد وصلنا الى درجة من العقل لا تتفق مع هذا البهتان الكبير شرب بعض المقلّدين لهم من حياض أفكارهم فخلّوا بها ، وقامهم أن الدين الصحيح يذهب بمنجيه الى بساطين الحرية والراحة العقلية التي يرحم فيها المؤمن ، ويصل على دوح التصورات الفكرية حتى يبلغ المكوث الأعلى ويصل الى معرفة واجب الوجود فينزل الى المادة وقد عرف عليها الحقيقة التي لا يروها الوهم ولا يدنو منها الخطأ أو الشك

إن كلن الماديون ينكرون وجود الله لأنهم لا يمكنهم أن يدركوا كنهه تعالى فأبي شيء . أدركوا هل أدركوا المادة . أم هل أدركوا قواها ؟
أسمع صوتا من بعيد أظنه من بعض الناطقين يقول : نعم قد أدركوا كل شيء . - أما قرأت علومهم ؟ أما سمعت بمكتشفاتهم ؟ فأبي شيء . لم يدركوا ؟
أذن مني با هذا ولا تعجل عليّ فأبي آتيك بالجوهر اليقين . وخبرك بحقيقة علمهم .
ففكر معي تفكيرا ، وترّ في الأطويلا ،

خذ قطعة من أبسط الأشياء كالخجر مثلا واسحقها ثم خذ بين أصبعيك منها أصغر ذرة فقد رط عليها ثم سر في تقسيمها الى أصغر منها بالمثل . فهل تقف عند حد أو لا تقف ؟ إن قلت انك لا تقف قلت إذا هذه الذرة مركبة من ذرات (١) لا عدد لها وليس لها حصر . فكيف ذلك وهي محصورة بين أصبعيك تقريبا كيف شئت ؟ فهل يكون غير المتناهي متناهيا وغير المحصور محصورا ؟ أي تناقض أصرح من هذا ؟ وإن قلت انك تقف عند حد سألتك هل الذرة التي تقف عندها لها امتداد أم ليس لها امتداد . فإن كان لها امتداد فلم لا تتصور تقسيمها ولم تقف عندها ؟ وإن لم يكن لها امتداد (وهو الصحيح) فهل يمكنك أن تدركها بقلبك أو تتصورها

(١) هذا يقطع النظر عن نظريات علم الكيمياء واصطلاحاته فإنها لا تناقض

هذه المسألة

في فكرك؟ كلا !! اذًا أنت لا تدرك شيئاً من مادة هذا الوجود الواقع تحت حركته؟ فكيف واجب الوجود (والله تعالى) !! ولم تنكر وجوده وقد قامت عليه الدلائل القاطعة كالتي بينها في بعض مقالاتنا السابقة في الشارح؟

ف فكر ثانياً في تلك القرات التي لا امتداد لها فهل يمكنك أن تصور كيفية اجتماع بعض أجزائها ببعض حتى تتركب منها الاجسام الشاغرة للفراغ؟ اذا وضع ثلاث منها بعضها بجانب بعض فهل تثبت للوسطى منها جانبيين أم لا؟ فان أثبت ذلك لما كان ذلك قصداً لقواتك الأولى انها لا امتداد لها وأمكنك قسمتها . وان لم تثبت لها الجوانب فهل تصور كيفية وجودها واتصال بعضها ببعض؟ كلا إنه لا يمكنك ولا يمكنك ذلك اذا لا يمكننا أن تصور حقيقة الاجسام ولا الفراغ ولا المكان لأن ما يقال في الاجسام يقال مثله في المكان وما قيل في القرات التي لا تقسم (وهي الجواهر الفردة عند الفلاسفة والمكالمين) يقال في النقط الهندسية عند الرياضيين ثم فكر ثالثاً في وجود هذه القرات منذ الازل على اعتقادك مع قولك بحركاتها التي ليس لها أول وخذ حركة منها لتتكلم عليها . أليس قبل هذه الحركة حركات لا عدد لها لأنها أزلية كما تقول؟ واذا كان الأمر كذلك فكيف أمكن اقتضاؤها جميعاً وكيف جاز أن تأتي تلك القدرة بحركات لا عدد لها قبل كل حركة . أليس ذلك قولاً بأن ما لا يد أمكن منه؟ وما لا يمكن الايمان عليه قد أمكن الايمان به؟ أو ليس هذا تناقضاً بيننا؟

ومثل الحركات الأزلية لحظات الزمان فانه يستحيل وجودها منذ الازل فهل يمكنك بعد ذلك أن تقول بأنك تفهم الازل أو تفهم الزمان؟ إلى هنا قد تبين بأجلي بوهان أن المادي لا يفهم كنهه المادة ولا مكانها ولا زمانها

إنه كما خرج من تناقض سقط في آخر . فهل يفهم شيئاً من خواص المادة وقواها؟ إن المادة قوى كثيرة عرفت بعضها كالكهربائية والمغناطيسية والجاذبية العامة بين الارض والاجسام التي عليها وبين الأجرام الكونية بعضها مع بعض أليست كل هذه القاطع لا تعرف لها معنى حقيقياً . وما مثلنا في ذلك الا كتل الحديد ففسر الماء بهد الجهد بالماء ؟

خذ مثلاً قوة الجاذبية التي بين الشمس وأحداً السيارات كالأرض أو كزحل
فما هو هذا الشيء الذي به الجذب ؟ هل هو مادة أو غير مادة ؟ فإن كان مادة
فكيف يحصل به الجذب ؟ وإن كان غير مادة فهل يمكن تصوره وكيف يحصل
الجذب بين الحديد والمغناطيس ؟ وما الجواب الثاني عن مثل هذه الأسئلة ؟

فإذا كان الماديون لا يفهمون المادة ولا زمانها ولا مكانها ولا قواها فأي شيء
يفهمون أو يدركون ؟ أنهم لا يعلمون الا ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الحقائق غافلون
وإذا لم يكن عدم إدراك الشيء عقبة في سبيل التسليم بوجوده فلماذا ينكرون
وجود الله تعالى ؟ وأي فرق بين المادي والآلهي في الحرية العقلية الآلهي
يمتد بوجود أشياء لا يدرك عقلها لأنها قام عنده عليها الدليل . وكذلك
المادي يعتقد ولا يمكنه أن يدرك كنهه ما يعتقد ؟ فهل يكون أحدهما أكثر تمتعاً
بالحرية العقلية من الآخر ؟ كلا !! فإذا انفتخون ؟

إن عدم إدراك الشيء ليس دليلاً صحيحاً في نظر العقل على عدم وجوده
والألا يمكننا أن نقول إننا لا ندرك شيئاً من كنه هذا العالم المحسوس فهو غير
موجود : حينئذ تقع في السفطة . ومن بلغت به درجة التكابر الى هذا الحد
فلا يصح خطابه . ولا التكلم معه لأنه ليس بما قل

البرهان الصحيح على وجود الشيء أو عدمه (إن لم يكن محسوساً) هو ما بني
بناءً منطقياً صحيحاً تذهبي مقدماته الى البديهيات العقلية . وأشهر هذه البديهيات
وأدورها وروداً في الدلائل : أن الضدين لا يجتمعان وقد برهننا ، والقيضين
لا يجتمعان ولا يرفضان : مثال الضدين البياض والسواد . ومثال القيين البياض
وعدمه أو النقي والاثبات في كل شيء . فكل ما أدى القول به الى ما يخالف
البديهيات كان باطلاً واستحال وجوده وكل ما لم يؤد الى ذلك كان جائزاً وامكن
وجوده وإن لم يمكن للعقل ادراك كنهه ومعرفة كيفية وجوده . وبجيب الايمان به إن
قام عليه الدليل والا بقي في حيز الامكان

هذه المسألة هي أصل الأصول . ومرجع البشر قاطبة في جميع علومهم
الصحيحة ومن لم يفهمها ولم يمكنه أن يميز بين ما يصادم البديهة وبين ما لا يمكن

إدراك كنهه فهو غير أهل لأن يتلقى شيئاً من العلوم العقلية . ولا يمكنه أن يعرف الحق من الباطل ولا أن يفرق بين الخطأ والصواب

وإذا كان عدم ادراك كنهه الشيء ليس موجبا لانكاره كما قررنا فمن باب أولي تكون مخالفة الشيء لما اعتدناه لا تقتضي عدم تصديقه . فمن انكر خوارق العادات (المعجزات) التي يدعيها أهل الملل لا ينياتهم وجزم بعدم امكان وقوعها لذلك السبب (أي غرابتها واستعجالاتها) فهو يحجب العقل جاهل إذ ليس كل غريب مستحيلا وإلا لما أمكن لبشر إصطلاح الجماد (كما في الفونوغراف) وتقل الكلام الى مسافات بعيدة كما في (التليفون) والسبر بسرعة عجيبة كما في الآلات البخارية والكهربائية التي غير ذلك من الاختراعات الفيزية التي ما كان يحلم بها الأولون ولو أخبروا بها لكذبها أكثرهم كما يكذب المعجزات بعض أهل هذا الجيل الحاضر الذين قصروا بمعلوماتهم التي هي بالنسبة لما خفي عنهم ليست الإجهالات مركبة

ولو عمل الإنسان بهذا المبدأ السخيف وهو الجزم باستحالة الشيء لعدم اعتياده له لما تقدم خطوة الى الامام في سبيل الاختراع والاكتشاف. أما إذا كان انكار المعجزات مبنيا على ادعائهم استحالة خرق نوايس الطبيعة فهي دعوى لا يمكن اثباتها ووجودها في عالم الحيوان والنبات من الشواهد ما يكذبها ولا يمكن تحليلها ولا تبين سبب مخالفتها للمعهود كما في الاجنة التي تولد مختلفة بعضها ببعض أو ناقصة أو زائدة عضوا أو جزءا منه . فلم لم يجر هذه الاشياء على ما اعتدناه وطبيقتنا لا نعرف جميع نوايس الكون حتى نجزم بأن كل ما خالف ما علمناه منها يكون خارقا لما فلم لا تكون تلك المعجزات قابعة لناموس لا فعله الى الآن ؟ ومتى علمناه أمكننا تفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً

ألم تر الى العلماء قبل ان جاء داروين بنظرياته في ارتقاء الأرواح بعضها عن بعض كيف كانوا لا يفهمون معنى للأعضاء الاثرية ولا يدركون سببا لظهور بعض الاشياء في أجنة الحيوانات ثم انمحاتها قبل ان تقوم بأية وظيفة أو تؤدي أي عمل كالإنسان التي تظهر في طور التكوين في تلك الاعلى لأجنة الحيتان

والحيوانات المجترة ولا عمل لها إذ ذاك ثم نزول ولا يبقى لها أثر حتى غلبت بعض الناس أن ظهورها هذا عبث ولو لم نشاهد بالحس لانكر المكابرون وجودها . فلينادب الانسان وليعلم أنه لم يوث من العلم الا قليلا . ولا يفترن بما علم من ظواهر الامور

الانسان طائش . اذا جهل حكمة شيء اسرع بكذبه وانكاره . ولكن ذلك لا يفيته عن الحق قليلا . جهل حكمة الخالق لهذا الوجود وكفه فتسرع في انكار وجوده فقل اراحه ذلك عما أحاط به من العضلات التي يتاجيه بها عقله وبطلابه مجملها : أنت مسكين أيها الانسان : وبطلك حيران !!

نظر المادي نظرة سطحية في الكون . ودعاء الدين للايمان باليوم الآخر وبفضاء الله وقدره . فقال : لو آمنت بذلك لآمنت بظلم مبین ، فأنا أنكره كله لأستريح من هذا الضاء الأليم : والتجأ الى جمر التكذيب فلقته فيه ما فر منه ، ولكي يفهم ذلك يجب أن نصفي لما سأقول عليك : -

إن أبسط الأحياء في هذا العالم ما كان ذاتية واحدة كالحيوان المسمى « أميبا » هذا الحيوان هو قطعة صغيرة من مادة حية تسمى البروتوبلاسم (١) ولها من خواص الحياة ما هو معلوم ففسولوجيين فاذا فہت بأي منه فمحرکت

إذا ارتقينا الى ما فوق هذا الحيوان في الرتبة وجدنا أن هذه الخاصة وهي إجابة التنبيه بالحركه أخذت في التضاعف في الحيوانات المركبة واستاز بعض أجزائها (وهي أيضاً عبارة عن خليات بروتوبلاسمية) باقيامها دون سواها . فيمد أن كانت « الأميبا » هي التي تقابل بنفسها التنبيه فتتحرك بمجملها صافي الحيوانات الراقية بعض الأجزاء مختصاً بمقاومة التنبيه فتجيب عنه أجزاء أخرى بالحركة . أما الأجزاء الأولى فهي الأعصاب الحساسة التي تحمل التنبيه إلى المراكز العصبية كاتي في النخاع الشوكي فيرتد فيها إلى أعصاب أخرى تسمى الأعصاب المحركة حتى يصل الى العضلات فيؤثر فيها تأثيراً مخصوصاً يظهر لنا بانقباضها . وهذا هو

(١) هي كلمة يونانية وسماها المكون الأول لأنها تنصير الحياة ومنها ركب

كل حي

ما يسمى بالفعل المتعكس (ومن أراد زيادة التفصيل فليدرك بكتب الفسيولوجيا) وهو يشاهد في جميع الحيوانات حتى في الانسان نفسه . ولو أعقنا العلاقة بين المخ وبين التنازع حتى لا يبقى لارادة الانسان سلطان عليه تم هذا الفعل أيضا رغم أنه كما يشاهد في حالات البارابلاجيا أي الشلل النصفي السفلي وكذا في إصابات التنازع العارضة إذا كانت فوق المراكز التي تقوم بالفعل المتعكس

أما ما يصل الى المخ من التنبيهات بواسطة الحواس فليس من الضروري أن يجيب عنها في الحال كما هو شأن التنازع وشأن الحيوانات الأولية . ولكنها تحدث فيه آثارا مخصوصة عليها مدار ما يأتيه الانسان من أقوال وأفعال

قال العلماء الفسيولوجيون والبيسكولوجيون إن أعمال الانسان هي أفعال منعكسة مرتبة متضاعفة . والفرق بين ما يأتيه باختياره وبين ما يحصل بدون اختياره (كلاهما أفعال المنعكسة للتنازع) إنما هو في مدة حصول كل منهما كما صرح بذلك العلامة أغسطس د . ولله الفسيولوجي الشهير فالنيل القهري يتمكس بسرعة وما نسميه اختياريا يتمكس ببطء وكلاهما في الحقيقة فصلان منعكسان . ولا يصدر عن الانسان إلا ما كان نتيجة ما وصل إلى مخه مما أحاط به من الظروف والأحوال وما لحقه بسبب الوراثة الطبيعية عن الآباء والأجداد

فالانسان في الحقيقة مضطر في صورة مختار كما وصفه بذلك عندنا علماء الكلام كالامام فخر الدين الرازي . فهو ليس الا آلة لا تمكس ما حوله ولا يصدر منه شيء ابتدائي مطلقا . إذ جميع أعماله إنما هي نتيجة تربيته ومعلوماته وما ورثه وما أساط به من ظروف وأحوال وغيرها أي هي نتيجة مزاجه والوسط الذي نشأ فيه وإلا فكيف تفسر ميل هذا البشر وميل ذاك للخير إذا كان كل شيء فيها متساويا ؟ على أن القول بتساوي البشر في الطباع والاعمال والظروف مما يكذبه الحس والبيان . ولو كان صحيحا ما وجد بينهم اختلاف ما في الميل . ولو وجد الاختلاف لجاز حصول المسائل بدون علة أو التراجع بدون

مراجع وهو محال

هذا هو قدر العلم والعقل لهذه المسألة. فإذا كان البشر لم يظفروا مساوين
وليسوا في الظروف متقنين (ولا دخل لهم في ذلك) وجميع أفعالهم ليست الا
نتيجة تركيبهم. والمؤثرات المحيطة بهم -- اذا كان الامر كذلك قول يقال أن
لهم ارادة حقيقية متصرفة في شيء ؟

الحق أقول ان اختيارهم ليس إلا أمرًا ظاهريًا. وإذا كان كذلك فلماذا
نماقيهم على ما يرتكبون في هذه الدنيا وهم لا شك اليه مسوقون وعليه مدفوعون ؟
الجواب بـ «ول» وهو أن العقاب من العوامل المؤثرة في النفس فتخرج له وترتدع
بشيء وكذلك يؤثر في نفوس غيرهم ممن رأوه أو سمعوا به ، فقل الشرور في
هذا العالم (ولكن في القصاص حياة با أولي الالباب) ولكن هل يسوغ لنا هذا ظلمهم
بالعقاب مع علمنا بأنهم مكرهون ؟ ان كان هذا غير مسوغ فنحن اذا جميعا ظالمون !!
وهناك مسألة أخرى أيها المادي . وهي لماذا كان بعض المادة جهادا
لا يشعر وببعضها الآخر نباتا أو حيوانا يحس ويتألم ويظن ؟ ولم كان الناس
يختلفون ما بين في وقير وصحيح ومريض ومستمع ومضطرب وفرح وحزين الى
غير ذلك من التباين والاختلاف بين اجزاء المادة ؟ أليس هذا ظلمًا في رأيك ؟
فان كان ظلمًا فالتكون كله ظلم في ظلم ونحن ظالمون مغلوبون ولا يخلصنا من ذلك
انكارك لوجود الخالق أو إقرارك به . فأنت أنكرت ما أنكرت فإرادا من القول بالظلم
فوقفت فيه !!

قد يقول إشي بانكاري الخالق تكون تبة هذا الظلم ليست واقعة عندي
الا على الوجود ولكننا عندهم واقعة على آلهم : ونقول ان الظلم أمر اختاري
فما نسميه أنت ظلمًا يراه الآخر عدلا ولعلك اخلفت الناس في ذبح الحيوان وأكله
مثلا فبعضهم يستحب ذلك وبعضهم لا يرى فيه عيبا فما عرفت به الظلم
بمنازلة فيه غيرك ويقول ان الظلم هو التصرف فيما ليس بحق التصرف .
والعدل هو تصرف المالك في ملكه بما يرى . فإذا ملكك بعضا من الانعام
قد بعت بعضها وأطافت بعضها الآخر فقلت بظالم وإذا خول القانون لقاضي الحكم
في مسألة بأحدى حقوقيين فاختر ما شاء منها فليس بظالم . وان لم نعلم هذا

التعريف أو ما يقاربه وأمررت على القول بالظلم فتعنى لارى فرقا حقيقيا بين قولك ان تبعه هذا الظلم عندك على الوجود أي ليست على أحد بيته وبين زعمك ان تبعته عندنا على الله لان الله تعالى فعل ما فعل حسب ما قضت به ارادته الازلية ولم يكن في الامكان غير ما كان . لان الارادة في جانب الله منها تخصيص بعض الممكنات ببعض الممكنات الاخرى وهو ما يسمى بالترجيح . وهذا الترجيح حاصل منذ الازل أي لا أول لوجوده فلا يمكن أن يوجد غيره . أما دعوى أنه أزلي وأنه كان يمكن وقوع غيره كما يدعي بعضهم فهي مصادمة لبداية العقلة . وان قيل ان الارادة سالحة لترجيح هذا على ذاك ولكن لم يقع الترجيح بالفعل الا في غير الازل أو كما يعبر المتكلمون في مثل ذلك ان لها ثلثين : قلنا صلوحيا قديما وتلقا فتعجز يا حادثا (١) ان قيل ذلك قلنا ان اختيار هذا الشيء دون ذلك مع انهما بالنسبة له تعالى سواء من كل وجه هو عين الترجيح بلا مرجح . ولا يصح أن يقال ان صفة الارادة هي المرجحة لان نسبتها أيضا لاحدهما فنسبتها الى الآخر تماما . ولو اختلفت النسبة لكان الترجيح أزليا والا لختلف المألول عن علته وهو محال . وان كان المرجح شيئا غير الارادة قايما أن يكون قديما أو حادثا فان كان قديما لا يمكن تحفظ المألول عن علته كما قلنا وان كان حادثا يحتاج هو لمرجح يرجح وجوده على عدمه وذلك يؤدي الى القول بالسلسل وهو باطل . وان لم يكن هذا ولا ذاك بان كان المرجح يوجد في المستقبل (وهو غير مقبول) فلم كان الترجيح لاجله حادثا ولم يكن أزليا ؟ فلا مفر اذا من القول بأن تلقى الارادة التعجيزي هو قديم أم التعبير عن الارادة بالمضارع بدل الماضي في نحو قوله تعالى (ذو العرش المجيد قال لا يريد) فله شواهد كثيرة في اللغة وفي القرآن الشريف كقوله تعالى (لو يطعكم في كثير من الأمر لنتيم) بدل أطاعكم . ويراد به إقادة استمرار الفعل . فمنى الارادة القضاء الأزلي القوي أوضعا وقد قضى تعالى بما قضى ولا يزال قاضيا به . وجميع ماورد في حقه تعالى من أمثال ما يستعمل في حق البشر كالرحمة

(١) المسلمون يقولون إن كليهما قديم كما بين برهان ذلك في المتن (كذا في الاصل)

والغضب والكره ونحوهما له معان في جانب غير معناه في جانبنا . تفسر هذه الالفاظ في كل مقام بما يناسبه وبما يليق بالله تعالى وصفاته . مثلاً إذا قيل « الله رؤوف بهاده » فمعناه أنه تعالى هو الختم عليهم بكل خير أو نحو ذلك لأنه جل شأنه منزّه عن الانفعالات النفسية والاضطرابات النفسية والحولات الفكرية . فليست رأفه أو غضبه كراقتنا أو غضبنا تعالى عن ذلك علواً كبيراً وليست أفعاله مسبقة بفكر أو تردد أو ما شابه ذلك من صفات المحدثين

والخلاصة أن ترجيح بعض الممكنات على بعض حاصل منذ الازل فما كان يمكن أن يحصل غيره اذ لم يسبق بدم ولم يكن لوجوده أول . فإن سلم أن فيما حصل ظلم فلا تبعة فيه على أحد لأنه تعالى هكذا موجود من القدم ولا بد من انقضاء ما كان لا تردد . ومن تفكر فهم . ومن تصق عرف . ولا أزيد عن ذلك فسر القضاء أو شك أن يتضح . بل هو العارفين قد انضح . إذ فاعلم بحده المادي من الحرية في جموده بحده الموءن في ايمانه . ولكن الموءن يفرقه في كونه عرف علة الوجود وما اقتضته . فخلص من التناقض الذي وقع فيه المادي بسبب زعمه قدم الجواهر الفردة على ما بينا هنا في صدر هذه المقالة وفي مقالات الأخرى في الالهيات التي سبق نشرها في المنار

فهذا هو ما أودت بياته (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهدانا كم أجمعين)

الدكتور محمد توفيق صدقي طيب بسجن طره

(المنار) ما كتبه الدكتور في الإرادة والاختيار غير محرر وقد أطال في ذلك المسكمون وأوردوا فيه ما قيل من أن تعلق الإرادة الالهية بفعل الشيء يقتضي وجوبه واستحالة مقابه وبذلك ينفي الاختيار واجابوا عنه بأن الإرادة لا تعلق الفعل الممكن لقائه وما كان ممكناً لقائه اذا صار واجباً بتعلق الإرادة به كان وجوبه عين الاختيار اذ لا معنى لاختيار الباري تعالى الا كونه ما يصدر بقدرته من الافعال له انما يصدر بتخصيص ارادته لتلك الفعل على ما يقابله من الممكنات فلا اختيار عند المتعينين لازم للإرادة لزوماً عقلياً وبمعهم بجلها بمعنى واحد وغاية ما فرق به المدقون بينها هو ان المختار ينظر الى الشيء وإلى مقابه ويرجح احد المتقابلين أو

المقابلات على غيره والمريد ينظر الى الشيء الذي يريد فيهحرك القدرة الى فعله . يعني ان كلاً من الإرادة والاختيار يفيد التخصيص والترويج ولكن الفاعل لشيء يسمى مريداً له باعتبار قصد المبرد ويسمى مختاراً باعتبار ملاحظة شيء آخر غير ما قصد الى فعله منه كان يمكن ان يكون بدلاً منه لولا الترويج والتخصيص

وأظهر من هذا ان يقال الاختيار عبارة عن كونه تعالى غير مكروه ولا محبور على ما أراد وما يريد لانه ليس فوقه سلطان يلزمه شيء ما فتكون ارادته تابعة لارادته وإرادته مستقلة بالتخصيص بحسب عليه . أما نحن البشر فأتينا قد نعلم أن المصلحة في فعل كذا وان مقابلها مفسدة ونحب أن نفعل ما هو المصلحة ولكننا قد نفضل ونرجح المفسدة باكره من هو اقوى منا سلطاناً فلا تكون ارادتنا مستقلة بالتخصيص ولا نحن مختارين في الفعل وقوله ان فهم الارادة والاختيار بهذا المعنى يستلزم الترويج بلا مرجح مصادرة فان الارادة اذا لم تكن هي المرجحة لزم في الوجود الترويج بلا مرجح لا اذا كانت هي المرجحة يلزم ذلك كما يقول

نعم ان ما يخص بالارادة يكون على حسب الداعي وهو العلم والعلم ليس لازماً بالفعل (ونريد به ما يميز الكف والترك) لانه عبارة عن انكشاف المعلوم فتوجه نفس الفاعل الى فعل بعض المعلومات دون بعض معنى آخر يسمى ارادة ومشيئة ومن اثبت الارادة المستقلة يكون مثبتاً للاختيار . واردة العالم الفعل تكون عند الفعل حتماً وقد تكون قبله بمعنى أن نفسه تكون متوجهة الى فعل كذا في زمن كذا من المستقبل ولذلك قالوا ان للارادة تعلقاً قديماً أزلياً وتعلقاً حادثاً وما ذكره الدكتور صديق في الهامش من كون الارادة ليس لها الاتعلق قديم غير صحيح لانه يلزم منه أن يكون تعالى غير مريد لشيء عند ايحاده بالفعل وهو بدعي البطلان على انه هو قد صرح باستمرار الارادة الازلية والمراد منه ومن التعلق الحادث واحد لكن ما يتبادر الى الفهم من مجموع كلامه في هذا المقام يخالف لما هو مقرر في العقائد ومن يتأمل فيه يقسم منه انه بما قرره من أزلية الارادة وعدم امكان شيء غير ما قصد به في الازل حاول ان ينفي ما يبره عنه القدرية بقوله « الامر أقف » (بضم الهمزة والتون) أي ان الله لم يقدر الامور ولم يعلمها اولاً وانما

يألفها على حال وقوعها . واقائلون بهذا هم غلاة القدرية المتقدمون ويقرب من عقيدتهم ما يفهمه كثير من العوام من معنى الاختيار قياسا على اختيارهم الذي يكون بعد تردد وبعد مخالفة لقصد سابق

ومن مقاصد القدرية في مذهبهم في الظلم عن الباري عز وجل وهو ما قصده الدكتور صدقي بنقوض مذهبهم ولكنه على موافقة لاهل السنة في الارادة الازلية من جهة قد خالفهم من جهة أخرى فجعل الارادة منافية للاختيار . وعلى موافقة لهم في نفي الاعتراض على الباري بالظلم خالفهم في طريق الاستدلال فوقع في شر مما هرب منه اذ جاء بما يؤهم جواز وقوع الظلم الحقيقي مع الاعتذار عنه يكون عنه أزلية وكل ذلك لعدم تحرير العبارة فيما أظن

وجهة القول ان جميع المكينات التي نعرفها وفي حكمها مثلها مما لم نعرفه من الموجودات صادرة عن الوجود الواجب الازلي أو قل عن واجب الوجود القديم ولما كانت مشتقة على النظام والاحكام دلت على أن لواجب الذي صدرت عنه قد أوجدها بطل كامل واردة مستترة وأنه مختار في ذلك لا مجبور ولا مكره . ولما كانت ارادته للأشياء عن علم محيط وجب أن تكون افعاله كلها موافقة للحكمة البالغة والنظام التام والعدل التام فلا يقع منه الظلم لا لأن ما يفهمه من معنى الظلم إن وقع منه تعالى لم يكن ظلما كما يقول الاشاعرة فإن هذا غير صحيح كما بيناه في التفسير من هذا الجزء . ولا لأنه أزلي وارادته أزلية كما قال الدكتور صدقي فإنه تعالى منصف بالكمال في الاول وفيما لا يزال ، والظلم يتاني الكمال ، وهذا الذي ما قرناه هو ما كان عليه السلف الصالح في مسألة استحقاق الظلم عليه تعالى . وما يظنه الجاهلون بالله وبسنة ظلال الخلق لا هواتهم يسئل على العارفين بالله ان يبينوا لهم أنه ليس بظلم

وأما ما قاله في مسألة كون الانسان مجبورا غير مختار في افعاله فله فيها وجه فلسفي يقول به بعض فلاسفة الافرنج الآن وصحبهم اليه بعض أئمة المتكلمين والحقاكة من المسلمين والعزالي فيه أقوال من قبيل أقوال فلاسفة الافرنج من أوضحها وأبلغها مما كتبه في كتاب التوحيد والتوكل من الاحياء . وقد استنبه

على أكثر علمائنا الفصل بين هذا النوع من الجبر وبين الجبر الذي يستلزم به على أصل التكليف والفرق مثل الصبح ظاهر فمدار التكليف على ما عليه الانسان من نفسه علماً ضرورياً من أنه متمكن من فعل هذه التكليف وتركها وهذا التمكن يسمى اختياراً ويسميه الاشاعرة كسباً ولا ينبغي كون الانسان لا يعمل عملاً الا بعد العلم بأن فيه خيراً له من تركه وكون هذا العلم منه الضروري وغير الضروري وان ما كان منه غير ضروري في مبداءه يصير ضرورياً بعد الجزم به كالمظهر أو كون هذا العمل فلا يتم كالمسألة أو يبطأ . وربما عدنا الى الاسباب في ذلك وما هذا هو اعتقاد أهل الحق في هذه المسألة وما قبلها وأظن أن الدكتور محمد توفيق افندي صديقي لا يخالفه وان أوجعت عبارته الخلاف لعدم وضوحها

التدوين في الاسلام *

ساذني الكرام

حقاً أي حري بالفخر، حقيق بتقديم واجب الشكر، على ان تازلت قبولي هذه المرة خطيباً في ناديكم الجامع لتواضع الامة ونخبة أهل الفضل والعلم منها واني أعترف بأن موقفي بينكم موقف صعب لا يجرأ على الوقوف فيه ضيف مثلي ليس في مراتبكم السامية في العلم والاطلاع فأنتس منكم لهذا السبب المذرة اذا تلمتم لساني واضطرب جنائي والكريم يندر على كل حال

ولقد اخترت موضوعاً لبعضي هذه المرة أظنه لا يغفل من فائدة تاريخية مع ما أعتقد في نفسي من السجز عن اعطاء مثل هذا الموضوع أو البحث حقه من البيان والتدقيق لكن قاعدة « لا يدرك كله لا يترك كله » ربما سمعت لي بمرض معلوماتي في هذا الشأن على مسامح ساذني الحاضرين مهما كانت قيمتها هينة في نظركم ونظر التاريخ

للموضوع - هو التدوين في الاعلام أو مبدأ الكتابة وتقييد العلم في الصحف

عند المسلمين

(هـ) خطبة ألقاها رفيق بك النظم في نادي المدارس العليا بالقاهرة

ان الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على بطله عن اذهان كثير منا لهذا العهد هو تصدي بعض الباحثين لتطريق الوهن والتعرج الى العلوم التي وصلت اليها من أسلافنا في الصدر الاول كالتحقيق وآداب اللغة العربية والتاريخ فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني والثالث وان الاخبار التي تتلقى بالرواية مدة قرنين ثم تكسب بعد ذلك الامد الطويل فلا يوثق بسلامتها من التعريف والتبديل وذلك قياس لاخبار العرب على غيرها من اخبار الامم الاخرى التي لم تكسب صحيحة في حينها وانما كتبت بعد مرور زمن طويل أو قصير عليها مشوهة بآفة التبديل والتعريف فستطاعت احوالها على ظنهم في التاريخ وهذا الزعم بالنسبة اليها مردود من وجهين:

الوجه الاول: ما عرف عن العرب من اتقان الحفظ والرواية وكونهم مطبوعين على ذلك

الوجه الثاني: ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام من أوائل القرن الاول أي من عهد صاحب الرسالة وأبي بكر الصديق وثبوت عناية العرب المسلمين بالكتب أو العلوم المدونة منذ ذلك القرن

أما الوجه الاول فيبانه ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الغفلة اذ المشاهد ان الانسان اذا فقد أداة من قواه العاقلة أو مشاعره قويت فيه أداة أخرى . فضعف القاكرة يكون قوي التفكير بحكم الحاجة الى استحضار صور المعلومات التي تقيب عن حفظه . وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك والعرب لا كانوا أمة أمية قليلي العناية بالكتابة التي هي أداة من أدوات الحضارة استعاضوا عنها لاستبقاء أخبارهم وتداولها بقوة الحفظ فقرأوا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملحة لا يحتاج صاحبها الى تكلف عناء في حفظ ما يريد على سمعه من الاخبار والاشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف لذلك كانت اخبار العرب وأشعارهم التي وصلت اليها الى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرواية ثم قيدها هؤلاء بالكتب في العصر الاول وما بعده وكلهم تطعنوا اليها السادة مبلغ قوة الحفظ عند العرب بما تقرأونه من أخبار.

حاجد الراوية الذي كان ينشد عدة قصائد على قافية واحدة لعدة شعراء وكذا
تقرأون أخبار غيره التي من هذا القليل وقد كان عبد الله بن عباس يحفظ القصيدة
الطويلة بجمعها مرة واحدة وهما أنا ذا أورد لكم خبراً من أخباره في الحفظ يستدعي
اعجابكم بذلك الرجل الجليل الذي كان يسوعب ذهنه من شرائع الاسلام وأخبار
الحرب وغيرهم ما لا تسوعبه مكتبة من المكتبات الضخام

روى هذا الخبر صاحب الاغانى بسنده قال هينا ابن عباس في المسجد الحرام
وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج سألونه إذ أقبل حمر بن أبي يصفى و بين
مصبوغين موردين أو مصرين حتى دخل وجلس فاستنده ابن عباس فأنشده قصيدة

أمن آل نعم أنت غاد فيكر غداة غدام راتح فيهمر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع ابن الازرق فقال الله يا ابن عباس ! قال
نضرب إليك أكباد الابل من أقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فنقلنا قل
ويا نيك مترف من مترقي قريش فينشك

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيخزى واما بالمشي فيخسر

فقال له ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيوضعي واما بالمشي فيخسر

فقال ما أراك الا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل وإن شئت أنشدك

القصيدة كلها : قال فاني أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها

فانظروا الى هذا الذكاء العظيم الذي اخص به أولئك القوم حتى لقد بلغ من

تتبعهم بقوة الحفظ والرواية ان كانوا لا يفتقون بحجر مكتوب الا اذا كان مصرعا

بالسند والرواية . ولا أخذ العلماء بتدوين الاخبار النبوية وأخبار الصحابة ثم تار يخ

الخطاء دونوا هذه الاخبار مدعومة بالرواية ولم يكتفوا بقيد ما في الصحف مجردة

عن الاما يتدخرف دخول البحر بفعلها واطمئنا بالرواية المعروفة السند المتوفية

لشرط الصحة على الترتيب المعروف عند المتدين الى الآن

وفي اعتقادي أن الذي ذهب بالباحثين الى الظن بعدم تدوين الاخبار الا

بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد
مادون قبل ذلك لفقده لحسن التنبق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لاسبابها
من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي
في الحضارة كما ستكلم عليه بعد

هذا بيان الوجه الأول وأما الوجه الثاني وهو ثبوت التدوين وكتابة الاخبار
في الاسلام في أوائل القرن الأول فالادلة عليه كثيرة ونشتها في ثنايا الكتب
وتفاريق الطور لا يمنعنا أن نجتري منها بالقليل المنعم الذي وسماجه. ولأقدم
بين يدي ذلك مقدمة قصيرة أقول

اذا قيل ان العرب أمة أمية قلبي هذا القول على اطلاقه بل ربما أطلق
هذا الوصف على عرب البادية اطلاقاً أعم من اطلاقه على غيرهم من سكان المدن
وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة
وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتابعين في اليمن والمناذرة
في العراق والحواري في أطراف الشام الذين منهم ملوك تلمذ في شرقي سوريا
الذين نسب اليهم الزباء « زروبيا » وزوجها أذينة (أودينوس) ومنهم ملوك
حسان في جنوب سوريا وثار بنهم مشهور معروف

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية بالنسبة لحالة كل
عصر كانوا فيه وإنما غرض تاريخهم وطبوس آثارهم أضاف تاريخهم إلى التاريخ
قديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلاً ما وقف عليه الباحثون من آثار الكناينة
للحبريين في اليمن والكنابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دوحهم على
البحث وقيم الآثار أكثر من ذلك

وحسبك شاهداً على أن الأمية لا يجوز اطلاقها على كل العرب ما كان موجوداً
من كتب أهل الحيرة إلى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله هشام بن محمد
ابن السائب الكلبي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج أخبار العرب
وأناسبهم وأنساب آل نصر بن ديمة ومبالغ أمار من ولي منهم لآل كسرى
وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

أما عرب الحجاز فالمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البشة أنها كانت موجودة ولو مع الندرة بذلك عليه كتابة المقاتل السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تعاقدت فيها قريش على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعقدوها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط البجلي وتارة بالخط الحبري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط العبري ومن عرف منهم بكتابة هذا الخط ورقة بن نوفل بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما جاء الاسلام كان النبي عليه السلام يحض على تعلم الكتابة وتعلم الفنون الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة وأبناء الصحابة وبها ضبط الوحي وحفظ القرآن فكانت كلما زلت آية كتبها الكاتبون في الحال ومن هؤلاء الكتاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد واللاء الحضرمي وحفظة ابن الزبير وعبد الله بن مسعود بن أبي سرح وعبد الله بن الأرقم الزهري وهؤلاء كتاب الوحي والرسائل كتبوا للنبي عليه السلام وأما من عداهم من كتاب الصحابة فكثيرون منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم ومن أبناء الصحابة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص (هو صحابي) وعبد الله بن الحارث بن هشام وغيرهم.

إذا علمت مما تقدم أن الكتابة كانت شائعة على عهد النبي عليه السلام بين المهاجرين والانصار وإن أول ما كتب بها هو القرآن الكريم وكانوا يكتبونه على الرقاع والأضلاع وسعف النخل والحجارة الرقاق البيض ثم جمع أبو بكر رضي الله عنه ودونه في الصحف على ما هو معروف مشهور.

أما الحديث وفيه تاريخ الصدر الأول وهو الذي عليه مدار بحثنا الآن فإنه كان يكتب كذلك على عهد النبي عليه السلام على نحو ما كانوا يكتبون عليه القرآن وقد رخص لهم النبي بكتابته كما أمرهم بكتابة العلم مطلقاً. فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قيدوا العلم بالكتاب» وروى بسنده عن عمرو

ابن شبيب عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال نعم . قلت في الرضى والنضب ؟ قال نعم « فاني لأقول في ذلك كله لاحقاً » وروى بسنده عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله فغضب فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يا رسول الله أكتبوا لي . فقال رسول الله « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة - وروى ابن عبد البر أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لمعمر بن حزم وغيره . وأخرج عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أكثر مني حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب . وروى عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهني قريش وقالوا انك كتب كل شيء نسعه وروى رسول الله يتكلم في الرضى والنضب ؟ فأسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه الي فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق »

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب أكثر من اربعمائة حديث . وفي تنوير المواقف على موطأ مالك وغيره من كتب الحديث أن عمرو حاول مراراً أن يكتب السنن ثم عدل خوفاً من انكباب الناس على كتب السنن مع وجود كتاب الله

وأخرج ابن عبد البر عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وأخرج عن من قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف أنه بخط أبيه بيده

فهذه الاخبار الصحيحة وما ماثلتها تدلنا على أن الحديث كتب ان لم يكن كله فجله على عهد الرسول وأصحابه الكرام والحديث يشتمل أكثر تاريخ الحفاظ كما تعلمون . وكتب فن التتويقي أملاء علي بن أبي طالب علي أبي الاسود الدؤلي . وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص كتاباً في الاحداث وكتاباً فيا قضي به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها منه شفي بن مانع الأصمعي قد قل

القريري من رواية أبي سعيد بن يوسف صاحب تاريخ مصر عن حياة بن شريح قال : دخلت على الحسين بن شفي بن مانع وهو يقول فضل الله بفلان فقلت ماله فقال عد الى كتابي كان شفي (يعني أباه) سمعها من عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكر الكتابين قال فأخذهما فرمى بهما بين الحولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر مما يلي القسطنطينية

وأما في عصر الناجين وثابهم فقد كانت العناية بكتابه الاخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتيي بأهلي ومالي وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري من علماء المائة الاولى ومولده في سنة احدى وخمسين ووفاته بعد المائة اذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فتنقله من كل شيء كما ذكر ذلك ابن خلكان والزهري . هذا هو الذي كتب السنة في دفتار أو كتب وزعت على الامصار بأمر عمر بن عبد العزيز

ولم يأت القرن الثاني من الهجرة حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والادب فكان منها مكتبات لبعض الافراد ما أظنها توجد عند أحد منا الآن فقد ذكر ابن خلكان وغيره في ترجمة أبي عمرو بن السلاء أحد القراء السبعة المولود بين سنة خمس وستين وسبعين للهجرة والثوني في منتصف القرن الثاني أنه كان أعلم الناس بالقرآن والادب والعربية والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم إنه تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى طه لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه

هو لا الاشخاص أيها السادة هم الذين ظفرت باسمائهم وكأوا من اقتنوا للكتب من منتصف القرن الاول الى منتصف القرن الثاني فما بالك بما لم أظفر بهم وعن لم يأت ذكرهم في التاريخ ولا جرم أنهم كثيرون جداً وربما لم يحفل منهم مصر من الامصار الاسلامية في ذلك العصر ما هي هذه الكتب وما هي كتب عروة التي احترقت سنة ثلاث وستين ؟

أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها؟ وهل احترقت كتب عمرة في اليوم الذي دونت فيه؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الاول أو على مدى هذا القرن. فاذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال الريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول؟ وهل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت مضامين أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو السكاكين وتحرير الناسخين

لا جرم أن القوم الذين يوجد فيهم من ينصرف عن الملك الى علوم الطب والكيمياء التي ندر من (كان) يشتغل بها من الامم الراقية في ذلك العصر ووثقت في هذين السليمن حرون بتدوين اخبارهم والعناية بأدبهم. فقد ذكر المؤرخون في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي في سنة خمس وعشرين للهجرة أنه كان من أعلم قريش بشؤون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين السليمن متفانها وله مسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الزهريين يقال له مريانس وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور وصورة تعلمه منه والرموز التي أشار اليها وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطع دالة على حسن تصرفه ووسعة علمه. وكانوا يسمونه على اشتغاله بهذه العلوم وتر كعجل الملك والحلافة على التراب حتى تمكن من سلبه منهم بنصره وان ومن المؤلفين في ذلك العصر أي العصر الاول غير خالد بن يزيد زيادة بن صبية الذي ألحق معاوية في اولاد أبي سفيان فجعل الناس يسمون عليه فألف كتابا في علم الانساب في مثالب العرب ووطن فيه في انسابهم فكفوا عنه كما ذكر ذلك ابن النديم

ومنهم زائدة بن قدامة التقي أبو الصلت الكوفي قال ابن النديم مات سنة احدى وستين أو ستين وله من الكتب كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب الزهد وكتاب المناقب

ومنهم عبيد بن شربة الجرمي وكان في زمن معاوية وأدرك النبي ووفد على معاوية من اليمن فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والمعجم وغير ذلك من

المسائل فأجاب عما سأل وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد اصحاب علي بن أبي طالب وله كتاب في الحديث ويوجد هذا الكتاب الى الآن في مكتبة السيد ناصر حسين الموسوي امام الشيعة في مدينة لكناؤ في الهند كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان الهندية في العدد السادس من سنة الزاوية وذكر غير ذلك عدة كتب لاصحاب علي موجودة عن الشيعة الامامية يضيئ المقام عن ذكرها

وأظن أن في هذا كله ياتاً كافياً يقنع القاهين الى ان المسلمين لم يدوروا الحديث والعلوم الا في القرن الثاني للهجرة أو بعده وان رواية الاخبار والاعمال التي انزماها المسلمون في كتبهم المكتوبة بعد القرن الثاني انما كانت شرطاً في صحة الاخبار التي نقلوها عن كتب قبلهم لو وثقهم برواية الرواة الكثيرين أكثر من وثوقهم بخبر لكتاب الواحد

اذ الخبر الذي يكتب في صحيفة ثم يترك لأبيي النساخ والمحررين والامامين ليس في الصحة بمنزلة الخبر الذي يكتب ثم يناقله الرواة قراءة ورواية بحيث يأخذ الواحد عن الآخر كما كتب بحرفه أو سناه الى ما شاء الله وأظنكم ايها السادة تسمعون مما ان هذه الطريقة في النقل لا تعد ثقة في تاريخ الاسلام يتطرق منها اليه الوهم والتجريح بل تعد تحقيقاً للاخبار بالناحد الامانة والتحصين لم تسبق اليه أمة من الامم غير المسلمين

بقي هنا اعتراض ربما يرد على ما تقدم من الكلام وهو قولهم : أين هي تلك الكتب التي دونت في القرن الاول الى منتصف القرن الثاني مع انه لم يصل البناءها الا ما ذكرت من الكتب الموجودة عند الامامية وهي في الحديث وفيما روي عن علي بن من بعض الخطب والاخبار وان أقدم ما وصل اليها في التاريخ كتاب فتوح الشام لابن اسماعيل الأزدي البصري من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . وأين هي كتب الزهري التي جمع فيها الحديث ووزعها

عمر بن عبد العزيز على الامصار

فالجواب على هذا سهل وهو أن المسلمين كانوا يثقلون كتب الاخبار قراءة

ورواية كما تقدم يانه فلما استبحر العمران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتيباً وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لاصول كل فن أو فروعه أدمجت تلك الروايات أو الصحف المشتقة على مسائل منفردة في تلك الكتب الجامعة مع محافظة المؤلفين على اصانيدنا وقاء بحق الامانة وتصحيحاً للاخبار كاترون ذلك في كل كتب الفنون التي اشغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني مدعومة بالرواية على طريقتهم السابقة البيان كالتاريخ والحديث وآداب اللغة العربية ولما اقتضت الحاجة الى تلك الكتب القديمة قفنت على اصانيدنا سنة قفاء الانسب بالدور بضرورة الحال واما ما كتب فيها فهو هو بينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر فاذا دثرت تلك الصحف التي خطتها أفاضل العرب في العصر الاول فان ما كان فيها لم يزل باقياً يشهد بصحة تاريخ الاسلام والسلام اهـ

(المنار) نشرنا هذه الخطبة النفيسة بنصها لقائدها واجابة لاقرارح من اقترح علينا نشرها مع كتابة شيء في الموضوع استدرا كما أو اقتفاداً . وقد اقترح علينا من قبل غير واحد بأن نكتب شيئاً في مسألة كتابة الحديث منهم الدكتور صدي ومنهم الشيخ صالح اليافعي في حيدرآباد فانه أرسل إلينا رسالة مطوية في الرد على ما كتبه الدكتور صدي في السنة الماضية بعنوان (الاسلام هو القرآن وحده) ولكن سقط منها ورقات طلبناها منه فأجابنا بأنه لا يوجد عنده أصل لما قد واقرح علينا ان نكتب في الموضوع

أما الانتقاد على خطبة رفيق بك فلا أرى فيها شيئاً يهم انتقاده الا قوله بصحة الاخبار التي نقلها في تدوين الصحابة للحديث وستعلم ما فيه وأما الاستدراك فبانه الواسع حتى يمكن وضع مؤلف خاص في هذا الموضوع من فضوله كون علم الكتابة لاخراج العرب من حصر الأمية الغالبة عليهم الى بمحوحة العلم من مقاصد الاسلام ، وبمسة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (٢٠٦٢) هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحسنة) الآية قال الكتابة مصدر كتب (كالكتابة) ولك في المصدر الأول أكثر مصادر

«كتب» استعمالا كاترى في المأثور وهذا التفسير هو المختار الذي جرينا عليه وبتنا
ترجيحه في التفسير عن الاساذ لمام . ويدخل في ذلك ما ورد في تعليم الكتابة
في الاخبار النبوية وأثار الصحابة وذلك كثير

ومن فصوله مسألة كون أهل البدو أحسن حفظا من أهل الحضار لاسباب
العرب منهم وقد انتقد اليونانيون وأنكروا تعلم الكتابة لأول عهدا بحجة ان الناس
يتكلمون على ما يكتب فيضعف حفظهم وذاتهم . ومنها بحث الاحتجاج بالكتب
وشرط الوثوق بها عند المحدثين ولا بن الصلاح في ذلك كلام حسن

وقد كتب السيد عبد الحميد افندي الزهراوي مقالة موضوعها الكتابة والتدوين
والحفظ عند العرب نشرها في الجريدة (١٢٥٥ د ١٢٥٥ الصادر في ٢٤ جادى ٢) بين
فيها ان من يجتهد عرب البادية اليوم ومالهم من قوة الحفظ وكثرة الحفظ لتصادمهم
ووقائهم وخطبهم وأنسابهم لا يجب عما نقل في حفظ سلفهم . وذكر من كتابتهم
في الجاهلية المخطات وقصص أبطال الفرس كرستم واسمعه على كتابتهم المعاهدات
والعقوبات يقول الحارث بن حازة الشكري في معلقته :

واذكروا حلف ذي الهاز وما أقام فيه اليهود والكفلاء

حذر الجور واتمدي وهل ينسحق ما في المهارق الاهواء

فالمبارق جمع مهرق وهي الصحائف وقيل المهرق وب حريرا يضرب سقي السمسم
ويصل ثم يكتب فيه . وذكر أيضا منها قول هشام بن الكلبي كنت استخرج
أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم
لا ل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

وذكر من شواهد تدوينهم بعد الاسلام مسألة أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة السنن
قتلا عن ابن عبد البر وما جاء في اعلام الموقعين عن صفيان بن عيينة عن ادريس بن
ادريس قال أتيت سعيد بن أبي بردة فسأله عن رسل عمر بن الخطاب التي كان
يكتب بها الى أبي موسى الاشعري وكان أبو موسى قد أوصى الى ابن أبي بردة
فأخرج اليه كتبنا منها : قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري «أما بعد فإن

التضاء فريضة محكمة وسنة متبعة « الخ
أقول لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين في القرن الأول وجعل
ما كتبه مصنفًا مجموعًا خالد بن معدان الحمصي روي عنه أنه لقي ٧٠ صحابيًا
قال في تذكرة الحفاظ وقال بغير: ما رأيت أحداً أزم لفظ منه وكان عليه في
مصنف له أزوار وعمرى : والمراد بالمصنف المصنف المصنف المصنف ولا
يوجد في العربية لفظ كهذا يدل على هذا المعنى بالنص فإن لفظ « الكتاب »
المستعمل للدلالة على المصنف المصنف في نحو جلد يطلق على الورقة أو الصفحة
الواحدة ولذلك انتقوا على تسمية القرآن المكتوب عند جمعه بالمصنف وكان قبل
ذلك يسمى كتاباً ولا يسمى مصنفًا خالد بن معدان جمع عليه في مصنف واحد
جعل له وقاية لها أزوار وعمرى تمسكها فلا يقع شيء من تلك المصنف وكان ذلك
في القرن الأول طبعاً فإنه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة

ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن
شهاب الزهري القرشي ولعل سبب ذلك أخذ امرأته بني أمية عنه :

قال أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومنه الأرواح والمصنف
يكتب كل مسمع : يعني من الحديث ونحوه فقد روى أبو صالح عن أبيه قال
ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري يحدث في التورع فتقول لا يحسن إلا هذا
وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن القرآن
والسنة فكذلك : وقال عبد الرزاق سمعت معمرًا يقول كنا نرى أبا قد أوتونا
عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فإذا انفار قد حملت على الدواب من
خزائنه يقول من علم الزهري . اهـ من تذكرة الحفاظ

وجاء في ترجمته فيها أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يعلي على بعض
ولده شيئاً فأبى عليه أربع مئة حديث . . . ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال
الزهري أن ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملأها عليه ثم قابل بالكتاب
الأول فما غادر حرفاً واحداً . (قال) ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في
تأخير ليلة . وفي هذا دليل على أن كتابة الحديث كانت شائعة في عصره أي

أواخر القرن الأول وأوائل الثاني فقد ولد الزهري سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة ولا تنس ما كتبناه آنفاً عن خالد بن ممدان وقال المصنف في ترجمة عمرو بن دينار أنه كان يحدث علي بن أبي طالب وهو قد ولد سنة ست وأربعين . ومن أراد تتبع تراجمهم في كتب المحدثين يجد من هذه المسائل شيئاً كثيراً وما رأينا أحداً في البحث في تدوين الصحابة والتابعين للمحدث حقه مثل المصنف أبي هريرة بن عبد البر واثنا نقل ما كتبه في ذلك برمته ثم نستدرك عليه ما رواه غيره أو شايه على ما رواه ثم نبين رأينا فيه . قال في جامع بيان العلم (قلا عن مختصره)

﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتخليده في الصحف ﴾

عن أبي سعيد الخدري (١) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليحرقه . وفعل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر أن يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه ففحاه . وعن عبد الله بن يسار قال : سمعت علياً يخطب يقول : أعزكم علي كل من عنده كتاب إلا رجم ففحاه فأتاه ذلك الناس حيث تبعوا أساذيت علماءهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نصر (٢) قال : قلت لأبي سعيد الخدري : ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن نجعلوها مصاحف إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب (٣) أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال : لا كتاب مع

١٥ هو سعيد بن مالك الصحابي الجليل ولأبيه صحبة وروى الكثيرات بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التريب «٢» هو المنذر بن مالك بن قطة العبدي القوي سنة ١٠٨ هـ من التريب «٣» أمير المؤمنين والحليفة الثاني ملاً طباق الأرض . ورواه رضي الله عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة ١٥ هـ من التريب مع زيادة

كتاب الله . قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب فيه نصب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فأما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه . وعن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستغنى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطلق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له . فقال : انني كنت أريد أن أكتب السنن وانني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كثيرا فأكوا عليها وركوا كتاب الله وانني والله لأشوب (وفي نسخة لا أنسي) كتاب الله بشيء أبدا . وعن ابن عباس أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه ; وعن الشعبي (١) أن مروان دعا زيد بن ثابت وقوما يكتبون وهو لا يدري فأعطوه فقال أندرون لعل كل شيء حدثكم به ليس كحدثكم وعن ابن سيرين (٢) قال إنما ضلت بنو إسرائيل بكتب ورؤوها عن آبائهم

وعن الأسود بن هلال (٣) قال أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث قدما بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال أذكر الله رجلا يملأ عند أحد إلا أعطني به والله لو أعلم أنها بدير عند ليلتها بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بشاره لا ينظر فيه . وعن ابن عباس أنه كان ينهي عن كتاب العلم وقال إنما ضل من قبلكم بالكتب

« ١ » هو أبو عمر عاصم بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن ابن عمر صر به يوما وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني . وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة ١٠٤ هـ فجاءه من ابن خلكان « ٢ » هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة « ١١٠ » بالبصرة هـ من ابن خلكان « ٣ » الحارثي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة « ٨٤٥ » هـ من الترمذي

وعن أيوب قال سمعت سعيد بن جبيرة (١) قال سمعنا نختلف في أشياء فكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً فلو علم بها لكانت الفيل في يده وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال أصبت أنا وعائفة صحيفة فأنطلق معي إلى ابن مسعود فيها وقد زالت الشمس أو كادت تزول فجلسنا بالباب ثم قل للجارية انظري من الباب فقالت عائفة والاسود فقال إنني لما قد دخلنا فقال كأنك قد أظلمت الجوارح قلنا أجل قال فما منكما أن تمثاذا قال لا خبئنا أن تكون ثامناً قال ما أحب أن نطاني هذا إن هذه ساعة كنا قيسها بصلاة الليل قلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قل لها يا جارية هاتي الطست واسكي فيه ماءً فجعل يحموها بيده ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) قلنا انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يحموها ويقول إن هذه الثوب أوعية فاشنولها بالفرآن ولا تشنولها بشيء قال أبو عبد (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذا كره عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لمقبة الكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى أريد أن أحفظها ثم أحرقها وعن القاسم أنه كان لا يكتب الحديث وعن ابن شبرمة (٢) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت مواداً في ياض قط ولا استمدت حديثاً من إنسان مرتين وعن اسحاق بن اسماعيل الطالقاني (٣) قال قلت لجربري عن ابن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المنصور يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومنيرة والاعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الأوزاعي يقول كان هذا العلم شيئاً شريعاً إذ كان من أفواه الرجال يتلافونه ويقتدرونه

«١» الألسني بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتيل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ لهجرة واسطه من ابن خلكان «٢» هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان النهدي الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة ١٤٤ هـ من القريب «٣» نزول بغداد يصرف بالقيم ثقة تسكن في سامه من جربري وحده مات سنة ٢٢٢ هـ من القريب

قلنا صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله وعن الفضيل بن عمرو (١) قال قلت لأبراهيم إني آتيتك وقد جئت المسائل فأذا رأيته كأنما تقتلس مني وأنت تكوه الكتاب قال لا عليك فإنه قلنا طلب إنسان علما إلا آتاه الله منه ما يكفيه وقلنا كتب رجل كتابا إلا اشكل عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به ولئلا يشكل الكتاب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كما قال الخليل (٢)

(ليس يعلم ما سوى القمطر * ما العلم إلا ما حواه الصدر)
وانشدني بعض شيوخني للحداد بن بشير بإسناد لا أحفظه

(أما لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذلك ما أجمع)
(ولم أستفد غير ما قد جمعت لقل هو العالم المقنع)
(ولكن قنني إلى كل فن من العلم نسمه فزع)
(فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع)
(ومن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقري يرجع)
(إذا لم تكن حافظا واعي * فجمك للكتب لا ينفع)
(أأحضر بالجل في مجلسي * وعلي في الكتب مستودع)

وقال أبو الصاهية (٣)

«١٥» القتيبي أبو النصر الكوفي ثقة مات سنة عشر ومائة هـ من التبريد «٢٥» ابن أحمد الأزدي البجلي كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الأصماني في حقه في كتابه الذي سماه التنبية على حدوث التصحيف . ويعدّ فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ هـ من ابن خلكان

(٣) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم الهنزي بالولاء الشاعر المشهور والمتوفى بفسطاط سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المصنف هـ من ابن خلكان كذا في هامش الكتاب

(من منع الحفظ وهي من ضيع العلم وهم)
وقال أعرابي حرف في تمالك خبر من عشر في كتابك (وقال أبو عمر) التامور
حقة القلب وسبع بن حبيب رجلا ينفذ

(استودع العلم قرطاساً فضيحة « وشي مستودع العلم القراطيس »)
قال يونس قاتله الله ما أشد صيانه له لم وصيانه للحفظ ان عليك من دروسك وان
مالك من بذلك فمن عليك صيانتك روحك ومن مالك صيانتك بذلك

(قال أبو عمر) من ذكرنا قوله في هذا الباب قائما ذهب في ذلك مذهب العرب
لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كان
عباس والشيعة وابن شهاب والنخعي وقادة ومن ذهب مذهبهم وجعل حجتهم كانوا
قد طبخوا على الحفظ فكان أحدهم يجترى بالسمة ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب
أنه كان يقول اني لا امر باليقين فأشد آذاني غشاة أن يدخل فيها شيء من الخنا
فوالله ما دخل آذني شيء قط فسبته وجاء عن الشعبي نحوه وهو لا كلام عرب
وقال صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمانة لا تكذب ولا تحسب » وهذا مشهور ان العرب
قد خصت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشمار بعض في سمة واحدة وقد جاء عن
ابن عباس انه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم أنت غاد فبكر) في سمة
واحدة فيها ذكروا وليس أحد اليوم على هذا ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم
وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخص فيه جماعة من
العلماء وحملوا ذلك ونحن ذا كروه بعد هذا بعون الله إن شاء الله وقد دخل على
ابراهيم النخعي (١) شيء في حفظه لتركه الكتاب وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف
الحديث فقلت له إن سالم بن الجعد يتم الحديث قال ان سالما كتب وأنا لم أكتب
(قال أبو عمر) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب

﴿ باب الرخصة في كتاب العلم ﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كر

(١) أحد الأئمة المشهورين تاجي جليل ونسبه الى النخعي فية من مذبح

بالين « من تاريخ ابن خلكان

الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من الذين يقال له أبو شاة فقال
يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكتبوا لي شاة» يعني
الخطبة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اكتب كل
ما أسمع منك قال «نعم» قلت في الرضى والغضب قل «نعم» فاني لأقول في ذلك كله
الا حقا وعن همام بن منبه (١) أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد
أكثر حديثا مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب وعن عبد الله بن عمرو
قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه
فنهني قريش وقالوا أنك كتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشكركم في الرضا والغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فأوى بأصمعه إلى فيه وقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه
إلا حق» وعن مطرف بن طريف (٢) قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال
قلت لابي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى
القرآن قال لا والذي قلبي الحبة وبرأ النسمة إلا أن يسلط الله عبدا فيما في كتابه
وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل
مسلم بكافر وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة رجوان أحدهما نهر بم
المدينة ولعن من انتسب إلى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه «المسلمون تنكفأ
دماؤهم» الحديث رواه عن علي يزيد التميمي وحلاص وكتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتاب الصدقات والهدايا والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره وعن
أبي جعفر بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة
مكتوب فيها «ملعون من أضل أهلي عن سبيل ملعون من سرق نعوم الأرض
ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه» وعن عبد الله
ابن عمرو قال ما يرغبي في الحياة إلا خصلتان الصادقة والوهط (٣) فأما الصادقة

(١) بن كامل الصنعائي أخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ هـ قريظ (٢) ثقة
فاضل مات سنة ١٤١ وقيل به - دما - قريظ التهذيب لابن حجر (٣) لوهط
المسكن المظلم من الأرض وقيل موضع وقيل قرية بالخالق هـ لسان العرب

فصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهط فأرضي تصديقها عمرو
ابن العاص كان يقوم عليها . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « قيدا العلم بالكتاب » وعن عبد الملك بن صفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب
يقول « قيدا العلم بالكتاب » وعن معمر بن قيس قال أخرجني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده . وعن أبي كبران قال سمعت الضحاك يقول
إذا سمعت شيئا فأكتب ولو في حائط . وعن سميد بن جبير أنه كان يكون مع ابن
عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وعن أبي قلابة
قال الكتاب أحب إلينا من التسيان . وعن أبي الميج قال يميون علينا الكتاب
وقد قال الله تعالى (٥٢: ٢٠) عليها عند ربّي كتاب . وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت
يا رسول الله أأقيد العلم قال « قيدا العلم » قال عطاء قلت وما قيدا العلم قال الكتاب . وعن
عبد العزيز بن محمد الداردي (١) قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب . وعن عبد
الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكل ابن شهاب يكتب كل
ما سمع قلنا احتجج إليه علمت أنه أعلم الناس . وعن سوار بن حيان قال سمعت معاوية
ابن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما . وعن محمد بن علي قال سمعت خالد
ابن خديش البغدادي (٢) قال ودعت مالك بن أنس قلت يا أبا عبد الله أوصني قال
عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله
وعن الحسن أنه كان لا يري بكتاب العلم بأسا وقد كان أملي التخصير فكتب
وعن الأعمش قال قال الحسن إننا أكتبنا تعاهدا . وقال الخليل بن أحمد اجل
ما نكتب بيت مال وما في صدرك لثقة . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت
كتبه يوم الحرة (٣) وكان يقول وددت لو أن عندي كتي بأهلي ومالي . وعن سليمان
ابن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل

« ١ » صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ قريب

« ٢ » أبو الهيثم الهاتمي مولاهم البصري صدوق بخطه مات سنة ٢٢٤ هـ قريب

« ٣ » الحرة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحرة أيام يزيد هـ قاموس

ورجل لا يكتب (١) ويسمى قنك قال له جليس العالم ورجل ينقي وهو خيرهم وهذا هو العالم . وعن اسحاق بن منصور قال قلت لأحد بن خنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورفض فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم فولا كتابة العلم أي شيء كذا . قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال أحد سواء . وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت صفيان الثوري يقول إني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث رجل أكتبه أريد أن أخذه ديناً وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبا به . وقال الأوزاعي تعلم مالا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به . وعن محمد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجميع السنن فكاتبناها دفراً دفراً فبث إلى كل أرض له عليها سلطان دفراً . وعن أبي زرعة قال سمعت أحد بن خنبل ويحيى ابن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن طيه القلط . وعن الزهري قال كذا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فأين أن لا تمنعه أحدنا من المسلمين . وذكر البرد قال قال الخليل بن أحمد ما سمعت شيئاً إلا كتبه ولا كتبه إلا حفظه ولا حفظه إلا قضى » اه كلام ابن عبد البر

استدراك علي ابن عبد البر

﴿ في الاذن بكتابة العلم والمنع منها ومن خرج أحاديثه ﴾

وروى ابن التاجر في تاريخه من حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء وإنما ذهاب العلم بموت العلماء » والحديث لا يصح وهو عام في كل علم وروى الديلمي من حديث علي « اكتبوا هذا العلم فانكم تذهبون به إمامي

« المنار: كذا في الأصل والظاهر أن (لا) زائدة ليكون من الشواهد على الكتابة . وحاطب ليل مثل يضرب لمن لا يميز فيما يسمعه أو يأخذه بين غث وسمين ونافع وضار كن يحنط لئلا يأخذ الأفي والحجر فيما يسمعه يظنهما حطبا . والذي ينقي هو الذي يسمي ما يسمع فيميز بين الصدق والكذب والمقول وغير القول

دنياكم واما في آخرتكم وان العلم لا يضع صاحبه « وفي سنده محمد بن علي بن الاشعث كذبه قال حديث موضوع

وروى الحاكم وابو نعيم وابن عساکر من حديث علي « اذا كتبت الحديث غني فاكتبوه باسناده فان يك حقا كنتم شركاء في الاجر وان يك باطلا كان وزره عليه « وهو يتادي على نفسه بالوضع وان واضعه جاهل بالعربية الصحيحة به النصيحة فان الاسناد من اصطلاح الحديثين والكتابة عنه صلى الله عليه وسلم تنافي الاسناد

وروي ابن عساکر في تاريخه من حديث أبي بكر « من كتب غني عما أوحى الله لم يزل يكتب له الاجر ما بقي ذلك العلم والحديث « وهو ضعيف وفيه عطف الحديث على العلم وذلك يقتضي المناظرة بينهما ولو بالعموم والخصوص وروى المحكم الترمذي والطبراني وسمويه والخليل في تهذيب العلم عن رافع ابن خديج قال قلت يا رسول الله انا نسمع منك اشياء فنكتبها قال « اكتبوا ولا حرج « وهو حديث ضعيف كما علم من ايراد السيوطي له في الجامع الكبير وروى المحكم الترمذي وسمويه من حديث أنس « قيدوا العلم بالكتاب « وهو ضعيف ايضا . أما سنده عند ابن عبد البر ففيه عبد الحميد بن سليمان عن عبد الله بن الحنفى وقد أورده الذهبي في الميزان وقال عبد الحميد وأخوه قليح ضعيفان . وذكر قبل ذلك تضعيف غير واحد لعبد الحميد . والحديث مروي عن عبد الله ابن عمرو كما تقدم عن ابن عبد البر

ومن الآثار ما رواه ابن عساکر عن الحسن بن جابر قال سألت أبا أمامة عن كتاب العلم فلم يره بأسا . وهو عام في كل علم وسنده ضعيف . وروى الحاكم والدارمي عن عمر أنه قال « قيدوا العلم بالكتاب « وهو عام وأما رأيي في الحديث خاصة أو السنن وهي أهم من الأحاديث فقد تقدم فيما رواه عنه ابن عبد البر أنه ما كان يرى ذلك وروى عنه ابن سعد مثل هذا أيضا

ومن الاستدراك عليه في النهي عن كتابة الحديث خاصة ما جاء في
كثير المال قلا عن الجامع الكبير للسيوطي وهو :

« قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في مسند الصحيح قال الحاكم أبو عبد
الله النيسابوري حدثنا بكر بن محمد الصغير بمرو حدثنا موسى بن حماد ثنا الفضل بن
غسان ثنا علي بن صالح حدثنا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن ابراهيم
ابن عمرو بن عبيد الله التيمي حدثنا القاسم بن محمد قال قالت عائشة جمع أبي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا
قالت فضعت قلبت تتقلب لشكوى أو لشيء بانك فلما أصبح قال «أي بنية هلمي
الاحاديث التي عندك فجمته بها فدعا بنار فأحرقها وقال خشيت أن أموت وهي
عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون
قد تقلت ذلك » وقد رواه القاضي أبو أمية الاحوص بن الفضل بن غسان التلاني
عن أبيه عن علي بن صالح عن أبي موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي
طالب وعن ابراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد وأباه عبد
الرحمن بن القاسم - شك - موسى فيهما قال قالت عائشة قد كره وزاد بعد قوله : فأكون
قد تقلت ذلك : « ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال لو كان قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما غيبي على أبي بكر إني حدثكم الحديث ولا أدري لم لم أسمعه
حرقا حرقا » قال ابن كثير هذا غريب من هذا الوجه جدا وعلي بن صالح لا يعرف
والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا المقدار بألف ولعله
إنما انتق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر

(قال السيوطي) « قلت ولعله جمع ما قاله من ألقاه من النبي صلى الله عليه وسلم
وحدثه به عند بعض الصحابة كحديث الجدة ونحوه والظاهر أن ذلك لا يزيد على
هذا المقدار لأنه كان يحفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم
كحديث ما دفن نبي الا حيث يقبض ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكره
تقلده ذلك وذلك صريح في كلامه

﴿ التماثل والترجيح بين روايات المنع وروايات الرخصة ﴾

الأحاديث في باب الرخصة بكتابة الحديث أو العلم مروية عن فخر من الصحابة (١) حديث أبي هريرة « اكتبوا لأبي شاه » وهو في الصحيحين وموضوع خاص وروى عنه البخاري قوله إن عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنه هو لم يكن يكتب . وله حديث عند الترمذي أن النبي (ص) أذن لرجل مني . الحفظ بأن يستعين يمينه

(٢) حديث أنس « قيدوا العلم بالكتاب » تقدم أنه ضعيف

(٣) حديث أبي بكر « من كتب عني علماً أو حديثاً » تقدم أنه ضعيف أيضاً

(٤) حديث رافع ابن خديج « اكتبوا ولا حرج » تقدم أنه ضعيف أيضاً

(٥) حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب المطاء » ضعيف أيضاً كما

تقدم بل يشم منه رائحة الوضع

(٦) حديث علي في الصحيفة وهو صحيح رواه أحمد والبخاري والثلاثة

وموضوعها خاص ومنسوب إلى الوحي . وحديثه « اذا كتبتُم عني الحديث » الخ

تقدم ما فيه وكذلك حديثه « اكتبوا هذا العلم » الخ

(٧) كتاب الصدقات والديات والقراض لعمر بن حزم رواه أبو داود

والنسائي وابن حبان والبخاري وموضوعه خاص . وإنما كتب له ذلك ليحكم به

اذ ولي عمل بجران

(٨) حديث عبد الله بن عمرو هو أكثر ما ورد في الباب وقد جاء بألفاظ مختلفة من

طريقين فيما أعلم الآن عند أحمد وأبي داود والحاكم فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده أي عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده . وهذا الطريق فيه مقال مشهور

للمحدثين لم يمنع بعض المتأخرين من الاحتجاج به وهو تساهل منهم . وأما المتقدمون

فقد قال في الميزان قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث إذا شاؤوا

احتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده واذا شاؤا تركوه : يعني أوردتهم في

شأنه . وقال عبد الملك الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول : عمرو بن شعيب

عن أبيه عن جده له أشياء مناكير وإنما نكتب حديثه لنعتبر به فأما أن يكون

حجة فلا : وقال أبو عبيد الآجري قيل لأبي داود : عن عمرو بن شعيب عن

أبيه عن جده حجة؛ قال لا ولا نصف حجة. وقال ابن أبي شبة سألت ابن
الدين عن هرو بن شعيب فقال ما روى عنه أبوب وابن جريج فقال كذا صحيح
وما روى هرو عن أبيه عن جده فانما هو كتاب وجده فهو ضعيف؛ فهذا قد
ضعفه لأنه اعتمد على ما رآه مكتوباً وهو لم يروه رواية

والطريق الثاني عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عن بلظظ
« قيدا العلم » وعبد الله بن المؤمل قال أحد أحاديثه منا كبير وقال النسائي
والدراهمي ضعيف. ولا حاجة إلى مراجعة طريق ابن عساكر فقد جزم السيوطي بضعفها
أما ما رواه عنه ابن عبد البر من قوله « ما رغبت في الحياة الا خصلتان » الخ
ففي مسنده ليث عن مجاهد. وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعفه يحيى والنسائي
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ
رأياً في أحد منه في ليث وعبد بن الحقيق وهما لا يستطيع أحد أن يراجعهم فيهم.
ذكره في الميزان وذكروا أنه اخطأ في آخر عمره

وأما ما ورد في المنع فأفواه حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عن كتاب
المسلم لابن عبد البر « لا تكتبوا عني شيئاً الا القرآن فمن كتب عني غير القرآن
فليحبه » وهو في صحيح مسلم ومسنده الإمام أحمد وهو أصح ما ورد في باب
النهي عن كتابة الحديث والسنة. ولا يمارضه حديث « اكتبوا لابي شاه »
وما في مناه من الأمر على تقدير صحته ولا يقوم حجة على من يقول إن النبي
صل الله عليه وسلم نهى عن كتابة حديثه لأنه لا يريد أن يكون ديناً عاماً
دائماً كالقرآن

ولذلك وجوه (أحدها) أن ما أمر بكتابته لابي شاه - وهو خطبه ثاني
يوم فتح مكة - يحتمل أن يكون خاصاً به. (ثانيها) أنه كان ما قال فيه « فليحبه »
الشاهد القائب « كخطبته يوم حجة الوداع. فلما طلب أبو شاه أن يكتب له
ما قاله فهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يفسر له هذا البلغ الا اذا كتبه
وله كان سمي الحفظ فأمر أن يكتب له كما طلب (ثالثها) أن حديثه
عن الكتابة مقيد بأخبار المكتوب وفيه الرخصة

يمحوه . ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عبد البر عن زيد بن ثابت وابن مسعود وعلي في نحو المكتوب وما رواه من قول مالك « فن كتب منهم الشيء » فأما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه .

وهذا الوجه يصلح جواباً عن حديث الأذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة ويؤيده قول عبد الله : كنت أكتب كل شيء أسعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريد حفظه » فصرح بأنه كان يكتب ليحفظ . وقد علمت ما قال أئمة الحديث في رواية حفيده عن النسخة المكتوبة . ويصلح أيضاً جواباً عن صحيفة علي وكتاب عمرو بن حزم

ولو فرضنا أن بين أحاديث النبي عن الكتابة والأذن بها تعارضاً يصح أن يكون به أحدها ناسخاً للآخر لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر بأمرين أحدهما استدلال من روي عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ولو دونوا ونشروا لتواتر ما دونوه

فتزعم علي على من منعه كتاب أن يمحوه - وقول أبي سعيد الخدري « تريدون أن تجملوهما مصاحف ؟ » وقول عمر بن الخطاب عند الفكر في كتابة الأحاديث أو بعد الكتابة « لا كتاب مع كتاب الله » في الرواية الأولى - وقوله في الرواية الثانية بعد الاستشارة في كتابتها « والله اني لا أشتوب كتاب الله شيء أبداً » - وقول ابن عباس « كنا نكتب العلم ولا نكتبه » أي لا نأذن لأحد أن يكتبه عنا - ونهيه في الرواية الأخرى عن الكتابة وقوله الذي تقدم في ذلك - ويؤيد زيد بن ثابت للصحيفة ثم أحرقها وتذكيره بالله من يعلم أنه يوجد صحيفة أخرى في موضع آخر ولو بعيد أن يخبر بها ليسى إليها ويحرقها . وقوله الذي تقدم في ذلك - وقول سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه لو كان يعلم بأنه يكتب عنه لكان ذلك فاصلاً بينهم - ومحو عبد الله بن مسعود للصحيفة التي جاء بها عبد الرحمن بن الأسود وعلمته وقوله عند ذلك « ان هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره » - كل هذا الذي أورده ابن عبد البر وأمثاله مما رواه غيره كالحرق أبي بكر لما

كتبه وعدم وصول شيء من صحف الصحابة إلى التابعين وكون التابعين لم يدوروا الحديث
 لنشره إلا بأمر الأمر به يدور من أنهم كانوا يكتبون الشيء لأجل حفظه، معونه
 وإذا أضفت إلى هذا ما ورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبتهم
 عنه بل في نهيم عنه قوي عندك ترجيح كونهم لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث
 ديناً عاماً دائماً كالقرآن . ولو كانوا فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد
 ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة ولجمع الراشدين ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه
 إلى عالمهم ليظفروا به ولم يكتبوا بالقرآن والسنة المتبعة المروقة للجمهور بغير بيان
 العمل بها . وبهذا يقطع قول من قال إن الصحابة كانوا يكتبون في نشر الحديث بالرواية
 وإذا أضفت إلى ذلك كله حكم عمر بن الخطاب على أمين الصحابة بما
 يخالف بعض تلك الأحاديث ثم ما جرى عليه علماء الأمصار في القرن الأول
 والثاني من اكتفاء الواحد منهم كابي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وانقل
 وعدم تنبيه في جمع غيره إليه ليفهم دينه ويبين أحكامه قوي عندك ذلك الترجيح
 بل نجد الفقهاء — بعد اتفاقهم على جعل الأحاديث أصلاً من أصول الأحكام
 الشرعية وبعد تدوين الحفاظ لها في القرويين وبيان ما يحتاج به وما لا يحتاج به —
 لم يهتموا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به فهذا كتب الفقه في المذاهب
 المتبعة لأسماء كتب الحنفية فالملكية فالشافعية فيها مئات من المسائل المخالفة
 للأحاديث المتفق على صحتها ولا يعد أحد منهم مخالفاً لأصول الدين
 وقد أورد ابن القيم في اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء
 للأحاديث الصحيحة عملاً بالقياس أو لغير ذلك ومن أغربها أخذهم ببعض الحديث
 الواحد دون باقيه . وقد أورد لهذا أكثر من ستين شاهداً (قارراجع في ج ١٤
 وه ١٥ من مجلد المنار السادس) . وسنورد في الجزئية الآتية شيئاً مما ورد في نهيم
 الصحابة عن الرواية وفي عمارهم بالحديث كيف كان ، فقد أطلنا الآن ،

(تصحيح غلط مهم في ص ٢٥٢) ففي ص ٢١ الواسع وصوابه « واسع »
 وفي ص ٢٤ يتلو عليهم : وصوابه « يتلو عليهم » وفيه الكتابة وصوابه « الكتاب »
 وفي أول ص ٢٥ فالكتابة وصوابه « فالكتاب » وفيه : أكتروا : وصوابه « كان أكثر »

✽ إصلاح الأزهر ✽

يرى أصحاب القول الكبيرة من مصالح الأمم ما لا يراه غيرهم من العقلاء
الآ بعد زمن طويل من دعوتهم اليه فقد رأى الأستاذ الامام في أواخر مدة
طالبه للعلم من حاجة الأزهر الى الإصلاح مالم يكن يراه غيره من قومه وكان
يدعو الى ذلك في كل وقت بما تقتضيه حاله حتى كان في أول ولاية المباش ما كان
من سببه لديه في الإصلاح المعروف وكان من قواعد الإصلاح المتبعة عند الأستاذ
الامام ان يكون اصلاح الأزهر بشيوخه وان لا يكون للحكومة سلطان عليه في ذلك
حتى قال لي غير مرة : اني مادمت في الأزهر لا أدع سبيلا لتدخل الحكومة فيه
وكان للأمر رأي في الأزهر ذكره في خطابه الذي ألقاه على العلماء يوم خلع
على الشيخ عبد الرحمن الشربيني خاتمة مشيخة الجامع وهو ان يبقى على حاله وان
لا يكون للحكومة شأن فيه الا حفظ النظام وتمتيع عن ترهته وتسلية لقضاة
الشرع بانشاء مدرسة خاصة يخرجون فيها

وبعد ان أنشئت مدرسة القضاء الشرعي على أحسن وضع ممكن بدا الأمر
في إصلاح الأزهر فأمر بتأليف لجنة رئيسها نظير الحفانية ومن اعضائها مدير
الأوقاف ورئيس الديوان الحديوي للنظر في طرق الإصلاح ووضع تقرير فيه .
وقد بلغنا ان هذه اللجنة تستمد من تقرير ملخص من تقريرين للأستاذ الامام
رحم الله تعالى قدم أحدهما الى المصبة وموضوعه إصلاح التعليم في الأزهر والآخر الى
ديوان الأوقاف وموضوعه زيادة المرتبات الشهرية للعلماء على طريقة تساعد الإصلاح
وقد شاع أن أساس الإصلاح الجديد هو أن يكون للأزهر مجلس أعلى فرق
مجلس ادارته من أعضائه رئيس الديوان الحديوي ومدير الأوقاف وعضو من
أعضاء مجلس شورى القوانين وعضوان من المشتغلين بالتعليم في المعارف . وباقي
أعضائه شيخ الأزهر وهو الرئيس والمفتي وأحد اعضاء مجلس ادارته وأحد مشايخ
الأروقة فيه وهذا مختارها الأمير . ومن الإصلاح الجديد أن يكون للشيخ الأزهر
وكيل من حقوقه أن يقوم مقام شيخ الأزهر عند غيبته في كل شيء وقد اضطرب شيوخ
الأزهر لهذا النبا وطفقوا يكتبون عرائض الشكوى وربما استقال شيخ الجامع .

الأحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس وتبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولاً وما زالت الجرائد الانكليزية تقول ان في مصر حزبا وطنيا سياسيا حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد لهذا العهد إذ كان كل متحمس بذلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتعاس عن مشاركة ذويها يزن بالليل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني. ويظن بعض المفكرين ان الانكليزية غرضاً في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعماً اليه

ومن الناس من يقول أن تسمية أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزبا خطأ عرقي أو لغوي إذ يفهم منه أن في البلاد حزبا آخر وأحزابا أخرى يناظر ويمارض بعضها بعضاً ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وإنما كان السواد الأعظم مشبوحاً بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المهملين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيب أو ضار لما أقامهم النظر في العواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يمارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكشف صديقه من الآخرين برأيه. والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ «حزب» لفة فان الحزب كما في المعاجم جماعة الناس والصف والطائفة منهم وقل الراغب: الحزب جماعة فيها غلط: وفي لسان العرب «وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه» ثم قال « وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضاً » فأتت ترى أن التسمية أولئك القوم حزبا وجهاً في اللفظ وجيباً ولكن للأحزاب في أوربا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المتشاكين في القلوب — أي الشعور بالحاجة الى مصلحة عامة — وفي الأعمال لهذه المصاحبة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر إلا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر وحزب الإصلاح الدستوري والحزب الوطني وسدسنا أيضا فتم حزب آخر سمي الحزب الجمهوري . ولذلك سمي هذا العام بهام الأحزاب وقال الشيخ عبدالحسن في قصيدة يذكر فيها مرضه وشيئا من العبارة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاستقام ما برحت تنساب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعماءها واحد المتضمنه خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف ينتهي في الألفاظ إلا شذاضة نقط . والصواب أن لكل حزب منها قلبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه الموثوق به عند المؤسسين المتحاربين المستعدين للحزب إلا حزب الأمة فإن رئيسه ليس هو المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإنما هو منتخب انتخابا حقيقيا لرئاسة شركة الجريدة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطعم سائر الأحزاب في سوط هذا الحزب لأن الشرق لم يثمد الأعمال المشتركة وإنما أقوام أموره بالأفراد ولأن أفرادهم ليسوا منفقين على مقاصده ولا متعاضدين فيه بل منهم من يترهبه الدوائر ويساعد غيره عليه ولا أنه ليس له سلطة يأوي إليها ويستمد على مساعدتها وإمدادها والسلطة في هذه البلاد سلطان سلطة الأمير الوسيطة في الأحكام الحقيقية في نفوس الجمهور ميل وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال . وهذا الحزب يريد أن يكون وسطا بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكياز كما أشيع ولا مع الأمير فيما يجب الأمير ويرى في السياسة وإن كان مخلصا كغيره للتخديرية نفسها . هذا هو مبدأ الماملين فيه الآن فهو لا سند له إلا من ذاته فإذا نجح كان نخب ذلك من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية وإذا هوسقط فسقوطه برهان على أن الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي إليه والمدافع عنه بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معينه) وهو كاتب محمد الفرنجية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وإنما يكتب عنه محمد وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كأكبر وغريه ولم

يدخل فيه أحد من أكابر البلادة وأفراده أقل من أفراد سائر الأحزاب وهو يمتاز بكثرة الحث على مسألة المحتلين وإنشاء على ما يستحسن من أعمالهم في البلاد فتهجير هذه الكلمة « سلامة المصريين في مسألة المحتلين » فهو لا يخالف غيره من الأحزاب إلا في هذا وهو خلاف قولي إذ لا يقول حزب من الأحزاب بوجوب مقاومة المحتلين ومعاداتهم بالعمل وإنما قصاراهم أن يبالغوا في انتقاد ما يرونه منتقدا من أعمالهم ويكبروه ويسكنوا عن الثناء على ما يرونه حسنا نافعا أو يصغروه . فذلك يمدح ولا يذم ولا ينتقد وهم يذمون وينقدون وقلماء يمدحون ولا يخلاف في سائر المطالب الأساسية بل في وقتها وطريق طلبها

وأما حزب الإصلاح الدستوري فهو منة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وهو رئيسه وقد اختاره من الأعضاء من يجهم الرأي وترشدهم الروية ويثبتهم الركن الركين الذي يأوون إليه فقانونه أوضح قوانين الأحزاب ورجاله أدهى رجالهم والشيخ على نفسه أبعد المشتغلين بالسياسة المصرية غورا وأشدهم حزما وأحذقهم في المخول في الأمر والخروج منه . والفرق الحقيق بين هذا الحزب وغيره من الأحزاب التي تشارك في الخدمة العامة للأمة أنه مؤيد لسياسة الأمير لا يتحول عنها في حال من الأحوال يتهم إذا انتهت وينجد إذا أجمعت ويرالي من زالت وبغادي من عادت فهو حزب طبيعي متين والرجاء في ثباته وقوته أقوى من الرجاء في سائر الأحزاب بحسب ما عليه مصر من الحالة الاجتماعية والسياسة الآن ولا دليل على تغيرها في زمن قريب

ومأصرح به هذا الحزب في قانونه من كون طلب المجلس النيابي أصلا من أمره لا ينافي تأييده لسياسة الأمير صاحب الحكم الشخصي فإن طلب المجلس النيابي مرضي للأمير أيده الله بتوفيقه كما علم من حديثه المشهور مع مكاتب جريدة الطان الفرنسية بل لا يبعد أن يكون هو أول من فكر بوجوب طلب الأمة له كما يقول بعض العقلاء وأما الحزب الوطني فهو منة الآن مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء وهو رئيسه وهو جزء من الحزب الوطني الذي كان موجودا بالقوة أو بالفعل من قبل على ما بيناه في صدر هذا المقال والقسم الآخر من ذلك الحزب هو حزب الإصلاح

الدستوري . والفرق بين هذين الحزبين على ما أرى — وهو رأي يوافقي عليه كثير من العقلاء — هو أن حزب الإصلاح الدستوري يجمعه الرأي وبه يعمل والحزب الوطني يجمعه الاحساس والشعور وبه يعمل وأن شخص صاحب جريدة المؤيد ليس ركنًا من أركان الحزب الأول — وإن كان قطبه وأقدر العالمين فيه — ولكن شخص صاحب جريدة اللواء ركن من أركان الحزب الآخر مقصود بالذات منه ولذلك انفقوا على أن يكون رئيس الحزب مادام حيا بلا شرط ولا قيد . ويظهر لنا أن المعجبين بالحزب الوطني أكثر عددا من المعجبين بغيره من الأحزاب . لأن منهم فيما يقال أكثر تلاميذ المدارس والمثاقين في السياسة من العامة وذلك معقول لأن هو — لا هم القديين بتمون داهي الشعور ويخضعون لسلطان الوجدان ويحبون اللوا أكثر من عداهم . وقد سلكت جريدة اللواء طريقة تحريك الوجدان وتحييج الشعور الوطني بشناية عظيمة تناسب الاستعداد الغالب على الشعب . ويظن أن غرض صاحبها من ذلك ومن نشر الدعوة إلى حزبه في الأرياف هو أن يستميل رأي السواد الأعظم إلى نفسه حتى يكون زعيما حقيقيا إذا دعا إلى شيء . تويده الأمة بالمال والحال . . . وادعاه هذه الزعامة من قبل دليل على استعداده لها فإنا قد تعودنا أن نرى كل رأي لواء . همزوا إلى الأمة برمتها حتى مثل العقو أو عدم مقاصد ذلك المجرم القاتل في السودان . وقد أمدته في استعداده هذا الجرائد الانكليزية في أثناء حادثة العقبة إذ كانت تصفه بالزعيم المبيح وغرضها من ذلك معلوم فبإقائه من دهاء الانكليز

هذا وإن في كل حزب من الأحزاب من الرجال المحبين لخير البلاد والمخلصين في خدمتها بحسب اعتقادهم من يعتمد عليهم في القيام بشؤونها . وقد جهل بعض الحقيقة من قال إن كل حزب قد أنشئ لتأييد جريدة ومدير تلك الجريدة هو منشئه ومسخره لجريدته ومن أنه لا فرق بين هذه الأحزاب في المقصد ونرجو أن يكون إنشاء الأحزاب في مصر آية من آيات الأخذ بالارتقاء الاجتماعي وإن يكون تعددها سببا أطول حياتها لا تقتضيه المياعة والمزاخرة من تمسك كل حزب بما قام به ونسأله أنه إلى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والمصلحة للبلاد

أوربا والاسلام

مقالة ومقابلة بين الاسلام والمسيحية في المدينة لوزير فرنسي

كتب السيد محمد الاعرم من فضلاء التونسيين والموسيو دوديانوس المراقب المدني الفرنسي في بلدة سوسة من أعمال تونس بالاشتراك تقريرا في الاحوال التونسية . وقدم هذا التقرير الى مؤتمر الاستعمار الذي اجتمع في مرسيليا سنة ١٩٠٦ الموسيو ميلي الذي كان في منصب الوزير المقيم لفرنسا بتونس وجعل له مقدمة بقله تلاها في المؤتمر . وقد ترجعها في هذه الأيام بعض التونسيين ونشرها في جريدة الزهرة فرأينا أن ننشر الترجمة في المار بعد تصحيح ما لابتاتها وهي : هذا التقرير على صغر حجمه يبين مسألة من أكبر المسائل الحالية وهي العلاقة

بين أوربا والاسلام

كانت هيئة الاجتماع المسيحية في خلال القرن السابع للمسيح على حالة عزلة تنازعها من جهة غاية الوحش ومن أخرى ما أصاب الفكر من العمق والتدقيق في مفاهيم الأنماط، وعلى هيئات سياسية دخلت في من الهرم وسفاسف وبنية حلت محل انشاع انظار القرون الاولى . فالملحة كانت تميل أحيانا إلى البطش وطورا الى مقتضيات الضعف لكنها في كلتا الحالتين كانت مثقلة لعباد فرومية كانت في جدال مستمر مع الاسانة (يعني بالارومية وبطرك الاسانة) ولم يشع بعض منصب البابا بالسلطة ويتخلص من الروابط الملوكية والنظامي في اعتقاد القديسين (المراهلين) الا وقد سقط في مهواة الوثنية، وتركت الواجبات العسكرية واستبدل الأجورون بالسك النظامي، واضمحلت العائلة بالانجافي عن القيام بالواجب ولم تكن هناك حرية في الاعتقاد بل لم يكن رواج الانسخط القوس واضطهادهم لمن نفس بينت شقة لافلائم أغراضهم . وبالجملة فالحالة كانت في تلك المصور مخفوقة بجميع موجبات التأخر والانحطاط فظهر الاسلام والحالة هذه ونجح في تقدمه العجيب بسبب ما أحدثت السلطنة اليونانية في النفوس من الدآمة والفقت

جاء الاسلام مخالفاً لكثير من الاديان التي ضاعت حقيقتها في غمرات الاوهام
فان هذا الدين نغزة عما لا يعقل من الخوارق وقام على الحجج البينات التي لم تزل
الى الآن موجودة غير أنهم في الغالب يحيدون به عن مقاصده لأهم يريدون
اختلاق الخوارق له مع أنها لم تكن ويتضح كل الانضاح ان سلمنا ان الاسلام
جاء مقاروما للمسيحية حسما كان يفهمها اليونانيون أنه أي الاسلام جامع بين
السلطتين الدينية والسياسية كما ان ملوك بيزانس أي ملوك اليونان كانوا يدعونهما
وهو أي الاسلام قليل الغرابة في أصوله لأنه لم يكن المتصود منه في ذلك الوقت تجديده
اعتقاد الناس بل تغيير انقيادهم الظاهري - فلما أثقلت كاهل المسيحية اليونانية فلسفة
النوم المتكررة جاء الاسلام بنسخ التثليث وإزالة ادران الفلسفة الاسكندرية - ولما بعدت
حقيقة المسيح الكنيسية شيئاً فشيئاً عن البشرية وفشا اعتقاد وتظيم القديسين
حتى انحدر بالناس الى عبادة بعض الاشياء من الكائنات جاء الاسلام بارجاع المسيح
- على تكريمه اياه - الى نسبة البشرية وبانكار القديسين - ولما أضعفت أديار
الرهبات القوية والعسكرية جاء الاسلام بابطالها - ولما كانت الغاية المسيحية
إضفاف العائلات بإيثار العزبة على التزوج جاء الاسلام بکراهة تعدد قطع النسل
وبالحث على التماسك بإباحة تعدد الزوجات - ولما كانت الهيئة المدنية المسيحية
منقسمة الى مراتب وراثية مشعبة وكانت الرتبة الاولى فيها للقديسين جاء الاسلام
بإبطال سلطة القديسين وإزالة حق الوراثة في المراتب والاستعاضة عنها بالاستحقاق
القائي (لا فضل لمربي على عجمي إنما الفضل بالعلم والقوى) كما انه أزال
الواسطة بين الخلق والخلق وبين الرئيس والمرووس - ولما كان الملوك هم المحافظين
على أصول الدين واستحوذوا بذلك على النصرف في العقائد والمعتقدين من رعاياهم
جاء الاسلام باتسامع والحرية في الدين على شرط قبول الداخلين تحت سيطرته
من غير المسلمين بأداء الجزية وهو أداء خفيف جداً - ولما كانت الصدقة الانجيلية
قد ضففت تقريرا تحت استئثار اصحاب الرتبة المفضلة من الهيئة جاء الاسلام بالحث
على المعادلة والتماض الى حلالهاية بعده - وبالجملة ان الديانة المسيحية لم يكن تأسيسها
الا على الخوارق فالاسلام قد عدل عنها تقريرا وجعل نبيه بشرا كسائر البشر

هكذا كانت طباع الاسلام الاول وان اعترى فروعه تغيير بسبب ما اعترى المسلمين من الأهام فأصوله لم تزل ثابتة الى الآن وقد نجلى الاسلام ميسرا ومستكلا للانسانية ومنهزا عن القهوض بسلطة الوحدانية العقول وبذلك تباعد من قضايا المعارضة بأنواعها ، ولم يصد نموه ستة قرون مضت في المجادلات الدينية ، وأربعة مثلها مضت على الادارة الرومانية (١) ولم يكف ذلك حصنا للمسيحية بل حصل هذا الدين الجدي على كثير من سرعة عجيبة (٢) وهو رغم ماسطرته كتبنا مستمر الدوام . واذا بعض قترنق بنزوه عما ذكر من الادوار أمكنه تقديم متبعيه على متبعي المسيحية بنحو ثلاثة أو أربعة قرون فان معالم بغداد وقرطبة الطيبة كانت منابع للأوار الساطعة عند ما كانت معالم المسيحية منحنية على الجهل المطبق فكل الدول وكل الصنائع وكل الفنون كانت تأتي من الشرق وجمهوريات البحر المتوسط كانت تكتسب بسطتها من علاقتها مع مخالفتها في الدين

وان زهرة هذا المدن النفيسة المحفوظة في أوانيا الجميلة الانيقة تقصر إشبيلية وجرأ غرناطة لم تزل تحتل اشرف المسيحيين حتى بعد اضلال المربية بحريث ان مدة الاسلام الممودة دامت نحو ثمانية قرون نهايتها سقوط غرناطة ، وكانت بعد ذلك فتوحات السامانيين الذين زعم على عدم التفاتهم لانفتاح الزهرة الفكرية قد اثبتوا للاسلام مدة قرنين أو ثلاثة عظيمة سياسية وعسكرية وعليه فان الديانة الاسلامية حافظت مدة ألف سنة على قوتها ونظامها ولذا يصح ان نقول بحسب المدة على الاقل ان وظائفها تعادل وظيفتي اليونان والرومان معا هذا وبعد وقوف الشجرة الاسلامية عن النمو والازهار والأثمار لم تزل عروقها آخذة في الامتداد الخفي وتنشق أرضها عن أخلاف غليظة في أماكن السوداء بين كما ان أخلافها في آسيا تحمل مع راحة مادة التلقيح الهندي والماليزي والصيني (٣)

(١) كذا في الاصل ولعله يشير الى الحروب الصليبية (٢) لعله يعني ذلك كز التغيرات

(٣) الأخلاف جمع خلفه بالكسر وهي مروثة يريد أن الاسلام لا يزال بهذا ذلك =

فإنه الحقائق هي التي ينبغي استحضارها في ذهن عند ارادة التكلم عن الاسلام باستخفاف !!

فإن قيل كيف طرأ السكون على أهل عقيدة شريفة معقولة مثل عقيدة الاسلام ولماذا وقعت في أفريقيا وآسيا الصغرى عن الأعمار الآن بعد ما انتمت سابقا في الفرس واسبانيا ثم لأي سبب كان هذا التقدم الاورباوي الحالي المتعرق مما سراه ؟

الجواب إن مسألة مثل هذه لا يمكن تفصيلها في هاته الاوراق لكن لما ان تقتصر على مجرد نتيجة فلسفية وهي ان تقول ان مدينتنا المسيحية الاصل قد فحمت مجالا منسما للنمو المادي وان نهضتنا في القرن السادس عشر قد منحتنا جسارة في الفكر واختبارا في الفحص العلمي ربما لم يعرفها المسلمون وإن الذي يهم في هذا المقام على كل حال هو اعتبار الحثيات عند ارادة الحكم في هذا الموضوع لان تفهيم المسلمين الشاهد اما ان ينسب الى نفس الاصول الدينية فيكون الاسلام محكوما عليه بالاقتصار على الحياة المادية، واما ان ينسب الى اسباب خارجية عارضة فيكون قابلا للهضة والرجوع الى ما كان عليه لكن هناك من السذج والاغرار من يقضي عليه قضاء مطلقا بدون مراعاة الحثيات المشار اليها ولعمري إنه يصعب عليهم بيان كيف أمكن لهذا الدين التناثر على زعمهم انتاج آثار عجيبة في الزمن الماضي وهم اناس لا يحسنون معرفة التاريخ ويقتصرون في حكمهم على ما يشاهدون ابصارهم

قد انتشر هذا الفكر بفرنسا مدة المسألة الجزائية من حيث علاقتنا مع الاسلام ووجدنا الى الآن هناك كثير من الفرنسيين يقولون عليه . لكن وجدنا بعض ثم يتونس مسلمين من نوع آخر ولذا لم يكن من الممكن ولا المقنع الاقتصار على حكم استبدادي بسيط ووجب الرجوع الى الشواهد التاريخية وقد يجب الاعتراف حينئذ بأن طابع المسلمين عامة اعتراها تغيير من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وذلك تحت سلطة الانراك بالمشرق وسلطة البرابرة بالمغرب ففي اسبانيا انقطعت العلائق بين المسلمين والمسيحيين بعد سقوط غرناطة دفعة واحدة

== النمو الأول يمتد في أفريقيا وآسيا فينتهز بالانجاب به الهنود والماليزيون والصينيون ولكن عبارته مجازات واستعارات وترجمتها ضعيفة

والتعصب من الجهتين هو الذي حملهم على ذلك. واما من جهة الاستانة فالمعلاق السياسية قد استمرت ولكن العملية سقطت في العدم فالبربرية بالمغرب والأتراك بالشرق سارا كأنهما جرمان شخيفان بطرفي السلك ههنا سيلان الكهر باء فيه والحقيقة أنه من تاريخ عدم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين قد اختارت كل فرقة من أساليب دينها ما يلائم إحساسها فتبذت القضاء والقدر ليست هي أساس الاعمال في الاسلام بدليل ان القرآن لا يرى مانعا من تقدم الامم بتعاطي أسباب التقدم لكن عقيدة القدر تسري بالعرض والنتيجة الى فكر المسلم الساذج بمعنى أن تصرف الخالق في الخلق يكون مباشرة (أي بلا سعي ولا سبب) ولذا يرى المرابطين علماء اللاهوت من البربرية يباغنون منذ ظهوروا في نفسك ببعض النصوص الدينية مع خلوها عن الفائدة ويخطبون في الناس كعصا اهل المذاهب المسيحية مقاومين لكل تمدن واعانهم على ذلك عن بان الخيام بأفريقية وهموا هذا المشروع المنتج للصلاية واليبس مع كونه انتزع من الدين لينة ومساعدته على اكتساب التمدن وقصره على حركات بدئية. لكن الفرق المستنيرة التي يحايي لئان أفكارها لئان البحر المتوسط انصبحت مع أمواجه وتجمعت يلائم السواحل لتقدمهم تصب المدافعة ومصادمة البربرية ففي الجزائر سابقا وفي مراكش الآن عروش الخيام بمعنى الذين ولد فيهم الجهل شدة التعصب الذي هم الذين وجدناهم عرضة لنا. ويجب أن نفاهم في معنى التعصب هنا هو ان هاته العروش اعيايتهم صوبون للامتثال والهدجية فالدين عندهم هو الراية التي يتخذونها وسيلة للغطية بعضهم للاجنبي فالرحالون لم يكن أوائلهم مسلمين مع انهم كانوا يدون مثل هذه الاحساسات بعينها نحو الفاتح الروماني وكان الامر يشبه علينا في الزمن السابق فيظهر لنا ان الاخذ بآثارنا من هاته العروش أمر طبيعي وان ذلك يكون باغضاب أملاك المساجد والجوامع مطلقا حتى أوشدنا النجربة فيما بعد الى حقائق الامور فهاهنا التونسيين بمزيد الاعتبار فاحترمنا دولتهم وعوائلهم وشرائعهم وعدايتهم وجوامعهم وأهلاكم وفي الحقيقة إن ما وجدناه بتونس لم نجد بالجزائر. وجدنا بتونس نخبة من الاعيان الاهليين ومجتمعا لمزاولة العلوم وهو جامع الزيتونة فانه وان انحطت شهرته عما كانت عليه في القديم لم تقل به مادة الحياة قوية تؤذن بقرب عود اخضراره

وهاته الحالة المساعدة أمكننا معها أن نخطو خطوة زائدة سنة ١٨٩٨ وهي تأسيس جمعية من شبان التونسيين المتعلمين تحت عنوان الخلاوية تذكارا للمؤرخ العربي ابن خلدون وتكملت هاته الجمعية بادخال الفنون الاوربية بين طلبة الجامع الاعظم وافتتحت دروسها بمسامرة نظامية وقام أحد مدرسي الجامع الاعظم بيان أن لافرة بين الاسلام والعلوم العصرية

وأخيرا وقع اقتداء بالجزائر (كذا) قبول بعض افراد من الاهلين بمجلس شورىهم المصيرين ولم يبق في الامكان أن نرجع فيما منحناه للاهالي من حق التكلم والمناضلة ولا ان نسد أفواههم وقد بادروا لاستعمال هاته الوسيلة بالانتقاد على عدم الاهتمام بشؤونهم ودهم جانبهم المتجدد في كل حين الذي يجهلنا على ارتكابه المصير الاوروبي فمع كوننا نحترم عوائدهم سياسة فاننا لا يهيننا أن ندوس حقوقهم بما لنا من عدم الاتراث الذي طالما انصف به الغالب المعتد أفضليته المطلقة على الغالب فلهذا التقارير التي ستقرأ عليكم يتكون منها كرامة المطالب الاسلامي التونسي وأهم غرائبها كونها تؤذن بالمشاركة والتعاون بين العنصر الاوربي والعنصر الاهلي وفيما أعلن ان هاته أول مرة يسمح فيها لمسلم انتقاد آراء غيره زيادة على ابتداء رأيه في تقرير رسمي على ان استعمال السيد محمد الامرم لهاته الحرية هو في نفسه أقوى برهان لتأييد رغائب بني جنسه ودينه ومن المستحيل ان يأتي هذا الكاتب بأكثر مما أتى به من التلطف في التعبير مع صحة المعنى واستقامة الدليل في عرضه الاشكيات المقبولة . كأن حجاجا يتمرق ليربنا من ورائه باطن هيئة لا يرى منها الا ظاهرها . اما قيمة النتائج التي يرضها علينا فانها دون ما فاجأنا به من بيان مقاصد الديانة الاسلامية الحقيقية وبهاته المناسبة نبادر لزيادة الحث على قراءة الفصل ١٩ والفصل ٢٠ المتضمنين لما عليه الاسلام الآن بالايالة التونسية وما تأنيه الطرق الدينية فيها

ولا يخفى ان الكاتب من المسلمين وهو القدي أفادنا ان عربان المروش هم من أردل المسلمين من حيث المفائد بخلاف سكان المدن فانهم متخلقون باخلاق المساة وان الوسيلة الوحيدة لتغلب على هذا التعصب الاعمي هو الحث

على قراءة القرآن التي تركت الآن تقريباً وعلى نشر المعارف والرجوع الى اخلاق الاسلام التي منها فعل الخير والتعاضد والتسامح وهو الذي يؤكد لنا اقبال المسلمين المستفيدين على العلوم الأوروبية وهو الذي يرينا ما في الطرق الدينية والافراط في المبل الى الدراويش من الاسباب المظيرة لوجبة الاسلام. ونرى مما ذكره لنا من قواعد بعض الطرق ان هناك شيئاً يشبه قواعد الجزويت (عصبة دينية دينها التعليل والامتناع) وهو الاقياد الا وهي المبرعنة باللاتينية عندهم «كن كجنته» فمذه الملاحظات حرية بالاعتبار في اسباب التفتقر المعارضة للاسلام الذي جاء معارضة الخوارق المسيحية فاستطوع فيها جاء معارضة ما يهونه بالنصوف الذي تولدت منه أنواع من الخوارق ربما كانت أكثر خطراً من أمثلها في المسيحية. فالاسلام أمر بالمساواة والتوجه للعمل وعمل التمتع بنعم الدنيا فطراً على هذه الاوامر ما اختلفته الطرق الدينية من التوكل الاعمى المباعث على عدم التبصر في العواقب ومن الفقر (الزهد) والطاعة العمياء والجمود وهي كلها مبرزة لمناهج كل استبداد. وشره الاسلام عن الموان (فرقة من الرهبان) فجاءت الاوهام البربرية وأحيته في الدراويش ونفي بالموان هذا التوارث الذي يتعاطى شيئاً من أنواع السحر والمرفوع عنه التكليف (كذا) وعليه ان كان المسلمون في تفتقر فلان الاسلام انصرف عن أصوله ووجه تغير مساهم لكن الجرائم اللازمة لنهضته لم تزل كامنة فيه ولذلك يلزم الرجوع الى القرآن بصد تفسيره واستدراج تماره بطرق العلوم العصرية — فأول أمة أوربية تنجرت عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الخطوة المالية يمكنها بذلك ان تقدم على غيرها تقدماً حقيقياً فان تعاطيها لما ذكر يكون له أحسن صدق في قلوب ما تقي مليون من المسلمين

فاليوم الذي نتم فيه فرانساً عن مساعد الجندوس في تعليم وثرية الاهالي سولا تقصد بذلك ان يلزمهم بنظاماً تابل أن تشير بهم في مناهج التمدن الملائمة لطباعهم — هو اليوم الجليل حسب قول ميسو جوفار الذي يحصل فيه على أكثر من فتح الممالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح

(المنار) صنيبن في الجزء الآتي رأينا في هذه المقالة أو المقدمة

أعمال حسن باشا عاصم

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً عن أخلاق حسن باشا عاصم ونكتب في هذا الجزء شيئاً عن أعماله ومعدتنا في هذا وذاك الاختيار، وغرضنا منه بيان طريق التأسي والاعتبار، وأما قدمنا الكلام في الأخلاق، لأنها هي مصادر الأعمال، فهي الأصل الأصل في تفاضل الرجال، ولم نسلط فيها كتبنا ولا فيما نكتبه الآن مسلك الاستقصاء بل نكتفي بما قل ودل

تمهيد في تربيته وتعليمه

بالترية والتعليم تفاضل المناوون والمنازبون في الاستعداد وقد اتفق حسن عاصم منهما ما أظهر استعداداً العظيم . كان والده من حاشية محمد باشا عاصم أحد كبار المديرين في هذا القطر ولم يكن لهذا نسل . وولد حسن في حجره فسر به وتربى تربيته بل تبناه وأضاف اسمه إلى اسمه فعلمه التعليم الابتدائي والوسطي والدالي فانتقل من المدارس الابتدائية إلى مدرسة الإدارة (الحقوق) فكان في طليعة التاليفين ثم أرسل مع بعض التاليفين إلى فرنسا على نفقة الحكومة للترقي في علوم الحقوق والسياسة فلقاها بمجده واجتهاده حتى كان من خير التاليفين وحلة الشهادات العالية فيهما . وكيف لا وهو لم يكن يعرف الجهل والبطالة ولا من يحفل بالذات والشهوات البدنية وذلك هي قواطع طريق العلم على طلابه لاسيما في أوروبا ولا سيما في فرنسا . وما أغلن إلا أن يت محمد باشا عاصم كان قتيلاً من الأوث الذي تطلع به كثير من البيوتات كالكسرك وما يتصل به عادة وكأن في ذلك الرجل وإنا لم أعرفه ولم أعرف عنه شيئاً كان بصيراً بالمفاسد التي تدب إلى الناشئين في السعة فال بين ربيبه وبينها فلم يندس نفسه برذائل المترفين، ولا بدانة المسوزين، فهذه التربية النقية هي التي ساعدته على كمال تحصيل العلوم حتى كانت وهو ابن الخامسة عشر عاماً للمخدوم بنسبته إليه ومحبة له ولولاه لما عرفه مثلي ولا دون اسمه في هذه المجلة الإصلاحية . وكم أفسدت باريس من أولاد الأشراف والوجهاء الذين هم أرفع من محمد عاصم باشا ذكرنا في قلوبهم

عمله في القضاء والنيابة

لما عاد من أوروبا باجته الحكومة مساعدا للنيابة فوكيلافرنسا في الاسكندرية ثم في طنطا وكان قد مات محمد عاصم باشا فكان خير خليفة له في أمه حتى أنه كان يثق معظم مرتبه الشهري على قلته في المرتبات التي كان يقوم بها مرابه الذي مات ولا مال له . بل لم يجعل في البودة من أوروبا الى مصر لا لأجل هذا فقد كان ينبغي الاستزادة من العلم الى ان يصير دكتورا في العلوم التي كان يشتغل بها بعد أن نال شهادتها العالية المعبر عنها عندهم بالليسانس ففاجأه نفي مرابه فاكتفى بما حصل ، ورجع عما كان أمل ، وقد كان في النيابة العامل المصلح لنظام ولحال الاجتماع إذ كان يتعقب الاشقياء المفسدين وصلبة الامن المستدين حتى طهر منهم المديريات التي مظلم بالاولاها بهم . وكان يزجي كل من تحت رياسته في الجدل والاجتهاد فلا يكادون يجدون ساعة بطلة .

ولما جعل السير سكوت مستشارا قضائيا لصر وجهه الى اصلاح المحاكم الاهلية وكانت خجلة مثقلة فكان يطوف على رجال القضاء والنيابة يسألهم عن رأيهم في الاملاح وما يشكون منه فما كان يسمع من الاكثرين الا عبارات التناء والاقرار بالرضى عن الحال الحاضرة . حتى ظفر بحسن عاصم فأخبره هذا بجميع المال وبلرق علاجها فجاء به وبصديقه علي بك فخري الذي رأى فيه مثل نباهته واستمداده وجعلهما منتشين للقضاء ثم عضوا لجنة المراقبة التي أُنشئت في نظارة الحفانية فكانا هما الواضحين لنظام المحاكم الحاضر وطريقة المراقبة القضائية المتبعة بل كان حسن عاصم هو الذي اقترح بموافقة رسمية اختيار القضاء من أهل الكفاءة بالاستقامة والنباة واختبار اليلاد كالتخرجين في دار العلوم وغيرهم ممن عرف بالعلم والنضل وان لم يكن متخرجا في مدرسة الحقوق وبذلك تيسر للحكومة إصلاح المحاكم بقدر الامكان .

ومن خدمة حسن عاصم للقضاء وضع مشروع المحاكم الجزئية ثم السعي مع صديقه علي فخري في انفاذه عند سنوح الفرصة لما بثته الميرسكوت المنتشار المحب للإصلاح بهما . وله في ذلك أعمال أخرى ليس من غرضنا تفصيلها . وكان للسير سكوت

من الاعجاب ببلده واستقامته وقدرته على العمل ما أحله عنده في أعلى منازل الثقة والكرامة . وأراد ترقية فلم ترض الوكالة البريطانية بذلك بل حاولت ان تدليه لاتباعها إياه بمناصبتها فرفضت عليه السياسة الاستمرارية في عمله النافع في الحكم وذلك شأنها ما دخلت في عمل الا وأفسدته كما كان يقول الاساذ الامام ، وما كانت مهمة حسن عاصم بالسياسة تخص اختلاق ولكن ربما كان يتألم فيما ينقل للوكالة عنه أو كانت الوكالة تنظر الى الاور بين الاحتياط فترأها أكبر مما كانت عليه

كانت في البلدة حركة وطنية قبلتها بل روحها الأمير الجديد عباس حلمي باشا تيمشها الآمال ، وتجدد بها الأقوال ، حتى تزجها الى بعض الأحوال التي كان يظن انها وسائل لازالة الاحتلال ، والتشجيع بكمال الاستقلال ، وكان أكثر أهل الفهم والرأي من رجال الحكومة وغيرهم مغرورين بتلك الحركة ولم يسلم من شيء من ذلك حسن عاصم على أمانته وبصيرته وكان صديقه ورفيقه في العمل علي فعزى بك أصدمة إعجابها بل تمسسا بها بل أقول انه لم يسلم من الضرر بتلك الحركة أحد من أهل الرأي والظهور في البلد إلا ما دون عدد أقامل اليد الواحدة .

قد يظن بعض الشبان اليوم ان في البلاد حركة وطنية قوية لم تكن من قبل وما ذلك الا لانهم لا يعرفون شيئاً عن الحركة التي كانت من نحو خمس عشرة سنة اذا كان الرجال يهجرون عربة الأمير بأيديهم واذ كان الأمير يهود من سياحته الصينية فتكتظ الاسكندرية بمئات الألوف لقائه حتى قيل انه دخل الاسكندرية في يوم واحد ثمانون ألفاً من أهل الأرياف . وما ذلك الا لأن الساطرة الأجنبية ثقيلة على النفوس البشرية تفرمها بالطبع فاذا آمنت بصيصاً من الأمل بالتخلص منها على يد من تثق بهم من أبناء جنسها السياسي أو الديني فأنهم لا تنعم ان تشو اليه ، وتقول عليه ، وقد كان للشعب يرى من الأمير الجديد منذ ولي ذلك البصيص بل كانت ترى من حاله ، وتسمع مما ينشأ من درر أقواله ، ما يحمل ذلك البصيص نوراً ساطعاً يملأ الجوانح آمالاً ، ويغفر بالنفوس الى الجهاد الوطني خفاً وثقلاً ، فلا عجب اذا كان مثل حسن عاصم وهو في شبابه ممن كان يظن أن في تلك الحركة بركة لا سيما وهو مطلع على ما كانت تدبره فرنسا وما تعد به مصر وعثمانيها

غرضنا من هذا البيان ومن سائر ما نكتبه عن الرجل ان تكون العبرة بسيرة رجل نافع منا مبنية على أصل ثابت ورواية صحيحة في زمن لا يكتب فيه عن رجال العصر الا أصحاب الصحف السياسية في الغالب وهم لا يبينون من الحقائق الا ما تسمح لهم به السياسة على الوجه الذي تقيمه وترغاه

فأعلم الشبان المتحمسون في الوطنية الذين تهيمهم فنيات التضفين بأشعارها، والضارين على أوتارها، ان هذا الانباغة الذي ينفخر الوطن به قد تحمس في شبابه بالسياسة أياما كانت دواعي التحمس فيها أوفر، والآمال بالانجاح أقوى، ثم استقر رأيهم بعد الاختبار على ان العاملين للوطن والمخلصين في خدمة الأمة يجب عليهم أن يتزهدوا عن شوائب التعميمات السياسية والتهيجات الطبيعية، وأن يتزهدوا السكينة والروية، ويجهلوا عمدتهم انان الأعمال، ودون التردد يزخرف الاقوال، والانقذاع بالبعادوى العراض الطوال، لذلك كان يعمل ليله ونهاره من غير لغط ولا دعوى، ولا نظم ولا شكوى، بل كان ذلك دأبه منذ كان

كان السير سكوت المستشار المصلح الخالص على ما هو مشهور بين جميع العارفين قد وعده بأن يجهله نائباً عمومياً بعد ان جمعه الأفوكا والعمومي ولكن كورد كروم أمره بمنزله كما يقال فلما في أمره وبعد الناء والجهاد قدر على ان يستبدل بالمرل جملة قاضياً في محكمة الاستئناف الأهلية بمزب أقص من مرتبه قبله فلم يزد ذلك الا جدا في العمل ومضاء في الإصلاح. وما يؤثر عنه انه كان يسمع خبر عزله فلا يحدث عنده فتورا ولا مللا ولا يشفيه عن الابتداء بعمل جديد أو وضع مشروع لمل مستقبل وان كان يتوقف تنفيذ هذا وإتمام ذاك على بقائه في عمله. وقد كان مما أقترحه في أثناء التحدث بمنزله نقل طائفة من الكتاب اليومية في محكمة الاستئناف لعدم الحاجة اليهم الى الحاكم الابتدائية التي هي في أشد الحاجة اليهم فأخبره رئيس الكتاب بان أمر عزله قد تقرر بل كتب ولم يبق دون تنفيذ الا ختمه فقال رحمه الله ما مناه ان هذه فرصة تهرم اضاعتها وانني أهل الواجب مادمت متمكناً منه وان هذا التمكن يستمر الى أن أبلغ الأمر بالمرل رسمياً.

عمله في المية

عز على أصدقائه هذا العامل المصلح ان يكون غنيا على عمله عند القوة الفعالة في البلاد، وان لا يوضع في الموضع الذي يستعته من ناصية القضاء ، ولما خلا منصب رياسة التشريفات عند الأمير بنقل عياني باشا منه الى نظارة الحربية بادر الاستاذ الامام فرغب الى الأمير ان يجعل التقيد رئيساً لتشريفات فذكره الأمير رجلاً آخر من المرشحين عنده لهذا المنصب فقال الاستاذ الامام رحمه الله - وكان الأمير أطال الله عمره بقدر رأيه حق قدره - كلا الرجلين كفوا ويمتاز عاصم بمعارفه القضائية وأقدينا تعرض عليه القوانين واللوائح فيحسن ان يكون في ميعته من يدرسها ويبدى رأيه فيها : ذكر لي ذلك الاستاذ في سياق عناية الأمير به وكونه هو الذي اقترح جملة مستشارا في الاستئناف ثم جعله مفتياً وما كان فضل عاصم ليخفى على الأمير قللك فضله على غيره وولاه هذا المنصب اتنا نرى من المتعلمين من يختار أو يختار أوليائه علم الحقوق ليكون قاضياً أو محامياً أو علم الهندسة ليكون مهندساً أو علم الطب ليكون طبيباً مثلاً. ولكننا نرى الناجحين فيما يوجهون جل عنايتهم اليه قليلين وأقل من هذا القليل من يبرع في العمل كما نبغ في العلم وأقل من هؤلاء من يهتد اليه عمل غير ما استعده واشتغل فيه فينته بعد اثنان غيره والبراعة فيه. أولئك الذين اعطوا من المواهب العقلية ما أعدهم لاثقان كل عمل يشغلون به وقد كان حسن عاصم من هذا الفريق النادر فإنه كان في أخلاقه وجل ممارف وسابغ عمله أبعد الناس عن خدمة الامراء ولكنه على هذا عمل في خدمة الأمير ما عجز عن مثله كل من كان في خدمته وخدمة أسلافه كما عجز عن الزيادة عليه من جاء بعده

كان رجال التشريفات من قبل رياسته لا عمل لهم في غالب أوقاتهم لمخلق لهم من الأعمال ما استغرق عامة أوقاتهم في انقصر حتى انه استخرج دقائر التشريفات القديمة من عهد محمد علي وعرف باقي ذلك وحاضره ثم وضع لتشريفات نظاماً ثابتاً حدد فيه أوقات المقابلات الرسمية وغير الرسمية وكذلك

الصعوات وحفلة المرقص الحديوي فقد كان كل ذلك مضموناً بالفوضى والخلل . ومن ذلك أنه اشترط فيمن يقابل الأمير شروطاً في الزي للموظفين وغير الموظفين قد تختلف باختلاف المقابلات واختلاف زي الأمير العسكري والملكي فيها وقد ذلك كله على الوطنيين والأجانب على حواء . وما كان يسهل عليه أن يشد عن نظامه ذلك أحد .

وأذكر من تنفيذ النظام على الأجانب من كبار المحنطين وغيرهم أن بعض كبار الموظفين منهم جاء عابدين بلباس غير ما يجب في تلك المقابلة فنبهه إلى ذلك فساد إلى بيته وغيره .

وأعظم من ذلك أن المرقص الحديوي كان يحضره من أوشاب الافرنج من يعرف ومن لا يعرف . وسبب ذلك أن ديوان التشرقيات كان يرسل إلى كل وكالة نهائية للدول عدة أوراق ليس عليها أسماء يدعي بها وجهاء الأجانب فكان يأخذها من هم أهل ومن ليسوا بأهل لخصور مجالس الأمراء والملوك فكان من النظام الذي وضعه له حسن عاصم أنه لا يحضر المرقص أحد إلا من دعاه ديوان التشرقيات دعوة خاصة باسمه وأنه لا يدعو من الأجانب إلا من كان معروفاً عند الأمير ولو بتقديمه إليه قبل المرقص بزمان قريب كما أنه لا يدعو من الوطنيين إلا من كانت صفته كيت وكيت ككونه من أصحاب الرتبة الثانية فما فوقها أو ما يقابل ذلك . فساء هذا النظام وكلاء الدول وقناصلها فهدوا إلى لورد كرومر وهو أقدريهم أن يتعرض على ذلك ويتلافاه فكلهم حسن باشا فيه فاحتج عليه هذا بتفضيل النظام على الفوضى وأطلمه على إعلان من شركة كوك التي تولى نقل السياح في مصر من مكان إلى آخر وفيها أن صاحبها يشاهدون كذا وكذا من الآثار القديمة ويحضرون المرقص (البالو) الحديوي . فقال له اللورد : إنني أجل النظام ولا يليق بي ولا بدولي أن نتعرض عليه ونحن دعائه ولكنني أعلم أن السراي لا يلتزم فيها نظام بل المستشفى فيها من القاعدة أكثر من المستشفى منه فنحن لا نرضى أن يكون النظام صارياً علينا وهو غير مطرد : فقال له العقيد : انني أضمن لجنتكم بأنني أفقد هذا النظام ما دمت هنا بلا شذوذ قط وعليّ تبعه ذلك

الا أن بأمر ربّ المكان بشيْء فلا يمكن لحادته ان يعارضه فيه اذ يحتمل ان يقدم له شخص في غير السراي فيدعوه هو مثلاً فهل يمكن ان يستل عن ذلك؟ فاقضع الورد بذلك ولم يصبه الا الرضى . سمعت هذا من القيد نفسه وقد مكث في منصب رئيس التشريفات بضع سنين ثم رقاہ الأمير فجهه رئيس الديوان الحديوي فكانت خدمته أجل وأوسع اذ تولت خدمة الأمير الخاصة الى خدمة الأوقاف العمومية . ولكن قلب الأمير تغير عليه ففصله بعد ثلاث سنين من منصبه بالإحالة على المعاش . ففكر ذلك على الناس وكثير حديثهم فيه وظهر أثر ذلك في الميراث فكانت متفتة على اثناء على التقيد فرأينا ان نجعل ذلك وسيلة للموعظة وسوق العبارة الى المستعدين الاقتداء بقطاه الرجال وطلاب الفضيلة والاستقلال فكتبنا يومئذ في المنار نبذة في ذلك (راجع ص ٧٥٨ م ٧) وقد أشار المؤيد الى نحو ما قتلناه يومئذ عن اللوامع زيادة اذ قال عند بيان سبب عزل القيد من رياسة الديوان الحديوي في ترجمته له ما نصه :

« وقد أمضى القيد نحو سبع سنوات رئيساً للتشريفات الحديوية وثلاثاً رئيساً للديوان الحديوي مثلاً لا أشرف موظف نزيه يخلص العمل والخدمة لولاه ويؤدي الوظيفة المنوطة به أشرف أداء . ثم فصل بعد ذلك لأسر حسب نفسه فيه مودياً واجباً كما ينبغي عليه وحسبه الجنب الحديوي متعتاً فيه . وزادت الريبة منه كلمة قالها الورد كروم للاحمد دوساء الدواوين الحديوية ليبلغها للجنب الهلي اذ قال الورد « اتني أهني - الجنب الحديوي بوجود رجل مستقل قوي الارادة نزيه مثل حسن عاصم باشا في معيته » فدخل الجنب العالي ذلك الفكر الذي طاف قبلاً على خاطر الورد كروم لان هذا الورد كان قد اعتد ان شدة مراس الرجل في وظائفه القضائية أو ظاهر من آثار الانحياز الى جانب المية السنية وهي التهمة التي كانت تاتي على كرام الوطنيين للتككيل بهم . ولذلك كان يحسب القيد من أشد اعداء الوكالة البريطانية . فلما جاء الوقت الذي تجلت فيه صفات القيد كما هي شهد تلك الشهادة العالية فأولت التأويل الطبيعي الذي كان نتيجة شدة انتافر بين قصر الدبارة وسائدين . ولذلك قال كثير من

من الناس أن الورد أراد بحسن عاصم باشا سواء أذ شهد له هذه الشهادة وهو يعلم ماذا يكون وقعها من نفس مولاه في تلك الظروف « اه ثم قال المولى أنه لم يطل الأمر بعد ذلك حتى رضي عنه الأمير

ونحن نعلم أن الورد قال كلمته في التقيد عن إعجاب بمراياه لا سيما بعد ما تبين له أن الحق عنده يلو على كل شيء فلا يتميز لغيره ولا يراعي فيه مولاه الأمير فضلاً عن دونه . وأن الذين قالوا أنه أراد به سوءاً يسيئون الظن بالأمير إذ يستقدون أن الورد يتقدم بكلمة واحدة أن يغيره على من يشاء وأن ثبت استقامته وكفائه بحيث صار أشهر بهما من علم في رأسه ناره وأظهر من الشمس في رابعة النهار، والأمير أذكي ذهنًا وأوسع فهماً مما يستقدون

عنه في الجمعية الخيرية الإسلامية

كان سبب تأسيس هذه الجمعية أن مشموزاً ممثلاً أجنبياً جاء مصر من نحو ست عشرة سنة فرجع منها مالاً كثيراً أراد أن يجعل ليله من لياليه لقراءة المسلمين وبلغ بحفاظ العاصمة إبراهيم باشا رشدي ذلك فاجتمع بعض أهل الغيرة والتفضل وانضموا إليهم في ذلك فاتفقوا على أن يزينوا حديقة الأزبكية في تلك الليلة ويضيفوا إلى الباب المشموز فيها ضروباً أخرى من الزهور المباحة ويحفظوا المال ليعملوا إليه غيره بالبرح وغيره ويجمعوا ذلك أصلاً لجمعية خيرية إسلامية وكاشفوا المحتاجين بذلك فوافقهم عليه (وقيل إن زينة الحديقة كانت بعد) أولئك هم الاخلاء الصادقون في خلة بعضهم لبعض وفي حب بينهم وأمتهم منهم تقيناً اليوم الذي تعتبر بسيرته وتقيدنا بالامس الأستاذ الامام رحمة الله ومنهم سعد باشا زغلول وحشمت باشا ودورش بك السيد احمد واخوانهم من الاحياء أطال الله أعمارهم وقد وضع هو قانون هذه الجمعية بمشاركة كثير من على أساس من الحكمة متين وكان أحكم أصوله وجوب إضافة نصف الدخل (البراد) السنوي إلى رأس المال لأجل الاستقلال والنصف الآخر يكون لتعليم وإعانة الفقراء . والسبب في هذا نصف ثمتهم بأهل البلاد في كل ما يقدم بالتعاون والاجتماع لا سيما إذا كان لبعض الخير وكان حسن عاصم أعضائهم ثقة حتى أنه لم يكن يطلب من أحد مساواة ولا تبرعاً إلا قادراً وكان جل خدمته للجمعية في

الإدارة الداخلية لماليتها ومدارسها فكان ينظر بنفسه في الأمور الكلية والجزئية حتى ما كان من شأن الكتبة . قال لي درويش بك أمين سر الجمعية أنه ما كان يكلفني الا ضبط الحسابات ثم هو يقوم بسائر أعماله . وأما الأستاذ الامام فكان لا ينظر في الأمور الداخلية الا الى السكليات ونحو امتحان من يرشحون للتعليم في المدارس من الجزئيات وكذا أمور التنفيذ اذ كان رئيساً ولكنه كان يسعى في الخارج لتكثير مال الجمعية ويدعو الامراء والوجهاء حتى كبراء الاجانب الى التبرع لها أو الاشتراك فيها وهو الذي دفع الرشايات عنها ولولاه لما بقيت فكاننا رحمها الله تعالى بكل أحدهما ما يقصر فيه الآخر

وهنا نبين الحقيقة في مسألة ألم بها المؤيد فلم يحسن التمييز ولا وافق الصواب وكانت عبارته وهو يقصد بها مدح عاصم باشا ذمالة بالاستبعاد والتنفوذ عن الآداب وهضمها لحق رئيسه في الجمعية (الأستاذ الامام) وكذا السائر اعضاء مجلس الإدارة اذ جعل وجودهم في المجلس كعدمهم من حيث أنهم لم يكن لهم رأي يفذ اذا خالف رأي عاصم باشا . بل أقول ان هذه العبارة تقيد صلب أقوى مزايما عاصم باشا عنه وهي مزية التزام النظام واتباع القانون كانه أمر الهي . ولا شك ان صاحب المؤيد لا يقصد هذا ولكنها زلة قلم ولا عصاة الا لكتاب الله تعالى . أما عبارة المؤيد فهي :

ولم يكن يسمح لاحد أن يتعدى على النظام الذي عمله لاحتج استبد بجميع شؤنها وله في كل سنة وقعة أمام مجلس ادارة الجمعية الخيرية الاسلامية في شبي يتهي الامر فيها الى السبل برأيه ومع ما كان من صداقته للمرحوم الشيخ محمد عبده وخصوصا حيث كان رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية قد أراد هذا أن يتدخل سنة ١٩٠٤ في أمر مدرسة الحلة الكبرى فرأى التقيد أن يتدخله هذا قد يشوش عليه عمله ويجعل لا سائدة مدارس الجمعية وأهالي تلامذتها مندوحة الى مخاطبة غيره في أمرها فتنب اليه تلفرافا وهو في المنصورة يقول له (لا تضع قدمك في الحلة الكبرى قبل أن تقابلني ولا أسمع لك بالتدخل في شؤون مدرستها) أو ما هو بهاءه - فخرج الأستاذ المرحوم الى القاهرة ويجري بينها كلام أدى الى اختلافها

في الرأي اختلافا شديدا فإن القعيد إلا أن ينفذ رأيه أو يعتزل هله كله في الجمعية وتم له ما أراد ولم يكن قصده الآن يستقيم أمر المدارس على ما اعتقده أفيلا لدارتها هـ
أما حقيقة المسألة التي أشار إليها المؤيد فهي أن بعض المؤسسين لمدرسة المهلة بما تبرعوا به من المال لهم أولاد تجاوزوا السن التي يشترطها قانون مدارس الجمعية الخيرية في التلاميذ الذين يدخلونها . وهم ما بذلوا المال الا رغبة في تعليم أولادهم في بلادهم أولا وبالذات ثم المساعدة على تعليم الفقراء ثانيا وبالعرض فلما عمدوا بإدارة المدرسة الى الجمعية كما هو القصد الأول من تأسيسها أراد حسن باشا أن لا يقبل أولئك الاولاد في المدرسة التي أسسها أبائهم لأن اتباع النظام والتزام القوانين عنده من الامور الوجدانية التي لا يناقش فيها كما علم ذلك مما كتبناه في أخلاقه رحمه الله . وكان من رأي الاستاذ الامام رضي الله عنه أن يقبل أولئك الاولاد لأن رأيه في القوانين أنها وسائل لدفع المضار وحفظ المصالح وإقامة العدل فنحن عرض من الحوادث ما يكون التزام القانون فيه بخلا بالمصلحة أو منافيا للعدل وجب أن يعمل في الحادثة التي هذا شأنها بما يقوم به العدل وتحقق به المصلحة وهذا ما عناه حسن باشا عاصم نفسه بقوله في تأييده أنه كان في القضاء ما يبرهنه الافرنج « بقاضي العدل والانصاف » وأقول - والشئ - بالشئ - يذكر - أنه كان قد وشي به اذ كان قاضيا للمنتشار القضائي بأنه يخالف القانون عمدا في بعض أحكامه فسأله المنتشار عما قيل فأجاب: هل القانون وضع لأجل العدل أم العدل وضع لأجل القانون ؟ فقال بل القانون وضع لأجل العدل فيبين له حينئذ القضايا التي لم يلتزم فيها نص القانون وأنه لو ألزمه لخرج عن العدل ورتب على ذلك من المفاسد تبت وكيت فشكر له المنتشار ذلك

وكان على هذا الاختلاف بين الصديقين في هذا الاصل أو المبدأ - كما يقال - قد حدث ان الاستاذ امر بشيء يخالف للقانون على سبيل الاستثناء لأجل المصلحة المارضة فأنفذه حسن باشا بمنتهى ثم قابل الاستاذ وقال له انني اغذت أمرك الذي كتبت الي به لان أمر الرئيس متى صدر بالعدل وجب تنفيذه كيفما كان وإلا فلا معنى للنظام ولا للرئاسة ولكنني أرجوك أن ترجى ما تراه من

مثل هذا الى ان نجتمع ونذاكر فيه . فلما عرضت مسألة مدرسة المحلة خاف حسن باشا ان يعد رئيس الجمعية آباء أولئك الاولاد أو يكتب اليه امرا بقبولهم بطريق الاستثناء وذلك صعب عليه جدا ولا بد من تنفيذه متى امضاء الرئيس فكُتب اليه يرجوه ان لا يبت شيئا في المسألة لا بالامر ولا بالوعد بل يرجي ذلك الى الاجتماع وكان الامر كذلك فاجتمع مجلس الادارة وتناقشوا فيها وكان من رأي بعضهم تغيير ما فرضه قانون المدارس في السن فعلم حسن باشا بذلك فتشدد رحمه الله تعالى في المحافظة على القانون وعدم قبولهم وكتب الى الامتاز الامام كتابا يستقبل به من ادارة المدارس ان تغيرت مادة تحديد السن في القانون - وبسط طول المناقشة فقرر باغلب الآراء تنفيذ رأي الرئيس وهو الاستاذ الامام بقبول أولئك الاولاد بطريق الاستثناء وارضاه الوكيل ومدير المدارس وبعد المجلس له بأن يكون هذا الامتثناء قاصرا على هؤلاء الاولاد لا يمتداهم الى غيرهم ولا يتطلب ادخال غيرهم باستثناء آخر

في ذلك اليوم الذي قرر فيه مجلس ادارة الجمعية ما ذكر ذهبت الى مكتب الجمعية لمقابلة الاستاذ الامام عند خروجه فرأيتهم خارجا مع بعض اعضاء المجلس وعلمت ما تقرر . ولما كتب المؤيد في ترجمة حسن باشا ما كتب كتبت أشك فيما أعلم فراجعت دروش بك سيد احمد امين الجمعية (سكرتيرها) منذ وجدت فقلت له هل رأيت ما كتب المؤيد في ترجمة المرحوم حسن باشا قال نعم قلت له أن الذي علمته انا هو منذ مخالف لما في المؤيد - وذكرته له - فأبنا الناطق ؟ فقال ان الغلط هو ما جاء في المؤيد وما تذكره انت هو الذي وقع . وعجبت مما قال المؤيد ان حسن باشا كتب الى المرحوم الشيخ «لا تضع رجلك في المحلة» الخ وحسن باشا أعلى أدبا من ان يكتب ذلك لمن دون الشيخ في مكانته اقلانية وفي صداقته له فلا أدري من أين جاء المؤيد هذا

وجله اقول ان حسن باشا رحمه الله تعالى كان شديدا في المحافظة على النظام والقوانين كما كتبنا من قبل ولكن لم يكن مستبدا في الجمعية الخيرية ولا في غيرها وكيف يكون منبع النظام مستبدا ؟ وان اعضاء مجلس ادارة الجمعية كلهم من أهل

الاستتلال فما كانوا يطمعون له رأيا وإنما يقول كل واحد ما يظن أنه الصواب وكان كل شيء مختلفون فيه يقرر بأكثر الآراء ان لم يثقفوا كما هو نص القانون أقول سمعت حسن باشا رحمه الله تعالى يقول بعد ما بلغ أسير الأمير بعزله الحمد لله إني الآن صرت قادرا على ان أعطي الجمعية الخيرية حقها من الخدمة فان السراي كانت آخذة معظام وفي

وقد عين بعد ذلك وكيلًا لدائرة القصر العالي وكانت مختلة معئلة مسلوقة منهوبة فادارها بدثة ونظام يعجز عنها سواه ممن قضوا أعمارهم في إدارة الأعمال الزراعية والإدارية والمالية . وعين مع ذلك مأمورا لوكالة الأمير محمد إبراهيم وهي قضاهي دائرة القصر العالي ثروة وأعمالا ومشاكل فضبطلها أحسن ضبط . ولما تأسست الشركة الانكليزية المصرية للانجاء بالاراضي الزراعية كان - وهو من مؤسسيها - وكيل أعمالها وأدهش الافرنج بأعماله فيها على كثرة أعماله في القصر العالي وفي تركة الأمير محمد إبراهيم وفي الجمعية الخيرية ومدارسها . ثم عين مع ذلك عضوا في اللجنة الارادية لمدرسة القضاء الشرعي فكان لها من خدمته العظيمة الحظ العظيم . وقد أشرنا في الكلام عن اخلائه الى بعض عمله في جمعية احياء العلوم العربية التي كان وكيل رئيسها بل لم يكن لها بعد الاستاذ الامام رئيس سواه . كان يعمل هذه الاعمال كلها مع منتهى الدقة والاثقان ، فيألفه ولهم الرجال

وهنا أقول انني كنت أنتقد عليه كثرة العمل وأخاف ان ينهكه فيقته ، وأنسى لجسده التحيف ان يجتهد ، وقد كان ما خفت ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، أصابه منذ أشهر ضعف في المعدة ترك لاجله أكل اللحوم كلها حاشا السمك وقد كان صام رمضان الماضي كله على الوجبة اذ لم يكن يتسحر فكلمته في ذلك غير مرة فقال لي انني جربت مرة فأكلت في السحور شيئا من الكفاة والفاكهة تنقل علي وأصابني منه خشان في النهار . وكنت أراه أحيانا بعد العصر من رمضان وقد ضمنت قوته وخفت صوته حتي لو استغثاني في الفطرا فتيته ، ولكن الله تعالى احب ان يكون ذلك خاتمة عمله فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأحسن عزاءنا عنه ، ونفعا بسيرته الحليدة بحنه وكرمه

رزية مصر بحسن باشا عبد الرزاق

حق لمصر اليوم ان تمثل بقول الشاعر

رمائي الدهر بالارزاء حتى فوه ادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال

يحق لمصر ذلك وقد رزئت بفقد الرجل العظيم حسن باشا عبد الرزاق ولم
يخص على فقدما لصديقه الكريم حسن باشا عاصم الا شهر ونصف وعلى فقدما
لصديقها الاستاذ الامام الا سنتان وأشهر

أولئك هم الرجال العاقلون الصالحون الماملون المخلصون في مصالح
ومواطن لا خلف لهم فيها تسمى البلاد بادائه ما كانوا يؤدون كما كانوا يؤدون
ولا تكفر نعمة الله على البلاد بمن بقي من اصدقائهم الماملين الصادقين الذي
نجيل ابصارنا فلا نرى للواحد منهم كفوا ولا ندا يضارعه في حمله أو يفني
غناه فيه بل يجب ان نشكر له تعالى هذه النعمة، مع الصبر على ما أصابنا من المصيبة،
عسى أن يبارك لنا في أعمارهم، ويتفنا بأعمالهم، فإن الصبر بحملة الرحمة، والشكر
مدعاة المزيد، ولكن «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» كما ورد في الحديث الشريف.
ليس المنار شاعراً يرثي ولا خطيباً يرثي، ولا مؤرخاً يدون، وإنما هو واعظ
ومذكر، يستخرج العبر من حيث يجدها ويسوقها الى من غفل عنها أو جهلها،
ولا عبرة أفجع بعد هداية الله من التذكير بفضل الماملين الغابرين، على الوجه
الذي يزيد الناس معرفة بفضل الماملين الحاضرين، وينهض بهم المستعدين
تأسي بأولئك ونصر هؤلاء.

أما كان حسن باشا عبد الرزاق رجلاً - والرجال قليل - باستعداد الفطري
ونشأته الدينية، فأما الاستعداد فهو الأصل في نبوغ كل رجل في الشرق حتى اليوم
الا ما عساه يكون في البابان من حسن التعليم والتربية النظامية التي تهض بضميف
الاستعداد حتى يبد من هو أعلى منه استعدادا اذا لم يصادف هذا من يربيه كثير يته
نشأ من قدنا اليوم نشأة دينية حتى أن الأحكام المستعدين عجزوا عن حمله على

السكر ونحوه وهو في ربهان شبابه ، وغضاضة إهابه ، وقد كان مرة مع اسماعيل باشا المحتش واعوانه فأرادوه على الشرب معهم فامتنع فألقوا فاستعصم فأعطوه كأساً من الجمرة (البيرة) باسم « افندينا اسماعيل باشا » وحلفوا عليه به ليشرين فأصر على التمسك فاستكبروا ذلك منه وطلقوا يرجعون إليه القول ويسر إليه بعضهم ما يراه وراء هذا التمسك من عاقبة إهانة الاسم الكريم (اسم الحديو) فاستنحت له حيلة فتخلص فأخذ الكأس فأدناها من شفطيه فألقاها منقززا مكفهرًا وهو يتفل ويقول : قطعت البيرة وشاربها !! وكيف تشربون هذا الشيء المر البشع الطعم وكيف تليقونه : فقابوا ذلك بالضحك والسرور ولم يهودوا إلى عرضه عليه مثل هذه الواقعة بعدها بعض النابتة المنفرجة خشونة وحشية (وقلة ذوق أيضا) ولكن من أوتي نصيبا من الحكمة بعدها آية النبوغ الكبرى لأن شرب كأس الجمرة يهدم الدين لحفظ الرجل دينه بالامتناع عنه بل بدلاتها على قوة الإرادة وعدم المبالاة بلوم الآخرين في العمل بما يعتقد وإن كانوا كبارا فأنه هي دعامة الفضائل وأصل الكمالات التي يكون بها الرجال رجالا وولا هذه المزية لما كان حسن باشا عبد الرزاق ذلك الرجل القوي أحسن القول فيه أصحاب الجرائد التي تناهض عزبه السيامي الوطني وعدوه من أفراد الأمة العاملين الذي يقل نظيرهم وما يقولونه هم وغيرهم من المعارفين بأقدار الرجال بالسفهم أبلغ مما كتب وأكبر بموت هذا الرجل تكررت العبور التي ترشد الأمة والنابتة الجديدة منها خاصة إلى أن الشرف الحقيقي والمجد الصحيح لا يكونان للإنسان إلا بأخلاقه وصفاته النفسية ، لا بجماله ونسبه ، ولا بشيئته ونسبه ، ولا بأوصيته ورتبه ، فقد مات في هذه السنين الثلاث الأخيرة غير واحد من أكابر الأمراء والعلماء والاغنياء ولم تكتب الجرائد في أحد منهم ولا قال الناس فيهم مثل ما كتب وقيل في تأييد الاستاذ الامام ثم صدقته حسن باشا عام ثم صدقتهها حسن باشا عبد الرزاق على أنه كان لكل واحد من هؤلاء ساقية سياسية تقضي باحتواء بعض الجرائد وعدم إرخائها العنان للعلم في تأييدهم من رضاء أو مراعاة لهم في جانب منهم فوصف كل واحد منهم بما وصفته تلك الجرائد به لا يمكن أن يمد من قبل المبالغة بل كنا نعلم أن ما علم من فضلهم أكثر مما قيل وما كتب

خدم حسن باشا عبد الرازق أمته في حسن سيرته في قومه وفي مجلس الشورى
وفي تربية أولاده النجباء وسنبين ذلك في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى



الجرائد أحوال

(الجرائد اليومية في الاحتفال بالمنار)

علمنا أن بعض قراء المجلة في غير هذا القطر يحبون أن تنشر في المنار أحوال
الجرائد المصرية في الاحتفال بالمنار فرأينا أن نوافي المحب ولو ببعض ما يحب . وقد
كتبنا الجرائد الشهيرة شيئاً في ذلك قبل الاحتفال وبعده ولكننا لم نحفظه بل لم
نطلع على كل ما كتب . فما كتب قبل الاحتفال ما جاء في العدد ٢٢١ من الجريدة
الصادر في ٢١ شوال

عيد المنار

تهنيء « الجريدة » هذه المجلة الطيبة التي كم لها من موقف مشهور في الدقاق
عن الحقائق العلمية والمذاهب الثينة في أبواب الشرع الشريف . وكم لها من
التنبيه الرشيد على وجوب التمسك بالأدب العالية وببذ الثقاليد التي ما أنزل
الله بها من سلطان

تهنيء العلم وفن الكتابة في شخص مجلة المنار التي فتح الله عليها بالثبات
النادر لا مثلاً لها في الشرق فانها سنتم بعد الفد السنة العاشرة من عمرها . وندعو
لها بطول البقاء قائمة على خدمتها الارشادية حاملة على الدخائل التي ظن القوم انها
من الدين وليست منه في شيء . ولا شك في أن من يقف مثل هذا الموقف
غير المألوف عند المواقف كما وقف السيد محمد رشيد رضا نفسه على خدمة الحق من
غير مبالاة بصادف مصاعب - لولا اثبات - تذهب بزعيمه القائم بها . فمن يعلم مقدار

هذه الصعوبات كما نعلم لا يتردد في أن يزف التهنئة للمنار بمناسبة هذا العيد
وقد كان زميلنا الأستاذ اسماعيل بك عاصم أول الشاعرين بهذا الواجب
فانه قد توسع الاحتفال بهذا العيد اذ دعا الى منزله أصحاب المجلات العلمية
وكتابهاني مساء الخميس ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٠٧
فكسأل المنار ان يحية الله اعراساً كثيرة ونشكر ثبات منشئه على الحق وفصل
المحتفل على حسن اعتداده باقامة منارات العلم والعرفان
ثم كتب في الجريدة بعد الاحتفال ما يأتي (نقلنا عن المدد الصادر في ٢٦ شوال)

الاحتفال بمجلة المنار

لعمري كلمة واحدة على أن الديانات مصلحة للنفس ونافعة بها مناجي
الخير وكذلك اتفقوا على أن الديانات الثلاث المعروفة في ديارنا هذه لانقاذ
بينها في الحقيقة ونفس الأمر وإنما يوجد في كل متأخرة منها من أختها بعض
زيادات اقتضاها تدرج الانسان أو بعض تفاسير لما غرض من نصوص ما قبلها
لا خلاف في هذا بين أولي الألباب من أصحاب هذه الديانات على تحائف
رسومها الظاهرة وتقاليدها في تلقين العقائد الاسلامية كما لاخلاف بينهم في ان
التقاليد التي هي في كل دين بمسدة عن أصله وغريبة عن طبعه هي مضره بأهل
وان مقاومتها وازهاق روحها بعد اصلاحاً كبيراً في الأمم يستحق القائمون به
أعظم شكر وأجمل مكافأة أدبية

ولهذا الآن مثال جديد على ما قدمنا فان حضرة الأصولي الفاضل اسماعيل
بك عاصم خطري باله خاطر شريف وهو ان يقوم بخدمة جليلة للاصلاح بتكريم
أهله ووجد من المناسب لهذا ان يقيم احتفالاً لمجلة المنار الاصلاحية بأعمامها
عقداً من العمر (عشر سنين) فدعا لمنزله حضرات أصحاب المجلات العلمية
ومحرريها مساء يوم الخميس قبلوا دعوة وانتظام في منزله عتدم فيهم المسلمون
والمسيحيون والموسويون وقدم لهم مائدة فاخرة وبعد الطعام قام فألقى خطبة مبينة
حتى اذا أمما قام حضرة العالم الفاضل منشي المنار فأجابه بكلمات في مستوى
البلاغة فزاد رفته في أعين الحاضرين ذلك التواضع الذي اشتملت عليه هذه

الكلمات . وتلاه حضرة الدكتور يعقوب افندي صروف منشي المقتطف
فذكر في خطبته مثل ما قدمناه من فوائد الديانات اذا أحسن تفسيرها والقيام
بها حق القيام وتوه كثيراً بفضل منشي المنار وحسن خدمته الانسانية بخدمة الهيئية
ثم خطب الأديب توفيق افندي عزوز صاحب المفتاح لأجناد . ثم الأديب
سيد افندي محمد صاحب الهيئة المدرسية وذكر في خطبته ما لاقاه السيد رشيد
من المحويات في نهضة الحق وقال ان مخافتي المنار قد انتصوا به . وانتهت هذه
الحفلة باجماع الحاضرين وهم نحو عشرين قاضياً على ان ما قام به حضرة اسماعيل
بك من تكريم السلم على هذه الصورة يستحق أعظم شكران فخرجوا وهم بلسان
واحد يلهمون بالثناء ويتحدثون بأعنيانه بالعلم والعلماء
ونحن نشارك بشكر حضرة الفاضل اسماعيل بك ونتمنى ان تسري وتعم
هذه الروح الشريفة روح تكريم العلم بتكريم رجاله وزوجاته ان يكون محل
حضرة فائمة جيلة لأمثاله

وجاء في عدد الأهرام الذي صدر في غد يوم الاحتفال مانعه :
(حفلة أدبية)

أقام أمس في داره العامة حضرة الكاتب الفاضل والشامي المشهور
اسماعيل بك عاصم مادبة شائقة اكراما لحفلة المسالم الساميل السيد رشيد
رضا واحتفالاً بمرور عشر سنوات كاملة على مجلته المشهورة «المنار» وقد دعا الى
الحفلة أصحاب المجلات المصرية ومحرريها وألقى عليهم خطبة نفيسة ذكر فيها ما تر
السيد رشيد في مباحث مجلته الزهراء التي هي أكبر أمثلة الاجتهاد المتأني لتقليد
الجامد في الدينيات والدينيات وتطرق من ذلك الى ذكر خصال القومي اليه
لكريمة من فضل ونفيسة وآداب وبعد نظر والى مآثرته اياه مدة ثماني سنوات
شوالية . وبين ضرورة احتفاء الامة بأصحاب المجلات الراقية بها ووجوب تشجيعها
لهم وما يطالبون به ويرجون له ازاء ذلك من كشف الحقائق وتأييدها بالاصلاح
الوطني والاجتماعي

وجاء في آواخر الخطبة قوله :

«ومن أبدع ما رأيته ان سعادة العالم الفاضل أحمد فتحي باشا غفرل استشهد في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصحيفة السابعة بشذرات من فائحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها وحازت الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها »

ونحن نشي على حضرة الداعي والمذعو ونسأل الله أن يكثر من هذه الاربعية في صدور وجهائنا وفضلائنا

وجاء في جريدة الظاهر مانصه :

أرسل إلينا حضرة عزتو الأصولي البارع اسماعيل بك عاصم الحامي الشهير خطبته التي ألقاها في الحفلة التي أوعدها أخيرا في داره لعلماء الكتاب أصحاب المجالات المصرية ومحرريها بأتمام مجلة المنار لسنة الماشرة من عمرها . وقد افتتحها حضرته بمقدمة أمل فيها ان تكون الحفلة قاتمة لامثالا في المستقبل ثم استمر منها الى ذكر مجلة المنار وخدمتها العلمية والدينية واخلاق صاحبها وعلوه وأدبه مبينا ان تقدير العالمين تنفع الامة وخدمتها ونشجعهم على أعمالهم حسبا ومعنى مما يزيد في رقي البلاد وتقدمها وختمها بالشكر على الذين أجابوا الدعوة وحضروا الحفلة فنشكره أجل شكر على حسن ضيعة هذا وتوجو ان يقتدي به أدباء الامة وأفاضالها لتكون الفائدة أعم والنفع أتم

وجاء في المؤيد الذي صدر في ٢٥ شوال ما يأتي

احتفل حضرة القاتوني الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم الحامي أيلة الجمعة في داره بالمعاسية بدخول مجلة المنار في سنتها الماشرة احتفالا شائعا دعا اليه أرباب المجالات المصرية وبعد الطعام خطبهم حضرة المحتفل في فضل المجالات واستمر الى ذكر المجلة المحتفل بها وعدد فضل صاحبها فاجابه حضرة صاحب المنار بمبارات الشكر وأنشئ على وصفاته الحافزين أطيب الثناء ثم قام بعض أرباب المجالات وخطبوا أيضا بما يناسب وقيل من نصف الليل انصرف المدعوون داعين اصحاب المنار

ومحلك ومثني علي مروءة صاحب الدعوة ووفائه ومتواعدين أن يجتمعوا في خلال
هذا الشتاء اجتماعات أخرى للبحث فيما ينفع البلاد ويرقي شأن العلم فيها

وجاء في جريدة مصر في غد يوم الاحتفال ما نصه

الاحتفال الادبي الكبير

دعا حضرة الأصولي الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير مساء
أسس الى حفلة أدبية أقامها في منزله بالعاصمة لحضرات أصحاب المجلات العلمية
الأدبية المناسبة دخول مجلة المنار في صنفها العاشرة وتعميداً لمولادة هذه الاجتماعات
الأدبية لتكون واسطة في زيادة التألف والتعارف بين جماعة المشتغلين بالصعابة
قلبي دعوته جميع أصحاب هذه المجلات الا واحداً أو اثنين اعتذروا عن عدم
الحضور لأسباب قسرية فكان عدد الحاضرين منهم لا يقل عن العشرين
وكلمهم من كبار رجال الصحافة المشهورين وهم أصحاب المقتطف والحلال والمفتاح
والمنار والمقتبس ومجلة سر كيس والهدى وحكمت ومراة العلوم ومجلة الاجتهاد النورية
ولما انتظم عقد اجتماعهم أخذوا يبادلون عبارات التحية والمودة ويقبضون
في ما يرقى شأن مهنتهم ويملئ مكانتها ثم دعاهم حضرة المحتفل الفاضل الى قاعة
الطعام التي كانت في أبهى زخرفها وزينتها حيث اجتمعوا حول مائدة فاخرة على
الطراز الأوربي فتناولوا ما قد وطاب ثم انبرى الخطباء منهم وهم حضرات
اسماعيل بك عاصم والدكتور يعقوب صروف وفارس عمر صاحب المقتطف وتوفيق
افندي عزوز صاحب مجلة المفتاح والسيد افندي محمد صاحب مجلة الهدى والمجلة
المدرسية فتكلموا بما يناسب المقام فهنأ المحتفل به علي تقدم مجلته وارتقاءها
وأثنوا على حضرة اسماعيل بك عاصم الذي كان واسطة عقد هذا الاجتماع وعموا
جميعاً ان تكثر بينهم مثل هذه الاجتماعات الادبية المفيدة ثم نهض حضرة
الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار فأثنى على المحتفلين به جميعاً وأظهر لهم
خجله من احتفالهم به واكرامهم له عن غير جدارة واستحقاق ببارات كلها في
منتهى البلاغة وحسن التعبير ومن ثم انصرف الجميع وكلهم أسنة تلهج بالشكر

والثناء على صاحب هذه الحلقة بعد أن قرروا إعادة مثل هذا الاحتفال الصحافي مرة في كل شهر لما ينجم عن ذلك من الفائدة وانتفع

وجاء في القلم الذي صدر في غد يوم الاحتفال ما نصه :
أولم حضرة الخطيب الشير والاصولي الفاضل اسماعيل بك عاصم أمس مساء وليلة فاعرة في منزله بالعجاسة لحضرات أصحاب المجلات العلمية والأدبية في هذه العاصمة احتفالاً بدخول مجلة المنار القراء في صفها العاشرة ومدّ لهم مائدة مزدانة بالأنوار من دمشق وحلب وبيروت ولبنان وادار التذلل (هو بضمين خدم الدعوة) عليها ما قد وطاب من الطعام المتعدد الألوان ولما انتهى المدعوون من الشاء وقف معاذرة الفاضل صاحب الدعوة وسط جمع كله من رجال العلم وارباب القلم فخطب عليهم خطبة غراة رقانة نشرناها يومها في هذا العدد ليطمح القراء الحرام عليها . ثم وقف حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضى المحتفل به وورد على تلك الخطبة رداً كله انصاع واحترام بكلام قلّ ودلّ ووقع في النفس وقفاً حسناً وتلاه آخرون من المدعوين فخطبوا في مدح المحتفل والمحتفل به واظهروا فوائد مجلة المنار وشهدوا بالففضل لصاحبها الفضل ثم اتفق المدعوون على ان يجتمعوا للانس والسر وتوثيق عرى المودة والصداقة مراوا في هذا الشاء ويمشوا في غضون ذلك عن أحسن الطرق التي تنجم مساعيهم فيها لخير الجمهور ونفع أهل القطر

وجاء في جريدة المنبر الصادرة في ٢٧ شوال ما نصه :
فأنتنا أن نشير الى الاجتماع الأدبي الذي عقده في منزله مساء الخميس الماضي حضرة صاحب العزة اسماعيل بك عاصم الخطامي الشير احتفالاً بأتمام مجلة المنار القراء لسنة العاشرة من سني حياتها فقد كان جامعاً لنخبة أهل الفضل من أصحاب المجلات المصرية وحرر بها سافلاً بالشائق والمجيب من الآراء والافكار وقد استهل الاحتفال حضرة صاحب الدعوة بخطبة في اطراء حضرة المحتفل به وفي شؤن آخر ثم خطب على أثره بعض المدعوين في تكريم حضرة الأستاذ النافع صاحب المنار وتأثير المجلات العلمية في ترقية الافكار والآراء فمدح شفي على حضرة المحتفل وتثنى للمنار ولما اثر المجلات النافعة الحياة والقياد

فبشر جادى الدين يستمعون القول فينبهون أحمسته
أولئك الذين هداهم الله واتقوا لهم أول الألباب

المسحاة
١٣١٥

بؤنى الحكمة من يشاؤون في كتاب الحكمة قدرا ونمي
فبشر جادى الدين يستمعون القول فينبهون أحمسته

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصري القعدة سنة ١٣٢٥ — آخره السبت ٤ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٨ ﴾

كتابان سياسيان

الحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (١)

الاول أرسله من البصرة الى رئيس المهتدين في السامرة (مصر من رأى)
وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية أينما وجدت ،
وحينما حلت ، وضراعة تعرضها الأمة على نفوس زكية تحققت بها ، وقامت بواجب
شؤونها ، كيفما نشأت ، وفي أي قطر نبئت ، لا وهم العلماء فأحببت عرضه على الكل
وان كان عنوانه خاصاً ،

حبر الأمة ، وبارقة أنوار الأئمة ، دعامة عرش الدين ، والامان الناطق
عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة
الاسلام ورد كيد الزنادقة الامم

لقد خصك الله بالنيابة العظمى عن الحجة الكبرى واختارك من المصابة
الحقة وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الفراء وحراسة حقوقها بها
وصيانة قلوبها عن الزينج والارتياب فيها وأحال اليك من بين الأنام (وأنت
وارث الانبياء) مهام أمور تسد بها الملة في دارها الدنيا وتحفظ بالمعنى ورضم
لك أريكة الرئاسة العامة على الأقدسة والنهى إقامة لدعامة العدل وإدارة للحجة
المهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والدود عنها
والشهادة دونها على سنن من مضي

(*) منقولان من ترجمته في الجزء الأول من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن

وان الأمة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضعها وعاليها قد
أذنت لك بهذه الرئاسة السامية الربانية جائية على الركب خارة على الاذقان
نطاج نفوسها اليك في كل حادثة تمررها تطل بصائرنا عليك في كل مصيبة
تمسها وهي ترى ان خيرها وسعدها منك وان فوزها ونجاتها بك وان
أمنها وأمانها فيك

فاذا امح منك غص طرف ، أو نيت (١) بجانبك لحظة ، وأملت لها وشأنها لحظة ،
ارتجفت أفئدتها ، واخملت مشاعرها ، وانتكمت عقائدها ، ولتهدمت دعائم إيمانها ،
نعم لا برهان للهامة فيما دأبوا ، الا استقامة الخاصة فيما أصروا ، فان وهن هؤلاء
في فريضة ، أو قعد بهم الضعف عن اداية منكر ، لا عتور أولئك الظنون والالوهام ،
ونكص كل على عقبيه مارقا من الدين القويم ، عائدا عن الصراط المستقيم ،
وبعد هذا وذلك وذلك أقول ان الأمة الايرانية بما دهمها من عراقيل
الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتطاول الأجانب على
حقوق المسلمين ، ووجوم الحجة الحق (اياك أعني) عن القيام بانصرها وهو
حامل الامانة ، والمسؤول عنها يوم القيامة ، قد طارت نفوسها شعاعا ، وطاشت
عقولها ، وتامت أفكارها ووقفت موقف الحسيرة (وهي بين انكار واذعان
وجود وإيقان) لا تهتدي سبيلا وهامت في بيهاء المواجهين ، في عتمة الوسامين ،
ضالة عن رشدها لا تجد اليه دليلا ، وأخذ القنوط بمجامع قلوبها ، وسد دونها
أبواب رجائها ، وكادت ان تختار إياسا منها الضلالة على الهدى ، وتعرض عن محجة
الحق وتبعم الهوى ، وان آحاد الأمة لا يزالون يتساوون شاخصة أبصارهم عن
أسباب قضت على حجة الاسلام (اياك أعني) بالسبات والسكوت ، وحتم عليه
ان يطوي الكشح عن إقامة الدين على أساطينة ، واضطره الى ترك الشريعة
وأهلها ، الى أيدي زنادقة يلعبون بها كيفما يريدون ، ويحكمون فيها بما يشاؤون ،
حتى ان جماعة من الضملاء زعموا أن قد كذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء ،

(١) كذا في الاصل واليت هو التمايل من ضعف وفعله ككالم يكبل

وحسبوا الامر أحبولة الحاذق، وأسطورة المذق، وذلك لانها ترى (وهو الواقع) ان لك الكلمة الجامعة، والمجبة الساطعة، وان أمرك في الكل نافذ، وليس لحكك في الامة منابذ، وانك لو أردت تجمع آحاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة تفتق من كيان الحق الى صدور أهله) فترهب بها عدوا الله وعدوهم، وتكف عنهم شر الزنادقة، وتزيج مالحق بهم من العنت والثقل، وتشلهم من ضحك العيش الى ما هو أرعدوا منى، فيصير الدين بأهله منيعا حريزا، والاسلام بصحته وبيع المقام عزيزا،

هذا هو الحق. انك رأس العصاة الخقة (١)، وانك الروح الساري في آحاد الامة، فلا يقوم لهم قائم الا بك، ولا يجتمع كلنهم الا عليك، لوقت بالحق نهضوا جميعا وطعم الحكمة العليا، ولوقعت تبطأوا، وصارت كلمتهم هي السفلى، ولربما كان هذا الدير والدوران حينما غص جبر الامة طرفه عن شؤونهم، وتركهم هلا بلا راع، وجمعاً بلا رادع ولا داع، يقسم لهم عدوا فيما ارتابوا. خصوصاً لما رأوا أن حجة الاسلام قدوفى فيها أطبقت الامة خاصتها وعامتها على وجوبه، وأجعت على حظر الاقواء فيه (٢) خشية لقوبه، الا وهو حفظ حوزة الاسلام الذى به يد الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم والسعادة التامة. ومن يكون أبقى بهذه وأحرى بها من اصطفاة الله في القرن الرابع عشر، وجعله برهانا لدينه وحجة على البشر، أبها الخبر الأعظم، ان الملك قد وهنت مريزته، فسادت سيرته، وضفت مشاعره فقبحت سيرته، وعجز عن سياسة البلاد، وإدارة مصالح العباد، فجعل زمام الامور كايها وجزئيا بيد زنديق أثيم، غشوم ثم بعد ذلك زعيم... يسب الانبياء في المحاضر جهرا، ولا يذعن لشرعية الله أمرا، ولا يرى لروضاء الدين وقرا، يشتم العلماء، ويقذف الاقواء، ويهين السادة الكرام، ويهمل الرعايا مماقة اللئام، وأنه بعد رجوعه من البلاد الافرنجية قد خلع العذار، وتهاوى بشرب المقار، وموالة الكفار، ومصاداة الأبرار، هذه هي أفضاله الخاصة في نده... ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الابرانية ومناضها لأعداء الدين... المهادن،

(١) الخقة القاذرة والقوية والمراد طائفة العلماء لاصحاب المذهبين منهم (٢) الاقواء القوية

والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين تقوم البلاد ، والجانبات التي تنبى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تنسحب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول . . . تهر الكارون والفتادق التي تنشأ على ضفتيه الى المنبع وما يستقيها من الجنائن والمروج . . . والجادة من الاهواز الى طهران وما على أطرافها من المزارات والفتادق والبساتين والحقول . . . والتنايك وما يقبضه من المراكز ومجالات الحفرث ويوت المستحفظين والمسلمين والبائسين في وجد وحيث فيت ، وحكر الغنم للخمور وما تستزمره من الحوانيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد ، والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المامل ، والبنك وما أدراك ما البنك هو اعطاء زمام الأهالي كلية بيد عضو الاسلام واسترقاقه لهم واستملاكه اياهم وتسليمهم له بالرئاسة والسلطان ،

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي العامة براعي برهانه فخلق قائلا ان هذه معاهدات زمانية ، ومقاولات وقتية ، لا تطول مدتها ازيد من مائة سنة !! بالله من هذا البرهان الذي سوله خرق الخائنين ، وعرض الجزء الباقي على الدولة الروسية حقا فسكوتها (لو سكنت) مرداب رشت وأخر الطيرستان والجادة من أنزل الى الخراسان وما يتعلق بها من الدور والفتادق والحقول . . . ولكن الدولة الروسية شخت بانفها وأعرضت عن قبول تلك الهدية ، وهي عازمة على استملاك الخراسان والاستيلاء على الأذربيجان والمازندران ان لم تنحل هذه المعاهدات ولم تفسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاك العدو اللد ، هذه هي النتيجة الاولى لسياسة هذا الاخرق ،

وبالجلة ان هذا المحرم قد عرض اقطاع البلاد الايرانية على الدول يبيع المازاد ، وانه يبيع عمالك الاسلام ودور محمد وآل اعليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لحسة طبعه ودنائة فطرته لا يبيعهما الا بقية زهيدة ودرهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت القنائة والشره بالحياة والسفه)

وانك أيها المحب ان لم تقم بناصر هذه الأمة ولم تعجم كلمتها ولم تنزعها بقرة الشرخ من يد هذا الأثم لم تصبح حوزة الاسلام تحت سلطة الأجانب (بحكون

فيها بما يشاؤون ويفعلون ما يريدون) ، وإذا فانتك هذه الفرصة أيها الحبيب ووقع الامر وأنت حي لا أبقى ذكرا جيلا بعدك في صحيفة العالم وأوراق الثوار يخ... وأنت تعلم أن علماء الايران كافة والامة بأجمعهم ينتظرون منك (وقد خرجت صدورهم وضائق قلوبهم) كلمة واحدة ويرون سعادتهم بها ونجاتهم فيها... ومن خصه الله بقوة كعده كيف يسوغ له أن يفرط فيها ويتركها سدى ،

ثم أقول للحجة قول خير بصير ان الدولة الثمانية تنجح بنهضتك على هذا الامر وتساعدك عليها تعلم أن مداخله الأفرنج في الاقطار الإيرانية والاستيلاء عليها تجلب الضرر الى بلادها لا محالة ، وان وزراء الايران وأمرائها كلهم يهتمون بكلمة نبيص بها في هذا الشأن لأنهم بأجمعهم يهافون هذه المستعجلات طبعا ، ويسخطون من هذه المقاولات جبلة ، ويمجدون بنهضتك مجالا لا بطلاها ، وفرصة اكف شر الشر الذي رضي بها وقضى عليها ،

ثم ان العلماء وان كان كل صدع بالحق وجبته هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن ردعهم للزور وزجرهم عن الخيانة ونهرهم المجرمين ماقرت كداسة المحدثات قرارا ، ولاجمتها وحدة المقصد في زمان واحد ،

وهؤلاء لثقاتهم في مدارج العلوم وشا كلهم في الرئاسة وتساوهم في الرتب غالبا عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض ولا يصير أحد منهم اهفقا للآخر ولا يتم بينهم تأثير الجذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره ، وكل يردع الزور وهو في مركزه ، (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المذكر والبغي) . وأنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت من الدرجة السامية والمثولة الوفيعة علة فذالة في نفوسهم ، وقوة جامعة لقلوبهم ، وبك تنضم القوى المنفرقة الشاردة ، وتلتئم القدر المثبته الشادة ، وان كلمة منك تأتي بوحدانية ثامة يحق لها أن تدفع الشر المحرق بالبلاد ، وتحفظ حوزة الدين وتعضد بيضة الاسلام فالكل منك وبك واليك .. وأنت المسؤول عن الكل عند الله وعند الناس

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته قد قاموا

من ذاك القتل شذائد ما سبق منذ قرون لها مثيل ، ونحملوا لصيانة بلاد المسلمين عن الضياع وحفظ حقوقهم عن التلف كل هوان وكل صفار وكل فضيحة .
ولا شك أن حبر الامة قد سمع ما فعله أدلاء الكفر وأعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدر بندي . وسمع قريباً ما صنعه الجفاة الطغاة بالعالم المجهتد التقي البار الحاج السيد علي أكبر الشيرازي ومنحبطهما بما فعله بحماة الملة والامة من قتل وضرب وكى وحبس . ومن جهلهم انساب الصالح الميرزا محمد رضا الكرهاني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والاربيب النقيب الميرزا محمد علي خان والفاضل المتقن اعتماد الساعلة وغيرهم .

وأما قصتي وما فعله ذلك الكنود الظلوم معي ، فما يفت أ كباد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوي الايمان ، ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الاوثان ، ان ذاك الاثم امر بسحبي وأنا متحصن بمحضرة عبد العظيم عليه السلام في شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان و صفار و فضيحة لا يمكن أن يصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والفار) « ان الله وانا اليه راجعون »

ثم هلفي زبائنه الاوغاد وأمر بض على بردون مسلا في فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزهريرية وساقني جحفة من الفرسان الى خانقين وصحفي جمع من الشرط . . . ولقد كاتب والي من قبل والنفس منه أن يمدني الى البصرة عطمانه أنه لو تركني ونفسي لا ينك أبها الخبر ويثبت لك شأنه وشأن الامة وشرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق ، ودعوتك أيها الحجة الى عون الدين ، وحملتك على إغاثة المسلمين ، . . . وكان على يقين اني لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبق على دست وزارته الموءسة على خراب البلاد ، وهلاك العباد ، واعلاء كلمة الكفر وبما زاده لوءما على لوءمه ودناءة على دناءته أنه دفعا ثروة العامة وتسكيناً لهماج الناس نسب تلك المصيبة التي ساقها غيره الدين وحمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البائية . . كما أشاع بين الناس أولاً (قطع الله لسانه) اني كنت غير

مختون (وا إسلاماه) ما هذا الضيف؟ ما هذا الوهن؟ كيف أمكن أن صعلوكاً
ذو النسيب، ووغدا خصيس الحسب، قد ران يبيع المسلمين وبلادهم بشمن بخص
دراهم معدودة ويزدري بالعلماء ويهين السلالة الممهطوبة ويهين السادة المرغوبة
البهتان العظيم، ولا يد قدرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء ان يظ الموتى منين،
وانتقاماً لآل سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام .

ثم لما رأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرة العالمة أمسكت عن بث الشكوى
ولما قدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر الى البصرة طلب مني ان اكتب
الى الخبر الاعظم كتاباً أثبت فيه هذه الفوازل والحوادث والكوارث فبادرت اليه
امثلاً، وعلمت أن الله تعالى سيجدث بيدك أمراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
السيد الحسيني

.....

(يقول محمد وشيد) إن هذا الكتاب نفخ روح الحماسة والغيرة في ذلك
العالم العظيم صاحب النفوذ الروحي في الامة الفارسية فأفني بحموة استعمال التباك
وزراعتة واذاع العلماء فتواه بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتي قيل
ان الشاه طالب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوى الى طهران النارجيله (الشيشة)
فقيل له انه ليس في القصر تباك لاننا اتلفناه فسأل عن السبب مبهوتاً فقيل له:
فتوي حجة الاسلام: فقال لم تستأذني؟ قيل انها مسألة دينية لا حاجة فيها
الى الاستئذان !! واضطر بعد ذلك الى توضيحية الشركة الانكليزية على أن تأخذ
انصف مليون جنيه وتبطل الامتياز . وبهذا اتقد السيد جمال الدين بلاد ايران من
احتلال الانكليز لها باطال مقدمته وهو ذلك الامتياز أو الامتيازات التي قرأت
شرحها في كتابه فمكذبا تكون الرجال ومكذبا تكون العلماء

هكذا هكذا والا فلألا ليس كل الرجال تدعي رجالا

وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس ثم الظهور بما كان قاب نظام
الحكومة وهولها عن الاستبداد المطلق الى الشورى . ولعل تلك الحادثة هي
المنبه الاول للعالم الى ان الامر في ايديهم . فالسيد جمال الدين علي هذا هو

العامل الاول في هذا الانقلاب كما أنه سبب الانقلاب الذي حدث في مصر فان
 همل جمعيته كان اول سعي في مقاومة سلطة اسماعيل باشا وتقويضها وفي نفع روح
 الاصلاح في توفيق باشا حتى واثق السيد وخاصة بأنه اذا آل الامر اليه ليؤسس
 مجلس نواب وليعلمن وليعلمن . ولكن تداخل الجند في السياسة أفسد العمل بذلك
 ولم يكن نجاح العلماء بسعيه وارشاده في ابطال تداخل الاجانب في بلاد
 فارس هو المنبه وحده ليكون سلطة العلماء والامة فوق سلطة الملوك بل كان تمام
 الذنبه قتل الشاه بعد ذلك وما قيل من ان قاتله من اتباع السيد جمال الدين
 لم يكتب السيد بتحريض كبير للجهلدين وسائر العلماء على الشاه ووزيره
 ولا بنجاحه في نديهم له بل ذهب من البصرة الى أوربا وطفق يطمئن فيها بالقول
 والكتابة وقد أسس هناك مجلة شهرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية باسم
 (ضياء الحاقين) أو سمي في تأسيسها وكان يكتب في كل عدد منها مقالة في أحوال
 فارس بموقعه المعروف (السيد) أو (السيد الحسيني) وكان الكلام في مصر من أهم مباحثها
 وقد فصح في مقالاته عن بلاد فارس حكومتها وشاهاها شر فضيحة حتى جاءه
 سفير المعجم في لندره يستميله ويسترضيه ليكشف عن الكلام والكتابة في ذلك
 وعرض عليه مالاً كثيراً فقال له السيد «لا أرضى الا أن تزهد روح الشاه ويقهر
 بطنه ويوضع في القبر» فكان هذا القول من الشبه على كون القاتل له من أتباع
 السيد . وانا نورد هنا بعض ما كتبه في ضياء الحاقين عن بلاد فارس تلميذاً
 له في التاريخ . وهاك ما كتبه في المدد اثنائي تحريضاً للعلماء على خلع الشاه والقيام
 بشؤون الامة . وهذا المدد صدر في أول مارس (آذار) سنة ١٨٩٢

بلاد فارس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حجة القرآن ، وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ، ونصراء الشرع المبين ،
جنود الله الغالبة في العالم ، وحججه الدائمة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا
محمد حسن الشيرازي . وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي ، وجناب الحاج
الميرزا أبي القاسم الكر بلائي ، وجناب الحاج الميرزا جواد الاقا تبريزي ، وجناب
الحاج السيد علي اكبر الشيرازي ، وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي ،
وجناب الميرزا حسن الأشثاني . وجناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء .
وجناب الحاج آقا محسن العراقي ، وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني ،
وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي . وسائر هداة الأمة . ونواب الأمة .
من الاحبار العظام ، والعلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين ، وأرغم
أوف الزنادقة المتعجبين ، آمين

طلما نالت الامم الافرنجية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها
وشرها . ولكم سولت لها ما نبتا خدعا تمكنها من الولوج في ارجائها وتمهد فيها
سلطانها على غرة من اهلها تحاشيا من المفارقة التي تورث الضعائن فتبث النفوس
على الثورة كلما سمحت لها الفرص وقضت بها الفترات . ولكنها علمت ان بلوغ
الارب والملك في عز ساطعهم ضرب من المحال لان القلوب تهوي اليهم طرا ،
والناس جميعا طوع يدعهم يا تمرون كيفما امرؤا ، ويقومون حينما قاموا ، لا مرد
لقضائهم ، ولا دافع لحكمهم ، وانهم لا يزالون يدأبون في حفظ حوزة الاسلام
لا تأخذهم فيه غفلة ، ولا تنروم غره ، ولا تمد بهم شهوة ، فخنست وهي تنو بص
بهم الدوائر ، وتفرق الحوادث ، ايم الله انها قد اصاب فيمارات ، لان العامة
لولا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لانجأت بطيب النفس الى الكفر واستقلت
بلوائه خلاصا من هذه الدول الدالية الجائرة المحرقى التي قد عذمت القوة ، وفقدت

النصف، وانفت الهامة، فلا حازت منها شرقاً، ولا صانت بها نفسها حقاً، ولا
انشرح منها صدرها فرحاً.

ولذا كلما ضعف قوة العلماء في دولة من الدول الاسلامية وثبت عليها طائفة
من الافرنج وجمعت انبياء، وطلمست رسمها،

إن سلاطين الهند وأمراء ما وراء النهر جددت في إذلال علماء الدين فساد
الو بال عليهم سنة الله في خلقه... وان الافغانيين ماعاوا بلادهم عن أطماع
الأجانب وما دفروا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد
كانت في نصابها *

ولما تولى هذا الشاه (الخارية «١» الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء
تدريجاً ويخفف شأنهم ويقل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد يباطل أوامره ونواهيه،
وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره، فطرد جملاً من البلاد بهوان، ونهته فرقة
عن إقامة الشرع بصفار، وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والحرق (طهران)
وقهرها على الإقامة فيها بذل فخلاله الجو فقهر العباد وأباد البلاد وتقلب في
أطوار الفظائع وتجاهر بأنواع الشنائع وصرف في أهوائه اللذنية وملاذه البهيمية
مامصه من دماء الفقراء والمساكين عصراً ونوح من دموع الأراذل والأيتام
قهرًا (بالاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغداً خسيساً ليس له دين يردعه
ولا عقل يوجهه ولا شرف نفس يحثه وهذا المارق ماقعد على دسسته الا وقام
بإبادة الدين ومعاودة المسلمين وساقته دناءة الأرومة ونذالة الجرثومة الى
بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيدة *

نحسبت الأفرنج ان الوقت قدحان لاستملاك الأقطار الإيرانية بلا كفاح
ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذرون عن حوزة الاسلام قد زالت
شوكتهم ونفذ نفوذهم فهرع كل غراً فاه يبغي أن يسرط قطعة من تلك الممالك *
فغار الحق وغضب على الباطل فدمغه فخاب مسماه وذلل كل جبار عنيد.

(١) هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه مسها ونفسها وهي أختب الاطاعي

أقول الحق إنكم بأياها القادة قد عظمت الاسلام منكم وأعليتم كلمته وملأتم
القلوب من الرهبة والهيبة . وعلت الأجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة
لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سياج البلاد ويحكم أزمة البلاد ولكن قد عظم
الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت بجبرائلكم وحرموا على
الوصول الى النهاية . وأزمت على اغراء ذاك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة
من البلاد . وأبانت له ان اقتاذ الأمر انما هو باقتياد قواد الجيوش وان القواد
لا يهضمون العلماء أسرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاستبواب الحكومة استبدالهم
بقواد الأفرنج . وأرت لذلك البليد الخائن رأسه الشرطة بقيادة فوج (١) القزاق
نمودة (كنت واضرا به) . وان ذاك الزنديق وزملاءه في الاتحاد يمدون الآن
في جلب قواد من الأجانب . والشاه مجنونه المطبق قد استعصم هذا وهزبه طر به
لعن الله لقد تحالف الجنون والزندقة وتعاهد الله والشره على محق الدين
واضلال الشريعة وتسليم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مناقرة
يا هداة الأمة انكم لو أهملتم هذا الفرعون القليل ونفسه وأهملتموه على سريره
جنونه وما أمرتم بخلعه عن كرسيه لفضي الأمر فسر العلاج وتصور التدارك .
أنتم نصراء الله في الأرض . ولقد تمصت بالشرية الالهية نفوسكم عن
أهواء دنية نبت على الشقاق وتدعو الى التفاق ويئس الشيطان بقذافات الحق
عن فريق كل منكم . فأنتم جميعا يد واحدة يذود بها الله عن صياحي دينه الحصينة
ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة . وان النار كافة (الامن
قضى الله عليه بالخيبة والخسران) طوع أمركم . فلو أعلنتم خلق هذا (الحارثية)
لأطاعكم الأمير والحفير وأذن لحكمكم النبي والفقيه (ولقد شاهدتم في هذه
الآزمان حيانا فلا أقيم برهانا) خصوصا وان الصدور قد خرجت وان القلوب
قد فطرت من هذه السلطنة القاسية الحق التي ماسدت ثغورا ولا جندت جنودا
ولا عرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزت كلمة الاسلام ولا أراحت يوما

(١) يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من العسكرية التي يطلق عليها الترك
لفظ طابور (وحرابه بالعربية تابور) ويطلق عليها في مصر لفظ أودط وهي أعجوبة

ما قلوب الأنام بل دمرت وأقوت وأقوت وأذلت ثم بعد ضلت وارتعت
وأما سمعت عظام المسلمين وعجبتا بدمائهم فعملت منها البنايات (١) بنت بها قصورا
شهوراتها الدينية . هذه آثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة فصلاها
وثبت يداها *

وإذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة يفص بها لسان الحق غيره على دينه)
فلا ريب أن الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الحيدان عن أوامرهم الإلهية
ولا يسهل إلا الخضوع ببيتكم عتبة الشريعة المحمدية كيف لا وهو يري عيانا ما لكم
من القوة الربانية التي تملكون بها الطاعة عن كرمي غيا . وإن العامة قد سمعت
بالملل تحت سلطان الشرع ازدادت بهم ولما وحامت حولكم هيما وصارت
جميعا جندا لله وحزبا لأوليائه العلماء *

ولقد وهم من ظن أن خلع هذا (الحارثية) لا يمكن إلا بهجات السما كرو
وطاقت المدافع والقناير . ليس الأمر كذلك . لأن عقيدة إيمانية قد رسنت في
النفوس ، وتمكنت من النفوس ، وهي أن الراد على العلماء راد على الله (هذا هو
الحق وعليه المذهب) فإذا أعلنتم (بإحالة القرآن) حكم الله في هذا القاصب
الجانث وأبتم أمره فمال في حرمة إطاعته لا نفص الناس من حوله فوقع الخلع بلا
جدال ولا قتال *

ولقد أراكم الله في هذه الأيام إنحاما لجبعته ما أولاكم من القوة التامة ،
والقدرة الكاملة ، وكان الدين في قلوبهم زبغ في ريب منها من قبل . اجتمعت
النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون الدليل وهامانه الرذيل (مسألة التنبك)
فصبغت الامم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذها وبهت الذي كفر . قوة
أنفسها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام . فهل يجوز منكم إهمالها
وهل يسوغ التفريط فيها ؟ حاشا ثم حاشا *

قد آن الوقت لأحياء مراسم الدين ، واعزاز المسلمين ، فاطفئوا هذا (الطاغية)
قبل أن يفتك بهم ، وبهتكم اعراضكم ، وبتم سياج دينكم ، ليس عليكم إلا أن تعلموا

على رؤوس الاشهاد حرمة إطاعته فإذا يرى نفسه ذليلاً فريداً يفر منه بطاقته
ويفر منه حاشيته ويذنه المساكين ويرجمه الأصاغر *

انكم يا أيها العلماء والدين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم
قد كسرت قرن فرعون بهما الحق وجدعتم أنف الحارثية بسيف الشرع فهو
يتربص فرصاً تساعده على الانتقام شقاء لفيظه ومرضاة لطبيته التي فطرت على
الحقد والبجاجة فلا تهلوه أياماً ولا تمكنوه أن يقبض زماماً اعلموا خله قبل
اندمال جرحه *

وحاشا لكم أيها الراسخون في العلم أن ترتبوا في خلع رجل ساطانه غصب
وأفعله فسق وأوأصره جور وأنه بعد ان مهن دماء المسلمين ونهش عظام
المساكين وتوك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جزونه ان يملك
الأجانب بلاداً كانت للإسلام عزاً وللدين المتين حرزاً وساقته صورة السفه
الى اعلاء كرامة الكفر والاستغلال بلواء الشرك *

ثم أقول ان الوزاء والامراء وعامة الاهالي وكافة المساكين وأبناء هذا
(الطائفة) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفذ جلدكم) كلمة واحدة
حتى يخلصوا هذا الفرعون الذليل ويريموا العباد من ضره ويصونوا حوزة الدين
من شره قبل أن يحل بهم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

﴿ السيد الحسيني ﴾

(يقول محمد وشيد) ان العلماء من الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأعاجم
ما ليس لهم في البلاد العربية وان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه في سائر بلاد
العجم فان الحكم ليس لهم عليهم من الساطة هناك مثل ما لغيرهم من حكام المسلمين وما
أزال الملوك والأمراء احترام العلماء ويحذفونهم - حاشا ما كان منه مؤيداً لهم ومعنوياً
لاستبدادهم - الا بما اخترعوه لهم من الرتب العلمية وكساوي الشرف الوهمية وبما
جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم - فصار رزق العالم وجاهه الديني بيد الأمير
أو السلطان وهما الرئاسان اللذان يودون بهما طائب المال والجباة من العلماء الى حيث
شاؤا - فاذا أمكن لطلاب الإصلاح الاسلامي أن يطلبوا هذه الرتب العلمية

ومالها من الشارات ويخرجوا أرزاق علماء الدين من أيدي الحكام فانهم يحجرون العلماء من رقي يكون مقدمة لاصلاح الامة كلها

الاسلام دين اجتماعي جمع بين مصالح الدنيا والآخرة وقد عبث الحكام المستبدون في أهله بانتحال الرياسة فيه على كونهم قد أبطلوا اشتراط العلم الديني وغيره في الخليفة وفي السلطان والوالي بالأولى ثم جعل بعضهم الاحكام والأعمال والمناصب قسمين شرعية خاصة علماء الشرع كالتقضاء فيما يسمونه الامور الشخصية وغير شرعية وهي سائر الاحكام القضائية والادارية والسياسية ولا يشترطون في اعمال هذه الاحكام والأعمال معرفة شيء من أحكام الشرع ولا الأخذ بشيء من أمر الدين كما أنه لا يشترط في الحاكم الاعلى من أمير أو سلطان ان يكون قد تاق علم التوحيد والفقه فضلاً عن التفسير والحديث . ومع هذا كله يجعل هذا الحاكم رئيساً دينياً ويجعل أمر علماء الدين في يده فهو الذي ينم عليهم بالرتب العلمية التي يعدها بها بعضهم فوق بعض في الدين وعلومه من غير مبالاة بالقاعدة المشهورة التي لا يختلف فيها عاقلان وهي « فاقد الشيء لا يعطيه » فلها صار الدين أمراً ثانوياً في أكثر بلاد المسلمين لا يحترم عند حكامه الا بقدر تعلق العامة به على حسب ما عليه العادة كالاحتفال بالمواسم الدينية والمنتدعة ينهمل ركن من اركان الاسلام كالزكاة فلا يبالى به الحكام الذين جعلوا انفسهم رؤساء للدين ويسكت معهم العلماء عن ذلك فلا يقومون بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سياج الدين لانهم على قسمين قسم مرتبط بالسلطين والأمراء فهم تابعون لهم وقسم لاشأن له فهو يستصغر نفسه ان تقوم بالدعوة الى احياء الدين فاذا عرف لنفسه قيمة وظهر بالدعوة فطفت العامة تحترمه ففحه الأمراء بشيء من الدنانير التي قاموا على خزائنها - وهي الامة لاهلهم - وألقوا في عنقه ورأسه طوقاً من الفضة او الذهب (علامة الشرف) فكان لهوام من المنقادين

فلا صلاح للاسلام الا باستقلال العلماء وعدم ارتباطهم في التعلم والتعليم والارشاد ولا في الرزق بالامراء والسلطين كما تقدم

كتابان سياسيان

✽ للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ✽

﴿ أو مطالب مصر من انكلترا ﴾

للمستر بلنت الانكليزي المستشرق الشهير كتاب سماه (التاريخ السري للاحتلال) جاء في الطبعة الثانية منه ترجمة كتابين ارسلهما اليه صديقه الاستاذ الامام جوا بآعن أسئلة سأله عنها وقد ترجمتهما جريدة الاواء عن الانكليزية الى العربية ونقلهما عنها المؤيد وهذا نص الجريدان :

سأل المستر « ولفرد سكاون بلنت » المرحوم المفتي رأيه في الحال السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه فأجابه فضيلته على ذلك السؤال في كتاب بعثه له في يوم ١ مايو سنة ١٩٠٤ هذا نصه « ان رأيي في الادارة المصرية اذ بقيت الحدبوية في عائلة محمد علي هو كما يأتي ١ — أول وأهم قاعدة أساسية في تلك الادارة هو انه يجب أن لا يكون للعناب الحدبوي أي سلطة تخوله التدخل في أعمال الهيئات التنفيذية للمنظارات ولا ادارة الارواق والازهر ولا المحاكم الشرعية بمعنى أنه لا ينبغي أن يجعل لتدخله الشخصي أو ما في الادارة المصرية مطلقا

٢ — ويجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي بوجه التقريب ولكن على نظام اقوم وترتيب أمثل منه وينبغي أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانكليز في الحكومة المصرية في سلك أعضائه ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة

٣ — وينبغي أن توضع حدود التدخل السلطات التنفيذية الذي يدعيه الموظفون الانكليز كالمستشارين وغيرهم لانفسهم حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا ارادة لهم ولا رأي يبدونه من تلقاء أنفسهم

٤- وأن يشكل مجلس ادارة في كل نظارة من النظارات كالحقانية والداخلية مثلا
 ينتخب اعضاؤه بواسطة المجلس العام المتقدم الذكر وتكون وظيفة كل مجلس من
 هذه المجالس الادارية البحث في تفصيلات المسائل المهمة ووضع المشروعات
 والقوانين والنظامات لكل مصلحة من مصالح الحكومة
 ٥- وأن يوضع قانون لنظارة المعارف يكون اجباريا بالنسبة للشؤون المتعلقة
 بالمعارف العمومية والتعليم وينبغي أن يخصص قسم من الدخل العمومي لقيام
 بنفقات التعليم يكون كافيا لفتح مدارس للتعليم العام وأخرى للتعليم الفني تكفي
 لسد حاجات البلاد

هذا هو رأيي بوجه عام قد ابديته لكم

فكتب له المستر « بلنت » بعد ذلك بشهرين يسأله أن يتوسع في آرائه هذه
 ويضع نموذجاً للدستور الروم دخاله في مصر فأجابه الى طلبه بطول روية ومشاورة
 أصدقائه في ذلك وأخذ آرائهم في هذا السؤال وسؤال آخر عرضه عليه المستر
 بلنت أيضاً يتعلق بما ينبغي أن يتخذ من الاحتياطات ضد ما يتوقع حدوثه من
 عدم ثقة الجناب الخديوي بالدستور كما وقع على عهد المفقور له والله مما قضى
 على الآمال الوطنية واستنصر منه أيضاً عما اذا كان من الممكن أن يقبل المصريون
 تعيين أمير أوروبي بصفة وال تحت سيادة جلالة السلطان اذا صاحب الحصول على
 أمير من العائلة الخديوية منشعب نشباً تاماً من الانكار الدستورية
 فلجاب المرجوم المتقي على جميع ذلك بالكتاب الآتي

صديق العزيز المحترم

أهديك عظيم تحفي وأعذر لك عن إبطائي في الرد على كتابك المودع في ٨
 ونيه فاني كنت مشغولاً جداً بالامتحان في مدرسة المعلمين والازهر وغيرها ولم
 أجد وقتاً خالياً لأجيبكم فيه على كتابكم هذا لاسيما وان موضوعه دقيق للغاية
 ويسوزه مزيد نور ودقيق نظر

وقد فكرت طويلاً وتناكرت مع بعض أفاضل المصريين فوجدتهم مجمعين
 على أن من أول الضروريات لحسن الادارة المصرية هو قيام الحكومة

الانكليزية بضمانة النظام في البلاد وكفائه ومعنى ذلك أنها تراقب استنباها
والحفاظة على استمراره وعلى الدستور الذي يمنح له وان لا تدع ذلك الدستور
عرضة لتداخل الخديويين

ومني تمت هذه الضمانة ومنح الدستور لا تبقى حاجة الى نزع سلطة الحكم
من عائلة محمد علي ولا الى تعيين أمير أوروي لا سيما وان تعيين أمير أوروي
لا يصادف قبولاً من الاهالي ولا يساعد على تحسين حالتهم
أما من جهة الدستور فينبغي أن يراعى فيه ما أذكره الآن من المسائل
الآتية بصفتها خاصة

١ أن تناط جميع شؤون الحكومة بسلطة أو أخرى (كذا) من
السلطينين الآتين :

أولاً - تناط بسلطة تشريعية تسن القوانين الادارية والقضائية

ثانياً - تناط بسلطة تنفيذية تكلف بتنفيذ تلك القوانين وان تمحصر السلطة
التشريعية في مجلس نواب أو وكلاء يزيد عدد اعضائه عن اعضاء مجلس
الشورى الحالي وتكون دائرة اختصاصاته الحالية بحيث تحتم قراراته وتكون
واجبة للتنفيذ وأن لا يسمح للوزراء بطعن احترامها أو معارضة ما كانت ظروف الاحوال
وهذا المجلس هو الذي يسن القوانين كافة وتنتخب الوزارة من بين اعضائه
وان تمحصر السلطة التنفيذية في الوزارة التي تخول حق تقديم مشروعات
القوانين بحيث لا تتأثر بسنها وحدها لان حق سنها هو من اختصاص مجلس النواب
٢ وان تناط جميع مسائل الحكومة التي ليس لها ارتباط بسن القوانين
بالوزارة بما في ذلك منح الرتب والاشين وأن لا يترك من اشغال الحكومة شيء
مطلقاً للجناب الخديوي وأن يناط بها أيضاً أمر المصالح المختصة باتتاعيم الديني
وغيره والمحاكم الشرعية والاهلية وتوزع الرتب والناشين دون أن يسمح لسهوه
بأي تدخل فيها مطلقاً

٣ واذا فرض وكان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرءوسون من
المصريين فانه فينبغي أن يطلعي هؤلاء المرءوسون المصريون أو الوزراء الاتاليون

سلطة تسمح لهم بان يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك
نعت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد العرب
في أيديهم كما هو الحال الآن

ويفني أن تلغي وظائف جميع المنشارين اكتفاء بهؤلاء الوزراء وفي
هذه الحالة تقضي الضرورة بان يكون رئيس الوزراء مسلماً بحيث يكون مركزه
الرسمي محدوداً بوظيفة الرئاسة دون أن يشغل رئاسة نظارة من نظارات الحكومة
و ان يكون جميع الموظفين الآخرين في الحكومة من المصريين أعني أن
المديرين ووكلاء المديرات وقضاة المحاكم الاعلية ابتدائية كانت أو استئنافية
وأعضاء النيابة وغيرهم يكونون مصريين ويجوز تعيين انكليز كفتشين وتعيينهم
أيضاً في بعض وظائف في المصالح الهندسية والمعارف وفي الوظائف الصناعية
التي يحتاج الامر فيها الى معارف خاصة حين لا يوجد فيه مصري تتوفر فيه
الاحاطة بتلك المعارف الفنية

على أنه يجب على كل حال أن يحضر عمل أولئك الموظفين الاجانب فيما
هو داخل ضمن دائرة اختصاصاتهم فقط وأن يكونوا خاضعين لمراقبة الوزراء
بحيث لا يتحولون أقل سلطة ادارية أو قضائية تفغي الى اضافة نفوذ الموظفين المصريين
(هـ) وان يتحول أعضاء مجلس النواب الحق في أن يسألوا النظار عن تنفيذ
القوانين وينقدونهم على ما يفرط منهم من الخطأ أو يقع من الخلل في الاعمال
وينحتم على النظار أن يبينوا أسباب ما يقومون به من الاعمال واذا وقع خلاف
بين النواب والنظار يبر كل أمر حل ذلك الخلاف الى لجنة تشكل من خمسة
أعضاء من مجلس النواب ينتخبون بالاقتراع السري وخمسة آخرين من أعضاء
محكمة الاستئناف ينتخبون مثاهم بالاقتراع السري ورئيس المجلس ورئيس النظار
ورئيس محكمة الاستئناف ويكون حكم هذه اللجنة بالاغلبية المطلقة
ومجوز زيادة أعضاء هذه اللجنة باضافة أعضاء آخرين عليها من مجلس
النواب ومحكمة الاستئناف

واني أعتقد أنه اذا وضع نظام دستوري على هذا النمط وضمته الحكومة

الانكليزية لتمام بحاجة البلاد ولغات حكومتها استقلالاً لم تعرف له مثيلاً
وينبغي أن لا تنسى إعادة تنظيم شؤون المعارف والتعليم فإن هاتين المسألتين
هما من أمس الأمور التي يبدأ مجلس النواب بمباشرة الاشتغال بها الأعضاء
محمد عبده

وبعد فراغه من هذا الكتاب وضع في ذيله الحاشية الآتية
قد نسيت أن أنسلكم على الحرية فأقول ان السردار الانكليزي وبعض
ضباط الانكليز يقولون في الجيش المصري ولكن يجب أن يشغل المصريون ما بقي
من وظائف الجيش وإذا فرض وقامت بعض صعوبات بشأن ذلك ورأت الحكومة
الانكليزية وجوب وجود قواد انكليز فيه أعني « باشاوات » فلا ضرر في ذلك

قول المنار في الكتابين

قد كثر حديث الناس في هذين الكتابين لما نشر في جريدة اللواء ثم المؤيد
وغيره ثم اتسع مجال الآراء فيما بعد أن استنبط اللواء منهما ما استنبط ولخصهما
المؤيد بما لخصهما به وزعم أن ما لخصه هو رأي الكاتب وناهيك بتقليد الجرائد
في دهاء هذه البلاد

قال المنتقدون ان الكتابين يدلان على بنقض كاتبهما للأسمرة الخديوية كافة
وللأمير الحاضر خاصة . وقالوا ان فيهما تحسناً للظن بالانكليز وقالوا بل فيهما
مشايعة لهم . وقالوا هذا رأي الكاتب في الدستور المصري وأطلقوا أي انه لو كان
الامر كله بيده لرضي لبلادهم ما كتب فيهما . وقالوا ان كاتبهما على غير هيئة بالقوانين
الاساسية للأمم . وأغرب ما قولوا وما كتبوا هو ما أنبأ عن استنكارهم سلب السلطة
الشخصية من الخديويين بحصر السلطة في مجلس النواب ومجلس الوزراء وهم من
هم المستكبرون لذلك ؟ هم الذين يزعمون أنهم طلاب المجلس النيابي والحكومة
الدستورية لمصر !!! يا الله المصعب

وقد استحسن كثير من العقلاء المستقلين المطالب التي في الكتابين واستدلوا
بهما على غيره كاتبهما على بلادهم وأهلها وسمعه في اصلاح حالها سرا وجهراً من كل

طريق وكل منفذ . وأذكر آخرون صحة نسبة الكتابين الى الاستاذ الامام وقالوا
نه ليس فيهما شيء من روحه ولا من أسلوبه
واننا نبين حقيقة معناها الذي حرفه الهواء عن موضعه الذي وضعه فيه الظروف
والاحوال بعد تهذيب نموده لذلك فنقول :

(١) يعلم القارىء قبل كل شيء ان ما نشر في الجرائد ليس هو الذي كتبه
الاستاذ الامام بل هو ترجمة لأحد محرري جريدة اللواء عن الانكليزية . وما في
الاصل الانكليزي مترجم عن العربية . فاذا ظهر الاصل العربي الذي يقول حافظ
فندي عوض انه رآه عند مؤلف الكتاب يكون مراد الكاتب أظهر وأصح والحكم
عليه أعدل

(٢) ان المواد منها لا يفهم تمام الفهم الا بترجمة ما كتبه المستر بلنت الى
الاستاذ الامام بالحرف لأن الفتوى تكون على حسب السؤال كما هو مشهور ومعروف
(٣) قد علم مما كتب اللواء والمؤيد أن موضوع سؤال مستر بلنت يتعلق « بالحالة
السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا
وانكسارها عليه » فما رآه كان خاصا بتلك الحالة التي أمنت فيها انكسارها مراضة
أوربا لها في مصر . فاذا تذكرنا أن كل ما فعلناه من مقاومة الاحتلال أيام كان
ضلع أوربا كلها معنا ولا سيما فرنسا لم يزد الا قوة ورسوخا فاننا يمكن ان نقول ان
تلك المطالب التي طلبها الاستاذ الامام بعد اتفاق أوربا مع الاحتلال علينا كانت
كبيرة جدا وان الانتقاد على هذه المطالب ينبغي ان يكون محصورا في كثرتها وعظمتها
حتى جعلت نجاح انكسار يوافق ابريل ١٩٠٤ نجاحا لمصر وحرمانا لانكسارها
من معظم ما كان لها من النفوذ والسلطة

(٤) ذكر اللواء والمؤيد من موضوع سؤال بلنت كلمة « الدستور المروم
إدخاله في مصر » فسلم أن هنالك مشروعا للدستور بعد في انكسارها فما هو وما
موضوعه ؟ أوليس هذا نصا في الموضوع صريحا في أن ما كتبه الاستاذ الامام
في جواب مستر بلنت ليس مشروعا وضعه لما يجب أن يكون عليه بلاده مطالبا بل
هو مطالب وتعدلات للدستور معين يبعث فيه الانكليز أنفسهم ونحن الى الآن

لم تقف على مشروع دستوري لهم الا مشروع لورد كرومر بانشاء مجلس
تشريعي لهم . موقف من جميع الاجانب . وهل يمكن حينئذ أن يطلب لهم
من انشكلوا أو كثر مما طلب الاستاذ الامام ؟ وقد تقدم أن مطالبة كثير

(٥) ذكر اللواء فالويد أن مستر بلنت سأل الاستاذ الامام بالتصريح عما
يفضي اتخاذ من الاحتياطات لمنع ما يوقع حدوثه من عدم ثقة الخديوي بال دستور
كما وقع في عهد والده أي بأن يكون الدستور مأمونا عليه من حل الخديوي له بله
تصرفه فيه باستحالة أعضائه الى ما يريد بالرئب والنياشن أو بغير ذلك . وهذا
السؤال لا يعقل له وجه الا اذا كان واضع مشروع ذلك الدستور لا يرضون أن
يكون للخديوي بين سلطنة عليه بل لا يعقل وجود دستور حقيقي يكون عرضة لعت
السلطة الشخصية به . وهل يمكن أن يجاب عن هذا الاتعهد انشكلوا بحماية
الدستور والحال ان انشكلوا هي الواجبة له لتأمن بحسن الادارة المصرية تحت
مراقبتها على طريق الهند وتال هي شرف إصلاح مصر وتنظيمها ؟

(٦) وتقل اللواء فالويد أن مستر بلنت سأل أيضا هل يتقبل المصريون تعيين
وال أوربي عليهم تحت سيادة السلطان ؟ وهذا السؤال مبني على عدم ثقة أولئك
المشتغلين بمسألة الدستور المصري بحكم الامراء الشرقيين الذين يعتقدون أنهم
أشربوا في قلوبهم الاستبداد حتى لا يكاد يوجد فيهم من يميل الى الحكم
الدستوري ويرغب فيه . فهل تنتقد إجابة الاستاذ الامام عن هذا السؤال بأنه
لا حاجة الى حاكم أوربي مع وجود الدستور المضمون ومنع الخديويين من السلطنة
الشخصية ؟ وهل من الانصاف والحق أن بعد طلبه إبقاء الامارة في بيت محمد
علي دليلا على انفسهم ؟ ؟ وهل يستنكر عاقل الاحتجاج على من يريدون تولية
أمير أوربي علينا بكوننا لا نقبل ذلك وكونه هولا يمكن أن يساعدنا على تحسين
حالتنا ؟ ما أغرب الرأي الذي يميله الهوى وتروجه الأغراض الحسيسة

﴿ تلخيص المطالب التي طلبها الاستاذ الامام لمصر ﴾

من الانكليز فيما كتب الى مستر بلنت

(١) أن يكون للمصريين مجلس نيابي تنحصر فيه السلطة التشريعية أي
وضع القوانين كلها ويكون له حق موال الحكومة عن تنفيذها ومحاسبتها على خطأها

(٢) ان يكون للمصريين سلطة تنفيذية وهي الوزارة المشولة وتناط بها جميع امور الحكومة لا يترك منها للحدود بين شي خاص باشخاصهم كما هو شأن الحكومة النيابية في أوروبا لاسيما انكلترا

(٣) ان يكون رئيس الوزراء مسلما لا كما كان من قبل تارة وتارة

(٤) ان يكون جميع موظفي الحكومة من المديرين وكلاء المديرات والقضاة ورجال النيابة وغيرهم - من المصريين بحيث لا يبق من موظفي الانكليز الا بعض المفتشين ومن لا يوجد مصري يقوم مقامه في هله
(٥) تنظيم شؤون المعارف والتعليم وجعلها أم الامور التي يبدأ مجلس

النواب بها

(٦) قيام المصريين بجميع وظائف الجيش بحيث لا يبق فيه من الانكليز الا السر دار وبعض الضباط.

(٧) إلغاء وظائف المستشارين المسيطرين على الحكومة الآن

٨ على انكلترا ان تكفل هذا الدستور وتضمن تنفيذه بايدي المصريين .
وفسر ذلك بأن تراقب استجابته والحفاظة عليه مراقبة قطع حتى لا يبطئه الحدوديون هذه هي المطالبات الاجماعية الاصلية وانى لمصر بالوصول اليها والى الآن لم تطمع الاحزاب بمثلها فلم يطالب حزب ولا جريدة شيئا يتعلق بالمسكوية ولا يقل احد كيف يكون الاستقلال الحقيقي بدون جند وطني يقوم بشؤون الوطنيين وهناك مطلوب مهم مبني على فرض وقوع شي لا يوم من وقوعه مادام للانكليز شأن في سلطة البلاد بل قد وقع مثله في عهد اسماعيل باشا وهو جعل بعض الوزراء من الانكليز . طالب الاستاذ على فرض وقوع ذلك ان يكون للمصريين للوزير الانكليزي من المصريين سلطة يفصلون بها في المسائل المتعلقة بالدين وما أشبه ذلك ولا يكونوا آلة في ايدي رؤسائهم من الانكليز . وهذا مطلب لسنا نمدركه اليوم فانه لا يمكن لرئيس ولا مرؤوس في الحاقية ان يجري في الجاهم الشرعية امر الا برضاه المستشار القضائي .

واغرب ما سمعت من بعض الاغوار « البسطاء » أن الكتابين نقصنا
 طاب جمل بعض الوزراء من الانكليز فلما قيل له انه ليس فيها شيء من ذلك
 وانما فيها مطلب مهم مبني على فرض وقوع ذلك بالرغم منا قل انه ما كان ينبغي
 ذكر هذا الفرض والتقدير لانه يذكركم بهذا الامر !! فتعجب ايها القاري من
 هذه السذاجة والقرارة والنفقة عن الواقع والاهتمام بالانفاظ دون الحقائق :

وعما تقدم من البيان يعلم القاري أنه ليس في الكتابين شيء يعتقد . وقد
 سمعت اشهر اعضاء الحزب الوطني حامية واخلاصا يقول انه ليس فيما شيء
 ينتقد الاجل انكثرا كافة الدستور لان هذا يعني الحماية ولكننا لاننكث
 لاجله في اخلاص المرحوم الشيخ . قلت له كان يصح أن يقال هذا لو كانت هذه
 الكفالة من مواد الدستور وكان الدستور مصدقا عليه من الدولة الطيبة فيكون
 حاشد حقاً رسماً لها . وليس فيما كتب شيء من ذلك وانما الموضوع ان نسمح
 لنا انكثرا بهذا الدستور ونكتفي هي عن القبض على أزمة السلطة فيما بمراقبة
 سيرتنا على الدستور والنظام المطلوب ولا نسمح للتخدير بين ان يثيروه اذا حاولوا
 ذلك . ومعلوم انما لا نسمح لهم الآن بتقييدنا في التشريع ولا مداخلتنا في التنفيذ
 مع قبضها على كل شيء وعدم تحملها لثبته شيء . فأبي الاميرين أفضل !!

وعلى ذكر رأي عضو الحزب الوطني ان تلك العبارة التي انتقدها من الكتابين لا تدعو
 الى الشك في اخلاص الكاتب : فبه الى سينة فاشية فيما هي من اقبح البيئات
 واشدها ضررا في الامة الا وهي اتهام كل من نراه اخطأ في مسألة من المسائل
 العامة بسوء النية وعداوة البلاد وبغض الامة وحب الانكليز ومساعدتهم على
 ما يقصدون بنا من السوء !! وقرع عن هذه السينة سينة اكبر منها وهي اختراع
 بعض الناس الخطأ او تكلفهم استنباطه من كلام من يكرهونه لاجل الصاق تلك
 التهمة به .

فتو هذه السينة مع اختها اعظم اسباب تفرق الامة وضعفها واتساعها على
 نفسها « كما يقولون » لاسباب تدور حية المبرائد هذه التهمة الى الجماعات والحزبات
 وليت شعري اي قيمة لهذه الامة اذا صبح ما ترجف به بعض المبرائد من اتهام

حرب الامة برمتها بعدم الاخلاص للامة ومشايعة المظالم عليها بعد الارجاف بان ذلك النابغة العظمى « الاستاذ الامام » الذي اعترف بنبوته الشرق والغرب كان غير مخلص للامة اولاً ومبرهاً بل أي نمرض بالامير اشد من اثبات ان نابي المستقبلين باورونه وان جمهوراً كبيراً من سراق الامة يؤلف حزناً ونشياً جريده لمقاومة نفوذه ١٩٩

قد يقول سائل ان المثار قد ابرز هذه المطالب بأسلوب يظهر منه مالم يظهر من ترجمة الكتابين على كونه لم يأت بشيء جديد فهلا كتب المرحوم المتي كتابيه بهذا الاسلوب الذي يتجلى فيه الاخلاص لمصر والتفاني في خدمتها دون ذلك الاسلوب الذي يلوح منه ارضاء الانكليز واسترضائهم ان لم تقل محاباتهم وجوابه من وجوب « احدهما » اننا لم نطلع على ما كتبه المرحوم بنعمه فتعكم على أسلوبه « وثانيهما » انه لم يكتب ليتمن على قومه بحبه لهم ومقاومته لتهنئي بلادهم ولا ليظهر للانكليز انه يبارزهم وانما كتب لصديق له يسمى في خير مصر . على انه لو كتب للحكومة الانكليزية نفسها لوجب عليه في شرع البلاقة ان يجعل تلك الكتابة بأسلوب يرجي قبوله وعدم اتهام صاحبه بالامداء والمقاومة ولكل مقام مقال

رأى أحد الملوك في النوم ان اسنائه سقطت فغيره الرويا معبر بقوله ان جميع املاك واقاربك يموتون في حال حياتك فاستاء الملك وعاقبه عقاباً شديداً . ثم جيء بمبراً آخر فقص عليه الرويا فقال له تأويل هذه الرويا ان الملك يكون اطول اهلها عمراً : فسر الملك واجازته اجازة سنوية . فالبليغ يخاطب كل مخاطب بما يرجو ان يبلغ به مراده من نفسه

فن اصحاب الجرائد من يطلب من الانكليز مطالب بسفلة الامر صاحب صاحب السلطان وما مراده الا ارضاء من يقرأ هذه المطالب فيحدد كتابها ويجهل لانه استل على بريطانيا العظمى فانال الامة من الاستعلاء عليها بالقول ماتلوه به اعن القنر بالاستعلاء أو المساواة بالفضل . ولكنه لا يخطر في باله الاسلوب الذي يمكن ان يكون مقبولا عند الانكليز لانه لا يريد منهم شيئا

لو كان الاخلاص والغيرة على قدر كبر المطالب وان كانت من الحال ، واتعزز على القوي ينحني بخوف وان كان غرورا لا يمكن كل كاتب ان يكتب كل يوم في اثبات اخلاصه وغيرته وتعرزه نحو هذه العبارة : اني آمرك ايها الدولة الانكليزية الظالمة المعتدية بان تردني مصر الى مصر بين وقبورين الى الدولة الطيلة بل ان تردني الهند الى النوابين والرجاوات من اهلها وان تأرزي الى جزائرك كما تأرزي الحية الى حجرها . فان لم تحفظي شرفك وتمثلي هذا الامر فانا نتفق مع بعض أعضاء برلمانك فنؤلف منه لجنة تشاغب المجلس أحيانا في هذه المطالب فتعزه هزا ، وتؤزه أزا ، او تهز الشعور الوطني في هذه البلاد هزة تميد لها جزائر بريطانيا ميدانا ، وتززل دزلالا ، ربما كان من ورأه البلاء النازل ، والحسف الماحل ؟ ؟

رأي الأستاذ الامام في السياسة

(أو سياسته)

في مصر افراد من الكتاب يبقون الملو والرفعة بالظوقي دعوى حب الامة والتفاني في خدمتها بمقاومة المحتلين بالكلام ومن هو لاء من كبر عليه ما ناله الأستاذ الامام من علو المسكاة بطعه وحكمته وخدمته للملة ومنهم من يشغل عليه ان يحبه بعد وفاته خلق كثير فهو لاء يريدون ان يخذشوا ذلك العيب الحسن والشهرة الشريفة ليرقصوا انفسهم ويحطوا من قدر جماعة ذلك الامام العظيم ولم يجدوا بابا اوسع من السياسة التي يكثر فيها الابهام وتسهل فيها الدعوى ويقبل على مائدتها كل طفلي يطرد عن مائدة العلم والحكمة . وجد بعض هو لاء في الكتابين متسما للقبيل والقال ومشغبة حزب الامة لان رئيسه وكبار المؤسسين له كانوا من اصدقاء الأستاذ الامام والذين لا يزالون بصروحون باجلاله وبكونهم انشأوا الجريدة عملا برأيه رأى مناهضو هذا الحزب انه يستفيد مما ذكر ميل مريدي الأستاذ الامام وهم أرق الامة عقلا وعلا وبلاغة فمنهم العطاء والوجهاء والمدرسون والكتاب والشعراء فاردوا ان يخرجوه ليتبرأ من الانتماء الى الأستاذ الامام في سياسته

فيغير منهم مريدوه ولكنهم سلكوا مسلك الحق فعرضوا بالامام نفسه فيجاء
سعيهم بنقض ما ارادوا

وقد كتب بعض الكتابين يسأل عن حقيقة سياسة الأستاذ الامام يطلب
من مرديه بيانها وهل هي عين سياسة (الجريدة) وحزب الامة وعين ماجاء
في الكتابين اللذين نشرها مستقر بنت ام ما هي؟

ونجيبهم عن ذلك بمثل ما قلناه في المنار غير مرة من انه استقر رأيه في اواخر
عمره على الاصلاح الديني والاجتماعي والفنوي فقط وترك السياسة بته وعندنا كتابة
في ذلك بخطه له لنا ناطح صورته الفوتوغرافية في تاريخه عند الكلام على سياسته
وعند ما كان يشتمل بالسياسة كانت قاعدة عمله مقاومة الاستبداد وجعل

سلطة الامة في ايديها بحيث لا يبقى لحكامها منفذ للاستبداد فيها
اما الجريدة فهي تنفيذ لفكرته من حيث هي جماعة من الامة لا لفرد منها
وقد كتبنا في الجزء الثاني من منار هذه السنة (ص ١٦٠) انها تنفيذ لرأيه وزدنا
على ذلك قولنا « وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه » فقد كان يريد ان
تكون الجريدة التي دعا في آخر عمره الى انشائها اجتماعية ادبية زراعية اكثر مما
هي سياسية وان يكتب فيها كل يوم عن الاخلاق والعادات والتقاليد الفاشية في
البلاد وان لا يكتب فيها عن سياسة الدول اكثر من عمود او عمودين في العدد يلخص في
ذلك التابت الذي فيه عبرة وفائدة للجمهور . وستوضح هذا في الكلام عن رأيه في
السياسة والجرائد من جزء الترجمة الذي نولفه ونطبعه الآن فليقتظر محبوا الحق . ولا
مبالاة بأهل الالهواء . ونختم هذه الكلمات بجملة في سياسته كتبها حافظ افندي ابراهيم
الاديب الشهير في كتابه الذي سماه سطوح ونشرتها جريدة السيامية المصورة وهي:

بين سطوح واحل تلاميذ الامام

سطوح - أين أنت من القوم - التاميد من أولئك الذين تقموا الرضى على العهدين ،
ولم يحمدوا حقبة الحكيم ، عهد الدولة التركية ، وعهد الدولة البريطانية ، ففي أولها
فدحت المظالم وغاضت الاموال ، وفي ثانيهما أخضبت الارض واجدبت الرجال -
سطوح - وهل أنت في خنفس من العيش ؟ - التليذ - لا أشكو بحمد الله

هسراً، ولا أرجو يسراً، وإنما أخيراً ظل هذا البيت العربي، لذلك الشاعر الأبي،
 من مذهب الرزق لا فقر ولا جدة - حظ لعرك لم يحق ولم يكن
 قال - وابن مكاتك من العلم، وابن منك منزلة الحلم، قال حسبي اني من
 تلاميذ حكيم الاسلام، الاسناذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه
 قال - اني لأرى رأياً حصيفاً، وأسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه نكون
 وقد سمعنا انهم فريقان - فريق قد اختصه سياسته، وفريق قد اختصه بعلومه،
 وقد أنثى عليها السيد، وتنبأ لها بالطالع السيد، قال - لا علم لي بما تقول .
 ولقد كنت ألحق الناس بالامام أغشى داره، واد أنهاره، وألثقت ثماره، فما سمعته
 يفخوس في ذكر السياسة قبضها الله ولكن كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته
 وينقل بنا بين مناطق الافهام، وينازل الاحلام، ويسمو بأفئسنا الى مراتب العارفين
 بأمرار الخلائق، وحكم الخالق، وكان ربما ساق الحديث الى ذكر أحوال هذه
 المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران ووقف بنا على أسرار
 الحياة فإن كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب
 العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران

ولكنه كان يهتمك بالسياسة ما دعت الى ذلك الحال فيرصد حر كاتها، ويصد
 غاراتها، خشية أن تقطع على العلم صيبه، وان تقف عثرة في طريق الفضيلة، فلهم
 تلطف في ابتزاز قواها، وتحمي جهده طريق أذاها، حتى اذا ظفر بطلبتها، وفاز برغبته،
 واستمد منها ما شاء، تمت حماية الافناء، عطف على العلم بذلك الامداد، وورد عليه
 ما سلبت يد الاستبداد، ولولا أنه كان يمدح حيل الوداد، ويحاذيهم فضل النصيح
 والارشاد، لأصابه ما أصاب حكيم الافغان، وقضى على أمة النبيل بالحرمان

مات النبي عليه الصلاة والسلام فازدت طائفة من جفاة العرب وكادوا
 يقتلون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف
 النبوة ولا نالت من عصمة الرسالة ولبت الاسلام اسلاماً ومات الاسناذ الامام
 فصبأ بعض حنزه كما يدعون، واسننهم الله لم عما يقرولون، فما غرض ذلك من كرامة
 حكيم الاسلاء ولا مس من سيرة ذلك الامام ، حافظ ابراهيم

﴿الرجوع الى المنار في شأن الكتابين﴾

طلب منا كثيرون باتقول والكتابة ان يبين رأينا في الكتابين ففعلنا ونشر
الكتاب الآتي إجابة لطلب صاحبه

سيدي المحترم حضرة القوذي الفاضل والاستاذ الكامل السيد محمد رشيد
رضا مدير مجلة المنار الزاهي
دام مجزوما

سيدي لا يعزب على علمكم ما أتى على صفحات بعض الجرائد السيارة
بخصوص جواب المسبو (النت) ورد استاذنا المرحوم المصالح العظيم الشيخ
الامام عليه ولا يخفى على ذكائكم الفريدا ما قوله ويقول حزب الخرافات واعداء
أنفسهم من ان الشيخ الامام كان ينبغي نقل الاريكة الخديوية من آل محمد
علي وآله كان يريد أو يفكر في جعل أبناء التاميز مسيطرين على هيئة الحكومة
ولا نسأل عن اعداء المرحوم بل اعداء الحق الصراح وما يحل عليهم جهلهم لأن
الانسان عدو ما يجبهه

وبعد فأرجو سيادتكم باسم المرحوم أن تشهدوا قلمكم السيل في سطة
الحقيقة لأنكم من أعلم الناس بتاريخ المرحوم حتى يظهر الصبح في حلة النورانية
لذي عينين واستطفكم بالرضى عن تظلمي على مائدة فضلكم لأن الكل يتفدى
من دسامة علمكم المشبع ثم أرجو من فضيلتكم اثبات سوء الي هذا على صفحات
مجلتكم الضياء ولعلم اعداء المرحوم أن في يدنا أقلاماً لنهسر الحق لا نخشى في
الحق لومة لائم وفي الختام اقبلوا أذكي الاحترام
السيد محمد الزيات

(المنار) إن للشاغبين في الكتابين من سوء النية واتباع الهوى ما لا يخفى
وهم لا بضاعة لهم الا التقرير في مثال ما ذكرتم . وإلا فهم يعلمون ان الدولة
الانكليزية مسيطرة على الحكومة المصرية بالواقع ونفس الامر وأنه لا مراض لها
ولا منازع في هذه السيطرة كما يعلمون أنهم كاذبون في قولهم وتقدم بيان الحقيقة
ثم ان هؤلاء الحادعين يبيحون لأنفسهم ان يطالبوا من الانكليز باسم
مصر بعض المطالب ويمنون بذلك على الامة ويفخرون بأنهم فعلوا وفعلوا ولم

يفعلوا شيئاً وإما قالوا كلاماً يستطعم ان يقول مثله الألف . ثم هم ينكرون على من يطلب لمصر شيئاً مما يطلبون وان كان خيراً مما يطلبون واقرب الى القبول وذلك لانهم احتكروا الزعامة وخدمة الامة بالدعوى

فاذا كانت المطالب التي في الكتابين لا ترضيهم فلننتظر منهم حتى يذهبوا مصر بمساعدتهم ما هو خير منها سواء كان ذلك بواسطة اللجنة البرلمانية التي لم نسمع منها الا كلمات في الهواء أو بواسطة التبجح والدعوى والاستعانة والتهديد والوعيد للانكليز . عند ذلك نقول لهم ان قولكم كان أنفع وانتم زعماء السياسة واهل الرياسة ، والمستقبل يكشف الحقائق لمن له عين تنظر ، وعقل يدرك ،

على ان جماعة الاستاذ الامام من اصدقائه ومريديه يجدون في خدمتهم على طريقته ففهم محبي المآثر في الحكومة ومنهم دعاة الجامعة المصرية ومنهم المدرسون على الطريقة الاصلاحية ومنهم ولا تبجح ولا دعوى ، ولا من ولا أذى ،
والعاقبة للمتقين



نهى الصحابة ورغبتهم عن الرواية

روى ابن عساکر عن محمد بن اسحاق قال أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال والله ما مات هر بن الخطاب حتى بعث الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم من الآفاق - عبد الله بن حذيفة وابا القرداء وابا ذر وعقبة بن عامر - فقال : ماهذه الاحاديث التي انشيتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق ؟ قالوا « تنهانا » قال اقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ماعثت فتحن أعلم تأخذ منكم وتورد عليكم : فما فارقه حتى مات وروى ايضا عن السائب بن يزيد قال سمعت هر بن الخطاب يقول لا يي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقك بأرض دوس : وقال لكعب (الاحبار) لتترك الحديث أو لألحقك بأرض القردة : وروى عن ابي أوفى قال كنا اذا اتينا زيد بن ارقم فنقول حدثنا عن رسول الله (ص) فيقول كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله (ص) شديد

وروى عن عبيد الله بن عدي بن الحيار قال بلغني حديث عن علي خفت ان أصاب أن أجده (١) عند غيره فرحلت حتى قدمت عليه العراق فسأله عن الحديث فحدثني وأخذ علي عهداً أن لا أخبر به أحداً ولو ددت ولم يفعل فأحدثكموه وروى عن عمرو بن دينار قال حدثني بعض ولد صهيب أنهم قالوا لا ييهم ما لك لا تحدثنا كما يحدث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال اما اني قد سمعت كما سمعوا ولكني بمنعني من الحديث عنه اني سمعته يقول « من كذب عليّ مشمداً فلينبأ مقدمه من النار » ولكني سأحدثكم بمحدث حفظه قلبي ووعاه سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول « ايما رجل تزوج امرأة ومن نيته أن يذهب بصدقتها لبي الله فهو زان حتي يموت وايما رجل بايع رجلاً ييها

(١) كذا في كنز العمال ولعل الاصل : إن أصيب أن لا أجده : الخ

(المجلد العاشر)

(١٠٧)

(المنار)

ومن فيه أن يذهب بحقه فهو خائن حتى يموت « ورواه غيره والحدیثان المرفوعان فيه مشهوران . وصحیبه من السابقین الأولین رضي الله عنه
وروي احمد وأبو یعلی (وصحیح) عن عثمان قال ما یمنعني أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أوعى أصحابه عنه ولكنني أشهد أني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار »

وروي ابن سعد وابن عساکر عن محمود بن لبيد قال سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا یجوز لأحد يروي حديثاً لم یسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر فإني لم یمنعني أن أحدث عن رسول الله (ص) أن لا أكون أوعى أصحابه إلا أنني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقل قد تبوأ مقعده من النار »

وروي احمد والداري وابن ماجه وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا أيها الناس یا کم وکثرة الحديث عني فني قال عني فلا یقولن الا حقاً وصدقاً فني قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وقد روي عن بعض الصحابة الاعتذار بهذا الحديث المتواتر عن التحديث أو كثرة وقد فتح الحفاظ ابن عبد البر باباً في کتاب (جامع بیان العلم) لبعث ذم الا کثارة الحديث وقيدته بقوله دون التهم له والثقة فيه قال (کافی مختصره) :

« عن الشعبي عن قرظة (١) بن کعب قال خرجنا فشیعنا محمداً صرار (٢) ثم دعا بماء فتوضأ ثم قال لنا انتم لم خرجت معکم ؟ قلنا اردت أن تشیعنا وتکرمننا . قال « إن مع ذلك حاجة خرجت لها : انکم تأتون بلدة لا هلهما دوي بالقرآن کدوي التحل فلا تصدوم بالأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شریکم » قال قرظة فما حدثت بطه حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه ایضاً قال قال لنا « أقول الرواية عن رسول الله (ص) وأنا شریکم » وفي رواية عن قرظة ایضاً قال خرجنا زهد العراق فشی معنا محمداً صرار فتوضأ ففعل اثنتين ثم قال أتدرون لما مشیت معکم ؟ قالوا نعم نحن أصحاب رسول الله (ص) مشیت معنا « لتکرمننا » فقال « انکم تأتون أهل قرية لها دوي

(١) قرظة بالتحريك یوزن (خشبة) (٢) صرار بالکسر موضع قرب المدينة

بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوم بالاحاديث لتشفوم جودوا القرآن وأفلوا
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وانا شريككم « فلما قدم قرظة
قالوا حدثنا : قال نهانا عمر بن الخطاب

« وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت ألا يسببك أبو هريرة جاء فجلس
الى جانب حمزتي يحدث عن رسول الله (ص) يسبني وكنت أسبغ (تضي
انها تضي) قدام قبل ان أقضي تسبيحي ولو أدركته لرددت عليه ان رسول الله
(ص) لم يكن يسرد الحديث كسر دكم
« وعن ابي الطفيل قال سمعت عليا على المنبر يقول : أنجبون أن يكذب الله
ورسوله لا تمحدثون الناس الا بما يملون

« وعن ابي هريرة أنه كان يقول حفظت عن رسول الله (ص) وعائش فأما
أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا البلعوم (والبلعوم الحلقوم) وعنه أنه
قال لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها من عمر بن الخطاب لضربني عمر بالرة « اه
أقول فلو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة في عصره لما وصلت اليها تلك
الاحاديث الكثيرة عنه ومنها ٤٤٦ حديثا في البخاري ما عدا المكرر

وقد ذكر ابن عبد البر النهي عمر وهو امير المؤمنين عن التحديث تأويلات
(منها) أنه « إنا كان قوم لم يكونوا أحصوا القرآن فحشي عليهم الاشتغال بغيره
عنه اذ هو الاصل لكل علم « وأقول ان ما رواه في ذلك من قرظة ينافي ذلك
قد نهام عن تحديث قوم يحفظون القرآن يتأون يتلونه لأصواتهم به دوي
كدوي النحل . ولو أراد نهيا مقبلاً بهذا القيد لقال لا تمحدثوا الا من حفظ
القرآن . وقد عزا هذا القول لأبي عبيد قال « وقال غيره إنا نهي عمر عن
الحديث مما لا يفيد حكماً ولا سنة « وهذا أضغف مما قبله وقد عزا الى مجهول
وماذا يعني قائله بالحديث الذي لا يفيد حكماً ولا سنة « أي الاحاديث عن
شأنه (ص) واخلاقه وكيف وهي اضعف من احاديث الاحكام الفقهية «

ثم ذكر ان بعضهم رد حديث قرظة هذا لأن الآثار الثابتة عن عمر خلاله
وذكر من هذه الآثار أمر عمر أن يبلغ عنه أن الرجم مما أنزه الله على نبيه في

الكتاب . أقول وهذا الأثر لا يصلح دليلاً لأنه إنما نهى عن اشتغال الناس بالحديث عن الكتاب الذي هو أصل الدين . فإذا ادعى مدح أنهما كان يريد أن يجعل الحديث أصلاً من أصول الدين يمكنه أن يقول إن حكم الرجم في رأيه من أحكام القرآن لا من أحكام الحديث غاية أن آيته نسخت فلاؤها فالأمر بتبليغه أمر بتبليغ حكم قرآني فلا يعارض النهي عن التحديث

ثم ذكر وجه آخر رد حديث قرظة وهو معارضة الكتاب والسنن له كقوله تعالى (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (وقوله ٧:٥٩ وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (٥٣:٤٣) وانك لتهدى الى صراط مستقيم (قال ولا سبيل الى اتباعه والتأسي به الا بالخبر عنه .

وقد يجاب عن هذا بأن صراطه المستقيم هو القرآن والسياق يبين ذلك، وأن من يعمل بالقرآن يكون متأسياً به لحديث عائشة في صحيح مسلم وغيره « كان خلقه القرآن » وان سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه وهو خاصة أصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية . وأما الأمر بأخذهم ما يعظمهم الرسول فهو في قسمة النبي ونحوه مافي معناه والحديث الذي نحن بصدده لا يعارض ذلك

وذكر من أمثلة معارضة السنن حديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها الى من لم يسمعها » بناء على جعلهم الأحاديث القولية من السنن وهو اصطلاح العلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعم مما كان يريد الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهي الطريقة المتبعة التي جرى عليها العمل . والحديث يصلح معارضاً للنهي عن التحديث ويتهما يطلب الترجيح . ويقول ابن عبد البر أن عمر كان يريد النهي عن الإكثار لا عن أصل التحديث وهو كما ترى وإن الأخذ بالرفوع مقدم . أقول وههنا شيء آخر وهو إقرار الصحابة لعمر على نهيه وقد يعارضه أنهم حدثوا فلم ينهوا وقد مر بك أن أبا هريرة كان يحدث بعده فكان اجتهادهم اختلف في المسألة

ومما ذكره ابن عبد البر عن عمر في معارضة حديث النهي قوله « تعلموا الفرائض والسنة كما تعلمون القرآن » فسوى بينهما وعن مورق المجلي عنه قال كتب عمر « تعلموا السنة

والفرائض والعن كما تقولون القرآن» . والجواب عن هذا يعلم مما قبله وهو ان تعلم السنة غير الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فان السنة سيرته (ص) وتعرف من الصعابة بالعمل والاختبار كنعجو « من السنة كذا » كما كانوا يقولون والحديث عنه نقل كلامه كما هو المتبادر وان اصطلاح المحدثون بعد ذلك على تسمية كل كلام فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديثا وسنة . ومنه تسمية ابن عبد البر نفسه لرواية قرظة التي هي موضوع بحثنا حديثا . وفسر العن في أثر عمر عن موزق فقال « قالوا العن معرفة وجوه الكلام وتعرفه والحجة به »

ثم قال وعمر أيضا هو القائل « خير المحدثي هدي محمد صلى الله عليه وسلم » وهو القائل : سيأتي قوم يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنة فان أصعاب السنة أعلم بكتاب الله عز وجل . وأقول ان هديه (ص) ليس موضع اشتباه وأما سنته فلأورد بها أقواله لكان فيها من الشبهات ما في القرآن او أكثر لان القرآن أعلى يانا وقد نقل بالحرف والحديث كثيرا ما نقل بالمعنى . فالسنة لا يراد بها الاسيرة والطريقة المتبعة عنه صلى الله عليه وسلم بالعمل والعمل لا يمتنع فيه الاشبهات فلذلك أمر بالاحتجاج عليهم بالسنة . ومثل هذا أمر علي لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج قال « لا تخصمهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيضا » اهـ من نهج البلاغة

ومن العجائب ان ينهى بعض المحدثين احيانا عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصعابة الموافق لاصل الامة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي احدثوه بعد ذلك وليس لنا أن نلوم بعد هذا ذلك العالم الفرنسي المستشرق الذي قال لي مرة ان الصعابة كانوا يقدمون الاحاديث على القرآن وذكري قول علي لابن عباس فقلت له انه لا يعني بالسنة الاحاديث فانها ذات وجوه تحتمل تأويل المجادلين كالقرآن وانما هي الطريقة المتبعة بالعمل . مثال ذلك احتجاج علي على معاوية وأصحابه بحديث عمار « قتله الفئة الباغية » فقد أوله عمرو بن العاص فقال : انما قتله من أخرجه : يعني عليا ولكن لا سبيل الى تأويل كيفية الصلاة وعددها وكيفية الحج

لأنها ثابتة بالسنة . ولا يخفى أن السنة بهذا المعنى تشمل ما هو مفروض وما هو مندوب وما هو مستحب كما مر جوابه

هذا وإن البحث كبير ولا سبيل إلى تحريره واستيفاء فروعه في هذا الجزء فنكتفي بما تقدم في الوقت بما وعدنا به في الجزء الماضي

وليعلم القاري أن هذا البحث الأصولي يعمد عن مسألة اعتناء المسلم بما يصح عنده من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك الأقوال هي ينابيع الحكم ومصايح الظلم ، وجوامع الكلم ، ومنخر اللامة على جميع الأمم ، بل إن في الأحاديث التي لم تصح أسانيد لها من البدع ، والحكم الروثع ، والكلم الجوامع ، ما تقتصر عن مثله أعناق العلماء ، وتكبو في غاياته فرسان الحكماء ، ولا تبلغ بعض مدله قوائم البلغاء ، ولا غرو فان من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيد ، كما أن منها ما أشكلت متونه وإن سلم من الطعن رواته ، وأن ثمة ما يعرض ما عندنا من الأسانيد لأقوال حكمائهم ، أو أكتب أنبيائهم ، فمن يسئل علينا من التمهيص والتحقيق ما لا يسئل على غيرنا ، فليستبرر المندبرون ، وليعمل العاملون ،



حياة اللغة العربية

حيدر وبخت الترجمة والتعريب • نادي دار العلوم

لكل لغة مقومات ومشتخصات تمتاز بها على غيرها من اللغات كما تمتاز أنواع الجنس وأشخاص النوع • وحياة كل لغة تكون باداء وظيفتها مع حفظ مقوماتها ومشتخصاتها • ووظيفة اللغة معصورة في شيء واحد هو نصير أهلها بها عما يملون مهما اتسعت دائرة معارفهم وعلومهم • وقد كان لغة العربية حياة أدبية في عصر الجاهلية ثم ظهر بها الاسلام فجدد لها حياة أخرى أعلى مما كانت فيه إذ جعلها ديناً وشرعاً وسياسية ومدنية قامت بعلوم لغوية وعقلية وصناعية فوسعت اللغة ذلك كله مع حفظ مقوماتها ومشتخصاتها في المفردات والأصاليب

ان ما يجدد الناس من المعلومات يحضهم واكتشافهم وما ينقل اليهم عن غيرهم يظهر في لغتهم بضروب من المظاهر فمنها ارتجال الاسماء ومنها الاشتقاق ومنها الترجمة ومنها التجوز ومنها التحويل والتخيل من الاسماء الاجنبية وإدخالها في لغتهم وجعله منها مع تركه على حاله أو مع ضرب من التصرف فيه يكون به مناسباً وملائماً لكتابتها في أوزانها وأخارجها وهو ما يسمى عندنا بالتعريب • وكل ذلك من مقتضى حياة اللغة فهو يحصل في اللغة الحية بلا تكلف كما يأكل كل من الانسان الأبيض أو الأسود أو الأصفر الشيء المختص بأرض الآخر فيقتل به • بدنه يريق هو مع ذلك على لونه ومشتخصاته لا يمرض له تغيير

ضعفت حياة اللغة العربية منذ بضعة قرون بعد أن صارت قسمين عامية وخاصة • فأما الخاصة وهي لغة العلم والكتابة فصارت متكلفة وخرجت عن كونها ملكة واسعة • وأما العامية وهي لا تكون الا ملكة حية في الالسة فصارت قاصرة على ما يصل اليه علم الاميين ومن في حكمهم من المتعلمين • وصار المشتغلون بالعلم والكتابة ضماقاً في ملكتها بقدر مزاولتهم للخاصة التي لم تنصر ملكة لهم • فإذا عرض قهواً شيء جديد من المسميات بادروا الى تسميته بلا تكلف كما هو شأن أهل الملكة

في كل لغة فئري المشتغلين منهم بالطباعة (مثلاً) يسون كل اداة من ادواتها
الاعجمية باسم منه العربي ومنه العجمي ومنه العرب (وسنين ذلك بعد) ولكن
الحواص واعني بهم المشتغلين بالعلوم العربية فانهم يحارون فيما يمرض لهم من ذلك
اذ ليس لهم ملكة العامية كالعوام الآن ولا ملكة الخاصية التي كانت لنا قلي علوم اليونان
سكت هؤلاء الحواص على هذا النص زماناً وبحت بعضهم فيه أبحاثاً لم يكن
فيها غناء . وقد أنشأ في هذا العام جمهور من المتخرجين في مدرسة دار العلوم
— وأكثرهم مملون للعربية في مدارس الحكومة — ناديا لهم رأوا أن يكون من
فوائد اجتماعهم فيه خدمة اللغة العربية بأكثر مما يخدمونها في المدارس .
وقد رأوا أن يكون أول عمل يقومون به البحث في هذه المسائل وانما نورد
لهم خطابين في مسألة أسماء الاجناس الأعجمية التي براد ادخلها في اللغة العربية
هل تعرب تعريباً أم تؤخذ بالترجمة والوضع الجديد وقد عرف رأينا في ذلك مما
تقدم وسنزيده بياناً بعد ايراد الخطابين

✽ خطاب الشيخ محمد الحضري المدرس ✽

(بمدرسة القضاء الشرعي)

أيها السادة

يفتتح التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر قد وصلت الى
متهم الضعة وكادت تصبح أثراً دارساً ولولا رجلا ن فكراني احياها ووجدا
من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجهد لكننا اليوم على ما كان عليه
سلفنا في أواخر ذلك العهد

أما أولها فمحمد علي باشا مؤسس الامرة الحديوية زادها الله تشرافاً
وتكريماً فاته وجد المرحوم رفاعة باشا وتلاميذه بعد ان زج بهم في مضمار الحياة
فساروا شوطاً بعيداً ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة كتبوا وترجموا شيئاً
كثيراً أبقته لنا الأيام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم لم يتروكا
قنا من الفنون التي كنا مستغنيين فيها الا كتبوا فيه ترجمة أومن عند أنفسهم .

وأما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلاده مصطفى رياض باشا
وجده الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذه ورجال العزيمة من نابي
السورين قاموا بالنهضة الثانية عهداً إلى المرحوم اصلاح الوقف المصرية والاشراف
على ما يكتبه أرباب الهداوين في محاوراتهم فكان ذلك منها لهم أن يمتدوا
باصلاح ما يكتبون وتعلم ما يجهلون. ومن أكبر مساعد تلك النهضة الجرائد العربية
على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رفحها
بما كانت يبذلها أصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواء في ذلك
فانضلم ومفصولهم.

إذا دبت الحياة في جسم فانما لا تقف عند غاية فان صاحبها دائماً يرجو
الكمال وهو أبداً بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فاننا في بدء نهضة ثالثة يأخذ
بيدها ويشد ازرها ذو السعادة الوزير المخلص سعد زغلول باشا ناظر المعارف
المصرية في عهد مولانا وصديقا أمير مصر عباس باشا حلي الثاني فهو مؤيد
النهضة الثالثة كما كان جده مؤيد النهضة الاولى

تلك النهضة أن تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلم وكتابة وتكلم ينبت فيها
الصغير ولا يخل بوزنها الكبير والاعوان اليوم أثمر منهم أمس فان البذور التي
غرست قد أثمرت في كثير من الانفس الطيبة فصارت من أنفسها تطلب النمايات
وترقب الكمال والمعونة من مثل هؤلاء أعظم

هذا المطلوب أيها السادة عزيز المال وعمر المساك فلا بد للوصول اليه من
عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتبينة الطريق حتى لا تفتوي علينا المقاصد
فنظن أنفسنا سائرين للامام ونحن للخلف واجمون. ننظر أمامنا فنجد عبات
كثيرة لا بد ان قدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عبات كثيرة ليست في معرض
احصائها الآن لاني أقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين أيديكم
بيننا محدثات كثيرة فصل بلادنا على أيدي المتعربين الذين قدروا بمجد
ان ينقصوا من كل ما خلقه الله سبحانه للانسان ولم يكن آباءنا قد عرفوها حتى
(المجلد العاشر) (١٠٨) (الشار)

يعملوا لها الددة من الأسماء المينة لسماعها فتقف أمامها مبهورين لا ندري كيف
فهم عنها فإذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائرا فننا من يكتب اللفظ الذي وضعه
المخترع ويحيطه بقوسين علامة على أنه ليس من لغتنا أو بعبارة أوضح علامة على
نقص اللغة ونفورها من كل جديد ومنا من يمتثل لذلك فهو يمدى المعنى بكلمة
وضمها العرب بأزاء مسمى آخر وما يحمده الكاتب يحمده الله المتكلم

لا يفتق الناس على شيء يطمعون وهذا نقص عظيم يجب أن تلافاه وأن
تتفق على ما نستعمله لذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال: ما هي الطريقة
التي دلالة على المحدثات؟ أندر يب ألقاظها التي يضمها لها محدثوها وصقلها حتى تكون
مواظقة للهجاء العرب أم التوسع في بعض الألفاظ العربية ووضعه بأزائها .

وقبل الانصاح برأي في هذه المسئلة أبين لحضراتكم كيف كانت العرب
المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيء يحدث من طريق غيرهم

ولا أريد أن أتوسع في البحث الى ما وراء أسماء الاجناس فان اللغة العربية
ههنا من التروة في الأسماء الدالة على المعاني ما لا يحتاج منه الى استعارة من
غيرها أما أسماء الاجناس فاتها بالضرورة تنجدد بمحدثات مسماها بالعرب كما
تطهرن كانوا قديما جداً من هذه المواد فانهم أهل بادية وحاجات المتبدى قليلة
اذ ليس أمامه الا سجاوده وأرضه وبهيمه وسلاحه ووجدانه فمن المبحول أن يفتقن
في وضع ما يدل على أجزاء ذلك من الأسماء. أما ادوات الحياة مما تخرجه الصنعة
وتبدعه الفكرة فهو منها بعيد وقلما يطلق بأديهم شيئاً منها عن بلاد أخرى لانهم
انقطعوا عن الاسم أو كادوا

فاما الحاضرون منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد
كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يطلقون كثيراً من الاداة لتسوقهم حاج
التصير والآيات مما في النفس الى ان يكون ذلك الشيء الذي استعملوه لفظاً يصبر
عنه والمقبول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيه لان الاقدمين ما عرلوا عليه
وليس يفتنا من يقول به على ما أعلن وسبب هذا فيما أعلم ان أحرف اللغة العربية

قد شغلنا الاوضاع قلما تركب ثلاثة أحرف الاوجدنا مجزعا قد وضع واستعمل
الهمم الاحرف قللا لئلا استقل العرب جميعا في كلمة واحدة ومثل الثلاثة
الاربعة والخمسة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالهجوز بأن يكون اللفظ قد وضع
بازاء مسمى ولما سمي بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى
الجديد ككلمة تأمور فانها في أصل اللغة القلب لانه وعاء الهم ثم توسعوا فيها
فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم أي وعاء على أي شكل استعملوا فيه لفظ تأمور
ولا يأخذون من غيرهم شيئا حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صناعه لتدل على
شكلة الخاص به ويبحثون في كلامهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه
الدينار والدرهم فيستعملونه فيها ولا يأخذونها

الطريق الثالث التعريب وهو انه يأخذ من المتوسع لثني المسمى واسمه
بعد ان يصقلوه بأنستهم حتى يكون خفيفا عليها مناسبا لهجتها وهذا هو الطريق
المعقول الذي اتبعه العرب وكل أمة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تناول الالفاظ
الذاتية على الاجناس من اضمها وتلحقها بلفظها من غير ان يوقف في طريقها مراض
أخذوا الدينار والدرهم وألحقوها بأبنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس
مدنر أي فيه قطع كالدينار وقالوا دنر وجهه أي تلالا ودينار مدنر أي مضروب
ودنر فلان كثرت دنائره وقالوا وجل مدرهم كثير الدراهم ودرهمت الحيازي
صار ورتها كالدرهم. وأخذوا اللجام واشتقوا فقالوا ألجم ولبجم ولججم وتيجوزوا
في استعماله فقالوا: النبي ملجم لانه يقيد اللسان ويكفه كما يفعل اللجام بالانابة

أخذوا من الصناعات الاستعرق والسندس والاساور والابريق والطست والحوان
و"طبق والخز والدياج والسندس والهندسة والمهندس. وأخذوا من النباتات
الترجس والبفسج والفسرين والسوسن والياسمين والمنازل والزنجبيل والقرقة
والنفل والكرابا والمبر والسكافور والصندل الى غير ذلك مما أحصاه ثقة اللغة
وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين «الجهة الاولى» أن يلحقوا الكلمة

بأبنتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها وكانوا يبدلون حرفا مكان حرف لتقارب مخارجهما كما فعلوا في لجام وكان أصله لغام بالفتح والهمزة متقاربان مع سهولة الهمزة وإذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيما لتقاربها منها ولم يكن بد من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جر بـ ز وأجر وجورب ورجا جعلوها قافا لانها قريبة أيضا فقالوا قرب بـ ز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الهمزة فقالوا كوسج وساذج وأصل ذلك كوسه وساده كان نطق به نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق ورجا جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الاعجمية

والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضما كما فعلوا في الابريسم والاهليلج وكما فعلوا في كثير من الاعلام وقصدم من ذلك ألا يبقى هـ كـ كبير فرق في النطق بين اللفظين الاصل والاعجمي وثنيه العربي حتى يكون النهم والافهام اللهم الامادعت اليه ضرورة الدربي في النطق جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفه الله سبحانه بأنه لسان عربي مبين فاستعمل كثيرا من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرب من الله سبحانه على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والماسك والسكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها وقد ألف فيها عرب واستعمله القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ القوي الشيخ حمزة فتح الله كتابا جمع فيه من ذلك كثيرا . وقد نقل عن ابن عباس توجهان القرآن وكثير من الناصين وأهل العلم والعقلاء ان هذه الالفاظ من لغات الهمزة سقطت الى العرب فاعربتها بالاسماء وحولتها عن الالفاظ المعجم الى أهالها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض أهل العربية ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ملوحيته العرب من

الكلمات بعد تعريبه صار عربياً مينا وألحق بأحرف اللغة فلاحرج في استعماله بعد
وما أزيدكم به يا نا أبا المادة أن بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة
لأشياء تشابه ماله اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الأعجمي لدلائله على شكل
خاص لا سمي كأخذوا كلمة يري وعندهم التامور وأخذوا كلمة البط وعندهم الاوز
والهضار والكبار وأخذوا الهاون وعندهم المهراس والمنعاز وأخذوا الطاجن وعندهم
المقل والميزاب وعندهم الثمب وهو مسير الماء في الوادي والكرجة وعندهم الثقوة
والمسك وعندهم المشوم والجاوس وعندهم الناطس والاترج وعندهم المسك
وذلك لأسباب قوية منها أن اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص
فتكون دلالة ما عندهم على المسمى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام — أما بعد الاسلام فإن العرب حينما جدوا في المعلوم
وأرادوا أن تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجعوا إليها
كتب العلم التي وصلت إليهم من أمم الروم والفرس وأتبعوا تلك الطريقة نفسها
فكانوا يأخذون الاجناس كما هي ويستعملونها في كتبهم وينطقون بها كأنها من
لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصاً في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا
إلى الرأي الذي يقول بالرجوع إلى الورا واستعمال الالفاظ التي أمانها الزمن
لعدم صلاحيتها للاستعمال أو المستعملة في معان أخرى

والفقهاء أنفسهم لم يجمعوا على أخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها
يلزم من اتباع رأي التجوز مضار أهمها أن اللغة وضعت لتدل على مافي النفس
حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يجعل بأصل المقصود
والتجوز لا بد فيه من إقالة القرائن على إرادة ما يستعمل اللفظ فيه وهذا وذاك
كثيراً ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك أن
نضيف إلى آلامنا آلاماً

يقولون أن الحق في التعريب إنما كان لامة سلفت وبادت فلم يبق لها من
أثر وإن ما كان يباح للأعراب في بلادهم على قلة حاجتهم للإيحاء مثله لنا في
القرون المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كله بنوه على قاعدة لا أساس لها وهي

تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانه أتم دينه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكذلك العرب قد آمنت وضمعت لفتحها ولم يبق من بعدهم من يحق له ان يضيف اليها كلمة جديدة كما انه ليس لمسلم ان يضيف على دينه حكما جديدا

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع آلهي شرعه من له حق التشريع والالزام وهو الله سبحانه وآتم وضعه على قواعد راسخة وآساس ثابتة فلم يبق لاحد مجال أن يزيد على هذه القواعد أو ينقص منها أما اللغة فالقصد منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتعدد بتعدد الحاجات وليس من قصدي أن ابحت الآن في أمور اللغات أي توفيقية أم وضعية فان ذلك مما فرغ منه العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى أن كثيرا من أصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع أولا هو الكلمات التي تحمل على مثل السماء والأرض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان أما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علمه الانسان الاول آدم صلوات الله عليه فهو مكابرة للمعسوس

ومنى ثبت انها تتعدد بتعدد الحاجة فالتحتاج من المتسكين بها متى علم أصولها ولمحتها له حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفه ولا أدري ما الفرق بين من علم اللغة نائمين من آية وأمه وبين من علمها من مسلم فبرها واعتادها بعد ذلك في كلامه وكتابتها حتى صارت له ملكة يمكن أن يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يجهد عن طريقة ويكتب كتابا صحيحا بترأ في ساعات أو أيام

ان اخواني الذين يخالفوني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا ينبغي من تغير الأوضاع والهلالات العربية فهم لا شك يتفقون معي في أن حق التغير للحاجة ثابت لنا ومنى اقمنا على نيل هذا الحق لم يبق الا التنخير بين سهل وأسهل ومفيد وتام الافادة ولا مرأ في أن اللفظ الذي وضعه واضعه الدلالة على شيء اخفوه أسهل في اللفظ وآتم في الافادة لانه وضع بأزادة تاما كما وضع

لفظ الأبرق باراء تلك الاداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي تصيدها من موات
اللغة فانها اما أن تكون موضوعة لشيء هو أعم فنخصصها ويلزمنا إيجاد القرينة
للدلالة على ما نريد فنحتاج الى لفظ وقرينة واما أن تكون مستعملة في شيء
بمجرد مشابهة كما بين الاثوميل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على
معنيين أو هذان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة أو الركب
فاذا قلت جاءت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي؟ أظن لا بل لابد مع
ذلك من كلمة أخرى مبينة للمراد

لا أدري ما المانع من أن يدخل في اللغة الترام ويقال آترم ومترم كما قالوا لجام
والجهم وملهم. إن الكلمة التي تريد اصطفاها قد وضعا واضعها بالضرورة لتدل
على معنى خاص فاذا نحن أخذناها واستعملناها في شيء جديد لم تكن قد جرينا
على لغة العرب لاننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا بشكى وجرى مثلاً
للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منها بازاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً
جديداً لم يسبقنا اليه سابق واجتلاب مثل هذه الالفاظ بالنسبة لمحفوظ اللغة كوضع
ألفاظ جديدة، وهذه من أحرف اللغة فسبان في الاعتراض على رأيهم أن نقول
للترام بشكى وإن نقول له ترام لأن كلا استبعاد بوضع اسم أسس لم يكن له
وجود قبل الآن إلا أن وجه الضرر في الأول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في
الثاني فاننا في الاول نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع
المقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبناها سلفنا مع الوضاعة التامة في الاسم
والمصنى ولا أدري بعد ذلك ما الذي يدعونا الى تعسف الطرق

لهم يرون في ذلك رأياً فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على
ما بين دقتي القواميس فلم نهد عنه قيد شبر ولم نخرجها نطق به العرب
في بواديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بنفي اللغة العربية وثروتها
حتى لا يروا بنا هزياً فيقول ان لغة تر بوعدة كلها على الشايف أننا محتاجة
الى ما يكملها ويسد ثامة فيها

أما دعوى أن هذا مخالفة على ما هو عندنا فغير صحيحة لانها إنما تكون

بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بأزائه وإذا لم تفعل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخيلاً لا قيمة له وارتكبتنا في التفهيم من أوضاع القواميس مالا يخفى لانا إذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسيم فيها واستعمالها شيء جديد أفندكر في قواميسنا معنيها القديم والحديث فنكون ابتدعنا وأوقعنا السامع والتعلم في حيرة أم نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منه أن نذكر لفظ ترام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانما مما عرّب للدلالة عليه ونبين تاريخ توريثها فيكون ما وضعه المتقدمون معروفًا وحده وما الحقه باللفظة المتأخرون معروفًا وحده وهذه هي المحافظة الحقيقية على ما ورثناه من سلفنا. واما أن يختر مفرد بكثرة ألفاظ اللغة حتى لا نحتاج الى مزيد ففيه غلطان كبيران فإن الثروة الموعومة لا تقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك أكثر من الثالث لهذا العدد فكثيراً ما تجد المعنى الواحد له اسمان فأكثروا الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والحمر والمهر والمصل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي أسلم بها انما هي في أسماء المعاني وليست داخلية في موضوع بحثنا واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيه لغة من لغات الامم الحية لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجاميعهم في شغل دائم لا يأنفون أن يجهدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة دلت على معنى جديد وأكثر أحوالهم الاستعارة من غير لغتهم وإذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال المنوعات والتعبير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الاسر في الاحياء والامانة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروا واستمروا على استعمال ما وضعه الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انه قد ترجم لهم بكلمة «مسرة» ولم أرهافي جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون

أوميل ولا يستعملون سيارة ثلاثاً مختلفاً عليهم الأمر أن السيارات الجوية والسيارات الأرضية على كثير مما يماثل ذلك وهذا اعترف منهم أو على الأقل شعور بأن طريقة التبرع والنوع ضرورها أكثر من نفسها وأن طريق التعريب أوضح مسلماً

(النتيجة)

بعد أن بينت لحضراتكم ما قام في نفسى على لزوم السير في طريق التعريب أقدم لحضراتكم مقترحى حتى نقارنوه بالبحث ليشتمل الحق (١) تكون يجمع بعد إلى التعريب ينظم من حيث فيه ملكة الفقه العربية وهو في معرفة مفرداتها ولحجتها وأما لزم وجود الجميع لأنه لا ضرر علينا وعلى أفتنا أشد من استبعاد الفرد بالوضع أو التعريب إذ هو مدعاة للاختلاف وهو أضرر شئ

«٢» أن يكون اختصاصه محصوراً في دائرة أسماء الاجناس والاعلام فإذا جاءه مسعى حديث أو رأى شيئاً حديثاً مما هو موجود بيننا ولم يسبق أن وضع له لفظ ورأى أن في الفقه لفظاً دالاً عليه بنفسه أطلقه عليه وإلا عرب الكلمة الاعجمية وصبرها موافقة لا وزن العرب مهلة على ألسنتهم وافق على حروفها وشكل كتابتها وأخرجها لناس بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاز في العصر الأول وهي الوسيلة في التعليم والاعطار

والوسيلة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عنده أمل في تحسين الفقه وإصلاحها وخصوصاً مسلمي العربية منهم

(٣) أن يكون للمجمع سجل تفيد فيه هذه الكلمات وأزواجها مسمياتها موضحة تمام التوضيح وأحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيه وإذا كتب قاموس من القواميس تكتب هذه اللفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي في الأصل محفوظاً على حدة والعرب وحده على حدة

هذا ما أمكنني أن أوردته لحضرتكم أيها السادة في هذا الأمر العظيم واجبا أن
تنظروا إليه بين عنايتكم حتى نخلصوا من شره فينا وأناوأتم بحسنه ولا نجهلوا
في هذا المخرج من أدوار الحياة كالقربى بل نلتمس ما يخلصه ولا يجهده هذا ولأسأل الله
سبحانه أن يؤيد بروح من عنده مولانا أمير البلاد وسيدنا الذي هو عضد كل نهضة
قائمه أبقاه الله وأطال عمره والسلام عليكم ورحمة الله محمد الحصري

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

(الشار) نشرنا هذا الخطاب بنصه الا كلمات قليلة صححناها العزم بأنها كتبت
خطا بسبو من الناسخ ونحن نوافق صاحبه في جواز التعريب ونهاه في منع ما
عدمه وفي جعل عمل الجميع لغوي محصورا في قريش الاعلام واسماء الاجناس فاننا في
حاجة عظيمة لبحث في الاصطلاحات العلمية الكثيرة ايضا فلا بد من جعل موضوعه أعم
عما ذكر كما علم ذلك من مقدمتنا التي قدمناها على الخطاب، ولا نبعث هنا فيما عدا
الموضوع المقصود من الخطاب ومنها إغفال ذكر توفيق باشا عند الكلام على
النهضة الثانية لئلا نأخذ حظا منه لم يكن أقل من حظ النهضة الاولى من محمد علي
باشا والنهضة الثالثة من عباس حلمي باشا. إن عهد كل أمير من الأمراء الثلاثة
استلزم عملا فكان العمل بقدرة استعداد العالمين وليان هذا موضع آخر وقد
فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام تفصيلا

(ومنها) قوله في كلمات العربية أنها تروى على اللسان ألفا وقوله بعد ذلك
اننا انما نطرحنا المترادفات ما وجدنا معنا بعد ذلك أكثر من ذلك لهذا العدد. وكان
القول الاول سبق الى قلبي من قول بعضهم ان مواد كتاب القاموس ستين ألف
مادة وان ابن منظور زاد عليه في لسان العرب عشرين ألف مادة مع السهو كما في
كل مادة من الاسماء الجامدة والمشتقة والافعال. وقد قل السيوطي في الزهر
وقتل عنه الزبيدي في مقدمة شرح القاموس ان المستعمل من الكلام نحو خمسة
ملايين ونصف أو يزيد. ولا حاجة هنا للغرض في ذلك ولا في بحث المترادفات
ونسبته الى سائر الكلام، ولا في غير ذلك مما ينطبق بهذا المقام، وسنقل في الجزء
الآتي خطاب الشيخ احمد مر الاسكندري ونأتي بعده بما ينبغي لنا ان شاء الله تعالى

أوروبا والاسلام

رأي النازي في كتبه موسيو ميلي ونشرناه في الجزء الماضي

كتب ذلك الوزير في الاسلام والمسلمين كتابة غير بصيرة وقد صدق في قوله ان جرائم الحياة كائنة في الاسلام وان الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج مآر به طرق العلوم العصرية هو الذي يمد الحياة الى المسلمين « وان أمة أوربية تتعبد عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الحطة العالية يمكنها ان تقدم على غيرها قدما عجيبا » وقد نصح لأمته اذنبها الى ذلك بقوله بعدما تقدم وذلك في آخر مقاله « فالיום الذي تشر فيه فرنسا عن مساعد الجيد وتسمى في تعليم ذرية الأحمالي - ولا تقصد بذلك ان تلزمهم بنظاماتنا بل ان تيسر بهم في منافع التقدم الملائمة لمطامعهم - هو اليوم الجميل حسب قول موسيو جوناو الذي تحصل به على أكثر من فتح المالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح « ولكن هل تقبل فرنسا هذه النصيحة وتقدرها قدرها ؟

قرأنا لكثير من علماء فرنسا وسألتها كلاما حسنا في الاسلام وأمانتي حسنة في شأن المسلمين ولكن مارأيا لذلك تأثيراً حقيقياً فصار أكثرنا يحمل ذلك الكلام وأمثاله على الخلافة والتبويه ومخادعات السياسة ولكن الكلام المقول في نفسه اذا سمعه العاقل عن العاقل لا يمكن له ان يسميه بمويها وخداعا . فانا نعتقد ان جرائم الحياة كائنة في الاسلام وان رؤساء المسلمين هم المانون لها من النمو واعتقد ان دولة أوربية تمكن من إحياء مملكة إسلامية يعرف لها فضلها جميع المسلمين ويكون لها منهم قوة تجعل لها مكانة عليا في الأرض حتى في أوروبا نفسها وقد سبق لي كتابة في ذلك . واعتقد ان فرنسا من أقدر الدول الكبرى على ذلك وأحوجهم اليه . فكيف يمكن أن اعتقد مع هذا كله ان قول موسيو ميلي مخادعة أو خلافة ؟ أنا موثق بصحة كلامه وصدقه وربما كان اعتقادي هذا أقوى من اعتقاده هو ولكنني أدرك في فقه أمتة حقيقة ما يقول وقدوتها على الانسلاخ من قروم القديم الذي أشتراله

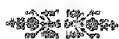
يعدون الشعوب الاسلامية من الشعوب الميتة او الضعيفة ولكن منهم من يقول ان جراثيم الحياة كامنة فيها ، ويعدون فرنسا من اعظم الامم الحية ولكن منا ومنهم من يعتقد ان مكرو بات الضعف والانحطاط كامنة فيها. فنقول على هذا وذك ان المسلمين يحتاجون الى دولة كفرنسا تساعدهم على الحياة الجديدة في شمال افريقية وان فرنسا بحاجة الى حفظ حياتها القديمة وإمدادها بشعوب قابلة للحياة والقوة كالمسلمين . وان هذا المطلب ممكن في نفسه ولكن فرنسا غافلة عنه لأن القوي الزبرقما يفكر في حقيقة حال من يراه دونة فهذه عقبة دون المطلب ومن وراثتها عقبة اخرى وهي ان الضعيف قلما يؤمن باخلاص القوي له فالاسلمون الى اليوم لا يظنون أن فرنسا تريد بهم خيرا وهم مضطرون بهذا وإتي أصرح . نصصها لفرنسا ورغبة في حسن التفاهم بيننا وبينها لعل في ذلك فائدة لنا ولها . فما قلته هو الحقيقة وان وجد في المسلمين من أحسن القول في فرنسا كما وجد في الفرنسيين من أحسن القول في المسلمين فذلك الاقوال لم تغير الحقيقة ولا يغيرها مثلها وانما تغيرها الاحمال والمسلمون الذين تسوسهم فرنسا لا يستطيعون ان يستميلوها بعمل اكثر مما هم عليه من الطاعة لها ولكنها هي تستطيع أن تسلمهم وان تملك قلوبهم وأرواحهم كما هي مالكة لآبدانهم وأوطانهم فهي التي يجب عليها الابتداء بالعمل

رعا يظن بمض المبرورين بقوتهم ان حال الجزائر خفية لا يعرف حقيقتها مسلمو مصر والشام والحجاز وسائر المشرق . الحق أقول لهم لاء ان تلك الحال ليست مخفية فانا نعرفها ونشمر بشعور أهلها ولكن ما كل ما يعلم يكتب وإنما كتبنا الآن هذه الكلمات لما رأينا من بارقة لامل في حسن التفاهم والسعي اليه بالعمل لا نطلب من فرنسا للمسلمين اكثر مما أشار اليه مسيو ميلي وهو السعي في تعليمهم وتزويجهم بالتعليم الذي ذكره والشرط الذي اشترطه وهو ان يكون القصد تقديمهم بما يلائم طاعتهم لا إلزامهم بنظامات فرنسا وعاداتها فضلا عن شرائعها ودينها فالملطوب مساعدتهم على احياء لغتهم ودينهم وإعلاء ثروتهم مع تعليمهم العلوم والفنون المصرية بالتدريج الملائم لحالهم يسهل هذا على فرنسا اذا قنعت من الاستعمار والامتلاك بما دون تحويل

المسلمين عن لغتهم ودينهم ورقعة بلادهم ولها بعد ذلك من موارد الأروة ومصادر القوة ماشاءت مع الرضى والحب

يعلم كل الملمين بأحوال السياسة من المسلمين أن فرنسا طامعة في الاستيلاء على المغرب الأقصى وثأيف أمبراطورية إفريقية اسلامية وأهل الرأي منهم يملكون أن شجاعة أهل المغرب واستبسالهم لا يدفان عنهم ما تريده فرنسا بهم مع جيلهم وتفرقهم وكون بأسهم بينهم شديداً ولكن سياستها يا هم بمثل ما ساست به الجزائر في الماضي قديراً المقرورون أصراً يسيراً وهي في الحقيقة من أعصر الأمور وأشدّها تعقيداً وخطراً على فرنسا في المستقبل ويظن المقرورون أن تغيير السياسة في الجزائر تغييراً حوريا كافياً لإرضاء المسلمين في تلك البلاد وإقناعهم في سائر البلاد بأن فرنسا تريد توقيتهم مع المحافظة على دينهم ولغتهم . والحق أنه لا يفيد في الأمر إلا الإخلاص في العمل وهو لا يخفي على أحد

أقول هذا فرنسا وأنا ناصح أمين ، وإنما أنصح لها لاعتقادي أن في صلاحها هذه خيراً للمسلمين بل أعتقد أن فرنسا لو جمعت لأهل الجزائر واليا منهم لمكانت فؤادها من ذلك أكبر من فؤادهم قبل توليهم أمة الحرية إذا صرحت لها باعتقادي هذا وما بقي عليه يجمع هذا الجزء من المنار أن يصل إلى الجزائر كلاً بل أظن أنها تقدر كلامي قدره فإن لم تقدره اليوم فلا بد أن تقدره في يوم آخر بل نحن نعلم أن فرنسا مارضيت بأن يكون سلطانها على تونس سلطان حاية لاسلطان استقلال رسمي إلا لما استفادته من العبرة بحال الجزائر التي لم يها نحن وهي أعرف بها منا . ولكن ما علمته في تونس منذ من وجوه كثيرة والمادة بما فيه من اصلاح أكبر منه . وقد شكرنا لها في هذه الايام ما كان من النفس عن حلة الانلام ، وإنشاء مجلس الشورى وإن كان دون المرام ، فمضى أن يكون هذا بدء سياسة مثلى يشكرها لها الاسلام .



أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ الباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب ﴾

مثل الشيخ محمد مصطفى أحد علماء الجزائر عن حكم الزينة واللباس في الاسلام وعن حكم احتجاب المرأة فأجاب عن ذلك بنحو خمسين ورقة وطبع ما كتبه وأهدى اليها منه نسخة فقصصنا منها أوراقا من مواضع مختلفة فلم نجد الا قولاً قوياً واختياراً في النقل حسناً والمؤلف ادام الله النفع به متبع لحركة العلم واقف على سير الاصلاح الديني والاجتماعي وهو يغفل في مقاله هذه وفي غيرها من تفاصيله عن كتب الاساذ الامام وعن المنار نقولاً ندل على دقة الاستقصاء وحسن الاستحضار ومراعاة حال العصر وقطيق الاحكام على مقتضى الحال وعن قوله واختياره في مسألة الحجاب ما يأتي

« وقال (يعني الأكرمي) في تفسير سورة النور المشهور من مذهب أبي حنيفة ان الوجه والكفين والقدمين ليست بموورة مطلقاً فلا يحرم النظر اليها . وقد اخرج ابو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن أماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أماء ان المرأة إذا بلغت الحنث لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى « الا ما ظهر منها » : راحة الوجه وباطن الكف : وأخرجنا عن ابن عمر أنه قال الوجه والكفان : ولبس القدمين عندهما كالكفين الا انما لم يذكرهما اكتفاء بالعلم بالقافية فان المخرج في سترها أشد من المخرج في ستر الكفين لاسيما بالنسبة الى ائمة نساء العرب المتفهرات اللاتي يمشين اتشاء مصالحهن في الطرقات » اهـ

« وقال المحقق ابن عابد بن في رد المختار على المختار ما نصه : وفي شرح
الكرشي « النظر الى وجه الأجنبية والحرة ليس بحرام ولكنه يكره بغير حاجة » اه
وقتل عن السادة الحنابلة ان من رآه وجه المرأة ويدها ليس واجبا . ويرى
عن القاضي عياض الاجماع على أن المرأة لا يلزمها في طريقها من زوجها وانما هو
سنة وعلى الرجال غرض البصر عنها قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »
« وقال في شرح مختصر سيدي خليل عند قوله « ومع أجنبي غير الوجه
والكفين » ما يأتي: يجوز للأجنبي المسلم ان ينظر الى وجه المرأة وكفها من غير
عذر ولو شابا لا تحرف فتنة أو قصد لذة وهل يجب عليها حينئذ من وجهها أو
لا يجب عليها ذلك » خلاف بن ابن مرزوق وعياض وفصل الشيخ زروق في شرح
الوعليسة بين الجلبة فيجب عليها وغيرها فيستحب اه
« وقال المحقق سيدي محمد الحارثي في مراجع على المختصر المذكور ما نصه :
قال مالك « تأكل المرأة مع غير ذي محرم ومع غلامها وقد تأكل مع زوجها
وغيره ممن يؤكله » (قال) ابن القلان : فيه (اي في قول مالك) إباحة إيذاء
المرأة وجهها ويدها للأجنبي اذا لا ينصور الأكل الا هكذا اه
« وقال الفاضل عبد الحميد أفندي الجابري في مبداه ما نصه : ليس في
الأمر الشرعي أو فيما اعتاده المسلمون ما يمنع النساء عن مخالطة بعض الرجال
الاجانب ضمن بقدر الحاجة لفرض صحيح ومنفعة حقيقية كالتصالح عرق أو تجارة
تلازم حالن أو تستدعيها ضرورتهن أو تعلم علم بدون ان يتبرجن لم يرتفعن
أو يقعن منهم متقداهم والطرب — الى ان قال — قد تكون المرأة لاصيل لما
من الرجال فاضطر لان تقوم بأود نفسها ويكون من مقتضيات كسبها مخالطة
الرجال او حضور بعض مجامعهم فمن كانت كذلك فهي لا تمنع عن تلك المخالطة
ولا تعاقب في عادة المسلمين عليها بقدر الحاجة للاكتساب لا سيما اذا لم تكن
شابا حسنا فانها يعطى لها في ذلك تمام الحرية اه
« فم الخلوة بالأجنبية حرام أو مكروه . قال صاحب الدر المختار : وفي

الاشياء الخلوة بالأجنبية حرام الا للملازمة مديونة هربت ودخلت غربة او كانت
عجوزا شهوا او بمائل اه

«ونقل محبيه ابن عابدين عن القنية ان الخلوة بالاجنبية مكروهة كراهة
مختوم . وعن ابي يوسف ليست بتحريم - الى أن قل - ان الخلوة المحرمة
تقتضي بالمائل وبوجود محرم او امرأة ثقة قادرة وهل تقتضي أيضا بوجود رجل
آخر أجنبي ؟ لم أره اه قلت ذكر بعض المالكية انها تقتضي بذلك »
ثم قال المؤلف بعد هذه النقول :

« وكل من اطلع على الكتب التاريخية يعلم ان التبرقع ليس من مخترعات
الاسلام (يعني أهل) فقد كانت نساء اليونان يستعملن التبرقع اذا خرجن من
بيوتهن كما هو الآن عند المسلمات وعند غيرهن من النساء الشرقيات في الشام
ومصر . ولا يخفى ان نساء قبائل البربر وغلب عرب البادية لا يسترون وجوههن
عن الاجانب ومع ذلك فهن لسن بخارجات بهذه العادة عن دائرة الدين الاسلامي
وقال بعض الحكماء قد يجرّ التشديد في الحجاب الزائد على أصل الشرع
الى فساد صحة المرأة اذ بالزامها القعود في مسكنها دائما محرم من منافع الهواء
والشمس وسائر انواع الرياضة الجسمية والعقلية ولذلك كان معظم نساء المدن عليلات
ضعيفا ومتى ولدت إحداهن مرة تفضضت بيتها وبنت كأنها عجوز وهي في
وجان الشباب ولا يمكن ان تنتج أبناء أقوياء تقوم بربيتهم كما يفرض اذا كانت
مضطرة الى البطالة ممنوعة من جميع الحركات المفيدة في نموها بدنا وحمى بخلاف
نساء البوادي فإنهن لما كن يتماطين الاعمال الشاقة من الاحتطاب والسقي وتربية
المزارع والحصاد وجمع الزيتون وما أشبه ذلك صرن في الغالب أصح أجساد
وأصفي لونا من المدنيات

« ولم يشدد في الاحتجاب الا السادة الشافعية وافق غيرهم من المتأخرين
بقولهم وعلموا ذلك بفساد الزمان ولذلك قل عدة من متأخري الفقهاء الحنفية :
حل النظر الى وجه المرأة مقيد بعدم الشهوة ولا فحرام وهذا في زمانهم واما في
زماننا فنحن النظر الى وجه الشابة ولو من غير شهوة لا لأنه عورة بل لحرف الفتنة »

(المنار) ان جمهور الشافعية اقدماء على ان انظر الى الوجه والكفين غير محرم لانه ليس بعورة اتفاقا قال الرملي في نهايته في هذا القول الذي ضعفه النووي « ونسبه الامام للجمهور والشيخون لاكثرين ولة في الماهات انه الصواب » واستدل لصحة صحيح النووي بتحريم باتفاق المسلمين على منع النساء ان يخرجن سافرات ومظنة الفتنة . وما ادعوه من الاتفاق غير صحيح وإنما هو من فعل الاصراء في المدن خاصة ولا حجة فيه فيبقى مظنة الفتنة وقد أفتى بعض الشافعية بحرمه النظر الى وجه الأمر لهذه العلة وهو ما صححه النووي في المنهاج وكل ذلك اجتهاد من المتأخرين وقد خالف كثير من الفقهاء المتأخرين أقوال من قبلهم بطله فساد الزمان ولطلم لا يعرفون حقيقة الفرق بين زمانهم وزمان أولئك السابقين فقد عهدنا أهل كل زمان يذمون زمانهم . والمؤلف لم يحفل بهذا الاجتهاد فقد قال بعد ما تقدم « والحاصل انه يحرم على الرجل نظره الى حرة أجنبية مشبهة ما عدا الوجه والكفين » ثم بين وجه هذا الاستثناء تبليها . وقد سلك نحو هذا المسلك في التمثل والاختيار في سائر المسائل التي تقدمت الإشارة اليها فحمد الله على وجود مثله في تلك البلاد

(بلوغ الارب . في مآثر الشيخ الذهب)

كتاب في جزئين للشيخ أحمد جمال الدين التونسي أحد مدرسي الطبقة العليا في جامع الزيتونة بتونس . والشيخ الذهب شيخه في الطريق . والكتاب محشو بالحرفات والدجل فبسوءنا وبجزونا والله ان يكون منسوباً الى أحد مدرسي الطبقة العليا في تلك المدرسة الدينية التي تلي الأزهر في الشهرة وان نرى عليه تقاريط اشهر علماء تلك البلاد ومنهم من نبهه عن تقرير الحرفات والثناء على كتاب هي فيه وعلى مؤلفه . ويطلب على ظنان من علماء الاسلام في تونس من يقرظ الكتاب من غير ان يطالع عليه اطلاقاً يكفي للحكم عليه كتفاء ببيان مؤلفه لموضوعه وعملنا بحسن الظن فيه كما هو شأن أكتوم في مصر وسوريا كأنهم بالاختيار وقد رأيت تقريراً للشيخ محمد (المجلد العاشر) (١١٠) (المنار)

الانباي شيخ الأزهر الشريف في رفته على كتاب لبس الرقاية كله طين قبيح في الشيخ عبد القادر الجيلاني وفي طريقته وأهلها وفيه من الجبل بالدين والتصوف السبب العجيب وهذا الكتاب هو الذي حطلي على تأليف كتاب (الحكمة الشرعية في محاسبة القادرية والرقاية) وأنا يوسف في حبر الاشتغال والتحصيل . فهذا ما فسر به عن قريظ من نجل من أولئك العلماء

وليس الحرفات هي كل ما يتقد في هذا الكتاب بل تجد عبارة غامضة الاسلوب كثيرة المعنى والتطويع من تعريف أي القرآن المزيّن من مواضعها مالا يصدر من عالم . وأني أقل نموذجاً منه ليعبر بعبارة ومساكنه وعقل موافقه المتعبرون . جاء في ص ٣٩ وما بعدها من الجزء الأول ما نصه :

(لطيفة) كان ورد على المأخرة (أي تونس) عالم جليل بصير يقول إن أصله مغربي شريف أثناء مدة الأمير الصادق باي وأنزله جولة النيفر الكائن في مدينة غربال وهو في أمة وعظمة له بره وهو في فصاحة الكلام وبلاغة آية من آيات الله يخط ألف بيت كل كلامها شوارد الوعة ، مفتحن حضرة ؟ يتكلم في علم الكلام والتصوف بكلام عجيب

« ووافقني كنت عنده يوماً فجاءه المرحوم الشيخ محمد السنوسي الأديب قال له الشيخ ابن الوعد قال له في محلي فقال ما قيدت نفسي بمحك ثم التفت إلي الشيخ وقال أحكم بيننا قلت له ما عرفت الموضع فقال قرر له الموضع فقال الشيخ السنوسي أي كنت عند السيد فسمع زكرة وطبلا فقال لي هذا سماع بلادكم قلت هذا سماع البوادي وسماع بلادنا سنسمه في محلي قلت الشيخ أروضهم بأن أحكم بينكما قال نعم قلت يا شيخ السنوسي ؟ بلزمك أن توفي الوعد ؟ في محل السيد لا في محلك فضحك متعجباً من هذه المماقة المنافية للحكم في تلك قلت له يا هذا إن هؤلاء إذا سمعوا السماع ربما صاحوا وربما مزقوا ثيابهم وربما طاروا في الهواء ولا يصلح بهم ؟ أن يحضروا معهم من لا يكون على حاله لاسيما النساء ودارك مخلوعة بالاجانب عنهم فغضب السيد الكف على الكفر وقل صوفي وروب للكمية قلت له « آمين يا رب العالمين ؟

ثم حكى لنا اصحوبة في السماع حضرها عند ملك المسلمين في ذلك التاريخ
الكاتبين في الصين وأصلهم من الاربعة آلاف الدين أرسلهم أبو جعفر المنصور الباسني
بطلب من سلطان الصين فتصوره على قائمين عليه ثم خيروهم بين الإقامة على الاكرام
النام أو الرجوع ؟ فاختاروا الاول قال نزلت عنده ضيفا فاكرم نزلني ثم جاءني
يوما وقال لي يا امن بنت رسول الله هل لك شيء ترغبه ولم اوفيك به ؟ قل قلت
له لقد نزلت عن ملوك المسلمين والنصارى وما أكرمني أحد تلك ولكن بقي عليك
شيء واحد وهو السماع فقام على قدميه وقال الامان يا رسول الله وغدا نستلمه ؟
ثم أرسل لي ؟ ولما جئت وجدت يجلسا معقلا بالعلماء والوزراء وهو بينهم فجلست
بازنته وامامهم نصف دائرة من الكرسي ثم اذن على الجوالي فخرج من
تحت الستور واحدة يدها عود ويد الاخرة ؟ مزارريد الاخرى طار الخ وجلس
على تلك الكرسي قال ثم انتفتحت لي وقال اي السماع تقدم العربي أو الصين
قلت الاول صراعات ؟ قلت عليه السلام فترنم وتنغم بالمان ؟ تسري مسرى
بنات المان ؟ وأصوات توقف الطير وتحرك المان أو مامناه ولما راني ؟ السماع
ومسرى في الارواح مسريان الراح أو ممانه انشدت جارية منهن بيتين بدعيتين ؟
واحدت في انتدهما قال فما راعنا والا واحد من العلماء صاح وصيح ورمى بنفسه
على الجارية فقبلها وسقط متشيا عليه فاشد غضب الملك عليه وامر بالجوالي ان
يدخل تحت الستور وقال اني أريد ان اقله قل قلت له لا يحمل دمه بصغيرة
ثم هو الآن في حال اندهش ولا اختيار له ثم دخل الملك محلا آخر ولبس لباسا
رسميا وخرج فوقف الوزراء الموقف الرسمي واعاد الكلام عازما على قتل الرجل
واتا الاطفا بخدم الجواز فانا بالرجل الله من الدهشة وقال ما هذه القرفة ؟ قال له
اني أريد ان أقولك لانك تهامرت على في مجلتي وقبلت جاري في فقال ما قلت
ذلك شهوة في جاريك وانما براعة الكلام ورقة معانيه ذكرتني كمال رسول الله
الله صلى الله عليه وسلم قل ثم قل اللهم اقض روح ثبته وهي هذه الجارية
فسمع ابكاء من وراء الستار واخبروا أن الجارية قد ماتت فاعمل الملك عند ذلك
ودفع ثم قال له ذلك العالم انريد قتلي وانت لك ما يهتف علي كفار وكفا سنة

في بركة دعائي وأقسم له أنه ما بقي براء وسفري ما يحمل بك سدي ثم فقد العالم من المجلس فسقط في يد الملك وعلم أنه هلك ومزق ملكه قال فمروته في حالة يرمي لها وغر بعد حل به ما حل وهكذا سمعت منه وهو حاصل المعنى اهـ

(المنار) نقلنا هذه الحقايق بنصها وشرنا الى بعض مواضع الانقياد لفظي فيها بعلامة الاستفهام « ؟ » وكثير من الدجالين يفسون الى البلاد لجيرة عند من يحدونهم كما فعل ذلك الشيخ المغربي بحكايته للموتى ولا يخطر في بال أحد منهم ان حال بلاد الصين معروفة لهم وليس فيه ملوك صامدون ولا جوارع ريات اما المفسد والاضلالات الدينية في هذه الحقايق فلا حاجة الى شرحها فما زال هؤلاء المظلون يتناولون اولياء الله العامة بأنهم يتجمعون على المحرمات وتصرفون فيمن ينكر عليهم بالإيذاء !! فالموتى الذي ينشر هذا الدجل والتضليل جدير بأن يعلن في شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله من الأئمة حماة الكتاب والسنة

البواقيت الثمينة . في أعيان مذهب عالم المدينة

كتاب في تراجم التأخرين من علماء المالكية للشيخ محمد البشير ظافر الازهري صدر الجزء الاول منه مطبوعاً على ورق حسن وقد جمعه ذيلاً لكتاب (نيل الاتباع . بالقبل على الدياج) للشيخ احمد بابا التنبكتي نزيل مرا كش اشرفي سنة ١٠٣٦ المطبوع بفاس .

قال الشيخ محمد البشير « اذكر فيه من أغفاهم من اهل القرن التاسع والعاشر ذكراً من أتى بعده الى زماننا هذا » ولينه جملة رأساً او جسداً كاملاً ولم يجمله ذيلاً فان أهل هذه البلاد قلما يطالعون على كتاب طبع في فاس ومن يطالع عليه لا يقرأه لأنه يكون غالباً بخط مغربي فيبيع لانهم يطعون في مطالب الجمهور . وقد نسب البشير في حجم تراجم من ذكرهم وراجم في ذلك كثير من الكتب فحمدله هذه المهمة ونحت القراء على اقتناء كتابه ننشيعاً له على إكائه ونأياف غيره . ومن النسخته منه عشرة قروش واجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكتبات المشهورة

شيء من سيرة حسن باشا عبد الرزاق

(علمه وادبه) ثبت حسن باشا في بيت كريم وجاود في الازهر مع صديق تالفي فيها من فنون التربية وعلوم الشريعة ما رأى نفسه غير محتاج الى تلقي غيره فيه . وهكذا شأن التالفين تكون مدة تعلمهم قصيرة في الغالب وكم من طالب أقام في الازهر عشرات السنين ولم يستفد منه ما يطعمه في شهادة العالمية . وكان من شيوخه الشيخ نصر المورقي القوي الاديب الشهير وله هو الذي رغب في الاديات فكان يحفظ كثيرا من مختار الشعر ويورد في حديثه الشواهد والامثال منها فيضها في مواضعه وكان لنا معه محاضرات أدبية يسعدنا فيها أكثر مما يسعد منا . وقد نظم الشعر كثيرا ولكنه لم يبذله فلم يشتهر به .

أما علمه بأصول الدين واحكام الحلال والحرام فقد ظهر أثره في جميع ادوار حياته فلم تحدث بغيره الشهات على اتصاله بأهلها ولم تزل استقامته معاشرة المتفرجين المشرفين من الحكماء مع الشباب والجدة للذين هما اشد مثرات الافتنان . وأما علمه بالفتنة فقد ظهر أثره في مجلس الشورى اذ هو الذي أعانه على فهم القوانين ودقة النظر في اقتادها على كونه لم يخلق علم الحقوق بالدراسة

(مزيته في أمته ، بعبارة أسرية) لهذا الرجل مزية في بلاده لا يفضلها فيها أحد قط فيها أعلم ، مزية لوتيمه فيها أصحاب البيوتات لثالث البلاد بهم ما يمتنى لها محبوبها من الارتقاء في أقرب وقت ، مزية يمكن شرحها في مصنف خاص ولا يسعنا هنا الا الاكتفاء بالإشارة إليها بعبارة وجيزة

من المتفق عليه بين العقلاء ان الحياة الامة وارتقاءها مبدأ وغاية فالمدنية الحسنة في البيوت والناسم النافع للأفراد وغايتها اتحاد من أدنو المبدأ على العمل لرقبها المادي والمعنوي . فمن رأى هؤلاء يشاؤون من هم في التربية الحسنة في البلاد ومن فقد الاتحاد بين المتعلمين حتى كأن المتعلمين في الازهر أمة والمتعلمين في دار العلوم أمة والمتعلمين في صائر المدارس أمة - وكل أمة من هذه الامة بعيدة عن الاخرى في

أخلاقها وأفكارها ولا أتدعى ذلك هنا . فكيف ربي هذا الرجل الحكيم أولاده و
علم أبناء حسنا وحسنا ومحمدا علم الحقوق وجعل الأول محاميا أهليا ومدرسا
بمدرسة البوليس وألزم الثاني بعد أن قيل محاميا في المحاكم المختلفة بأن يكون عمدة
في بلده (أبو جرج) ولولا حسن الترية الادوية الدينية لما ترك الإقامة في العاصمة
مع أقرانه في العلم ورضي بأن يكون عمدة جل معلمه الفلاحين طاعة لأبيه . وجعل محمدا
في الإدارة فكان معاوننا في قسم الأربكة ثم رقي فصار مأمور الضبط في القويم
وجعل ابنه مصطفى وعليهما محاورين في الأزهر ولله لا يوجد في من أولاده
الباشوات الأغنياء غيرهما لأن كبراهنا يمدون المجاورة في الأزهر ضعة وضياحا .
وها الآن في ذروة المجاور بن تحصيلا ويمتازان بالأدب العالي وحسن الإنشاء والشيخ
مصطفى من المنظوم والشعر ما يلهو في بدايته مزاحا للمجدين في نهايتهم ،
وجعل ابنه إبراهيم في مدرسة الزراعة وابنه اسماعيل في مدرسة الناصرية
وهو صغيرم الذي لا يزال في حجر التعليم الابتدائي فلا أدري أين كان يريد
أن يرجعه بعد ذلك ولله كان يرشده لخدمة المعارف

وقد علم من هذا أنه كان يريد أن يجعل لكل واحد من أولاده السبعة في أفق
من آفاق أعمال البلاد ليكونوا قدوة يهتدى بهم في صدق الخدمة مع المحافظة
على مقومات الأمة الدينية والاجتماعية ودعاة للوحدة وحسن التناغم بين جميع
طبقاتها المختلفة في الترية والتعليم فيكونوا بذلك كالنواكب السبعة السيارة كل
يدور في فلكه مع حفظ النسبة بينه وبين غيره بالمخاضية العامة

أما المخاضية العامة بين هؤلاء فهي الترية التي كان يمدحها كبيرهم الذي كان منهم
بمنزلة الشمس من كواكب السماء مجتمعة بين الرزي المصري من الحبة والقباء العامة ورتبة
الباشوية ، وبين إقامة شعائر الاسلام والآراء المصرية ، والمستحسن من مظاهر
المدنية ، والقيام بالخدمة القانونية والسياسية ، فما كان أروع تلك المائدة التي يستدير
معه حولها جملة العامة والطربوش ، الذين صار بين أمثالهم من البغض مصر ما هو معروف
بل كان ولا يزال . وإن يزال إن شاء الله . في ذلك البيت اجتماع روع وأبداع وهو
الاجتماع الإلهي في كل ليلة جمعة لإبقاء الخطاب الاجتماعية والادوية ،

والذا قرأت الطيبة والدينية ، وهذا الاجتماع عام لكل من يحضره من أسرة عبد الرزاق المرحوم كان مرياً لا خوته وولدهم أيضاً . فاي تربية توجب البلاد أفضل من هذه التربية ، وما قولكم في أمة تتألف من مثل هذا البيت أو يكثر أمثاله فيها ؟ (خدمته للامة) أما خدمة الرجل لأمته في مجلس الشياخات بمديرية (المنيا) وفي شوري القواوين ثانياً عنها مئة ثماني عشر سنة ثم في شركة الجريفة وحرب الامة فهو معروف مشهور . فقد كان عضواً عاملاً ومثالاً صالحاً في فهمه ودقه ، واستقلاله وحريته ، كما كانت قدرته في صلاحه واستقامته ، قصده الله بمغفرته ورحمته ، آمين

(مصائب الامة الاسلامية بفقد رجالها)

وقاة ذكاء الملك

ما نفقت الامة الاسلامية بديها من غيار دفن النواب محسن الملك المصلح العظيم في الهند ولارقات دموعها عليه لا وفاجأها نفي ذكاء الملك العالم الاجتماعي والكتاب البليغ وداعية الاصلاح المؤثر صاحب جريدة " ترويت " الفارسية التي كانت تصدر في طهران عاصمة الفرس . وافاء الأجل المعلوم في رمضان وتأخر فيه عنا واسترجعه في الجزر الآتي أو ما بعده . وقد علم القراء ان حسن باشا عاصم توفي على أثره في أول شوال وتلاه حسن باشا عبد الرزاق وكلامهما من رجال الاصلاح وأركان النهضة في مصر

ابراهيم بك الثاني

ما زلنا بعد ذلك نتمثل بقول الشاعر « تكسرت النصال على النصال » أياماً وإذا بالمنية قد أقصدت بهم آخر رابعة التابئين وأفصح الخطباء والبلغ المثبتين العالم القاتوني صدقنا ابراهيم بك الثاني الحامي الشهير وهو أرقى تلاميذ السيد جمال الدين بعد الاستاذ الامام . وكان له في تلك النهضة الجمالية المغالات الرائعة ، والخطب النافذة ، ولكن الامراض حالت بين الامة وبين مساعدته لها بالاصلاح في هذه السنين حتى وافاء الاجل المجتمع فيكون أكبر عزاء أهل العلم والادب عنه أنه كان من تخرج مرض

السل به لا راحة له في الحياة ولا قنع للأمة منه ولا أنس للاصدقاء به . وسندكر
شيئا من ترجمته في جزء آخر

الشيخ علي حسين

تم لم يثبت بعد دفن هذا الصديق الكريم الا أيا حتى بقتنا بوفاته صدقنا الشيخ
علي حسين أحد مساعدي تفتيش في نظارة المعارف بعد إلام مرض السل (الذي
اغتال الله في قلبه) به زماناً قصيراً فيما نعلم وهو في شرح الشباب ومقبل الصغر .
تخرج في مدرسة دار العلوم واشتغل بالتعليم في المدارس زماناً ثم بتفتيش الكتائب
في الأرياف ثم في العاصمة . وكان من حزب الإصلاح الديني الاجتماعي ثاباً في
رأيه بصيراً في أمره هادئاً ساكناً في عامة أحواله كثير البحث في الأمور العامة
والشعب للحوادث السياسية فلو سأله عن حوادث حرب الدولة العلية واليونان أو
حرب روسيا واليابان مثلاً لمرده عليك سرداً منظماً وذكر لك آراء وميول الجرائد
والقول فيها كأنما يقرأ من تاريخ مدون . وكان صادق الحديث صادق الود
دقيق النقد الا انه قليل البشاشة قليل الحركة والرياضة وكنت اتقدم منه هذا
وأكثر عنه عليه . ولا ريب أنه هو الذي أعده للمرض الذي اغتاله واذا أراد الله
أصحاء هيا أسبابه

عني أخوه الكبير (لأمه) الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي
بتمريضه ولا عناية الوالد الرحيم بالولد البار التحجب وبذل من وقته وماله في خدمته
ما لم يفده الا الاجر وحسن الله ثمر دون ما كان يحرص عليه من صحته وعافيته فتوفاه
الله تعالى في بيته فجبره الجهاز الشرعي وبعد تشييعه ودفعه أو عز الى بعض الجرائد
فقتلته عنه أنه لا يقيم الاحتفال بالمتاد المعروف بالمآتم لأنه ليس من السنة
وانما هو من المبادات التي أوهمت بعض الجرائد العامة ان القيام بها ثلاث ليال
من السنة فرأى الشيخ المهدي موت أخيه فرصة يعلم الناس بها قولاً وعملاً
ان ذلك ليس من السنة في شيء . والعمل أبخ من القول ومنه الحف وترك
القادر . وقد توهم بعض الناس بذلك انه لا يقبل تمزية الناس ويمد هابدة وهو
توهم باطل فقد عز بناء في داره ، فلا زال مؤيداً للسنة في أقواله وأفعاله

يقهر مبادئ الذين يستهون بالقول بيجوزي أحسن
أو تلك الذين يمدحونهم أو تلكهم أو أولي الألباب

المسحاة
١٣١٥

يقهر مبادئ الذين يستهون بالقول بيجوزي أحسن
أو تلك الذين يمدحونهم أو تلكهم أو أولي الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « متار » كثار الطريق

مصر في الحجة سنة ١٣٢٥ - آخره السبت أول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨)

﴿ خطاب الشيخ احمد الاسكندري في اللغة العربية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الأفاضل

أي لا حسبي سبيداً موقفاً إن أفتت أمة مهجراً بلسان جهور عظيم من أبناء اللغة العربية وحراسها وكفالة حامليها وحماة ذيلها من حاضري مجلسنا هذا وغير حاضريه ومن كل من يصلح إلى القبة أو ينطق الضاد . أولئك الذين سأري منهم من يشد أزرعي ويقيم عذري إذا تنكبت عن محبتهم ، أو قهرهم دون استيحاب آرائهم ، واشتفاف ما في مرادهم ، فإن لكل فكر غاية ، ولكل رأي شريعة ، وروح الله امرأ استدرك قائماً فيه إليه ، وأصر ضامناً فذل عليه ، ولا تزال الجماعة من الناس ينجروا بما بقيت فيهم نعمة لأنفسهم ، وارتياح للحق أي جادهم ، فإن هم استمروا المرء والنعت وخطروا بمروءاتهم في مضارعة الحق غضبا لنفس وتعباً للهوى فلا والله إن افلحوا في أمر ، أو ابلوا في عدو هذا الذي امره فيكم من النعمة في الحكم ، والمظاهرة للحق ، والحفاظ على سلامة اللغة ، والنعرة في شريف الجنس ، هو الذي الطمعى في حسن الظن بأن مقال هذا سيستهيب عزامكم ، ويثنيهمكم ، ويستهزئهمكم ، ولما مضى السجدة التي كانت تميز على لغتكم ، وتنازعكم وجودكم ، وتنسخ من الدنيا جنسكم وملككم ، وهو الذي هو عليّ أن أبدأ بالتكلم في ذلك فأقول :

﴿ حالة اللغة في زمننا الماضي والحال ﴾

شهد العدو قبل الصديق بأن لغة العرب أصبحت اللغات بحال القاتل ، وأخذها جرحاً على جامع ، وأنها اجلي اللغات بياناً وأخذها منقطعاً وأغناها لفظاً وأوفرها أسلوباً وأخصرها عبارة وأوضحها تمييزاً وأعرباً . ولو حاولت الاستشهاد على ذلك بأقوال علماء اللغات من شرقيين وغربيين لعرفت وجهة القول عن موضوع

التي ولما وسعتي ليلة أو ليل ولوقع ذلك مني في كتاب حافل . ولكنني ترك الحكم بصحته لنزير علمكم وجبل انصافكم

هذه اللغة التي خدرها أهلها عن التبذل لسواها وصان حر وجهها أولياؤها من مسائلها غيرها منذ أزمان سحيقة وعصور متوغلّة في القدم يتصالح أمامها التاريخ ويتصاغر دونها عدد الثبات والالوف قد تناوبها ما يتناوب كل طويل العمر من سعادة وشقاء، وشدة ورخاء، فلشد ما تنكر لها الدهر فصابرة، وصارمها الصديق فحاسنة، كما طالما اشرفت لها أسارير الزمان، وأطلق لها في كل شيء الرسن والفتان، فمرت بها عصور سمد كانت فيها لغة العلم والحكمة، لغة الخطابة والمحاضرة، لغة الجدل والمناظرة، لغة الشعر والأدب، لغة الشريعة والدين، لغة القضاء والاحكام، لغة القرآن الكريم، وهي بعد لم تفقد من هذه الخصائص والزوايا الا قليلا وما كانت سعادتها وشقاؤها الا باقبال بانائها وادبارهم فإنهم كانت لهم الدولة في

الملك والعلم ضمت اللغة الى حضنيها جميع العلوم والفنون وبسطت جناحيها على سائر المعاني والأغراض ولم تقف عند حد كفايتها لحاجات ابناءها بل تعدتهم الى من دان لهم ودخل في عهدهم، وان دالت دولتهم واسلم اللغة أهلها لقريب قلعن ظلما وتقبضت أطرافها وفقرت عن مدافعة ذوي الطول والعلب . تستبر ذلك بما دخل العربية من الالفاظ والمبالغات والسايب التعظيم والتفخيم من الفارسية والتركية أيام غلبة الديلم والترك والفرس على دولة بني العباس واشتقاقهم منها عاقل وامارات عديدة ، وهي اليوم تنال عسرا من عصور بؤسها وشقاؤها هو أشد المصون بأسا وأصعبا مراما، ليس عصر غلبة أمة على أمة بل عصر غلبة الغرب على الشرق ، عصر جلاب الغرب على الشرق بحيلة ووجهه وعدده واساطيله ولغاته المختلفة وعلومه وفنونه وصنائه وكتبه وجرائده . دهم الغرب الشرق منذ أكثر من قرن بهذه القوة التي لا قبل له بها فوقفت العربية أمام هذا القاهر المستأثر بكل خير وصفقة وقعة عاجز بانس ، وقعة ظلمآن على ينبوع عذب لا سبيل له الى ورده

لم يكن هذا الوهن والانكشاف عن خور فطري في العربية او جبن متأصل

فيها ولكن هذا شأن جميع اللغات امام كل انقلاب جديد ومحدث عظيم
وقد جرت سنة الوجود على ان مصر اللغات امام الانقلابات العظيمة
والحوادث الحسام الى أحد حايين : اما ان تتسامح في قبول كل ما بطراً عليها
من لغة غيرها لاسيما اللغات ذات المعاني التي لم تهدها من قبل فتندمج احداها
في الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الاندلس في اللغة الاسبانية
وعرب جاوة في لغة الملايو واللغة القبطية ورومية سورية في العربية . أو يتخلف
عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن في لغة المحدثات فنشأت العامية المختلفة
اللهجات المنتشرة المناحي وتبعها اختلاف الاجناس من مصري وشامي وعراقي
ومغربي وسوداني وحجازي ويمني . وكما فعلت أمم أوروبا امام لغات المغيرين
والفانتانيين فتبعت لغات فرعية وامم مختلفة الاجناس - واما ان تنعزل عنها
وتنصرف في استعمال ألفاظها لضم هذه المعاني الغربية اليها بطرق التجوز والاشتقاق
واستعمال الغرب والعتيق منها فيما له ادنى ملازمة به فتحفظ بذلك كيائها وتبقى
شكلها بيد انها تعظم وتقره وتزداد نشاطاً ورشاقة . وبعد فان هي آتست من
اهلها روحاً قويا وبهجرة سليمة استطالت على اللغة الاجنبية وصادرتها على اعز
عزيز عليها من علومها وفنونها

ففي أي طريق من هاتين نسير في تشجيع العربية على اقتحام العقاب وتذليل
الصعاب التي تعول دون ورودها نهر العلوم والمصارف الذي تحول مجراه الى
جهة الغرب ؟

يقول قوم بسلوك الطريق الاولى ومنهم حضرة خطيبنا الاول وقد سمعتم أقواله
ويقول قوم بسلوك الطريق الثانية وانتشرف ان أكون أنا منهم
وها أنا الساعة آتي على الشبه والاعداد التي ينتحلها الفريق الاول ويؤمنون
انها تدفع عنهم همه الاستسلام والخضوع لغة الاجنبي سواء تعرض لها زميلي
السابق او لم يتعرض لها فأقول :

(الشبهة الأولى) - يقولون : ان لغة أي أمة ما هي الا اصوات مختلفة

(المجلد العاشر)

(١١٢)

(المنار)

تدل على المماني التي تقوم بنفس كل فرد منها وتقع تحت ادراكه وان هذه المماني والمدرجات لا تخرج عن دائرة احتياجاته ومرافقه ومشاهداته بحسب طبيعة المقر الذي نبت فيه والبيئة التي استوطنها فليس يطلب الا ما يعرفه ولا يصف الا ما شاهده من الانامي وانواع الحيوان والنبات والجماد فان هو انتقل من وطنه الى وطن آخر يباينه طبيعة وسكانا اختلفت احتياجاته ومشاهداته ومعانيه التي كانت تقوم بنفسه واختلفت معارفه واغراضه بقدر مخالفة الوطن الجديد للقديم ، فهو لا يستطيع امام هذه المناظر الجديدة ولا يحرص دون التعبير عن اغراضه الحديثة بملء فيه لم يبردها في وطنه ولم يضع لها لفظ في لغته بل يجاري طبيعة وطنه الجديد ويساجل الجيل الذي يشاره فيقتبس من لغته كما اقتبس من معانيه ويتزود من الفاظه كما تزود من المعلومات الحديثة التي أضافها الى علمه . ومثل الامة في ذلك مثل الفرد وذلك طبع في البشر . فان العرب الذين نحن الآن بصدد البحث في انهم لم يشذوا عن هذا الناموس الطبيعي بل نقلوا الى لغتهم كثيرا من الالفاظ الفارسية والرومية والحبشية والهيروغليفية والسكرويتية الخ سواء كان ذلك في عصر جاهليتهم وبدانهم او في عصر اسلامهم وحضارتهم فقد كان شعراؤهم ونحويهم يدخلون العراق والشام والحبشة ويأتون بالفاظ أمها في شعرهم وحديثهم فلا تلبث ان تنشب بلغتهم وتلوها السنتهم وتخرج بارتق طبقات الفصحى من كلامهم . وكفى لذلك دليلا ان القرآن الكريم جاء بهذه الالفاظ في نضعيف آياته وعباراته البليغة مثل السندس والاسبرق والقسطاس ، ولم تستجاف عنها الاحاديث الشريفة وعبارات البافاء وسمر الخلفاء

بل تعدت تلك الالفاظ الى اطعمتهم وملابسهم وأنيبهم كالسكاج والاطلسان والسكرجة ، على أنهم لم تقتصر همتهم على نقل الالفاظ فحسب ، بل تصرفوا فيها واشتقوا منها افصلا وجهوها جموعا مختلفة فقالوا : ألجم الفرس اذا البسه الاجسام ، وبهرج عمله اذا ابطله وجهه كالهدرم النهرج ، وجمعوا استاذنا على استاذين ونحو ذبا على نماذج ونحو ذجات مما عده أئمة اللغة اصلا من اصول اللغة وسموه بالتعريب والفردوه بالمؤلفات المحقة . فبعد هذا كله لو أدخلنا في اللغة العربية اسماء الآلات

الحديثة والجواهر المستكشفة والاصطلاحات العلمية كأوضاعها وأربابها أو بنوع من التعريف لم يحدث حدثا في اللغة ولم نجهن فيه فعل منكر وإنما فعل ما فعلته العرب أنفسهم ونكون بذلك قد خرجنا من الضيق الذي نحن فيه وانفتحنا بالغة منبجاً قسرياً به وبزيدي في فراغتها وما برحت اللغات يأخذ بعضها عن بعض، فالإنجليزية مثلا تقل عن الفرنسية ما لم يكن فيها من أسماء المعاني والدوات ولا سيما أسماء الأدوات واصطلاحات العلوم وكذلك الإنجليزية عن هذه وعن غيرها

وقول في إزالة هذه الشبهة — لا يمنع أن اللغات يأخذ بعضها عن بعض، وإن العرب أخذت من لغات غيرها، وإن في القرآن والحديث الفاظ أعجمية الأصل، وإن جميع هذا يسمى تعريفاً وهو أصل من أصول اللغة. ولكن من هم الذين يأخذون ويضعون ويصرفون في اللغة العربية، ألا شك أنهم أهل ذلك اللسان وهم العرب أنفسهم، فلا حق لغيرهم في التصرف والتعريب والاشتقاق من الفاظ غيرهم. ولم يقل أحد من أئمة اللغة وقتها التقاء بمجاز إدخال الأعاجم والمؤلفين شيئاً من لغتهم في العربية الفصحى وعده منها بلى مقتوا ذلك وحاربوه ونهوا الناس إليه في مهاجمهم فقالوا أنه مولد وإنه أعجمي عربه العرب أو عربه المؤلفون، وربما أفردوا لذلك كتباً ككتاب الحرب للجوالقي والشفاء للشهاب الخفاجي وغيرها كما قاموا بجمع كثير من الألفاظ التي تقابل ما شاع على السنة أهل زمانهم من المولد والمستعجم ومعه النصيح كفصح طلب وغيره فنقل هنا رأي الأئمة فمن له حق التعريب

قال الشهاب الخفاجي نقلاً عن الجوالقي: أعلم أن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي والنصيح منه (أي مما صار معرباً) ما وقع في القرآن والحديث أو الشعر القديم أو كلام من يوثق به ريقه. فيرون من ذلك التعريب حق للعرب وحدهم وأما ما عربه غيرهم من المؤلفين فلم يعدوه من قسم العرب الذي يصلح استعماله في النصيح. ولذلك قال الشهاب الخفاجي في آخر مقدمته في الشفاء وقد أترك بعض ما عربه لعدم وروده ضمن مقاديرهم (بشهادة) للكلمة التي يقولون لها ناموسية.. قال (وهو مولد)

بشاعة قد طرزت قالت بلفظ موجز

على الحريري ساء قدري والمطرزي

وقال السيوطي نقلا عن ابن دريد في الجوهرة : باب ما تكلمت به العرب
من كلام النعمان حتى صار كالألفه فآخذوه من الفارسية البستان والبهرجان الخ
وقال نقلا عن ابن الانباري شارح المقامات : كثيرا ما تغير العرب الالفاظ الاعجمية
اذا استعملتها كقول الاعشى (وكسرى شهناش الذي سار ملكه) الاصل شاهان
شاه : قرون انه لم يستشهد الا بكلام عربي وهو الاعشى
فالعراب اذن هو كما قال الجوهري في الصحاح : فعراب الاسم الاعجمي

هو ان تنفوه به « العرب » على منهاجها

ونبحث الآن عن هم العرب الذين يستند بمرئيتهم في استعمال الالفاظ التي
هي من موضوع علم متن اللغة . قال البغدادي في كتابه خزنة الادب نقلا عن
ابن جابر : علوم الادب ستة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان واليدبع
والثلاثة الاولى لا يستشهد عليها الا بكلام العرب . ولا ريب في ان يبحث
الالفاظ العربية هومن مباحث علم اللغة . وقال الكلام الذي يستشهد به نوحان ،
شمر وغيره فقائل الاول قد قسمه العلماء على طبقات أربع : الطبقة الاولى الشعراء
الجاهليون الخ .. ثم استمرسل في عد هذه الطبقات حتى اوصلها الى طبقة المولدين
الانصحاء فقال ان سيبويه استشهد بشمر بن برد ولم ينف بعضهم عند هذا
فاستشهد بشمر بن الوليد والحسن بن هاني ، ورأى بعض أئمة النحو الاستشهاد
بشمر ابن تمام والبحري والثني ومنهم ابن جنبي والزمنشيري والرضي ثم ذكر
البغدادي من النثر المستشهد به القرآن الكريم وقل اختلافات كثيرة في الحديث
فصحها الاستشهاد بما كان رواه من اهل الصدر الاول قبل تدوين الحديث في
آخر عصر بني امية الخ

واقول ان العرب الذين يستند بمرئيتهم وينقل عنهم قولهم وكتابهم بقوا
الى اواسط القرن الثالث من الهجرة ، فالشافعي وأمثاله من فقهاء العرب وأئمة
اللغة وطبقة الكتاب والوزراء يعتبرون في كتابة رسائلهم ومؤلفاتهم عربا فصحاء

وقال الامام احمد بن حنبل : كلام الشافعي حجة في اللغة . وسئل غلام ثعلب عن حروف اخذت عن الشافعي مثل (مالح) فقال كلام الشافعي صحيح . وقد صنف الازهري وهو امام اللغة في عصره كتابا في ايضاح ما اشكل من مختصر المزني وقال في ديباجته : أفاض الامام الشافعي عربية محضة ومن عجة المولدين مصوة . والجهة التي اعتبرنا بها كلام الشافعي عربيا معنا هي التي نعتبر بها كلام الاصمعي ومناصريه كابي عبيدة وأبي محمد اليزيدي والكسائي وقطرب وغيرهم ، وكان الشقيطي رحمة الله عليه يثق بفصاحة المأمون الخليفة العباسي ويحثج في العربية بما صح عنه . ولا يبعد عن هؤلاء كثيرا غول الكتاب من أهل زمانهم كالسنن بن سهل وسهل بن هرون والجاحظ ، هؤلاء وأمثالهم عرابين الفصاحة ولهاميم العربية وزعماء العلم والكتابة والتصنيف واليهم يرجع كل ما وصل الى الناس من علم وأدب وفقه وكلام ولعل من الهين بعد هذا أن نقول انه باقتضاء عصر هؤلاء الاعلام انقضى عصر العربية الفطرية وفشت المعجزة في جميع الامصار واستحالت اللغة الى صناعة من الصناعات يتلاقى فيها العربي والديلمي والرومي والبربري ، فلا يصح لمن خلف من هؤلاء ان يضعوا في اللغة شيئا جديدا او يميلوه لفظا عجيبا مبريا اذ ليسوا من أهل هذا اللسان وانما هم حكاية له وقلة لأصوله . ومن نظري كتب العرب والذخيل وجد ان كل ما اعتبر فيها عربيا فهو اما وارد في كلام العرب القديم أو كلام الله الكريم أو الاحاديث النبوية أو شعر أهل العصر الذي وصفنا اورشاكلهم ومصنفاتهم . يعرف ذلك كل من نظري كتاب سيبويه وكتب الجاحظ وكتاب الخراج لأبي يوسف ومدونة مالك وكتاب الاغانى . وما يقع في كلام أهل الصناعة بعد هذه المصور البائدة من مثل الرواق ولاردى والسوارى والطنبجة والصنجة والسلامك والهرابيرة والصالون فليس من العرب في شيء . وما هو الا اعجمي محض لا يصح استعماله في كلام العرب واذن فلا يصح لنا ان ندخل كلاما أعجميا في اللغة العربية ونزعم تعريبه اذ لسانا اعرابا بالفطرة حتى نملك حق التعريب . وكما لا يجوز للفرنسي أو الطلياني أو الانجليزي ان يزيد شيئا جديدا في اللغة اللاتينية أو اليونانية

أو الهندي الحالي ان يحدث حدثاً في السنسكريتية والفولوية لا يجوز لنا بعد اقتراض الالعاب باحد عشر قرناً ان ندخل في لسانهم ما ليس منه . ولو جاز لنا ذلك في الالفاظ وهي اصل اللغة لجازنا بالاولى في التركيب والاساليب ، لانها هيئات للألفاظ واحوالها ، وهي من اللفظ بمنزلة المرض من الجوهر أو القرع من الأصل وكنا استرحنا من الالعاب التي اضجر كثيراً من منفرحي زماننا وجبلهم ينسخطون العربية وينتصون فضلها . وهو رأي لا يخرج على مثله ولا يقول به الا أهل الجسارة ممن لا يتصنون عن الشبهة ولا يكتفون بسوء القالة وبعد فما ورد من العرب في القرآن الكريم وكلام العرب الجاهلين والاسلاميين ليس الا شيئاً سبوا من الكلام لا يخرج اللغة ولا يتضمنها وما هو بالاضافة الى جميعها الا كقطرة في بحر أو حصة في فلاة اذ كل ما صح انه عرب في القرآن الكريم لا يزيد عن ستين لفظاً غير الاعلام . وقد احصيت جميع ما ورد من العرب في الكتب التي بايدنا كشفاء الغليل والمزهر وفتح اللغة والانتان ولف القباط ورسالة ابن كمال باشا بعد حذف المولد والاعلام فلم يزد على سبعة كلمة ، وهب انها وصلت الى الف أو الف وخمسة اقل يمكن اقتصار العرب على هذا القدر الضئيل مع ما كانوا عليه من التبدد والتعمير بين جميع اسم الارض برهانا ساطعاً على شدة احتفاظهم بانتمهم وحياتهم لها على ما منيت به من البلاء والحزن ورزئت من الهزاهز والفن مالم تقحمت فيه لغة أخرى لغارت في غيرها وامست من العاديات والبوائد

فلو جربنا على شبهة القائلين باستعمال الالفاظ الاعجمية التي أحدثتها المدنية الاوربية من اسماء المصالح والادارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم لطرقنا في العربية لاكثر من عشرين ألف كلمة فان ما نحتاج الى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين ولا أقل من ان يكون لكل منها خمسة اصطلاح وذلك خطب هائل يأتي ببيان الآلة من قواعده وتساخر له تلك القول التي بقيت في رءوسنا منها وما ظلك ببقاء ستة الآف لفظ تستعمل الآن في الجرائد والمؤلفات والرسائل امام هذا السيل الجارف ٥٥٠ . ويزيد

الامر ضئلا على اباله من يرى من أهل هذه الشبهات اشتقاق افعال ومصادر من اللفاظ الاصجية مثل ما فعله العرب في لجام ونهرج ويريد فقال الجيم الفرس ويهرج الهرم وأورد السفيرو فيقول هو: « تأفتنا بك أنجلو أجشان لبتدان أحد البنا كير تافره بعل برنسو علينا » كما يقول « أترمت الى لوتيل مينا هوس حيث رأينا تيلونو توجرافين يلفجرون منش الجمال ثم رجعت مثيلا الى الكازينو لمشاهدة السينيما توجراف فأوجت ولم افهم » وهي درجة لا فصل اليها الامة الا بخذلان من الله تعالى . ولئن تم ذلك لا قدر الله لتكون اللغة المألوفة اقرب الى العربية من لغتنا . ولقد اذ كرني ذلك ما أخبرني به بعض ثقات الافاضل ممن حضر مؤتمر الجزائر منذ عامين انه سمع بعض متفرقي الجزائر يقول: « ركبت أتنا والمساويل اتاعي في الشاندير وصلنا هنا الساعة ثمانية سوار » وسأل أحدهم في باريس أين تصلي الصلوات فقال « أصلي في الشانير سيدي ماني موسكي » . واما ما يقال من ان أمم أوربا لا تأف ان تدخل في لغاتها لغة غيرها فإن ذلك لا يرملنا على تقليدها فإن لغة القراءة والكتابة عندها هي لغة العامة وهي تبديل كل يوم . على انهم يأفون ذلك بعض الافة ولهذا قل العلماء والمختبرون الاسماء الحديثة من اللاتيني او اليوناني القديم من حيث بادت أهمها وفيت عصبتهما وما لاقبهم غيرها اذا اخطأوا صينا نحن ما بقي عندها من عمالات جنسنا الالهة المعبودة وهي حفظ اللغة والقرآن الكريم . فليق الله هؤلاء البفر في جنسهم ولتفهم وقرأتهم ولا ينسوا ان التقسيم لغة دين وازني نسلهم تسايما اللغات وابادة لغوهم القرآن الكريم واليسنة وتشبها بجواب النحس الذي اراد ان يقلد الحجة فلم تشبها له مشيتها ونسي مشيتها

(الشبهة الثانية) - يقولون لو قلنا لهما الآلات والاصطلاحات العلمية كما هي الى اللغة العربية كنا جريتا على ام قاعدة ذلل بها المتشدون شמוש الامور وحسوا بها كثيرا من الخلاف والتزعاج وهي توحيد لسان العلم في جميع اللغات وفي ذلك من تقارب الامم مالا يحصى ؛ ويقولون في ازالة هذه الشبهة : أما ضلت أمم أوربا ذلك لتقارب اصول لغاتها في الاساليب والبيان ولا اشتراكهم في الكتابة بالحروف اللاتينية ولعدم تعظيم لغة دين أو جنس

فالكلمة يكتبها الفرنسي بهاياتها الخاصة كما يكتبها الانجليزي وكثيرا ما تكون مخارج حروفها عندهم سواء . فالقاعدة لنا في مشاركتهم في لسان العلم مع ان كتابتنا غير كتابتهم وحروفنا غير حروفهم ولا مندوحة لنا عن ان نقول الكلمات الاعجية التي تزيد عن سبعة احرف ونرجعها الى سبعة او ما دونها علا قاعدة التعريب . كما اننا نغير مخارج حروفها بحيث لا يمكننا استعمال الكلمة على منهاج لغتنا الا بعد ان نمنح ونشوه ونسود كلمة اخرى لو قرعت اذن واضعها لما عرفها ولا غريب في الضحك من علمنا ونكون قد باعدنا لغة العلم باكثر مما تريد به التقرب منها واذا اردنا ان نعرف بالضغط ما يقابلون به هذه الكلمات منا فننظر الى ما قلوه هم انفسهم عند ما اردوا ان ينقلوا من لغتنا الى لغتهم قالوا (الحسين) في ابن سينا و (سدين) في صلاح الدين و (ليزولا ما) في البلاء . واطن ان عربيا يسم هذه ولا يكرها ايا انكار ابد من الوجود من عناء مغرب

(الشبهة الثالثة) - يقولون : اننا قبلنا الالفاظ الاعجية كما وضعا اربابها نكون قد احترمنا اعمال غيرنا وحفظنا لهم حقوقهم فيها سموه فكلا لا يحق لنا ان نقسب اختراع ما اخترعوه الى انفسنا لا يحق لنا ان نغير اسماءه .
ونقول في دفع هذه الشبهة : نحن نوافقكم على هذا الاصل فيما كان منها علم ومن تكلف تغيير اعلام البلدان والافان قد ارتكب شططا اما وهي اسماء اجناس فلا معنى لاستعمالها في العربية على اصلها الا التشهير بالاعتناء وربما بالقصور عن ان نسم هذه الكلمات بطريقة من طرق وضعا كالتيير بالمرادف والتعجوز والاشتقاق وكلها طرق قياسية في اللغة استعمالها العرب في وضع مصطلحات علومهم وعلوم غيرهم مما ترجموه من اليونانية وغيرها كما تستعمل ذلك بعد . واطن اننا لو سألنا مختوما من القوم انجب ان يكون للنوع الذي اخترعته اسم واحد أو أن يكون له اسماء وألقاب في لغات متعددة ولعلج به اسم مختلفة لاختار الثاني لان فيه تخليدا لاسم مخترعه فلا يبعد في لغة من اللغات المتخيرة حتى يحيا في اخرى ولأن في كثرة الاسماء زيادة منافية بالمسي

« الشبهة الرابعة » - يقولون : ان هذه الاصطلاحات في العلوم أصبحت تعد بالألوف في أسسة العلم والصناعة والتجارة فكيف من الزمن يكفي لوضع أسماء عربية لها من جديد مع اننا محتاجون من الآن الى النقل والترجمة

وتقول في درء هذه الشبهة : ان هذه العلوم لا يمكننا نقلها الى لساننا في سنة أو سنتين أو ثلاث بل لو اردنا إعادة طبع كتبها بلسانها وحررها لما وسعنا هذا الزمن ولنسلم جدلاً بأنه يمكننا طبعها في أقل منه بألفه العربية مع نقل أسماء الاجناس كما هي فكيف زمتنا بوضع في استظهار هذه الألوف الموثقة من الكلمات المستكرة العربية ونألفها على السمع والذوق وكيف الخ : لا بد من قضاء زمن طويل وبذل جهد عظيم وتذليل صعوبات ومشقات هائلة على كلتا الحالتين ولأن يكون هذا البناء في سبيل تنمية العربية وجعلها لغة علم وصناعة وتجارة بالطرق المشروعة خير لنا من ان نهجرها ونفقد نفقي عليها بالقضاء قضاء لا نقض فيه ولا ابرام ونكون بهذا العقوق قد انسلخنا منها وبتلو ذلك انسلخنا من الجنسية العربية لا قدر الله

« الشبهة الخامسة » - يقولون : ان من الصعب جداً ترجمة المصطلحات واسماء الآلات الجديدة بالفاظ عربية إذ يلزم على ذلك ترجمة اللفظ الواحد بمدة الفاظ وفي ذلك من النقص والنقل على السمع مالا يخفى . ونورد هنا تفصيل هذه الشبهة من كلام حضرة الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان المشهور بالبحث في مثل هذه المسائل . قال حضرته في صفحة (١٣٤) من العدد الرابع من السنة السادسة عشر في التفاضل بين الترجمة والتعريب : -

« فأول ما يتبادر الى اذهاننا من الحكم في تفاضل الترجمة والتعريب ان الترجمة أفضلها مهيأة لغة من مفاسد الصجمة فنقول « بريد » بدل « بوسطة » و « نظارة » بدل « تلسكوب » و « سيارة » بدل « أوتوموبيل » و « التصوير الشمسي » بدل « فوتوغراف » . ولكن ذلك لا يتيسر الاجماع على اختيار الفاظه الا بمجمع عامي لغوي فيه الكفاءة وحسن الاختيار وان يكون له صفة رسمية تسهل اعتماد الكتاب على ما يرضه

او يختاره من الالفاظ . على ان هذا المجمع اذا تألف وعرضت عليه الالفاظ المطلوب ترجمتها فكله يحكم بتعريب قسم كبير منها اي يبقائه على لفظه الافرنجي بصيغة عربية اذ يرى بعض المصطلحات الجديدة تسهل ترجمتها بما يسهل فلفظه وحفظه والبعض الآخر لا يترجم الا ببضعة الالفاظ بثقل استعمالها مع كونها بالاصل الافرنجي لفظا واحدة . فاذا ترجمنا فوتوغراف بقولنا « تصوير الشمس » او « التصوير الشمسي » فهاذا نترجم « تليفوتوغراف » ومعناها « التصوير الشمسي عن بعد » واذا اردنا قصر فيها في الاستعمال قلنا « آلة التصوير الشمسي عن بعد » . . . ولا يخفى ما في ذلك من الثقل على اللسان والفهم . والتعريب يكفينا مؤونة هذه الاثقال فلما اقمنا اللفظة كافي قلنا جاء التليفوتوغرافي وفن التليفوتوغراف الخ . ومن فروع التصوير الشمسي ايضا « الفوتوليتوغراف » ويراد به التصوير بالشمس على مطبعة الحجر ومثلها « تليياتوغراف » وهي آلة كهربائية لنقل الصور عن بعد بأسلاك كهربائية فكيف نترجم هذه المصطلحات وأماها وأقس عليه الفوتوتيب أي الطبع بالشمس والفيسوتيب الطبع بلا حبر

« واذا ترجمنا « الميكانيك » بالحيل الرومانية أو علم الآلات فهاذا نترجم « تليميكانيك » ويراد بها عندم نقل القوة الميكانيكية من مكان الى آخر . واذا ترجمنا « الفوتوغراف » بالحاكي او الناطق فهاذا نترجم « التليفافون » وهو آلة مركبة من التلفراف والتليفون وتعمل عليهما معا . واذا ترجمنا « تلسكوب » بالنظارة المقربة فكيف نترجم هيدر وسكوب وهي التلسكوب الذي يكشف به عما في قاع البحار . واذا ترجمنا « سينما توغراف » بالصور المتحركة فكيف نترجم « سينما فون » وهو الآلة التي تريك الصور المتحركة وتسلك اصواتها . وقس عليها امثلة لا تحصى . لا نقول انها لا نترجم ولكننا نرى ترجمتها شاقة لا تخلو من التصيد فضلا عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام . لان المعنى الذي يودى بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين او أكثر »

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ليهون جناب الفاضل عليه الامر فان الترجمة الحرفية ليست هي الطريقة الوحيدة لنقل اللفظ الاعجمي الى العربية فان وراءها

طريقة التسمية من جديد وهذه إما أن يلاحظ فيها كل المعنى الأصلي أو بعضه أولاً يلاحظ شيء منه ، الا يرى أن العرب عندما أرادوا أن يسموا علم (السموغرافيا) باسم عربي سموه (الهبة) مع أنهم لو أرادوا ترجمته قالوا وسم السماء وإن علماء الطبقات الأرضية سموها نوعاً من الصفود لم يهتدوا إلى معرفة عناصره الأصلية باسم (الحجل) إذ لا مناسبة بين هذا الاسم وبين المعنى الطبيعي . وما المانع من تسمية (السيافون) بالطيف أو (الطيف الناطق) مثلاً . ولا يطالبني الآن جنابه بتسمية جميع ما ذكره فإن ذلك يحتاج إلى بحث ودراسة ونحن الآن نبحث عن تقرير أصل تشبهه فإذا ترويض عليه كان له ما يحب .

(الشبهة السادسة) يقولون أننا بقولنا طريقة التعريب نكون قد وافقنا جميع الاسم المشتقة بالعلم في جميع بقاع الأرض وبهذا أياها نكون قد خالفناهم والفرد إذا خرج عن الجماعة اعتبر هله شذوذاً وانقطاعاً عن العالم ونقول في إزالة هذه الشبهة : ليس كل خلاف يمدشذوذاً أو يلحق بصاحبه ضرراً . على أن لنا في ذلك أسوة أئمة ألمانيا العظيمة فاتها خالفت هذا المبدأ ولم تستعمل مصطلحات اللغات الأخرى في لغتها وهي صاحبة المقام الأول في قارة أوروبا علماً وصناعة وسياسة . وبعد فإذا نستفيد من هذا الوفاق ما دما نكتب بغير الحروف اللاتينية ونطلق الحروف بمخارج تباين مخارجها في اللغات الأوربية

(الشبهة السابعة) - يقولون : إن لغتنا جامدة وكل معنى من معانيها لا يقوم إلا بفرد خاص فاما اللغات الأجنبية فيها كثير من الزوائد والانهاءات الصغيرة تؤدي إلى الالفاظ الكبيرة خصوصاً في النفي والاثبات والافراد والجمع يعرف ذلك بالأطلاع على مصطلحات الكيمياء وكيف فرقوا بين كلورينيك وكلورات وكلورور ، وأن لها لاتينياً يونانياً قد بين يومئذ منها أسماء المصطلحات الجديدة بحيث لا يحصل أدنى اشتراك في اللفظ

ونقول في إزالة هذه الشبهة : إن عددًا لا يمكن حصره من ألفاظ اللغة العربية كل منها له معنى لو أراد التعبير عنه بالتفصيل لما كفت الجمل بله الالفاظ . وإن

الطبي بعلامات الثنية والجمع في اللغة العربية له أعظم أثر في التمييز، وإن زوائد جواهر الكيمياء يمكن أن يستبدل بها في العربية كلمات قبلية الحروف أو حروفا مثل (ذي - أو ذات - أو ياء النسب - أو النسب بالوصفة والاشتقاق) وغير ذلك مما لا يصدر على جماعة تعني به، وإن لنا أيضاً لا تليها قد بما لا يحصل به الاشتراك هو التعريب القليل الاستعمال متى كان قليل الحروف خفيفاً على السمع (الشبهة الثامنة) - يقولون : إن هذه الأسماء الجديدة قد شاعت ودأبت بين العامة وهم السواد الأعظم وكثير من الخاصة ويشبه المستعمل أرجاعهم عنها إلى الفاظ عربية فصيحة

ونقول في دفع هذه الشبهة : أما العامة فلم لغة خاصة بهم ونحن نتكلم في لغة الكتابة والقراءة فإذا ما تعلم العامة القراءة والكتابة تعلموا الألفاظ الفصيحة . وبعد فقد كان ينبغي على هذا المبدأ أن نحارهم في جميع الألفاظ العامية أو بالأولى نجعل لغة القراءة والكتابة هي العامية وريح أنفسنا من عناء تعلم الفصح والصدور نضيق بالرد على أمثال هؤلاء ممن لا يحفظون بسوء الحال عند الفلاء ولا يباون بقبة القول وأما الخاصة فلا أسهل من الأخذ بهم في طريق الفصح وأنا أرى الكاتب في عصرنا يأف من كتابة (سكليت) ويكتب بدلها دراجة (الشبهة التاسعة) - يقولون إن اللغة كأن حي وهي في ارتقاء مستمر ونجدد ونؤور وإن ناموس الارتقاء يستدعي بالطبع بقاء المناسب وكل ما يحدث في اللغة من التخيل والمولد وما سيحدث فهو ضروري بطبيعة الحال وعينا يحاول الإنسان مقاومة الطبيعة الأخرى إن العرب كانت لها أسماء لمسميات تعرفها فلما امتنت في الامتواج بالفرنس أخذت أسماء هذه المسميات عنهم وهجرت أسماءها الأصلية . نظير ذلك الباذنجان وهو بلغتهم (الأنب) والرصاص (الصرقان) والهاون (المنشار) ونقول في دفع هذه الشبهة : إن هذا الأصل القروي يفتني بفتني به كثير من متفلسفة زماننا ويدخلونه في كل شيء وما مني الناس بشر أشد من اختلافهم في فهم هذا الأصل ولئن صرح على زعمهم أن اللغة كأن حي كبقية الأحياء فما لاشك فيه أن حياتها بحياة أهلها ونحن نجح بان تكون لغتنا حية . إذن لحياتها وموتها وعزها

وذلك بأبدنا فلو شئنا ان ندرج في ناموس الارتقاء ونسب طريقة التجدد والدور
فمنح كثيرا من الفاظها الجملة التي بائت في بطون المعاجم نشتكي العلة وسوء
الحال وكساد السوق ، ولنت كثيرا من الالفاظ النحيلة والمولدة التي صارت في
وجها كبثور الجديري الاسود فشوت محاسنها واوهنت قواها



اذ انفتنا جميع هذه الشبه وجب علينا ان نشرح طريقتنا في ترجمة الاصطلاحات
والآلات الجديدة فنقول :

ان هذه الكلمات لا تخلو ان تكون اعلاما واسماء اجناس . فاما الاعلام
فلا مانع من نقلها أعجبية بعد صفها بالنطق العربي واما اسماء الاجناس فاما ان
تكون معروفة قديما عند العرب ولها في لغتهم أسماء نطلق عليها أو على مايشبهها
وهذه يبعث عنها في اللغة ويصاد استعمالها في معانيها ككلمة قتال ١ خليج
او قناة) وكلمة قبانة (شركة) . واما ان تكون مجهولة لم وهذه لنا في نقلها
ثلاث طرق :

(١) طريقة ترجمة اللفظ بمصادره كترجمة سينما وجراف بالصور المتحركة
وترجمة كرافات برابط الرقبة

(٢) طريقة الاشتقاق من الفعل الذي يعبر به عن عمل الكلمة او صفتها
ان كانت من ذوات العمل والصفة . وهذه تسمية جديدة لا ترجمة مثل تسمية
البسكيت بالبراجة والأتوموبيل بالسيارة ومحوها من مثل الدراعة والبراجة
والبخرة والنساق والقطار الخ فان هذه الالفاظ قد وضعت لاسماء افريقية ولا
يوجد من الفريق الخالف لنا من ينكر صهولتها وشهرتها وسبقها غيرها في حلقة الكتابة

(٣) طريقة التجوز . وهي طريق واسعة النواحي كثيرة الفجوج وعليها
اعتماد الأوروبيين في قلمهم المصطلحات الحديثة من اللاتينية وما أغزر علاقات
المجاز في لغتنا فملاقة المشابهة في حالة من الاحوال تكفيها موادة التكلف
والتصف في انتقاء الالفاظ . هذا الى بقية علاقات المجاز المرسل كالسيية

والمسيية والحالية والطبية واللازمة والمزومة واعتبار ما كانوا يؤول وغيرها مما يكفي فيه ان يكون بين العربي والأعجمي أدنى ملازمة ومنى شاح اللفظ الجديد واشتهر فلا يوجد من يبحث عن أصل مأخذه كالدارعة والبارجة والقطار والمختصر. والمجاز اذا اشهر صار حقيقة عرفة

وهذه الطرق الثلاث كلها قياسية في الاستعمال لا ينكرها أرباب العربية وكتبهم في البيان والاصول وعلم الوضع حافلة بشرح حقائقها وتفصيل مباحثها ولا يتعجبك بذلك الا مكابر وعلى هذه الطرق جرت العرب عند وضعها اصطلاحات العلوم الشرعية والادبية والطبية وكنا نعرف معنى التفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتمييز والظرف والاستثناء والمحل عند النحويين ، ونعرف أصل معانيها القوية . وترى العرب عند ما ترجموا المنطق والحساب والمهندسة والفلك لم يستعملوا في اصطلاحات هذه العلوم الا اللفظ العربية وربما ظفروا بعضهم فاقى يعض الفناظ على اصحابها مثل الغلظة والسفسطة ولكن ذلك لم يمنعه من استعمال مرادف لها عربي مثل الحسكة والمخالطة

هذا وان ما سقناه من أدلة الرد على التفريق الاول يكفي في اثبات فضل طريقتنا في الترجمة ولا يحتاج في نشرها والعمل بها الا تأليف مجمع علمي يتولى أمر البحث والوضع وهو ما نرجوه في هذا النادي اذا تقي من حضرات الافاضل أرباب الصحف والمؤلفين والكتاب والشعراء ما ينتظره منهم من المؤازرة في البحث والوضع والتنويه بنتائج علمه واذا عث للجمهور لبروارأيهم فيه وليتزوجوا منه اهـ



(المزار) : هذا خطاب الشيخ احمد الاسكندري الذي أعده للاجتماع الاول من اجتماعات نادي دارالعلوم ولكنه لم يتمكن من إتمامه فيه . وقد رأى من المنكرين عليه منع التعريب ما حمله على كتابة خطاب آخر يرد فيه عليهم وعلى خطاب الشيخ محمد الحضري الذي نشرناه في الجزء الماضي وقد اتى هذا الخطاب الثاني في الاجتماع الثاني وهذا نصه

﴿ الخطاب الثاني للشيخ احمد الاسكندري ﴾

﴿ في نادي دار العلوم ﴾

أيها السادة الافاضل

اني أقف الآن موقفني منذ أربع عشرة ليلة في سبيل اداء واجب من أقدم الواجبات عليّ وهو القدود عن حياض العربية وكلاءها من تسرب المعجمة اليها وكان يردي أن أتأجر مناظري الفاضل في الوطن الاول ولكن حال دون ذلك ضيق الوقت وفيما حضر استدراك لافات

أيها السادة : كنت غيب في الاجماع الماضي أن أدحض أولاً شبه الفريق المخالف لي في الرأي ثم أشرح بعد ذلك طريقي في وجهة الاصطلاحات العلمية واسماء المختصرات الجديدة ولكن الوقت ضاق عن تمام ادخال الشبه وبيان الطريقة فلم آت الا على شبه واحدة منها واكتفاء بما أوضحته في رسالتي التي طبعت ووزعت على حضراتكم وعلى كثير من أهل الذكر ولبثت الجرائد توالي نشرها عدة ايام . لا أريد الليلة معاودة البحث في هذه الشبه إذ لا تقبلوا إعادة القول فيها من تكرار وأجمل كلامي القليلة قاصراً على شرح طريقي وعلى المناقشة مع مناظري الفاضل في خطبته التي أوضح فيها طريقته ورد بها على مخالفيه فأقول

بلفني ان نقوا من يأخذون بالنظرة ويتقنون بوجودهم لم يترشوا في الحكم على طريقتنا فأرجفوا بأنها نقول ببقاء القديم على قدمه وأنها تحارب كل جديد وأنها تمنع الاجتهاد في القصة كما منع من قبل الاجتهاد في الدين وأنها تفرق بين القصة وبين العلم والصناعة وأنها تقاوم الرقي الطبيعي لفئات وغير ذلك مما لم يكن له موضع الاخيلاهم فقط

يا حضرات الافاضل اني لم آت لحفظ لغتنا بأمر غريب وما جئت شيئاً نكراً فاني لم اسلك الا الطريقة التي سلكها أسلافنا عندما أرادوا أن يدونوا علومهم ويترجموا كتب غيرهم من الامم . كانوا وحسب الله اياهم يضمنون

لاصطلاحات علومهم أسماء منقولة من العربية المحضة بنوع من التساهل والتجاوز في المنين القديم والجديد ولم ينكر أحد عليهم ذلك حتى أهل زماننا فوضوا مصطلحات النحو والصرف والمعاني والبيان والبدع والروض والقافية ومصطلح الحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه والتوحيد كما وضوا مصطلحات العلوم التي ترجعها مثل المنطق والحكمة الإلهية والطبيعة والحساب والهندسة والفلك وغير ذلك من العلوم التي لو أردت احصاء مصطلحاتها لعدت عشرات الألوف من الكلمات كلها عربية لما ممان اصطلاحية وممان لغوية ومثل ذلك آلات الصناعة والعلوم وكتاب المحصى وفقه الفقه وكتاب العين للخليل وجوهرة ابن دريد ووادع ابن الأعرابي ومفردات ابن اليطار والمادة الطيبة للرشيدى وقاموس تيجاني يكملها بحور وأخوة باسماء النبات والحيوان والآلات

ولم يكن العرب يتدعون ذلك من عند أنفسهم بل أنهم اعتدوا فيه بهدى القرآن الكريم فأكثر الفاظ القرآن الدينية لم تكن العرب تعرفها قبل الإسلام بهذه المعاني فقد جاء الإسلام وما تعرف العرب من معنى الصلاة إلا الدعاء ومن معنى التيمم إلا القصد ومن معنى الزكاة إلا الطهارة ومن معنى الفسق إلا قولهم نسقت الرطبة ومثل ذلك كثير في القرآن فاستعملها في هذه المعاني الجديدة الدينية ولم تنكر العرب هذا الاستعمال. ولئن جاز أن ندخل مثل مباحثنا من الدين في باب الحظر والاباحة لقد جاز لنا أن نقول أن هذا اقرار من الله تعالى على صحة التوسع في استعمال اللفاظ اذ لو ابتنا هذه الطريقة في تسمية الآلات والاصطلاحات الجديدة لم نكن نأبين إلا السنة التي سنها الله تعالى في تسمية كل جديد وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الأئمة وواضي العلوم ومن ترجمها من سلف الأمة وإذا فصلنا هذه الطريقة أمكننا أن نقررها فيما يأتي

(١) لا يجوز النقل من غير لغة العرب إلا الاعلام (٢) لا نأخذ الكلمة لشئ الجديد إلا من غريب الفقه أو القليل الاستعمال مما هو عندنا بمنزلة اللاتيني عندم لتقليل الاشتراك بقدر الامكان (٣) ان كنهية الترجمة لا تخرج عن الطريقة الآتية :

(ثم قال بعد ان لحص طريقته التي ذكرها في الخطاب الاول)
وقد يفترض بعض المتحدثة بن بقوله لاغنى لنا عن أن نترجم بعض الآلات
بكلمتين فأكثر مع أنها كلمة واحدة في الافرنجية . فنقول في الرد عليه أما الكلمتان
فلا بأس باستعمالها اذا كانا لصفة وموصوف ومضاف ومضاف اليه لانهما كالشي
الواحد مثل (القباب العليارة و) (المهرات البخاري) و (مسكة الحديد) ومع هذا
فإن الامة الافرنجية نفسها لم تسلم من ذلك فالباخرة عندنا كلمة واحدة وهم عندهم
ثلاث كلمات (بانسوآذا بور) ومثل ذلك كثير امامازاد علي ثلاث فانا لا نلتجئ
اليه بل نسي الكلمة التي لا تترجم تسمية جديدة كما نسي السيفافون ومناها
الصور المتحركة الناطقة بالحبال الناطق)

واذا قيل إن ذلك يستدعي حلا كثيرا وأزمانا طويلة ومن هم الذين يعملون
ملك لتحقيق هذه الامنية : أقول أي لا أريد ان أقتض هيكلا وأبقيه في ثلاثة
أيام وكل عمل عظيم يستلزم صعوبة وبيتنا الآن كثير من رجال العمل لا يعرفون
الا مساعدات قليلة من رجال الصحف وسراة الإمة

اذا قيل : اننا نخشى أن لا نجد في الامة أسماء موافقة لبعض المسميات
الافرنجية أقول : هذا مستحيل مع ما قدمنا من الطرق الثلاث واذا علمنا ان
أبا الاسود سمي علم النحو نحو لان عليا رضي الله عنه لقنه بعض قواعد وقال له
انح هذا النحو وان عليا طبقات الارض من الافرنج سمو أحد الضخور باسم
(الحجل) لانهم لم يعرفوا له توكيا فحققنا من أننا نجد حتما كل اسم والاصطلاح
وحده وضع آخر

واذ سمعنا باحضرات الافاضل طريقتي وجب على ان أشرح لكم الادلة
والبراهين التي قامت عندي على صحتها

الدليل الاول - ان التعريب ليس من حقوقنا لانا لم نر أحدا من أئمة الامة
انكر ان التعريب حق للعرب وحدهم وان زمنه ينتهي على أوسط تقدير الى أوائل
القرن الثالث وفي هذا المقام ندفع شبهة قد وهم فيها بعضهم عند تكلمي في هذا
(النار) (١١٤) (المجلد العاشر)

المقام في الاجتماع الماضي . وهي قوله : تقول انا لسنا عربا في مقام ثم توجع
وتقول في مقام آخر انا نحافظ بمننا دخول الكلمات الاعجمية في لغتنا على سلامة
جنسيتنا العربية . فتقول له : انا نعمي بالعرب العرب الذين يمتدحونهم في اللسان
لا في النسب والجنس فمثل عشرة وبلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصهيب صاحبه والحسن البصري وابن سيرين وعطاء بن أبي رباح ومجاهد
وسعيد بن جبير ونصيب وعبد نبي الحساس وابن المقفع كلهم عرب في أنفسهم
لا في جنسهم وانسابهم فمنهم المسيحي والنجاشي والحبشي والفارسي والرومي ، ومثل عرب
جاده وماطلة وعرب اسبانيا وعرب المغرب والشام ومصر ليسوا عربا في أنفسهم وان كانوا
عربا في انسابهم وكلنا لا ينكر أن فينا الهاشمي الذي لا يهين قومه الفاتحة ومثله كثير
في بلاد الترك وفارس والهند والصين واذا سمانا اتانغ وعلم تقويم البلدان عربا
فانما يعني علماءها العربية الجنسية واذا قالوا عند ذكر بلادنا ان لغتها العربية
فانما يعني ان لغة الكتابة والقراءة والعلم والتعليم هي العربية أو أنهم يتساهلون
في إطلاق العربية على العامية لان أكثر الفاظها محرقة عن العربية وان أساليبها لم
تزل بعد عليها مسحة الاماليب العربية وقتلك لم يحررنا أمة اللغة حق الارتفاق
بهذه الصلة اللسانية فسمونا مولدين أي انا نصف اعراب في اللسان ان لم تكن
نصف اعراب في الجنس اذن فعنى العرب في كلامنا ما يقابل المولدين لا ما
يقابل الرومي والصقلي

الدليل الثاني — المحافظة على سلامة اللغة من فشو الخيل فيها مع التوسع
في استعمال الفاظها فاننا وجدنا العرب عند وضعهم للمعجم وترجمتهم لكاتب غيرهم
واقباسهم صانهم لم يرجعوا في تسمية المصطلحات وأسماء الآلات الى اللغتين
في استعمال الفاظ اللغة اقتداء بالقرآن في تسمية شعائر الدين بأسماء استعملت قبل
القرآن فيما يشبهها كما بينا ذلك آنفا

الدليل الثالث — المحافظة على صحة فهم القرآن لاننا اذا أبجنا لنا ولاولادنا
واحقادنا افعال الآلاف المولدة من الكلمات الاعجمية وأبجنا لم كما يرى
مناظري الفاضل اشتقاق جميع المشتقات منها كنا قد صبغنا اللغة بصيغة إفريقية

لا يتميز بها العربي من البخل ولا خلط الأمر وأثر الفساد في حالة مداورة القرآن وكتب السنة

الدليل الرابع - المحافظة على البقية الباقية عندنا من الجنسية العربية فإن هذه الجنسية الميزة لنا عن سوانا والتي فصلنا بأعظم أمة فائحة ذات دين وشرعية ومدنية عظيمة لم ندم لنا إلا بقسبة عما فعلتنا على الأقل من اللسان العربي فإن نحن حرصنا بهذا القليل ما نحبته من الأجني الذي يستمر أخذاً في الزيادة وذلك في القسمين نسخ الجديد القديم ويؤلو ذلك نسخ جنسنا وكفى بذلك ذلاً وفناء

الدليل الخامس - توسيع نطاق اللغة العربية وجعلها لغة علم وصناعة إذ بنقلنا أسماء عربية قديمة لسان اصطلاحية نكون قد زدنا في مدلولات اللغة وفناغلها شيئاً كثيراً من غير أن نحققها بهذا المصل الغريب المجهول التأثير الذي ان لم يجعل منيتها فلا أقل من ان يحلف ذوقاً في جسمها مع امكان مداواتها بغيره

الدليل السادس - علم الاستفادة من التعريب لاننا على فرض تسليمنا جواز التعريب فما الفائدة لنا ولا مأم أوربا فيه . ان قلنا توحيد لسان العلم وتقرئنا من أمم أوربا كما فعلوا هم يعتنا منه عدة أمور (١) ان حروف كتابتنا عربية وحروف ممالك أوربا لاتينية وهم يكتبون حروفهم من الشمال الى اليمين ونحن نكتب حروفنا من اليمين الى الشمال (٢) ان مخارج حروفهم غير مخارج حروفنا (٣) ان قاعدة التعريب تقتضي أن نكسر الكلمة ونهشها حتى نصير الى صورة عربية فإن كانت من الكلمات التي تزيد حروفها عن سبع وجب أن نصغرهما حتى نصل الى سبع ونغير بعض حروفها بأخرى ونضع في آخرها جماً اذا كان آخرها لا يستقيم كما قالوا في (لازا) طازج ثم نجعلها جوما ليس في آخرها (s) ولا (x) أعني أننا نصورها في يودقة ونضربها بسكة أخرى فبعد أن نكون ثلثنا نصير قطعة بخسة لا يتامل بها في أوربا ولئن كان حب التقرب من أوربا يضطرنا الى استعمال كلماتهم في لغتنا فقد حق علينا أن نشتغل كلمات من هم أحق منهم بالقرى وهم العامة في مصر والشام والمغرب والبراق مع اتفاقا جميعا على نطقها وتعبير من يدعوا في كتابته مع ان فيها من الانفاظ الدقيقة المعنى

ما ليس له نظير في الفصحى مثل كلمة (يادوب) فإنا نكون حرباً على أمتنا
وصلاً لغيرنا

هذه هي طريقتنا وتلك أدلتنا وقد أزلت في مقايضنا وفي الاجتماع الماضي
جميع الشبه التي يمكن أن تخطر على قلب من يرى غير رأينا . وأما خيلة حضرة
مناظري فإنها من حسن الحظ لم تكلفها كبير مؤونة في الرد عليها فإني بعد أن سمعتها
من حضرة وقرأها مراراً ومعضها معضاً لم تجد على بالكثير من ثلاثة احتجاجات
(الاحتجاج الأول) قال إن حبستنا في معنا التعريب هو تشييعنا اللغة بالدين
وهو احتجاج تخيل من نفسه ما قلناه أنا وما قاله أحد ممن يرى رأيي ، وعلى
هذا الخيال أخذ يفرق بين الدين واللغة وإن هذا وضع الله وهذه من وضع
الأفراد الخ

(الاحتجاج الثاني) قال « إن طريقة التوسع في الاستعمال بالجهوز غير ال
تغيير في وضع الكلمة الأصلي وهذا التغيير وضع من جديد » وأنكر ذلك أنكاراً
شديداً قال « إنا إذا أخذنا الكلمة واستعملناها في شيء جديد (مع قرينة) لم
نكن قد جربنا على لغة العرب لأننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم — إلى أن قال
في طريقتنا — إنا نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج من أوضاع
المقدمين » ونقول إننا لا نتكلف الرد على هذا الاحتجاج بأنفسنا بل نكمل ذلك
لحضرة وكل من قرأ كلام العرب ويعرف ما هي أوضاع المتقدمين فالعرب أنفسهم
استعملوا طريق التوسع في الوضع والمجاز وكلهم يعرف أن المتقدمين وضعوا هذه
المسألة وحدها عليمين علم الوضع وعلم البيان وما ذاك إلا أنها أصل من أصول اللغة
وكل الاصطلاحات الدينية والعلمية والصناعية وأسماء الآلات من هذا القبيل وهو
يدرس كل يوم « معنى الكلمة لغة واصطلاحاً » وهذه الطريقة التي يذكرها ويقول أنها
لا أساس لها وأنها تختلف أوضاع العرب الخ قد تقض رأيه فيها في موضع آخر من
الخطبة فإنه قسم طرق الوضع إلى ثلاث فقال والمقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث
طرق (١) الوضع من جديد (٢) التوسع في الاستعمال وهو المراد بالجهوز بأن
يكون اللفظ قد وضع بارزاً مسمى ومناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل

ذلك اللفظ في المعنى الجديد . فمرونا أنه لم يكنف بأن جعل طريقنا معقولة حتى جعلها إحدى الطرق الثلاث التي هي طريقة الوضع من جديد وهذه منها بنة ونحن نمنعها معه . والثالثة طريقة التعريب وهو يميزها وأنا أنصها فيها خلاف فما بقيت الا طريقتي وهي إقراره معقولة أساسية

(الاحتجاج الثالث) وقد كرهه في عدة مواضع - ان طريقنا في التجوز نحو الى الاشتراك واشترك الالفاظ في المعاني مما يحل بأصل المقصود منها والتجوز لا بد فيه من إقامة القرائن على إرادة ما استعمل اللفظ فيه

وقال عن نفسه وعن يرى رأيه « وهذا وذلك كثيرا ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد به ذلك أن نضيف الى آلامنا آلاما »

فقول جنبنا الله الحيرة وباعدنا من هذه الآلام . فيم الحيرة وفيم الألم ؟ لا توجد لغة في الارض الا والمشتراك فيها قسم مهم من أقسام اللفظ . وبد فأي لفظ بل جملة من الكلام تفهم بغير قرينة والقرائن في الحقيقة لا تنفاهي ولئن كان المشترك يحول دون فهم المعنى أو بوقع القارئ في الآلام لقد ضل واضعو العلوم ضلالا ميئنا وجنوا على الناس جناية لا تنفتر بايقاعهم في الآلام والحيرة ولكننا والحمد لله لم نر مهندسا اشتبهت عليه زاوية المثلث بزاوية الكاشفي ومنشور الاجسام بمنشور النظارة كالم نر طبيباً اشتبه عليه مرض الاستسقاء بصلاة الاستسقاء

هذه هي كل ما في خطبة مناظري الفاضل في احتجاجه على طريقتنا وباقي ما فيها مقدمة ليست من موضوع البحث وحكاية الطريقة التي كانت العرب تتبعها في مثل الباء والفاء الفارسيين وهي ليست من موضوع الخلاف . ثم نتيجة قررها أنه لا يسمح بوضع اسم عربي لمسمى حديث الا اذا دل عليه بنفسه (يعني لا بقرينة) وبذلك قد حرم طريقة التجوز بتاتا

هذا ما رأيته في شرح طريقتي ورد الشبه التي ترد عليها والله اسأل أن يعضدنا من الزلل ويجهننا الخطأ ويعدنا بروح منه والسلام عليكم ورحمة الله احمد الاسكندري

﴿ رأي النصارى في الخطبتين والتعريب ﴾

ان ما ذهب اليه صاحب هذا الخطاب في مسألة التعريب من كونه
 خاصا بمن يحنج بريتهم هو المقرر عند علماء هذا الشأن وقد توسع هو في الدين عند
 بريتهم . ولكن ما قرره في ذلك لم يمنع العلماء والادباء من اقتباس الكلم
 الكثير من الاعاجم عند ما ساقهم الحاجة الى ذلك . نعم ان علماء اللغة سموا
 ما ستمله من لا يتعد بريتهم لضمف الملكية فيهم مولدا لا مبرا كما سموهم المولد بن
 فاذا كان الشيخ احمد الاسكندري يبيح لاهل هذا المصرد ذلك ويمنع تسمية
 ما يستعملونه من كلام الاعاجم بالعرب ويخصه بلفظ المولد فالخلاف يكون لفظيا
 لان غرض من يقول بالتعريب هو اباحة ادخال الالفاظ الاعجمية في العربية
 عند الحاجة مع التصرف بها كما تصرف الاولون ولا يبالون اسميت معرفة أم
 سميت باسم آخر . وقد علمت أنه يمنع هذا الاستعمال مطلقا وهو المنع الذي لا سلف
 له فيه . اما القول باجتناب الاكثار منها والوقوف فيها عند حد الضرورة فلا
 أرى أن أحدا غيره يخالف فيه

ولكم همت بأن . أنظر فيما جمعه من الكلم العرب والمولد وأرجعه الى
 قواعد عامة اذا أمكن ولم أجده سعة في وقتي لذلك . ولعلنا لو اطلعنا على كتاب
 أبي منصور الجواليقي لوجدنا فيه غناء يكفيننا في هذا المطلب كل غناء

انه لا خلاف بيننا وبين الاسكندري الا في التعريب فنحن نجهزه عند
 الحاجة اليه وهو يمنعه مطلقا ويدعي انه يجرى في ذلك على سنن سلفنا في ترجمة
 علوم اليونان ولا نسلم له ذلك فانهم قد عربوا كثيرا من الكلم . ومن قال ان
 المرب خاص بما نفقت به العرب في جاهليتها ومن يتعد بريتهم في الاسلام
 فذاك اصطلاح منه على تسميته لاحكم بمنعه والا فقد قال الخفاجي في مقدمة شفاء الغليل
 « فما عربه المتأخرون بعد مولدا وكثيرا ما زعم مثله في كتب الحكمة والطب
 وصاحب القاموس يذهب من غير تنبيه » فلم من هذا ان التعريب واقع من

المقدمين والمتأخرين ولكن علماء اللغة سموا ما سمح من العرب قبل الفتح
الصحة بالسنة ما وما وسوا ما سمح من بعدهم مؤلفا وقد احسنوا بذلك كل
الاحسان اذ هو من مباحث تاريخ اللغة الذي يدل على معرفة تاريخ أهلها . وما
اقترحه الحضري من تمييز ما نصر به في هذا العصر عن غيره يجري على هذه الطريقة
وأزيد عليه امتحان اطلاق اسم خاص عليه (كما حدث)

وجهة القول ان كلا من الحضري والاسكندري قد أحسن فيما كتب واصاب
على ما نرى فيما أثبت وأخطأ فيما نفي ولا ننسى فضل ما أطل به الثاني فأقاد . والذي زاه
هو أن يكون للمصنف اللغوي الذي يراود تأليفه الحرية التامة في اتباع ما سلفنا في بداوتهم
وحضارتهم والزيادة عليهم اذا أمكن فانه قد يحتاج في قتل الاصطلاحات العلمية الى
مجازاة الاوربيين في جعل اسما الآلات الكثيرة التي من نوع واحد بحيث يعرف من
كل منها نوعها الكلي الذي تندرج تحته ويرى ان ذلك لا يتم الا بالتعريب
او الانفعال او التخت او غير ذلك

وقد كبر الاسكندري الخوف على اللغة من كثرة الاصطلاحات المربة
حتى جعله مفرجا جدا والامراء هون فيه مما تصوره فصوره في خطابه . على ان الاصطلاحات
المرجوة لو كثرت في الانشاء والخطابة لأفسدت أسلوب اللغة . وهذا ابن خلدون
قد بين ان موازاة اللغة وفنون العربية لا تستحکم فيهم ملكة البيان ولا يكون منهم
البليغ فلفنون أسلوب أو أساليب خاصة بها لا ينبغي على الأسلوب الفصح اذا هو
أخذ على وجهه في اكتساب الملكة

للكلام ضروب كثيرة منفصل بعضها عن بعض لاجابة الى ادخال
اصطلاحات كل واحد منها في غيره . لكل فن من الفنون العربية والشرعية والعقالية
واراضية والطبيعية والصناعية والمالية والعسكرية الفاظ خاصة بها لا يدخل بعضها
في بعض الا قليلا . وأقل من ذلك ما يحتاج اليه في الكتابة الادبية والخطابة
والشعر وهي ما به يكون التفاضل في البلاغة وسعر البيان . فاذا كان أساس العربية
في هذا النوع من الكلام هو القرآن الحكيم والاحاديث الشريفة وآثار
الصفاة والتابعين - وهي أساس الدين المتين - ثم اشعار الجاهلية وصدر

الاسلام فإذا يضر اللغة بعد ذلك اذا كثرت اصطلاحات الفنون العربية او قلت
 وإذا نحن قصرنا في حفظ هذا الاساس الثمين فإذا يبدنا جعل مصطلحات
 الفنون من المواد العربية ونحن نستخدمها في غير ما استخدمتها به العرب ؟
 اننا بهذه الكلمات نقضنا أدلة منع التعريب وهدمنا هيكلها المسدس فاما
 التحليل الاول وهو اتفاق أئمة اللغة على أن التعريب ليس من حقوقنا فقد بينا
 أنه اتفاق على التسمية فنسب ما نعرفه لأن مولدا كما سموا ما عرفه من قبلنا من العلماء
 بالمؤلفين او محدثا كما أختار

واما الثاني وهو المحافظة على سلامة اللغة والاقتداء بالعرب في وضع العلوم
 وترجمتها فقد بينا أن التعريب لا يعرض سلامتها لخطر واننا لنخرج به عن اتباع
 ملتنا الذين ترجموا علوم اليونان . وانما يرد علينا هذا اذا التزمنا طريقة الحضري
 وهي الاكتفاء بالترجم عن الترجمة والوضع الجديد وما نحن بمنزيتها فاننا لم نقبل
 من طريقته الا جواز التعريب وقيدناه بقيد الحاجة اليه

واما الثالث وهو المحافظة على فهم القرآن وكتب السنة فقد علم بما قدمناه
 أنه مما اتسمت دائرة الفنون عندنا وكنا نقيم القرآن والحديث ونفهمها أساس
 بلافتنا وينبوع هدايتنا فن ضف أسلوب تلك الفنون لا يصعدنا عن اكتساب
 ملكة البلاغة ولا فهم القرآن وكتب السنة والاهتمام بها . وأزهد على ذلك
 فأقول . إن العناية بالقرآن وكتب السنة إنما تقوى في المسلمين بقوة التدين
 ونضف بعضهم فما دنا مسلمين تتمد بالقرآن ويهتدي به وبكتب السنة فإذا
 لا نزداد بزيادة ممارفنا الا قوة في ديننا وانما يخشى أن يصعدنا عن القرآن والسنة
 بتأؤنا على التقليد لاعمى مع مهاجمة المدنية الغربية لنا بإباحة المخطورات وتقطيع
 الروابط المالية بشبهة الجنسية والوطنية ، وتلون السياسة ، لا بأبواء الخزعرات ومجده
 الاصطلاحات العلمية التي يمكن لنا استعمالها مع المحافظة على كل ما عندنا وان
 عربنا بعض الفاظها فان التعريب لا يضعف اللغة وانما يعدها وينتدبها

واما الرابع وهو المحافظة على الجنسية العربية فقد علم من كلامنا أن التعريب
 وهو جعل بعض الكلم النحوي عربيا لا يضعف الجنسية بل يقويها ويوضحه

ما ذكرناه آنفاً في الكلام على التلليل الثالث . ونزيد عليه بأنه يجب علينا ان نجهد في نصب التلليم بالمرية بقدر الاستطاعة وان يكون حفظنا من اللغات الافرنجية قتل العلوم ونشرها بالسنن وذلك لا يتم لنا الا بتسهيل طرق النقل ومنه التعريب فباحته تأتي بتقيض ما يخالفه الاسكندري بالشرط الذي اشترطناه وهو ان يكون بقدر الحاجة حتى لا يصير على قلة العلوم قتلها فنضطر الى تعلمها بلغات واضعها وأما الخامس وهو توسيع نطاق اللغة فأمره أظهر فالنوسعة انما تكون في تسهيل قتل العلوم لا في ضده

وأما السادس وهو عدم الاستفادة من التعريب فهو ممنوع على اننا نفوض الأمر فيه الى المجمع القوي مع جملة مباحا



ترجمة الصناع وغيرهم من العامة

هذا واننا نرى العامة نمرع الى وضع أسماء جديدة لكل ما يصل اليها من أجناس المتوعات . وقد وقفت على أكثر أسماء أدوات آلات الطباعة وما يتعلق بها فأيتها عرية قد تجوز بها الصناع بالتشبيه بأعضاء الانسان وغيرها ومنها الامماء الآتية : القراع والفخذ والأصابع والانسان ويشقون من الانسان فيقولون مسنن . وفي آلة الخياطة هنة صغيرة يسمونها السنة ويشقون بها السن الصغيرة . ومنها ما يسمونه بالوجه وهو ما يقابل وجه العامل الذي يقف امامها . ومن التشبيه بغير أعضاء الانسان النرس والطنبور والسكينة والدائرة والقصة والحوض (لموضع الخبر من آلة الطبع) وترام قد عربوا بعض الامماء قرياً إذ لم يهندوا بسلقيتهم الى اسم مجازي لها وهو أقلها ومنه الشلندر والياي والصامولة

ولو عرضت هذه الأدوات والهنات على الخاصة منا لحاروا في نسبها وكانت عندهم موضع الخلاف والنزاع والقليل والقال واتسع فيها مجال المناظرات . وما

سبب ذلك الا ان هؤلاء الخواص قد ضفت فيهم ملكة اللغة العامة بما
زاولوه من فنون الاعراب والبيان ولم يصلوا الى احكام ملكة لغة الفصحى فملكهم
مذبذبة بين صنعة الفنون وملكة العامة

فامة أهل البلاد التي تسمى عربية كالعراق وسوريا ومصر والمغرب يجوز
أن يسموا الآن عرباً بالجنس واللغة اذ ليس لهم لغة الا العربية ولا يجمع ذلك
ضف اللغة في أنفسهم بما فتكت بها السجة فان ضعف الشيء لا يخرج من
ماهية فالانسان الضعيف انسان والذرة الضعيفة ذرة كذلك اللغة الضعيفة لغة
ومداواة الضف مما يدخل في مقدور الناس اذا كانت كنه المرض معروفاً
ودواؤه معروفاً

وانني أرى ان جميع المفردات التي تأت منها كلام أهل سوريا ومصر
عربية الأصل الا ما يعرف له أصل أعجمي من التركية أو الفارسية أو الفلتات
الافريقية وهو الأقل وكذلك أساليب الكلام عندهم لا تزال كأساليب العرب
في الغالب . ولعل ألسنة أهل العراق والحجاز ، أقوم من ألسنة أهل مصر والشام
كما ان ألسنة أهل حذين القطرين أقرب الى العربية الفصحى ، من ألسنة أهل
المغرب الأدنى والأقصى ،

انني اعرف من نفسي الضف في اللغة العامة حتى ان الكلمات التي يشكل علي
فهما من كلام العوام تكاد تكون أكثر من الكلمات التي يشكل علي فهما في
كتب الادب والتاريخ ولكنني قلنا اشكلت علي كلمة عامة فراجعت لها معاجم
اللغة الا وجدت فيها اصلاها . ومن الكلم الصحيح ما يشكل عليك معناه بعد المراجعة
في المعاجم وهو لا اشكال فيه عند العامة . اذ كر انني راجعت مرة جميع ما عندي
من المعاجم لأفهم معنى البليغة في قول مخزون ليل

يضم الي الليل ابناء حبا كما ضم ازوار القمص البناقي
فما زادني ذلك الاحيرة ولم أفهم معنى البليغة فها واضحا يمكنني تسميته
بالاشارة اليه وليكني عرفت ذلك بعد من والديني
ألا ليت بعض أهل النيرة يجمع لنا الكلم المعرف على ألسنة العامة ويرجعه

الى اصله الفصح له يصل علينا بعد ذلك ان نضبط طرق التعريف نستفيد من هؤلاء الروام ما يميز علينا ان نستفده من معاجم اللغة التي تفسر الغلط في القالب تفسيراً لا يحدد المعنى . وعند ذلك نعلم ان عدم من اللغة ما لا يمكن الاستغناء عنه بالكتب التي نفتقد عليها في حفظها

من المشهور عندنا انهم يدلون القاف مرة فاذا سمعناهم يقولون « بنيت الاميص » نعلم ان اصل العبارة بنيت القمص ولكن لهم ضرر بالغ من التعريف تخفى على غير المدقق فن ذلك انني كنت اسمع الفلاحين في بلدنا يقولون « فلان حرط بسنار » اذا سمعنا بعض ابناء على بعض من القبط حتى سمعناهم يقولون « فلان حرط بسنار » على قول العرب « حرق عليك الارم » ويحرق عليك الارم » كقول الشاعر
نبئت أحباء سليمي أنما بأواغضاها يحرقون الارما

فلم نفتني ما احفظ من استعمال العامة « حرط الاسنان » عن مراجعة حرق الارم وهو لاني لم اكن أعلم انهم يدلون القاف ماء في بعض الاحيان وجلة القول ان لغة عامتنا عربية فيها تحريف لا يخرجها عن كونها هي اللغة العربية ولا يخرجهم من عدد اهل اللغة . ويطلب على ظني ان العرب المخلص لم تكن تسلم من التفاوت في حديثها بحيث تلتزم الاعراب واظهار الحركات في الشعر والحطابة والماتنة والوصف دون الكلام العادي وحسبنا هذا الالام الآن

واذا كانت لغة عامة اهل الامصار التي استعربت بعد حجة قد عربت مريضة فلهذا اهل جزيرة العرب عامة وقبائل الاعراب منهم خاصة عربية اقرب الى الصحة واننا في حاجة الآن الى فهم معاجمنا من الفريقين لتتمكن بعد ذلك من وضع معجم او معاجم أخرى تعدد المعاني تحديداً موضعاً بالصورة والرسوم على الطريقة التي تليق بمعارف هذا العصر وقد سبقنا اليها التريون الذين صرفنا محتاجين للسبر على طرقهم في جميع ما يصل اليه كسب البشر وجددم

مختصر رأي كبار سامية الغرب

في الحركة المدنية الجديدة في الشرق

قول كروم في مصر والشرق

خطب لورد كروم في مجلس الأعيان بخطبة في موضوع انقلاب
انكلترا وروسيا الأخير فيها كثير من العبر لنا ان كنا نشعر فأحييت أن ابنه
الى ذلك بقل جل من ترجمة الخطبة ثم الاشارة الى مواضع العبارة فيها
قال : « ان الحال التي طرأت على الشرق منذ اعوام طوال وهي حال الانتقال
من طور الى طور قد اشتدت وفاضت في هذه الأيام . فانا نرى الغرب يسعى
الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان أو الشرق يسعى من لقاء نفسه
لان يقتبس من الغرب نظاماً للأحكام لم يألفه ولم يكن يعرفه . فأفنى ذلك
الى إلقاء العناصر المتناقضة المتضادة كلها في بوقعة سياسية اجتماعية ادارية واحدة
لتدرب وتسير فيها ولا يعلم الا الله ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معاً
وأما العناصر المتضادة المتعارضة فاذكرها الآن بالإيجاز املاً بأنها السادة
ان أقسمكم بان كلامي منها دخلاً حقيقياً في مسألة الاتفاق الانكليزي الروسي .
فأولاً انا نرى المواطنين الدينية المتأصلة في النفوس تصارع الألدرية أو ما يقرب
من الألدرية في كل مكان ولا ريب ان اتصال الغرب بالشرق وول الهيمنة
الأركان الأدبية التي تقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . وثانياً انا
نرى في كل مكان تقريباً اقواماً ذوي عادات قديمة وآراء وأفكار شائعة وسيل
تدريج الى بقاء القديم على قدمه يتكاثرون اليوم الجري في الأحكام على طرق
غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لها .

وثالثاً ان بين الخاصة المتعلمين والسادة الأميين في كل مكان من الشرق
وخصوصاً في الهند ومصر يوناناً جديداً وحررة عظيمة اما العامة فلم يحصلوا في هذه

الأيام الأعلى قليل من المعارف التي تزخر حجب الجهل عن بصائرهم وأما الخاصة المتذبذون فهل جانب عظيم من المعرفة ولكنها غير معتمة بخبر الاختبار والعمل وهم يحاولون ان يحلوا بهذه المعرفة بعضاً من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفضول من أهل السياسة والإدارة

ولا نفس بعد ما ذكرنا نلاقي في بلادنا هذه صعوبات كثيرة . فان نمو الديمقراطية وانتشارها في بلادنا زاد صعوبات القضية التي وصفها المستر بربط منذ اعوام بقوله «أما قضية حكم شعب على شعب» يعني تدبير الشعب الانكليزي لأموال الشعب الهندي . فليت الذين يشتغلون منا بالسياسة في هذه البلاد وهم لا يستغلون مما يظنون، فيجزمون في الأمور ويتقنون، ويقولون ما يشاءون عن هذه المسألة الشرقية ولا يخطئون، ولا يقدرّون عواقب ما يقولون - ليت هؤلاء يتذكرون احياناً تحذير الدوق ولنجتون حيث قال مخاطباً القوم « ان كنتم تضيئون الهند يوماً فكونوا على يقين ان البرلمان هو الذي يضيئها لكم » (استحسان) والذي أتذكره ان دوق ولنجتون انما قصد مجلساً واحداً من مجلسي البرلمان وهو غير مجلس الاعيان (ضحك واستحسان) .

ولا ينبغي عن الاذهان أيضاً ان الحروب اليابانية الاخيرة أثرت في عقول الشرقيين تأثيراً عظيماً وخصوصاً عقول أهل الشرق الأقصى ولا عجب في ذلك كله فانما هو نتيجة اختلاط الشرق بالغرب وانتشار المدن وتقدم المعارف والتعليم واتباع سياسة العقل والكمال التي لا تبقى الشعوب المحكومة غائصة في ظلمات الجهل حتى يسهل حكمها على الشعوب المتوسطة عليها . ولكن ذلك مما يوجب التفكير والتدبر ايضا . لا اقول انه يوجب الهم والقلق وانما اقول انه يوجب على الامم التي لها املاك في الشرق ان تزيد عناية وسهرا وبقظة وحذراً عما كانت عليه في كل ما غير من تاريخها اذ ليس يعلم أحد ما ستكون نتائج الاختبار الذي نطرق الى افكار اهالي الشرق الأقصى بعد ما اضحي مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى التي كانت تربط الناس هناك مما . على اني أستنتج منذ الآن نتيجة يؤمن الخطأ فيها وهي ان اللباغات والمناظرات التي بين الامم

النزعة المتعاطفة للأمم الشرقية قد زادت الصعوبة جدا في حل كل المسائل الشرقية .
(وهنا ذكر مسألة المغرب الاقصى ومكدونية ثم قال)

وتأملوا مصر ايضا فاني منذ نحو سنين اوصلت رسالة الى نظارة الخارجية البريطانية شرحت فيها اخطار حركة الجامعة الاسلامية على مصر فقوم قوم اني بالغت في امر تلك الاخطار . ولقد ارك تلك الحركة في الحال ونسكينها بوجه السرعة فظنوا ان نوبهم لم يخل من المحنة . على اني لم ابالغ في ما قلت بل اني اشته ما يصونه بمحادثة صينا اليوم بصورة جليلة واضحة ألفت من قانوس سحري على حجاب سياسي فجلت الحقيقة لبصائر المتأملين . وابات ان الضمائن القومية يمكن ان تهيج وتعاظم بسرعة عظيمة واظهرت الصعوبات الحقيقية المسببة كل القضايا المتسقة بالأحكام الشرقية فالنتيجة التي أستنتجها هي وجوب الترحيب بكل ما من شأنه تخفيف الخطر الذي ينجم عن تنافس الدول الأوروبية وتناظرها في المسائل الشرقية . ولذلك ارحب بهذا الاتفاق بين انكلترا وروسيا لانه يؤدي الى توطيد اركان السلام في البلدان التي له علاقة بها ويسهل علينا حل القضايا الأوروبية الأخرى التي يكون لهذه البلدان شأن عظيم فيها (استحسن) ه المراد من الخطبة
وجوه العبارة في كلام لورد

العبارة في كلام اللورد من وجوه (أحدها) قوله ان الغرب يسعى الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق . فيجب على المشتغلين بالباحث الاجتماعية منا ان يفتقروا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم ام شرار هو بين ذلك (ثانيا) تمثيله لحالتنا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المتناقضة كلها في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية لتذوب وتذهب فيها . فيجب علينا ان نفقه معنى هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر ؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟ ما هو غرضهم من اذابة عناصرنا وما هو حفظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا العمل وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير تنتقل به الأمة من طور تعرفه الى طور تشنيه فتسحب انها تعرفه وهي لا تعرفه ؟؟
(ثالثا) تبرؤ من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل

وتقرب منه الى الله وحده . فإذا كان مثله في طه وعمله ، وحسنه واعتباره ،
وكونه من أشهر صاغة البوثة التي هي آة صوغ الأمم والشعوب لا يدري نتيجة
عمله وحمل أمثاله فكل يسهل على العناصر التي في البوثة أن تكون أعلم بهذه النتيجة ؟؟
يجب التأمل الطويل وطعم الاقرار بالأحداث المسيحية بما أخذوا من الافرنج
من الأفكار والعادات التي هي علل الانقلاب

(رابعاً) قوله ان العواطف الدينية الراسخة في نفوس أهل الشرق است
تصارع الاملاء والتعطيل وجزمه بأن انفصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة
الاركان الادبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . ويمكن
جعل هذين القولين مقدمين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدا . فإذا كان
الاحداث الذين يتبعون كل نافع بالوطنية والجنسية يحسبون ان عدم اركاننا
القديمة امر نافع لسهولة احداث بناء آخر من الجنسية الوطنية كان اصحاب النقل
والرواية يرون ان البناء اعصر من المنهم واننا نستقبل خطاراً كبيرة في التحول والانقلاب
أراها اشد هولاً مما تشير اليه هاتان المقدمتان من كلام اللورد اذ ان اشار الى تقيدهما
بعد بقوله ان مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويجعل عمل الروابط الاخرى
« خاصها » قوله في خواص المتهذبن والعارفين منا أن معرفتهم غير

مختصة بضميرة الاختيار

« مادسها » بيان التفاوت بين عامة الشعب وخاصة ، وهذا التفاوت يكون دائماً
مثار الخلاف والامة لا تقوى وتضرب الا اذا تكونت من أفراد متقاربين في الافكار
والاخلاق والعادات . ألا ان هذا التفاوت بين افرادنا وبيوتنا لما نخطر عظيم
« ماسها » وهو بالنسبة الى المصريين احبها قوله « ان الضفتان القومية يمكن ان
تتبع وتتماظم بسرعة عظيمة » فهذا أقوى ما يجع أهل أوروبا على أهل الشرق !!
« ثامناً » كلامه في الاخبار التي تنال الى أهل الشرق الاقصى - وهو الذي
حكم بحرمان أهل المعرفة والتعذيب في الشرق الأدنى منه وقد يوضح هذا النوع
من البعثة ما كتبه مكاتب التمس في بكين عاصمة الصين اليها في ذلك هناك
موضع البعثة منه قفلا عن المقلم بمصرف لفظي يسير وعنوان جديد وهو :

نهضة الصين

﴿ وسبب ارتقاء اليابان ﴾

قالت التيمس : « برؤى نحن رسالة مكانتنا ان مملكة الصين الضخمة دفعت في هذه الأيام افكاراً قديمة مضي عن رسوخها في افهام ابنائها قرون عديدة وانما دفعت بعزم شديد لا يرد ولا يقاوم الى اقياس العلم الغربي والاقتصاد بحاله الى مناهج التقدم والارتقاء . ولا شك ان هذا النهوض بعد ذلك السبات بعد دليلاً على الشعور الحي في نفوس الصينيين ولا سيما الطبقات المتوسطة منهم فقد طلبوا من الحكومة بصوت واحد ان تمنحهم العلم الغربي . ولما رأت الحكومة هذه النهضة العامة لم يسعها الا ان تجاريهم وتجهيزهم الى مطالبهم لان الزمان الذي كانت تلك الطبقات تحترم فيه التقاليد القديمة وتقاد الى الحكومة وذوي الشأن قد مضى وفات منذ انصرفت اليابان على روسيا الى عند اشتبكت الحرب بين الصين واليابان فان هذه الحرب كانت عبرة وعظة للصينيين اخذتهم على ان قاعدتهم في التعليم عقبة لا تأتهم بحيرة ولا تشفي منهم رجالاً يدورون دقة السياسة ويتفكرون في نظام الجندية . أما الحرب الثانية بين روسيا واليابان فقد علمهم ان التعليم الغربي يضمن لامة شرقية فوزاً مئيداً على اعظم دولة غربية ولكنهم أخطأوا في نظرم لانهم نسبوا نجاح اليابان وفوزها الى ما اقبلت من علوم الغربيين وفنونهم والحال ان العلوم والفنون لم تقدمهم قدس ما افادتهم كفائهم ومخاطهم الشخصية . والتمدين الأ وديهي أعما يملأ حلقه وصلها اليابانيون بما أوتوه من شدة الدكاء والاستعداد الشخصي فم لهم ما أرادوا وهدت دولتهم في مصاف الدول العظمى . ولو وقف الأمر عند جهد التمدين الذي اقبل به لا نجحوا ولا بلغوا هذه المرحلة . فالصالحون الصينيون يحسبون تقدم اليابان نتيجة التمدين الغربي فقط وبمسارة أجلى انهم يريدون الاستمساك بأحد العاملين الذين ارتقى بهما اليابانيون والاضراب عن الماصل الآخر وهو أهم من الأول وادهي

الى الناية ولا تستسك فاذا اهتموا به وعالجوا أدواءهم الشخصية وقوموا الموح من عاداتهم وتقاليدهم وكان لهم ذكاء اليابانيين وكفاءتهم فانهم بدر كون ما أدركه اخوانهم والا فان النمدن الا وربي والتعليم الغربي لا يفيد لهم شيئاً ولا ينفعان لهم غلة وهب ان هذه الحركة الجديدة تعود بالنفع على الصينيين لكن التعليم الغربي عزيز المثال على الشعب الشرقي الا اذا كان أفراده يستأخرون من نفوسهم ذلك الشعور الراسخ ويراعون مقتضى التعليم الغربي من كل وجه . فانه بغير العادات والاخلاق والعقليات والأديان ويقضي على التقاليد والحرفات قضاءً مبرماً . فاذا كان في وسع الصينيين ان يفعلوا ذلك كله فالجاح منهم على طرف النعم والا فان انقسمت كلمهم واتصرو قوم للحدث وآخرون للقديم أدى أمرهم الى فوضى عظيمة فحصدتهم حصداً فيكون التعليم الغربي قد أفضى الى الهيجان والاضطراب بدلاً من ان يكون وسيلة الى التقدم والارتقاء . وهذا شأن كل أمة شرقية تتلقى التعليم الغربي قبل الاستعداد له والوثوق بكفاءتها للجري على مقتضاه

أما اليابانيون فلم ينجوا من هذه الفوضى الا في الزمان الاخير من تشبههم بالأوربيين فقد كان بين المصلحين منهم جماعة من أعضاء الاسرة المالكة تلقوا التعليم الأوربي ونشروا مبادئه من غير ان يشعروا بما يؤثر في عاداتهم واخلاقيهم لأنهم كانوا مسنمين له بالفطرة وليس لتقاليد سلطنة على أفكارهم . فنجحوا ونفخوا روح التعليم الغربي في نفوس مواطنيهم ثم سرت هذه الروح تدريجاً من طبقة الى أخرى حتى كان من أمر اليابان ما نراه الآن . ولولا كفاءتهم وصفاتهم الأدبية وميلهم الغربي الى الأصول الأوربية لئامسهاهم في تحصيل التعليم الغربي وبالأعليهم اه

« المنار » العبرة في هذا الكلام كله ظاهرة ان له عين تبصر واذن تسمع وعقل يفكر وقلب يشعر فقد سبق قومنا اليابانيين في هذه البلاد وفي الاستانة الى اقتباس التعليم الغربي والمدنية الاوربية بنحو نصف قرن وهذه حالتنا في الاقسام والفرق . ففي مثل هذه المباحث فليبحث الجرائد باقلام كتابها واقلام سائر الكتاتين المتبحرين

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

(٤٤)

ثمة الكلام في رأيه في العلوم الدينية

﴿ تابع لما في الجزء التاسع ﴾

(مقدمة رابعة (١) من عظام حيل هؤلاء في الاستدراج اذا اورد عليهم اشكال في معرض الحاجة قولهم ان هذه العلوم الالهية، غامضة خفية، وهي أعصى العلوم على الافهام الذككية، ولا يتوصل الى معرفة الجواب عن هذه الاشكالات، الا بتقديم الرياضيات والمنطقيات، فمن يقدّم في كفرهم ان خطر هذه الاشكال على مذهبهم بحسن الظن بهم ويقول لاشك أن علومهم مشتملة على حله وانما يبسر علي دركه لاني لم أحكم المنطقيات ولم أحصل الرياضيات

(نقول) أما الرياضيات التي هي نظري الكم المنفصل وهو الحساب فلا تعلق لها بالالهييات وقول القائل ان الالهيات تحتاج اليها خرق كقول القائل ان الطب والنحو واللفظ يحتاج اليها الحساب والحساب يحتاج الى الطب. وأما الهندسيات التي أهي نظري الكم المضمحل يرجع حاصله الى بيان ان السموات وما تحته الي المركز كروي الشكل و بيان عدد طبقاتها أو بيان عدد الاكوار المتحركة في الافلاك و بيان مقدار حركاتها فافلس لم جميع ذلك جدلاً أو اعتقاداً فلا يحتاجون الى اقامة البراهين عليه ولا يقدح ذلك في شيء من النظر الالهي وهو كقول القائل « العلم بأن هذا البيت حصل بصنع صانع بناء عالم مرید قادر حي يفنقر الى أن يعرف أن البيت مسدس أو مئین وان يعرف عدد جذوعه وعدد لبناته » وهو هذيان لا يخفى فساده وكقول القائل « لا يعرف كون هذه البصلة حادثة ما لم يعرف عدد طبقاتها ولا يعرف كون هذه الرمانة حادثة ما لم يعرف عدد حباتها » وهو هجر من الكلام مستعبد عند كل عاقل

(١) من مقدمات كتابه تهافت الفلاسفة

« ثم قولهم ان المنطقيات لا بد من أحكامها هو صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وانما هو الاصل الذي نسميه في فن الكلام » كتاب النظر « فغيروا عبارة الى المنطق هو بلا وقد نسيه كتاب الجدل وقد نسيه مدارك العقول فاذا سمع المتكلمين والمستصنف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ولا يطعم عليه الا الفلاسفة ونحن ندفع هذا الخيال، واستئصال هذه الحيلة في الاضلال نرى ان فردا يقول في مدارك العقول في غير هذا الكتاب وتهم فيه ألقاظ المتكلمين والاصوليين بل نورد بها عبارات المنطقيين ونصبها في قلوبهم وقتني آثارهم لفظا لفظا ونناظرهم في هذا الكتاب بفهم أعني عباراتهم في المنطق ونوضح ان ما شرطوه في صورته في كتاب القياس وما وضعوه من الاوضاع في ايساغوجي وقاطيغورياس (١) التي هي من أجزاء المنطق ومقدماته لم يشكوا من الوفاة بشي منه في علومهم الالهية ولكننا نرى ان فردا مدارك العقول في غير هذا الكتاب قاله كالألة لتفرد مقصود هذا الكتاب وفردته كتابا مفردا يرجع اليه ولكن وبناظر يستفي عنه في الفهم فيؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج اليه ومن لا يفهم ألفاظنا في آحاد المسائل في الرد عليهم فينبغي أن يتبديء اولا بحفظ الكتاب الذي سميناه ميار العلم الذي هو الملقب بالمنطق عندهم « اه كلام ابي حامد في فائحة كتابه نهايت الفلاسفة . وذ كر بعد ذلك فهرس المسائل التي اظهر تناقض مذهب الفلاسفة فيها وهي عشرون مسألة ثم قال مانصه :

« فهذا ما اردنا ان نذكر تناقضهم فيه من جهة علومهم الآلية واما الرياضيات فلا معنى لانكارها ولا للمخالفة فيها فانها ترجع الى الحساب والهندسة . واما المنطقيات فهي نظر في آلة الفكر في المقولات ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة » وقد علم مما قلناه من كتابه المتخذ من الضلال ان المسائل العشرين من

(١) لم يكديشتم من الكلم اليوناني في المنطق العربي غير هاتين الكلمتين فالاولى (ايساغوجي) وهي علم على الكلمات الخمس والثانية (قاطيغورياس) وهي عبارة عن المقولات العشر

الفلسفة الالهية التي بين في هذا الكتاب تناقضهم فيها ليست الا أخطا
وابتداعات الاثلاث مسائل عددا من الكفر وهي (١) إنكارهم البعث الجسماني
زاعمين ان القواب والقباب في الآخرة يكونان على الارواح المجردة . و (٢)
زعمهم ان العالم قديم أزلي . و (٣) زعمهم ان الله تعالى يعلم الكليات دون
الجزئيات (راجع ص ٦٩٩) واما الرياضيات والمنطقيات فليس فيها شيء يسي
بدعة ولا كفرا بل هي علوم حقيقة نافعة وكذلك الطبيعية وان كثرت فيها الى
هذه النظريات

ولم يري انه لولا تساهله وتساهله لاستخرج اكثر من هذا من أغلاطهم البنية
على نظرياتهم الفاسدة . وما حله على تلك الحجة عظيم الا ما رأه من كسر كثير
من المفرورين بعلومهم قيود التقوى، وتبجحهم بضر وبالفخر وزخرف القسوى،
حتى كادت تمس مقتنعتهم البهوى، ولم يكن لها في عصره قائمة دينوية تذكر .
وقد كان رحمه الله فليسونافا عمليا لا نظريا قط ألم تركب جعل المسائل الطبيعية
من باب الدين بما نفخ فيها من روحه في كتاب التفكير من الاحياء اذ يبحث
فيه عن اعضاء الانسان ووظائفها وحكماؤها وتألف منه على طريقة الاطباء حتى انه يذكر
عدد عظام العضو . كذلك يبحث في الارض والهواء والبحار والحيوان والنبات بحثا
يصل الى ما له هو من الرأي المبكر فيه ومنه ان الماء ليس عنصراً بسيطاً كما
كانوا يقولون بل هو مركب وقد حقق رأيه المتأخرون .

وما بينه من طبائع الحيوان قوله في الكلام على اصناف الحيوانات من
كتاب التفكير ذلوا دنا ان تذكر عجائب البقة او النملة او النحلة او
العنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها يتيها وفي جمعا غذاءها وفي القوا
لزوجها وفي ادخالها لقوتها وفي حذقها في عندسة يتيها وفي هدايتها الى حاجتها لم
تقدر على ذلك فري العنكبوت يتي يتيه على طرف نهر فيطالب اولاً موضعين
متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين
طرفيه ثم يلقى القاب الذي هو خيطه على جانب يلصق به ثم يندو الى الجانب

الآخر فيحكم الطرف الآخر من المحيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسباً هندسياً حتى إذا أحكم مقادير القطع ورتب المحيط كالسدى اشتمل بالعمدة فيضع العمدة على السدى وبراقي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البقي والقداب وبقدر في زاوية موقفاً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فإن صيغ من الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرف الزاوية بمحيط ثم علق نفسه فيها بمحيط آخر وبقي منكساً في الهواء يتخطى ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه (١) فاخذه ولف خطه على رجله واحكه ثم أكله .

هـ وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من السجائب ما لا يحصى . أفقرى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو كونه آدمي أو طير أو أولاً هادي له ولا معلم ؟ أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضيف عاجز ؟ بل النيل العظيم شخصه الفاهرة قوة ، عاجز عن أمر نفسه ، فكيف هذا الحيوان الضيف ؟ أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وعدايته وسجائب صنفته لقادره الحكيم عواقبه القادر العليم ؟ قالصبر يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المادبر وجلاله . وقال قدره وحكته ما تنحصر فيه الأبواب والفتول فضلاً عن سائر الحيوانات . وهذا الباب أيضاً لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنها بكثرة المشاهدة . نعم إذا رأى (الإنسان) حيواناً غريباً ولو دوداً تعجب عجه وقال : سبحان الله ما أعجبه ! والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه هـ اهـ

فلم من كل ما تقدم أن رأى التأويل في العلوم النبوية بطريق التفصيل هو أن كل علم يحتاج إليه الناس في ما يشتم ومصلحهم فهو من فروض الكفاية وما زاد عن الحاجة من مباحثه التكاليف يمد فضيلة لافريضة كما صرح به في الكلام على علم الحساب من الأحياء . وما لا يحتاج إليه منها إلا لنحو تلبية فهو

(١) هكذا ذكر التفسير مذكراً في هذه الكلمة وما بعدها وله قد سقط قبلها

كلام في ذكر الصيد مثل « جعلها » أي القدابة « صيدا » رمي بنفسه إليه بالبح

مباح مالم يكن فيه ضرر أو مفسدة دينية أو دنيوية . وأن ما كان ضاراً منها فهو محرم كالسحر والتليس والجل . وأن العلوم الرياضية لا ضرر في شيء منها . وأن العلوم الطبيعية إذا قُرئت بالمهارة وتبنيها ذهن إلى ما فيها من الحكم الدالة على علم الخالق وحكمته ورحمته تكون من علوم الدين التي حث عليها القرآن وإذا اتبعت فيها الطريقة النظرية اليونانية تكون قليلة الجدوى كثيرة الاغلاط ولكن الغلط فيها لا يصادم عقيدة الاسلام ولا يقتضي خروج صاحبه من الدين . وإن في الفلسفة الالهية ثلاث مسائل تعد من الكفر الصريح . وقد ذكرناها آنفاً . وأن علم المنطق من مقدمات علم الكلام . وأما علم الكلام فهو ضار بالعوام ويجب ان لا يوجه الا لمن عرضت لهم الشبه في عقائدهم أو لمهاجرة من يوجهون الشبه إلى المسلمين تشكيكهم في دينهم كما يأتي . وهو عنده وعند علماء الصوفية الممارفين غير علم التوحيد ولذلك جعل التوحيد والتوكل كتاباً في الاحياء غير كتاب قواعد العقائد . على ان ما كتبه في قواعد العقائد ليس فيه من جدل المتشككين الا قليل بقدر الضرورة . وقد علمت ان المتشككين مزجوا بين جميع العلوم الطبيعية والفلسفة اليونانية وبين العقائد الاسلامية وسموا ذلك كله علم الكلام ولذلك قبل ان ان موضوع علم الكلام هو الوجود والفيزيائي لا يهتد من علوم الدين بل من رأيه ان علم الاحكام الذي يسمونه الفقه من علوم الدنيا لا من علوم الدين وأن طلاب الآخرة يكتفون من هذا العلم بقدر ما يحتاج اليه في القضاء والأقضاء ولا يشتغلون باستنباط ما لا تدموا الحاجة اليه بل يصرفون سائر الوقت في علم الدين والعمل الذي يقرب العبد من ربه عز وجل كما تفصل ذلك في الفصل الآتي

(رأيه في العلوم الشرعية)

قسم العلوم في الباب الثاني من كتاب العلم من الاحياء إلى المحمودة ومندومة والمحمودة إلى شرعية وغير شرعية . وقد تقدم بيان رأيه في العلوم غير الشرعية وأن منها ما هو فريضة وما هو فضيلة وما هو مباح . وقال « وأما المندوم منه فكل السحر والطلمات وعلوم السحرة والتلبسات » ثم تكلم بعد ذلك في العلوم الشرعية

وقبل أن ندكر تفصيل رأيه فيما ندكر رأيه في العلم الذي هو فرض عين

العلم الذي هو فرض عين

ودكر في أول الباب الثاني اختلاف العلماء في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف وزعم كل من غلب عليه علم من التفسير والحديث والكلام والفقه والتصوف أن علمه هو فرض العين . وجزم هو بأن فرض العين هو العلم بمعنى كلتي الشهادة وما يتضمنه الفوائد السميعة من غير شك ولا اضطراب والعلوم بالعلمارة واحكام الصلاة عند دخول وقتها وباحكام الزكاة عند وجوبها على المكلف وكذلك الحج وباحكام الصوم عند عيى رمضان وكذلك حكم كل ما يكون بسبب العمل به فاذا تصدى للتجارة وجب عليه معرفة ما يضر به من الوقوع في الحرام بقدر الحاجة حتى أنه قيد وجوب تعلم الحذر من الربا بشيوع في البلد . وكذلك تحريم اكل الخنزير ونحوه . وهو يقول في مواضع من كتبه ان المكلف اذا مات قبل ان يعلم شيئاً مما يذكره المتكلمون في صفات الله تعالى ككلمه وكلامه هل هي عين الذات او غير الذات وهل هي قديمة أو حادثة بأن لم يفكر في ذلك أصلاً ، وقبل ان يعلم بتحريم كثير من المحرمات التي لم يكن عرضة للوقوع فيها فلا يكون ناقصاً في دينه ولا مسؤولاً يوم القيامة عما جهله من ذلك ونحوه .

وبعد تفصيل في ذلك قال « وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم الواجب وقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين

« وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو (الشیطان) ولاة الملك حق ايضاً ولكن في حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه ان يعلم من ربح المهلكات « ١ » ما يرى نفسه محتاجاً اليه . وكيف لا يجب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شيع مبالغ

(١) المهلكات هو الرجم الثالث من كتاب الاحياء الذي يذكر فيه الاخلاق

المنعومة وكيفية معالجتها بعد التلبس بها والاحتراس عنها قبله

وهو منبج واصحاب المذنبه « ١ » ولا يفتك عنها بشر . وبقية ما سنده كره
من مذمومات أحوال القلب كالكبر والسجب « ٢ » وانحواتها تقع هذه الثلاث
المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرقه حدودها ومعرقه اسبابها
ومعرقه علامتها ومعرقه علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والملاج
هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرقه السبب والسبب ؟ فأكبر
ما ذكرناه في ربح المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا
بما لا ينبغي »



(١) وفي نسخة الخارج زيادة لفظ « الحديث » وهي اشارة الى ان لهجة
وهو بطوله كما رواه البزار في مسنده وابو نعيم في الحلية من حديث أنس « ثلاث
كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات اما الكفارات فالتطهر
بالصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء في البردات ، وتقل الاقدام الى الجماعات .
واما الدرجات فاطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . واما
المنجيات فالعدل في النضوب والرضا ، والتصدق في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر
والعلانية . واما المهلكات فشح مطاع ، وهوى منبج ، وإعجاب المرء بنفسه » ورواه
بساق المتن غير واحد له اما يند كلها ضيقة

(٢) السجب هو الإعجاب وله اراد الحمد او تحمده فسبق قلله ان لم يكن

تعريف وكلام عام (*)

﴿ في العربية والاستعراب • والتعريب والاعراب ﴾

لا الاخذ بالتعريب بضرها ولا
الاعراب بضرها وانما قسما
وضروما على حسب همز جالها

كلام يمر الى كلام ، وحديث يسوق الى حديث ، والشئ بالشئ يذكر ،
والند مع الند يقرر

ان مبحث التعريب القوي خطب فيه الفضلاء هذه الايام قد تدرج بعضهم
الى ذكر العرب والاستعراب ، ثم مال بفكري الى غير ما ذكره من الابواب ، فاحسبت
ان اعرب الآن عن بعض ما جال بفكري عما يحوم حول هذا المبحث وهي
موضوعات متعددة احسبت ان اُوحده الكلام فيها وآتي به منسجكا ببعضه ببعض
فعلك تعرف الكتاب من عنوانه ، وعساك تقف على ما يعجبك في شيء من يانه

قال بعض الظرفاء اذا كان وطن العرب شبه جزيرتهم فرأس مالم لا يزال
كما هو والربع من بعده كثير

ونحن نأخذ هذا الكلام على وجهه من الجذ صارفين النظر عن وجهه من
الطرف ونقول نعم اننا نجد في عرب اليوم عرب أمس وزيادة
نجد هذا في اللغة والاحلاق والاماد والحالة الاجتماعية والسياسية والجغرافية
ولعل القاري اذا جلي امام نظره ما يشهد لهذا يقطن نفسه في رواية تمثيلية يد
أنها طيبة لاصناعية ، وحقيقية لا خيالية ، ميادينها الفياقي والنفاد الراسمة ،
لادائرة صغيرة ضيقة ، وأبطالها الملايين الكثيرة لا نفر من الناس

(•) جاءتنا هذه المقالة من السيد عبد الحميد الزمراوي بمطبع مقالة الاسكندري

وتلقينا عليها

ولو نشر اليوم احد الجدد الاقدمين في اوربا مثلاً لا نكر فيها كل شيء
ولكن لو نشر احد الجدد الاوربيين في شبه جزيرة العرب لا انكر فيها شيئاً فان
كل ماترك من ماوى ومركب وسلاح وماعون وكساء وغذاء وقبائل وملاحم
ومغازي ومقارز وفدافد يمجد خلفاءه لم يمدحوا فيه حدثاً ولم يصدوا فيه الى تغيير
يمجد الحيام من الارباب والجلود ، ويمجد السيوف والرماح والمجنّ والدروع
ويمجد المصافات والناديات ، والقلائص والروامل والزواجل والشار واليهامات
ويمجد الصاع والقصاع ، والبرم والقذور والقذاح ، ويمجد القمصان والعائم والبرود ،
والخفاف ، ويمجد الصائد والخزائر والمراشس والبر والشمير والتبر والبريد والالبان ،
ويمجد بني صخر وبني حرب وبني عامر وبني وائل وبني بكر وبني علي
وبني فلان وفلان ، ويمجد حروباً بين هذه القبائل قائمة ، ويمجد اناس مشعر ، يتواعدون
الايام لمنازلاتهم ، يتربصون الفرس لمغازيهم ، ويمجد يد الطبيعة لم تزل موضوعة
على حالها في تلك الطلول والديار وما تيك المنازل والمناهل لم تذن منها يد الصناعة
في شيء من الاشياء

كانت جزيرة العرب اقساماً وهي اليوم كما كانت : قهامة والحجاز واليمن
وحضرموت وطفار والبحرين ومجد وبادي الشام والعراق . كانت هذه البلاد
تختلف وهي الآن كذلك . قهامة والحجاز لم يكن فيها حرث وزرع الا قليلاً
وكان اهلها اولى شغف في العيش غالباً ولا يزال القوم على هذه الحال . واهل
اليمن مع محافظتهم على جميع عادات العرب كلن لهم حرث وزرع وهم اليوم هكذا .
واهل حضرموت وطفار والبحرين كلن لهم حظ بالتجارة والاتصال بالهند
مع المحافظة على سنن العرب ولا يزالون اليوم على هذا المثال . وكانت نجد
كالحجاز الا في زيادة المزارع وهي الآن كذلك . وكانت بادي الشام والعراق
ما بين قريب الى الممر وبعيد عنه وشأنهم مع اصحاب الممالك على حب القرب
والبعد وهي اليوم هكذا

وبالجملة كان اهل هذه الجزيرة رواد مفايش وطلاب اداة وماعون ويتنصل
من أجل ذلك كل قسم منهم بالبلاد القريية منهم ويقبسون منهم شيئاً من

المبادئ والاعتقادات ويكون لهم معهم شأن من الشئ، وفي الروابط السياسية والاجتماعية وهذا الحال منه مشاهد اليوم فيهم بالهلم وزد عليه أنهم كانوا في أنفسهم شبا واحدا في لغة واحدة، وبيئة واحدة، وعادات واصطلاحات تكاد تكون واحدة قلبية لم تتغير ولم تطرق اليها اهتمام جديد غير ما ذكر، والمبادئ والاصطلاحات لم تتغير ولم يطرأ اليها من الروابط الا ما كان بطراً مثلها من قبل . وكذلك اللغة لم تتغير . وكل من زعم تغيرها كانت زعمه مبنيًا على الظن والتخمين وضف علم بالماضي والحاضر

فخارج الحروف في لغة هؤلاء لا تزال كما وصفنا لنا الناطلون كثيره وغيره والصادر التي نجد هامشيرة عن العرب هي موجودة اليوم في لغة هؤلاء العرب الا ما أوجده بعض مدوني العلوم أختافاً من اللغة نفسها وجرياً على سنتها والاشتقاق من المصادر كله على حاله وجميع المشتقات تدور في لغة عرب اليوم على الوجه الصحيح واذا كنا نحن نعلم بعض المشتقات قللاً ويتكلف المتعلمون منا تصحيحها تكلفاً فانها موجودة لديهم بالفطرة يتقونها وهم أطفال وتفسير المعرفة بما غريزية . قد سمعنا ذلك من صغارهم مثل كبارهم على حد سواء ولا يحتاج الخائف الا الى تجربة بسيطة

والالفاظ التي تدل على الأمور المخصوصة موجود منها في لغتهم كل ما هو في المعاجم الا ما حدث في عهد حضارتهم واتساع دولتهم وهذا المستثنى ليس دليلاً على تغيرها بل هو دليل على عدم تغيرها لأن بعض ما حدث في الحضارة لم يحدث لديهم فهم من هذه الجهة قد بقي لديهم رأس المال لم يتغير وما حدث في الحضارة هو زائد .

وقواعد التركيب وقوانين الترتيب من التقديم والتأخير والوصل والفصل والمصر ولاظهار والاضمار والافراد والجمع والأدوات ومواقفها وتأثيرها باقية أيضاً كما هي

فاذا كانت الخارج محفوظة، والمصادر ظاهراً على حالها، والاشتقاق لم يفسد طرائقه، وأسماء الاشياء لم تتغير، وقواعد التركيب وقوانين الترتيب وصيغ

الإفراد والتثنية والجمع والضمائر كما هي فأني تغير طراً على لغة القوم ؟
 عهد الحضري في مصر والشام مثلاً يقول النساء «راحوا» وهو خطأ لأن
 الواو ضمير المذكور ، وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول النساء «رحن»
 وهو السوالب كما قل من الأولين

وتجد الحضري في مصر يقول «فلان يضرب» فتح الراء ، وفي الشام يقولون
 «يضرب» بضم الراء ، وكلاهما خطأ وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول
 «يضرب» بكسر الراء وهو السوالب كما قل من الأولين .

ولو أردنا أن نورد الشواهد لهذا لاحتجنا إلى مجلدات ونحن نستقي من
 هذا بأن نحيل من لم يبق بقولنا على التجربة ومخالفة هؤلاء العرب ولو قليلاً

وإنما يصح أن نعد من التعبير تركهم مركبات أو آخر الكلم . هذا إذا صح
 أن الأولين كانوا ينطقون بها دائماً وأما إذا صح ما يذهب إليه بعضهم من أن
 المركبات لم يكن الأولون يستعملونها إلا في لغة الشعر وحالات مخصوصة فلا
 يكون هؤلاء مبتدعين بتركهم سنة من سنن الأولين ويصح أن نعد من التعبير
 إهمال ضمير المتنى وإهمالهم بعض الأدوات التي يقوم مقامها غيرها أو يمكن
 الاستغناء عنها فيما تركه أكثر القبائل من الأدوات «هل» استغناء عنها بجملة
 الاستغناء أو بقرينة الاستغناء . وما تركوه «قد» التي لتحقيق والتي لتقليل
 استغناء عنها بالقرائن . وما تركه أكثرهم «لم» التي تدخل على المضارع
 فتجعل معنى الفعل المنفي الماضي تركوها استغناء عنها بما التي تدخل على الماضي
 مباشرة فإن «ما ضرب» مثل «لم يضرب» باللام . وما تركوه «لما» التي
 تفيد استمرارية الفعل في الماضي إلى الوقت الحاضر

هنا كل ما عرفه عما تركوه بعد أماني زماناً طويلاً في مخاطباتهم وسامع
 شعرم ورأيهم أيضاً يستعملون التثنية لا للتكثير ولا لتحذفون التثنية لأنها واجب
 وبدعي أن هذا التعبير ليس من التعبير المتعدي ثم أنه قلته غير جدير أن يعد
 فاما إهمال المركبات فهو جائز عند أهل الإعراب في حالة الوقف وماذا على القوم
 إذا أجزوا الكلمات كلها بهيئ الكلمات الموقوف عليها وإذا ضمت إلى هذا

المتزع ما تعرفه من اختلاف لغات الأوابن في حالة الاعراب كما نطقه الينا
الناقلون لم يصب عليك ان تمد اهل الحركات لغة من اللغات هي خير من
بعض تلك اللغات التي تنسد كل ما تقاوه من قواعد الاعراب فقد تقفوا لنا ان
بعض العرب كانوا يرفضون المفعول وينصبون الفاعل وليس شيء فوق هذا مما
يعتق كل ما يرجونه من فوائد الاعراب . ومن أحاط علماً بكل ما نقل في هذا
الباب أو أكثره لا يجد قاعدة ما بنوه الا وهي مفتوحة بشيء آخر قد سموه من
شواذ اللغات فأي ضرر يحدث من هذه اللغة التي تهمل فيها الحركات ويسد
فيها باب الاعراب ألم تروا ان هؤلاء القوم يتفاحمون والحالة هذه تمام التفاهم ؟
وقد قصيت كثيراً من الدواوين المنسوبة الى شعراء الجاهلية والمختصرين
فألفت فيها كثيراً ما قد خالفوا فيه قواعد الاعراب مخالفة ظاهرة واضحة لا تمحل
التأويل وإنما قلت انها ظاهرة لأنها واقعة في القوافي وسأفرد لهذا الموضوع
مبحثاً مستقلاً يد أني اتي هنا بأشقة تؤيد ما قلته . قال جرير :

« حلت امرأ عظيماً فاصطبرت له وقت فيه بأمر الله يا عمرا »

والقاعدة تقتضي ان يقول يا عمر بضم الراء . وقال :

« قالئس كاسفة ليست بطالمة تبكي عليك نجوم الليل والقمر »

ولا وجه لنصب القمر . وما تكلفوه من التأويل في الاعراب غير مرغبي
لدى الاذواق التي ملئت من التمثل . وقال من قصيدة قافيتها نون مكسورة
من بحر الوافر :

« عرفنا جفراً وبني عبيد وانكرنا زعاقف آخرين »

بكسر النون والقاعدة تقتضي فتحها وليس كسرهما لانه لقومه فيها ووي . وبعد
هذا البيت :

« آوعدني وراء بني رياح كذبت لقمندن يدك دوني »

وقال من قصيدة قافيتها باء مفتوحة من بحر الوافر :

« ألم تروا زيدا مائة قزم قراسية نقل به الصواب »

والقاعدة تنفي رفع الصحاب بعد قوله نذلّ باناء . واذا خالفنا الموجود في النسخ المطبوعة والخطية وقرأناه « نذلّ » بنون المتكلمين قد يستقيم المعنى ولا يتأذى الاعراب ففسى ان تكون صحة الرواية على هذا الوجه . وقال من قصيدة قافيتها : مكسورة من الوافر :

« لقد نادى اميرك بانكار ولم يلوا عليك ولم نزار »

والقاعدة تنفي بأن تكون الكلمة التي بعد لم الثانية « نزر » لانزار

وانا لا اقصد بهذا احداث مذهب جديد هو اهل الاعراب بل اقصد تأييد ان اللغة المرية التي كانت قبل ثلاثة عشر قرناً او اربعة عشر قرناً او اكثر هي باقية اليوم في وطنها كما هي لم يطرأ عليها تغيير ولا سجا عند أهل الحياض المريتين بها واقصد ايضاً ان اذ كر الناس بان اهل الاعراب لا يضر هذه اللغة كما يضر كل اللغات الخالية منه

واما اهلهم ضمير المتى فلا أدري له سبباً يد أني لا أراه كثيراً من الامس بل هو يخفف الكلفة فيما لا حاجة اليه . أقول لا حاجة اليه لان الضمير لا يند كر الا من بعد معرفة الاسم الظاهر اما يند كر لفظه أو بسبق وجوده في ذهن الخطاب فمتى كان الظاهر معروفاً أنه متى لم يبق لاجل الافادة حاجة الى تثنية الضمير ولم يكن من باس ان يدخل في حكم ضمير الجمع لأن الجمع يصدق على ما فوق الواحد فمتى قلت الرجال لم يضر ك من حيث المعنى ان تقول جاءوا كما تقول ذلك في الرجال ومثل هذا اذا قلت الفارس والراجل تقابلوا بل تقابلوا او اذا قلت الفارسان غلبوا بل غلبوا . ولهذا شواهد وأمثلة من اللغة الفصحى نفسها وكذلك لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد في المرية ولكنني أقصد بيان ان هذا ليس من التغيير المفسد بل هو استفتاء عما لا حاجة اليه ومثل هذا يقال في اهلهم بعض الأدوات تخففاً منها او استفتاء بغيرها عنها ولا يبرز عن الذي تتبع القول ان كثيراً من القبائل عندها ما ليس عند غيرها ولا يند تركه لاخرين قلها ضميراً لغة

أثبتنا بما قدمنا ان رأس المال باق على حاله والآن نذكر القارئ بذلك الحركة العربية التي ازدان التاريخ بأخبار عظم رجالها فقد قلت هذه الحركة رأس المال الى ديار كثيرة واسعة فرأى فيها وزادت الديار العربية والمتكلمون باللغة العربية وصارت هذه اللغة لغة علم ودين وسياسة فدونت بها الدواوين التي لا نحصى في كل فن من فنون المعارف

وامامنا الآن من هذا الريح حواضر عظيمة في آسيا وافريقيا فني آسيا ديار العراق استعربت بعد ان كانت فارسية وحواضر الشام استعربت بعد ان كانت سريانية وعبرانية ورومية وفي افريقيا مصر استعربت بعد ان كانت قبطية وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش استعربت بعد ان كانت بربرية ونفسى مجموع هؤلاء مستعربي الاقطار

صارت هذه البلاد التي عدناها عربية ولكن ليست عربيتها كذلك العربية الأولى يدان هذا النقص لا يضرها ولا يخرج بها عن كونها عربية ولا يسلم لها سبوة اصلاحها ما دام لهم مرجع من الكتب المشقة التي تصف العربية الصحيحة او من العرب الاحياء الذين هم وارثو تلك العربية .

اقول ان هؤلاء العرب الاحياء مرجع للمستعربين اذا شادوا اصلاح لغتهم لان حكمهم على ما اوضحنا كحكم آباءهم الاولين ولن يمكنك ان تحيط خبراً بمنازل الحروف مما يصفه لك كتاب سيبويه مثلاً كما تحيط بها خيراً اذا سمعنا من عربي من هؤلاء العرب الذين وصفناهم لك ولن تستطيع ان تأخذ من الكتب الالهية العربية التي عليها المثل فانك تجد اليوم لطارلسي لهجة وقنوسى لهجة والقرايى والثامي والمصري ولا تجد واحدة منها صحيحة حتى اذا سمعت لهجة البدوي او الحجازي مثلاً رأيت جلالاً في الالهة تعرفه الاذن ولا يستطيع ان يصفه لك أحد قاذفاً سمعت من هذا وذاك من اهل الحواضر ثم سمعت من ذلك العربي ميزت وحكمت بالفرق وآمنت ان وجود العرب في وطنهم امان من ضياع العربية وأحب هنا ان انبه على امر ربما استتركه على بعض المطالعين وهو ان العرب الناجين بقايا فزارى في الحواضر وانه ينبغي ان لا يسلب هؤلاء صفة العربية

ماداموا حافظين سلسلة انسابهم فجباني لمن يقول هذا القول انما الآن في صدر الانسان والفة لاني صدر علم النسب ولا يخفى على القريب ان البلاد التي استعربت لم يكن كل اهلها من سلالة اولئك العرب بل هم خليط اكثرهم من اهل تلك البلاد الاقدمين قد غلبت العربية على لغتهم فاستعربوا من غير ان يقتنوا النطق بالعربية كالعرب وضاع ابن العربي في هذا المجموع من جهة الانسان اذا كان لم يضع نسبه . ثم حفظ العلماء لكل تقارب العرب وصورة آدابهم الكلمات وأساليب البيان

والخلاصة ان عربية المستعربين طرأ عليها فساد ولكن لها حواظان وان ذلك شأنها قبل اثني عشر قرناً وهذا شأنها اليوم وقد كان حفظها يشغلون حيناً وبنون حيناً

ولعل المطالع يحب ان يعرف كيف نشاط المستعربين اليوم المنتشرين في افرقيا الشمالية ثم سواحل البحر الاحمر وما وراءه شمالاً الى شواطئ الفرات وغرباً الى شواطئ البحر المتوسط فقول له ان ابر الديار اليوم بالفة العربية هي مصر ما بها الله وبارك عليها وعلى اهلها وقبل أن نوضح له برها بالفة العربية نمر به صرة على جميع مساكن هذه الفة حتى يكون له نصيب من كل ما يحوم حوم مادة «عرب» كما سبقت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام

من انحدر من جزيرة العرب الى نجد ومنها الى العراق يجد ثلاث حواضر تقبها بلاد كثيرة البصرة وبغداد والموصل فاهل ولاية البصرة كلهم يتكلمون بالعربية واهل ولاية بغداد اكثرهم يتكلمون بها واهل ولاية الموصل اكثرهم اكراد بيد ان حاضرة هذه الولاية عربية وفي عربية العراق في الجملة كثير من النخيل ولاسيا في ولاية الموصل . والعربية في العراق واقعة على ما ذكرها اهل القرون الماضية من العامة لحواضرهم من الصحافة العربية ولولا العلماء والمنطلون لاضر بها هذا الوقوف ومن سار من ولاية الموصل الى الغرب ياتي في طريقه من الديار العربية ولاية حلب وحلب محسوبة من الشام ولكن ولاية حلب شأنها في هذا الباب صعب فان فيها كثير من القوي التركية الى جانب القوي العربية وكل من اهل

هذه وتلك محافظون على لسانهم ولم أكثرهم بلسان جيرانهم فاما أهل حلب ففسها فمريتهم كمرية البلاد الشامية ومن احوال هذه الولاية بلدة تحيط بها التركية والكردية من كل جانب واهلها لا يتكلمون الا بالعربية وهي لغة «ماردين» التي كان فيها الملك بنو أرتق وأغرب من هذه بلدة أخرى في ولاية تليس اسمها «سرد» فان أهل ماردين قرييون من الديار الخلية التي تغلب فيها العربية واما «سرد» فهي منقطعة عن الديار العربية أيما انقطاع ، ومتوغة ضمن الديار الكردية والأرمنية أيما توغل ، وهي مع هذا محافظة على اللغة العربية ولعل كثيراً من عوامها لا يعرفون سواها ولكن عرية «سرد» هذه نمط مستقل فانهم نوا بعض الخارج كانوا قليلا من مفردات الاسماء واستبدلوا بها من لغات جيرانهم ومع ذلك فيها كل مميزات اللغة من الاشتقاق وأصاليب التركيب وبالجملة هي عرية من كل وجه الا انهادية كلفات البرابرة المستعربين في المغرب .

ومن سار من ولاية حلب الى الجنوب ياتي ديارا مصورة عرية محضة تنجزا الى أرم وولايات ولاية سورية (دمشق) ومنصرفية لبنان وولاية بيروت ومنصرفية القدس ولا أعرف بلادا تختلف لهجة أهلها بمقدار ما تختلف لهجة أهل هذه البلاد ولكن الفخيل في لغتهم قليل كما هو الشأن في مصر ولم يبق في الشام من يتكلمون بلغة قديمة الا قرية أو قرى يسكنون بالسرانية فيما بينهم على ما بلغنا ومثل هذه المحافظة على لغة ما أكثر من ألف عام في محيط كله أجنبي عن هذه اللغة من غريب الأمور

والعربية في الديار الشامية أمثل منها في العراق كله لأنها غير واقعة هناعلى عاميتها الأولى كما هو الأمر هناك ل هي سائرة مع الارتقاء الذي أحدثته الصحافة في اللغة في مصر وسورية ومن عرف العامية في البلاد الشامية قبل ثلاثين سنة وعرفها اليوم يشعر بالفرق الضخم الذي أشرنا اليه

فإذا جاوينا البر الاسيوي الى العدة الأفرقية وهبطنا فيها مصر نجد أمامنا

العربية كما تركناها خلفنا فإذا سرنا من مصر إلى الجنوب وجدناها في السودان المصري وإذا سرنا منها إلى الغرب ألفناها في طرابلس تونس فالجزائر فالعرب الأقصى

ومن غرائب المصادفات أننا كما نجد مصر واقعة في ملتقى جنوبي بين عرب المشرق وعرب المغرب نجد عربيتها أيضاً في ملتقى حيوي بين العربية المشرقية والمغربية فمصرية مصر أقرب إلى العربية الصحيحة من سائر عربيات الاقطار المستعربة وما قرب منها أو بعد من المشرق أو المغرب كان قربه إلى الصحة على نسبة قربه من هذا الملتقى قلقة الشام وإن خالفت لغة مصر هي مثلاً أو قريب منها في الغرب من اللغة الصحيحة . ولغة العراق ليست كذلك . ولغة طرابلس وتونس قريبة من لغة مصر وليست كذلك لغة الجزائر والمغرب الأقصى

ونماز مصر على سائر الديار العربية بأمور أجعلها كثرة العدد فليس هناك قطر عربي يقارب عدد أهله عدد أهل هذا القطر فالديار الشامية وهي جارة هذه الديار لا يتجاوز أهلها أربعة ملايين نسمة مع أنها تمتد من حدود شبه جزيرة سيناء إلى جزيرة ابن عمر جنوباً وشمالاً ومن شواطئ البحر المتوسط إلى صحراء العرب على هذا الامتداد شرقاً وغرباً وهي مسافة ليست بقليلة ولكن هناك أصيلاً كثيرة جعلت سكانها قليلين ومثل ذلك العراق باتساع المسافة ولا يبلغ أهله أربعة ملايين وجزيرة العرب على اتساعها أكثرها فداقد وليس لأهلها من احصاء رسمي لأن البداوة هي الغالبة على أكثر بقاعها لكن المشهور أن أهلها كلهم الحجازيين واليمنيين والنجديين لا يتجاوزون ثمانية ملايين وفي أفريقيا أقاليم عربية لا يبلغ أقليم منها في العدد مبلغ مصر فالعرب الأقصى أكبرها لا يحزونه إلا ثمانية ملايين فأين هذا من اثني عشر مليوناً في مصر

وما نماز به مصر حرية الطباعة والتأليف ونشر الافكار وسهولة الاجتماع وتيسر التعاون فإذا ضمنت إلى هذه المزايا فوز لغتها بالحنو من العربية الصحيحة أكثر من سائر لغات الاقطار المستعربة تبين لك أن مصر جديرة أن تكون اليوم عاصمة اللغة العربية وأنها اجدر البلاد بأن تكون محط هذه الرحال، ومناطق هؤلاء

الرجال ، فأزهرها المصور يعلم لنا الآلاف من الشبان قواعد اللغة وسوافظها من الضياع ، ومطامير الوافرة تهدي النيا أنفس ذخائر الأولين ، وأعلاق الثقة والحفظة من التزام الكاتبيين . وعلاؤها الأفاضل لا يهتدون بأوقلتهم الثمينة بل يذلتونها في العناية بها من كل وجه يقتضي العناية

ولقد شهد رجال من أفاضل دار العلوم أن يقتصروا اللغة العربية بناية زائدة وأهدونا بأكورة مباحثهم وهو مبحث التعريب (جوازه اليوم أو عدمه) فالفينا أعمرات شبيهة من فجاج حاتيك الأفكار الرائقة الراقية

وعندي أن جواز التعريب اليوم وغداً كجوازه أسلفنا أمس بديهي بيد أن الدين لم يروه بديهي إذ مالوا إلى علم تجويزه ثم فضلاً ككبار العقول غزيرة المادة فلذلك أوجبت على نفسي أن أبحث عن مر خوفهم على اللغة الذي دعاهم للحذر والتحذير من التعريب وبعد الامعان الطويل وجدت سر ذلك هو شدة الحب للغة

قلت شدة الحب ولم أقل الحب لأن الحب موجود عند جمهور أبناء اللغة وأما شدة الحب فلا توجد إلا عند بعض الأفراد من أبنائها وشدة الحب تورث سوء الظن والقلق أحياناً مما لا يوجب مثله القلق ومن أقرب الأمثلة التي شاهدتها في هذا الباب أنني رأيت على شاطئ النيل رجلاً وزوجته ومعها أولاد ورايت الأب نزل بأحد الأولاد إلى حانة الماء ليستقي من غير أن تراه الأم ولم يكن من خطر قط في الحبل الذي نزل منه فلما صعد به حدثها بنزولها فرأيتها قد صغرت وجهاً كأنها تتوقع نزول مكره ثم لامته لوماً شديداً . هذا وهي ترى أنها قد خرجت سالمة وفلم أن الأب ليس أقل منها حذراً من سوء يهيب الولد ولكن شدة الحب قرين منها سوء الظن بالعواقب وإن كانت سلبية

على هذا المدل نفهم سر حذر أولئك الأفاضل من التعريب أي إدخال كلمات في اللغة ليست منها فأنهم على معرفتهم بأن مثل ذلك وقع في هذه اللغة نفسها فلم يضرها يحذرون أن يضرها إذا وقع بعد الآن أي لا أحب أن أخوض في هذا المبحث على طريقة الجدل والمناظرة فإن

مجهز التعريب في غنيته ومناحه قد ذكرنا عذره في خوفه منه وسواء أرغبنا من التعريب أم رغبنا فيه مانعه في الحقيقة من محض . ولكنني قد بدت على غير طريقة الجدل والمناظرة لأن التعريب أ ، لا خوف من دخول كانت لغوية هي قليلة مما كثرت على لغة حية يتكلم بها نحو خمسين مليوناً متجاورين في المساكن لا يفصل بينهم من الماء إلا نهر السويس . ومنهم نحو ثمانية ملايين هم أهلها العربيون القائلون في وطنهم الأصلي وهي لغة علوم وتاريخ ودين وقد كتب فيها من الصحف الملايين .

لا خوف على لغة خضع أهلها لحكم الديلم والترك قروناً متطارة من بعد ما خضعوا لحكم أهلها مثل ذلك فلم يدخل فيها من لغاتهم إلا نزر لا يعد قد ضاع وقي فيها وهضم في أحداثها

أما يخاف على اللغة إذا خلت من مواهاها المعنوية ، إذا خوت من العلم ، إذا خلت من الأهل ، إذا فقدت كل كتبها ، إذا حوت في المجنحات كلها كل حظ من حطوط اللغات الأخرى

لو خيف على لغة من دخول التعريب فيها لكأن تركية الدولة العثمانية احتق اللغات أن يخاف عليها لأن نصف كلها دخل من العربي وربعها دخل من الفارسي والربع الرابع تركي وأكثره أدوات ومشتقات ولكن لا خوف على لغة ما من مثل هذا إذا سلمت أصاليب التركيب وضاع أصل الدخيل فيها عند الكائين والمتكلمين حتى صار كأنه من أصل اللغة . وإذا لم يمسح على لغة هذا مقدار الدخيل فيها بالنسبة للأصل بل لا يكاد يوجد إلا إذا ترجمت إليها علوم وأدب تلك القوم أصاب اللغات الأخرى . وهي ضير على من يريد تعلم علم إذا سمع فيه كلمات غريبة لم يألها اليوم وسألها غداً ليست اصطلاحات علم النحو والصرف غريبة عند من لم يعرفها مع أنها عربية

قد قلت أنني لا أحب أن أفيض في هذا البحث لهذا اكتفيت بما قدمت والخلاصة أنه لا يضر العربية التعريب ولا يفسد الأعراب وإنما يفسد وضروفاً على حسبهم ويحاطها فترجون بقط الزمان مهمهم من سبائها

باب المراسلة والمناظرة

﴿ رأي الشيخ احمد المنوفي في الاصلاح ورجاله ﴾

كتب الينا في ١١ ذي الحجة) ما يأتي من الشيخة أحمد موسى المنوفي امام المسجد الكبير في كركنته التي كان طعن فينا برسالة نشرت في جريدة اللواء ثم كتب الينا ذلك الانتقاد والتعريض الذي نشرناه في الجزء الثالث (ص ٢٣٦) على ما فيه من دلائل صوء الظن بنا . وبدان قرأ كثير من اجزاء المارو كتب محاورات المصلح والمقلد وكتاب شبهات النصارى وجميع الاسلام وجمع مما كان يظن فدل ذلك على اخلاصه وحسن نيته في ذمنا من قبل ومدحنا من بعد غفر الله له وأحسن متوبته قال :

سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا فضيلتو اقدم

اقدم لسيادتكم تحية طيبة مباركة وارجوكم نشر ما يأتي ولكم الفضل

بما ان الانسان بطبيعته مجبول على حب وطنه وان بددت الديار وشط المزار ولا يخفى أن ما ينشأ عن تلك المحبة الطبيعية من السمي وراء مصلحة الوطن يكون بحسب المحبة قوة وضعفاً ولقد مكنت محبي لوطن زماناً طويلاً كامة في الفؤاد لا يظهر على أدنى أثر من آثارها وبسبب اوضح ضعيفة جداً واذا بحثنا عن سبب ضعفها لم نجد شيئاً سوى اليأس من المصلحة والاصلاح مع التفلة عن النهضة الاسلامية والحركة الوطنية التي قام بها اخيرا الامامان الحسنيان الاستاذ السيد جلال الدين الافطاني والاستاذ المفتي الشيخ محمد عبده قدس الله أرواحهما وحسرتا في زهرتهما وجزأهما عن الاسلام والمسلمين خيراً فقلقد بنا في الأمة روح الحياة والشعور والفيرة وأيقظاها من الفلة فما أساس النهضة وكل من جاء بعدها لا يخرج عن كونه متمسكاً اسلامها مهما بلغت ديجته في الاصلاح ولا أخذ بيد انتهاضين وزد على هذا ودائك أني كنت اهد الناس عن مطالعة الجرائد واشدهم كرامة لمن يطالعها لرعي

إنها خالية عن النفع أو تشتت على بعض منافع لا تقابل ما فيها من الضرر وقد علمت عوائد الأزهر بين الذين مكثت بين ظهرانيهم نضع سنين في الأيام التي كانوا لا يسمعون فيها باسم الإصلاح فهذا كله كان سبباً في اقتصاري على محبة الوطن الطبيعية فقط وعدم ابتداء شيء مما يلزمها ولكن مع هذا الجود كنت أميل بطبعي أيضاً إلى كل من أسمع عنه بأنه عجد في خدمة الوطن إلى أن سمعت أخيراً في العام الذي توفي فيه إمام النهضة المصرية بل الإسلامية الأستاذ الحكيم الحق بأن رجلاً من الصحافيين وقف نفسه وماله على السعي وراء مصلحة الوطن والعمل على استغلاله وتخلصه من رق العبودية فيما يبلي بهو ذلك الواقف إلى أن صار محبة والمحب حاشي على الأقبال على مطالعة الجرائد والاشتراك في جملة منها فعلمت أنني كنت في ضلال مبين لما في الصحف الحرة الحالية عن الأغراض القانية من الفوائد التي أقلها الوقوف على أحوال الهيئة الاجتماعية ومعرفة آراء الرجال وغير ذلك ولكن الأصف وجدة سعادة الواقف المفضل يعتقد في نفسه والعباد بالله الكمال المطلق يريد أن يسبح الخلق بحمده ويخضع الوجود لهظمته وإن لا يستل عما يفعل وقد علمنا أن المتصف بذلك الكمال المطلق فيبدناه ونخضعنا لأوامرنا استطعنا..... الخ

وأأفاه كنا نظن أن حضرة الأستاذ الخالص في عمله المهتم بصالح أمته السيد محمد رشيد رضا على عكس ما كنا نفتقد في بطل وطنيتنا دولة الواقف ولكن لما بلونا الرجل وجدنا المسئلة معكوسة على خط مستقيم وجدناه حكماً يضع الأشياء في مواضعها لا يأخذ في نصرة الحق لومة لائم مع الروية والتعتل وجدناه ماهراً بشخص الداء ووصف الدواء، وجدناه حليماً ذا أناة لا يجبل بالمقوبة على من ظلمه بل يبالغ الظالم المتعدي بمعالجة خيرة بكل ما لديه من الوسائل حتى يرجعه عن ظلمه واعتدائه وحينئذ يرشده إلى ما في صلاحه في الدنيا والأخرى، وجدناه فيلسوفاً في معرفة طرق الإصلاح وما يصلح الوقت وأدله وبالجملة لو لم يكن له إلا كتابا شبهات النصارى وحجج الإسلام ومحاورات المصلح والمفكر لكفاه شرفاً وفضلاً فهو الحق يقال الذي يصح إطلاق الحكم عليه الآن وقد

أصبح فضيلته بمداطلا على كتابيه المذكورين أحب الناس الىّ ولقد اعجب
بهما كذلك حضرة السري الوجيه العلامة المؤرخ الأديب محمد بك المصري
صاحب معمل السكاير المشهور بمصاحمة الهند كلكتة وقال لي مرارا إنه لولا علم
سبق معرفة بيني وبين الاستاذ لم يسعني الا ارسال تشكراتي للاستاذ مما نافع به عن
الدين ورد كيد اعدائه في هجرهم « هذا واقسم عليكم بشرف الحق وفضيلة العلم
وعز الصديق الا ما نشرتم هنا تحت مشوليتنا والله الموفق احمد موسى

« النار » قد نشرنا رسالته وبررنا قسمة الا اتنا حذفنا عنها تلك السطور
التي يبين فيها اعتقاده الاخير في ذلك الصحافي فسي ان يندرتا في ذلك ونسال
الله الذي لم يحقق سوء ظنه فينا من قبل أن يجعلنا أهلا لحسن ظنه من بعد من
غير غرور ولا فتنة

وكتب الينا كتابا آخر في ١٨ ذي الحجة قال فيه :

حضرة الاستاذ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وهد فاني لا استطيع ان أعبر
عما حصل من السرور بوصول كتب الاسلام والنصرانية وشبهات النصراني وحجج
الاسلام وتاريخ الاستاذ الامام الغني عليه رضوان الله ولعمري الحق قد صغر في محني
مالني من الكتب القديمة التي لا يحقني على فضيلتكم ما فيها من المحجب المانة
من العلم النافع فوا ان شاء قد ضاع العمر مدى غير اني احمد الله الذي من عليّ
بلوشاد حكيم الاسلام واكبر خلفائه ثاقل انك سيدي مطور فيا تبديني من الآراء
المفيدة المناقضة لما عليه الناس من الجور والنفس الخبيثة نكره من يحاول ردها
عن ما اعتادت عليه ولو كانت عادتها عبادة الاوثان نفوذ بالله من الخذلان
والتمادي في التي أقول قولتي هذا وما أرى نفسي ذنبي والحق يقال كنت كثيرا
ما أتكم بسوء القصد أما الآن فانا لله الحمد أول موافق على ترك التقليد والجور على
المخالفات التي ما اتزل الله بها من سلطان والفضل في ذلك لسيادتكم ومطالعة
كلام الامام الحكيم باسان وانصاف وقتنا الله واياكم لا يحبه وبرضاه

أشكر على الجهد

(قاموس الامكنة والبقاع)

كتاب (فروح البلدان) للبلاذري من أجل مختصرات التاريخ القديمة لا مثلاً وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية منذ سنين . وبعد طبعه عادت الى علي بهجت بك وكيل دار الآثار العربية بأن يضع مسجداً لما ورد فيه من أسماء الامكنة والبقاع لسة طبعه بالتاريخ القديم والحديث فقام بذلك وطبعته الشركة ما كتبه فكانت صفحاته اكثر من مئتي صفحة وليست قائمة هذا الكتاب خاصة بمن يقتني كتاب فروح البلدان ولا هو مما يستحق عنه بالمعلومات التي استمد منها كسجم ياقوت فان فيه قائمة لأهل هذا العصر لا تؤخذ من غيره وهي بيان حال تلك البلاد والبقاع الآن بحسب ما وصل اليه اجتهاد المؤلف فيها ما خرب وصفا ومنها ما بقي وزاد صرحه أوتقص فشكر للمؤلف وللشركة هذا العمل النافع

(رسالة النفران)

الفيلسوف العربي الشهير ابي العلاء المصري رسالة كتبها الى الشيخ علي ابن منصور الحلبي المعروف بابن القارح جواباً عن رسالة بثها اليه . والرسالة تروي لقارئ قصة خيالية طاف رواها في العالم الآخر ودخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم فوصفه أحسن وصف وثاقن فيها الشعراء والأدباء وشرح ما دار بينهم من المأزوات والمآلات . وأسلوب الرسالة هو أسلوب الأماشي الأدبية التي كان علماء الفنون العربية يملونها على الطلاب في القرون الأولى وفيها من فرائد اللغة وغرائب الشجون ما طر بشهرتها في عالم الأدب فكانت طلبة الأدباء ورفية البلاء وقد طبعها امين افندي هندية طبعا متقناً مضبوطاً بالشكل بعد ان صحح

أصلها معارضة على نسخة صحيحة ووقف على طبع أكثر من نصفها الشيخ ابراهيم اليازجي وخلفه بعد وفاته في تصحيح باقيها أحد علماء الأزهر . فنعت الأديب على مطالعتها وهي تطلب من مكتبة هندية وثمنها عشرة قروش

(كتاب الاضداد في اللغة)

لما عني الأولون بنقل اللغة العربية وضبطها ووضع الفنون لها أكثروا من التصانيف في فروع كثيرة من فروعها كالمتراشف والمشارك والأضداد وغير ذلك ومن الكتب النافعة في الأضداد كتاب محمد بن القاسم بن بشار الانباري النعمري ومن مزاياه انه تتبع قطرب فيما ذكره من الأضداد وبين غلطه في بعضها وقد اجاب في أوله من عاب التضاد في اللغة فقال

« هذا كتاب ذكر الحروف التي توقها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ويظن أهل البدع والاربع والازواء بالعرب ان ذلك كان منهم لقصدان حكمتهم وقلة بلاغتهم ونسرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبني عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضع تأويله فاذا اعتور القنطرة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف الخطاب أيها اراد الخطاب وبطل بذلك تعليق الاسم على المعنى : فليصبروا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة أحدها ان كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع القنطرة على أحد المعنيين دون الآخر والاياد بها في حال التكلم والاياد الالمعنى واحد . فمن ذلك قول الشاعر

كل شيء ما خلا الموت جليل والقي يسمى وبابه الامل

فدل ما تقدم قبل « جليل » وتأخر بعده على ان معناه « كل شيء ما خلا الموت . يسير » ولا يقوم ذو عقل وتميز ان الجليل هنا معناه « عظيم » وقال الآخر

يا غول يا غول لا يطمح بك الامل فقد يكذب ظن الامل الاجل
يا غول كيف يدوق الحفص مغترف بالموت والموت فجا بعده جليل

فدل ماضى من الكلام على ان جللا معناه يسير . وقال آخر
فلن عفوت لأعفون جللا ولن سطوت لأوهن عظمي
قومي م قتلوا أميم اخي فاذا رميت يصيني سهي
فدل الكلام على انه أراد فلن عفوت عفوا عظيما لأن الانسان لا يفخر
بصفحه عن ذنب حقير يسير . فلما كان اللمس في هذين زائلا عن جميع السامعين
لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفين النظمين . وقال الله
عز وجل وهو أصدق قيل « الذين يظنون أنهم ملائكة الله » أراد الذين يفتنون
ذلك فلم يذهب وهم . قال الى ابن الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه .
وقال في موضع آخر « اني لا ظنك يا فرعون مسحورا » وقال تعالى حاكيا عن
يونس « وما التوت اذ ذهب مفاضا فلن ان لن تقدر عليه » أراد رجا ذلك
وطمخ فيه ولا يقول مسلم ان يونس يفتن ان الله لا يقدر عليه اه
(التار) يحكم قارىء هذه العبارة ان الكتاب مفيد بأسلوبه البليغ كأنه
مفيد بمباحثه . واكبر فائدته عندي أنه يحججه لهذه الحروف (أي الكلمات)
التي قيل أنها متضادة الماني قد سهل للمدقق سبيل الحكم في هذا النوع من
اللفظة بفهم ما حكم به جمهور من سبقه فان استعمال الكلمة في معنيين متضادين
خلاف المقول ويلوح لي ان أكثر ما عساه من الأضداد يمكن تفسيره بما لا تضاد
فيه وان التليل الذي يفتنر أو يتعسر فهمه من غير تضاد في معانيه لا بد ان يكون مما
استعملت قبيلة في معنى وقبيلة أخرى في ضد ذلك المعنى أو مما وقع فيه الخطأ في الاستعمال
من العرب أنفسهم فلن خطأ ما في الماني مما لا ينكر .
واذا كان العربي الفصح بخطي في الماني فالمولود أجدر بذلك . ومن خطأ قلة
اللفظة والمفسرين ما قلده بعضهم في تفسير الفطن في الآيات التي تلوت فيها قلناه عن
هذا الكتاب قوله تعالى « ٢٤٩: ٢ » قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله « ليس مسوقا
لهمهم على ظاههم حتى يقال انه يمنع مدحهم بالفطن . وما حكاه عن فلن فرعون
لا يظهر فيه إرادة اليقين وقوله عز وجل في يونس « ٨٧: ٢١ » فطن ان لن تقدر عليه
يظهر فيه معنى الفطن جليا « وقدر » هنا بمعنى نصيب على حد « ٣٩ : ٥٧ » يسطر الرزق

ان يشاء ويهتدء فما المانع من ان يظن يونس ان الله تعالى لا يضيق عليه ؟
والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الراعي وعنه ٧ قروش

﴿ أنجيل برنابا ﴾

قد تم طبع الأنجيل في مطبعة النار وقد قلنا منه نموذجات فقراء من قبل ونذكر
هنا منه بعض ما ذكر في مسألة محاورة اليهود قتل سيدنا عيسى وأنجاه الله إياه وإلقاء
شبهه على يهودا الاسخريوطي وذلك موافق لما يعتقد المسلمون في الجنة قال

الفصل الخامس عشر بعد المئتين

١ ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع
يسوع دنوهم فغير ٢ فلذلك انسحب الى البيت خائفاً ٣ وكان الاعد
عشر نيماً ٤ فلما رأى الله الخطر على صيده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل
وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم
٥ فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرقة على
الجنوب ٦ فخلوه ووضعوه في السماء الثالثة في حبة الملائكة التي تسبح
الله الى الابد

الفصل السادس عشر بعد المئتين

١ ودخل يهوذا بمنف الى الترفة التي أصعد منها يسوع ٢ وكان
التلاميذ كلهم نيماً ٣ فأتى الله المجيب بأمر عجيب ٤ فغير يهوذا في النطق
وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا انه يسوع ٥ اما هو فبعد
ان أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ٦ فقلت تسبنا وأجبتنا : « انت
ياسيد هو مطنا ٧ أنسبتنا الآن ؟ »

٨. اما هو قال متبسما : « هل اتم اغنياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطي » ، وينا كان يقول هذا دخلت الجنود والقوا ايديهم على يهوذا لانه كان شيها يسوع من كل وجه
٩. اما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالحماة
١٠. وروحنا الذي كان ملثما بلحفة من الكتان استيقظ وهرب ١٢
١١. ولما امسكه جندي بلحفة الكتان ترك بلحفة الكتان وهرب مرثانا^(١)
١٢. لان الله سمع دعاء يسوع وخلص الاحد عشر من الشر^(٢)

الفصل السابع عشر بعد المئتين

١. فأخذ الجنود يهوذا واوثقوه^(٣) ساخرين منه لانه انكر وهو صادق انه هو يسوع ٢. قال الجنود مستهزئين به : « يا سيدي لا تحف لاننا قد آتينا لنجلك ملكا على اسرائيل ، وانما أوتقناك لاننا نعلم انك ترفض الملكة » ه اجاب يهوذا : « لعلكم جتتم ، انكم اتيتم بسلح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كانه لص اقنوثقوني انا الذي ارشدتكم لتجملوني ملكا ،

(ثم قال في أواخر الفصل)

٣٧. وحكموا بالصليب على لصين معه ٣٨. فقادوه الى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شق الجرمين وهناك صلبوه مرثانا مبالغة في تحقيره

(١) ١٤: ٥١ (٢) ١٨: ٩ (٣) ٨: ١٣ و ١٩: ١٤

٧٩ ولم يفل يهوذا شيئاً سوى الصراخ : « يا الله لماذا تركتني »^(١)
فان المجرم قد نجى اما انا فأموت ظلماً

٨٠ الحق اقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه
يسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه هو يسوع ٨١ لذلك
خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا وانه انما
فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ٨٢ لان يسوع قال انه لا يموت
الى وشك انقضاء العالم ٨٣ لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من اله الماه المراد منه
وثن النسخة ذات الورق المتوسط من هذا الانجيل ١٥ قرشا وذات
الورق البعيد ٢٠ قرشا واجرة البريد قرشان . وله مقدمة ثمنها عشرة قروش

المصنف الشريف

قد اشتهرت طبعة مطبعة ترجمان للمصنف الشريف وكثر الاقبال عليها لجمال
حروفها وصحتها . وقد ارسلنا منها نسخا الى بعض الاقطار من القطع الوسط والقطع
الصغير . فمن احب ان يرسل اليه شيئا منها فليرسل لكل نسخة من القطع الوسط
فرنكين ومن القطع الصغير فرنكا ونصفا

جامع الثناء على الله

جمع الشيخ يوسف النبهاني كثيراً من الادعية والاذكار المأثورة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن شيوخ الصوفية وسماها « جامع الثناء على الله » وما زال يذكروا الدعاء
غذاء الايمان ومن رأينا انه ينسقي للمؤمن ان يتم قبل كل شيء باداء الفرائض
والحقوق التي عليه لله ولنفسه ولله وذو القربى فاذا وجد وقتاً لتواظل العبادة
فليبدأ ب تلاوة القرآن مع التدبر سواء كان ذلك في الصلاة او خارج الصلاة فلن خاف

على نفسه الملل انتقل الى الاذكار الماثورة عن الشارع قلن وجد من الوقت ما يمسح
المزيد عليها فليقرأ بعض ما كتبه رجال الصوفية . واما الذين يتركون الفرائض
ويصرون على المآثم ويحصرون قلوبهم بقراءة أوراد الطريق قلن التصوف بل
التدين برئ من أهوائهم

وانني كنت في أول الفتاة أقرأ بعض أوراد الصوفية ومنها ورد السحر
للبكري وكان يكون ذلك تأثير عظيم في نفسي ثم وجدتني بذلك هاضما لحق القرآن
عليّ ومشتغلا عنه بكلام لا يخلو عندي من اللغو الذي نهت الآيات عنه وناهيك
بما في القصصتين الجميمة والمبينة من ذلك . ولما صرت أفهم مراد الصوفية
بمثل قوله « ولعلّ الحمار ابي السرج » واشرب واظرب « لم أزد الا بعدا عن
عن عبادة الله في السحر بهذا الشعر الركيك . على ان هذا الكتاب امثل من
أكثر كتب التبهاني ومنه أربعة قروش ويطلب من أكثر المكاتب المصرية

الراوي

« مجلة روائية ادبية تاريخية اسبوعية » يصدرها في الاسكندرية طافئوس
افندي عبده الكاتب المعروف في عالم الصحافة والأدب فهو لما أوتيهم من
حسن الذوق في اختيار القصص الافرنية وحسن الترجمة جدير بال نجاح في عمله هذا
غني عن ترفيله وقيمة الاشتراك في مجلة الراوي مثله قرش في السنة لاهل مصر والسودان
وثلاثون فرنكا لتبريم ومن العدد الواحد ثلاثة قروش

﴿ السياسة المصورة ﴾

جريدة اسبوعية سياسية مصورة بالألوان يصدرها في القاهرة عبد الحميد
افندي زكي ومصور هذه الجريدة كلها في السياسة المصرية وهي مطبوعة طبعا متقنا
في أوروبا ويكتب فصولها الافتتاحية حافظ افندي ابراهيم غالبا وقيمة الاشتراك
السوي فيها ٥٠ قرشا بمصر و ١٥ فرنكا في سائر البلاد

باب الاخبار والآراء

﴿ نادي دار العلوم الخديوية ﴾

أنخذ المتخرجون في مدرسة دار العلوم المعروفة الآن (بمدرسة المعلمين الناصرية) ناديا علميا ادبيا يشارفون فيه ويتعاونون على ترقية شؤونهم الاجتماعية ويبحثون عن أقوم الطرق وأقربها لتعلم العربية وفنونها وتدریس آدابها وأحياء العلوم بها على النحو الآتي كما في المادة الثانية من قانون النادي

(١) التفتيح عن الكتب النافعة والسلي في نشرها (٢) تنقيح وتسميع ما تقدموا اليه الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم يدون فيه مؤلفات قريية الناول (٤) وضع أسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها أسماء عربية معروفة (٥) البحث في أقطاب العامة ورد ماله أصل عربي منها إلى أصله والتفتيح على التسهيل فيها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الألفاظ الأعجمية بحروف عربية (٧) تسهيل فن رسم الحروف (٨) تأليف وسائل في الآداب والأخلاق (٩) بحاضرات علمية وادبية

وقد عرف أقرءاء من الجزء الماضي ومن هذا الجزء ان النادي بدأ عمله بالبحث في مسألة أسماء الأجناس ومصطلحات العلوم الأعجمية . وانا أرجو من رجال هذا النادي العاملين ما لا أرجو من غيرهم قاتمهم أمة وسط في الشعب المصري الذي جهد بعض المعلمين فيه على التقاليد الحقيقة حتى في كيفية التعليم وأولع بعضهم بالتقاليد الحديثة حتى ما كان منها مقطعا لروابط الأمة الاجتماعية . ولست أعني بهذا تفضيل كل واحد منهم على كل واحد من غيرهم وإنما أعني أنهم يترتبهم وتعليهم وسط بين طرفين يوجد في كل منهما أفراد أقرب إلى الاعتدال واحد عن الجود والتفريع من كثير ممن هم في الوسط . ولكن طالب الإصلاح والتوفيق يجد في مجموع الأزهريين غريبا كما أن من يتكسر بـالحقرا وبرك الصلاة من المعلمين في سائر المدارس يجد في مجموعهم غريبا وإن كان الكثيرون منهم يصلون ولا يسكرون

ترجمة فقيد الإصلاح

ذكاء الملك

كل ما كنا نعرفه عن ذكاء الملك صاحب جريدة «تريبت» هو أنه كاتب أصلاحي بليغ غير موثق الفكر بالتقاليد وأنه قد جمع إلى استقلال الفكر استقلال الإرادة وقوة المزيمة فقد كان يكتب ما يعتقد وإن خالف أهواء الشعب. وما الكتاب الذين جمعوا هذه الصفات بكثيرين فينا فنقول مات ذكاء الملك فذلفه فلان وفلان. كلا بل تشمل بقول الشريف فيمن هو في عصره دون ذكاء الملك في عصره.

ويقول من لم يدرك كنهك انهم قد دوا به عددا من الاعداد
حيات أدوج بن برديك الردي رجل الرجال وواحد الآحاد

كان ذكاء الملك لسانه بالإصلاح يتبع أخباره في جميع بلاد الإسلام ويعرف رجاله في جميع الأقطار يعرف السيد جمال الدين الأفغاني وكان صديقه له وعشق النار بالاستاذ الامام فكان بينهما مادة ومكانة وابنه احسن تأبين في جريدته وقد ترجمنا تأييده ونشرناه في تاريخ الاستاذ الامام. وكان ينقل عن النار كثيرا. وآخر ما عرفناه من ذلك أنه لما كتبناه في حكومة الشورى في بلاد فارس وقوله ان قول صاحب النار اعظم تأثيرا في العالم الاسلامي من قول مئة مجتهد من علماء الشيعة أو ما هذا معناه

رأينا مصاب الشعب الفارسي بل الأمة الاسلامية بوقاته ونحننا لوقوفنا على ترجمة حياته بالتفصيل وما زلنا واقفين في موقف التأييد حتى من علينا ميرزا محمد القزويني المصطفى بدار الترجمة المهابونية في طهران بنسخة من جريدة (الصور) الفارسية مع كتاب عربي منه أرسله إلينا من باريس برغب إلينا فيه بأنحن أشد فيه رغبة وهو ترجمة التقيد لأنه من الحقوق التي تطالبنا بها ذمة طلب الإصلاح وترغب طوائف

المسلمين بعضهم من بعض. وكان ذكاء الملك طيب الله ثراه وجزاه أفضل الجزاء من خير الاعوان على هذا الاصلاح . وانا نقشر كتاب هذا الفاضل القيود والصديق الوفي للتعبد مع الشكر له ثم نقشر بعده ترجمة ما كتب في جريدة الصور . وهذا نص الكتاب الذي أرسله اليانا من باريس :

خبر زانويه (يناير) سنة ١٩٠٨ و ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢٥

حضرة السيد الفضال العلامة مفتي جريدة النازك أدام الله ظلك العالي

بعد إهداء كمال السلام وأسمى التحيات أغلظكم تفرغون الكاتب الشاعر الشهير ذكاء الملك صاحب جريدة « تريت » الفارسية المطبوعة بطهران ومنشأها منذ إحدى عشرة سنة . فقد كان بينه وبين الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده علاقة ودية ومكاتبات متواصلة وكان الأستاذ الامام يقرأ جريدة تريت ويقتنرها أعظم الجرائد الفارسية نفوذا في الدوائر العالية وأشدها تأثيرا في قلوب المسلمين الذين يتكلمون بالفارسية ورأيت أنا بنفسي تأليف الأستاذ الامام الي كان أرسلها جميعا هدية الي ذكاء الملك بطهران مع كتاب ودّي بخط يده يظهر فيه غاية الاحباب ويشكر فيه ذكاء الملك عما كتبه في جريدته تريت من خدمات الأستاذ الامام للعالم الاسلامي أجمع ومن جملة عباراته :

« ان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده هو العالم الحقيقي الوحيد في كافة الانحاء الاسلامية من مرا كش الي الصين ومن تركستان الي اليمن والسودان الذي يعلم القرض الأصلي من الاسلام ويعرف تطبيق قواعده على مقتضيات العصر ولاجل تربية اشدل هذا الرجل بحث نبينا على الله عليه وسلم فان نبيهم بن علي الاسلام كثيرون امثله فان الاسلام يبق ثابت الاركان والمسلمين يرقون الي أعلى مدارج المدنية والسعادة والا فلو استمر علماء الاسلام بالجهود على قواعدهم الاحاديث ونصوص فائري المتقدمين كما هم عليه الآن فعل الاسلام السلام الخ » وبعد وفاة الأستاذ الامام كتب ذكاء الملك ترجمة حياته في جريدة تريت

بنيان التفصيل والاشباع ونهاية التوفيق والتعجيد ثم بعد ذلك كتب ترجمة حاله
ثانياً مترجمة عن الطراز الاغر أطول وأبسط من الأولى وكان غالباً يترجم مقالات
الطراز الاغر في جريدته

والفرض من هذا الاطراب عند كار حضرتكم ان كنتم تعرفون ذكاء الملك
وتعرفونكم اياه ان لم تكونوا تعرفونه . وما هو ذكاء الملك توفي أيضاً في شهر
رمضان الماضي ومضى الى جانب أستاذيه السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ
الامام الشيخ محمد عبده أقاض الله عليهم جميعاً شايب النفوس . وبما أني كنت
من تلامذة الفقيه ومن خواص أصدقاءه كتب إلي من طهران بمجه جناب ميرزا
محمد علي خان الملقب بلقب آية ذكاء الملك وطلب مني أن أكتب الى حضرتكم
واستدعي منكم أن تكتبوا (ان استوصوهم ذلك) بضع أسطر في الطراز الاغر في
الاعلام بوقفة رجل مسلم من أعظم كتاب اللغة الفارسية وعمراتها في هذا القرن
الاخير ونبد يسير في ترجمة حاله . والامر اليكم فانظروا ما ذا تأمرون . وكان
الأسوف عليه من أخصي أصدقاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ومن أعظم
رجال الإصلاح ومن أكبر أركان النهضة السياسية الاخيرة في بلاد ايران فقد كان
قلبه يخطب الابواب ويسهر العقول بما آتاه الله من النور والتأثير وأعماله صدمات
شديدة من أول شيعته الى آخر وفاته بسبب شدة حرصه على الإصلاح وكتابته
المقالات النراء في حث الحكومة على ادخال النظامات المصرية في ادارات الدولة
وتحرير الضعفاء على نفق الأيدي من التقاليد الجامدة واتسالم القديعة والمباحث
الفنية الضيقة والتأسي بأمثال السيد جمال الدين الافغاني والامام السيد
محمد عبده وحضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا مفتي الطراز الاغر وأمثالهم .
وأرسلت طية جريدة من جرائد طهران الاسلامية تتضمن ترجمة حياة الفقيه
وفي الختام اقبلوا باحضرة السلامة فائق احترامي وخالص سلامي

ميرزا محمد قزويني

المصو جبار الترجمة المهارني بطهران

فاجعة أديب

قد توفي إلى رحمة ربه فيلسوف إيران وأديبها الشهير ذكاء الملك طالب ثراه
عصر يوم السبت ١١ رمضان فكان موته ثلثة في بناء العلم والأدب ومهيبات إن
يفخر الإيرانيون في وقت قريب بمثله

اشتغل المرحوم سبعين سنة بخدمة الوطن خدمة خالصة وإحياء موات أديبات
اللغة الفارسية بجمرة الشبية ونهارب الشيخوخة وإذا كان الإيرانيون يجهل جاهلهم
وعدم مساعدة حكومتهم المستبدة لم يعرفوا قيمته ولم يعرفوه حقاً من الاجلال كما
كان حفظ أمثاله من العلماء قائمهم قد أبقا ذلك تراثاً خلفهم الذين يرجون أن يقدروا
أمثاله قد يرم . ولكن الافرنج قد قدروه قدره في حياته بالنسبة بفضلته والتعريف
به لقومهم حتى ان الفرنسيين لقبوا هذا الرجل بفيكتور هوغو الشرق .

ونحن في هذا العدد نذكر خلاصة من ترجمة هذا الفيلسوف العظيم وأن
امهل الزمان تقوم بما يجب علينا لهذا الرجل الكامل المحترم

(مختصر ترجمة المرحوم طالب ثراه)

هو المرحوم ميرزا محمد حسين خان المتخلص به روعي (١) الملقب بذكاء
الملك . ولد في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ بمدينة أصفهان وتوفي يوم السبت ١١
رمضان سنة ١٣٢٥ بظهر ان فيكون عمر سبعين سنة و٥ أشهر ووالده هو المرحوم
الآقا محمد مهدي المعروف بأرباب من مشاهير أصفهان وكان على اشتغاله بالتجارة
على حفظ عظيم من العلم والفضل لا سيما علوم التاريخ والجغرافية والمهنة فان له
فيها تصانيف عديدة . وقد سافر الى الهند واقام فيها طويلاً وعاش فضلاً
الاكتيز واخذ حظاً عظيماً من العلوم الحديثة والسياسة ولما رجع الى أصفهان قبل
سبعين سنة أراد ان يظهر مآثره ولكن الأذهان في ذلك الزمن لم تكن مستعدة

(١) روعي مصاديقه وهذا هو لقبه لادبي الشعري الذي اختاره لنفسه ويعرف

عندم بالخلص بوزن جعفر ويشتقون منه كما رأيت

لقبول هذه التفاسير القيمة فأكب على تصحيح حال الزراعة والتجارة في أصفهان وكان يمكنه ان يفيد بلاده بما كثر مما افادها ولكن عموم الجهل ومثقال دون ذلك أما فقيدنا ذكاء الملك فانه بعد ان حصل علوم العربية وأدبياتها ومبادئ حائر العلوم سافر من اصفهان الى العراق العربي لاجل تكميل تلك المبادي فبكت هناك طائفة من الزمان ثم عاد الى أصفهان وكان والده قد عاد من الهند فكانت نتيجة تألف الاب والابن بما كان أقتنه كل منهما ظهور نهضة جديدة في العلم والسياسة فكان ما تولد في دماغه يومئذ من قوة النهضة العلمية هو ما نراه الآن في أدمغة شباننا . فأخذ ينهض بشرف عظيم دواوين الشعراء وكتبهم الأديبة ليشهد بها غرار استعداد الفطري للشعر حتى كان شعره في الحاشية والمشر بن مساوية لشعر اساتذة هذا الفن

وسافر للمرة الاولى الى شيراز وطن الشيخ السعدي فشببت عامته حرب أمريكا الشهيرة وقتل ورود القطن الى معامل أوروبا فانهز القيد هذه الفرصة فاشترى بجميع ما يملكه قطعاً وسافر به الى الهند ولكن ساورتها الانواء الشديدة في البحر فاضطر الى الإلقاء بضاعته كلها في البحر كغيره وعاد الى شيراز مخفقاً حزناً . ثم سافر سافعاً الى كرمان ويزد والعراق العربي وكرمان شاه وهمدان والعراق العربي وغيرها من الاقطار فلبث في سياحته هذه أربع عشرة سنة وكان في كل مكان موضع الحفاوة والاكرام من القلاء والأمرأء مثل محمد حسين خان وكيل الملك وإمام قلبي ميرزا عماد الدولة وأولاده وسائر أهل السكالك والقرى . ثم مل السياحة وانفذ طهران مقاماً له فصحبه المرحوم محمد حسن خان اعتماد السلطنة (١) وجعله مساعداً له في الترجمة وتحرير الجريدة الرسمية ولما كانت الجريدة الرسمية قليلة الفائدة حث صاحب الترجمة على إنشاء جريدة (اطلاع) الباقية الى الآن (٢) . وكان يساعده في تحرير النشرات والرسائل والكتب

(١) هو وزير المطبعات ورئيس دار الترجمة الخاصة الهايونية يومئذ وكان

من العلماء المصريين وله تصانيف شهيرة منها (مرآة البلدان) عدة مجلدات

(٢) جريدة الجمهورية تصدر بثلاثة للحكومة

الطبية . وفي ان اعتماد السلطة كان يهيئ مواد التأليف من الكتب وغيرها
وصاحب الترجمة هو الذي يكتبها بقلمه . وكنت تراه دائماً متعللاً مثلاً بلاء
ابناء وطنه بالمستبدين وكان يفكر دائماً في الاصلاح لابرح ذلك من مخيلته قط
ومن الشواهد على ذلك أنه من نحو عشرين سنة كانت دت عقارب الساعة
فيه الى الشاه ناصر الدين بسبب ظهور برادر هذه الافكار الاصلاحية فأنبوه
طاقة من الزمن أي حبسه مدة مديدة) الى ان تولى المرحوم الشاه مظفر
الدين قافرج عنه . ولما استنشق نسيم الحرية أنشأ جريدة (تريت) وهي كما
لا يخفى اول جريدة حرة أسست في عاصمة ايران

ومن خدمة هذه الجريدة انها ولدت في قوس الايرانيين الرغبة في قراءة
الجرائد وكأوا الى ذلك الهد ينفرون منها لرعاية عيارتها . وذلك بما جنبهم
به من انسجام عبارته وبلاغة أسلوبه . ومنها انه كان في زمن الاستبداد ينشر
فيها جميع الافكار الحرة بأسلوب لا يؤاخذ عليه القاتون . وفي الجملة انه قضى
عشر سنين في نشر جريدته كان فيها عرضة لايذاء الاعداء والمحين

وفي العام الماضي أصابه مرض شديد فخلّ قواه وقد شفي منه الا ان صحته
لم تمد كما كانت قبله . ولما كان هو الذي يتولى تحرير الجريدة وإنشاءها اضطر
في آخر السنة الى إبطالها

ومن خدمته أيضاً اشتغاله بالتدريس والتعليم في مدرسة العلوم السياسية سبع
سنين وثلاث سنين أخرى في ادارتها . ولو جمعت دروسه في تلك المدرسة
من المسائل الادبية والمآني والبيان والبدع ومضامير الشعر وغير ذلك لكان
مؤلفاً كبيراً

وكان لتقيد مؤلفات كثيرة طبع منها (١) تاريخ صامانيان و (٢) ترجمة
كتاب السياحة حول الارض في ثمانين يوماً و (٣) كلية هندي و (٤) عشق وعفت
و (٥) ربحانة الافكار و (٦) قصة جورج الانكليز . وله كتب أخرى مترجمة
من اللغات الاجنبية . وله شعر كثير ولكن اكثره مقفود والباقي منه يدخل في
ديوان كامل

خاتمة المجلد العاشر

قد تم المجلد العاشر بحمد الله وحسن توفيقه وبه قطع النار مرحلة الاعداد المفردة، واشرف على مرتبة الاعداد المركبة، فازداد منشئه بصيرة فيما يدعو اليه، ودرجة استعداد المساجين له، واقشع من امامه كثير من السحب، وهتكت من دونه كثائف من الحجب، التي كانت تلبس عليه القياس، فيما يحكم به على الناس، فرأى من احوال البشر، ما يهد من آيات العبر، وبهذا الاعتبار صدق على النار ما قلناه فيه منذ ثلاث سنين، انه قد دخل في سن التمييز،

التصدير في إدارة النار

وقد عجزنا في هذه السنة عن اصدار النار في اوقاته واقامة النظام في ادارته لاسباب طبيعية لا مندوحة عنها اهمها اتساع دائرة العمل وتنشعب مع قصر الساعد وعدم المساعد، فندش النار هو الذي يحرره وهو الذي يصحح نموذجات الطبع وهو الذي يكتب المتريكين وينظر في محاسبهم وهو الذي ينظر في ادارة الطلبة وهو الذي يتولى تصريف مطبوعاتها وينظر في تصحيح مائرها ما يطبع فيها لم انه يقرأ لبعض من الطلاب درساً في التفسير ودرساً في الحديث ويشتغل احياناً بشي من التأليف مع قيامه بمقام خدمة نفسه لانه يعيش عيشة الوحدة

ومن فروع هذه الشواغل انه أصدر في هذا العام جزئين من تاريخ الاساذ الامام، وتم طبع جزئين من التفسير لم ينشرها الى الآن، لانه تمكن من استخراج فهرس لاحدها ولم يتمكن من استخراج فهرس الآخر. وتم طبع انجيل برنابا. ولو عمل في هذه الكتب كلها الا تصحيح كل كراسة منها مرتين او ثلاثاً لما كان الوقت الذي اغتاله قليلاً

ولولا اني في خجل من الاصدقاء والمحبين لي في القيب بما قصرت في مكانتهم لما أشرت الى هذا العذر واكبر خجلي ممن لم معاملة مالية كطلاب الكتب فقد كان في المكتبة مدير يتولى محاسبهم وقد نركها من اوائل الستة ولم نوق الى

من يقوم مقامه ولا الى وكيل لادارة المجلة والمطبعة يكفينا امر هذه الجزئيات وهذا فنستد ايضا عن آخر انعام تأليف وطبع جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام

فتاوى المنار

وبما قصرنا به ايضا في هذا العام الاجابة عن الاسئلة ومن اسباب ذلك ان أكثر الاسئلة التي وردت علينا في هذا العام كانت في مسائل دينوية مما يفضل فيه القضاء وبقي به المفتون الرسميون وأمثالهم من علماء أحكام المسائل ومنها ما كان مرسله يطلب الجواب عنه من نصوص مذهب معين والمنار لم يفتح باب الفتوى لأمثال هذه المسائل بل لبيان حكم الدين وأسراره واتفاق عقائده مع العقل وأحكامه مع مصالح البشر ومنافعهم ولرد الشبه الفلسفية والمدنية عنه وما يشكل من الآيات والأحاديث على الفارسي . فهذا ما ظهر الجواب عنه من المسائل الدينية وإن ابطالنا وأرجأنا ونال الحيار في غيره . ومن سأل سؤالا من هذا القبيل وطال الزمن على الجواب عنه فليعلم انه قد ضاع قبل وصوله التناو بعده فليعده البنا ثانية ومن اسباب ارجاء المجاوبة على بعض الاسئلة ابرادها من خلال كلام آخر فحتاج الى نسخ السؤال فترجمته الى وقت الفراغ وقلما نلتزم به .

مكاتبات المنار

وهنا ننبه الى سبب من اسباب تأخير كل ما يطلب من المنار وهو خلط المطالب فحسب ان يكتب السائل سؤاله أو أسئلته في ورقة لا يكتب فيها شيئا آخر ليسهل علينا إقائه الى المطبعة عاجلا ولا نضيع شيئا من الوقت في استنساخها . كذلك ينبغي لطالب الكتب أن يكتب ما يطلبه في ورقة مستقلة لا يذكر فيها شيئا من الاسئلة ولا ما يتعلق بشؤون المنار فإن كان هناك حساب مشترك بين ما يطلبه المنار وبين الكتب واستقل الكتب كتابة ورقين فلا بأس بأن يفصل بين الحساين في الورقة الواحدة

حال المشتركين

أما حال المشتركين في هذا العام فقد كان كالأعوام الماضية الآن أمل

القاهرة كانوا أحسن أداء على ما عليه البلاد من العسرة المالية ولكن صائر أهل
القطر كانوا أقل وفاء منهم في السنين الماضية والاعتذار بالعسرة كان في هذا العام تكأة
أهل المطل في أكثر المعاملات كأعلمنا من هم أوسع اختياراً منا . وكذلك أهل تونس
كانوا أشد تقصيراً في هذا العام على أنهم لم يقيموا في عسرة كمسرة أهل مصر .
على أن مصر في عسرتها أغنى وأقى وأيسر من تونس وغيرها من بلاد المسلمين
زادها الله يسراً ووقتها لشكر عليه باستماله فيما يزيدنا علماً وارتقاء
وقد كان تهديد المشركين كثيراً أيضاً ولكننا لم نجيب إلا من أرسلوا القيمة
ملفنا إلا أفراداً متراً البنا بضمان بعض أصدقائنا على ما اشترطنا .

دعوة النار والانتقاد عليه

أما دعوة النار فلم تلق في هذا العام مقاومة شديدة ولكن بعض الجرائد حملت علينا
حجة منكورة في أول العام لأننا كتبنا بعض مقالات في « الجريدة » التي أنشأها
بعض السروات وكان الغرض من الحجة تغييرنا من مساعدة الجريدة التي يتعاونون
صياحتها ولم يتعرض السكابون إلى الانتقاد على النار أو الرد على مآله وإنما
كان جلها نيزاً بالألقاب كلقب « الخليفة الكاذب » بمنون خليفة الاستاذ الإمام .
وكتب فريد أفندي وجدي أربع مقالات في جريدة اللواء يهرك فيها الأصفان
الجنية الوطنية على صاحب المار لأنه غير مصري المولد وقد عرف القراء سبب
ذلك ولم زله إلا التأثير الحسن في قراء النار على ما نزعنا الجنية من سوء
التأثير وحل الرابطة الإسلامية . وهذه النزعة هي العقبة الكروية في طريق الدين
بمصر وقانا الله شرها وكفى البلاد أسرها . وكتب الشيخ أحمد المنوفي من الهند
انتقاداً على النار وصاحبه . ثم رجع عن رأيه ذلك كما رأيت في هذا الجزء . وسنشير
في قاتمة الجزء الآتي إلى موقف الإصلاح في مصر الآن
هذا وأنا نتمم صفحات الجزء بمثل ما دعونا إليه في قاتمة من وجوب تقديم
ما يراه أهل العلم خطأ في النار والسمعة إلى ما يروونه من الصواب فيه والتعاون
على هذه الخدمة ، والله الموفق وله الحمد على كل حال